

تأليف

سليم حسن

الجزء الثالث

العصر الذهبي

في تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان
والأقطار الأسيوية ولوبيا

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٤٧

مصر القديمة



تأليف

سليم حسن

الجزء الثالث

العصر الذهبي

فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الأسيوية ولوبيا

القاهرة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

فى صيف عام ١٩٤٠ أتممت وضع الجزأين الأول والثانى من تاريخ مصر القديمة حتى العهد الإهناسى أى الأسرة العاشرة. وكان بودّى أن أسير قدما فى طريق وأضع الجزء الثالث الذى ينتظم الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة، ولكن عقبات نهدت فى الطريق والحرب قائمة، فلم أستطع بين طوفان الحوادث وطغيان الكوارث أن أتصل بالأوساط العلمية الأوربية وأن أغترف من مصادرها ما يساعدنى على إخراج بحث واف تام العناصر قوى الأسباب. من أجل ذلك آثرت وقتئذ أن أخرج للناس "كتاب الأدب المصرى القديم" الذى كنت قد سرت فى وضعه شوطا بعيدا حتى تنفرج الغمة ويزول شبح الحرب المخيف. فلما استقرت السيوف فى أغمادها وذهبت نوازى الشر من الرءوس واتصل ما انقطع من أسباب التعاون الفكرى، أخذت أدرس كل ما جدّ من البحوث العلمية حول هذا العصر والأسرة الحادية عشرة منه بخاصة؛ لأن هذه الأسرة لا تزال رغم مجهود العلماء وكشف الباحثين فى حاجة إلى من يظهر حقائقها التاريخية ناصعة بريئة من شوائب الظن والحدس.

لقد أبان لنا معول المنقب صفحات مجيدة فى حياة القوم الاجتماعية والزراعية والدينية والصناعية فى هذه الفترة مما لم نحظ به فى عصر آخر. ومن أجل هذا نشرنا

هذه الصفحات مستعيضين بها عن تلك الحقائق الجافة المتكررة المتشابهة التى تتناول الملوك وأعمالهم والتى نلقنها أبناءنا فى شىء من التكلف والتصنع .

فإذا قرأت رسائل « حقا نخت » فى هـذا الكتاب وجدت أمامك صـورة حيـة عن حيـاة الفلاح المصرى كانت مطوية محجوبة عنا منذ أربعـة آلاف سـنة تقريبا ، وإذا فحصت محتويات مقـبرة « مكت رع » وجدت صفحة مجيـدة تقرأ فيها حيـاة القوم الاجتماعيـة بكل مظاهرها من صناعة وفنّ وتجارة وشئون منزلية وزراعية واقتصادية ممـا يجعلك تقف مشدوها حائرا أمام ما وصل إليـه القوم من الحذق والمهارة الفنية وتفهم طرائق الحياة والافتنان فيها والإبداع فى إجادتها .

وإذا درس رب السـيف لوحات الجنـدية التى عرضناها فى هـذا الكتاب لمس فيها قوّة التضامن الحربى وإجادة فنون القتال ومكانة الجنـدى بين قومه ، وعرف لأوّل مرة فى تاريخ العـالم قيمة الـكلاب فى الحروب والدور الذى كانت تلعبه .

كل هـذه لمع تبدو من وقت لآخر فتأخذ بيدنا فى تلك المجاهل المظلمة التى اعترضت سيرنا عند الكتابة فى تاريخ الأسرة الحادية عشرة .

والواقع أنك لا تجد اثنين من مؤلفى عصرنا يتفقان على رأى واحد عند الكتابة فى تاريخ هذه الأسرة ، وأن أعظم قدر كتب فيها لا يتعدّى عشرين صفحة . على أنّا قد جمعنا هنا كل ما يمكن من الحقائق التاريخيـة الهامة عن حياة هـذه الأسرة وبخاصة الناحية الاجتماعية . وقد كان اعتمادنا فى ذلك على المصادر الأصلية بقدر ما سمحت به الأحوال .

أما الأسرة الثانية عشرة ، وهى العصر الذهبى لمصر الخالدة ، فإن الباحث فيها ، رغم ما يلاقيه من فجوات فى تاريخها ، لا يعسر عليه أن يعرف تاريخا لها مرتب العهود مسلسل الحوادث وإن كان جزؤه الأخير عليه ستار رقيق من الشك والإبهام .

وإن الباحث فى التاريخ المصرى منذ نشأته يلحظ أن شعب مصر قد قام بعد سقوط الدولة القديمة بأول ثورة اجتماعية على الأغنياء والملوك ، وطالب بالعدالة الاجتماعية والدينية ، فنال ما أراد ، وبذلك سجل أول انتصار للإنسانية فى ميدان النضال لنيل الحرية الشخصية والمساواة بينه وبين الحكام الغاشمين ، مما أفضى إلى مساواته فى عالم الآخرة بالملوك الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أربابا ، وأن الجنة مأواهم وحسب . وكان أن تأسست الأسرة الثانية عشرة بفضل حاكم عادل يظهر أنه من أسرة شعبية بل من أم نوبية (سودانية) ، فسارت البلاد بخطى واسعة سريعة نحو التقدم التجارى والصناعى والفنى ، وازدهر الأدب ازدهارا عظيما وبدأت الفتوح المظفرة فى الشمال والجنوب ، فكان ذلك إيذانا بتأسيس إمبراطورية عظيمة لم تلبث أن امتد سلطانها على كل أرجاء العالم المتمدن فى الدولة الحديثة .

والظاهرة التى تستحق التسجيل هنا أن الثقافة التى عمت البلاد فى هذا العصر كانت وليدة التربة المصرية نفسها ، والتفكير المصرى ذاته ، لم تستعن فى ذلك بدولة أجنبية ، ولم تأخذ عن غيرها شيئا ؛ فأدبها وفنونها وصناعاتها ودياناتها وطرق حياتها ونظم حكمها تضرب بأعراقها إلى أصل مصرى بحت ؛ من أجل هذا أطلقنا على هذه الفترة « العصر الذهبى فى التاريخ المصرى » .

وقد حاولنا فى هذا الفصل من الكتاب أن نعرض أعمال كل ملك على حدة، ثم شفعنا ذلك بفصل فى أصول المدنية فى هذا العهد، وبخاصة من ناحية علاقات مصر بالأمم المجاورة لها وهى فلسطين وسوريا وبلاد شرق الأردن ولبنان والأناضول ولوبيا ثم السودان وارتباطه بمصر منذ أقدم العصور التى ترجع إلى ماقبل التاريخ . وقد فصلنا القول فى نشأة الإمبراطورية المصرية فى آسيا والروابط التى كانت بين أهلها وبين مصر فى عهد الأسرة الثانية عشرة، ثم تعرضنا لما كان بين مصر وبلاد النوبة من علاقات، وماطرأ عليها من الوهن، ثم توثقها فى عهد «الدولة الوسطى» حتى وصلت الفتوح المصرية فى هذه الجهة إلى ما بعد الشلال الثالث على يد « سنوسرت الثالث » الفاتح العظيم .

ولقد وجهنا مزيد عناية لدرس الحياة الدينية فى هذا العهد، فرسمنا صورها كما وجدناها على الآثار وطبق ما أوحته متون التوابيت التى امتاز بها هذا العصر، وأخصها ما جاء عن عالم الآخرة وكيف يصل إليه المتوفى ، وما يصادفه من عقبات ومصاعب تحاول صدّ المتوفى عن ورد الحوض المحبوب . ولقد فصلنا القول فى ذلك رغم ما فى المتن من صعوبات لغوية بما لم نسبق إليه؛ إذ أن معظم المشتغلين بالآثار لم يلتفتوا إلى هذا الكتاب الذى أسموه "كتاب الطريقين" . ولقد خصصته بعنايتى لأوجه الشبه الكبيرة بينه وبين الخرافات التى نقرؤها فى الكتب القصصية عن الجنة والنار، ولأنه يكشف عن ناحية من النواحى العقلية عند القوم ويبين تصوراتهم الفلسفية عن عالم الآخرة الذى لا يفوز فيه إلا من آمن وعمل صالحا .

وبعد — فأرجو أن أكون قد وفقت بعض الشيء للكشف عن هذا الجزء الغامض من تاريخ مصر الخالدة .

وإنى أسأل الله أن يسدّد خطانا ويوفقنا لخدمة مصر وأبنائها ، كما أسأل مواطنى الأعزاء أن يقدّموا وافر شكرهم معى لأولئك الذين فسحوا لى الطريق على كره منهم لإنجاز هذا العمل الشاق المحبب إلى نفسى .

وإنى أتقدّم بالشكر لصديقى الأستاذ محمد النجار الذى أسهم بقسط وافر فى قراءة الكتاب قبل طبعه وقراءة تجاربه . كما أشكر حضرة الأستاذ محمد نديم مدير مطبعة دار الكتب المصرية ورجال المطبعة على ما بذلوه من عناية لإخراج هذا المؤلف .

والسلام على من اتبع الهدى م ا

الدولة الوسطى

الأســرة الحــادية عشــرة

مقــــدمة

فى العهد الذى نجحت فيه أسرة حكام «هراكليو بوليس» (أهناسية المدينة) فى اغتصاب السلطة من آخر ملوك «منف» الضعفاء . كانت هناك أسرة أخرى فى الصعيد تنمو وتترعرع فى مقاطعتها التى كان يطلق عليها اسم «واست» (الأقصر الحالية) وهى المقاطعة الرابعة من مقاطعات الوجه القبلى ، وتقع جنوب مقاطعتى «قفط» وهى المقاطعة الخامسة ، ومقاطعة «دندرة» وهى المقاطعة السادسة . وكانت عاصمة «واست» تسمى «إيون» الجنوبية أى (عين شمس) الجنوبية ، وموقعها الآن بلدة «أرمنت» الحالية . ولا نعلم عن تاريخ مقاطعة «واست» شيئاً خطيراً فى عصر الدولة القديمة ، وكل ما نعرفه فى ذلك الوقت أن البقاع التى تكونت منها بعدُ مدينة «طيبة» العظيمة كانت قرى صغيرة متجمعة حول مدينة الأقصر الحالية ، وهى «واست» السالفة الذكر و«الكرنك» . وكانت هذه المقاطعة تضم مدناً صغيرة آهلة بالسكان ، غير أنه لم تبلغ واحدة منها ما بلغته «واست» أو «الكرنك» . ففى أعلى النهر كانت مثلاً قرية «طود» وتبعد ثلاثين كيلومتراً على الضفة الشرقية من النيل ، وكان يقابلها فى الجهة الأخرى من النهر بلدة «أرمنت» . وكانت «المدمود» كذلك تقع على منحدر النهر بالقرب من الصحراء الشرقية على مسافة لا تقل عن خمسة عشر كيلومتراً . وعند ما برزت هذه المدن الصغيرة أو القرى فى عالم الوجود للمرة الأولى فى عهد الدولة القديمة كان لكل منها معبد الإله «منتو» (إله الحرب) وهو إله المقاطعة ، ومن المعقول أن يكون معبده فى كل قرية من هذه القرى ، هو المعبد الذى

يهتم به و يُسعى إليه . غيرأن الإنسان كان لا يعدم ذكر اسم الإله « أوزير » فى هذه الأماكن ، وكذلك الإله «مين» الذى كان يمثّل بعضو التذكير منتشرا . ولم نسمع قط بذكر الإله « آمون » حتى عام ٢١٤٠ ق م . ومع ذلك فانه كان لا يذكر إلا نادرا جدّا . (Stela of Magegi, Scott-Moncrieff, Hieroglyphic Texts in the Brit. Museum, vol. I pl. 50.) . وقد انتخب عظماء هذه القرى ، وهى التى أصبحت طيبة عند نهاية الدولة القديمة ، لدفن موتاهم تلا صخريا قليل الارتفاع فى صحراء الجهة الغربية من النيل يسمى فى عصرنا « الخوخة » . فقد اختار « ونيس عنخ» الذى كان يلقب ولى العهد ، وحاكم الجنوب ، ومدير مخازن الغلال ، هذه البقعة لدفنه ، وكذلك فعل ابنه . (راجع ; Metropolitan Museum of Art 22·3·325 ; Diaries, Metropolitan Museum of Art. Bulletin March Part II p. 23, Fig 34.) .

مقبرة إحى حاكم مقاطعة طيبة — وكذلك عثر فيها على مقبرة لعظيم يدعى « إحى » وامرأته « إمى » . وكان يلقب حاكم المقاطعة العظيم ، والسمير الوحيد ، والكاهن ، والمرتل ، وكاتم السر لكل كلام سرى يصل إلى المقاطعة ... ... ، ومدير مخازن الغلال ، والمدير الملكى . ونجد فى مقبرته علاقته بالآلهة فقد كان المقرب من الإله (منتو) رب « أرمنت » ، ومن إلهة كانت تعبد فى مقاطعة عين شمس (ربما كانت مصر القديمة الحالية) ، ومن الإله « أوزير » رب بوصير ، ومن الإله العظيم « رع » . ومن ذلك يظهر أن « إحى » هذا كانت له مكانة عظيمة فى البلاط ، إذ كان على ما يظهر حاكم مقاطعة عظيمة فى الوجه القبلى ، وإن لم يذكر ذلك صراحة ، وربما كانت المقاطعة الرابعة . كما نرجح أنه كان حاكما لمقاطعة أو بعض مقاطعة فى الوجه البحرى . هذا إذا لم يكن لقب «عزمر» (حاكم مقاطعة فى الوجه البحرى) مجرد لقب فخرى له ، ولم تذكر نقوشه صلة له بالإله «آمون» الذى كان يظنّ أنه الإله المحلى للمقاطعة ، بل ذكرت علاقته فقط بالإله « منتو » ،

وكذلك ذكرت علاقته بالإله « أوزير » الذى كانت عبادته شائعة فى هذا العصر ، كما ذكرت علاقته بالإله « بتاح سوكر » إله عاصمة الملك « منف » وقتئذ[1] .

وقد دفن فى هـذه الجهة كذلك الأمير الوراثى وحامل الخاتم الإلهى (الملكى) « سنى إقر » (راجع Gardiner & Weigall, Topographical Catalogue of Private Tombs at Thebes No. 185) . ولم يرد اسم طيبـة فى عهـد الدولة القديمة غير ما ذكر إلا نادرا فى النقوش . وقـد ذكر اسم مقاطعتها فى قائمـة الاثنتين والعشرين مقاطعـة التى كان يحكمها « شمـاى » فى عهـد الفرعون « نتر باو » ولكن على أثر وفاة « شماى » هذا أعطى هذا الملك نفسه ابنه (إدى) خمسا من هـذه المقاطعات تحت حكمه من « الفنتين » (أسوان) الى « ذيوس بوليس بارفا » (هوّ) الحالية (Moret, Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions 1914, p. 565 & Cairo 43053; M. M. A. 14, 7, 11) وتقـع بالقرب من مرتفع جبل الطريف حيث ينعطف النيل على هيئة زاوية قائمة عنـد الحدود الشمالية لمصر الجنوبية . ولا نعلم عن هذه المقاطعات الخمس أكثر من أنهـا كانت تعتبر كتلة واحدة تحت حكم «قفط» وذلك بعد انقضاء عهد الدولة القديمة .

وإن « الفنتين » و « إدفو » و « الكاب » قد أغار أهلها على حكام (طيبة) وجيرانها كما نعلم ذلك من نقوش مقبرة عثر عليها فى «المعلة»[2] وكانت النتيجة أن تمزق شمل أرض الجنوب وأصبحت ولايات صغيرة . (Drioton and Vandier, L'Egypte pp. 215-233) .

---

(١) تقع مقبرة حاكم المقاطعة «اخى» فى الجهة القبلية للمكان المسمى الآن « خلوة الهوى » وهو تل صخرى فى الجنوب الغربى من «العساسيف» فى طيبة الغربية وهـذا القبر لا يدل فى ظاهره على فخامة فى صنعه ولا فى نقوشه ، بل هو فى الواقع يشبه فى أسلوب زخرفته الطراز البسيط الذى كان شائعا فى مقابر هذا العصر تقريبا فى « أسـوان » مثل مقبرة حرخوف . أما عبادة « آمون » باعتباره إلها محليا لهذه المقاطعة فلم تظهر إلا فى أواخر الأسرة الحادية عشرة كما سيجىء بعد Annales du Service des Antiquities de l'Egypte Vol. IV, p. 97.

(٢) Chronique d'Egypte vol 35. p. 23,

وقد أنتهت الدولة القديمة حسب الرواية التى يرويها مؤلف ورقة « تورين » فى عام ٢٢٤٢ ق م . وهو تاريخ بداية الدولة الوسطى . وقـد حدث ذلك نتيجة للثورة التى قام بها الملك « مرى . اب . رع . خيتى » فرعون «هيراكليو بوليس» مؤسس الأسرة التاسـعة وموحد مصر حتى الشـلال . (Ed. Meyer, Geschichte des Altertums Nachtrag p. 68) وليس هناك من شك فى أن «طيبة» كانت ضمن فتوح « خيتى » وقد أصبح ملكها الذى نجهـل أسمه الآن ضمن رعايا الفرعون الجديد .

أصل فراعنة الأسرة الحادية عشرة

وحوالى منتصف القرن الثـانى والعشرين قبـل الميلاد رزقت امرأة تدعى «اكوى» ابنا أسمته « أنتف » ومن هذا الطفل المجدود نسل كل أمراء « طيبة » الذين أصبح منهم فيما بعد فراعنة مصر فى عهد الأسرة الحادية عشرة ، غير أن الحظ لم يسعفنا حتى الآن بالعثور على أثر معاصر له ، اللهم إلا لوحة لحارس باب يدعى « ماعت» ويحتمل أنه مع ذلك كان معاصرا للفرعون العظيم «نب حبت — رع» وحامل خاتمه « ببى » وقد دعا « ماعت » هذا فى نقوش لوحته بصلوات جنازية من أجل «انتف عا» ابن «اكوى» هذه قائلا :

ليته يهبنى قربانا فى الجبانة بقدر ما أحتاج إليـه كل يوم من مأكل وهـذه اللوحة محفوظة الآن (Polotsky Inschriften des XI Dynastie) بمتحف «مترو بوليتان بأمريكا .

وبعد مرور قرن على تاريخ هذه اللوحة نجد « سنوسرت » الأول قد أهدى تمثالا صـغيرا من الجرانيت الأشهب على هيئـة رجل جالس مـتربع على الأرض وذراعاه موضوعتان على صدره بخشوع . وقد نقش اسم صاحب التمثـال فى بردية محفورة على حجرة جاء فيها :

« عمله ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خبر — كا — رع » بمثابة أثر لوالده الأمير « انتف عا » قربانا ملكيا يقدّم من خبز وجعة ونبيذ وألف من البقر والإوز وألف من أوانى المرمر وألف من الملابس والبخور إلى المحترم عند «آمون» رب عروش الأرضين الأمير الوراثى « انتف عا » الذى وضعته أمه " اكوى "
(Legrain, Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers No. 42005 & Evers, Staat aus dem Stein Pl. 52).

أسرة أنتف — وتدل كل الشواهد على أن جد سلالة أمراء « طيبة » وهم الذين أصبحوا فيما بعد ملوكا فيها كان يسمى « انتف » وكان أميرا معروفا للخاص والعام لدرجة أن «تحتمس الثالث» الذى خلفه على عرش مصر بعد ثمانمائة عام بنى فى معبده بالكرنك قاعة خاصة لأجداده ونقش أسماءهم عليها . وكان أول اسم نقشه على جدرانها للأسرة الحادية عشرة هو : الحاكم والأمير الوراثى « انتف » المبرأ ولكنه لم يضع الاسم فى طغراء (Prisse; Monuments Egyptien, Pl. 1; Sethe, Urkunden der 18 Dynastie; IV. 606.)

وقد كشف «مريت» عن لوحة جنازية لهذا الأمير فى « ذراع أبو النجا » وهى غاية فى دقة الصنع، وقد نقش عليها بعد الصيغة الدينية : الأمير الوراثى والحاكم العظيم لمقاطعة « واست » (طيبة) والذى يرضى الملك بوصفه حارس باب الجنوب، والعماد العظيم لمحيي الأرضين، والكاهن الأول المقرب لدى الإله العظيم رب السماء «انتفى» (Mariette, "Monuments Divers Recueilles en Egypte et en Nubie. p. 16, Pl. 50; Maspero, Dawn of Civilisation, p. 115; Lange und Schafer, "Grab und Denkstein des Mittleren Reichs, No. 20009; Breasted, Ancient Records, Vol. 1, Par 420.)

غير أن اسم « انتفى » هنا يوحى إلينا بأننا أمام لوحة لحاكم مقاطعة آخر غير ابن السيدة « اكوى » . ويحتمل أن هناك « انتف » ثالثا على لوحة لفرد عادى يحمل نفس الاسم «انتف» . ويدل الطراز الجميل الذى نقشت به لوحته على أنه من المحتمل أن ينسب إلى عصر متأخر عن عصر «انتف» الذى نحن بصدده . وقد جاء

فيها بعد الصيغة الدينية = حامل الخاتم ، والسمير الوحيد ، والمشرف على التراجمة القائد = انتف = يقول : إنى أنحدر فى النهر وأصعد فيه مع الأمير الوراثى وحاكم المقاطعة العظيم للوجه القبلى «انتف» . وتشاهد زوجه واقفة خلف صاحب اللوحة وقد نعتت بأنها زوجه المحبوبة ، وحلية الملك الفريدة (وصيفته) رئيسة الكهنة «إرو» (Spiegelberg & Portner, Grab und Denksteine aus Suddeutschen Sammlungen, Vol, I. Pl. XI, No. 18; Spiegelberg, Zeitschrift für Agyptische Sprache (1912) p. 119.)

ولدينا قطعة من لوحة عثر عليها فى «دندرة» لكاهن الإلهة « حتحور » سيدة « دندرة » تذكر لنا اسم أمير عظيم للأرض الجنوبيـة يسمى «انتف عا» . ومن المحتمل أنه أحد هؤلاء الأمراء (Daressy A. S. 1919, 185)

ومن كل هذا نرى أننا أمام اثنين بل أربعة من أعضاء هذه الأسرة قد اختلط علينا أمرهم بسبب تشابه أسمائهم . فلدينا «انتف عا» بن «اكوى» ، و«انتفى» و «انتف عا» ومن المحتمل « انتف » آخر . وكل هؤلاء قد عاشـوا فى القـرن الذى جاء بين قيام دولة « إهناسية المدينة » والثورة التى قام بها الطيبيون .

ومن المحتمل أن يكون أكثر الأمكنة ازدحاما بالسكان فى « طيبة » هو الذى حول «الأقصر» الحالية . وكان يعرف فى الأزمان القديمة باسم «أبت» (الحريم) (Steindorff and Wolff, Thebanische Graberwelt p. 9.)

وتدل ظواهر الأمور على أنه عند ما امتدت قرية الأحياء على الشاطئ الأيمن للنيـل حتى جاورت معبد « منتـو » بالكرنك ، كانت مدينـة الأموات الواقعـة فى الغرب على ما يظهر قد نقلت إلى الشمال ، ولم يكن فى هذه البقعة صخور مجاورة ليتمكن الأهلون من أن ينحتوا مثواهم الأبدى ، وذلك لأن الصحراء الواقعة شمالى بداية وادى الملوك عبارة عن سهل من الحصباء يشبه بعضه البعض ، وتخترقه مجارى ماء ، غير أنه كان فى وسع الرجل الرقيق الحال أن يحفر حفرة مستطيلة بصورة لا تجعل التابوت يخدش عندما يدلى فى القبر . أما إذا كان صاحب القبر من أهل اليسار خط

لنفســه مقبرة ذات ردهــة محفــورة فى السهل وأقام لهــا رواقا ذا عمد بســيطة . وفى خلال القرن الذى تلا استعمال هذه البقعة نجد أن هذه الجبانة قد شغلت مايزيد عن كيلو متر من هــذه الصحراء شمــالا وجنوبا وما يمــاثل هذه المســاحة غربا (Petrie, Qurneh p. 2) . ونظن أن أمراء المقاطعة قد دفنوا فى المقابر الكبيرة الواقعة فى الطرف الشمالى من هذه الجبانة بالقرب من مجرى المياه الذى يخترق السهل قبالة معبد "منتــو" . ولا نستطيع أن نقطع بمكان دفنهم ، غير أننا لسنا بعيــدين عن الصواب فيما ذهبنا إليه ، وذلك لأن العادة قد جرت فى أسر التاريخ المصرى أن يشغل الفضاء المعدّ لإقامة المقابر مبتدئا من الشمال ومنتقلا إلى الجنوب وفى هــذه الجبانة التى نحن بصددها الآن نجــد أن هــذا الميل كان متبعا . وقد أثبتت ذلك الحفائر الضئيلة التى أجريت فى هذه الجهة حديثا .

سهر تاوى أنتف

٢١٤٣ — ٢١٤٠ ق م

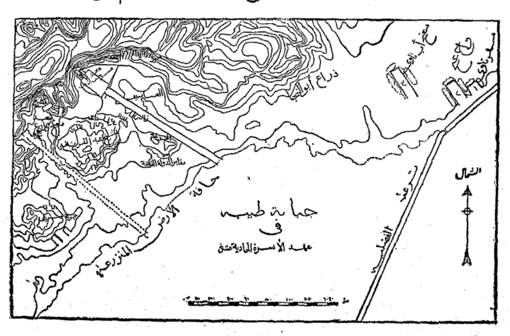
و يظهر أنه قد جاء بعد « أنتف » مؤسس هـذه الأسرة أنتف آخر كان يحكم المقاطعة الطيبية . ولقد أحس فى نفسه القدرة على اغتصاب ملك البلاد الجنوبية ، ولكنا لم نره — كما لم نر أحدا من خلفائه الثلاثة الذين تولوا بعده الملك — يلبس تاج البلاد المزدوج « تاج الوجهين القبلى والبحرى » و إن كان يلقب كل واحد منهم نسوت بيتى (ملك الوجه القبـلى وملك الوجه البحرى) . وقد روت لنا الأجيال التالية لحكمه أن اسمه « حور سهر تاوى » أى حور مهدئ الأرضين ، ابن الشمس أنتف ، من غير لقب خاص أو اسم آخر من أسماء هؤلاء الملوك الذين كانوا يحكمون القطـرين ، أى (Vandier, Bulletin de l'Institut Français d'Archeologie Orientale (1936) p. 102 ; F. Bisson de la Roque. Tod. p. 75, fig. 27, 30.) أنه لم يحمل كل الألقاب الفرعونية الرسمية التى كان يلقب بهـا الفرعون يوم توليته العرش فى احتفال رسمى (مصر القديمة جزء أول ١٦٦ الخ) .

و يعتبر « سهر تاوى أنتف » فى نظر التـاريخ الأمير الأول من الأمراء الستة الذين تتألف منهم الأسرة الحادية عشرة وهم الذين حكموا نصف البلاد قبل مجىء الأسرة الثانية عشرة بمـا يقرب من ١٤٣ سنة أى منذ نحو سنة ٢١٤٣ ق م إلى سنة ٢٠٠٠ ق م وقد كان أول حاكم طيبى كتب اسمه داخل طغراء ، بل إنه بدأ سافرا وظهر فى غير التواء مناهضا للفرعون الذى كان يحكم البلاد فى «أهناسية المدينة» و « منف » فى تلك الفترة .

ولقد أفلح هـذا العصيان وأتى بثمره ، قبل وفاة « سهر تاوى » بثلاث سنين أو أربع . وكان قد أتم إقامة مقره الأخير على الضفة الغربية للنيل . وتدل ظواهر

الأمور على أنه مكث يحكم « طيبة » عدّة أعـوام ولا أدل على ذلك من أنه حفر مدفنه فى الجبانة الشمالية على مقربة من مقابر حكام المقاطعة .

وهـذا النوع من المقابر الملكية يطلق عليـه المصريون الآن فى هـذه الجهة « صف » . ويطلق هـذا الاسم بخاصـة على أوّل مقابر ملكية فى طيبة الغربيـة انظر شكل (١) لأنها تشمل صفوفا من الأبواب الغائرة فى سهل الصحراء، وهذه المقابر كانت تتجه نحو « الكرنك » . وقد كانت مقبرة هذا الأمير أو صفه كما يسميه سكان هذه الجهة الآن، مقامة فى السهل المنبسط المكوّن من الحصا على بعد ثلاثة كيلومترات تقريبا عبر النهر من معبد الإله « منتو » وكانت قد حفرت على عمق خمسة أو ستة أمتار فى جوف السهل ، غير أنها كانت تظهر للعين أكثر عمقا من ذلك، لما تراكم حولها من الأكوام الهائلة من شظيات الأحجار . وقد كان عرضها حوالى ٨٠ مترا وطولها يربى على مائة متر قبل أن تخترق ترعة الرى الحديثة طرفها الشرقى . وعلى الإنسان الذى يريد الوصول إليها أن يسير من شاطئ النهر قبالة طيبـة مخترقا سهلا ضيقا حيث كان صناع اللبن يصنعون لبناتهم التى كانت تحتوى



شـــكل رقم ١

على جزء كبير من الرمل . ولما تحوّل النيل فى السنين الأخيرة نحو الشرق بَقِى غربيته الجميل، فأصبحت اللبنات التى تصنع منه تشبه التى تصنع فى عصرنا الحالى . وعلى مسافة خطوات قليلة بعد حفر عمال اللبنات تصادفنا الصحراء . وهنا نجد الردهة الغائرة ذات الأبواب التى أقيمت فيها من كل الجهات، وهى التى تؤدّى إلى المقرات الأبدية لرجال بلاط « سهر تاوى » . و يوجد خلف «الصف» نحو الاثنى عشر بابا وهى التى تشتمل عليها مقبرة هذا الأمير، وهذه الأبواب تنحدر عند زاوية فى الصخرة من واجهـة بارزة ومنحدرة بعض الشيء . وإنا لنظن أن هـذه الواجهة كانت قاعدة لهرم مصنوع من اللبن أقامه هذا الأمير فوق مقبرته . ومما يؤسف له جدّ الأسف أننا لا نعرف عن هـذا الفرعون شيئا غير اسمه، وغير هـذه المقبرة التى كانت بلا مراء مقره الأخير، وغير ثلاث السنوات التى سلخها فى حكم البلاد .

ولا نزاع فى أنه هو أوّل من وضـع اسمه فى طغراء واكتسب لنفسه بعض مظاهر الملك من حكام مقاطعة طيبة الذين حكموها زهاء قرن ؛ غير أننا لا نعرف شيئا عن أية حادثة حدثت فى عهده خاصة بالحروب التى هزت أركان البلاد نحو ثمانين عاما أو تزيد .

واح عنخ — أنتف

حوالى ٢١٤٠ — ٢٠٩١ ق م

لما توفى سهر تاوى تولى بعده الحكم على طيبة والمقاطعات الأربع الأخرى المؤلفة للوجه القبلى وقتئذ فتى فى ريعان الشباب بقى معتليا عرش ملكه قرابة نصف قرن . والمرجح أنه تولى قيادة ملكه حوالى عام ٢١٤٠ ق م . وقد تسمى باسم « حور — واح عنخ » = (حور مثبت فى الحياة) أنتف العظيم . ومما يؤسف له أننا نجد اسمه الحورى قد تهشم بفعل الزمن فى قائمة الملوك بالكرنك وهى تلك التى كتبها الكهنة للفرعون « تحتمس الثالث » أما فى ورقة « تورين » فبالرغم من ضياع اسمه قد استخلصنا من طول مدة حكمه الذى بلغ تسعة وأربعين حولا أنه وضع ترتيبه الثالث بدل الثانى من ملوك هذه الأسرة . ولا نزاع فى أنه كان أحد أبناء « سهر تاوى » غير أنه لم يكن ولده البكر . وقد جرت عادة ملوك مصر فى عهد الدولة الوسطى فى غالب الأحيان أن يتبادلوا الأسماء من جيل إلى جيل ، ولا يبعد إذًا أن يسمى «سهر تاوى أنتف» بكر أولاده « منتو حتب » وأنه لما توفى قبل والده ورثه فى الحكم ابن آخر اسمه « أنتف » وهو الذى لقب نفسه « حور — واح — عنخ » ومن المدهش أنه لم يصلنا حتى الآن إلا شواهد ضئيلة عن الحروب التى يغلب أن أوارها ظل يستعر فى طول البلاد وعرضها أيام « واح عنخ » هذا . على أن لوحة الموظف العظيم « ثثى »[1] الذى عاصر هذا الملك وعاصر خليفته وهى أهم أثر وصل إلينا من عهده لم نر فيها أية إشارة للحروب فقد جاء فيها : " يعيش حور واح عنخ طويلا ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ابن رع « أنتف » مبتدع الجمال والعائش مثل رع مخلدا ! خادمه الحقيق وموضع محبته ، صاحب المكانة

(1) Journal of Egyptian Archaeology, Vol. XVII (1931) p. 56.

الرفيعة فى بيت سيده، والحاكم المتناهى فى عقله، الذى يعرف إرادة سيده، والذى يتبعه فى كل روحاته، والذى يمثل قلب جلالته وحده حقيقة، والذى يحتل المكانة الأولى بين العظماء فى القصر، والمشرف على الأشياء الثمينة التى فى المكان الخفى والتابع المقرب (شمو) للملك " والمبجل ثنى يقول :

"لقد كنت إنسانا محبوبا من سيده ممدوحا منه كل يوم، وقد أمضيت حقبة طويلة من السنين فى خدمة جلالة سيدى، حور العائش طويلا، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ابن الشمس « أنتف » عندما كانت هذه الأرض تحت إشرافه جنوبا من «الفنتين» (أسوان) إلى « شس » (العرابة المدفونة) فى مقاطعة طيبة، وكنت إذ ذاك خادمه الخاص، وتابعه الحقيق؛ ولقد جعلنى عظيما ورفع مكانتى واتخذنى موضع ثقته فى قصره الخاص، وكانت الأشياء الثمينة فى حوزتى وتحت خاتمى، بما فى ذلك الطيبات النادرة الوجود التى كانت تجلب لجلالة سيدى من الوجه القبلى ومن الوجه البحرى، وكانت تحتوى على كل شىء يجلب السرور، من منتجات كل البلاد وذلك بسبب رهبته فى هذه الأرض، وكانت هذه تجلب دائما لجلالة سيدى بمعرفة الرؤساء الذين يحكمون الأرض الحمراء، لأنهم يخافون جلالته فى كل البقاع الجبلية، ولقد عهد إلى بهذه الأشياء بعد أن أيقن أنى جم النشاط وقد وضعت له تقريرا فى ذلك، ولم يحدث تقصير أستحق عليه عقابا، لأنى كنت حازما؛ موضع ثقة حقيقية عند سيدى، وحاكما غاية فى العقل هادئ الأخلاق فى بيت سيده، حانيا الذراع بين العظماء، ولم أتعود البحث وراء الشر الذى بسببه تكره الرجال؛ وإنى إنسان يحب الخير ويكره الشر وشخصية محبوبة فى بيت سيدها، وإنسان تعود أن ينفذ كل واجب حسب إرادة سيده، وإذا وُلّيت عملا مثل تحقيق شكاية، أو فحص ملتمس إنسان فى حاجة كنت عادلا، ولم أعتد أن أتخطى التعليمات التى فرضت علىّ، ولا أن أضع شيئا مكان آخر، ولم أكن متغطرسا لما أوتيته من ثراء، ولم آخذ شيئا اختلاسا لأجل أن أنهى عملا .

ولقد نفذت كل إرادة ملكية وكل جلالتــه أمرها إلىّ، وقمت بما أمرنى به من مهام يريدها قلبه مهما عظمت ، وقد أتممت كل ما دون خاصا بها ولم يوجد فيها تقصير قط لأنى كنت حازما .

ولقد صنعت سفينة للمدينة وقاربا «سحت» لأرافق فيه سيدى عندما كان يجرى الحساب مع العظماء وفى أية مناسبة لجلب شيء أو إرسال شيء؛ وهكذا كنت ثريا وكنت عظيما ، لأنى كنت أمدّ نفسى من أملاكى الخاصة التى وهبنى إياها جلالة سيدى ، فلقــد كان يحبنى دائما (حور العائش طويلا ملك الوجه القبــلى والوجه البحرى، ابن الشمس « أنتف » ليته يعيش مثل رع مخلدا) حتى ذهب فى سلام إلى الأفــق « أى توفى » . وعندما خلفــه ابنه « حور نحت — تب نفر » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ابن الشمس « أنتف » خالق الجمــال — الذى أتمنى أن يعيش مثل رع إلى الأبد تبعته فى مظان مسراته الطيبة ، ولم يوبخنى مرة لأنى كنت حازما، وقد وكل إلىّ كل الوظائف التى كنت أشغلها فى عهد والده فزاولتها تحت إشراف جلالتــه ، ولم أرتكب أى تقصير فيها ، وأمضيت كل أوقاتى على الأرض أعمل تابعا للملك ملازما شخصه، وكنت ثريا، وكنت عظيما فى عهد جلالته وكنت إنسانا كوّن شهرته ومدحه سيده ليل نهار" .

ولوحة « ثنى » هذه وإن لم تحدّثنا بشيء عن حروب « واح عنخ » إلا أنها تلقى بعض الضوء على ذلك العهد الذى نجهله من حيث النقوش فيحدّثنا « ثنى » بأنه كان المشرف على الأشياء الثمينة الخفية التى كانت فى حيازة هذا الملك ، وأنه هو الذى كان يعلم المكان الذى أخفيت فيه مما يشعر بثقــة الملك به، وكذلك بأن الملك كان فى خوف على متاعه الثمين الخاص مما يدل على اضطراب الحال فى البلاد. وكذلك يحدّثنا «ثنى» بأن العظماء كانوا يدفعون ضرائب،وأن الملك كان يقوم بنفسه ليحاسبهم على ذلك إذا خالف واحد منهم الأوامر. وكان « ثنى » يتبع الملك فى هذه الجولات فى قاربه الخاص ، هذا إلى أن رؤساء المقاطعات أو البلاد الصحراوية

كانوا يقدّمون للملك الجزية مما تغله أراضيهم . وفضلا عن ذلك فقد حدّد لنا « ثى » البلاد التى كانت تحت حكم « واح عنخ » وهى من أسوان إلى طينة (أى العرابة المدفونة) .

أما ما يذكره « ثى » عن أحسن الأشياء المختارة التى كانت تأتى للملك من الوجه القبلى والوجه البحرى فقد ذكرت من طريق المبالغة وحدها .

وماتحدّث به « ثى » عن نفسه وما كان عليه من الاستقامة والعدل ومضاء العزيمة فنعرة كانت شائعة عند كبار الموظفين جميعهم فى كل عهود التاريخ المصرى وبخاصة فى عهد الدولة الوسطى التى قام فيها رجال الإصلاح يطالبون بالعدالة الاجتماعية . ولدينا نقش آخر من هذا العهد على صخرة فى أسوان غير أنه ليس مؤرخا ، ونرجح أنه من عمل الموظفين الذين ذهبوا للبحث عن الجرانيت الأحمر . إذ قد وجد منقوشا على الصخور فى الفنتين اسم « حور — واح — عنخ » ابن الشمس « أنتف العظيم » وذلك يدل على أن عماله كانوا قد ذهبوا إلى هذه الجهة يفحصون قطع الجرانيت المنفصلة كما فعل أجدادهم فى عهد الدولة القديمة من قبل .

ويقول الأستاذ « ونلك »[1] عن نقوش « ثى » هذه إنها لا بد أن تكون قد كتبت فى الفترات العدّة التى وقعت فيها مهادنة بين القطرين لأنه ليس فيها ما يوحى بثورة المقاطعات الخمس النائية فى عهد « سهرتاوى » أو أن « واح عنخ » كان ينتظر الفرصة المواتية ليمدّ حدود أملاكه .

وقد كان فى حاجة بوجه خاص ليمدّ نفوذه إلى مقاطعة « العرابة المدفونة » (طينة) عندما ينحنى النيل انحناء عظيما نحو الشمال الغربى ، حيث كانت تقع (العرابة) ومعبدها . على أن « قفط » التى كانت عاصمة هذه المقاطعات الخمس فى عهد الدولة القديمة لم تعد بعد الحاضرة لأنها نزلت عن مكانتها لطيبة الواقعة فى أحد السهول الواسعة الجنوبية على امتداد شاطئ النهر . وقد بدأ الآن سكان أهل الجنوب

(1) Journal of Near Eastern Studies Vol. II 1943. No. 4 p. 255.

— وتقرب مساحة بلدهم نحوا من مائتى ميل — ينظرون بعين جشعة إلى «طينة» والعرابة . والظاهر أن «سهرتاوى» لم يلق عنتا كبيرا من بلاد الوجه البحرى مدّة حياته ، ولا بدّ أنه كان يعتبر فى نظر الفرعون فى «هيراكليو بوليس» (أهناسية المدينة) بمثابة شريف مشاغب يحكم على المقاطعات الخمس التى فى أقصى الصعيد ، ويعدّ من الذين كانوا قد أغرتهم العظمة . هذا ولم نجد أية إشارة فى نقوش أمير مقاطعة أسيوط عن «واح — عنخ» ، وعلى أية حال فإن أسيوط تقع تقريبا فى منتصف الطريق بين طيبة وأهناسيا المدينة فكانت لذلك بعيدة عن أية مشاغبة مع أمراء الجنوب .

علاقات الملك مع أمراء المقاطعات فى هذه الفترة :

وتدل النقوش التى تنسب إلى هذا العصر كلها على أنّ «سيوط» كانت موالية للملك «هيراكليو بوليس» بل كانت أكبر عضد له فى محاربة من ثاروا عليه . ففى نقـوش مقبرة «خيتى» الذى كان يلقب بالأمير والحاكم وخازن ماليـة الفرعون والسمير الوحيد والكاهن الأول للاله «وبوات» سيد أسيوط نقرأ : «أنه جند جنودا ... وحاملى أقواس» وجعلهم درعا أمامية للوجه القبلى . وكان له أسطول جميل وكان محبوبا لدى الملك أينما صعّد فى النهر :

(Brunner, Graber der Herakleopolitarzeit Tomb V, line 1.)

وكذلك تحدّث إلينا «خيتى» عن حفر ترع عندما كانت البلاد كلها قاحلة ثم تكلم عن رعايته لسكان مقاطعته فى وقت القحط . غير أن هـذه العبارات نجدها مكررة فى كثير من نقوش هذا العصر كما سنرى بل نجد أن خلفه قد كررها فى نقوشه أيضا (Ibid, Tomb III, 1, 13) .

ولكن «خيتى» يقفنا على ارتباطه الوثيق بالفرعون عندما يقول : لقد جعلنى حاكما عندما كنت لا أزال طفـلا طوله ذراع (أى عندما ولدت) ووضعنى على رأس أولاده وجعلنى أتعلم السـباحة مع الأمراء الملكيين ... وكانت أسيوط سعيدة

بقيادتى وشكرتنى « هيراكليو بوليس » ، وقال عنى الوجه القبلى والوجه البحرى إننى مثل أولئك الذين تربوا مع الملك .

أما مقاطعات الشمال فقد انتشرت فيها الفوضى والعصيان حتى إن أمراء مقاطعة «الأرنب» (المقاطعة الخامسة عشرة فى الوجه القبلى) قد أعلنوا الحرب على الفرعون نفسه . ولقد شجع هذا العمل أمير طيبة الذى كان سلطانه يزداد يوما بعد يوم على العصيان والتمرد . ولما كانت هذه المقاطعة تعدّ من أهم المقاطعات فى ذلك العصر بخاصة لأن أمراءها أعلنوا الحرب على أحد فراعنة هيراكليو بوليس مما أدّى إلى الخضد من شوكة العرش رأينا أنه لابدّ من التحدّث عن هؤلاء الأمراء وعن الدور الذى لعبوه مع الفرعون فى تلك الفترة «أى العهد الإقطاعى الأول» .

تدل ظواهر الأمور كلها على أن أسرة حكام مقاطعة الأرنب كانوا مشاغبين ثائرين ولا أدل على ذلك من أن «عجاتخت» أحد حكامها الأول الأقوياء البطاشين قد بين سياسة الشدّة التى اتبعها فى عصره حيث يقول فى نقوش قبره؛ يصف لنا نفسه : — "كنت إنسانا أدّى الحق ، ذرب اللسان بين الخصوم وتكلم بلسانه ونفذ بساعده ، ومتيقظا لخطواته بين الحكام ... وكنت محارب العصبية ... ... وكنت صاحب المشورة فى مجلس استشارة الموظفين فى يوم الكلمات المؤلمة[(١)]" .

وفى هذا دليل قاطع على أن الأحوال لم تكن هادئة وقتئذ فى الحكومة ولقد بلغ الخلاف أشدّه فى عهد «نحرى» الأوّل وهو أحد حكام المقاطعة المتأخرين عندما احتك بالتاج . وقد كان «نحرى» هذا إلى العام الرابع من حكمه لايزال مطيعا مولاه الفرعون ، يدل على ذلك ما قرأناه من أن المشرف على سفنه المسمى «تتروحتب» قد ساح فى كل مصر من الفنتين إلى الدلتا ، لأجل أن يؤدّى مهام سيده المتعلقة بالقصر ، ثم تكلم بعد ذلك عن احترام مجالس الدولة لسيده[(٢)] ، ولكنا فى السنة التالية

---

(1) Newberry, El Bersheh, II, Pl. 13.

(2) Anthes, Die Felseninschriften von Hatnub, Graffito, 17.

نسمع بقيام ثورة مسلحة فى مقاطعة الأرنب، ففى نقش مؤرخ بالسنة الخامسة من حكم «نحرى» يحدثنا «كاى بن نحرى» الذى يظهر أنه كان مشتركا مع والده فى حكم المقاطعة عن الدور الذى قام به فى الحرب التى نشبت فيقول: "وقد جندت جنودى من الشبان وسرت للحرب مع مدينتى، وقد كنت أقوم بنصيبى فى المؤخرة فى «شديت شا» (اسم مكان مجهول) مع أنه لم يكن معى غير أتباعى من «المزوى»: و: «واوات» ... والأسيويين (؟) وكان الوجه القبلى والوجه البحرى متحالفين ضدى. وقد عدت بعد نجاح باهر ... ومعى كل أهل مدينتى دون خسارة، ولقد خلصت الضعيف من القوى، وجعلت من بيتى حصنا لمن أصابهم الخوف فى يوم النزال" ويخبرنا كذلك «ماتخوت نخت» أخو «كاى» الذى كان يقوم على أمور المقاطعة الدينية أنه كان ظهير مدينته فى "شديت شا" عندما فر كل فرد[1]. ولا نزاع فى أن الفقرتين الأوليين يدلان بوضوح على تاريخ هذه الحرب وعلى شخصية الخصم «فكاى» يخبرنا أن جيش الأعداء قد جند من الوجهين القبلى والبحرى وبذلك لا يكون قد قام بهذه الحروب ضد أناتفة طيبة الذين لم يكونوا قابضين على ناصية الحكم فى الدلتا، وكذلك من باب أولى لا يمكن أن يكون محالفا لهم، يضاف الى ذلك أنه لا يمكن أن يكون قد شق عصا الطاعة على أحد الملوك الذين كانوا يسمون «منتوحتب» وهم الذين حكموا البلاد جميعها لأنه ليس من المعقول أن يكونوا قد تركوا خلفهم رجلا قويا من الأشراف يستطيع أن يثور ضدهم، هذا فضلا عن أن نقوش «حتنوب» كما يقول الدكتور «أنتس»[2] كانت أقرب فى تاريخ نقشها إلى نقوش أسيوط التى تصف لنا حروب أمراء «طيبة» ضد بيت «هيراكليوبوليس» وعلى ذلك فالحل الوحيد الذى بقى لهذا الموقف هو أن هذا العصيان الذى قام فى مقاطعة الأرنب قد حدث قبل قيام الثورة فى الجنوب بقليل وأن المناهض للثوار هو ملك «هيراكليوبوليس». ولا نزاع فى أن ملك «هيراكليوبوليس» كان وقتئذ

(1) Anthes, ibid, Graffito 17

(2) A. Z. LIX, 100 & Anthes, ibid, p. 92.

مسيطرا على البلاد كلها وقد كان فى مقدوره أن يجند جنودا من النوبيين مما جعله صاحب السيادة ، ولا أدل على ذلك من العثور فى « سيوط » التى كانت موالية له كما ذكرنا على تمثال خشبى لأحد رماة السهام خشن الصنع من الجنس النوبى (١) . على أن تجنيد النوبيين هذا لم يعـد ممكنا بعد ثورة أمراء طيبة ضـد العرش فى « أهناسية المدينـــة » .

وقد كانت نتيجة هذا الصراع بين الفرعون والأمير « نحرى » أن انهزم الأخير هزيمة منكرة ، فبعد أن استرد العاصمة التى طرده منها جيش الملك اضطر كما سنرى إلى أن يسرح جيشه . وتدل فقرة من نقوشه مؤرخة بالسنة السادسة من حكمه على أنه خضع (٢) للفرعون وقد وصف « نحرى » نفسه بأنه « إنسان يرد كلمات من يريد أن يعارضه وأنه هو الذى قال للملك ما أمره به عندما حل يوم الاستشارة » وعلى أية حال فإن « نحرى » وابنه قـد استمرا يفخران بعصيانهما الفرعون ؛ إذ فى نفس نقوش السنة السادسة لم يكن « نحرى » قد تحـوّل عن الإشارة إلى أنه إنسان فتح بيته لمن انتابه الخوف فى يوم النزال وأنه قلعة فى داخل مقاطعته يأوى إليها كل الناس .

وليس هذا نهاية ما تبجح به حكام هذه المقاطعة ، فإنا نرى فى نقوش يحتمل أن تاريخها يرجع إلى السنة السابعة (٣) من سنى حكم « كاى » بن « نحرى » يتكلم فيها بصراحة تامّة عندما كان يتحدّث عن الجنود الذين حلوا محل جنود آخرين شتتوا فيقول : لقد جندت جنودها من الشباب ليكون عددهم عظيما ، بدل جنودها الذين عدنوا فى أماكنهم واستوطنوها واستقروا فى دورهم (أى أصبحوا ضمن السكان وقعدوا فى منازلهم) ولم ينفروا إلى القتال فى وقت الفـزع من القصر . وخلصت مدينتى فى يوم النهب من الهلـع الذى اعتراهم من القصر ، وكنت حصنها فى يوم المعركة وحاميها فى « شديت شا » . وكذلك يصف لنا « تحوت نحت » الدور الذى لعبه

(1) Scharff, Die Historische Abschnitt der Lehre für Konig Merikaré p. 21. (2) Anthes, Ibid, Graffito.

(3) Anthes, ibid, Graffito 25.

في إنقاذ المدينــة بألفاظ مماثلة[1] على أن « نحرى » نفســه فى نقش مقطوع بنسبته إلى السنة السابعة[2] من حكمه يقول :

"لقد كنت عضوا شجاعا فى المعسكر، و إنسانا يقظا لخطواته فى كل مكان وعندما قال الملك تجهز للحرب ، أخذت أهبتى أيضا للأمر . « وكنت حصنا فى « شديت شا » يأوى إليه كل الناس ، وكنت إنسانا ترتعد الناس منه ، وخوفه فى قلوب القــوم مثل « سخمت » فى يوم الواقعة " . والمدهش فى هــذا الاقتباس الأخير أنه هو المبارزة الرسمية التى قالها الفرعون لخصمه الثائر، وهذا الحادث يذكرنا بالشكوى التى نطق بها الملك « مرى كارع » فى تعاليمه الخاصــة بالبدو المغيرين : " إنه لا يعلن يوما للقتال فهو فى ذلك مثل من يقوم بالقضاء على متآمرين " . ولاجدال فى أن كل المقتبسات السالفــة الذكر تشير إلى الحملة التى قام بها « نحرى » فى السنة الخامسة من حكمه ولا أدل على ذلك من الإشارات المتعددة إلى المكان « شديت شا » وإلى الحماية التى قدّمت للشعب خلال الحرب . وتدل الأحوال على أن هــذا العصيان الذى حمل لواءه « نحرى » كان قبيل نشوب الحروب التى شــنتها « طيبة » على الفرعون . تلك الحروب التى كان فى مقــدور الفرعون أن يقضى عليها فى الحال . بفضل تهادنه على ما يظهر مع أمير مقاطعة الأرنب الثائرة ، و إلا فإن تركه مقاطعة معادية له خلف أمراء أسيوط فى الوقت الذى قام فيه أمراء طيبة بهجومهم ، كان من شأنه أن يقطع مواصلاتهم مع العاصمة و يشل من مقاومتهم لزحف أمراء طيبة . ولسنا ندرى شــيئا عن مثار الخلاف بين الملك وحاكم المقاطعــة إذ لم تذكر لنــا النقوش شيئا عن ذلك ، غير أنه مما يجدر ذكره أن « نحرى » لم يأب فى نهاية الأمر السيادة الاسمية للفرعون الحاكم فى ذلك الوقت برغم عناده ونفوره من الخضوع له خضوعا فعليا ، وهو فى هذا يختلف عن أناتفة « طيبة » الذين تزيوا بزى الملك من وقت أن شقوا عصا الطاعة ، وادعوا لأنفسهم عرش مصر كلها فى آخر المطاف .

(1) Anthes ibid Graffito 23. (2) Ibid Graffito 25.

هذا ما كان من أمر مقاطعة الأرنب المعادية . أما المقاطعات التى كانت تليها شمالا مثل بنى حسن فكان إسهام القوم فى المعركة التى كانت على أبوابهم بين الفرعون وأمراء طيبة يتوقف مقداره على قربهم من ساحة القتال . بل إن استقلال الأشراف فى مقاطعات أعلى النهر كان يزداد كلما اضطر ملك هيراكليو بوليس إلى تفريق جيشه للقضاء على أعداء البلاد المنتشرين فى داخلها ، وأعنى بهم حكام الإقطاع الوراثيين المعادين للفرعون . أما فى « أسيوط » التى كانت دائما مهادنة لفرعون « هيراكليو بوليس » فكانت حالتها على ما يظهر تدل على الرخاء والطمأنينة فى ذلك العهد ، فلقد تولى بعد موت « خيتى » الذى تكلمنا عنه فيما سبق ابنه المسمى « تف إب » وكان يحمل ألقابا طنانة مثل ألقاب والده فاستمع لما يقول فى نقوشه التى تركها لنا على جدران مقبرته الواقعة فى جبل أسيوط واصفا حالة الأمن والرخاء فى طول البلاد وعرضها : ” وعند ما يجن الليل يمدحنى أولئك الذين ينامون على الطريق لأنهم كانوا فى أمان كأنهم فى بيوتهم . وكانت قوة جنودى المخيفة هى حمايتهم عندما كانت وحوش الحقل تنام بجوارهم “ (Brunner, ibid Tomb III, 1. 10) .

وبقدر ما كانت عليه أسيوط من أمن ودعة كان الفزع يغزو الجهات التى فى أعلى النيل ، ثم يستمر « تف إب » واصفا أول معركة بين جنوده والمقاطعات الجنوبية التى تجمعت من الفنتين جنوبا ثم انحدرت فى النهر إلى مكان مجهول بالقرب من العرابة ، والظاهر أنه هزمهم هزيمة منكرة إذ قال : ” وأتيت إلى المدينة وهزمت أعداء الفرعون واقتفيت أثرهم إلى حصن سدّ رأس الوجه القبلى وأعطانى الفرعون أرضا مكافأة “ وقد تابع « تف إب » قتال أمراء طيبة وحلفائهم حتى ولوا الأدبار إلى شرق البلاد فاصطادهم آخرون فى الجنوب مثل كلب الصيد الذى يقفز بخطوات واسعة خلف غزال مذعور . ولا شك فى أن الإنسان عندما يقرأ مثل هذه العبارات الصريحة لا يتسرب إليه أى شك فى نجاح الجيش الإهناسى ولكن الأمور لم تجر مع جيش الشمال (جيش الفرعون وحلفائه) كما كان يظن . فقد

كان لزاما على « تف إب » أن ينازل الطيبيين العصاة كرة أخرى بجيش آخر، وذلك عند ما هاجمهم للمرة الثانية : "ولقد سرت نحوه بفصيلة صغيرة فقط وضربته ضربة مؤلمة حتى إنه ترك ميدان القتال فى ذهول وعادت مقاطعة أسيوط كالثور الذى يهاجم قطيعا من الكلاب ، ولم يهدأ لى بال حتى قضيت عليهم" . والظاهر أن قائد جيش الجنوب قد سار إلى الموقعة فى ملابس جميلة ولكنه سقط فى الماء وغرقت سفنه وهرب جيشه مثل الإوز أمام الصائد ، " ولقد أشعلت النار فى سفنهم وارتفع لهيبها أعلى من السارية، ولقد تغلبت على من قام بالعصيان .

وكان فى مقدورى أن أقول وقتئذ لرئيس الوجه القبلى : اصغ وكنت متأكدا من أنه سيصغى إلى"، وفى نهاية هذا النقش تقريبا نقرأ : "وكانت الأرض فى رعب أمام جنودى ولم تعد هناك بلاد أجنبية لا تخاف هيراكليو بوليس بعد ما رأت الدخان يتصاعد فى المقاطعات الجنوبية" .

على أننا قد سمعنا بعض الشيء عن هذه الغزوات نفسها من الجانب الآخر أى من طيبة، فقد ترك لنا «زارى» (١) الذى دفن فى «طيبة» لوحة منقوشة نقشا رديئا جدا ومفعمة بالأخطاء حتى فى أسماء الأعلام الذائعة الشهرة مثل «الفنتين» و «العرابة المدفونة» مما يدل على جهل الحفار الذى نقشها وقد جاء فيها : "زارى بن الأمير والسمير الوحيد «حسى» وكان أميرا وسميرا وحيدا وحاكما للحاضرة ومشرفا على مخازن الغلال يقول " إن حور — واح — عنخ — ملك الوجه القبلى والبحرى ابن الشمس «أنتف» مبتدع الجمال أرسل إلى رسالة بعد أن حاربت بيت «خيتى» فى مقاطعة « طينة » (العرابة المدفونة) ... ... وإن الأمير قد أعطانى سفينة لأحمى أرض الجنوبيين ... ... من جهة الجنوب حتى الفنتين ومن جهة الشمال حتى اشقاو ... ... ولقد رقيت بين الكبار لأنى كنت مفترسا فى يوم الواقعة ، وقد غمرتنى العظمة لأنى قمت بأعمال ممتازة وكنت رئيس مقاطعتى وصرت رجلا قويا وأميرا" .

(1) Walker, in Petrie, Qurneh p. 16, Pls. II, III.

والظاهر مما سبق أن « زارى » هـذا وزوجه الحظية الملكية وكاهنة « حتحور » المسماة « سنت منتو » كانا يعيشان عنـد ما بدأ أمراء « طيبـة » ينقضون على المقاطعة السادسة أى مقاطعة « طينة » والعرابة التى كانت تعتبر بلدة مقدّسـة . والواقع أن « واح عنخ » قد ورث المقاطعات الجنوبيـة الخمس من أسوان وما تحتها ثم أضاف إلى أملاكه المقاطعة السادسـة وهى مقاطعة «طينة» ووطد حدود ملكه الشمالية بالقرب من أفروديتو بوليس (كوم شقاو) فى غربى النيل و «بانو بوليس» (إخميم) فى شرقى النيل (1) .

غير أن الغنيمة الكبرى كانت العرابة ومعبد «أوزير» القائم فيها ويرجع عهده إلى الدولة القديمة وكذلك مقابر الملوك الأوّل الواقعـة فى الصحراء خلف العرابة . ولا يمكننا أن نقرر شيئا هنا عن الدور الذى لعبه من كانوا يحجون إلى هذه البقعة المقدّسة أو الأموات الذين دفنوا فى هذه البلدة فى أوائل عهد الأسرة الحادية عشرة، ولكنه من غير شك كان دورا أقل أهمية بكثير من الدور الذى لعبه القوم فى عهد الأسرة الثانية عشرة، ومع ذلك فان من المقطوع به أن تملك معبد أوزير القديم كان له أهمية عظيمة فى بداية الدولة الوسـطى، وإن كان قد أصبح بعـد مرور جيل أو أكثر أعظم أهمية وأعلى شأنا عند ملوك الأسرة الثانية عشرة وأفراد الشعب على السواء وذلك لقداسته العظمى .

لوحـة واح عنـخ انتف

ومما يدعو إلى الأسف أن هذا الأمير العظيم «واح عنخ أنتف» لم يبق لنا من مخلفاته إلا لوحة واحدة عليها نقش هام ولم يصل إلينا منها إلا الجزء الأسـفل من نقوشها، وقد عثر عليها «مريت» عام ١٨٦٠ ولكنه تركها فى مكانها، ومما زاد

---

(1) Meyer, Gesch. ibid, Par. 276. Scharff, Der Historische Abschnitt des Lehre fur Konig Merikare, pp. 18 ff.

افروديتو بوليس (= كوم شقاو الحالية وهى المقاطعة العاشرة وبانو بوليس (أخميم) وهى المقاطعة التاسـعة .

الطين بلة أن الأهالى قد هشموها فى مكانها . وفى عام ١٨٨٢ راجعها ثانية « مسبرو » وأخيرا جمع « دارسى » ما تبقى منها ، وقد حفظ بالمتحف المصرى القطع التى سلمت من يد التهشيم والضياع . والنقوش التى على هذه اللوحة تنقسم قسمين : جزء سياسى محض والآخر دينى ، ففى الجزء السياسى يقول «حور واح عنخ» ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ابن الشمس أنتف العظيم الموسوم بالجمال كيف سقطت طينة فى يده وكيف خرب تخومها الشمالية حتى مقاطعة «أفروديتو بوليس» (كوم شقاو) . "ولقد نزلت بالوادى المقدّس واستوليت على مقاطعة «طينة» كلها وفتحت المعاقل جميعها وجعلتها «باب الشمال العظيم» كما أن (الفنتين) كانت باب الجنوب"، وكما يسمى أهل (أهناسيا المدينة) هذا الصقع «رأس الوجه القبلى» :

(Lange & Schafer, ibid, No. 20512 & Breasted, A. R. I, 421.)

وتدل الأحوال على أن الفرعون كان يشعر بدنو أجله عند ما أقام هذه اللوحة فى العام الخمسين من حكمه، ولذلك لم ينس أن يظهر على لوحته هذه أنه كان من حماة الدين، ورغم ما أصاب لوحته من التدمير نلحظ أن السطرين الأولين منها يعدّدان ما قام به الفرعون من جليل الأعمال للآلهة ، ولا بدّ أنه كان يقصد الإله «منتو» عند ما قال "وملأت معبده بأوانى القربان الفاخرة" وكذلك يقول عن الآلهة الأخرى :

"وبنيت معابدهم وصنعت سلالمهم وأصلحت أبوابهم وأبقيت قرابينهم المقدّسة لكل الأزمان" وفى نهاية هذه اللوحة جاء ما يأتى : السنة الخمسون التى أقيمت فيها هذه اللوحة على يد « حور واح عنخ » ملك الوجه القبلى والبحرى ابن الشمس أنتف العظيم ، وعلى ذلك تكون وفاته فى عام ٢٠٩١ ومما يلفت النظر فى هذه اللوحة أن هذا الأمير قد رسم على لوحته هذه خمسة من كلاب الصيد يظهر أنه كان يعتز بها وكان كل منها يحمل اسما لوبيا، وقد بقى لنا ترجمة ثلاثة أسماء منها بالمصرية بجوار أصحابها وهى : «الغزال، والأسود، وإناء الطهى»، ولا نزاع

فى أن هذا الأمير لم يرسم كلاب صيده عبثا بل ربما كان يقصد ما نشعر به نحن الآن من وفاء الكلاب لأصحابها ، وهذا يذكرنا بما كتبه أحد الإنجليز المفكرين على لوحة بيته : "كلما امتحنت بنى الانسان زاد حبى لكلبى" ويجوز أن هذا الأمير لم يفكر فى هذا قط بل أراد أن يصحبه كلابه إلى عالم الآخرة ليتمتع بها عند الصيد والقنص، لأن كل مصرى كما نعلم كان يعتقد أن عالم الآخرة صورة مكررة لمصر وطنه العزيز ولذلك يقال : إن المصرى هو أكثر الناس حبا لوطنه .

على أن هذه اللوحة التى لم تصل إلينا كاملة كان لها تاريخ عجيب فى زمن الفراعنة أنفسهم ففى عهد الفرعون « رعمسيس التاسع » أحد ملوك الأسرة العشرين اتهم عمدة طيبة الغربية بأنه لم يعط المقابر التى يشرف عليها العناية الكافية لحراستها مما أدّى إلى نهبها ولذلك ألفت لجنة خاصة لفحص المقابر الملكية وغيرها فذهب المفتشون من مدينة طيبة الشرقية إلى مقابر الملوك وقد كان القرار عن هذا القبر كما يأتى :

"هرم الملك ابن رع « أنتف » العظيم له الحياة والسعادة والصحة وهو الواقع شمال بيت « أمنحوتب » أحد رجال البلاط له الحياة والسعادة والصحة ، والذى قد أزيل هرمه منه ولكن لوحته لا تزال مثبتة أمامه وصورة الفرعون مصورة وهو واقف فى هذه اللوحة وكلبه المسمى « بحك » جاثم بين قدميه ، وقد فحص هذا اليوم ووجد سليما" :

(Papyrus Abbott, col. II, 1. 8; Peet, The Great Tomb Robberies p. 38.)

قبر الملك — أما قبر هذا الملك فلا نعرف إلا النزر اليسير عن ترتيبه بالنسبة لمقابر حكام الجنوب ، فنعرف أنه كان ثانى مقبرة ملكية أوصف كما يقول الأهالى الآن إذا اعتبرنا أن قبر « سهر تاوى » الذى يقع شماله هو المقبرة الملكية الأولى، وكذلك نعلم أنه قد أقيم ببساطة تتفق مع وضع صاحبه فى مرتبة أقل قليلا من مرتبة مؤسس الأسرة الأولى بالنسبة لمقبرته .

وقد تركت الشظايا التى تخلفت من نحت مقبرته متراكمة حولها لتجعلها تظهر بعيدة العمق أكثر من الحقيقة .

ومقبرة هذا الأمير و إن كانت أضيق بقليل من مقبرة والده يمتد طولها فى داخل الصحراء إلى الوراء ما بين ١٨٠ و ٢٠٠ متر تقريبا وليس هناك أى أثر ظاهر لهرم كان يقوم فوق نهايتها كما هو الحال فى مقبرة « سهر تاوى » وذلك يجيز لنا أن نأخذ رواية «مريت» كما هى أى أنه وجد اللوحة المنسوبة لهذا الملك فى مكان ما فى رقعة المقبرة أو الصف . ومن ملاحظاته المختصرة التى تركها لنا نعرف أنها استخرجت من هرم مبنى باللبن تبلغ مساحته خمسة عشر مترا مربعا تتوسطه حجرة فيها لوحة ترتكز على جدارها الخلفى وكان يمكن رؤيتها من الباب غير أن « مريت » لم يحدّثنا بشىء عن مكان حجرة الدفن لأنه لا يعرف موضعها بطبيعة الحال ، و إذا كانت الأشياء تقاس بأشباهها جزمنا بأنها كانت تحت الهرم نفسه قياسا على تصميم قبر معاصر لمقبرتنا فى العرابة عثر عليه (Peet, Cemeteries of Abydos II, 35) ، و يروى لنا « نورمان دى جاريس ديفير » Norman de Garis Davies نقلا عن أحد الأهالى فى عام ١٩١٧ أنه عندما حفرت ترعة الفضلية كان الهرم لا يزال قائما وأنه هدم فى ذلك الوقت ، ومن ذلك يمكن للإنسان أن يستنتج أنه كان قائما أمام المقبرة أو الصف وأن تصميم هذا الأثر كان يختلف عن مقبرة « سهر تاوى » التى كانت قاعدة هرمها مقامة على سطحها ، ومن المحتمل إذا أن ما كان يسمى « الهرم » كما رأى « مريت » وهو الذى كان يحتوى على اللوحة لم يكن إلا معبدا أقيم أمام المقبرة وهو فى هذا يشبه معبد الوادى ، وأن الهرم الحقيق قد بنى فى مؤخرة المقبرة على غرار ما فعل « سهر تاوى » (Winlock, American Journal of Semitic Languages (1915) p. 22; Steindorff-Wolff; ibid p. 20.)

آثار أخرى لهذا الملك — ولم تكن اللوحة العظيمة التى تركها «واح عنخ» تذكاره الوحيد الذى أعدّه لمقبرته فى أغلب ظننا ، إذ يظهر لنا أنه كان قد أقام عدّة

اوحات مستطيلة الشكل فى ردهة قبره . وقد عثرنا على واحدة منها عليها صورة هذا الملك يقدم آنية الجعة وإبريق اللبن للاله « رع » ملتمسا منه الحماية بالليل . وإلى « حتحور » منشدا لها المدائح (M. A. M.13, 182, 3. Winlock, A.J.S.L. 1915, p. 17) وكذلك كان يصلى من أجل قربان جنازى ، وكان يسمى فى هذه اللوحة « حور واح عنخ » المبجل عند « أوزير » ابن الشمس « أنتف » الكبير مبتدع الجمال .

مقابر الأسرة المالكة والأشراف — أما أسرة هذا الأمير من أزواجه وحظياته وخدمه من الرجال فلابد أنهم قد دفنوا فى المقابر العدة التى نشاهد أبوابها محفورة فى الصخرة على كلا الجانبين من مقبرته . وهذه المقابر هى التى يسكنها فقراء القوم فى وقتنا الحالى[1] ، أما أثرياء القوم وعظماؤهم الذين كانوا فى حاشية الفرعون فنعرف أنهم قد أقاموا لأنفسهم مقابر خاصة بهم ، يدلنا على ذلك لوحاتهم التى عثر عليها فى هذه الجهة ، وقد كشف كل من « جوتيه » و « فلندرز بترى » عن بعض مقابر هذا العهد ، غير أن جوتيه كان قد وجد اللصوص قد سبقوه إلى هذا المكان وخربوه تخريبا تاما فلم يعثر بعدهم إلا على قطع عديدة مخروطية الشكل عارية من النقوش . (Gauthier B. I. F. A. O. 1908, p. 121 & Petrie, Qurneh, p. 2.)

(١) هذه المقابر المنحوتة فى الصخر يسكنها الأهالى الآن وقد أخذت الحكومة فى نزع ملكيتها .

نخت نب تب نفر — أنتف

(٢٠٩١ — ٢٠٨٨ ق م)

تولى الحكم أنتف الثالث بعد وفاة والده كما جاء ذكر ذلك فى لوحة « ثثى » السالفة الذكر ، ولا بدّ أنه كان متقدّما فى السنّ لأن والده حكم البلاد زهاء خمسين سنة . ولذلك لا ندهش إذا كان « أنتف الثالث » لم يمكث على العرش إلا مدة قصيرة بعد تتويجه (J. E. A. Vol. 25, p. 116) ومما يؤسف له أن اسم هذا الملك قد فقد من قائمة الكرنك السالفة الذكر بسبب كسر فى الحجر . ولكن لحسن الحظ قد ترك لنا حكمه القصير أثره وبخاصة فى لوحة ثثى السابقة الذكر حيث يقول هذا الموظف الكبير : " والآن عند ما خلفه ابنه فى مكانه « حور نخت . نب . تب . نفر » ملك الوجه القبلى والبحرى ابن الشمس « أنتف » مبدع الجمال الذى نتمنى له أن يعيش مثل رع مخلدا — تبعته فى كل أماكن مسراته الطيبة " الخ .

لوحة « كاور — أنتف » — هذا ولدينا لوحة لموظف كبير يدعى « كاور — أنتف » يقول فيها بعد الصيغة الدينية إنه خدم فى عهد « حور واح عنخ » ابن الشمس « أنتف » الكبير ثم خدم من بعده حور « نخت . نب . تب . نفر » ابن الشمس « أنتف » ، وأخيرا خدم فى عهد « حور سعنخ أب تاوى » ابن الشمس « منتو حتب » ؛ ويلاحظ فى هذه اللوحة أن المتوفى قد رسم واقفا ويده مرفوعة يتسلم بها قربانا مقدّما إليه من ابنه وخلفه ، وقد وقفت زوجاته الثلاث . وقد عدد لنا المتوفى أعماله الطيبة فقال ما معناه " إنه قدم سفينة للغريق ، وأعطى العطشان ماء ، والجوعان طعاما " ثم أخذ يصف الخدمات الجليلة التى قدّمها لأسياده وغير ذلك مما سيأتى ذكره . ومما تجدر الاشارة إليه هنا أن أسماء هؤلاء الأمراء

لم توضع فى طغراء مما يدل على أنهم لم يكونوا ملوكا للبلاد بالمعنى الحقيقى
Budge Egyptian Sculptures in the British Museum Pl VII.

لوحة « حنو ون » — وكذلك لدينا لوحة لموظف يدعى «حنو ون» يلقب بالمدير الملكى نقرأ فيها : أنه قد وضع « نب . تب . نفر » بين ؟ « واح عنخ » و « حور سعنخ اب تاوى منتوحتب » (A. Z. 1905 p. 132) والأخير هو حفيد « واح عنخ » . ومن ذلك يمكننا أن نستخلص من بقاء ثلاثة من رجال بلاط والده حتى أيام ابنه أنه لم يحكم إلا فترة وجيزة جدا . هذا ونجد على لوحة « ثثى » السالفة الذكر صورة شخص يدعى « ماچيچى » ومن المحتمل أنه كان يدعى كذلك « أمنمحات » وقد ترك لنا لوحة يقول فيها :

لقد عشت فى عهد « حور . نب . تب . نفر» (M. M. A. 14. 2. 6) ومع أن هذه المعلومات التى فى متناولنا الآن ضئيلة إلا أنها لم تكن معروفة لنا من مدّة طويلة وكان كل ما نعلمه إلى عهد قريب اسمه فقط محفورا على قطعة من مصراع باب لفرد يدعى «نختى» فى جبانة العرابة المدفونة التى كانت لاتزال فى قبضة حكام « طيبة » إذ قد نقش على هذا المصراع ما يأتى « حور نخت . نب . تب . نفر » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ابن الشمس « أنتف » العظيم العائش مخلدا .

وفاة الأمير أنتف — وقد مات « نب . تب . نفر » فى عام (Lange & Schafer, ibid No 20502) ٢٠٨٨ ق م بعد حكم مدّة لا تتجاوز ثلاث سنوات ، وقد كان من الطبيعى أن يكون مدفنه فى جبانة « طيبة » الغربية فى مكان ما بين مقبرة والده ومقبرة ابنه ، غير أننا لا يمكننا إلى الآن أن نحدّد مكانها بالضبط . ولا نزاع فى أن غرضه كان نحت مقبرة أوصف له جنوب مقبرة والده أو على يمينها وخلف مقبرة (واح عنخ) ولكنها لا ترى اليوم . هذا فضلا عن أنه قد حفرت ترعة الآن مخترقة السهل فى النقطة التى ينتظر وجودها فيها .

سعنخ ـ أب تاوى ـ منتوحتب

٢٠٨٨ — ٢٠٧٠ ق م

وعلى أثر وفاة = نب . تب . نفر . = انتف الثالث = خلفه على العرش بكر أولاده ولقب باسم «حور سعنخ — أب تاوى» ومعناه : (الذى يجعل قلب الأرضين يعيش) بن الشمس «منتوحتب» .

وقد دوّن المؤرخ الذى وضع قائمة أجداد الفرعون تحتمس الثالث ، اسمه فى الكرنك بالصورة الآتية . «حور الجدّ» منتوحتب « المبرأ » فى أول طغراء للأسرة وذلك بعد اسم أمير المقاطعة « أنتف » مباشرة ، ولكنه بعد ذلك أتم مهمته بطريقة تدل على عدم الاعتناء ، ولذلك لا ندهش إذا كان قد ارتكب غلطة رخيصة كهذه (Prisse; Monuments Divers, Pl. I; Sethe, Urkunden IV p. 608)

والواقع أن «سعنخ — أب — تاوى » كان ترتيبه واضحا [وهو الرابع] فى ورقة تورين ، فإنك تجد عند هذه النقطة فى الورقة يظهر حكم ملك طوله ٨ — [... وهو ما يمكن تصحيحه ١٨ حتى يتفق مع المجموع الكلى لعدد السنين التى حكمتها هذه الأسرة حسب الفحص الأخير الذى قام به الأستاذ «فرينا» فى ترتيب قطع ورقة تورين الممزقة (Farina, Il Papiro dei re p. 53 Pl. V; Winlock, J. E. A. 1940 p. 119.)

وإن العلم الذى اتخذه هذا الأمير لنفسه (منتوحتب) يعد عدولا ظاهرا عن الاسم التقليدى القديم للأسرة وهو « أنتف » ولكن يظهر أن كثيرا من أولياء عهود هذه الأسرة كان يختصر ويسمى نفسه (منتوحتب) وإن كان الحفيد الأكبر « لسعنخ أب تاوى » كان يسمى أنتف فاسم « منتوحتب » و « أنتف » كانا يتبادلان إذا فى أفراد هذه الأسرة أو على الأقل من الأسماء التقليدية فيها .

والظاهر أن الأمير الجديد كان فى عنفوان الشباب وبهجة العمر فى عام ٢٠٨٨ قبل الميلاد عند ما ذهبت روح « نب . تب . نفر » إلى الأفق (وهو المقر الأخير حيث توجد الآلهة) وقد كان « حنو ون » الذى اقتبسنا من اوحته هـذا التعبير فى خدمة ابنه = حور سعنخ [اب تاوى] بعده :

(Sethe, A. Z. 1905 p. 132, Gauthier B. I. F. A. O. 1906. p. 39.)

وفى هذا الوقت كان الفرعون فى « هيراكليوبوليس » لا يزال يئن من الهزيمة التى ألحقها به «واح عنخ» وأراد أن ينتقم فقام بهجوم على الوجه القبلى عام ٢٠٧٤ ق.م وكان النصر فى جانبه إلى درجة ما ، وقد جاء على لوحة « كاور انتف » السالفة الذكر ما يأتى : السنة الرابعة عشرة هى السنة التى ثار فيها طيبيو ، ولا بد أنه قد مات فى هـذه السنة نفسها وهو نفس الشخص الذى نراه مصورا على هـذه اللوحة مع أزواجه الثلاث وهن «مارى» Mery و «إيوتو» Iutu و «إرو» (Iru) ولا يمكن أن تكون إحداهن مشجعة للفنون فإن اللوحة التى رسمن عليها تدل على خشونة وعدم دقة فى النحت .

الحالة فى هيراكليوبوليس — وفى تلك الفترة كان الفرعون « واح . كا . رع . خيتى» ملك هيراكليوبوليس يتقدّم فى السن وقد أخذ على نفسه أن ينتحى ناحية ليكتب طائفة من التعاليم وتجارب الحياة التى مارسها لينتفع بها ابنه — مرى — كارع :

(Gardiner, J.E.A. 1914 p. 22. Scharff, Merikare p. p. 7, 18ff.)

وقد كان فى رأيه أن الخطر العظيم لا يحيق ببلاده إلا من الأجانب النازحين من «آسية» ومن ثم اعتقد أن الوجه القبلى لا يستحق مثل العناية التى توجه الى الشمال منزح أولئك الأسيويين . ولذلك نراه يحض ابنه على أن يترك (طيبة) تسلك طريقها وبخاصة بعـد أن ألحق بها هزيمة نكراء فأصبح السلم مخيما على ربوع البلاد . وليس لدينا ما يدعو إلى عدم تصديقه حين يقول : " إنهم لا يهاجمون حدودنا وإنى

لفخور بطينة و « مق » والحدود الجنوبية حتى طود حيث يظهر أن انتصاره بلغ الى هـذه الجهة . ولقد انقضضت عليهم كالصاعقة ، ولم يحدث مثل هذا على يد المرحوم الملك « مرى أب تاوى » مؤسس أسرة «أهناسيه المدينة» . ثم يقول : "حافظ على مهادنة الجنوب الذى يأتى إليك محملا بالهدايا ... ... وطالما يأتى إليك الجرانيت دون عائق فلا تحدث تلفا بآثار آخرين ، واقطع أحجارك من محاجرطره... و إذا كانت تخومك من جهة الصعيد فى خطر فإن الحال كذلك من جهة البدو الذين يتمنطقون بالحزام ويجب عليك أن تقيم حصونا لصدّهم فى مصر السفلى" .

وهذا الاقتباس من تعاليم (مرى كارع) يدل صراحة على أن الفرعون (واح — كارع) كان محاطا بالخطر من كلا الجانبين مما جعله يشعر بفداحة الخطر الذى كان يقترب منه ، ولكن لم يكن فى استطاعته أن يتصوّر مقدار سيطرة الأمراء الصغار الذين كانوا يحكمون «طيبة» على مصر فى الوقت الذى كان هو فيه قانعا بقطع أحجار الجرانيت الأحمر من أسوان باذن من سكان الوجه القبلى .

حالة البلاد فى الجنوب — ومن جهة أخرى كان توقع اشـتعال الحرب يملأ ذهن كل طيبى ويشغله عما سـواه ولذلك لا ندهش عندما نقرأ فى النقوش أن أحد أبناء « سعنخ أب تاوى » الذى نرجح أنه قضى نحبـه فى حياة والده كان جنديا فى ساحة القتال ، فقد اشترى « هرس » من طيبة قطعة من تابوت نشرها « الأسـتاذ جرفث » (Griffith, Proceedings of the Society of Biblical Archaeology. (1891) p. 41) وهـذا التابوت كان يضم جسم الأمير حامل الختم الملكى ، بكر أولاد الملك ، وقائد الجنود « هرو نفر » المـبرأ الذى وضعته الزوجة الملكية العظيمة «ست شرت» . و إذا كان اسم الملكة يشك فى قراءته فليس هناك مجال لأى شك فى أن والده هو « سعنخ — أب — تاوى » وليس هـذا بغريب فان الحال إذا تحرجت واستطاع العـدوّ أن يستردّ طيبة كان من الطبعى ن يه ب أولاد الملك فى طليعة جيش والدهم للدفاع عن أملاكهم .

ولم يعثر على الشيء الكثير من آثار هـذا الفرعون حتى الآن اللهم إلا خاتما من حجر ستايتيت على شكل عجل جاثم على الأرض وقد نقش عليه على ما يظهر «سعنخ اب تاوى» (M. M. A. 10, 130, Newberry, Scarabs, Fig. 87.) وكذلك يظهر أن أحد أتباع هذا الفرعون الذين دفنوا فى دندره قد ترك لنا شظية منقوشة نقشا غائرا عليها اسم هذا الملك (Petrie, Denderah XII) .

وفاة الملك وآثاره — وقـد توفى « سعنخ أب تاوى منتوحتب الأوّل » فى عام ٢٠٧٠ ق.م. بعد أن حكم ثمان عشرة سنة كانت مليئة بالمتاعب والحروب . وقبل موته كان قد بدأ ينحت لنفسه أكبر مقبرة (صف) من المقابر الملكية الواقعة فى الجنوب ، وقد انتخب موضعها بكل تواضع خلف مقابر آبائه ، وقد كان تصميمها على أن تكون ٣٠٠ متر أو يحتمل أنها نحو ٦٠٠ ذراع فى الطول و بذلك تكون أكبر من أى مقـبرة أقامها من سـبقه من رجال أسرته ، غير أن الأجـل المحتوم لم يمهله ليتم تشـييدها . ولا بدّ أنه كان قـد مضى على وفاته نحو أربعين سـنة أو يزيد عندما توفيت زوجه « اعح » وهى والدة خلفه ، ومن المحقق أنهـا قد دفنت فى مقبرة زوجها إذ تدل كل الأحوال على أنه لا يوجد فى الدير البحرى قبر يتناسب مع منزلتها يمكن أن تكون قد دفنت فيه غير هذا القبر .

وقد أقام أتباعه حـول قبره العظيم هـذا مثواهم الأخير . بل تدل الدلائل على أن بعض من بدأ حياته فى عهـده من عظماء القـوم لم يمت إلا فى عهـد خلفـه . على أننا فضلا عن ذلك نرى أن بعض المحافظين الذين جاءوا بعد موت هـذا الفرعون بقرن مثل (انتف بن مايت) وكثيرا من أهالى (طيبة) غيره الذين كانوا أقل ثراء منه كانوا لا يزالون يدفنون موتاهم فى الجزء الجنوبى من هذه الجبانة (Petrie, Qurneh, p. 2)

---

(١) أحد الهواة الذين كانوا مولعين بجمع الآثار المصرية فى عهد سعيد باشا .

نترحزت (وفيما بعد) نب حبت رع منتوحتب (الثانى)

٢٠٧٠ — ٢٠١٩ ق م

فى عام ٢٠٧٠ ق م . ذهب سعنخ أب تاوى الى الأفق (أى توفى كما يعبر المصريون عن موت الفرعون) وخلفه على أريكة الملك أسنّ أولاده الذى اختار لنفسه اسم «حور نتر — حزت» (السيد المقدّس للتاج الأبيض) — ملك الوجهين القبلى والبحرى ابن الشمس «منتوحتب» . وهذه التسمية كان قد راعى فيها التقليد الذى سار عليه أجداده منذ أربعة أجيال (Vandier; Ordre de Succession des dernier Rois de la XI Dynastie, Studia Aegyptiaca (1938) p. 39.) وكان حديث السنّ، ولذا ظل فى الحكم واحدا وخمسين عاما . ويظهر أن أملاكه لم تكن واسعة فى مستهل حكمه ، لأن والده كان قد فقد « طينة » والعرابة . وقد كانتا من أملاك أمراء « طيبة » منذ أيام جدّه الأكبر « واح عنخ » .

حربه مع ملك إهناسيا المدينة وأمير أسيوط — ولم يهنأ هذا الأمير الفتى بهدوء البال طويلا فإن كثيرا من المناوشات بدأ على أثر تسلمه زمام الملك، ولم تعمر الحرب التى اندلع لهيبها بعد أمدا طويلا لأن « تف إب » أمير أسيوط الذى كان أكبر عضد للفرعون فى إهناسيا المدينة غاله الموت . وتولى ابنه خيتى مكانه . وكل ما نعلمه بعد ذلك أنه لم يمض زمن يسير حتى رأينا حدود مملكة طيبة قد انتقلت الى «شاسحتب» وتقع الآن مكان «شطب» الحالية القريبة من «ديرريفه» على نفس حدود سيوط . ويظهر أن «خيتى» أخذ يتسلى ويغطى موقفه بالكلمات الحماسية والجمل الطنانة يردّدها عسى أن تخفى الحقيقة المرّة التى كانت تواجهه وتنذره بأن حربا شعواء على الأبواب تندلع فى عهد مليكه « مرى كارع » فنراه يقول مفاخرا : ”إنك قد نشرت الرعب فى كل البلاد، وإنك بمفردك أخضعت مصر العليا

للملك وجعلته يذهب نحو الجنوب فى حين أنك جعلت السماء خالية من السحاب". وكانت الأرض كلها مع الملك : أمراء الوجه القبلى وأشراف هيرا كليو بوليس .

على أنه لم يحدث قط أن كانت أوّل سفينة من الأسطول تصل الى «شاسحتب» فى حين أن آخر سفينة منه كانت (فى قرية ما على مسافة عدّة أميال فى أسفل النهر) .

أما الجيش فقـد عاد بالنهر ورسا عنـد « هيرا كليو بوليس » وفرحت المدينة بسيدها وابن سـيدها وكذلك النساء والرجال والشـيوخ والأطفال . وقد وصـل ابن السـيد المدينة ودخل بلاط والده وعاد ثانيـة من كانوا قد هجروا وطنهم ، ودفن أولئـك الذين ليس لهم أبنـاء — سـيد الأرضين الملك مرى كارع (Brunner ibid Tomb IV 1, 10.)

وممـا يؤسف له أننا لا نعرف من النقوش حتى الآن من الذى كان يحكم طيبة وقتئذ ولا نشك فى أنه كان « حور نترحزت » « منتوحتب » .

ولم يمكث «مرى كارع» على عرش الملك بعد ذلك إلا سنين قلائل، وتدل الآثار المكشوفة على أنه دفن فى منف بالقرب من هرم الملك «تيتى» فى هرم يدعى « أماكن مرى كارع مزدهرة » :
(Quibell, Saqqara 1905 - 1906 Pl. XIII, XV, 1906-1907 Pl. VI; Firth and Gunn, Teti Pyramid Cemeteries pp. 187, 202, 257.)

والظاهر أن كهنة هذا الهرم قد مكثوا مدّة يزاولون مهمتهم لأننا نعرف أكثر من ستة منهم .

الملك نب ـ كاو ـ رع آخر ملوك إهناسيا المدينة — ويقال إنه بعـد موت «مرى كارع» قد تولى الحكم بعده الفرعون «نب كاو ـ رع» وهو الفرعون التى تنسب إلى عصره قصـة الفلاح الفصيح [1] ، غير أنه لم يحكم إلا عهـدا قصيرا ،

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم ص ٥٤ الخ .

و يرجع السبب فى ذلك إلى أن «هيرا كليو بوليس» آل أمرها إلى السقوط نهائيا وحلت محلها طيبة عاصمة لعرش البلاد من أقصاها إلى أقصاها (Scharff, Merikare p. 51)

توحيد البلاد — وليس هناك ما يدعو إلى الدهشة من أننا لا نعرف شيئا قط عن الحروب التى أدّت الى القضاء الأخير على سلطان ملوك «هيرا كليو بوليس» بعد مضى ١٨٠ سنة من بداية تربعهم على عرش البلاد . والدليل المعاصر الوحيد الذى يمكننا أن نقدمه فى هذا الصدد هو الأسلوب الذى أصبح يعرف به حاكم طيبة، ففى بادئ الأمر كان يحمل اسمين يكتب ثانيهما فى طغراء (Bissing-Bruckmann, Denkmaler Aegyptische Sculptur, Pl. 33 A.)

وفى هذه الطغراء كان يكتب قبل الاسم النعت «ابن الشمس» كما كانت الحال غالبا فى عهد الأسرة السادسة، وكان الملك يضيف الى هـذا الأسلوب لقبا كتب أوّلا [«نب حبت» ويجوز أن يكون «حبت» فقط] على آثاره المبكرة جدّا فى الجبلين، وعلى نقش فى الصخر فى طيبـة حيث يقرأ الإنسان «حور نترحزت» ملك الوجه القبلى والبحرى «حبت» (؟) ابن الشمس «منتوحتب» (Winlock, A J. S. L. 1941. p. 144)، ثم نجده فيما بعد يلقب اللقب بإيضاح أكثر «نب-حبت-رع» (Louvre Stela C 252; Meyer, Gesch. ibid. Par. 277, Winlock, A. J. S. L. 1915 p. 12.)

أى «سيد المربع المقدس هو رع» ثم يضاف اسم إلهتين وُحّد مع «حور» على أنه يوجد على جزيرة «كونوسو» الواقعة عند الشلال الأوّل نقشان على الصخر يجوز أنهما نحتا هناك قبـل أن يكون «نب حبت رع» قد أتم فتح البـلاد كلها (Lepsius, Denkmaler, Pl. 150 a; De Morgan, "Catalogue des Monu--ments; Vol. 1, 71, No. 31, p. 73, No. 44.)

وفى كل نقش يلاحظ رسم صورة للإله «مين» إله التناسـل وهو واقف بين الإلهة «ساتت» إلهة الشـلال . والإله «منتو» والإله «خنوم» الذين يقدّمون له الحيـاة، وفى إحدى النقوش نرى الملك غير قانع برسم تسـعة الأقواس التى اعتاد

المصريون أن يرمزوا بهـا للأقوام الهمج الذين يطؤهم الفرعون بقدميـه فرسمهم خمسة عشر قوسا ، يضاف الى ذلك أنه عثر على نقش فى صخرة فى (وادى الحمامات) كتب فيه ابن الشمس «منتوحتب» كل ذلك فى طغراء واحدة ، محبوب «مين» إله «قفط» مثل رع فى الخلود (Couyat & Montet, Inscriptions Hieroglyphiques du Ouadi Hammamat No. 112.)

آثاره وأعماله — وفى تل الشـيخ موسى فى الجبلين على مسافة بضعة أميال من « أرمنت » أقيم معبد صـغير احتفالا بإقامة باب عظيم لمعبد ما محلى ولإظهار الفرح بإحدى انتصارات الملك الأولى ; (Bissing-Bruckmann, ibid Pl. 33 A; Maspero ibid. p. 459, Breasted, A. R. Vol. I Par. 423 ff.)

وقطع الأحجار التى بقيت من هذا المعبد الصغير موجودة الآن فى المتحف المصرى وقد حفظت لنـا من يد المخربين الحاليين لأنها كانت قد استعملت ثانيـة فى إقامة جدار لمعبد من عهد البطالمة ، وهـذه البقايا لها أهمية بالغـة . فعلى قطعة منها نشاهد الملك « نترحزت » يقرب أمير لوبيا المسمى « حز — وواش » وعلى الأخرى يشاهد وهو يذبح أربعة من الأسرى البائسين وهو يقول :

إنه مسيطر على رؤساء الأرضين ، الصعيد والدلتـا والأجانب وشاطئ النيـل والأقواس التسعة وكلا المصرين ، وهؤلاء الذين يصب عليهم جام غضبه هم أسرى مجهولو الاسم ، ويقول عنهم البعض إنهم : مصرى ، و «سيتيو» من بلاد النوبة ، و «سيتيو» أسيوى ، و «تحنو» من لوبيا . وقد كان من الطبعى أن نجد معلومات كثيرة عن هذا الفرعون فى « طيبة » غير أن التغيرات التى حدثت فى المبانى بسبب تغير الدول منـذ الأسرة الحادية عشرة كانت عظيمة جدّا لدرجة أنه لم يبق لنا من آثارها شىء فى الجهة الشرقية . أما فى الجهة الغربية من « طيبة » على ضفة النيل اليسرى أى فى مدينة الأموات فكانت الأحوال تختلف اختـلافا عظيما إذ قد بقى لنا بعض الآثار الهامة عن هذه الأسرة الغامضة . ففى متحف القاهرة توجد لوحة

عثر عليها فى « ذراع أبو النجا » نقش عليها « حور نترحزت » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «نب حبت رع منتو حتب» (1) (Daressy, A. S. (1907) p. 242)

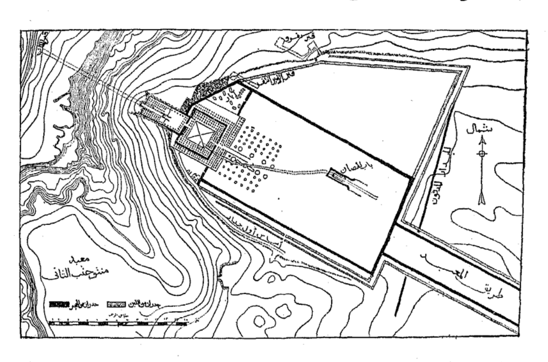
بدء العمل فى بناء معبد « منتوحتب الثانى » — وقد انتخبت نقطة على هذا الشاطئ الغربى نفسه على مسافة ستة كيلومترات من الجنوب الغربى لمعبد « منتو » عند سفح الصخرة وعند رأس الوادى جنوب مقابر الدولة القديمة . وقد بدأ العمل فى هذه النطقة على أثر تولية هذا الملك ليجعل منها أثرا ضخما لنفسه . وقد كان أول شيء وضع تصميمه مهندسو هذا الفرعون الشاب هو ردهة ضخمة على هيئة درقة تمشيا مع روح العصر الفنية ، فكانت قاعدتها متجهة نحو معبد « منتو » بالكرنك وقد بنى من جدارها الشرقى ما لا يقل عن ٢٣٠ مترا وترك فيها فتحة اتساعها ٤٠ مترا عند رأس الوادى غير أننا لا نعرف مقدار تصميم علو الجدار أو طوله ، لأن الجدار نفسه قد استعمل فى العصر التالى محجرا تؤخذ الأحجار منه لأعمال البناء حتى اندثرت خرائبه كلية (Winlock, Dier el Bahri p. 203. Pl. 3.) وهذا التغيير فى تصميم المبنى الأصلى قد أجبر عليه مهندس البناء بسبب كومة من الشظايا الضخمة نحتت من التلال الواقعة فى الجنوب وتراكمت هناك ، وسواء أكان هذا الجدار قد عمل تصميمه لتشييد طريق من الردهة يتجه مباشرة نحو معبد منتو أم لغرض آخر ، فإن الفكرة قد عدل عنها الى إقامة بناء يتجه بعيدا نحو الجنوب .

مقابر زوجات الملك — وأول ما عمل فى هذا البناء مسطح فى الشظايا الواقعة عند سفح الصخرة أقيم على ظهره ستة هيا كل مكعبة الشكل فوق ست مقابر منحوتة فى جوف الصخر لست من زوجات الملك « نب حبت رع » (Naville; XI Dyn. Temple, I, 7, 30, 47, 53. Pls. XI, XVII, XXIII. : III, 9 Pls. II, III; Winlock; Dier el Bahari p. 35, Fig 4.)

(١) و يقول « دارسى » إن الآثار التى عثر عليها فى هذا المكان من عهد الأسرة الحادية عشرة قد وجد معظمها مهشما من عهد قدماء المصريين أنفسهم و يظن أنه لا بدّ قد حدثت ثورة سياسية ضدّ ملوك هذه الأسرة مما أدّى الى هذا التخريب المشين .

وقد أقيمت هـذه الهيا كل الست فى صف خلف الموقع الذى كان مخصصا لإقامة أثر الفرعون نفسه ولم يكن قد أقيم بعـد شكل رقم (٢) . وهذه الهيا كل كانت تتألف من مجموعتين كل مجموعة ثلاثة هيا كل ، ويفصلهما فتحة طولها نحو عشرة أمتار وكان كل هيكل يبعد عن الآخر بنحو ثلاثة أمتار .

ويوجد فى الجهـة الشرقية باب ذو مصراع يؤدّى إلى حجرة تمثال ضيقة فيها باب وهمى فى جدارها الخلفى .



شـــكل رقم ٢

وكانت الأركان الخارجية لكل هيكل أو محراب مزينة بعمود على شكل زهرة اللوتس كما كانت الجدران الخارجية منحوتة نحتا متقنا يزينها نقوش معتنى بصنعها ، غير أنهـا كانت ريفية الذوق . والجزء الأمامى يمثل خدور النسـاء والأميرة وهى تتحدّث الى الملك زوجها أو تتقبل ما تقدّمه لها وصيفتها من الخدمات . أما الأجزاء التى لم تحل بصور ومناظر فكان منقوشا عليها صلوات وأدعية للملكة ، وكانت كل أميرة من هؤلاء الأميرات تنتحل لنفسها لقب الحظية الملكية الفريدة ، وكذلك كانت

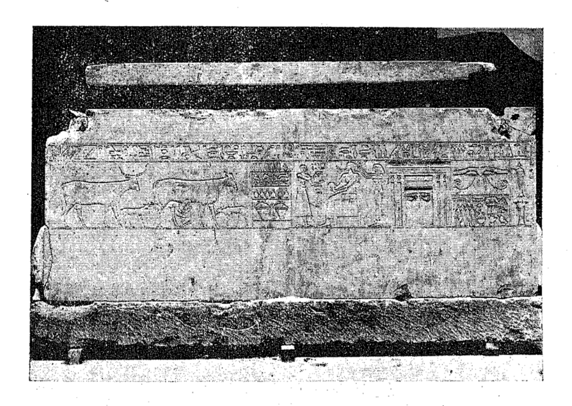
تلقب كل منهنّ بكاهنة الإله « حتحور » ولا غرابة فى ذلك فإن « حتحور » كانت تلقب بإلهة الغرب فى هذه الجبانة وكذلك كان من ألقابها أنها إلهة الحسن .

عبادة الإلهة حتحور — والظاهر أنه كان يوجد بالمعبد جزء خاص بعبادة هـذه الإلهة يقع فى الجزء الخلفى منه الملاصق للصخر — و يعزز هذا الرأى محراب «منتوحتب» نفسه وكان يسمى « انت » (الوادى) . و يستبعد أن الإله « آمون » كان يعبد هنا وحده فى عهد الأسرة الحادية عشرة ، و بخاصة أن لفظة «أنت» معناها الوادى الذى تخرج منـه الإلهة « حتحور » من جبل الغرب ، و يعتبرها المصريون إلهة الجبـل إذ كان يظنّ أنهـا تخرج من كهفها وتذهب نحو النهر إلى الأراضى المستنقعة حيث كان يعتقد أنها قد أرضعت « حور » كما سنشاهد ذلك فى معبدها العظيم الذى أقامه لها تحتمس الثالث فى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

والواقع أن تمثيل البقرة بهـذه الكيفية كان الغرض منـه إظهار « حتحور » بصفتها الأم الإلهية للملك كما كانت من قبل أم «حور» التى أرضعته فى مناقع الدلتا (أى أنها تمثل الإلهة إيزيس) والرسم الذى وضعه الأستاذ «نافيل» لمعبد «منتوحتب» الثانى يشاهد فى نهاية دورانه أسس سـتة المحاريب أو المقاصير الصغيرة التى بنيت لتوضع فيها التماثيل الجنازية للأميرات الست اللائى كنّ يتألف منهنّ (الحريم الملكى) وقد عثر على أجزاء كثيرة من جدرانها تكفى للدلالة على أن المحاريب الستة الواقعـة جنوب الباب من الدوران الى الردهة كانت مخصصة لملكان «هنهنيت» و « كمسيت» و « كاويت» .

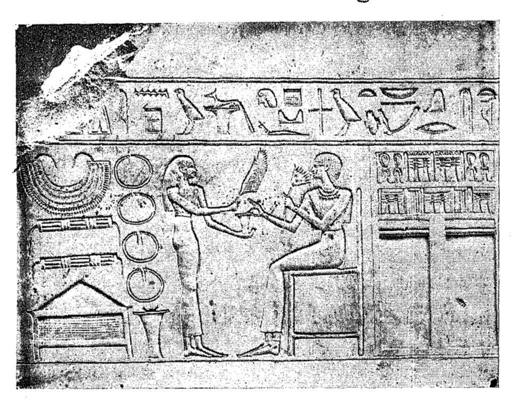
مقابر الملكات ووصف محتو ياتها — أما المحاريب الثلاثة التى فى الشمال فكانت للأميرات « ساده » و « عاشيت » وأميرة لم يكن قـد عرف اسمها بعد الى أن كشف الأستاذ «ونلك» فى موسم ١٩٢٠ — ١٩٢١ عن حجرة دفن هذه الأميرة المجهولة . وهى « مايت » (القطة) ، كما كشف عن حجرة دفن الملكة « عاشيت » و بذلك تم الكشف عن مقابر هؤلاء الأميرات جميعـا . وأهم ما يلفت النظر من

الوجهتين الفنية والدينية محتويات حجرتى دفن الملكتين « كاويت » و « عاشيت » وبقايا تابوت الملكة « كمسيت » . فحجرة دفن الملكة « كاويت » وجدت منهوبة غير أن اللصوص قد تركوا الجثة فى تابوتها الذى يعدّ قطعة فنية من تحف هذا العصر البالغة حد الجمال وهى الآن بين نفائس المتحف المصرى . وقد ألفت من عدّة قطع من الحجر الجيرى ركبت معا بحذق ومهارة حتى إن الناظر إليها يعتقد أنها قطعة واحدة . أما المناظر والرسوم التى وجدت على هذه التوابيت فانها ترجع بذاكرتنا الى ما وجدناه على جدران مقابر الدولة القديمة ومعابدها مما كان ينقله المصرى من مناظر الحياة الدنيا الى قبره . فهناك نرى الرجل الثرى وقد جهز نفسه بكل ما يحتاج إليه الشريف فى حياته وما كان يملكه ، فيشاهد وهو يشرف على عماله وصياديه الذين يمدّونه بأنواع لحوم الصيد كلها ، وخدمه يقوم كل بعمله الخ . فهذه المناظر التى كنا نجدها على جدران المقابر قد شاهدناها لأول مرة مضافا إليها الصيغ



شكل رقم ٣ (ا) منظر من تابوت الملكة كاويت

الدينية على ما نعلم على جوانب التابوت فى عهد الأسرة الحادية عشرة إذ كل ما كنا نجده مكتوبا على التوابيت صيغ دينية وأدعية أو بعض ألقاب المتوفى — ويمكننا أن نفرض هنا أن القرابين التى كانت تقدّم للأميرة ، ومخازن الغلال التى كان يخزن فيها غذاؤها ، والبقرات التى كانت تدرّ لبنا سائغا ؛ كل ذلك كان جزءا من الخيرات التى يُعتقد أن الأميرة ستتمتع بها فى الحياة الآخرة .



شـــكل رقم ٣ (ب) منظر من تابوت الملكة كاويت

وصف تابوت كاويت — والواقع أننا إذا استثنينا الصيغ الدينية والأدعية الإلهية التى على تابوت الأميرة « كاويت » وجدنا صورة مختصرة عن مسكن الأميرة فى الحياة الآخرة ، وهو فى الوقت نفسه تابوتها ، لأن العينين اللتين نراهما مرسومتين على الجانب الأيسر للتابوت قد فرض فيهما أنهما عينا المتوفى ينظر بهما الى ما يجرى فى عالم الدنيا[1] . وعلى كلا الجانبين نجـد أبوابا تؤدّى الى أجزاء مسكن الأميرة ،

(١) وقد طلع علينا الأستاذ كابار بتفسير آخر لوظيفة العينين إذ يقول عنهما إنهما لمنع الحسد . راجع Chronique d'Egypte, Vol. 4 p. 32. (1946).

وعلى الجانب الصغير للتابوت الذى يسبق الجانب الطويل من جهة اليسار نشاهد قربانا يقدّم فى حجرة (بردوات) وهى حجرة تكون صغيرة أحيانا يرتدى الإله فيها ملابسه ويؤتى له فيها بالعطور والزيوت «حجرة زينة الصباح». Blackman, J E A Vol. V, p. 148 ff. فنرى الخادم واقفا أمام صندوق ربما كان يضم ملابس الأميرة وحليها ونرى بقية الخدم يحمل كل منهم نوعا من العطور .

ويظهر أن الباب الكبير الذى على يسار الداخل يؤدّى إلى حجرة كانت تتزين فيها الأميرة فنشاهد خادما تضع دبوسا فى شعرها ، وفى إحدى يدى الأميرة مرآة وفى الأخرى قدح قد ملأته خادم أمامها وهى تقول : " إنه لحضرتك أيتها الأميرة، اشربى ما أعطيك إياه". ويظهر أنه قدح من لبن بقرة يحلبها خادم بالقرب منها (فى المنظر) وقد ربط صغيرها بساقها الأمامى، وكأن هذه البقرة تذرف دمعة حسرة على درّها الذى حرمه ابنها . ونشاهد اثنتين من هذه البقرات على هذا الجانب وأخريين على الجانب الآخر من سلالتين مختلفتين ، فواحدة منها بلا قرن وهى من سلالة لا تزال موجودة للآن فى إفريقية ، ويمكن أن تعرف من بقايا تابوت الأميرة « كمسيت » أن هذه السلالة كانت بيضاء اللون ذات بقع سوداء وقد استعمل اللون الأزرق هنا للأسود ، أما البقرة ذات القرن الكبير فلها أسمر .

وعلى الجانب الأيمن من التابوت نشاهد ثانية بابا ذا مصراعين محلى بإشارات دينية ، ونشاهد كذلك الأميرة تزين نفسها فتأخذ بيدها بعض زيوت معطرة تقدّمها لها خادمتها التى تحمل فى يدها ما يشبه جناح إوزة لتروّح به على الأميرة . وفى الحجرة نشاهد حليها ويشتمل على صدرية وقلائد وسوار ثم الجعبة التى تحتوى كل هذا ، وعلى يمين الباب تظهر الأميرة تتناول الطعام وقد أخذت بيدها كعكة أو رغيفا من قدر عظيم من الطعام مكدس أمامها على مائدة القربان ، ولما كانت الأميرة تأكل ولا تشرب فلم يكن هناك داع لحلب البقرات ، وعلى أحد جانبى التابوت الصغيرين بجوار القدمين قد مثلت مخازن الغلال والحقائب التى تفرغ فيها . وهناك

كاتب يقيد الكميات التى تجلب، وعلى مقربة منه مشرف يدعى «انتف» يلاحظ ما يجرى و يوجد سلم يؤدى إلى الإيوان التى تجلس فيه الأميرة كما يفعل الفرعون فى عيد « سد » (L. D. III, Pls. 76, 77) وذلك عند ما يحضر مزارعوها وأتباعها ضرائبهم ومحاصيلهم مما ينتجونه وكانوا يؤدّونها لها فى أوقات معينة من السنة .

تابوت الأميرة كمسيت

وعلى غطاء التابوت قد نقشت أدعية للإله « أنوب » .

وما بقى لنا من تابوت الأميرة « كمسيت » يجعلنا نضعه فى منزلة أهم وأعظم من تابوت الأميرة (كاويت) غير أنه لم يوجد كاملا :

(Deir el Bahri II Dyn XI, Pls. XXII, XXIII)

فقد كان غاية فى الإتقان وكان منحوتا، وملوّنا وقد لوّن داخله كذلك. وما وجد منه قطع صغيرة مركب بعضها مع بعض وهو الآن فى المتحف البريطانى وقد بقى رسم الأميرة على قطعة من الداخل (ibid, Pl. XXXIII) ولونها أسود و يظهر أنها كانت سودانية الأصل وقد عثر على جمجمة فى حجرة دفنها تنسب إلى الجنس الأسود ومن المحتمل أنها جمجمة الأميرة، وعلى هذه القطعة نشاهد خادمين تحضران لها قدحين قد يحتويان لبنا وتخاطبها إحداهما الخادمتين قائلة : " إن هذا لك أيتها الأميرة اشربى وكونى مسرورة " . وفوق رأسها كتبت ألقابها فهى « كاهنة حتحور » التى تحب والدها وهى حظيته كل يوم .

ومناظر التابوت كمناظر الأميرة « كاويت » وليس فيهما ما يلفت النظر إلا ألوان الخدم إذ نجد بعضهم ملوّنا باللون البنى المائل للاحمرار وهو اللون العادى الذى يلوّن به الرجال المصريون و بعضهم قد لوّن بلون أصفر خفيف وهو اللون الذى يدل على السيدات و يلاحظ بقدر ما تسمح به حالة الأحجار المهشمة أن رؤساء الخدم وهم الذين يشغلون أعلى الوظائف مثل المشرف على المخازن أو الرجل الذى يحضر الجعبتين اللتين ربما كانتا تحتويان على أحجار كريمة أو معدن ثمين، كانوا

مصريين ملونين باللون الأحمر، أما الملونون باللون الأصفر فهم الذين يحضرون الزيوت والعطور إلى « بيت الصباح » ذلك البيت الذى يتزين فيه المتوفى عقيب استيقاظه من النوم، ويلاحظ بكثرة فى قبور الدولة القديمة أن النسوة تلون باللون الأصفر الخفيف مثل هؤلاء الرجال . وقد فسر ذلك علماء الآثار بأن النسوة يمكثن فى عقر دورهنّ أكثر من الرجال . فجاء لون جسمهنّ أفتح من لون زملائهنّ . ولكن هذا التفسير لا يمكن أن ينطبق هنا على هؤلاء الرجال . وربما كان الحل الحقيق لذلك أننا نشاهد هنا جنسين من الناس، فالحمر هم المصريون الغزاة، أما الصفر فهم اللوبيون الإفريقيون القدامى . واللون الأصفر كما ذكر «لبسيوس» يمثل «التحنو» الذين حاربهم «منتوحتب الثانى» الذى نحن بصدده . والظاهر أن هذه الصورة التى على تابوت الأميرة « كمسيت » هى ذكرى تدل على أن المصريين كانوا مؤلفين من إفريقيين وعنصر أجنبى غزا البلاد[1] .

أما التابوت الثالث فهو بسيط الصنع جدا عارٍ عن أية زينة اللهم إلا الصيغ الدينية التى نحتت عليه . والنقوش صورة من نقوش تابوت الأميرة « كاويت » وهو لحظية الملكية الوحيدة كاهنة « حتحور : هنهنيت » وأغرب ما يبدو فى نقوش هذا التابوت أن رسم الأفعى (⟵) وهو يمثل حرف « ف » قد وجد رأسه مقطوعا ومفصولا عن الجسم، وهذه الظاهرة نجدها فى نقوش متون الأهرام منذ الدولة القديمة . ويعزو بعض العلماء السبب فى ذلك إلى أن المتوفى كان يخاف شر هذه الحشرات وأنها ربما انقلبت إلى صورتها الحقيقية فتضر بالمتوفى فى حجرة دفنه، ولكن الغريب هنا أنا نجد ذلك فقط فى مقبرة إحدى الأميرات دون سواها مما يبرهن على أنه ربما كان لكل منهنّ عقائد خاصة فى السحر وتأثيره أو قد يجوز أن هذا يرجع إلى الحفار الذى نقش هذه الأشكال .

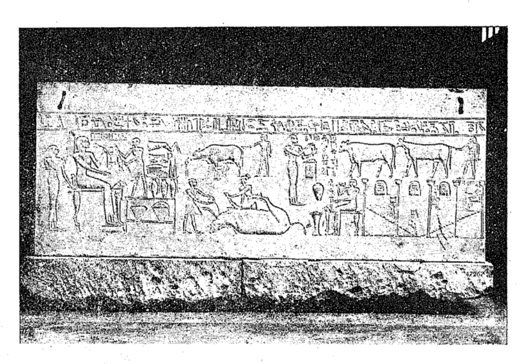
---

(1) Naville, Deir el Bahari I, p. 56.)

مقـــبرة عاشيت

كشف عن حجرة دفن الأميرتين « عاشيت » و « مايت » الأستاذ « ونلك » فى موسم عام ١٩٢٠ — ١٩٢١ من مواسم الحفر فى جهة الدير البحرى .

أما «عاشيت» فكانت على ما يظهر ملكة حقيقية رغم أنها ماتت ولم تبلغ بعد الثالثة والعشرين، وقد وجد فى قبرها شعرها مصفوفا فى هيئة جدائل بكل عناية ودقة وتدل موميتها على أنهـا كانت صغيرة الجسم ، ولا شك فى أن الصانع المتفنن الذى نحت تابوت الملكة « كاويت » الفاخر الذى سـبق الكلامَ عليه والذى يعدّ أجمل قطعة منحوتة وصلت إلينا من عهـد الأسرة الحادية عشرة، هو نفس الذى نحت تابوت «عاشيت» . والواقع أن فن هذين التابوتين يعدّ مثلا رائعا فى النحت لمدرسة كانت لا تزال قديمة فى طرازها، غير أن ما ظهر من المهارة الفنية فى صنع التابوت الأخير يكاد يكون منقطع القرين بالنسبة لهـذا العصر، فنشاهد على جانبه الشرقى ممثلا صورة باب القصر تعلوه شرفة افترض فى إقامتها أن تطل عاشيت من نوافذها



شـــكل رقم ٤ منظر من تابوت الملكة عاشيت

بعينين حفرتا لذلك بخاصة ، و إن كان هـذا التفسير للعينين أصبح غير مقبول عند بعض العلماء كما ذكرنا آنفا . وفى داخل القصر ترى أكواما متراكمة من لذيذ الطعام أمامها ، وترى هى جالسة وكلبها يقعى تحت عرشها ، وخلفها وصـيفة تروّح عليها بجناح إوزة ، وهى تشرب لبنـا سائغا يقدّمه لهـا لبان من بقرتين قد أحضرتا لها مع صغيريهما .

وترى فى منظر آخر وهى تزور مزارعها فتشاهد مدير بيتها مشرفا على المزارعين وهم يحمـلون حقائب الغـلال ليضعوها فى المخازن ، وفى منظر آخر تبـدو وصيفتها تقدّم لها زجاجات العطور من صناديق فى خزانتها . وكذلك ترى جزاريها يذبحون ثورا و يكدسون كومة من اللحـم فوق مائدة مرتفعة وضعت أمامها . وفى داخل التابوت نشاهد نفس المناظر بالألوان الزاهية وتلك كانت صفحة من أعمال الأميرة اليومية كما سبق شرحه فى وصف تابوت الأميرة «كاويت» . أما التابوت الخشبى الذى وجد داخل التابوت الحجرى فإن ما رسم عليه من الزينة كان خاصا بعالم السحر . والتابوت من الظاهر خلو من كل حليـة غير إطار ذهبى حول حافته ، حفرت فيه صلوات ودعوات دينية بحروف غائرة ، وغير عينين تنظران بهما إلى عالم الأحياء . أما الداخل فقـد زين جميعه بالتعاويذ البراقة التى تنتمى إلى عالم السـحر . فغطاء التابوت يمثـل السماء وقد نقش عليه بالألوان تقويم فلكى فى شـكل قائمة تبين لنا مطلع النجوم والأبراج مدّة الاثنتى عشرة ساعة التى يتكوّن منها الليـل ، وصلوات طويلة للكائنـات السماوية . فالدب الأكـبر قد مثل بساق ثور وغطى جانبـا التابوت ونهايتاه بمتون سحرية . وفوق هـذه المتون صـفوف مرتبة من الصـيغ المأخوذة من قوائم التعـاويذ والصيغ الدينيـة اللازمة لروح المتوفى حتى تفلت من الأخطار والشراك التى نصبت لهـا فى العالم السفلى . على أن الباحثين فى العـلوم الدينية والسحرية سيجدون فى هذه النقوش مقدّمات غزيرة تدل على حذق الإنسان فى اختراع التعاويذ السحرية الغامضة ، وقد وجد فى داخل التابوت الخشبى مومية

«عاشيت» فى صندوق من النسيج المقوّى و يعدّ رغم بلاه وتمزقه وثيقة مصرية هامة عن العادات الجنازية . إذ وجد مكدسا فوق الجثة عدد عظيم من الجلابيب المصنوعة من الكتّان ، وعلى الكتّان علامات تدل على أنه من النوع الذى كان يستعمله القصر الملكى منذ أربعة آلاف عام . فنجد على قطعة مثلا « الملك منتوحتب » أو «مخزن الكتّان الجميل» أو نجد اسم مدير القصر الذى كان يشرف على صناعة هذه الجلابيب أو الحصول عليها . و بجانب الملكة وجد تمثال صغير يمثلها صنع من الخشب الصلب وقد حليت يداه بسوارين من الذهب وقميص أحمر على جسمها مرفوع بحمالة بيضاء وقد وجد معها كذلك بعض حلى وأشياء أخرى قليلة .

تابــوت مايت

أما تابوت « مايت » التى يظن أنها كانت من صغيرات بنات الملك فلم يوجد معها أشياء كثيرة تستحق الذكر اللهم إلا بعض حلى من حبات الذهب المفرغة وقلادة من الكرنالين وأخرى من الخرز . وقد وجد اسمها مكتوبا على موميتها . ومعظم هذا الأثاث الآن فى متحف « المترو بولتيان » بنيويورك إلا الأشياء التى ذكرنا أن المتحف البريطانى أو المتحف المصرى أُعْطِيَها[1] .

آثار الفرعون خارج طيبة — أما آثار هذا الفرعون خارج «طيبة» فكثيرة إذ عثر له فى دندرة على طغراء نقشت على قطعة حجر (Petrie, Dendereh Pl. XII) ولكن أهم أثر للملك « نب حبت — رع » فى هذه الجهة هو محراب صغير مهدى للإلهة «حتحور» والإله «خور — أختى» والإله «مين» .

(Daressy, A. S. 1917, p. 226; Petrie, "History of Egypt" Vol. I p. 139; Evers, ibid Pl. 9.)

وفى هــذا الأثر يرى الملك لابسا التــاج المزدوج للوجه القبلى والوجه البحرى ورافعا يده قابضة على صو لجانه و باليد الأخرى يقبض على نباتى البردى والبشنين

(١) وقد فحص الأستاذ درى أجسام هذه المميات فى مقال رائع راجع A. S, Vol. 4 p. 246 ff.

المتعانقين كأنه يريد أن يضربهما وقد كتب أمامه : محبوب « حتحور » سيدة «دندره» ابن الشمس « منتوحتب » المنتصر، القابض على البلاد الشرقية وهازم الأصقاع الجبلية، والخائض قلوب النوبيين ، والذى يدفع له النوبيون الجزية ... والمازوى « وأرض الواوات »، « واللوبيون » [والأسيويون] بوساطة حور صاحب التاج المقدّس ملك الوجه القبلى والبحرى «نب حبت» .

وتحت قدميه نشاهد الأرضين مربوطتين معا بواسطة إلهين يمثلان النيل : أحدهما يمثل نيل الوجه القبلى، والآخر نيل الوجه البحرى وتقف خلفهما الإلهة «مرت»(1) . ويرى على جدار أحد جانبى المحراب «حور تترحزت» (لقب الملك) محبوب « حتحور » سيدة «دندره» ملك الوجه القبلى والبحرى «نب حبت رع» الإله الطيب سيد الأرضين ابن الشمس «منتو حتب» وعلى الجانب المقابل من المحراب يرى الملك مع الآلهة ويتبعه حامل المروحة ويرى ثانية وهو جالس على عرشه يقدّم له اللبن والطعام . وهذا المحراب لا يتسع إلا لتمثال واحد والنقوش بارزة وعتيقة جدا مثل نقوش الجبلين وتشبه التى على محاريب تماثيل معبد الدير البحرى ويرجع تاريخها للأسرة الحادية عشرة .

نهاية الحروب بين هيراكليوبوليس وطيبة — وتدل قرائن الأحوال على ان ختام الحروب بين طيبة وهيراكليوبوليس كانت السنة التاسعة من حكم «نب حبت رع» أى سنة ٢٠٦١ ق م وكانت قد حلت . وقد دامت هذه الحرب مدّة طويلة بين جنود من طراز أولئك الذين نشاهد تماثيلهم النادرة فى مقبرة مسحيتى فى فرق كل واحدة منها أربعون .

(Porter and Moss, Bibliography IV. 265, Meyer, ibid par. 274.)

(1) الإلهة مرت هى إلهة مائية ويلاحظ فى النقوش أنها تكتب فى صورة المثنى وفى هذه الحالة تمثل نيل الدلتا ونيل الصعيد وراجع Max Muller, Egyptian Mythology, p. 136.

وكان معظم الجنـود فى ذلك الوقت يحملون قوسا بسيطا طويلا . أما القوس المركب فقـد جلبه الهكسوس معهم ، ومع هذا القوس كان الجندى يسلح بقبضة من السهام لأن الكنانة كانت غير عادية بشكل مدهش .

(Newberry, Beni Hassan, Vol I, Pls. XIV-XVI, Vol II, Pls. V, XV; Naville, ibid, Vol I Pls. XIIb, XIV d. f., X. V. C. d. Winlock Dier el Bahri pp. 72, 127 Pl. 20.)

وكان بعض الجنود يتسلح لحماية نفسه بدروع ضخمة من جلد الثور وينتخب الجلد ذا شعر كثيف بقدر ما تجود به الطبيعة . وقد عثر على جثث نحو ستين جنديا ممن حاربوا مع جيش هيراكليو بوليس فى مقبرة من أوائل المقابر التى تشرف على مقبرة «نب حبت رع» نفسه وتدل أجسامهم على أنهم قتلوا عند ما كانوا يهاجمون حصنا (Winlock; Dier el Bahari p. 123, Pl. 19.) وبعضهم قتـل فى ساحة الوغى فعلا . أما البعض الآخر فقد جرحه المدافعون فوق الأسوار . ولما هرب المهاجمون نزل رجال الحاميـة من معقلهم وجمعوا من تبـقى من المهاجمين على قيد الحيـاة ؛ وضربوهم بالعصى حتى قضوا نحبهم ، والظاهر أنهم بقـوا فى ساحة القتال مـدة طويلة قبل أن يدفنوا بدليل أن أجسامهم قد نهشتها طيور السماء ، ولكن لم يمض طـويل وقت حتى كان النصر حليف « نب حبت رع » بجمع موتاه وحملهم إلى قـبر على مقربة من المدفن الذى كان يجهزه لنفسـه وهناك واراهم التراب إلى أن كشف عن جثثهم معول الحفار الحديث ، وليس لدينا معلومات صريحة مباشرة عن سير القتال منذ أن استطاع أمراء طيبة ضم مقاطعة « طينة » إلى ملكهم ولذلك لا نعلم شيئا على وجه التحقيق قبل الهجوم العـام الذى قام به « منتوحتب » الثانى وهو الهجوم الذى أدى إلى توحيد البلاد كلها وجعلها تحت سلطانه ، اللهم إلا حادثا واحدا وهو الثـورة التى قام بها أهل « طيبـة » فى السنة الرابعـة عشرة من حكم «منتوحتب» الأول ولكن من جهة أخرى لدينا شواهد غير مباشرة تشير إلى الحالة التعسة التى سادت البلاد خلال تلك الفترة ممـا يؤكد لنا ما جاء فى الوثائق التاريخية

النـادرة الخاصة بهذا العهد ، ومن بين هذه أسعفنا الحظ ببعض مصادر أثريه لم تفهم قيمتها الحقيقية من حيث إنها تلق ضوءا على حالة البلاد الجنوبية (الصعيد) فى هذه الآونة من الناحية الحربية . وهذه المصادر تحصر فى بعض لوحات كانت تهدى للجنود بعد وفاتهم فتنصب على قبورهم لتكون تذكارا لما قاموا به فى سبيل الدفاع عن مملكتهم الجنوبية وهو ذلك الدفاع الذى أدّى إلى تغلب أمراء «طيبة» على ملوك « هيراكليوبوليس » واعتلائهم عرش البلاد كلها . وهذه اللوحات قد وجدت مبعثرة فى المتاحف الأوربية وقد جمعها الأستاذ « فنديه[1] » وأظهر مالها من قيمة تاريخية حربية هامة فى هذه الفترة من تاريخ البلاد الغامض .

وعدد هـذه اللوحات اثنتا عشرة لوحة يرجع تاريخ معظمها إلى ما قبل حكم الفرعون « منتوحتب » الثانى ولا بد أن الكثير من بينها يرجع إلى عهد « أنتف واح عنخ » ومعظم هذه اللوحات مصدرها مدينة «نقاده» أو مدينة الجبلين وهما مدينتان تقعان فى شمالى وجنوبى طيبة على التوالى . وهى عاصمة مملكة الجنوب التى كان يحارب فى صفوف جيشها هؤلاء الجنود، على أن ذلك لا يحتم أن الملوك الأول للأسرة الحادية عشرة قد حصروا انتخاب أحسن جنودهم فى هاتين البلدتين بل قد يعزى ذلك لمجرد الصدفة ، وربما تجود الحفائر المقبلة فى جهات أخرى بالكشف عن لوحات تشبه التى سنفحصها الآن ، ويلاحظ أن هذه اللوحات تتفق جميعا فى شىء واحد وهو تمثيل الجنـدى عليها ، وليس من السهل دائمـا أن يميز الإنسان بين الجنـدى والمدنى فى الرسـوم المصرية ، ولكن فى معظم الأحيان يمكننا تمييز الجنـدى بأسلحته ، لأنه يشاهد حاملا قوسه وسهامه بدلا من العصا الطويلة والصولجان اللذين كانا يحملهما الرجل المدنى فى معظم الأحيان . ففى الاثنتى عشرة لوحة التى عثر عليها لجنود نجد هذه الميزة شائعة فى عشر منها، ومن الجائز أن نتعرف

(1) Vandier, Quelques Steles des Soldats de la Premiere Periode Intermediaire, Chronique d'Egypte, No. 35 Janvier 1943 p. 21 & Fig. 1—12.

على صورة الجندى أحيانا بميزة خاصة فى هندمة ملابسه ؛ والظاهر أن جنود جيش مملكة الجنوب الصغيرة لم يلبسوا حللا عسكرية نظامية معينة على أن معظم الجنود كانوا يعصبون رءوسهم بشرائط يدلى طرفها على الظهر . وهـذه الشرائط تختلف عن أختها المحلاة بالأزهار التى كان يلبسها علية القوم رجالا ونساء فى عصور التاريخ المصرى كلها وقد كانت هذه الشرائط من خصائص هـذا العهد الإقطاعى الأول لرجال الجيش ويحتمل كذلك أن البحارة كانوا يربطونها والرماة الذين نشاهدهم فى مقبرة «عنختفى نخت» يلبسونها أيضا ، كما أننا نجد فى نفس هذا العصر المحارب الذى يدل عليـه فى النقوش بكلمة « مشع » (أى الجيش) قد عصب رأسه بهذا الشريط أيضا والجنود فى عامتهم كانوا يرتدون جلبابا بسيطا وقد يستبدلون به جلد حيوان (شكل ٩) (ibid Fig. 9, Stele Turin II. 115.) .

وقد يلف الجندى حول وسطه شريطا من النسيج معقودا بطريقة تترك حافة النسيج الخارجية ظاهرة من الأمام مكونة شريطا متدليا يكون له أحيانا هدّابات وينتهى طرفه عند الركبة . ومن النادر أن تكون الملابس الحربية على أتمها إلا عند ما نشاهد الجندى يحمل نجادا يمر فرق كتفه وعلى صدره (ibid Fig. 8 & Fig. 12) والمتوفى من الجنود كان يصحبه كلب أو عدة كلاب (ibid Figs. 2, 3, 4, 8, 10)

استعمال الكلاب فى الحروب — وكان الكلب فى مصر القـديمة كعادته حيوانا أليفا كما كان يدرب على فنون الحرب ، والمناظر المهشمة التى بقيت لنا على جدران مقبرة « عنختفى » بالمعلّة[1] برهان صادق على صحة ما نقول إذ نجد أن الرسام قـد نقش على أحد جدران هـذه المقبرة صفا من الجنود الرماة يسير الواحد منهم فى أثر الآخر ، وكل منهم بيـده مقود كلب ، وهـذا المنظر يمثل حربا من غير شك ولا دخل للرياضة فيه والكلب هنا كان يساعد سـيده فى الموقعة فيستخدم لاقتفاء أثر العدوّ أو مهاجمته ، وهـذا الاستنتاج يخوّل لنا أن نفسر بطريقـة مقنعة فاصلة

(١) هذه المقبرة لم تنشر بعد نقوشها .

سبب وجود الكلاب بكثرة على لوحات العهـد الإقطاعى الأوّل ، إذ الحقيقة أن الجندى القديم عند ما كان يرجع إلى حياته المدنية العادية لم يكن لينسى صديقه القديم وساعده فى ساحة القتال فكان يرغب عن طيب خاطر فى أن تمثل صورته بجانبه على الأثر الذى كان يهدى إلى ذكراه ، ويلاحظ أن نوع الكلاب الذى كان يستعمل فى هذه الحروب هو من فصيلة الكلاب السلوقية التى كانت توجد فى مصر بكثرة ويتعرّف عليها المرء بمخالبها العالية وخرطومها المدبب وأذنها المنتصبة ، وذيلها المقوّس . ومما يؤسف له أن معظم ما رسم من الكلاب على اللوحات التى نحن بصددها قد رسم رسما رديئا . وسبب ذلك أنهـا لم تكن لأفراد من علية القوم ووجهائهـم وليس فى المناظر الأخرى التى مثلت على هذه اللوحات ما يسترعى النظر إلا القليل إذ هى فى الواقع من نوع اللوحات الجنـازية الكلاسيكية ولذلك ينـدر رسم المتوفى عليها منفردا (ibid Fig. 4) بل كان العرف أن يرسم مع المتوفى واحد أو أكثر من أفراد أسرته وكان المتوفى يرسم دائمـا واقفا وفى أغلب الأحيان تكون أمامه مائدة قربان كما كان وضـع الأشخاص فى اللوحة كلاسيكيا فلا نتطلب إلا إيضاحا قليلا جدا ولذلك سنقصر الوصف هنا على اللوحات الثلاث التى وجدنا فيها بعض تفاصيل غريبـة .

لوحة الجنود النوبيين ـــ فلوحة « تحنو » (راجع (ibid Fig. 8) تمثـل اللوحات الأسرية التى تسودها روح المحبة الخالصة وأفرادها كلهم جنود من النوبيين فيشاهد صاحب اللوحة مرتديا ملابسه العسكرية وإلى جانبه زوجه وهو يتقبـل تحيات إخوته الأربعة وكلهم جنود مثـله كل منهـم يقبض على أسلحته بيديه . ويشاهد كذلك ساقٍ بيـده قدح يقدمه لسيده وهوَ من الشراب الذى تصبو إليـه نفسه ، كما يرى كلبه الأليف باسطا ذراعيه عند قدميه .

أما اللوحة الثانية وهى الآن بمتحف " تورين " فقد عثر عليها فى الجبلين (ibid Fig. 9) ويجـد المرء فى تفسيرها صعوبة بالغة ، فالنقوش التى عليها تذكر

فقط أسماء الأشخاص المرسومين دون أن تشير إلى العلاقة الأسرية التى تربط بعضهم ببعض : غير أننا رغم ذلك نتعرّف على اثنين منهم كانا على ما يبدو رفيقين فى ساحة القتال إذ نشاهد كلا منهما يمسك بذراع رفيقه كما يحدث ذلك كثيرا بين الجنود المتحابين ، وكان يلبس كل منهما جلد حيوان بسيط ويقبض بيده على الأسلحة التى امتاز بحملها فى ساحة الوغى، وهناك اثنان آخران كان يقبض كل منهما على يد زميله يرتديان جلبابين قصيرين يستقبلان المحاربين السالفى الذكر .

لوحة «إتى» قائد الجيش — أما اللوحة الثالثة فهى لشخص يدعى «اتى» وربما كانت أهم هذه اللوحات وأكثرها إيضاحا وحيوية . (ibid Fig. 10) وقد كان « إتى » هذا يحمل لقب قائد الجيش ولقب « حامل الخاتم الإلهى » ويرتدى جلبابا مقوّى (منشيا) ويمسك بيده اليمنى عصا طويلة وقد زين شعره شريط وفى صحبته زوجه التى تضمه بشغف وكان يسير بجواره كلباه ، ويلاحظ أنه يضغط بيده اليسرى بحرارة على يد أخيه الذى كان يتقدم نحوه، ويشغل بقية رقعة اللوحة القرابين المختلفة وصف من الخدم يتألف من امرأتين ورجلين والأخيران يحملان على محفة قطعا من اللحم .

وقد كان بودّنا أن نجد بعض تفاصيل ثمينة عن الحياة الحربية فى تلك الفترة من حياة الأمة ولكن لسوء الحظ كان المصرى وقتئذ يعتبر أن مثل تلك التفاصيل لا قيمة لها عنده لأنها شىء عادى رتيب لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل، بل إنه يعد تناولها بالإسهاب من العبث وفضول القول ، وكانت غاية همه أن يدوّن على مثل هذه اللوحات الصيغ الدينية التى يظن أنها كفيلة بحفظ كيانه فى الحياة الآخرة وتقدّم له الطعام والشراب كلما احتاج إليهما ، ونجد أحيانا فضلا عن ذلك نداء للأحياء كما فى اللوحة رقم عشرة .

لوحة حقا اب — وقد نجد على اللوحة تاريخ حياة المتوفى منقوشا على الطريقة المصرية المألوفة التى كانت سائدة فى هذا العصر وهى التى لا تبرز لنا شيئا عن شخصية

صاحب اللوحة ومميزاته كما نجد فى لوحة « حقا اب (ibid Fig. 6) » فإنه لم يذكر لنا شيئا مطلقا عن حياته الحربية وما قام من ضروب الشجاعة فى ساحة القتال ، فى حين أننا نجده من جهة أخرى يقص علينا شجاعته وفضائله المدنية والمنزلية حتى كان من المحتمل أن نجهل إلى الأبد مقدرته الحربية التى جعلته يخوض معارك عنيفة لولا بعض الظواهر البادية فى ملابسه الحربية ومعدات القتال التى كان يحملها ، ولكن رغم كل ذلك فإنه يوجد على بعض هذه اللوحات سطر من النقوش يلقى ضوءا جديدا على محتوياتها ويبرز قيمتها من ناحية خاصة ، وأعنى بذلك عبارة الإهداء التى نجدها على هـذه اللوحات . إذ نجـد خلافا للقاعدة المتبعة أن الابن تولى الإهـداء فى حال واحدة فقط من ست حالات مع أن المتوفى قد ترك خلفه ذرية من الذكور بدليل أننا نرى معه فى بعض اللوحات ولدا أو أكثر .

والعـادة جرت على أن المتوفى إذا خلف من بعـده ذكرانا قام أكبرهم بدور الكاهن فيقـدّم القرابين ويؤدّى الطقوس الدينية وقـد يحدث أن يقـوم بذلك أبو المتوفى أو أخوه بدلا من الابن باعتبارهما متوليين أمره ومشرفين عليه وقد يقومان بذلك لأن المتوفى قد عاجلته المنية فى ساحة القتال ولم يعقب ذكورا تقوم له بما يجب ممـا جرى به العرف منذ أقدم العهود ؛ فاذا اتفق أن لوحة من اللوحات لم تذكر فى نقوشها عبارة الإهداء ولم يمثل عليها أولاد للتوفى فليس ذلك لمجرد الصدفة بل لأنه لم يترك أولادا فعلا أو قد هصرعوده فى ساحة القتال قبل أن ينجب ذكورا . ولذلك نجد المتوفى ممثلا فى هذه الحالة منفردا أحيانا مع زوجه (راجع ibid. Figs, 2, 7, 11) وأحيانا محاطا بإخوته (راجع ibid Figs. 9, 10, 8 ؟) وفى هـذه الحالة الأخيرة يقوم بطبيعة الحـال أحد الإخوة بإهـداء اللوحة لنفس السبب السالف الذكر ، وإن لم يذكر اسمه على اللوحة بأنه هو المهدى .

ومن كل ما سبق من الملاحظات التى أوردناها عن هذه اللوحات نعلم أنها قد أهديت إلى جنود احتضروا فى ريعان شبابهم ، من أجل ذلك يجوز لنا أن نستنبط

أن أصحابها قد لاقوا حتفهم فى ساحة الشرف والفخار وماتوا ميتة الشجعان ! ! وقد احتفظوا بنفس الأسلحة التى لم يتخلوا عنها فى ساحة التضحية السامية نخلد رسمها معهم . والآن نعود إلى الحالة الشاذة التى أشرنا إليها فيما سبق وأعنى بذلك لوحة الجندى «حقا اب» وهى التى أهداها له ابنه الأكبر « إتى» ومن البدهى أنه ليس من المستحيل أن « حقا اب » كان قد قتل فى ساحة الوغى بعد أن رزق أولادا ذكورا بلغوا سنّ الرشد ، ولكن إذا أمعنا فى النظر إلى لوحة هذا الجندى نجد فيها حلا آخر مقبولا أكثر من السابق ، إذ يلاحظ أنه قد رسم على هذه اللوحة شخصية واحدة تحمل السلاح ، وهذه الشخصية ليست « حقا اب » المتوفى ولا ابنه « إتى » بل هو ابن آخر للمتوفى اسمه « أقر » . ولا نزاع فى أن هذا الابن هو الذى قد لاقى حتفه فى ساحة الشرف لا « حقا اب» المهدى إليه اللوحة . وحقيقة الأمر إذن أن «إتى» كانت فكرته المؤثرة هى إقامة هذه اللوحة التى تمجد فى وقت واحد ذكرى والده وموت أخيه الأكبر مستشهدا فى ساحة الشرف . والوضع الذى نشاهد فيه هؤلاء الأشخاص فى اللوحة يؤكد لنا هذا التفسير ، إذ نجد أن كلا من « حقا اب » و « أقر » يدير وجهه نحو اليمين و يتسلم فى الوقت نفسه القربان والخضوع من مهدى اللوحة .

أما اللوحة الأخيرة فى هذه المجموعة فهى لشخص يدعى « نختى » ويرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية عشرة، ويلاحظ فى صناعتها تقدّم عظيم عن اللوحات السابقة، و رغم أنها تختلف عنها إلا أنها يوجد وجه شبه بينهما إذ نجد بين الصف الذى يضم أفراد هذه الأسرة ممن رسموا فى أعلى هذه اللوحة شخصا يدعى « و بوات نخت » قد زين رأسه بشريط ويقبض بيده على قوس وسهام وكذلك نلاحظ أن « نختى » المهدى إليه اللوحة قد زين رأسه بشريط فلا بدّ أن يكون كذلك من رجال الجيش وقد أهدى أباه هذه اللوحة ابنه الأكبر وهو الذى يشاهد سائرا فى مقدّمة أعضاء الأسرة ، و إذا اقتصرنا على الشخصيات الثلاث الأولى الموجودة

فى هذا الصف وجد نفس الممثلين الذين وجدناهم على اللوحة السالفة الذكر أى نجد الوالد وهو محارب قديم ، وأخوين أحدهما جندى وهو الذى يقبض بيده على القوس والسهام . أما الثانى وهو الذى يقدّم لوالده فخذ ثور فهو مهدى اللوحة ، والواقع أنه لا يوجد أى اختلاف بين هاتين اللوحتين إلا فى توزيع رسم الأشخاص مما يجعل بعض الشك يخالج نفوسنا فى تفسيرها ، ولكن الحقيقة أننا نشاهد الأولاد الآخرين الثلاثة ، وحفيد المتوفى يقدّم له كل منهم قربانا . وفى هذه الحالة ألا يجوز لنا أن نفرض أن الأسلحة التى يحملها ابنه الثانى ليست إلا قربانا أيضا أو بعبارة أخرى أن الابن الذى اعتنق مهنة الجندية التى كان والده قد انخرط فى سلكها من قبل قد جاء ليقدّم واجبات الاحترام لوالده وهو بملابس الجندية . والواقع أننا لا يمكننا أن نرفض مثل هذه النظرية جملة ، ولكن مع ذلك لا نستبعد أن يكون هذا المنظر شبيها بمنظر اللوحة السابقة (ibid Fig. 8) ويفسر بنفس الروح الذى فسر به زميله ، وقد كان المهدى يريد فى هذه الحالة أن يمجد ذكرى أخيه الأكبر الذى مات فى ساحة الشرف فى نفس الوقت الذى كان يمجد فيه ذكرى والده .

ومما سبق يتضح أن العادة التى كانت مستعملة فى نقش الألواح فى العهد الأوّل من العصر الإقطاعى وبخاصة فى أوائله للحاربين لم تستمر عظيمة الانتشار فى العهد الذى جاء بعده ، ولكنها لم تختف نهائيا بانتهاء العصر الذى نشأت فيه ، ولذلك لن نكون متجاوزين حدود الموضوع الذى نحن بصدده الآن إذا فحصنا لوحتين يرجع تاريخهما للدولة الوسطى .

لوحتان لجنود من الأسرة الثانية عشرة — وهما اللوحتان الوحيدتان على ما يظهر اللتان لهما علاقة باللوحات التى فحصناها فيما سبق : وأولى هاتين اللوحتين يرجع عهدها الى باكورة الأسرة الثانية عشرة (ibid Fig. 12) وقد أقيمت تذكارا لموظف كبير وكل إليه القيام بأعمال الشرطة فى الصحراء الغربية ، وقد كانت الصحراء فى هذا الوقت كما هى الحال فى عصرنا مأوى للجرمين . وقد كان عمل

الشرطة أن يبحث عن هولاء المجرمين فى هذا المكان فنشاهد المهدى إليه وقد تسلح بالقوس والسهام ويصحبه كلبه . وقد رسم فى هيئة تدل على أنه يقوم بواجبات وظيفته (ibid Fig. 12) وليس ببعيد أنه قد امتاز بميتة شريفة ، لأن حرفته لم تك خالية من الأخطار وليس الجنود المحاربون هم الذين وحدهم كانوا يموتون شهداء الواجب .

أما الأثر الثانى فهو أحدث عهـدا من سابقه (ibid Fig. 13) لأنه ينسب إلى العهد الإقطاعى الثانى . ومما يؤسف له أن النقوش لم تعطنا أية معلومات عن شخصية المهدى إليه . اللهم إلا رسمـه الذى جعلنا نؤكد أنه كان يحترف الجندية فهو يلبس جلبابا غريبا فى هيئته ، يتألف من قطعتين من النسيج لكل منهما لون خاص يختلف عن لون الأخرى . ولذلك لا يبعد أن يكون هذا الجلباب هو اللباس العسكرى فى هذا العهد ويشاهد بيده اليسرى القوس والكنانة معا . ومن المحتمل أن الشيء الذى بيده اليسرى هو مضرب « بومرانج » . ورغم أوجه الشبه المحققة التى نجدها بين منظر هذه اللوحة ومناظر اللوحات الأخرى التى فحصناها فإنه من خطل الرأى الجزم بأن المهدى إليه هنا قد لاقى فى ساحة الوغى ميتة مجيدة .

الحياة الحربية فى هذا العصر — وعلى أية حال فإن فحص هذه اللوحات قد وضع أمامنا صفحة جديدة فى تاريخ الحياة الحربية فى هذا العصر إذ قد صوّرت لنا الجندى فى ملابسه وأسلحته وكذلك الكلاب والدور الذى كانت تلعبـه فى ساحة القتال . هذا فضلا عن العلاقات الأسرية التى كانت تربط بين أفراد الأسرة وما يكنه كل منهم للآخر من الألفة والمحبة التى تجلت بكل معانيها فى مناظر تلك اللوحات ، يضاف إلى ذلك أنه كان يوجد فى هذا العصر أسرا كاملها من النوبيين يعملون فى الجيش المصرى فى المملكة الجنوبية وبينهم من الودّ والإخاء ما نطقت به أوضاع صورهم على اللوحة التى مثلوا عليها .

منتوحتب الثانى موحد الأرضين — ومن المؤكد أن شجاعة مثل هؤلاء الجنود الذين عثرنا على لوحاتهم كانت تجعل النصر يقترب من الأبواب إذ أنهم كانوا

يؤمنون بحق أمرائهم فى طيبة و يضحون من أجل قائدهم الأعلى بأغلى شىء لديهم وهى حياتهم وقد كان أميرهم وقائدهم على يقين من عدالة قضيته كما كان يثق بأن الغلبة فى النهاية ستكون له وأنه سيصبح حاكم البلاد المصرية كلها ولذلك بادر فأعلن نفسه فعلا ملك مصر الحقيق واتخذ لنفسه اسم « حور — سام — تاوى » (أى الملك موحد الأرضين) وصاحب الإلهتين سام — تاوى — وحور الذهبى « قا — شوتى » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نب حبت رع » ابن الشمس «منتوحتب» وهذه هى الألقاب الفرعونية الخمسة الكاملة .

(L. D. Vol. II, Pl. 149 b فى أسوان & Daressy, A. S. 1907 p. 244; Bisson de la Roque, ibid, p. 67, Naville ibid, I, 3; II, 21.)

وقد كتب كلا الاسمين الأخيرين فى داخل طغراءين فى حين أن ملك الجنوب كان لا يوضع فى الطغراء إلا اسما واحدا . وعلى أية حال فإن عبارة « سام تاوى » (موحد القطرين) كانت ترتكز على حقيقة تاريخية حتى ولو كانت الاسم الذى يطلق على صورة من صور «حور» (Lanzone Dizionario di (حور سما تاوى) Mitologia egizio p. 600.)

أما عبارة « قا — شوتى » رفيع الريشتين — فإنها كانت كذلك نعتا يليق به لدرجة عظيمة . والواقع أن الأسلوب الذى استحدثه هذا الفرعون فى كتابة لقبه كان يعد من وجوه كثيرة تغييرا هاما ، وذلك أنه منذ هذه اللحظة كان يكتبه دائما بعلامة « المجداف » بدلا من الإشارة التى تدل على حروفها وهى الإشارة التى كانت تستعمل فى الرقص المقدس . فعلامة المجداف تكتب هكذا (‌) وتنطق « حبت » والعلامة [(١)] (‌) تنطق = « حبت » أيضا فنجد أن « منتو حتب » أصبح يكتب لقبه « نب حبت رع » بعلامة المجداف بدلا من العلامة الثانية التى كان يستعملها من قبل . ولزمن قريب جدا كان يعتبر التغيير

---

(1) Gardiner "Egyptian Grammar" pp. 487, 524; Farina Il Papiro dei re No. 16 & Winlock J. E. A. 1940, p. 116.

فى الاسم علامة على أنه كان يوجد ملكان كل منهما يسمى « منتو حتب » عند هذه الفترة فى تاريخ الأسرة الحادية عشرة غير أن الرواية التى وصلت إلينا عن طريق ورقة « تورين » تدعو الى اعتبارهما ملكا واحدا وهذا ما سنتبعه هنا . وقد اعترف كاتب قائمة الكرنك بالمركز الهام الذى ناله هذا الفرعون بوصفه ملكا على مصر كلها وذلك أنه لم يكتف بوضع اسمه فى جزء آخر من قاعة الأجداد الصغيرة غير الذى كان فيه أجداده الذين سبقوه مباشرة بل نعته كذلك بأنه « الإله الطيب» رب الأرضين ملك الوجهين القبلى والبحرى سيد القربان «نب حبت ـ رع» المبرأ (Prisse ibid Pl. I; Sethe Urkunden IV p. 609.)

ونجد اسمه كذلك فى قائمة الملوك التى نقشت فى مقبرة « تترى » بسقارة أما فى الرمسيوم فنجد . (Porter & Moss, ibid III, 192) أن مكانته قد ظهرت بصورة بارزة جدا فهناك نجد الملك « مينا » والملك « نب ـ حبت ـ رع » والملك « احمس » يظهرون بوصفهم المؤسسين للدولة القديمة ، والدولة الوسطى فالدولة الحديثة على التوالى (L. D. Vol. II, Pl. III, Pl. 163) .

والظاهر أن الكتاب كانوا يعلمون أن من واجبهم تعلّم كتابة أسماء الملوك بسرعة دون ارتكاب أخطاء فى كتابتها ، ولكن قد وجدنا خطأ رغم ذلك فى العرابة المدفونة وذلك عند ما نقش حفار ما : " يعيش طويلا حور سام تاوى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى" ابن الشمس « منتو حتب » دون أن يكتب أى لقب للفرعون (Petrie, Abydos Vol. II Pl. XXIV.) ويوجد فى متحف «اللوفر» لوحة قبرية فيها الإنسان آثار الرجوع للقديم بوضوح ، هذا رغم رسمها الممتاز وكان يعتبر بمثابة تاريخ فيها الاسم «حور» واسم الملك الذى يكتب بالإلهتين(نبتى) وقد كتب ذلك دون ارتكاب أخطاء ثم نجد أنه يأتى بعد ذلك بفجاءة «ملك الوجه القبلى والبحرى» ابن الشمس (فى الطغراء) منتوحتب كما كان يكتبه الإنسان عادة فى أوائل حكمه (Louvre C. 14, Prisse, ibid Pl. VII; Maspero, "Transactions of the

Society of Biblical Archaeology," 1877, p. 555; Petrie, History, p. 142)
وهذا الاقتباس هو من لوحة مثال يدعى «يرتسن» الذى وضعته «ادت» وزوجته «حيو» وقد رسما مع أولادهما «سنوسرت» و «منتوحتب» و «سى منتو» وابنتهما «قم» وابنها «تم نك» ويخبرنا «يرتسن» أنه عرف كيف يصوّر الخروج والعودة ... وحركات صورة الإنسان وهيئة المرأة وتوازن الذراع لصيد فرس البحر وحركات العدّاء، ولا يفلح أحد فى كل هذا غيرى أنا و بكر أولادى من جسمى . و يقصد من هذا أنه كان منقطع النظير فى فنون الحفر التى لقنها ابنه .

على أن الإنسان قد يشك بحق إذا كان كل ما قاله طبعيا كما فكر هذا المثال، غير أنه فى مقدورنا أن نرى فى بعض القطع المنحوتة فى هذا العصر تهذيبا عظيما ورقة بالنسبة للإنتاج الساذج الذى كان ينتجه رجال الفن الطيبيون فى الأزمان السابقة، وذلك مما يبشر بفن أرقى ينتظر ظهوره فى القريب العاجل فى عهد الأسرة الثانية عشرة .

استمرار الحروب بين الشمال والجنوب — ورغم كل هذه الادّعاءات الطنانة الرنانة التى يدّعيها «نب حبت رع» فإنه لم يجن للآن انتصارا حاسما على أعدائه فقد ترك لنا موظف عظيم يدعى «ريمو» فى «إبسكو» الواقعة على بعد ٢٧ أو ٢٨ كيلو مترا جنوب الفيله ثمانية نقوش على الصخور هناك تبرهن على أن الحرب كانت لا تزال مستمرة وان كانت سائرة ببطء :

(Roeder, Debod bis Bab Kalabsche, p. 103; Meyer, ibid par. 277 Drioton & Vandier, ibid, p 252.)

فقد جاء فى إحدى هذه اللوحات على لسان «زامو» ما يأتى : لقد بدأت أذهب إلى ميدان القتال جنديا فى عهد «نب حبت رع» عند ما ذهب مصعدا فى النيل إلى الجبلين . وعدنا إلى الملك بعد أن اخترقنا كل البلاد، وفكرنا فى قتل متوحشى «زاتى» الذين كانوا مستولين على المحاجر ولكنهم ولوا الأدبار وهزمتهم .

وفى نقش آخر نرى أنه يتعدّى الحديث عن حرب الجنوب ويحدّثنا كيف بدء الموقعة فى الشمال (الدلتا) منحدرين فى النهر فى كل البلاد و «زيمو» مقتفٍ أثرهم،

وقد ذهب نحو الشمال مثل الأسـد فى إثر ابن ملك الوجه القبلى والبحرى مع جمعه هذا . وبعد ذلك مات العدوّ فى الواقعة لأنى كنت قويا ضدّ مافعله أهل الشمال. ومن ذلك نستنبط أن مصر لم تكن قد وضعت السلاح مباشرة بعد أن سمى « نب حبت رع» باللقب الرنان «موحد الأرضين» .

ولا يمكننا أن نمرّ مرّ الكرام على لوحة « منتوحتب » بن « حابو » فطرازها وتاريخها لا يمكاننا من نسبتها إلى حكم هذا الفرعون إذ نقرأ فيها ما يأتى : "وبعد ذلك أتى نيل منخفض — السنة الخامسة والعشرون" ومن ذلك نعلم أنه حتى بعد السنين الطوال التى قضتها مصر فى حروب داخلية والتى أخذت البلاد تنسى بعدها



شـــكل رقم ٥ تمثال الملك منتوحتب الثانى

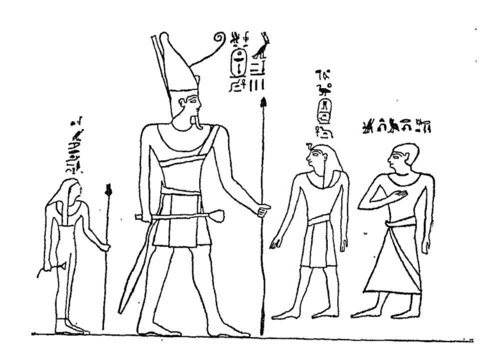
ويلاتها نجد أن الطبيعة قد غضبت عليهم لتذيق الأهلين الويل وتلحق بهم العذاب فقد انخفض النيل مما زاد الحالة فى البلاد ضغثا على إباله .

الاحتفال بعيد سد — وبعد ذلك تمرّ أيام من حكم هـذا الفرعون دون أن يصادفنا شيء هام يمكن تأريخه بصفة قاطعة ، وكان أوّل تاريخ يصادفنا بعد ما ذكرنا آنفا هو تاريخ احتفال هذا الفرعون بعيد «سد» (عيد الثلاثين) ونحن نعلم أنه احتفل به على التحقيق والمرجح أنه كان فى السنة التاسعة والثلاثين من حكمه أى بعد مرور ثلاثين عاما على توحيد القطرين أو بعبارة أخرى بعد أن انتصر على الشمال انتصارا جعله يؤمن بالنصر النهائى وإحرازه السيادة التامة الفعلية على كل البلاد ريفها وصعيدها (Naville ibid I, 40) . وتدل الشواهد على أنه عنـد الاحتفال بهـذا العيد أمر الفرعون بنحت تماثيل لنفسه بالملابس العتيقة الغريبة التى كانت تحتم التقاليد لبسها فى الاحتفالات المقدّسة لهذا العيد ، وقد أمر بأن يوضع واحد منها تحت كل شجرة فى ردهة معبده . وكذلك أمر بنصب طائفـة منها على طول الطريق الذى يؤدّى للمعبد . هـذا إلى إقامة تمثالين فى الردهة نفسها ، وبالرغم من أن هذا الفرعون قد شرع يحفر لنفسه مقرّه الأخير فى داخل المعبد نفسه فإنه ابتدأ بنحت مقبرة ضخمة أخرى وهى المعروفة الآن بباب الحصان ، ونعلم أن كل ما كان عليه أن يفعله ليجعل هـذا الضريح قابلا للاستعمال أن يسدّ الحجرة التى لم يتم حفرها فى نهاية البئر ثم يردم هـذه البئر نفسها (Winlock J. E. A. 1940 p. 118 ; A J. S- L. p 143 & 147, 153 Fig. 8) وبعد ذلك جاء بتمثال ثالث (انظر شكل رقم ٥) ولفه بنسيج من الكتّان الجميـل ووضعه فى الحجرة الآنفة الذكر عنـد رأس البئر المردومة بجوار تابوت خال ، وهذا التمثال عار عن كل نقش ، وقد وضع بجواره بطتان ونخذا ثور وعدد من الأوانى ، وقد وجد فى كوّة يظهر أنها كانت بداية لحجرة فى المنزلق المؤدّى الى البئر تابوت لتمثال « مجاوب » كتب عليـه صلوات « لأنوبيس » و «أوزير» ليقدّما قربانا للإله الطيب « نب حبت » ؟ ... « ابن رع منتوحتب » وبعد انتهاء

هـذه الاحتفالات والمراسيم الدينية ملئ مدخل المقبرة حتى أصبح بمستوى سطح رقعة الدهة . وقد شاءت الأقدار أن يبقى هذا القبر بعيدا عن الأنظار مدّة تقرب من أربعة آلاف سنة الى أن كشف عنه حديثا (Carter A. S. 1901, p. 201 Pls. 1. 2; Naville, ibid, 1, 9, 26 Pl. XIII g; Budge ibid Pl. VI; Bonnet A Z. 1925 Pl. 41; Evers ibid Pls. 12, 13 Fig 54; Winlock, Deir el Bahari p. 130, Pl. 12).

الملك نب حبت رع منتوحتب

وزيارته مع بلاطه لشط الرجال



شـــكل رقم ٦

منظر لزيارة منتوحتب الثانى لشط الرجال مع ابنه وزوجه

وحامل ختمه « خيتى »

* * *

لقد تضاربت الأقوال والآراء في اللوحة التي نقش عليها رسم الملك «منتوحتب» الثاني والأشخاص الثلاثة الذين معه، والواقع أن المجموعة التي على هذه اللوحة لوحة رقم (٦) غريبة في بابها حتى أنه لم يصل أحد إلى حل رموزها للآن حلا شافيا، ولا نزاع في أنها من أهم اللوحات التي نقشت على الصخر في هذا الوادي المهجور، ولم يعرف أحد للآن لماذا اختير ذلك المكان لحفر هذا النقش وغيره من النقوش التي ترجع على ما يظهر إلى الأسرة الحادية عشرة . من أجل ذلك سنبحث هنا اللوحات التي وجدت في هذا المكان لأن ذلك سيلقي ضوءا عظيما على تاريخ الملك «منتوحتب» الثاني وحاشيته وعظماء رجال دولته .

وادى شط الرجال — وشط الرجال الذى وجدت فيه هذه اللوحة واد صغير يقع على حافة الصحراء الغربية على بعد ٣٥ كيلو مترا جنوب « إدفو » وعلى بعد ٤ كيلو مترات شمال جبل السلسلة، وأقرب محط له هو محط « كاجوج » على الشاطئ المقابل للنيل .

وتوجد على الصخر (جرافيتى) فى هذا الوادى عدّة نقوش تعزى إلى عصر ما قبل التاريخ، وعلى بضعة أمتار من فوهة هذا الوادى كان يوجد محط لصيادى عصر ما قبل التاريخ [على ما يظهر] قبل تحوّل هذه البقعة إلى صحراء، وربما كان ذلك فى العصر الذى كان النيل فيه لا يزال يجرى شرق جبل السلسلة فيشاهد على الصخرة مناظر حيوان كالزراف سائرة[1] قطعانا، ومن بينها نلاحظ نعامة وفيلا . ولا نعرف على وجه اليقين وجود نقش آثار لبعض من ارتادوا هذا المكان بين عصر ما قبل التاريخ وعصر الأسرة الحادية عشرة . وكل ما نعرفه نقش لملك يدعى « حور — وار » .

---

(1) Petrie, A Season in Egypt. p. 414.

وقد ظنّ بعض الأثريين أنه من العصر الطيني كما ظنّ أنه هو الملك ثعبان[1] . ويعتبره بعض المؤرخين أحد الملوك الذين حكموا بين عهد الدولة الوسطى والدولة الحديثة[2] . ومن المحتمل أن الرأى الثانى أكثر رجحانا لأن شكل الكتابة التى كتب بها الاسم يؤيده . يضاف إلى ذلك أنه عثر على ملك يسمى « خيتى » فى خرطوش وقد قرأ بطرق مختلفة . وقد ذهب البعض الى أنه فى العصر الذى سبق الدولة الوسطى أو العصر الذى أعقبها[3] . جريا وراء الحدس لا اليقين .

وصف لوحة منتوحتب الثانى — وإنه لمن خطل الرأى أن يستنتج الإنسان من اسم هذين الملكين شيئا عن تاريخ «شط الرجال» على أننا لم نعثر حتى الآن على أسماء أفراد من عهد الدولة القديمة فى هذه المنطقة ، والحقيقة أن تاريخ «شط الرجال» قد عرف فقط من النقوش التى نحتت على صخور الوادى الملساء، وأوّل ما يشاهده زائر هذه الجهة عندما يدخل الوادى نقشا جميلا قد نحت فوق النقوش التى من عصر ماقبل التاريخ فى شكل لوحة صور فيها أربعة أشخاص أطولها رسم بالحجم الطبعى ونقش أمام وجهه « حور » موحد الأرضين ملك الوجه القبلى والبحرى «نب حبت رع» عاش مخلدا وعلى رأسه التاج المزدوج ، وقد ارتدى الجلباب القصير المحلى بذيل الأسد وفى يده عصا وبالأخرى « مضرب الحرب » وقد رسم خلفه أمّ الملك التى يحبها « اعح » وتحلى بصورة عقاب على رأسها وتحمل فى يدها عصا وفى الأخرى زهرة بشنين ، وأمام الملك رسم شخصان، الأوّل كتب فوقه «الوالد المقدّس» المحبوب من الملك ابن الشمس « انتف » عاش مخلدا ، وهو يلبس زى الملوك، فعلى جبهته

(1) De Morgan, Les origines de l' Egypte I (1896 (163 - 64. Fig. 488 – 489 (Nos. 15–25); Winkler, Rock Drawings of Southern Upper Egypt. (Archel. Survey of Egypt. I. 1938, 9. Sites 35 - 36 Pls. XX-XXI; II (1939) 5 - 6. Sites 35-36, 48, 52.)

(2) Petrie Season p. 15 & A. S, V. (1904) p. 144 ff.

(3) Petrie ibid p. 15 No. 430.

الصل والكوفية (نمس) ويلبس جلبابا ملكيا وذيل أسـد كالذى يلبسه « نب — حبت — رع » وذراعاه متدليتان على جانبيه ، ويقف خلفه شخص يحمل لقب مدير الخزانة الشماليـة حامل الخاتم «خيتى» ، وقد وقف بوضع يدل على الخضوع لابسا الجلباب الطـويل الذى يرتديه العظماء ، وبطنـه قد ظهر فيـه الثنايات التى تشعر بالأبهة وعيشة الترف والنعيم ، وعلى نحو ستة خطوات غربى هذا النقش يوجد نقش آخر على صخـرة مفصولة عن الجبـل وهى لوحة تمثـل الملك « نب حبت رع » وأمامه حامل الختم « خيتى » فقط .

والملك « منتوحتب » الثـانى الذى لا يحتاج إلى تعريف قد حكم البلاد على أقل تقدير نحو ٥٠ عاما ، ويعد حكمه أطول حكم فى هذه الأسرة ، وفى عهده توحد القطران ثانيـة كما أسلفنا . أما الصورة التى ظهرت خلفه فموضوع إشكال عنـد المؤرخين . فقال بعضهم إنها زوجة « منتوحتب » الثانى . وأم « أنتف » وهذه فكرة فى ظـاهرها خلابة ولكن يعترضها أن قد كتب فوق هـذه السيدة أم الملك لا زوجته ووضعها بهذه الكيفية يدل على أنها كانت تنسب إليه ، ويجب أن تكون والدته[1] ويحتمل أنها إحدى حظيات والده لا زوجته الشرعية ، كما يحتمل أنهـا أم « نفرو » التى أصبحت زوجة أخيها الملك « منتوحتب الثانى » وقد دفنت بجواره بالدير البحرى كما سنرى ؛ ورغم أن « اعح » كانت فى هذه الفترة متقدمة فى السن فإن ذلك لا يمنع زيارتها مع ابنها هذا المكان .

على أن « انتف » ابن الشمس كان كذلك موضـوع حدس كبير فقـد قيل عنـه إنه أمير نوبى من أتبـاع الملك « منتوحتب الثـانى » جاء ليقدم خضوعه لسيده (Meyer ibid I. p. 277) ولم نجد اسم أمير نوبى يحمل لقب « ابن الشمس عاش مخلدا » يقف فى حضرة الفرعون نفسه وهو الممثل لإله الشمس على الأرض

(1) Eisenlohre, P. S. B. A, (1881) pp. 99 ff & Petrie, ibid. 15, No. 489 & Winlock M. M. A. Feb. 1928, p. 18 ff & 22.

ومن جهة أخرى قال عنه «برستد» : إنه سلف مخلوع للملك « منتوحتب الثانى » وقد ترك حيا إلى عهد هذا الملك[1] (Breasted, A. R, I. p. 418,424-25.) أو احد مع أناتفة آخرين من النصف الأوّل من عهد الأسرة الحادية عشرة .

(Steindorff A. Z. XXXIII, p. 88 & Petrie History I, (1923) p. 141.)

كذلك عدّ من هؤلاء الأناتفة[1] (المتوفين) فى حضرة «منتوحتب الثـانى» حسب رأى « ڤنديـيه » (Vandier B. I. F. A. O, Vol. XXXVI p. 114,)

ومن جهـة أخرى قـد سمى « انتف » ابن « منتوحتب الثـانى » ووارثه (Maspero, Dawn of Civilisation p. 462–63 & Naville, "XI Dynasty Temple", I. p. 7, Gauthier, B. I. F. A. O, Vol. V, p. 30 & 35.)

وربمـا كان هـذا الرأى هو التفسير المعقول لمنظر « شط الرجال » وبهـذه الصفة يكون لأنتف كل الحق فى أن يسـمى « ابن الشمس » « عاش مخلدا » كما يجوز له أن يكتب اسمه فى طغراء و يلبس النمس والصل الملكيين الخ . غير أنه لم يكن ملكا حاكما لأنه لم يلقب بلقب التاج « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى» ولكنه كان يحمل مع ذلك اللقب الأكثر انتشارا وهو :

« الوالد المقدس ، المحبوب من الإله » ، ونحن نعلم أن الذى خلف « نب حبت رع » كان يطلق عليه « منتوحتب » أيضا فيحتمل أن الابن الأكبر الذى كان يحمل اسم « انتف » وهو اسم أجداد الأسرة — قد مات قبل والده ، وأنه دفن فى الدير البحرى فى مقبرة عظيمة لا تبعـد كثيرا عن قبر والده الملك و بالقرب من مقبرة الملكة « نفرو » كما سنرى (Winlock, M. M. A., ibid) وقد كتب فوق ذلك القبر على سـور معبد الأسرة الحادية عشرة عدّة مرات اسم « انتف معطى الحياة » ! والظاهر أن الذين كتبوا ذلك كانوا من المعاصرين له ، وقـد عرفوا حقا الفرد الذى أقام هذا القبر .

---

(١) أناتفة جمع أنتف مثل رعمسيس ورعامسه .

شخصية « خيتى » المرسوم على اللوحة — وكذلك نعرف شيئا عن رابع أشخاص هـذه المجموعة وهو « خيتى » حامل الختم فقد كان من أكبر شخصيات البلاط ولكنه كان يلعب هنا دورا هاما غير عادى ، ففى اللوحة الأولى نراه مرسوما بنفس حجم ولى العهد وفى اللوحة الثانية نجده واقفا أمام الملك وحده ، وأهم من ذلك نراه قـد رسم بحجم الملك نفسه ، ونحن نعلم من نقش فى « أسوان » أن أمه تسمى « سات رع » وقـد ذكر « برستد » أنه من أسرة أسـيوطية . وأنه التحق بخدمة « منتوحتب الثـانى » (Breasted "Ancient Records", I, 414) بعد أن استولى الطيبيون على الشمال ، وفكرة « برستد » لا يوجد ما يناقضها . بل تتفق تمـام الاتفاق مع دلـيل آخر، ذلك أن اسم « خيتى » كان يكتب عادة على نسيج الكتان الذى ينسج للبـلاط الطيبى ، ولكن ذلك على ما يظهر قبل اتحاد القطرين فلم يوجد اسمه على أكفان الطفلة « مايت » التى يظن أنهـا ماتت قبل توحيد البلاد ودفنت بين أميرات البلاط فى الدير البحرى ، ولكن من جهة أخرى وجد اسم «خيتى» على لفائف «عاشيت» و«هنهنيت» اللتين يحتمل موتهما بعد اتحاد البلاد ، وكذلك وجد على لفائف امرأة بتاريخ السنة الأربعين أى بعد هزيمة الاهناسيين (Winlock M. M. A. Nov. Part II ,p. 13-14)؛ وقد نحت « خيتى » لنفسه مقبرة تشرف على معبد الدير البحرى فى نقطة من أهم نقط جبانة الأسرة الحادية عشرة كما سيجىء ذلك بعد (Winlock, ibid 1923 Part II p. 14.) وقـد وضع تمثالا لنفسـه فى معبد آمون بالكرنك ومن المحتمل أنه قرب مذبحا من الجـرانيت (Mariette, Karnak Pl. 5 j Text p. 44 No. 12. Moharram Kamal, A. S. XXXVIII, p. 158.)

وفى نقوش معبـد الدير البحرى ظهر يقدّم الخضوع « لمنتوحتب » الثـانى فى عيد « سد » (Naville, XI Dyn. Temple I, 40 No. 1) كما يشاهد فى منظر «شط الرجال» ونعرف من نقوش فى «أسوان» أنه قام بحملة الى «واوات» فى بلاد النوبة فى السنة الحادية والأربعين من حكم هذا الملك (Petrie, ibid p. VIII No. 213)

وفى هذه المناظر المختلفة نلحظ أنه يحمل نفس اللقب الذى يحمله فى «شط الرجال» حامل الختم ؛ أما على تمثال الكرنك فيلقب «حامل الخاتم فى كل الأرض حتى آخر حدودها» ، وعلى نقوش قبره يحمل لقب الأمير الوراثى ، وحاكم المقاطعة ، ويحمل كذلك لقب حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد (على نقوش قبره ونقوش أسوان وعلى التمثال) ؛ وكذلك يلقب المشرف على أمناء الخزانة (فى نقوش أسوان) والوالد المقدّس (على التمثال) .

وحوالى منتصف الطريق توجد بين اللوحتين اللتين فى شط الرجال على الجانب الجنوبى لهذا الوادى الصغير مجموعة من النقوش الضخمة طولها نحو ثمانية أمتار
(Winlock, M. M. A. Feb. 1928 Part II, Fig. 24)

نقوش لشخصيات أخرى فى وسط الرجال — ومن المحتمل أنها كانت أكثر عددا مما وجد وضاعت لتآكل الصخر ومع ذلك فلا يزال موجودا ثمانية نقوش منحوتة نحتا متقنا واثنان نقشا على عجل ، ويخيل للإنسان أن جماعة من المفتنين قاموا بهذا العمل تحت إشراف الحفار «وسر — إنر» الذى ذكر اسمه على أحسنها نقشا وموضوعا وحجما وسنبتدئ بنقشه وهو كما يأتى :

(١) الكاهن المطهر المشرف فى «حتنوب» (محاجر المرمر) حفار القصر ، والمشرف على الحفارين «وسر — إنر» ابن «انتف»
(Eisenlohre, ibid p. 102, Pl. II. I. I. & Petrie ibid No. 473 & Bissing ibid p. 20.) وحفر هذا النقش يشبه كثيرا حفر النقش الأول مما يبرر أنه هو الذى كان مسئولا عن كليهما .

(٢) المشرف ... التابع «سبك حتبو» (Petrie, ibid No. 487)

(٣) مدير البيت ... ... ؟ ح (Petrie, ibid)

والنقشان الأخيران وجدا مشوهين بعض الشىء فى الأعصر القديمة بنقرهما ، وقد وجد اسم مدير بيت يدعى «حنون» على قطعة من تابوته ولوحته ومصراعى

بابه فى الدير البحـرى .(Winlock, A. J. S. L. (1940) p. 149) ويقـع قبره فى الصف الذى فيه حامل الخاتم « خيتى » ومدير المـالية «مرو» وهو عظيم الحجم كالمقابر التى تجاوره ويحتمل إذًا أن « حنون » هذا هو الشخص المقصود هنا .

(٤) المحبـوب حقا من سيده « مكت رع » مدير المحـاكم الست العظيمة (Eisenlohre, ibid, Pl. II, 1. 7. & Petrie, ibid No. 455). وأول ما ظهر اسم « مكت رع » كان فى معبد الملك « منتوحتب الثانى» حيث ذكر فى مكان بلقب «السمير الوحيد » وحامل الخاتم «مكت رع»، ومن المحتمل فى مكان آخر (حاكم المقاطعة) وحامل الخاتم «مكت رع» (Naville, XI Dyn. Temple, Vol. II, IX, D) ويحتمل أن نقش « شط الرجال» كان بعد هذه بزمن قصير، وقد عثر على قبره بين رجال بلاط الملك (سعنخ كارع) (منتوحتب الثالث) وهو يشرف على معبـده كما سيجىء بعـد . (M. M. A. Dec. 1922. Part II. p. 19) وعلى جـدرانه كان يلقب : الأمير الوراثى، حاكم المقاطعة، حامل خاتم ملك الوجه البحرى والأمير الوراثى لباب [جب]، ويحتمل أن أحد هذين اللقبين كان لابنه « انتف»، وكذلك كان يلقب «المدير العظيم للبيت»، وقد وجد هذا اللقب على قطعة حجر من حفائر قام بها «درسى» عام ١٨٩٥ وهى الآن بمتحف القاهرة ، وكذلك ظهـر على قار بين من النمـاذج التى وجدت فى سرداب قبره أنه كان يلقب « الأمير الوراثى» فقط، وعلى قطعة حجر وجدت بالقرب من قبره كان يلقب فقط « حامل الخاتم» (A. J. S. L. 1940 April p. 150)

(٥) حاجب الملك المتصرف لدى الإله، والذى يسمع اسمه فى الجنـوب وفى الشمال المحبوب حقا من سيده « محيسا » بن « دجا » وأمه تدعى « نزمت» ؛ ونحن لا نعرف اسم زوجة الوزير « دجا » ولا أولاده، وقبره قد بنى فى عهد ذلك الملك بالقرب من المعبد ، ولذلك لا يمكن أن يوحد «دجا» المذكور هنا و «دجا» الوزير .

(٦) قريب الملك حقا حاكم الأرض الشمالية « اتو » .

(٧) حامل خاتم ملك الوجه القبلى ، السمير الوحيد وحاكم الصحراء الغربية الذى يأتى اليه الأمراء مسلمين عند باب قصر الملك ، المحبوب من سيده المشرف على أمناء الخزانة (مرو) (Eisenlohre, ibid p. 102, Pl. II; II, 10-11 X. & Petrie, ibid No. 459.) وهناك نقش آخر لم تنقشه يد متفنن على قطعة منفردة وجد عليها كذلك : المشرف على أمناء الخزانة (مرو) ، وتوجد آثار أخرى (لمرو) هذا فى المقبرة رقم ٢٤٠ فى الدير البحرى عليها لقبه «المشرف على أمناء الخزانة»[1] ؛ وعلى لوحة يحتمل أنها من «العرابة» وهى الآن فى متحف «تورين» (Gauthier, Livres des Rois I, 232) وهى مؤرخة فى السنة السادسة والأربعين من عهد الملك « نب حبت رع » أى بعد نقوش شط الرجال بسبع سنين وقد ذكر فيها اسم والد « مرو » وهو « اكو » وأمه « ختيتى » وألقابه كالآتى : حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، السمير الوحيد ، والمشرف على أمناء الخزانة ، كما جاء ذلك فى نقوش « شط الرجال » وقد أضيف اليها نعوت أخرى مثل « الذى كسب محبة سيده » « المحبوب والممدوح من سيده » .

(٨) حامل خاتم ملك الوجه البحرى السمير الوحيد كاتب سجل الملك (إيا) ويوجد نقش بهذا الاسم « إيا » ربما كتبه صاحبه بيده على مسافة ١٠٠ خطوة فى داخل الوادى — وقد كتب حروف اسمه هجاء وبعدها « الحياة والسعادة والعافية ! الممدوح حقا من سيده » ، وقد عثر الأستاذ « نيوبرى » على قطعة حجر لم تنشر بعد فى معبد الدير البحرى عليها كاتب الملك « إيا » .

(٩) ضام أقطار الملك فى كل ممتلكاته ، المحبوب حقا من سيده ، حامل خاتم ملك الوجه البحرى المشرف على أمناء الخزانة « مرو » (Eisenlohre, Pl. II, 11 3-4 & Petrie, ibid, No. 472, 474) ، ومن المحتمل أن « مرو » هذا هو

(1) Eisenlohre, ibid, Pl. II, 11. 3-4 & Petrie, ibid No. 472 & 474.

الشخص المذكور فى نقش أسـوان سنة ٤١ (Petrie, ibid Pl. VIII No. 243) عند ما كان حامل الخاتم « خيتى » عائدا من واوات ، ويجب أن تقرأ كالآتى : السنة الحادية والأربعون من حكم ملك الوجه القبلى والبحرى « نب حبت رع » عاش مخلدا مثل رع . إنى معروف لدى الملك ، وحاكم مقاطعة ، والمراقب على الجزء الشرقى من مقاطعة عين شمس . وهـذه الألقاب لا تنتزع منـه شخصية (مرى) الذى كان فى « شط الرجال » منذ عامين مضيا .

(١٠) المدير الملكى « حبى » الممدوح حقا من سيده (Petrie, ibid, 468) وقد عثر « نيوبرى » على قطعة حجر فى الدير البحرى لم تنشر بعد ، ذكر عليها اسم هـذا الموظف الملكى «حبى» .

وهناك نقشان ليسا فى المجموعة التى نحن بصـددها ولكن يظهر أنهما ينسبان اليها وهما : الأمير الوراثى كبير المرتلين ، وكاتب الكلمات المقدّسة «خيتى» ؛ وخيتى هذا كذلك معروف من قطعة حجر عثر عليها فى الدير البحرى كتب عليها : كبير المرتلين « خيتى » .

(١١) المشرف على أمناء الخزانة « سبك حتب» . (Petrie, ibid No. 586.) ومما يلفت النظر أنه على مسافة خمس عشرة خطوة من اللوحة الأولى وعلى مقربة من اللوحة الثانية من الجهة الغربية قد كتب شخص ما بسرعة على الصخور التاريخ سنة ٣٩ ، ففى المرة الأولى كتب التاريخ فى سطر واحد من الشمال الى اليمين أو اتجاه اللوحة عند ما يدير الإنسان وجهه لها ... ... (Petrie, ibid 542.) ، وفى المرة الثانية كتب بنفس اليـد التى كتبت الأولى ولكن بالعكس[1] . ومن وضع هذين التاريخين يظهر جليا أنه يقصـد بهما حصر اللوحتين ومجموعة النقوش التى بينهما . يضاف إلى ذلك أن تاريخا مدته كبيرة كهذه لا يمكن أن يكون لملك آخر غير « منتوحتب الثانى» نفسه ، وعلى ذلك يظهر أن السائح الذى كتبهما كان يعرف زيارة البـلاط

(1) Petrie, ibid No. 452.

لهـذا المكان فكتبهما هناك وكأنه يريد أن يقول : " هـذه الأسماء التى بين هذا المكان وذاك هى للملك وحاشـيته الذين كانوا هنا فى السنة التاسـعة والثلاثين من حكم الملك " .

زيارة شط الرجال بعـد عهد منتوحب الثانى — ويظهر أن وادى « شـط الرجال » كان يقصد كثيرا بعد زيارة الملك (نب حبت رع) وحاشيته ؛ وفى خلال السنين القلائل التى تلت هـذه الزيارة قصد هذا المكان أكثر من مائة شخص وكتبوا بعض كتابات بالقـرب من نقـوش عام ٣٩ على طول الوادى وبعض هـذه النقـوش مؤرخ فى أواخر الأسرة الحـادية عشرة ، وكذلك توجد طغراء للملك «منتوحتب» الثانى كتبت على عجل فى الجزء العلوى من هـذا الوادى (Petrie, ibid No 394.) ، وغربى ذلك يوجد رسم تخطيطى للملك «سعنخ كارع» منتوحتب الثالث فى ملابس عيد «سد» يتقبل قربانا من الغزلان حمله إليه رجلان أحدهما يسمى «منتوحتب» ، وترى اثنين من حاشيته يركعان خلفه (Petrie, ibid 359) وقد خلد ذكر هـذا الملك فى نقش يقع بين نقوش رجال البلاط واللوحة الأولى حيث يوجد اسمه على لوحة سقطت من الصخر وعليها «حور سعنخ» وهى مقلوبة الآن . ولهذا الملك نقش ثالث على قطعة منفصلة من الصخر الرملى فى الجانب الجنوبى لمدخل الوادى (Sayce, ibid p. 171) وتقرأ : ملك الوجهين القبلى والبحرى «سعنخ كارع» المحبوب من «حور» و«سبك» رب «خارو» الذى خدم حور (الملك) منذ شبابه : الكاهن المطهر « إنى » أو يحتمل « انتفى » ويمكن أن تستنبط مما سبق أن معظم أسماء الأفراد التى عثر عليها فى الوادى تقريبا كلها من هذا العصر فنجد بينها تسعة باسم «منتوحتب» وسبعة باسم «خيتى» وأربعة باسم «انتف» وثلاثة باسم « منتو أوى » (Petrie, ibid No. 464, 465, 467) وكلها أسماء خاصـة يتميز بها العصر الأوّل من عهد الدولة الوسطى ؛ وبعض هؤلاء الذين كتبوا أسماءهم يمكن أن يكونوا من حاشية «نب حبت رع» ، وإذا كان الأمر كذلك فليسوا إذا من ذوى الحيثيات لأن أسماءهم كتبت بخط صغير بغير اعتناء على الصخر ، ولايبعد أن يكونوا

من هـؤلاء الزوّار الذين مروا بهـذا المكان بعد زيارة الفرعون له بسنين قلائل . ومما يلفت النظر بين هذه الأسماء شخص يدعى « مكتو » وكان يلقب حامل الخاتم كتب اسمه ثلاث مرات ، وربما كان الحافز له على ذلك رؤيته اسم سميه (مكت رع) حامل خاتم الوجه البحـرى (Petrie ibid No. 409. 475) . وفى خلال السـنين الأخيرة من ختام الدولة الوسطى كان يمرّ بهذا الوادى بعض الزوّار، ولكنهم كانوا قلائل فنجد بجوار اللوحة الثانية تاريخ السنة الثالثة من حكم « امنمحات الرابع » .

ومن عهد الأسرة الثالثة عشرة نجد نقشا باسم الملك « نفر حتب » وضعته أم الملك (كمى) (Petrie, ibid 479.) .

وبعـد عدّة سنين وقف أحد السياح وكتب تحت اللوحة الكبيرة اسم المـلك « سبك أم ساف » (Petrie, ibid No. 490.) .

وقد وجد كذلك نفس هذا الاسم « سبك أم ساف » فى هذا الوادى لكاتب لم يدوّنه « بترى » فى نقوشه ، وقد قصد هذا الوادى سياح من العصر الذى بين الأسرة الثالثة عشرة والأسرة الثامنة عشرة فعلى مسافة قريبة من اللوحة الصغيرة كتب بخط جميل المخنط ؟ « بام » ابن « رن ـ سنب » المرحومة ، وعلى مسافة قريبة نقشت أسمـاء جماعة كبيرة من الرجال والنساء . (Winlock A. J. S. L. Vol. LVII) (April 1940, p. 156 and Fig. 14.)

زوّار شط الرجال فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ــ وإذا كان أسمـاء زوّار « شط الرجال » فى العصر الإقطاعى قليلين فإنهـم كانوا أندر فى عهد الأسرة الثامنة عشرة رغم النشاط العظيم فى محاجر الحجر الرملى العظيمة القرب من هذا الوادى فى جبل السلسلة وفى أسفل النهر عنـد الحوش ، ومهما كان يأتى الزوّار القليلون للوادى ، فقـد عثر على نقش من عهد « امنحوتب الأوّل » (Petrie, ibid 480) وبعـد انقضاء جيل على ذلك نجد « بتباتى » المشرف على الأعمـال فى معبد آمون فى عهد المرحوم « امنحوتب » الأوّل والمرحوم « تحتمس الأوّل » والملك الحاكم

« تحتمس الثـانى » قد زار الوادى ونقش اسمه على الصخور التى على يمين اللوحة الكبيرة (Petrie, ibid 476) والظاهر أن « بتباتى » هذا قد قضى حياته فى المحاجر لأنه فى عصر الحكم المزدوج لكل من «حتشبسوت» و « تحتمس الثالث » قد جاء ثانية وترك اسمه عند رأس الوادى (Petrie, ibid, p. 14, No. 357) ؛ والواضح أن الزوّار كانوا يأتون إلى هـذه البقعة ليروا اللوحة الكبيرة ، ومن المحتمل جدّا أنهـم يحجون لاسم هذا الملك الذى أصبح مؤلها فقد كتب تحتها أحد الزوّار ما يأتى :

"زيارة قام بها الكاتب « أب » ليرى الآثار" .

شط الرجال لم يستعمل محجرا — ومن كل ماسبق يتضح أن « شـط الرجال » كان مقصد الزوّار فى عهد أواخر الأسرة الحـادية عشرة ، ومن المحتمل فى أوائل الأسرة الثانية عشرة . وبعد قرن أو قرنين من ذلك العهد كان بعض السابلة ينقش إسمه عليه اعتباطا أو مصادفة ، ولكن فى عهد الأسرة الثامنة عشرة كان زوّار هذا الوادى منحصرين فى رجال المحاجر القريبـة من شط الرجال وكانوا متفرجين على الآثار فحسب ، وعلى ذلك يمكن القول بأن شط الرجال لم يكن قـط يوما ما محجرا رغم أن سايس (Sayce, ibid 171) قد ذكر أنه وجد نقوشا من عهد الأسرة الحادية عشرة لموظفين وعمال قد أتوا ليبحثوا عن أحجـار فى هضبة فوق شط الرجال ، ولكن البحوث تدل على أن أحجار مبانى الأسرة الحادية عشرة المأخوذة من الحجر الرملى كانت من النـوع الأزرق والأرجوانى الرمادى كالتى توجد فى « أسوان » وليس من بينها النوع المـائل للصفرة الذى يوجد فى محاجر السلسلة وعلى هذا تكون النقوش التى يشير إليها « سايس » ليست لعمال محاجر أو كانت من عهد غير عهد الأسرة الحـادية عشرة . وليس فى شط الرجال أثر لمحـاجر أكثر من ثلاثة أحجار من الحجر الرملى فى الوادى ، ولابدّ أنها قطعت فى عهد الدولة الحديثة . وسنرى بعد سر الشهرة التى خلقت بجاءة لهذه البقعة ، وبعد اتحاد البلاد بفترة قصيرة فى عهد الأسرة الحادية عشرة ، والتى أصبحت فى زوايا النسيان بعد بضعة أجيال .

والواقـع أن المسافر الصاعد فى النيل قبل أن يصـل إلى شط الرجال يجـد نفسه قد دخل فى الأقطار النوبية الصبغة ، ويلاحظ حتى يومنا أن البيوت فى «الكاب» التى تبعد نحو ٦٠ كيلو مترا فيها ذكريات البيوت النوبية . هذا إلى أن اللغـة النوبية متداولة فى « دراو » التى تبعـد نحو ٢٥ كيلو مترا جنوبى جبل السلسلة . وهـذا المضيق لم يكن قط عقبة للـلاحة كالشلالات التى فى جنوبه ، ولكن كانت هناك منحدرات وعقبات كان يضطر معها الملاحون أن يجروا السفن للخروج من المضيق وبخاصة فى زمن التحاريق ، وحتى اليـوم لا تزال هنالك بعض شـعاب وأماكن ضحضاحة . وعنـد « كوم امبو » يوجد منحنى فى النيل صعب اجتيازه بدون ريح رخاء ، ولانزاع فى أنه منذ أربعة آلاف سنة لم يكن النيل قد اختط لنفسه مجرى عميقا فى وسط التلال كما هو الحال اليوم ، ولابدّ أن سفن الدولة الوسطى كانت تجد مشقة فى اجتياز هذا المضيق ، وإذا كانت الألواح والنقوش التى فى شط الرجال هى نصب تذكارية كما يظهر منها — والواقـع أنها كذلك — عملت لزيارة الملك « منتو حتب » وحاشيته فى هذه البقعة . فإنه يمكننا أن نفهم فى الحال السبب الذى من أجله حط الفرعون رحاله هنا إذا فرضنا أنه صعد فى النهر من عاصمة ملكه « طيبة » ، فقد كان عند وصوله إلى هذا المكان قد اجتاز حدود مصر ، وكانت المسافة التالية من النهر صعبة الملاحة ، ولهـذا السبب بلا شك كان قد ضرب موعدا عند جنادل جبل السلسلة حيث كان الأمير « انتف » وحامل الخاتم « خيتى » ينتظران المثول بين يدى الملك .

ولمـا كان الراجح أنهما لم يكلفا الهيمنة على بعثـة فى جوار جبـل السلسلة فلا نستطيع القول بأنهما كانا فى مكان آخر بعيدا عن هـذه البقعة وأنهما كانا عائدين ليقدّما تقريرهما عن بعثتهما ، وإذا فرضـنا أنهما قد حضرا بطريق النهر فى السفن النيلية فإن المعقول أنهما يتشرفان بالمقابلة عند شاطئ النهر . وفى هذه الحالة كانت النقوش التذكارية لابد تحت على بعض الصخور المطلة على النهر حتى يمكن رؤيتها

من النيل . ولكن النقوش التى لدينا كلها فى وادى (شط الرجال) بعيدة عن النهر ولا يمكن رؤيتهـا منه ومن هنا يصعب على الإنسان أن يعتـبرها تسجيلا لرحلات نهـــرية .

الغرض من نقوش شط الرجال ـــ وعلى ذلك يمكن تفسير نقوش وادى (شط الرجال) الخاصة بالملك « منتوحتب » وحاشيته بأنها تسجل قافلة صحراوية كالتى قام بها « حرخوف » و « بيبى نخت » و « سبنى » فى عهد الدولة القـديمة (راجع مصر القـديمة جزء أوّل ص ٣٨٧ ـ ٣٩٤) أما الواحات فلم يكن لها أهمية تذكر ليذهب إليها الأمير وحامل الخاتم ، وإذا كانت قد أرسلت فعلا بعثة إلى هذه الجهات فإن المعقول أن يسلك رجالها الطريق السهل القصـير من بلدة « هو » . وعلى ذلك يكون من المحتمل جدا أن تكون البعثة عائدة بطريق واحة كركور .

ومما لا نزاع فيه أنه فى أوائل حكم هـذا الملك فى سـنة ضرب الأراضى الأجنبية ... ... فى عهد «نب — حبت — رع» قام الملك « منتو حتب » بحملة بنفسه بين الشلال «وكلبشه» حسبما جاء فى نقوش «دهميت» التى نقشها «ثيهامو» وكان ضمن رجال الجيش المصرى فى ذلك العهد[1] :

(Weigall, "Antiquities of Lower Nubia, p. 61. Pl. XIX & Roeder, Debod bis Kalabsche 280 ff Pls. 106-8).

قبل سنة ٣٩ ؛ ورغم أنه ليست هناك نقوش تثبت ذلك فإننا نظن أن أعالى النهر على الأقـل حتى وادى حلفا قد اعترفت بسـلطان ملك مصر ، ومن المحتمل أن « انتف » و « خيتى » قـد قاما برحلتهما لتفقـد أحوال الأقاليم التى أخضعت حوالى ٢٠٢٠ ق . م ؛ وإنه لمن الأمور المغـرية التى يحيطها الشـك الكبير أن يرى الإنسان وثائق عن رحلة قام بهـا « انتف » إلى بلاد النـوبة فى ثلاثة عشر

(١) قد ذكر سايس فى نقش لم ينشر عند الشلال الثانى يجيز فيه وقوع ملحمة بين المصريين فى عهـد الأسرة الحاديه عشرة وبين الأهالى المحليين .

(Sayce, P. S. B. A. XXXII (1910) 202).

نقشا تقع على مسافات متقاربة على طول شاطئ النيـل من كلبشه حتى أبو سنبل ذكر فيها : «حورسنفر — تاوى — اف» السيدتان «تاوى — اف حور الذهبى» « نفر » ملك الوجهين القبلى والبحرى « كع — كا — رع إن » سلالة رع أبديا
(Roeder, ibid, 456, 458, & Weiga ll, ibid, Pl. XXXIV. LII, LIV, LXII, LXIV. LXV, p. 138).

وكان يسمى فى العادة «انتف» وإن كان اسمه لم يكتب قط بهذه الكيفية . ولا شـك فى أن اسمه الحورى من طراز « سعنخ تاوى — اف » وهو الاسم الحورى للملك «سعنخ كارع» (منتوحتب الثالث) كما أن النقش الذى يشمل كتابة اللقب « ابن الشمس » فى داخل خرطوش هو على وجه عام يمثل نفس الحـالة المتبعة فى عهد الأسرة الحادية عشرة . وليس هناك اتفاق بين علماء الآثار على توحيد شخصيته ، فنجد الأستاذ « مير » (Meyer, ibid 277) يقتبس من ” جوتييه “ و يعتبره حاكما نوبيـا محليا ، وقد ذكر كل من « دريتون » و « فنديبه » حديثـا
(Droiton, Les Peuples de l'Orient Mediterranéen II. l'Egypte.)
أنه ملك نوبى مسـتقل معاصر لملوك الأسرة الحادية عشرة أو يحتمل قبل ذلك . و يعتـبره بورخاردت (Borchardt ibid, p. 23 No. 114) أنه ملك مصرى جاء فى النصف الأول من عهـد الأسرة الحـادية عشرة ، وقد اعترض على هـذه الآراء « ونلك » (A. J. S. L. XXX (1915) 6 No. 3) قائلا : إن خرطوشيه يدلان على أنه لا بدّ قد أتى بعد «منتو حتب الأوّل» ، ولا شـك فى أن رحلتهما كانت آخر رحلة مثل التى كانت ترسل فى عهد الدولة القديمة . وانتهاؤها عند شط الرجال يمكن تفسيره بأن الرحلة من هناك نحو طيبة كانت قصيرة وسهلة لا يعترضها شلالات أو جنادل .

بعض آثار من عهد الملك منتوحتب الثانى — وبعد الرحلة التى قام بها هذا الفرعون إلى « شط الرجال» نجـد منقوشا على صخور أسوان : السنة الواحدة والأربعون فى عهد «نب حبت رع» أتى حامل خاتم الملك و رئيس الخزانة خيتى

[الذى وضعته « ست رع » المبرأة] ، إلى « واوات » بسفن ... ... ونجد كذلك نقشا آخر يقول : السنة الواحدة والأربعون فى عهـد ملك الوجه القبـلى والوجه البحرى « نب حبت رع » عاش مثـل رع مخلدا ، لقـد كنت مراقبا فى مقاطعة عين شمس الشرقية وموضع ثقة مليكى فى العرابة ، الحاكم «مرى — ثنى» :

(Petrie, Season Pl. VIII. Nos. 213, 243 : Maspero, ibid p. 462; Breasted, A. R, 1, Par. 426, Deir el Bahari p. 117)

ثم بعد ذلك بخمسـة أعوام مات حامل الخاتم « مرو » فى السـنة السادسة والأربعين من عهد هـذا الفرعون (Lanzone, Catalogo p. 117. Farina II Regio Museo di Torino, p. 13. Pl. 40.)

الذى كان بدوره طاعنا فى السنّ وقتئذ ، وبعد انقضاء خمسة أعوام قضى الفرعون نحبه و ” ذهب إلى الأفق “ .

ولسوء الحظ ليس لدينا تفاصيل عن الحروب التى دارت على أطراف الدلتـا مع الأقـوام المعادين من « العامو » و « المنتو » ومن المحتمل أن اللوبيـين كانوا يناصرونهم فى تلك الحروب :

(Naville, ibid I. 5 Pl. XIV : Petrie, History I p. 141,)

على أنه حتى فى الأمور الداخلية التى لهـا اتصال وثيق بحالة البلاد الاجتماعية ليست لدينا معلومات ذات شأن إلا نتفا ضئيلة نعثر عليها الفينة بعد الفينة فمثلا نقرأ على لوحة فى متحف «نيو يورك» :

(M. M. A. 14. 2. 7. & Winlock, A. J. S. L. 1915 p. 15 No. 2.)

أن موظفا يدعى «ماعت» يشير إلى أن صديق الملك ومدير ماليته «بى» هو الذى ستئول إليه أملاكى ، ولابدّ أن «ماعت» هذا قد وصى بأملاكه له ، ومن المحتمل أن «بى» هذا هو الرجل الذى نسمع عنه فى تاريخ متأخر عن هذا وهو الذى أصبح وزيرا كما نشاهد ذلك فى نقوش معبد الدير البحرى :

(Davies, Five Theban Tombs, p. 39)

ولدينا عدّة لوحات جنازية عن عصر هذا الفرعون ولكنا لا نستطيع أن نحدّد لها تواريخ معينة، ومن أهم هذه اللوحات وأقربها عهدا إلى العصر الثانى لحكم هذا الفرعون أى وقت أن انتحل لنفسه ألقابه الجديدة، ثلاث لوحات تحمل اسم «انتف» بن «مايت» الذى كان يلقب بالأمير والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى، وتوجد واحدة من هذه اللوحات بكل من لندن وبرلين وكوبنهاجن، فالأولى منها قد أحصى فيها ملكيته .

(Peet, "Liverpool Annals Archaeology 1914 – 1915 p. 82 & Winlock, A. J. S. L. 1915 p. 5, 18)

ويقول فيها : "هذا كل ما أمتلك أصلا وما أكسبنيه «نب — حبت — رع» لأنه كان يحبنى حبا عظيما" وهو يلتمس فى نقوشها خبزا نقيا فى معبد «منتو» وموائد قربان فى معبد «أوزير» ثم يتلو علينا شروط عقد أبرم مع الكاهنين «نختيو» (nekhtui) و«انتف» للاعتناء بروحه .

أما اللوحتان الأخريان فتذكران كيف أنه وجد المزار الجنازى لمقبرة الحاكم «نختى أقر» ويحتمل أن يكون قبره قد خرب ... ... وليس هنالك من يفكر فى شأنه وعلى ذلك يقول: "أمرت ببنائه من جديد... ...حتى يصبح اسمى طيبا على الأرض وذكراى حسنة فى القبر" .

لوحتا «خيتى» — وتوجد كذلك لوحتان أخريان لم يدوّن عليهما تاريخ وهما لموظف يدعى «خيتى» وقد عاش فى حكم ملك يدعى «منتو حتب» ولا شك فى أن المقصود هنا هو«نب حبت رع»، (Gardiner J. E. A. 1917 p. 28 ff.)

وتمتاز واحدة منهما بما جاء فيها من الأسماء الجغرافية الجديدة التى ذكرت عليها وبأنواع المعادن التى جلبها معه الفرعون على أن الغريب فى ذلك أن من يقرأ محتويات هذه اللوحة لا يشعر بأن «خيتى» هذا قد تجاوز فى رحلته هذه حدود شبه جزيرة سينا وهاك النص الذى جاء بعد الصيغة الدينية المعتادة يقول فيها :

لقد كنت حامل خاتم الإله[١] (أرسلت) لأجل أن أضعف قوة البلاد الأجنبية، وعند ما كنت فى إقليم المعادن فحصته وبحثت حول أقاليم «ثنهت» (Thenhet) وعند ما كنت فى بيوت «رجل» الشمال ختمت خزائنه التى فى جبل «بيت حور فى مدرج الفيروز» بعد أن أخذت فيروزا من منجم «برشمع» وقد حاولت كرة أخرى فى منجم آخر يسمى منجم ... وهو منجم قد عمل لحور (الملك) نفسه، ولما كنت قد خرجت فى هذه البعثة بأمر سيدى هذا فانى فعلت ما أراده، ولقد كنت مبعوثه والمماثل لقلبه وصورة صدره، ولقد أدّيت له ما أراد كأن ما فعل كان للاله نفسه — ولقد عاقبت الأسيو يين فى بلادهم، ولقد كان الخوف منه هو الذى نشر هيبتى، ونفوذه هو الذى بث الرعب منى، حتى أن البلاد التى وصلت إليها صاحت قائلة: مرحى مرحى بقوّته، إن حبه هو الذى جعل الأرضين تحدان له والآلهة تسعد زمنه. وعدت فى سلام إلى قصره وأحضرت له طرائف البلاد الأجنبية من معدن جديد من «بات» ومعدن لماع من «إهو ياو» ومعدن صلب من «منكاو» وفيروز «حروتت» ولازورد «تفررت» ومعدن «ساهرت» من فوق الجبال «وخت عوا» من جبال مستيو، ورنتش من «باوق» من الأرض الحمراء، وعصى؟ من «رشاوت» ومزمت من «كهبو».

ومن ذلك نستخلص أن هذا الموظف الكبير (إذا كان كل ما قاله صحيحا) يعتبر من أعظم المبعوثين الذين ذهبوا إلى «سينا» وتوغلوا فى مختلف مجاهلها ومهدوا الطريق لجعلها تحت سلطان مصر فى عهد الدولة الوسطى وما بعدها، ومن جهة أخرى تكشف لنا هذه اللوحة عن أسماء أماكن فيها وأسماء معادن لا زلنا نجهلها تماما.

أما اللوحة الثانية لهذا الموظف فليس فيها ما يلفت النظر غير أن «خيتى» كان يشغل وظيفة بحرية ربما كانت خاصة بالنقل.

(١) هذا اللقب كان يعطاه غالبا كبار الموظفين الذين يشتركون فى الرحلات الخاصة بالبحث عن الأحجار الثمينة وغيرها مما يؤتى به من البلاد النائية.

هذا ولدينا عدد من الآثار المختلفة الأنواع قد نقش عليها اسم «منتوحتب» وكل الدلائل تشير إلى أنها للفرعون « نب — حبت — رع » « منتوحتب » الذى نحن بصدده، فمنها قطعة من الحجر الجيرى كانت فى « برلين» منذ ستين سنة مضت ، وقطعة من الحجر الجيرى الملون فى «ميرامار» (Miramar) بالقرب من تريستة ورأس تمثال فى متحف الفاتيكان (Wiedemann, Agyptische Geschichte p. 229.) وكذلك عثر على جزء من لوحة لموظف يدعى «أنتف نخت» فى جبانة أمراء الأسرة الحادية عشرة فى « طيبة » الغربيـة . ويحتمل جدا أنهـا من عهـد هذا الملك وقد ذكر فى نقوشها « بيت خيتى » الذى حاربه الطيبيون مدة طويلة .

مبانى هـذا الفرعون فى « طود » — وتدل الآثار الباقيـة على أن هـذا الفرعون (A. S. (1907) p. 244) كان سخيا فى إنشاء مبانٍ عدّة بعد أن ملك البلاد من أقطارها ، ويلاحظ أن معظم هذه المبانى كانت فى الصعيد موطنه الأصلى وليس هـذا بالأمر المستغرب ، (ولا يبعد أنه أقام مبانى عدّة أيضـا فى الوجه البحرى قضت عليها يد التدمير ومياه النيـل كما قضت على معظم الآثار الأخرى التى تنسب إلى غير هذا العصر فى تلك الجهة) . ففى بلدة « طود » الصغيرة التى تقع على ما يقرب من ثلاثين كيلو مترا على شاطئ النيـل الشرقى جنوبى « طيبه » كان قـد أقيم معبد صـغير من اللبن وعمده من الجرانيت « لثورمنتو » ويرجـع تاريخه على أقل تقدير للأسرة الخامسة . فلمـا تولى « نب حبت رع » أعاد بناء هذا المعبد المتهدم للاله « منتو » الذى كان يمثل رأسه برأس صقر ولزوجه «تننت» وقد كانت مساحته ١٧ × ٢٣ مترا وجدرانه من الحجـر الرملى والحجر الجيرى ووضع فيه تمثال من الجرانيت . وقد نقش على عمده المؤلف كل منها من قطعة واحدة : "ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «نب حبت رع» محبوب « منتو » رب طود" وبنفس الطريقة كتب ابن الشمس « منتوحتب » وكان سقف هـذا المعبد من الحجر الرملى وقـد نقش كذلك على ثلاثة من إطارات الأبواب سطران أو ثلاثة من

من الكتابة على قمها وعلى عمودين فى أسفل مصاريع الأبواب ، أما جدران المعبد فقد نقش عليها مناظر تمثل الفرعون واقفا أمام الإله « منتو » والإلهة «ساتت» ثم الإلهة «نخبت» والإلهة نيت ربة «سايس» وأحيانا تمثل الإله «منتو» وزوجه تننت يتوجان « نب حبت رع » ملك الوجه القبلى . وأهم منظر فى هذا المعبد الصغير هو الذى يظهر فيه « نب حبت رع » وأجداده الثلاثة من الأناتفة وهم يقدمون قربانا للإله المحلى « منتو » وهذه النقوش كلها يظهر فيها القوة والخشونة معا وليس ذلك لأنها قد مثلت فى معبد صغير مثل معبد بلدة طود الصغيرة بل الواقع أن هذا يرجع إلى فن العصر وأسلوبه الذى ينم عن القوة والخشونة كما سنرى بعد :

(F. Bisson de la Roque, ibid pp. 1, 10, 14, 25, 62, 79.)

آثاره فى « طيبة » — أما فى مدينة «طيبة» فكان يوجد معبد للإله « منتو » ومعبد للإله « أوزير » ومن المحتمل أنهما كان قائمين على موقع المحراب الحالى الصغير فى الجنوب الشرقى من معبد (Winlock, A. J. S. L. (1915) p. 522) منتو ، غير أنه لا يوجد أى أثر منهما الآن . وقد عثر « فى طيبة » على مائدة قربان غاية فى خشونة الصنعة قدمها الفرعون « نب حبت رع » إلى « رب العرابة »

(A. Kamal, Tables d'Offrandes No. 23007)

هذا إلى مذبح آخر رسم عليه صورتان لإله النيل يقدمان القربان ونقش عليه : حور موحد الأرضين « نب حبت رع » بن الشمس « منتوحتب » .

(Chabas, in Congrés Oriental St. Etienne II, 78.)

وهذه الندرة فى آثار هذا العهد فى مدينة « طيبة » يرجع سببها طبعا إلى تكرار تجديد معبدى الإله « منتو » والإله « أوزير » ولذلك فإن أقدم آثار لها تنسب إلى قرون بعد هذا العهد الذى نبحث فيه فمعبد «آمون» لا يمكن أن يكون قد ظهر فى عالم الوجود بناء متقنا إلا بعد عهد « أمنمحات » الأول وهو الإله الذى كان قد احتل مكانه « منتو » فى الأسرة الثانية عشرة .

آثاره فى بلدة (دير البـــلاص) ـــ وفى الموقع الذى تقوم عليـــه قرية دير البلاص الواقعة على الشاطئ الغربى للنيل قبالة قفط تقريبـا يحتمل أنه كانت توجد هناك بلدة صـغيرة يحترف أهلها صناعة الفخار منــذ عهد الدولة القديمــة ، وكان أهلها على ما يظهر فى فقــر مدقع وليس فى مقدورهــم أن ينفقوا على نحاتين أو مثالين من أصحاب الكفايات . ولذلك يحتمل أنه قد وفــد عليهم مفتنون من غير أهل قريتهم أرسلوا بخاصة لبناء هيكل ولينحتوا نقشا للملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نب حبت رع » وهو يقدّم قربانا لبعض الآلهة :

(Lutz, Egyptian Tomb Steles, Pl. 32)

مقابر هـــذا العصر ـــ ومما هو جدير بالملاحظة هنا أنه قــد عثر على طول المنحنى العظيم للنهر عنــد دندره عند الحدّ الفاصــل بين الشمال والجنوب على مقابر للقوم من هــذا العصر ، وقد كانت طريقة دفن الأهلين فيهـا كما كانوا يدفنون منذ قرون من قبــل (Petrie, Denderah p. 10.) فلم يتغير طراز مقابرهم من أجيــال عدّة ، بل كانوا يقيمون مصاطب من اللبن مستطيلة الشكل وأمام كل منها «مركن» للقربان أو يقيمون فيهـا حجرات ضيقة جدا كانت تسقف باللبن على هيئة قباب وكل شيء فى هذه المقابر حتى أسماء الذين دفنوا فيها يدل على أنهم من هذا العهد إذ نجد من بينها «بپى» و «انتف» و «انتف عا» و «أنتف أقر» و «منتوحتب» .

وقد عثر هنا على قطعة حجــر نقش عليها اسم « سعنخ اب تاوى » منتوحتب الأول . وكذلك وجدت قطعة أخرى مــن أثر قــديم للملك « نب حبت رع » منتوحتب الثانى .

هذا وقد عثر المسمدون على أسطوانة كانت تستعمل خاتما منقوشة نقشا عتيقا فقد دوّن عليها اسما «ملك الوجه القبلى والوجه البحرى» «نب حبت رع» والإلهة « حتحور » .

آثاره فى العرابة المدفونة ـــ أما فى العــرابة المدفونة التى حارب من أجلها ملوك هذه الأسرة حروبا طاحنة فقد وجد اسم هذا الفرعون مرات عدّة مما يدل على

احترامه وتقديسه لها ؛ ولذلك فإنه على أثر تقلده لقب حور موحد الأرضين أخذ يقيم فيها المبانى (Petrie, Abydos, II 14, 33, 43, Pls. XXIV, LIV)

وقد كان معبد أوزير الذى أقامه له الملك « ببى » منذ قرنين ونصف قرن من هذا العهد لا يزال فى حالة لا بأس بها لم تنله يد التخريب تماما ، فلما جاء « نب حبت رع » وضع على جانبى مدخل هـذا المعبد مائدتى قربان من الجرانيت الأحمر صناعتهما خشنة ، وأقام بدلا من بعض الجدران المقامة من اللبن أخرى من الحجر وكذلك أقام محرابا لتمثال الملك ، وبنى رواقا ذا عمد مختلفة أحجامها فى الصف نفسه ، هذا بالإضافة إلى حجرة زينت بمتون تدعو آلافا من كل المواد الغذائية لتمثال ملك الوجه القبلى والبحرى « نب حبت رع » ونقوش أخرى تعلن أن الملك « منتوحتب » هو الذى أقام هـذا ليكون أثره ، وقد وجد على جدران الحجرة كذلك صور الآلهة « وبوات » « وخنتى أمنتى » (أوزير) و « حور » « وخنوم » « وتحوت » « وأنحور » .

ولا بد للإنسان بعد « العرابة » من أن ينحدر فى النيل مسافة حتى يصل إلى « حتنوب » حيث يجد آثارا يمكن أن تنسب إلى عهد هـذا الفرعون على وجه التقريب إذ ليس لدينا برهان قاطع على أنها من عهد « نب حبت رع » .

وذلك لأنه لم يكن من المرغوب فيه أن يكتب أى إنسان (كما كان الحال فى كل مصر السفلى) اسم ملك من ملوك الجنوب ، استمر ذلك إلى ما بعد انتقال حكومة الأسرة الثانية عشرة إلى « إثتوى » (اللشت) أى فى عهد « امنمحات الأول » مؤسس الأسرة الثانية عشرة .

وقد حدث أننا نعرف فعلا أخ حاكم المقاطعة « نحوتى نخت الثانى » فى البرشه ، ومن المحتمل أن حاكم المقاطعة نفسه كان لا يزال على قيد الحياة فى السنة الواحدة والثلاثين من عهد « سنوسرت » الأول أى حوالى عام ١٩٥٠ ق . م . (Anthes, Hatnub p. 76; Baly J. E. A. (1932) p. 173)

ومنذ أربعة أجيال من هذا التاريخ إلى الوراء كان « نحرى » الأول قد تولى حكم المقاطعة (مقاطعة الأرنب) فإذا قدّرنا ربع قرن لكل جيل من الحكام . فإنا نجد ابنه « نحرى » هذا كان قد تسلم حكم مقاطعته فى عهد « نب حبت رع » أى حوالى ٢٠٥٠ ق . م . ولا نعلم من كان يعمل فى هذه المحاجر قبل ذلك العهد غير أننا نعلم أن الفراعنة أنفسهم فى معظم الأحوال هم الذين يأخذون منها لمبانيهم .

ولا يدهشنا ألا نجد أثرا لمعبد قائم فى هذه العاصمة العظيمة قبل الأسرة الثانية عشرة فإن الفاتحين من أهل الجنوب قد خربوا كل شىء فى المدينة عند ما سقطت فى أيديهم وعند ما أراد خلف «امنمحات الأول» بناء معابد لآلهتهم اختاروا لها أماكن أخرى مختلفة (Petrie Ehnasya p. 3 Pl. IV) .

إقامة المعبد الجنازى بالدير البحرى

شرع الملك « نب حبت رع » قبل توحيد الأرضين فى بناء معبده الجنازى فى سفح الصخور الواقعة فى « طيبة » الغربية . وقد كان فى عزمه أن يتسع فى عمارته ليكون أعظم معبد قام ببنائه واحد من أسرته غير أنه إلى وقت فتحه للدلتا والاستيلاء عليها لم يكن أقام فى بناء هذا المعبد إلا جدارا عظيما أمام ردهته وشيد ستة محاريب فوق المقابر الست التى نحتت لنسائه، ولكنه بعد فتح الدلتا أحدث تغييرات أساسية فى تصميم هذا المعبد، وهذه التغييرات لم ينقطع معينها مدة الأربعين عاما التالية من حكمه .

وقد كان أول عمل وجه نظره إليه هو أن يبنى طريقا عرضه نحو ٧٠ ذراعا من المعبد الى الأرض المنزرعة يبتدئ من فتحة تركت فى الجهة الشرقية الأصلية من جدار ردهة المعبد، وبعد أن تم تمهيد هذا الشارع أحيط بجدار حجرى من كلا جانبيه ليضارع الجدران التى حول الردهة العليا ثم رصف باللبن وغطى بملاط من الطين (Winlock, Deir el Bahari pp. 9, 72, 203) ويلاحظ أن الطرق المسقوفة

التى كانت تستعمل فى مثل هـذه الأحوال فى معابد الدولة القديمة فى سقارة مثل طريق «وناس» المسقوف لم يتردد صداها فى طيبة وطرقها الخاصة بالمعابد، وعند موقع المعبد كان الوادى الصحراوى يسوّى سطحه كما كانت الأماكن الجبلية تقطع وبعد ذلك المستويات كان يحفر نحو اثنى عشر ثغرة على خط واحد بمثابة علامة تبين محور المعبد وكان يوضع فى كل ثغرة أرغفة ثلاثية الشكل (ibid p. 101)، وبعد ذلك كان يذبح ثور لروح «نب حبت رع» على مسافة عشر خطوات شمالى هـذا الخط، ومن المحتمل كذلك أن هـذه العمليه كانت تكرر على بعـد المسافة السابقة جنوبا، والخط الذى أسس محورا يكون زوايا قائمة مع الجدار المؤلف من الصخور المنفصلة التى يجوز أن تكون قـد دفنت فى وقتها، وبعد أن عملت هـذه الأشياء لتقدّس المكان وتباركه غابت عن ذاكرة كل إنسان بعد تركها فى مكانها، ولما كان الجدار الشرقى للردهة قد دفن على عمق بعيد، فإنه قد بنى جدار آخر على بعد أكثر من ٤٠ مترا غربا عند طرفها الجنوبى غير أنه ينتهى تقريبا عند نفس النقطة التى ينتهى عندها الجدار الأصلى فى نهايته من جهة الشمال .

وبعـد ذلك عمل تصميم مستوى السطح على هيئة درقة عظيمة عرضه عند القاعدة ٤٥٠ مترا، ثم سور بجدار من الأحجار الخشنة يرتكز على حفر كانت تعمل فى الصحراء وفى داخل هـذا السور حفر خندق لإقامة حائط من الحجر الجيرى الأبيض وقاعدته من الحجر الرملى . ولقد أصبح من المستحيل علينا أن نعرف مدى امتداد هذا الحائط ولكننا وجدنا بعض أحجاره فى مكانها لا تزال علامات النشر عليها مما يدل على أن هـذا الحائط قد أقيم بعضه ويلاحظ أنها قـد أزيلت كلية فيما بعد فى خلال حكم هذا الفرعون .

ولا نزاع فى أنه عند هـذه المرحلة من عمليات البنـاء بدأ يظهر نهائيا تصميم الرصيف الذى أقيم عليـه مقابر الأميرات الست . فقـد وضعت ودائع قربان الأساس فى الردهة السفلية فى أركانها الأربعة، وقد ابتدئ بالركن الشمالى، وعند

ما كان واضعــو قربان الأساس يمرّون بالركن الشمالى الشرقى لوحظ أن واحدا منهم وطئت قدمه عفــوا بعض اللبنات التى كانت لا تزال لينــة ، وقــد كانت هــذه النقطه تحتوى على عينات من المواد التى هيئت لبنــاء المعبد ، وكذلك قــد لوحــظ فى الركن الجنوبى الغــربى أن الطين الذى تخلف من صــنع اللبنات قد كوّم فى الثغرة التى فيهــا طعام القربان فوق الأوساخ التى كانت قــد وضعت من قبل ، وبعــد ذلك جاء دور الحجارين ليقيموا كسوة من الأحجار حول الرصيف ثم جاء غيرهم ليبنوا الردهــة التى أمام الرصــيف بأحجار كتب عليها بالمداد : بيت «الكا» (Naville, ibid I, 19 n) وبعد الفراغ من هذا أقيم حائط من اللبن حول الحائط المصنوع من الحجر وبنفس ارتفاعه ، وقد غطى بطبقة من الجير ، وخلف ذلك أقيم حائط آخر أقل ارتفاعا ، وعلى كل هذه الحوائط قد أقيمت على خطوط مستقيمة فى المكان الذى كان يرغب أن يقام فيــه حائط محنى من الحجر وقد نقش على كل من الباب الخلفى الذى أقيم فى شمال الردهة وفى جنوبها ألقاب الفرعون الخمسة وبطبيعة الحال كان الباب الرئيسى الذى أقيم فى البوّابة السميكة المقامة فى الشرق قد زُيّن بمثل هــذه النقوش .

أما فى داخل الردهة نفسها فإن سطحها مهــد على شكل مدرّجات ، وأخيرا غرست أشجار الجمــيز أربع على كل جانب من جانبى الطريق فى حفر ملئت بغرين النيل ، وخلف شجر الجميز زرعت أشجار الخروب وقد كان زرعها بمناسبة الاحتفال بعيد « سد » أو العيــد الثلاثينى للفرعون « نب حبت رع » ومن المحتمل أن شجر الخروب لم يزرع فى الوقت نفسه الذى زرعت فيه أشجار الجميز ويحتمل أنها زرعت بعد دفن الفرعون (Winlock, Deir el Bahari, pp. 49.) 72, Pls. 2. 5.)

وكان المعبد ذاته يسمى « اخت أسوت » أى المساكن الممتازة أو كان يسمى مساكن «نب حبت رع» الممتازة (Maspero, ibid p, 482; Lange und Schafer, "Grab und Denkstein, No. 20088 & Naville ibid I, 10.)

و إذا أنعم الإنسان النظر فى هـذا المعبد وتصميمه بعد الانتهاء من إقامته يجد أنه قد حدث فيه عدّة تغييرات .(Naville, ibid I, 27 ff & Vol. II, Pls. 1. XXI. XXIII; Bonnet, A. Z. 1925 p. 40)

ففى النهاية نلاحظ وجود مساحة غير مسقوفة تبلغ نحو ٥ أمتـار عرضا فوق الرصيف الذى على جانبه الشمالى . و بعد ذلك نجد المعبد نفسه ، والظاهر أنه قد أقيم هرم أمام المحاريب التى كانت قـد بنيت من قبـل لنساء الفرعون فى وسـط غابة من الدعامات والأعمـدة الثمينة الشكل كما ذكرنا ، (انظر شكل رقم ٢) وقد وجدنا فى ورقة « أبوت » اقتباسا يدل على أن هرم الملك « نب حبت رع بن الشمس منتو حتب » الذى فى « جسر» (المكان العـالى أى الجبانة) وجد سليما (Peet, Tomb Robberies p. 39) و بدهى أن هذا الهرم لم يكن فى الحسبان إقامته اقتصادا لولا أنه كانت توجد صخرة طبعية اتخذت نواة وشكلت بشكل هرمى ثم بنيت بالحجر ، ومن المحتمل أنه قد عمل تصميم حجرة فى داخل هذا الهرم مثل التى نحتت بجدّه « واح عنخ » غير أن هذا التصميم لم ينفذ قط .

ومن المحتمل أن السور السميك الذى أقيم حول قاعة العمد العليا التى يشرف من فوق سطحها الهرم كانت فى بادئ الأمر مقصورة غير أن التصميم الأخير قد اتخـذ منها قاعدة محاطة بعمد من كل جهاتها، وفى الغرب قاعة عمـد مسقوفة أخرى خلف هـذه . أما المدخل الذى كان يؤدّى إلى المبنى الأخير فكان موضعه الجدار الخلفى ، وقد كانت رقعة هـذه الأجزاء الحديثة فى المعبد من الحجر الجيرى والجدران من الحجر الرملى اللهم إلا الغطاء الذى حول المذبح فى الخلف فإنه كان قد نقش نقشا جميلا ، ومن المحتمل أن الكوّة الصغيرة التى فى نهاية المعبد كانت قد صنعت خاصة لتمثال الفرعون، ويجب أن لاننسى هنا أن اللورد « دفرين » قد قام بحفائر بالقرب من هذا المكان . ويقال إن من بين القطع التى فى مجموعته تمثال للملك « نب حبت رع » (Naville, ibid II, 21, Pl. X.) ومن النقط الهامة التى تسترعى

الأنظار أن مرور الاحتفال بقارب آمون المقدّس كان يعرقله وجود الهرم فى وسط قاعة العمد المسقوفة علاوة على الطرق الضيقة التى تقع بين العمد وكذلك الأبواب الضيقة. وفضلا عن ذلك فإنه (Winlock, A. J. S. L. 1941 p. 146) مما يلفت النظر أن المبنى كله كان غير صالح للاحتفالات وأن تصميمه كان يفتقر إلى مكان يوضع فيه القارب المقدّس. وفيما بعد أى عندما وضعت الأسرة الثانية عشرة النظام لج الإله عندما تسلم أمنمحات الأول مقاليد الحكم كان الدير البحرى مسرحا لهـذا الاحتفال، وقد كان « أمنمحات » متأثرا تأثرا عميقا بتصميم هذا المعبد ولذلك نجد أن هرمه فى اللشت قـد وضع على رصيف مقصورته الأصلية التى كانت عبارة عن مبنى صغير من اللبن فى أسفل جانب الهرم الشرقى .

أما ضريح هذا الفرعون فيظهر أنه فى بادئ الأمر قد شرع فى نحت تصميمه تحت الجدار الشمالى للردهة ، وقد وضعت فعلا لبنات لتعلم المدخل ولكن هـذا التصميم قد ألغى لسبب ما ، وعلى بعد عدّة أمتار جنوبا وشرقا نحت مدخل باب الحصان وله ممـرّ تحت الأرض وقد كان تصميمه يؤدّى إلى حجرة تحت الهرم على مسافة ١٤٠ مترا نحو الغرب .

وقد ذكرنا من قبل أن هذه المقبرة قدا استعملت لتمثال الملك فى عيد « سد » عام ٢٠٣١ق م. ومن ثم أخذ الفرعون ينحت لنفسه قبرا آخر مدخله فى قاعة عمد معبده (Naville, ibid, 4, 5, 18, 21. Pls. VII, XXI, XXII, XXIV; Vol III, pp. 24, 31 Pl. XIX.) وهنا يجد الإنسان ممرّا منزلقا طوله ١٥٠ مترا، ويلاحظ أنه مستقيم تمـاما . وينتهى بحجرة من الجرانيت ليوضع فيها التابوت وقد وجد « نافيـل » التابوت الذى لا يزال فى الحجرة خاليا وقد صنع من المرمر، ولم يجد شيئا فيه إلا بقايا نماذج قوارب ورءوس من الخشب تشبه الرءوس التى تكون عادة على غطاء أوانى الأحشاء، هذا إلى عصى مكسرة وصولجانات وأقواس مهشمة أيضا .

محتويات المعبد ـــ وقد كان يوجد فى داخل هذا المعبد نحو من ٢٣ مدفنا منها ثلاثة لم يكن قد تم صنعها بعد (Ibid I, 43, 47.pits 1. 6, 8) ومن بينها أربعة

لرجال واثنا عشر لنساء ويحتمل أن المدافن الباقية كانت لنساء أيضا وكان أحد هؤلاء الرجال يدعى « سى أعح » بن « رن ــ اقر » وقد وجد تمثاله «المجاوب» بالقرب من مدفنه فى الردهة المثلثة الشكل الواقعة جنوبا (Winlock, Deir el Bahari p. 56) وفى الردهة الشمالية المثلثة الشكل يوجد مدفنان لرجلين أحدهما فى مقتبل العمر، وقد لوحظ أن قصبتى رجليه منتفختان بصورة تسترعى النظر (Winlock, J. N. E. S. p. 274 (1943)) وحفرة رابعة كانت لموظف ماليــة يدعى « منتو حتب » ويسمى كذلك « بواى » ، وتوجد حجرة دفنه تحت محراب « حتحور » فى معبــد « حتشبوت » المجاور ، وقــد وجد معه قلادة من الخرز ولبــاس رأس مذهب ونعلان ومقبض مرآة ، ونموذج مخزن غلال ، ومصنع خبز ، ومجزرة ، وقاربان ، وأربع من حاملات القــرابين (Cairo Museum Livre d'entree Nos. 31342-51. 54; Naville, Archeological Report 1895-96 p. 3; XI. Dyn. Temple I. 14, 44; Lacau, Sarcophages Anterieur au Nouvel Empire; No. 28027.)

أما النســاء اللائى دفن داخل حدود المعبد فقــد نهبت مقــابرهن إلا واحدة عثر عليهــا « دارسى » وكانت مدفونة بلا شــك فى أقصى الركن الشمالى من الردهة المثلثة الشكل الشمالية وهــذه المقبرة كانت لحظية الفرعون « آمونت » وقــد وجد على جسمها وشم ، ويحلى جيــدها بالقلائد وقــد كتب على لفائفهــا « ملك الوجه القــبلى والبحــرى ابن الشمس « منتو حتب » وكذلك اسم ابنتــه « ادح » وزوجاته « منــت » Ment و « تننت » Tennet و « تم » Tem وكذلك تواريخ من السنة الثامنة والعشرين والخامسة والثلاثين والثانية والأربعين من حكمه ، وقد كانت كل من «آمونت» وحظية أخرى تسمى « آس » مرسومة فى نقوش معبده ومعهما أخريات من نوعهما (Daressy, "Recueil de Travaux (1893) p. 166; A. S. 1900 p. 141 No. 1. Sphinx XVII, p. 99 Lacau, ibid, No. 28025-26, Winlock, Deir el Bahari p. 85 & Naville, XI Dyn. Temple I, Pl XVII b, II, 6.) ويحتمل أن «تم» Tem كانت الملكة وقد دفنت فى أكبر المقابر التى حفرت فى أقصى الركــن الغربى من المعبــد حيث لا يزال

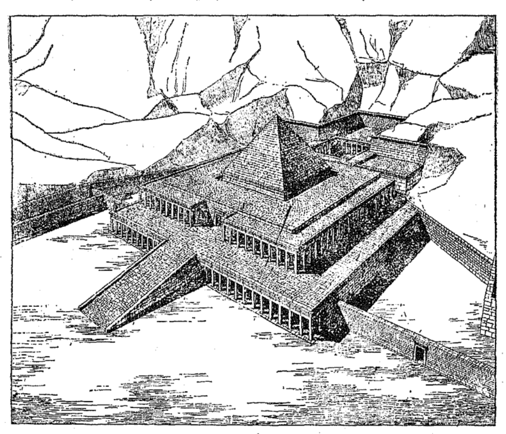
فى استطاعة الإنسان أن يرى تابوتها الضخم المصنوع من المرمر (Maspero Trois Annees de Fouilles, P. 134; Struggle of the Nations p. 240; N. 3; Naville, XI. Dyn. I, 51; II 3, 21 Pl. VIII.) ووجدنا فى قبرين امرأتين قد وشم كل جسميهما (Pits 23 & 26 (Winlock, Deir el Bahari pp. 74. 129.) وقد كان مع كل منهما وكذلك مع النسوة اللائى كن معهما نموذج قارب أو قار بين ومن المحتمل أنه كان معهما نماذج مخازن للغلال أيضا أو مخابز (Pits, 2, 3, 4, 5, 20, 22, 23, 26, 29; Naville, XI Dyn. I. p. 43 ff; III, 24 Pl. XX.)

ومن أغرب ما عثر عليه هنا قاعدة إناء من المرمر قد نقش على سطحه كله نسور وصقور مفرّغة، وقد عثر «نافيل» على جزء من هذا الإناء، أما الباقى فوجده «ونلك» وقد أهدى الإناء الى المتحف البريطانى (ibid I. p. 46)، وأحيانا كان يعثر على بقايا وجوه من الجبس، وكانت بعض المدافن تحتوى على توابيت من الحجر الجيرى أو قطع من التوابيت المصنوعة من الخشب (Pits, 4, 5, 20, 22, 26, 29) وفى حالة أو حالتين وجدنا عيدان قش من مكنسة سحرية كانت تكنس بها آثار أقدام من كان يوكل إليهم أمر الدفن (Pits, 21, 23, 27 & The Tombs of Wah and Hesem (Winlock, Deir Bahari p. 55, Pl. 14).

مقبرة الأميرة «نفرو» — وفضلا عن الأمير «انتف» الذى كان مدفونا خارج الردهة الشمالية كان يوجد عضو آخر من الأسرة المالكة قد حفر قبره فى الصخرة الشمالية قبل أن يقام أى جدار من الجدران المصنوعة من اللبن وهو «الأميرة» أكبر بنات الملك من جسده، زوج الملك المسماة «نفرو» التى وضعتها «اعح»، فلم تكن بنت الملك «سعنخ اب تاوى» وشقيقة «نب حبت رع» وحسب بل تزوّجت هذا الأخير أيضا (Newberry, A. Z. 1936 p. 120; Winlock, Deir el Bahari pp. 56, 87, 101 Fig. 8 Pls, 13-14). وفى شمال جدار الردهة المقامة من اللبن وعلى مقربة من وسطها أقيمت ردهة ضيقة لمقبرة لها ممر قصير مؤدّ الى مقصورة مربعة قد زينت بإتقان، ويوجد ممر خارج من الركن الشمالى لهذه المقصورة يؤدّى الى حجرة دفن كاذبة، ومن رقعة هذه الحجرة الأخيرة يتفرّع ممر سفلى يؤدّى الى باب على بعد ٤٠ مترا من السطح،

وخلف الحجر الرملى الضخم الذى يسدّ الباب حجرة الدفن وفيها التابوت ولم يعثر فيها إلا على نحو اثنى عشر تمثالا مجاوبين وهم مصنوعون من الشمع أو الطين فى توابيتهم ومغطون بأكفان من نسيج الكتّان .

وكذلك عثر على خيط منفرد من الخرز سقط من اللصوص وكانت الحجرة بعد ذلك خاوية تماما . ومن الجائز أن نجد اسم «نفرو» ثانية على لوحة مدير البيت « خنوم اردو » باسم آخرهو « نفروكايت » محبوبة الفرعون ، ووارثة الصعيد وبنت الملك وزوج الملك المحبوبة التى ورثت عن أمها ثروة طائلة مما جعلها سيدة القوم من الفنتين حتى «اشقاو» (افروديتو بوليس) ومن المحتمل أن «خنوم اردو» قد مات فى أوائل حكم « نب حبت رع» عند ما كانت «افروديتو بوليس» لا تزال الحدّ الشمالى لمملكة الجنوب ، أما الملكة نفسها فيجوز أنها قد عاشت بعد ذلك



شكل رقم ٧
معبد منتوحتب الثانى كما كان فى الأصل (رسم نافيل)

لتــدفن أخيرا فى قبرها الواقع خارج معبــد الملك مبــاشرة بالدير البحرى كما ذكرنا
(Griffith in Petrie Denderah p. 52, Pl. XV; Lange und Schafer ibid No. 20543; Newberry. P. S. B. A. 1913. p. 121 No. 20; and A. Z. 1936 p. 119.)

لوحة «خنوم أردو» ـــ ولمــا كانت لوحة «خنوم أردو» لها أهمية تاريخية وأدبية أردنا أن نورد ترجمتها هنا رغم ما فيها من العقد اللغوية التى امتاز بها هــذا العصـــــر :

قربان يقــدّمه الملك الى «أوزير» سـيد «بوصير» والى «خنتى امنتى» رب العرابة فى ... ... ومر، وألف من كل شيء طيب الى حامل الخــاتم والسمير الوحيــد وثقة سيدته العظيمة، والذى يأتى على الدوام ليبرّد ... ... والذى تعــرف مواقفه، ثابت الخاتم، جميل المحصول، ممتاز المعاملة فى كل خطوة، رب الاحترام، عظيم اليــد، ناجح ... ... ناصع الثوب، شريف الجسم، قدسى المنظر، عليم بطرق التنفيذ، مهذب القلب، كتلة أشراف، فهام القلب، ومسيطر على ما فى الجوف، طلق المحيا، ممن لا يسأل حتى يقول ما فى صدره، والذى يدخل قلب سيدته وحبيبها وقد وُهبتــه كأنه مجلس عظيم فى النصح، وهو إنسان محبوب فى فم الناس، عظيم المكانة فى البيت العظيم، مدير البيت، المحترم «خنوم أردو» .

يقول : لقد كنت محبوبا من سيدتى وممدوحا منها فى شأن اليوم وكل يوم، لقد أمضيت حقبة طويلة من السنين مع سـيدتى المحبوبة الملكة «نفروكايت» ولقــد كانت عظيمة فى قواها، مقدّمة فى مركزها، عظيمة الأب، كريمة الأم، عماد هذه السماء لآبائها الأمجاد، أبرز من فى هذه الأرض الشمالية (؟) الوارثة بين أهل الصعيد . تأمل إنها كانت بنت ملك، وزوج ملك كان يحبها، ولقد ورثت عن أمها كل أرض مصر ريفها وصعيدها (؟) . أميرة القوم من أوّل الفنتين إلى نهــاية «أفروديتوبوليس» (المقاطعة العاشرة) من نساء وحكام فلاحين وأشراف من كل الأرض . ولقد أصبحت تحت سلطة بيت سيدتى ... ... حقارة أصلى ؟

لأنها عرفت تفوق عمل يدى وكيف أنى مهدت طريق الأشراف ولذلك وضعتنى فى دندره فى مكتبة (؟) والدتها العظيمة المخطوطات ، البارزة فى معلوماتها ، وعلى حجرة المشاورة العظيمة فى الجنوب ، ولقد عملت فيها توسيعات ، وجمعت أكواما من الثروة لها ولم ينقصها أى شىء لعظم معلوماتى بالأشياء ، وقد نظمتها ، وجعلتها أحسن حالا مما كانت عليه من قبل ، وقويت ما وجدت متداعيا ، وحزمت ما وجدت مفككا ، وأتممت ما وجدت ناقصا ولم أهمل كل الأعياد التى وجدتها فى هذه الضيعة (فى هذا البيت) فأسست الضحايا اليومية ، وأقيم كل عيد فى وقته لأجل صحة سيدتى « نفروكايت » أبد الآبدين ، ونظمت بيتى على طراز حسن ، فوسعت كل ردهة فيه ، وأعطيت المئونة من يسألها ، والكلأ لمن لا أعرف مثل من أعرف رغبة فى أن يكون اسمى حسنا فى فم من على الأرض ، وكنت فى الواقع شريفا عظيما فى قلبه ، وثابتا ، حلو الرغبة ، ولم أكن سكيرا ، ولم ينس قلبى ، ولم ينقم علىّ بسبب ما وضع فى يدى ؟] وإن قلبى هو الذى جعل مكانى بارزا ، وكان خلق هو الذى جعلنى أستمر فى المقدّمة ، ولقد فعلت وحقا فعلت كل هذه الأشياء ، تأمل ! لقد كنت إنسانا فى قلب سيدته ، وكنت جادّا ، ومكنت ما يحيط بى ، وتعلمت كل عمل تنظم به الضيعة ، وأرسلت المدد لمّا وجدته قد تداعى قائلا : تأمل ! إنه لحسن جدّا أن يعمل الإنسان أحسن الأشياء التى فى قلبه لسيدته وهى أنخر آثاره ، ولقد أقمت لها هرما عظيما من كل الأشياء الغالية التى تعمل فى وقتها ، ولقد أظهرت كل حسن فى هذا المكان ، ولقد فقت كل أقرانى . وإذا كان قد شرع فى أى شىء فى هذه الضيعة فإنى أنا الذى فهمته ، وإنى على رأس القوم وشجرة شريفة صنعها الله ، فقد جعلنى ممتازا بتدبيره ، وعظيم الشرف بعمل يده (؟) وكانت رئيستى سيدة أرض الجنوب بمثابة أساس عظيم لهذه الأرض (؟) ليت روحها يبقى طويلا على العرش العظيم ، وليتها تعيش ملايين السنين مثل رع خالدة مخلدة .

قربان للمستحق « خنوم أردو » فى عيد « واح » وعيد « تحوت» وفى ... ، وفى عيد سوكار (؟) وفى عيد الحرارة ، وفى عيد أول السنة ، وفى العيد الكبير وفى عيد الخروج وفى كل الأعياد . دع اليد تمد له بالقربان الذى يوضع أمام « حتحور » ، وليت المنعمين فى « برور » يجعلونه مقدسا وكهنة السلم المفخم ، وليت الطرق التى نحتها تفتح له فى سلام ، المحترم «خنوم اردو» يقول : "لقد كنت إنسانا أدّى واجبه ، وكنت محبوبا من بنى الإنسان فيما خص اليوم وكل يوم" .

ولنتساءل عن مضمون هذه اللوحة الفذة فى ألفاظها الغامضة فى معانيها هل ما يشير هنا إليه صاحب هذه اللوحة من أنه كان أمين مكتبة هذه الملكة التى قد ورثتها عن أمها...حق؟ . إذا كان الأمر كذلك و إذا كان هذا هو المضمون الحقيق لهذا النقش فإنه قد أصبح لدينا كشف جديد عن المرأة المصرية وقيمتها الأدبية فى هذا العصر الذى كان قد بدأ الكتاب يتسابقون فيه بتنسيق الألفاظ من جهة والدعاية الى عهد جديد قوامه العدالة الاجتماعية من جهة أخرى . وبذلك يمكننا أن نقول بحق إن المرأة قد أسهمت فى هذه النهضة بل أكثر من ذلك كانت من العمد التى قامت عليها النهضة وذلك بتسهيل البحث للكتاب الاجتماعيين الذين أشرنا إليهم فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

مقابر الأشراف ـــ وتدل الحفائر التى عملت حديثا على أن وادى الدير البحرى كان مقسما بين أشراف هذا العصر بما يحتويه من مقابر عدّة منحوتة فى الصخر ، ففى الجانب الجنوبى منه كان مدخل مقبرة الأمير والحاكم ، وحامل الخاتم الملكى ، وخازن المالية والمشرف على مدينة الأهرام ... ... « داجى » وقد كان يحمل طائفة أخرى من الألقاب التى تدرج فى مدارجها حتى وصل فى النهاية إلى الوزارة .

(Davies, Five Theban Tombs p. 28, Pls. XXIX-XXXVIII)

وقد ظن البعض أن هناك وزيرين بهذا الاسم وذلك خطأ .

Naville, XI Dyn. Temple I, 6. Brit, Mus. 43, 123)

وفى وادى العساسيف توجد عشرة مقابر بدون رواق أمامها غير أنها لا تقل فى نخامتها وعظمتها عن مقبرة « داجى » فمقبرة حامل الخاتم ورئيس الخزانة « خيتى »[(١)] كانت فى الجهة الغربية ، ومقبرة خازن المالية « مرو »[(٢)] كانت فى الجهة الشرقية ، وبين هاتين المقبرتين كانت المقابر الأخرى ؛ فثلاث منها تحمل الأسماء التالية على التوالى : مدير البيت « حنو » وخازن المالية « حورحتب »[(٣)] والوزير « أبى »[(٤)] وكان « خيتى » يعمل فى وظيفته طوال حكم هذا الفرعون لأن اسمه وجد على لفائف « عاشيت » وكذلك على لفائف « أمونيت » « وبى » وكان يشغل وظيفة قاض ووزير وقد وجد حجر فى المعبد عليه اسمه بلقب وزير !

(Naville, IX Dyn. Temple I, 7);

ومن الجائز أنه قد دفن فى قبر آخر من المقابر العظيمة التى فى هذه الجهة . ونجد أسماء معاصرة فى مقابر هؤلاء العظماء وبخاصة فى المدافن الصغيرة فنجد اسم « منتوحتب » واسم « انتف » .وهو ما ننتظره فى هذه الفترة تيمنا بأسماء الملوك وهذه عادة شائعة فى كل عصر وفى كل بلاد العالم على وجه التقريب ، وكذلك نجد اسم « حننو » يطلق على الرجال والنساء ونجد النساء يتسمين باسم « حنى » و « حتـبى » و « إت » و « إت سنب » و «إيوى» و « مريت » و «نيت يونت » و « نيت أوتف » و« ننوس » و « ررهنو » و « ست إشتك » أما أسماء الرجال فكان من بينها اسم« ددو » و « حابى » و « حتب»و « حتى » و « حسم » و « أنحورحتب » و « إحى » و « ماجاجى » و « نب اوتف »

---

(1) Winlock, Deir el Bahari Index, Fig. 7 Pls. 15, 16, 36.

(2) Ibid pp. 118, 123, Pl. 15; Lepsius, ibid Vol. II pl. 148.

(3) Tomb No. 314, Winlock, Deir el Bahari pp. 55, 57, 123. Lacau ibid No. 28023.

(4) Winlock, Deir el Bahari pp. 55, 98, 123, 227, Fig. 6.

« نب سنى » و « نفرحتب الرامى » و « نسو أ قر » و « بيبى » و «سى حابى »
و « سبك حتب » و «سبك نخت » .

(Winlock, Deir el Bahari p. p. 55, 72, 129 Pls. 14, 35; Carnavon & Carter, Five Years Explorations p. 80 Pls. LXXV-LXXVI)

على أن أهم طائفة من الأسماء هى التى وجدت مكتوبة على أكفان الجنود الذين وجدوا مدفونين معا حوالى سنة ٢٠٦٠ ق م (Winlock, Deir el Bahari p.123 Pl.21)

فمثلا نجد هناك الاسم «أمونى» والاسم «سنوسرت» قبل عدة أجيال من ظهور الأسرة الثانية عشرة حينما سادت التسمية بهما ، وكذلك نجد أن الأسماء المركبة تركيبا مزجيا باسم الإله سبك قد عرفت منذ قرنين قبل أن يدخل اسم هذا الإله فى تسمية الملوك — « سبك نخت » ، «سبك حتب» و «سبك رع» — هذا ونجد الأسماء «انتف» « و إنتف إقر » و « منتو »و« شماى » و «سى اب» على أكفان أولئك الجنود . وأخيرا نجد على أحجار من المعبد أسماء خازنى المال « نخت » و « مسى » و « قريرى » و « ابيت » و « خيتى » آخر (Naville, XI. Dyn Temple I, 6)

وقد نحت قبر « داجى » فى النهاية الشمالية من تل « الشيخ عبد القرنه » . (راجع شكل ١) حيث نجد الصخرة قد مزقت بسبب عيب فيها لدرجة أنه قد اضطر الى تسقيف جزء من الردهة بالخشب كما أن المزار قد غطيت جدرانه بالمبانى ، ويظهر أن حجرة الدفن كانت قد تمت ، وتابوته الذى كان قد نحت قبل أن يصير «داجى» هذا وزيرا وضع فى حجرة لاتتفق مع مظهر القبر الخارجى .

وصف مقبرة «خيتى» — وقد كانت مقبرة « خيتى » التى تقع فى عرض الوادى مشهورة لذاتها ، وكذلك لصاحبها وبقيت مشهورة حتى عهد «رعمسيس الثانى» .

(Winlock, Deir el Bahari p. 68 Fig. 7. Pls.15, 16; Steindorff & Wolff, ibid 26; Brunner, Die Anlagen der Agyptischen Felsgraber pp. 70,87)

وكان على الانسان ليصل الى هذه المقبرة أن يتسلق منزلقا مائلا يكتنفه جدار من كلا الجانبين ، وعلى هذه المقبرة صفان من الخاريط المصنوعة من الفخار

لتمثل نهاية قطع خشب السقف (Winlock, Deir el Bahari p. 127 Pl. 12)
وفى وسط المدرّج المصنوع من اللبن المؤدّى للمزار وضعت مائدة قربان من الجرانيت حتى يستطيع المارّ أن يصب للتوفى شرابا أو يترك له رغيفا من الخبز ولو كان باب المزار مغلقا ، و إذا فتح استطاع الإنسان أن يسير فى ممرّ ضيق أحكم نقشه مؤد الى مزارٍ مزين بالألوان . ولقد كان من النادر أن يزين الجزء الخاص بعامة الزوّار و إذا اتفق أن رجلا مثل المشرف على الحرم المسمى « زار » الذى كان يتمسك بأهداب القديم زين قبره بالألوان أحدث ذلك ضجة وتأثيرا رديئا فى الرأى العام (Ibid p. 204, Fig. 11 Pl. 17)، وكان يضع آخرون لوحات كبيرة من الحجر الجيرى فى جدران الممرّات فإذا كان صاحبها من أهل اليسار مثل « حننو » وضع أربعا منها .

وتدل الظواهر على أنه كان لا يوجد بعد مزار القبر شيء ، غير أن اللصوص الذين نهبوا قبر خيتى كسروا الجدار الخلفى ومرّوا فى حجرتين وهميتين للدفن ، وأخيرا نزلوا من الحجرة الثانية فى ممرّ ملتوٍ على نفسه ثانية حيث كانت حجرة الدفن وقد كانت هذه الحجرة مكسوة بالأحجار ومزينة بدقة ، وكان التابوت مختبئا فيها تحت رقعتها .

مقبرة « حور حتب » — أما فى مقبرة « حورحتب » فان الحجارين الذين كانوا ينحتونها قد صادفتهم صخرة معيبة فتلافوها وقطعوا ممرّا جديدا تحت المزار وفى نهايته نحتوا حجرة زينت بالنقوش (Lacau, ibid No. 28023) وقد دفن «مرو» فى حجرة مزينة على مستوى الممرّ ولكن معظم المقابر كانت طرق الدفن فيها أبسط بكثير من ذلك تشبه طريقة دفن الوزير «إبى»، ولا يوجد فى بعض القبور إلا خبيئة واحدة أو بعبارة أخرى حجرة دفن واحدة على حين أن مقابر أخرى تحتوى على نحو عشرين ، ويظهر أنها كانت أضرحة عدّة أجيال لأشخاص من الطبقة الوسطى، وكانت توجد مقابر أخرى مثل مقابر الجنود أو الخدم الممتازين من خدّام

البلاط وهى سراديب تحت الأرض كانت يحتوى كل منها على نحو عشر حجرات للدفن وكلها من العصر نفسه .

التماثيل الخشبية — وكانت التماثيل المصنوعة من الخشب توجد فى هذا العصر فى كل مكان غير أنها ليست ذات قاعدة من الحجر كما لوحظ ذلك فى قبر «خيتى» وقد عثر على آثار خمسة تماثيل فى هذا القبر كذلك ، غير أن بعضها كان صغيرا جدّا يصح أن يطلق عليه لفظة تصغير تمثال «تميثيل» (Winlock, Deir el Bahari p 130. Pl. 36) وفى ثلاث حالات كان يخصص قبر قائم بذاته لمثل هذه الدمى وموضعه فوق المدخل المؤدّى الى حجرة الدفن الرئيسية ، ونجد فى مقبرة «نفرحتب» الرامى تمثالين جالسين (Ibid, p 71, Pl. 35) وقد بقى لنا تماثيل ثلاثة من الحجر الجيرى اثنان منها لمدير البيت «مرى» ويلاحظ أن أحدهما قد وضع ذراعيه متقاطعتين على صدره ، أما الثانى فقد وضع يديه على ركبتيه . وهناك تمثال ثالث لشخص يدعى « أقر » نحت فى وضع مثل الأوّل ، وكلها مستخرجة من جانب الجبل الواقع شمالى العساسيف (راجع : (British Museum, Third and Fourth Egyptian Rooms (1904) p. 92; Hall & King, Egypt and Western Asia p. 320; Carnavon & Carter ibid p. 23 Pl. XVIII.)

ومن الآثار التى تنسب الى عهد هذا الفرعون كذلك قاعدة تمثال لشخص يدعى «منتونخت» حسبما جاء فى النقوش التى سجلت فيها . وكذلك عثر على عدد من اللوحات فى هذه الجهة كشفت عنها بعثة طليانية (Schiaparelli, Museo Archeologie di Firenze, No. 1710, 1767,1770,1773, 1774.)

التحنيط فى هذا العصر

وقد كشفت لنا محتويات بعض مقابر هذا العصر عن ناحية هامة فى عادات الدفن والمراسيم الجنازية ، بقيت بعدها مستعملة طوال العهد الفرعونى . وذلك أن أهم ما كان يصبو إليه المصرى حتى العهد الذى نحن بصدده هو أن يحافظ على جسمه فى القبر ليحيا حياة ثانية فى عالم الآخرة ، فكان يعمل مدّة حياته ما يضمن له ذلك

فى آخرته ، وبخاصة أنه كان يأخذ العدّة لتحنيط الجسم ، فكانت حرفة التحنيط رغم اعتبار محترفها نجسا من أهم الحرف لأن ما يقوم به صاحبها من العمل كان وسيلة تؤدّى الى الحياة الأبدية ، إذ كان يخاف المصرى انحلال جسمه فتترك روحه المادية لامأوى لها . وقد دلت الحفائر التى عملت فى الدير البحرى من عهد الأسرة الحادية عشرة على تأييد ذلك ، فقد عثر على حجرة تحنيط الوزير «إپى» مختومة لم تمس بعد وتقع بالقرب من قبره ، وقد بقى لنا منها بعض أشياء تعدّ فريدة فى بابها .

فلقد جهز هذا الوزير هذه الحجرة بكل سخاء من منسوجات ، وعقاقير ، وزيوت عطرية ، ونشارة وأوان من الفخار عديدة تفوق ما يحتاج إليه عادة لتحنيط الجسم . وقد استحضر كل ذلك فى هذه الحجرة استعدادا لليوم الذى سيحنط فيه ، يضاف الى ذلك أنه وجدت كذلك مغسلة من الخشب طولها سبع أقدام وعرضها أربع أقدام وهى فى شكلها تشبه المشرحة الحديثة ، وقد حليت أركانها الأربعة بتعاويذ أربع تمثل كل منها علامة الحياة . وكذلك وجدت ضمن محتويات الحجرة آلة سحرية لم نصل الى معرفة كنهها بعد ويعتقد أنها ذات مفعول سحرى عظيم . وقد كانت العادة أن تقرأ بعض التعاويذ السحرية المخصصة لهذا المقام ، ويدلك الجسم بالزيوت ويمسح بالأملاح التى وجدنا آثارها لا تزال على المشرحة . وبعد تحنيط الجثة (جثة «إبى»)[1] وتكفينها يجمع كل ما لامسها اعتقادا منهم بأن استيلاء العدوّ على شىء من ذلك وإن كان شعرة من رأس يعتبر سلاحا سحريا يؤذى المتوفى . من أجل ذلك كانت كل الخرق القذرة والفخار المهشم وما تبقى من الأملاح والخشب وعلامة الحياة والآلة السحرية تجمع كلها وتوضع فى نحو ٦٧ جرة كبيرة ، ثم تختم وتوضع فى حجرة تحنيط الوزير . وتدل ظواهر الأمور على أنه كان لزاما على القائمين بهذه العملية أن يحضروا هذه المواد على أربع دفعات من الحاضرة الى المقبرة إذ وجد ثمانية عشر حبلا لحمل هذه الجرار وذلك يقتضى قطع المسافة على أربع مرات ، وقد وجد مثل هذه الحجرة

(1) Winlock, ibid pp. 72, 124, pl. 20).

فى عهد الأسرة الثامنة عشرة، ووجدت فيها كل هذه الأنواع التى ذكرناها، وزيد عليها أن كل آنية قد كتب عليها بالمداد الأسود محتوياتها .

وكان يعتقد أن ما يعسر على المحنط القيام به وتعجز عنه مقدرته ومهارته يستطيع الكهنة أن يدركوا تحقيقه بما لديهم من التعاويذ السحرية، فمثلا كان يمكن الساحر فى هذا العصر أن يصنع مومية سحرية من الشمع ويقرأ عليها تعاويذ خاصة فتنقلب الى الصورة الحقيقية التى تمثلها وبذلك يمكن أن تحل محل الجسم إذا كان قد هشم رغم الاحتياطات التى اتخذت لحفظه . وقد عثر فعلا على مومية من الشمع موضوعة فى صندوق صغير من الخشب لرجل يدعى «سيوه» عاش فى خلال الأسرة الحادية عشرة، وقد عثر على هذا التابوت الصغير فى ردهة معبد الملك «منتوحتب» ويجدر بنا أن نلفت النظر هنا الى أن هذه التماثيل الصغيرة المصنوعة من الشمع هى السابقة لتماثيل المجاوبين التى انتشرت فيما بعد مع فارق هو أن الأولى كانت تصنع لتمثل المتوفى نفسه، أما الثانية فكانت لتمثل خدّامه الذين كانوا يقومون بالعمل المفروض على الشريف للإله «أوزير» فى عالم الآخرة، ولذلك سمى كل منها «مجاوبا» لأنه يحل محل سيده فى القيام بما فرض عليه من الأعمال التى تحتاج الى عناء ومتاعب جثمانية، فكأن الشريف كان ينطبق عليه قول الشاعر :

علوّ فى الحياة وفى الممات * لحق تلك إحدى المعجزات

ما يوضع مع المتوفى

أما القربان التى كانت توضع فى المقابر فكانت تحتوى على رءوس وأفخاذ وضلوع من لحم البقر وكذلك كانت توضع فى المقبرة نماذج للنساء حاملات القربان آتيات بالمؤن فى سلات كما كان يوضع أيضا مجازر ومخابز حيث كان يجهز القربان كما كانت تعدّ نماذج قوارب ليقوم المتوفى بسياحاته حتى لا يحبس الروح فى القبر طويلا .

وكان طيبيو هـذا العصر قوما مارسوا الحروب نحو قرن من الزمان ولذلك وجد فى معظم مدافنهـم القوس والسهم الطويلان . وقد وجدنا أحيـانا نحو اثنى عشر قوسا وأكثر من مائة وأربعة وأربعين سهما ، وإن كان المصرى يعتقد أن وجود سـتة أسهم معه فى قبره كافية لحاجتـه . ولم نعثر إلا على كنانتين وكانت الكنانة مصنوعة على هيئة أسطوانة من الخشب الخفيف المغطى بالجلد ، وكذلك عثر على سيور القوس وهى مصنوعة من الأمعاء المفتولة وكانت توجد عادة ملفوفة مهيئة للاستعمال ، وقد عثرنا على سهم واحد له زر مصنوع من الكتان يحتمل أنه كان مصنوعا لصيد الطيور الصـغيرة بخاصة ، وكذلك عثر مع القوس والسهم على درقة من الجلد ، وقد وجد أحيانا ثمـانى درقات كما هو الحال فى مقبرة « خيتى » ، هذا إلى قضب وعصى رماية وقبضة بُرْت (بلطة) نادرة .

وأحيانا كان يعـثر على دمية من الخشب مسطحة مثل المجداف وعليهـا نقط مستديرة من الطين على خيطان لتمثـل الشعر (Ibid, p. 207 Pl. 38) وكانت تدفن هذه الدمية أحيـانا مع الطفل وفى هذه الحـالة كانت توجد بكل أسف متآكلة بدرجة عظيمة ممـا يدل على أن الطفـل كان قد استعملها كثيرا فى حياته ، وعند ما نجد عشر دميات أو عرائس جديدة لم يصبها إلا تلف يسير نرجح أنهـا كانت تعتبر حظيات ، ونجزم بصحة هذه الحقيقة عند ما نجد دمية واحدة فقط أو اثنتين مصـنوعتين من الطين المحروق أو المطلى بالأزرق وقد كانت تدفن مع رجل كامل الرجولة كما هو الحال مع «نفر حتب» الرامى الذى عثرنا على مثل هذه الدمى مدفونة معه فى القبر (Ibid, p. 72. Pl. 35) .

هذا وقد عثر على نماذج آلات وإزميل حقيق تركه حجار خطأ ، وكذلك عثر على أداة (خرج) مصنوعة من الحبال ذات ناحيتـين توضع على جانبى الحمـار (Ibid, p. 123, Pl. 21)

ومن الأدوات الخاصـة بالرجال التى عثر عليها فى هـذه المقابر المحبرة والورق، وكذلك جعارين نادرة وأشكال أخرى للأختام .

أما أدوات النساء فقد عثرنا منها على صاجات على هيئة العصا السحرية نحتت من أسنان فرس البحر .

وكذلك عثر على حيوانات خرافية لتطرد الشياطين الذين جبلوا على مهاجمة الأطفال (Ibid, pp. 14, 207, Pls. 37. 39)

وقد كان كل من الرجال والنساء والأطفال أحيانا فى حاجة إلى النعال المصنوعة من الجلد الغفل أو نماذج نعال مصنوعة من الخشب ، ومن الأشياء التى وجدت خلال هذا العصر فى مقابر الجنسين المرايا التى كانت فى العادة بدون مقبض ونماذج جعب المرايا وصناديق للزينة والعطور وأوانى الكحل وسلات صغيرة ليوضع فيها كل ما كان المتوفى فى حاجة إليه ، وكذلك وسادات الرأس أو سرير عليه وسادته ، وأدوات الكاتب وقد رسم عليها صور خشنة للحفار

(Ibid, p. 129, Pl. 37; Carnavon & Carter. ibid, p. 89 Pls. LXXV — LXXVI).

هذا إلى أخشاب عطرية كانت تطحن لتكون عطورا ، ومناشف كتان ، ورقع لعب

(Winlock, Deir el Bahri pp. 129, 206. Pls. 36, 37).

الملك سعنخ كا رع – منتوحتب الثالث

٢٠١٩ — ٢٠٠٧ ق م

لقد عاش الأمير « انتف » بكر أولاد « نب حبت رع » حتى جاوز سنّ الكهولة ثم وافاه القدر المحتوم قبل والده، ولذلك آل الملك لأخ له يدعى «منتوحتب» وقد اشترك « منتو حتب » هذا فى الحروب والغزوات التى شنها والده على ملوك « هيراكليو بوليس » إذ نشاهده فى منظر من مناظر معبد الدير البحرى مرسوما خلف والده مباشرة ، بوصفه ابن الملك « منتو حتب » فى ملابسه الحربية ويحمل برتا (بلطة) وقوسا (Naville, XI Dyn. Temple I, 7 Pl. XII b.) •

وعلى أثر وفاة والده تقلد الألقاب الفرعونية المعتادة وأسلوب الملك مسميا نفسه « حور — سعنخ تاوى — اف » (الذى يجعل أرضيه تحييان وصاحب الإلهتين « سعنخ تاوى إف » و) حور الذهبى « حتب » (السلام) ملك الوجه القبلى والبحرى ، سعنخ كارع (الذى يجعل روح رع تعيش) ابن الشمس «منتو حتب»

(Bisson de la Roque, ibid, p. 6; Petrie Qurneh. p. 5 Pl. VII.)

وفى القرون التالية كان اسمه ذائع الصيت فنجده فى نقوش الكرنك يسمى «الإله الطيب رب الأرضين ، وسيد القربان سعنخ كارع» المبرأ — وقد ذكرت هذه التسمية بعد ذكر اسم (نب حبت — رع) مباشرة

(Prisse, ibid Pl. I; Sethe Urkunden IV p. 609)

وقد ظهر اسمه كذلك على لوحة « تِنرِى » التى عثر عليها فى مقبرته بسقاره

(Porter & Moss, ibid III. 192.)

وفى ورقة « تورين » نص عنه أنه حكم اثنتى عشرة سنة وقد كانت أعوام سلام وهدوء

(Farina, ibid. p. 35 Pl. V; Winlock, J. E. A. 1940. p. 119)

إذ كان قد انقضى على السنين الأولى الطافحة بالعصيان والثورات من حكم (نب حبت رع) جيل وخلفها عهد سكينة واستقرار استمتع به «سعنخ كارع» حينما

تولى العرش وكان وقتئذ يناهز الخمسين من عمره ، وقد كان يذعن لأخيه الأكبر «انتف» الشطر الأعظم من حياته هذه قبل توليته الملك .

أعماله :

وقد كان هم الفرعون الجديد فى تنمية فنون السلم الذى يشدّ الرخاء عُضدَه ، فأقام معبدا فى « إلفنتين» قد بقى لنا منه قطعة حجر جيرى نقش عليه منظر يرى فيه ماذّا صولجانه ليقدّم قربانا لبعض الآلهة . ومقياس رسم هذا المنظر صغير غير أنه لم يبق لنا من عهد والده « نب حبت رع» ما يضارع الفن الذى فى هذه القطعة من حيث الإتقان والدقة إلا النزر اليسير (Cledat, Rec. de Trav. 1909, p. 64.)

و إذا ما تركنا « إلفنتين» منحدرين فى النهر حتى « أرمنت » الواقعة قبل مدينة الجبلين مباشرة نجد أنه قد أقام بعض المبانى هناك إذ عثر على قطعة فى هذا المكان من المرمر نقش عليها اسمه الحورى ولقبه

(Brugsch, Thesaurus p. 1455 No. 85.)

آثاره — وكذلك وجدت هناك قطعة من الحجر الجيرى عليها نقش جميل يمثل الملك يرقص أمام الإلهة «وازيت» التى تعلن : "لقد أعطيتك كل الصحة ، ولقد جعلتك تظهر على عرش حور" .

(Williams, New York Historical Society Quarterly Bulletin April 1918 p. 17.)

وفى « طود » التى تقع قبالة أرمنت كان الفرعون قد بنى جزءا كبيرا من معبدها مما جعله يظهر فى منظر بهيج ويلاحظ أن الصور فى هذا النقش كانت صغيرة كتلك القطعة التى عثر عليها فى الفنتين ، غير أن فيها حلاوة ورقة وتفاصيل غنية فى دقتها مما يجعلها تضارع أحسن ما عثر عليه فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، ولدينا من حجرة واحدة أجزاء من ستة أحجار قد رسم عليها الإله « منتو » وزوجه « تننت » ونشاهد على الجدار الخلفى من الحجرة أن الملك قد رسم مواجها لكل من « منتو » و « تننت » اللذين ظهرا فى الرسم ظهرا لظهر ، وكذلك شوهد

فى هــذه القطع رسم قارب مقدس وفى مقدمته رسم رأس كبش وقد حمل هــذا القارب أمام الإله « منتو » وقــد وجد من بين القطع التى أعيد اســتعمالها فى بناء هذا المعبد بعــد نصف قرن من عهد هذا الفرعون سقف حجرة عليه جزء من ألقاب « سعنخ كارع » وقطعة حجر نقش عليها اسم أميرورائى يدعى « انتف »
(Bisson de la Roque, ibid, pp. 62, 79, Fig. 32-57 Pl. XXI, 2—XVIII.)

أما فى الكرنك فقــد عثر « لجران » على جزء من تمثال صــغير من المرمر للملك الوجه القبلى وملك الوجه البحرى « سعنخ كارع » العائش مخلدا، وقد كتب اسمه على عروة حزامه .

ويلاحظ أن هذا التمثال نحت راكعا مقــدما إناءين للإله [ولا نزاع فى أن الإله المقدّم له هذا القربان هو الإله «منتو» ويحتمل أن هذا التمثال كان فى معبده أصلا وإن كان قد كشف عنه بين هذا المعبد والمحراب الذى فى معبد آمون] .

ونجد هذا الفرعون قد أقام لنفسه فى « طيبة الغربية » على قمة عاليــة هيكلا غربيا رمزيا محاطا بجدار عال من اللبن (Petrie, Qurneh p. 4 Pls. IV–VIII.) وقد عثر على أجزاء من تابوت نموذجى فى هذا الهيكل نقش عليه «حور سعنخ تاوى ـ اف » وسيد الإلهتين [سعنخ تاوى ـ اف]، حور الذهبى حتب ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى [سعنخ كارع ابن الشمس] منتوحتب العائش مخلدا . لقد عمل هذا ... ... للذكرى وقد نقش عليه صلاته الموجهة إلى الإلهــة « حتحور » والإله « حور » .

أما فى العرابة المدفونة فنجد أن الأهلين هناك قد أقاموا بدلا من معبد الدولة القديمة المشيد من اللبن وهو الذى أصلحه « نب حبت رع » بناء جديدا من الحجر الجيرى تبلغ مساحته خمسة عشر مترا مربعا، وعلى أية حال فإنه كان لايزال مطبوعا بالطابع الريفى وإن كان قد زيد فى مساحته عن ذى قبل، على أن أجله كان كأجل

معبد « طود » لم يمكث أكثر من نصف قرن . وقد بقى طوال هذه المدّة بمثابة بيت روح « سعنخ كارع » .

(Petrie, Abydos 11, 12, 15, 33, 43, Pls. XXIII, XXV, LV.)

بعوثه إلى بلاد بنت ووادى الحمامات — ومن أهم أعمال هذا الفرعون العظيمة استغلاله محاجر وادى الحمامات وتمهيد الطريق من « قفط » الى البحر الأحمر لتسهيل طرق التجارة بين مصر و بلاد « بنت » وقد كانت محاجر وادى الحمامات معروفة للمصريين منذ الدولة القديمة ، غير أنها لم تستغل بطرق منظمة إلا فى عهد الأسرة الحادية عشرة . ولقد كان لزاما على الفراعنة أن يخضعوا بدو الصحراء الشرقية أوّلا حتى يتيسر لهم الوصول إلى مآربهم ، ولذلك أخذت البعوث التى ترسل إلى وادى الحمامات صبغة حربية كما سنشير إلى ذلك بعد . فأرسل فى السنة الثامنة من حكمه القائد « حنو » حامل خاتمه فى بعثة إلى بلاد « بنت » . فسار بجيش يبلغ عدده نحو ٣٠٠٠ مقاتل واتخذ طريقا حفر فيه عدّة آبار حتى وصل إلى البحر الأحمر وكذلك جهز سفينة هناك قامت بالرحلة إلى بلاد « بنت » وعادت محملة بالطرف والتحف التى أحضرتها من هذه الأقطار ، وفى عودته إلى البلاد المصرية مرّ « بوادى الحمامات » واستخرج منه الأحجار النادرة وحملت إلى مصر وقد ترك على صخور هذه المحاجر نقوشا طويلة عن تفاصيل هذه الحملة نوردها هنا بنصها :

" السنة الثامنة ، الشهر الأوّل من الفصل الثالث « أى الشهر التاسع » اليوم الثالث يقول « حنو » خادمه المحظوظ حقا ، الذى يفعل كل ما يمدحه كل يوم ، وحامل الخاتم الملكى ، والسمير الوحيد والمشرف على ما وجد وما لم يوجد بعد ، مدير المعابد ، ومدير المخازن ، والبيت الأبيض (المالية) ومدير كل ما له قرن وحافر ، ورئيس محاكم العدل الست ، وصاحب الصوت العالى عند إعلان اسم الملك فى يوم ردع ... ... والذى يسرّ قلب سيده بوصفه حارس باب الجنوب ،

والمشرف على إدارة مقاطعات الجنوب رئيس المـالية ... ... والذى يقهر « الهبنو » (سكان جزر البحر الأبيض) والذى تأتى إليه الأرضان خاشعتين ، والذى تقـدّم إليه كل إدارة تقريرها ، ولابس الخاتم الملكى ، والسمير الوحيد ، ومدير البيت : لقد أرسلنى سيدى له الحياة والسعادة والصحة لأبعث بسفينة إلى بلاد بنت لتحضر له عطورا « مرا » جديدة من المشايخ المسيطرين على الأرض الحمراء ، وذلك لأن خوفه كان فى الأراضى الجبلية ، ولقد خرجت من قفط على الطريق الذى أمر بها جلالته وقد كان بصحبتى جيش من الجنوب ... ... مقاطعة الغزال وتبتدئ من هنا حتى « الجبلين » ونهايتها « شايت » وقد انضم إلىّ كل وظيفة فى بيت الفرعون ، وكذلك أولئك الذين كانوا فى المدينة والحقل ، وقد كان الجيش يمهد أمامنا الطريق قاهرا أولئك الذين كانوا غير موالين للملك ، وقد قام الصيادون وأبناء الجبال حراسا لهم ، وقد وضع كل طائفـة مستخدمين لجلالته تحت سلطتى ، وقد بلغـونى عن السعاة بوصفى أنا الوحيد الذى يقود (الحملة) ويصغى إليه .

ثم سرت بجيش قوامه ٣٠٠٠ رجل ، ولقد جعلت من الطريق نهـرا ، ومن الأرض الحمراء (الصحراء) حقلا وذلك لأنى أعطيت قربة ماء وقضيبا لحمل الأمتعة وإناءى ماء و ٢٠ رغيفا لكل فرد فى كل يوم وكانت الحمير محملة بالأثقال .

ولقد حفرت اثنتى عشرة بئرا فى العشب وبئرين فى « إداهت » إحداهما عشرون ذراعا مربعا والأخرى واحد وثلاثون ذراعا مربعا وحفرت ثالثة فى « باهبت » ذرعها ٢٠ × ٢٠ فى كل جانب من جوانبها وبعد ذلك وصلت إلى البحر الأحمر وبنيت هذه السفينة ، وأرسلتها بكل شىء وأقمت من أجلها قربانا عظيما من الماشية والثيران والغزلان .

وبعد أن عدت من البحر الأحمر نفذت أمر جلالته وأحضرت إليه كل الهدايا التى وجدتها فى أقليم أرض « الإله » وعدت عن طريق وادى الحمامات ، وأحضرت له قطع أحجار فخمة للتماثيل الخاصة بالمعبد ، ولم يحضر مثلها قط لبلاط الملك ، ولم

يعمل مثل هذا على يد ثقة للفرعون أرسل منذ عهد الإله ولقد فعلت ذلك لجلالته لأنه كان يحبنى حبا جما ...

على أن ما يلفت النظر فى هذه البعثة هو تموين ٣٠٠٠ رجل . حقا إن العشرين رغيفا هى فى الواقع رغفان صغيرة مستديرة ولكنها كانت تكلف المشرف على أمور البعثة أن يورد ٦٠٠٠٠ رغيف كل يوم ، وسنرى فيما بعد أن «أمنمحات» كان جيشه مؤلفا من عشرة آلاف رجل فإذا كان تموينهم على هذا النمط كان لا بدّ لجنوده من ٢٠٠,٠٠٠ رغيف يوميا لتغذية هـذا الجيش ، ولا شك أن فى هذا درسا عمليـا مفيدا للأمم التى تعنى بتجهيز البعوث إلى البلاد الأجنبية ، وإنه لمن المفيد لهـم أن يأخذوا ورقة من الكتّاب المصرى الخاص بتنظيم البعوث لتكون منارا لهم يهتدون به فى مجاهل الصحراء فى العناية برجالهم ، إذ الواقع أننا فى الوقت الحاضر نفضـل أن نسرف فى الرجال ونتهاون فى أرواحهم ، أما المصرى القديم فكان بعيد النظر يحافظ على حياة رجاله بالعمل على راحتهم فى المسالك الخطرة ، وإمدادهـم بكل ما يكفل راحتهم وسعادتهـم كما تنطق النقوش بذلك (Couyat et Montet, ibid No. 114, Pl. XXXI; Breasted, A. R. Vol. I par. 437 — 33.)

حالة البلاد الزراعية والاجتماعية

والظاهر أن مدينة « منف » التى يحتمل أنها كانت تسمى « دد أسـوت » باسم هرم الملك تتى (Winlock, Deir el Bahari pp. 58, 61. 65.) قد بقيت المركز الإدارى للبـلاد ، وقـد استولى الطيبيون على ممتلكات هناك وبخاصة عليـة القوم منهم ، وقد كشف لنـا الغطاء عن هـذه الحقيقة مجـموعة أوراق عثر عليهـا فى مقابر « طيبـة » من هـذا العصر وهـذه الأوراق لهـا أهمية خاصـة فضلا عن ذلك لأنها تضع أمامنا صفحة مجيدة عن الحياة الأسرية والحياة الزراعية والاجتماعية فى ذلك العصر الغامض وفيهـا تلميح عن نواحى الحياة الدينيـة ولذلك

وجدنا أن نثبت بعض محتوياتها هنا ليرى المصرى الحديث التشابه العظيم بين حياته الحالية وحياة أجداده منذ أربعة آلاف سنة مضت .

كان المصرى رغم تشككه الدينى فى هـذا العصر وتحوّطه للمحافظة على قبره ، لا يزال يبـذل عن سخاء محافظة على بقـاء روحه المـادية (كا) فيجهز القبر بكل ما يحتاج إليه ، فإذا كان المتوفى من أصحاب اليسار ومن المقربين إلى الفرعون وقف الضياع على روحه وأقام القربان لروح المتوفى فى المواسم والأعياد من ريع هـذه الضياع . وقـد كان لزاما على الكاهن أحيانا أن يسكن فى مزار مقبرة المتوفى مدة من الزمن ليل نهار (وهذه عادة شائعة فى مصر الآن) ولذلك كان يضطر أن ينقل معه بعض أوراقه الخاصة ليقوم بدرسها وقت فراغه فى المزار ، وقـد أسعد الحظ الأستاذ « ونلك » فعثر على بعض هـذه الأوراق بعد أن مضى عليها أربعة آلاف عام وكانت تعد من المهملات ، وقد وجدنا فيها أن كاهن الروح الطيبى الأصل كان يفكر فى أشياء أخرى خارجة عن نطاق الأمور الدينية التى تصوّرها لنا دائمـا بعض مناظر القبور . وأول مهملات من هذا النوع عثر عليها كان فى شق طبيعى فى مغارة صغيرة بالقرب من مقبرة « حورحتب » بمقابر الدير البحرى إذ عثر على بعض من الفخار كتب عليها كاهن الروح مذكرات بقطعة من الفحم وكذلك عثر على قطـع بردى وكتب عليها أناشيد دينيـة وعلى ظهرها كتب حساب قمـح أعطى اثنى عشر رجلا مختلفين ومن بينها كذلك ورقة أخرى كتب عليها حساب قمح وشـعير وبلح صرف جراية للجيش . ومن المحتمل أن هذه كانت ضرائب يجبيها كاهن روح « حورحتب » بصفته المسيطر على أوقاف القبر .

وفى مقبرة « مكترع » التى سنتكلم عنها فيما بعد عثر على حزمة من ورق البردى المهشم فى جحر فى الطريق المؤدى إلى باب مزار المقبرة . وعند فض هذه الأوراق وجدت أنها تحتوى على نتف من قوائم وبيانات عن أرض قد أعطاها الملك (له الحياة والصحة والعافيه) خادم الروح ، وهذه بلا شك كانت الأوقاف التى منحها

الفرعون للقرب « مكترع » . وقد وجد مع هذه الأوراق خطاب كتب على طريقتنا المصرية الحالية التى نشاهدها عند عامة الشعب فى مكاتباتهم ، إذ نجد أن ثلث الخطاب قد خصص للموضوع الأصلى ، وثلثيه الآخرين للتسليمات والتحيات بألفاظ منمقة ولهذا الخطاب أهمية أثرية عظمى إذ أن صاحبه كان يبتهل فيه لآلهة « منف » و « هراكليو بوليس » (اهناسيه المدينة) مما يدل على أنه كتب فى الجهة الشمالية من القطر .

رسائل « حقا نخت »

وأهم من كل ما سبق الرسائل التى عثر عليها لكاهن الوزير « إبى » المسمى «حقا نخت» وكان الوزير قد وقف على قبره ضيعة فى بلدة «ددبسوت» بالقرب من « منف » (يحتمل أنها منف نفسها) وضيعة أخرى فى الجنوب بالقرب من مدينة «طيبة» . ويظن الأستاذ «ونلك» أن «منتوحتب الثانى» قد استولى على هذه الأراضى الشمالية بعد انتصاراته على مملكة « إهناسية » وقسمها بين أتباعه الذين أظهروا له إخلاصهم التام . وإن تقسيم هذه الأملاك الموقوفة كان يلزم كاهن الروح «حقانخت» (1) أن يقوم برحلات متعدده طويلة الأمد فى الدلتا ، وفى أثناء انتقالاته هذه كان ينوب عنه ابنه الأكبر « مرسو » فى الإشراف على ممتلكاته الواقعة فى « طيبة » وكذلك كان يقوم بدلا عنه فى كهانة الروح فى مقبرة « إبى » على أن « حقانخت » المسن لم يهمل الكتابة لأسرته مدة غيابه فى الوجه البحرى وقد كان فى غربته يهتم بإدارة بيته فكان يكاتب ابنه ، وقد عثر على هذه الرسائل ضمن المهملات . وتعدّ أوراق « حقانخت » من أهم الكنوز التى عثر عليها فى حفائر « طيبة » من عهد الأسرة الحادية عشرة ، ولم يتم بعد درسها درسا وافيا ، على أن ما نعلمه منها حتى الآن يصور لنا الحياة المصرية من الناحية الزراعية والناحية الأسرية منذ أربعة آلاف

---

(1) Bulletin Metropolitian Museum of Art Part II (1921-22) p. 37 f.f; Fig. 31, 32 & J. E. A, X. (1924) p. 15.)

سنة . ويمكننا أن نعتبرها أبسط وأصدق صورة صوّرها المصرى بنفسه عن حياته الريفيـة بكل ما فيها من محاسن ومساوئ، والرسائل كلها فى موضـوع واحد عدا رسالة واحدة من ابنة لأمها . وفى نهاية هـذه الرسالة تقول الابنة لأمها : "بلغى سلامى إلى « جر » منحه الله الحياة والصحة والعافية ، ولا تجعليه ينسى الكتابة إلى عن أحواله" والظاهر أن الوالدة رأت أن أحسن وسيلة لتوصيل رسالة ابنتها أن تمحو عنوان الخطاب الذى جاء باسمها وتكتب بدلا منه إلى مدير البيت « جر » .

أما باقى الوثائق السبع فهى كما يأتى :

قطعة صغيرة، وثلاث رسائل، والثلاثة الباقية قوائم حسابات كاملة، ويوجد بين الخطابات رسالة مختومة ومعنونة وملفوفة كما طواها كاتبها .

ووثائق الحسابات كلها خاصة بأملاك الكاهن « حقانخت » . وقـد كانت هذه الوثائق موضع حيرة عند حلها إذ وجد أن بعضها قـد عنون كما يأتى : كاهن الروح « حقانخت » يرسل هـذا إلى أسرته فى « تبسيت » ورسالة أخرى مختومة معنونة إلى المشرف « رع نفر » من « حقانخت » وقـد كان وجه الغرابة هو أنه كيف يتفق أن هذه الرسائل يرسلها « حقانخت » إلى مكان مفروض أنه موجود فيه ؟ ولكن اتضح كما أسلفنا أن « حقانخت » كان صاحب أوقاف مقبرة الوزير « إبى » وقد كان جزء من هذه الأملاك فى الدلتا وكان يذهب « إبى » من وقت لآخر ليشرف على إدارة تلك الضياع، وبالموازنة وجد أن الرسالة التى كتبها « إبى » إلى « رع نفر » تشبه من كل الوجوه الرسالة التى وجدت فى مقبرة « مكت رع » فقد كتبا بخط كاتب واحد . هـذا إلى أنه اتضح من رسالة أخرى أن الأسرة كان لها غلال فى بلدة « دديسوت » إحدى ضواحى « منف » كما اتضح أنه كان لهـا ضـيعة أخرى بعيدة عن « منف » وبعيدة عن « طيبة » وقـد كان السفر فى تلك الفترة إلى « منف » متعبا ، وكانت زيارات « حقانخت » لهـذه الضياع تستغرق نحو ثمانيـة عشر شهرا أحيانا ، ولذلك كان يرتب أعماله الأسرية بدقة وعناية قبل

الشروع فى السفر ، وقد عين ابنه الأكبر « مرسو » مديرا لأشغاله فى بيتـه ونائبا عنه فى كهانته مدة غيابه ، و « مرسو » هذا هو الذى أحضر هذه الوثائق لدرسها وقت فراغه من أعمال الكهانة فى مزار المقبرة . وتدل الأبحاث على أن بلدة « تبسيت » كانت تقطنها الأسرة وتقع عند منعطف النيل بين بلدة « الجبلين » و « الرزقات » أى أنها على مسافة خمسة عشر ميلا من « طيبة » تقريبا .

وكان « حقانخت » وقتئذ معتادا الذهاب إلى « منف » تاركا كل شيء فى يد « مرسو » ؛ وقبل قيامه بأول رحلة نعرفها جمع فى حضرته ابنه « مرسو » وولدين آخرين بالغين من أكبر أولاده ومعهم أمين أسرته وموضع ثقتـه « حتى » بن « نخت » ثم نشر على حجره وثيقة كبيرة من البردى وأخذ يفحص معهم مهام أموره . وقد كتب فى بداية الوثيقة : السنة الخامسة من عهد الملك ، الشهر الثانى من فصل « شمو » (الصيف) ، اليوم التاسع من الشهر . ولعمرى فإن ذلك يشبه ما نكتبه الآن مثلا ١٩٤٣/٣/١٤ ، ولكن كان للعثور على هـذه القائمة فى قبر لم يمس بعد فضل فى أنه أمكننا أن نعرف عن طريق الحدس أن المقصود من الملك الذى لم يذكر هو « منتوحتب الثالث » .

ولم نفهم معنى كلمة شمو « صيف » قبل أن نصل إلى هذه النتيجة . والواقع أن فصل « شمو » عنـد المصريين نظريا هو فصل الحصاد ويقع بين ١٦ مارس و ١٣ يولية ، ولكن لما كانت النتيجة المصرية خالية من سنة كبيسة كان كل فصل من فصول السنة يأتى مبكرا يوما كل أربعة أعوام حتى أنه فى عهد « منتو حتب الثالث » قد جاء فى الخريف وهذا التاريخ يوافق تاريخ حكم هذا الفرعون تقريبا . بعد هـذا التاريخ نجـد العنوان الآتى : بيان عن شعير « حقا نخت » ؛ ثم يتفرع من هذا العنوان ما يأتى : عمله لابنه « مرسو » ؛ ثم « علف للثيران » ثم الشعير الذى حصل عليـه « حقا نخت » لأجل أتباعه كل واحد منهم بقدر ما أعطاه بالشوفان (وكان يقدر قيمته بثلثى قيمة الشعير) وكتب بالمـداد الأحمر خوف الخطأ

فى الجمع . بعد ذلك يأتى بيان عن الثيران التى أعطاها «حقانخت» ابنه سنبوت هذا إلى ٣٥ رأسا من الماشية دونت تحت خمسة أنواع ، وكذلك نجد الملاحظة الآتية . و إذا شكا إلى « سنبنوت » عن ضـياع ثور ... ... فإن نصف ما يفقـد سيكون مسئولا عنه هو و « حتى » بن « نخت » .

ولا نزاع فى أن « حقا نخت » قد أجرى عمل حسابه خوف ما عساه أن يحدث عند ما نظم أحوال بيته؛ ونجـد أخيرا بيانا عن الخبز الذى كان يعطى ابنه « مرسو » وكان مؤلفا من ثلاثة أنواع مختلفة ومجموعه ٧٠٠٠ رغيف . والواقع أن هذا العدد يظهر ضخما جدا ، ولكن إذا لاحظنا أنه كان لا يختلف عن نوع الخبز الصغير الذى يصنع فى صعيد مصر وريفها للآن فإن دهشتنا تتلاشى ، ولا نعرف حال الأسرة فى خلال رحلة « حقا نخت » الأولى؛ ولما أراد «حقا نخت» القيام بالرحلة الثانية فى السنة الثامنـة من حكم الملك أحضر الوثيقة القديمة ثانيـة وكان لا يزال فيها متسع له ليكتب فيها تقويم عقاره . وفى هذه الدفعة كان يستعد لرحلة إلى « منف » فى مايو أو يونيه لأن المحصول كان قد [illegible] نحو $55\frac{1}{2}$ مكيالا (بوشل) من الشعير والشوفان وم[illegible] عند ثلاثة عشر
شخصا من الجيران ، ولكن ال[illegible]
يدرج عدد الرغفان ، وكذلك
« حقا نخت » تشير إلى شىء
فى حيازة الأسرة ليباع ما[illegible]
سافر «حقا نخت» إلى «منف»
«حقا نخت» عندما عاد من
يقول فيها : "عند ما وصلت إ[illegible]
و يدل على ذلك ما طلبه من «مر[illegible]»
من القمح وما يمكنك أن ترسله من [illegible]

محصول الصيف " وكان يبتدئ فى ٢ سبتمبر . ويحتمل أنه كتب هـذا الخطاب فى أول أغسطس لأن الفيضان لم يكن بعد عاليا ليعرف منه مقدار حالته ، ولذلك نجد فى الخطاب تعليمات خاصة بذلك إذ يقول : " أما إذا كان النيل حسنا " والواقع أن النيل قد أخذ فى الارتفاع عند ما كان « مرسو » (فى خلال تلك المـدة يزرع محصـوله الصيفى ، فقد كتب أنه يخشى ألا تحمل جسوره ضغط المـاء فيفيض المـاء على حقوله قبل أن يحصدها) وقد ذعر كذلك « حقا نخت » فكتب فى الحال بسرعة ، ولم يجر على عادة تبليغ السلامات والتحيات كما كان الحال فى الخطابات ، بل كتب مباشرة قائلا : " الكاهن « حقا نخت » يخاطب « مرسو » ! أما من جهة فلاحة أرضنا فإنك أنت الذى تزرعها ! وستكون مسئولا عن ذلك ، فعليك أن تجتهد فى الفلاحة ، واحترس جدا ، وحافظ على كل ما أمتلك لأنك ستكون مسئولا عنه " وفى منتصف الخطاب عادت إليه وساوسه ومسئولية ضياع المحصول والغلال فاندفع قائلا : " وإذا حدث أن أرضى غرقت عند ما يكون « سنفرو » أخوك يفلحها معك هو و « أنبو » فالـ..يل لك و « لسيحتور » " .

وقبل أ ... أخرى يجدر بنا أن نلاحظ هنا
...م الخطاب السالف وفى خلال
... . ولا شـك فى أنه كان
...ن » يخبرهم بالكيفية التى يجب
...أنه يشير إلى خطاب أول سنة
...نى » فى معبد الباب المزدوج
...ر » لم يحفظ لنا الخطابات معه

...» ضمن تلك الوثائق فكان مؤرخا
...رم منخفضا جدا حتى أن الحقول قد

انتابها القحط ولم تنتج محصولا ، هذا إلى أن المخزون من العام الماضى قد نفد وحل القحط بالبلاد إثر محصول ضئيل ، ولكن « حقا نخت » كان فى حالة هادئة هذه الدفعة فلم ينس كتابة السلامات والتحيات التى يجب أن يبتدئ بها الخطاب قال :

"إن الولد يتكلم لأمه ، وكاهن الروح يخاطب أمه « ابى » ثم « حتبت » : كيف حالكما ، لكما الحياة والصحة والعافية ببركة الإله « منتو » رب طيبة ؟ وكل الأسرة كيف حالكم ؟ كيف حالكم فى الحياة أتمنى لكم السلامة والصحة ، لا تشغلوا بالكم بى ، إننى طيب وفى صحة جيدة .

اعلموا أنكم كرجل كان فيما سلف قد أكل حتى الشبع ولكنه أصبح ذا مسغبة حتى أنه يغمض عينيه ، والبلاد كلها تموت جوعا . لقد وصلت هنا فى الجنوب وقد جمعت لكم كل ما يمكن من طعام ، أليس النيل منخفضا ؟ والطعام الذى جمعته لكم يتفق مع حالة الفيضان ، فعليكم بالصبر أنتم يامن ذكرت بالاسم لأنكم ترون أنى كنت قادرا على إطعامكم إلى هذا اليوم" . وعند هذه النقطة يقدم لنا قائمة بأسماء الأفراد الذين تتألف منهم أسرته ويحدد ... واحد منهم من

الطعام الذى يرسله ثم ...

يحدث إذ الواقع أن البيت ...

عيشة التقشف خير من الموت

إلا إذا كان هناك قحط فعلا ،

والنساء ! ولا يوجد فى أى مكان

حتى عودتى ، وإنى عازم على ...

الثلاثين من شهر ديسمبر القادم

فى نفس الخطاب فهى : "إن « حقا ...

ابن « نخت » معا : يجب عليكما أن ...

بما عليهم من الأعمال ، وعليكما أن تراعيا ...

واعملا بكل ما عندكم من جهد فى فلاحة الأرض وذلك بجعل كل همكم فى العمل ، واعلموا أنكم إذا كنتم مجدين فإن الإنسان يدعوا الله لكم ، و إنى سأكون حسن الحظ عنـد ما يكون فى مقدورى أن أدعو لكم . و إذا عاف أى فرد من نساء أو رجال الطعام فدعه يحضر إلىّ ليعيش كما أعيش " ولن يحضر واحد منهم .

ونلاحظ أن إدارة شئون المزارع فى « نبسيت » وما جاورها لها نصيب كبير فيما يلى من هاتين الرسالتين ، ويمكن الإنسان أن يقدر على وجه التقـريب موقف (مرسو) من هـذه الأمور عند ما حمل حزمة الرسائل التى نحن بصددها إلى مزار مقبرة « إبى » الوزير ، ولا نذهب بعيدا فان التعليمات التى كان يجب عليه اتباعها قد جاءت فى الخطـاب الأوّل من والده إذ يقول : " مر « حتى » بن « نخت » أن يذهب فى الحال مع « سنبنوت » إلى بلدة « برحاعا » لزراعة حقلين من أرض مستأجرين على أن يأخذا قيمة أجرهما من المنسوجات التى نسجت هنا ويجب أن تقول إن صناعتها غاية فى الإتقان ، ولكن دعهما يأخذاها ، و بعد بيعها فى « نبسيت » دعهما يدفعا [illegible] أن تجد أرضا ، ولكن من غير أن نتورط [illegible]

[illegible] الصغير ، و إذا لم تجد عنده أرضا [illegible] للأرض الجيدة السهلة الرى حتى » بن « نخت » فى « برحاعا » [illegible]ردب من الشعير لأسرته وسأعطى [illegible] . وأعلم أنك إذا خالفت ذلك [illegible]ا قلته لك — أعطه أردبا من [illegible]ن أرديب من الشعير شهريا —

[illegible]ليؤجرها . على حين أن « رع نفر » كان [illegible]ن « سنبنوت » و « حتى » ؛ هذا إلى أن

«مرسو» قد دخل فى معاملات أخرى فى «برحاعا» وكتب ملخصها فى وثيقة عثر على نسخة منها بين الأوراق التى وجدناها فى المقبرة، ويحتمل أن النسخة الأخرى قد أرسلت لوالده . وقد جاء فيها .

كان لحقا نخت غلال فى بلدة « يوسبقو » فى ذمة « أبى » الصغير وكذلك فى بلدة « سبات معات » فى ذمة « نحرى » بن «أبى» وقد نزل عنها «حقا نخت» فى الخطاب الثالث إلى «رع نفر»، ومن جهة أخرى نجد فى الخطاب الثانى ما يشير بإتمام مسألة « رع نوفر » وبيع المحصول بمبادلته بزيت . وقد أرسل الخطاب الثالث « حقا نخت » لهذا السبب ولا بد أن « سنبنوت » و « حتى » قد سلماه إلى « رع نفر» حتى يتم هذا الموضوع، ولكن لسبب ما لم يصل هذا الخطاب لصاحبه أو أهله « مرسو » فترك مختوما كما وصل إليه .

أما الخطاب الذى أمر بكتابته « حقا نخت » بيد أحد الكتبه فى « منف » والذى يجب إثباته هنا برمته فهو نموذج للرسائل التى تكتب بأسلوب أهل الحضر الذين يعيشون فى المدن الراقية وهو :

خادم الضيعة وكاهن الروح (المادية) «حقا نخت» يقول : أرجو أن يكون حالك حال الإنسان الذى يعيش مليون عام ، وأتمنى أن يرعاك الإله « حريشاف » رب « إهناسية » وكل الآلهة الموجودين أيضا، وليت الإله «بتاح» الذى يسكن جنوب جداره بمنف يشرح قلبك فتحيا طويلا، وأتمنى أن يجزيك « حريشاف » رب إهناسية جزاء حسنا .

خادمك يقول : دع كاتبك — منحه الله الحياة والسلامة والعافية — يعرف أنى أرسلت «حتى» بن « نخت » و «سنبنوت» بخصوص ذلك الشعير والشوفان اللذين عندك . ويستطيع كاتبك (منحه الله الحياة والصحة والعافية) أن يتسلمهما دون أن يفرط فى شىء منهما وذلك فضل منك إذا تكرمت بالقيام به . أما الثمن فضعه عند تسلمه فى بيت الكاتب (منحه الله الحياة والصحة والعافية) إلى أن يأتى

من يتسلمه منه . واعلم أنى قد كلت هذا القمح بالمكيال الخاص به ، وهو يملأ مائة حقيبة تماما ، واعلم أنه يوجد فى « برحاعا » ١٥ أردبا من الشوفان عند « ننكسو » و ١٣ ½ أردبا من الشعير عند « إبى » الصغير فى بلدة « ايسبكو » وكذلك يوجد فى بلدة (سبات معات) ٢٠ أردبا من الشوفان عند « نحرى » بن « إبى » وعند أخيه « دشر » ثلاثة أرادب من الشعير فيكون المجموع ٣٥ أردبا من الشوفان ، ١٦ ½ أردبا من الشعير ، وعلى من يملكه أن يعطينى ما يساوى مقدار ذلك من الزيت ولا بد أن يعطى مقابل كل أردبين من الشعير أو ثلاثة من الشوفان مكيالا « حبت » من الزيت ؛ ومع كل فإنى أفضل أن أتسلم متاعى شعيرا . ولا تنس أن تكتب لى عن « نخت » وعن كل شىء يأتى إليك من جهته فهو يلاحظ كل أملاكى . وقد ذكر « حقا نخت » فى الرسالتين الأوليين أمورا تتعلق بالزراعة ، فنجد أن الخشب الذى كان يؤخذ من غابات الضيعة قد بيع ، وما كان يأخذه « سنبنوت » أجرا له فى الخطاب الثانى كان من محصول بيع هذه الأخشاب . وكذلك كان « سيحتحور » مستأجرا قطعة أرض وكان يرسل إليه « حقا نخت » ٥ أرطال من النحاس ليدفع بها الإيجار المطلوب منه . هذا ويخبرنا « حقا نخت » عن موضوع إيجار آخر قد جعله « مرسو » صعبا عليه ، وذلك أنه أجر الأرض وزرعها شعيرا فقط . ثم يخبره بأنه قد انتقص من شعير « حقا نخت » الجاهز عنده ، ولذلك كتب له الأخير محذرا إياه ألا يقوم بأى تعد آخر .

على أن الجزء الفكه من خطابات « حقا نخت » هو ما جاء فيها تلميحا عن الحياة الأسرية وأظن أننا قد اقتبسنا فى الخطابات السابقة ما يجعلنا نعرف شخصية « مرسو » بن « حقا نخت » الأكبر ؛ والظاهر أن « مرسو » كما يصفه والده تلميحا كان غبيا بعض الشىء وكان يشكو منه أحيانا ورغم كل ذلك كان يمكنه الاعتماد عليه فى أمور بيته ؛ والواقع أن « حقا نخت » كان يتطلع إليه فى ادارة أحوال أسرته المعقدة وحفظ النظام والطمأنينة فى بيته . وكان يساعد « مرسو » فى ذلك « سنبنوت »

أخوه، و« حتى » أمين الأسرة، أما الابن الثالث «سيحتحور» فنراه فى مناسبات غير مشرفة له ، ففى الخطاب الأول نرى أنه قد اقترح على « مرسو » اقتراحا أثار غيظ « حقا نخت » المسن ولذلك يقول الأخير: أما من جهة إرسال « سيحتحور » إلى بشعير جاف قـديم من بلدة « دد يسوت » وعدم إعطائى عشرة الأرادب من الشعير الجديد فانى لا أقبـل ذلك بأى حال طبعا . حقا إنك سـعيد بأكل الشعير الجديد، واعلم أنى على البر، والقارب قد ربط فى المرسى تماما. ولكنك عند ماتصل إلى الشاطئ ستفعل كل شىء خطأ، فان كنت قـد أرسلت إلى بشعير قديم ليحل محل الجديد فما عساى أنا قائل؟ إنه حسن جدا ! !

وفى الخطاب الثانى أخبر « مرسـو » أن يلاحظ «سيحتحور» فى كل وقت يحضر فيـه إلى البيت . وكان الإخوة الثلاثة متزوجين وكذلك « حتى » وكان لهم أولاد يقيمون فى بيت الأسرة . فى «نبسيت» هذا فضلا عن وجود نساء وأطفال فى بيت « حقا نخت » نفسه ممـا جعل عدد الأسرة يبلغ نحـو الثلاثين نسمة على أقـل تقدير، فكان هناك « أبى » وأمـه وخادمتها وكذلك إحدى قريباته تسمى « حتبت » وكان معها ابن صغير يسمى « ماى » . وسواء أكانت « حتبت » هذه دخيلة أو عبئا على البيت فانا نعلم أنها كانت ممقوتة من « مرسو » ومن أجل ذلك كان «حقا نخت» مضطرا أن يكتب لابنه من أجلها : لقد أخبرتك ألا تباعد بين « حتبت » و بين صاحبة لها سواء أكانت قريبتها أم إحدى معارفها، واعتن بها، و إنى أتعشم أنك ستفلح فى كل شىء تعمله بسبب ذلك ، هذا رغم أنى على يقين من أنك لا تريدها معك .

وعلاوة على أبنائه الثلاثة المتزوّجين كان «لحقا نخت» ولدان آخران هما «انبو» و « سنفرو » وكان كلاهما قاصرا لم يؤهله سنه للقيـام بعمل جدّى عنـد ما سافر « حقا نخت » فى السنة الخامسة، ولذلك لم يظهرا فى قائمـة الأقارب التى تركها فى ذلك الوقت، ولكن فى خلال رحلته الثانية نحو الشمال بعد انقضاء ثلاثة أعوام

على الرحلة الأولى كانا حاضرين فى مخيلته فكتب قائلا "اعتن كثيرا بكل من «انبو» و «سنفرد» فتحيا معهما وتموت معهما، افهم ذلك" .

وكان « انبو » أكبر الاثنين سنا مما جعله قادرا على أن يساعد « مرسو » و « سيحتحور » فى زرع المحاصيل الصيفية التى كانت على وشك الغرق، وقد أشعر هذا العمل الولد الصغير بأن أخاه لم يعتن به تماما. ففى خلال مدّة الشتاء شكا من ذلك لوالده فأمر « مرسو » أن يعطى « انبو » ثانية ما فى ذمته ، وكل شيء ناقص لا بدّ أن يدفع عوضه ، ثم قال ولا تجعلنى أكتب إليك فى ذلك مرة أخرى إذ قد كتبت لك مرتين بخصوص ذلك .

أما « سنفرو » وهو أصغر أولاد « حقا نخت » فكان طفلا مدللا وكان صاحب الحظوة عند والده، وكان عند سفر والده لا يزال صغيرا جدا فلم يكن له مرتب خاص، ولكن حقا نخت قد عدل عن ذلك فيما بعد وكتب إلى «مرسو» : "افهم إذا لم يكن « لسنفرو » مرتب فى البيت معك فلا تنس أن تكتب لى فى ذلك، لأنى سمعت أنه غاضب، فعليك أن تعتنى به وتعطيه غذاء ، و بلغه سلام « خنتخ » ألف مرة بل مليون مرة، واعتن به، ولا بدّ أن ترسله إلىّ فى الحال بعد الفراغ من الزراعة" غير أن هذا العرض الأخير لم يرق فى عين « سنفرو » ورفض بصراحة أن يسافر إلى والده . وفى الصيف التالى نجد «حقا نخت» يكتب مكتئبا : " وإذا كان « سنفرو » يريد أن يحرس الثيران فاجعله يحرسها لأنه لا يريد أن يروح و يغدو حرا فى الزراعة معك ، وكذلك لا يريد أن يأتى إلى هنا معى، فاتركه يفعل ما يريد" .

وكان كذلك ضمن أسرة « حقا نخت » شخص يدعى « رنكاس » له أسرة ومعه أخت أرملة تسكن معه فى البيت، هذا إلى ثلاثة أطفال صغار من بينهم بنت صغيرة تدعى « نفرت » ولم يكن له أم، والنتيجة أن « حقا نخت » كان أرملا . وأمام كل هذه المتاعب لا يسع الإنسان إلا أن يفكر فى أنه مع هذه الأسرة العديدة

كان عنده من المشاغل ما يكفى لانصرافه إلى الاهتمام بتدبير شئونه ، ولكن الأمر كان عليــه أهون ممـا نتصوّر إذ اتخذ لنفسه حظية اسمها « ايتنحاب » و يمكننا أن نتصوّر إحساس أسرته وشعورهم تجاه هذا الأمر من الرسائل المتأججة التى كان يرسلها «حقا نخت» لهم فيقول : "لا بدّ أن تعزل الخادمة «سِنِن» من بيتى فى الحال وحافظ تماما على ألا يزورك «سيحتحور» كل يوم ، واعلم أنه إذا أمضت «سنن» فى البيت يوما واحدا فستكون أنت الملام إذا أساء إلى حظيــتى ، و إلا فلماذا أنا أعولكم ، وما الذى يمكن أن تعمله حظيتى ضدّكم وأنتم خمسة أولاد . بلغ ســلام والدتى «لأبى» ألف مرة ومليون مرة و بلغ سلامى إلى «حِتِيت» وكل أفراد الأسرة و إلى «نفرت» . واحذر إيقاع الضرر بحظيتى فإنك لست شريكى فى أملاكى فإذا لزمت الهدوء فان ذلك سيكون شيئا جميلا جدا" .

ولا غرابة فى أن ترى «حقا نخت» يكتب ذلك منذ أربعة آلاف عام ، فان ما كتبه هو بعينه ما نشاهده كل يوم بين ظهرانينا .

على أنه لم يفلح توبيخ «حقا نخت» فى صفاء الحياة الأسرية المتعكرة المضطربة ، إذ فى الصيف التالى لذلك نجد أن صبر «حقا نخت» قد نفد ففعل ما كان يجب عليه أن يفعــله من زمن طويل فكتب : يجب عليك أن ترسـل « ايتنحاب » وما دام هذا الرجل على قيد الحياة وأعنى به «اپ» مؤاجرى فهو عدوى ومن يسىء إلى حظيتى فهو عدوى وأنا عدوه ؛ وافهم أن هذه هى حظيتى ومن المعلوم أن حظية الرجل يجب أن تعامل معاملة حسنة ، واعلم أنه لا يمكن أن يقوم لهـا أى إنسان بمثل ما قمت به . وإذا اســتطاع أحدكم أن يصــبر إذا اتهمت زوجته أمامه فإنى سألزم الصــبر لمـا يحدث مع حظيتى ، ولكن كيف يمكن أن أعيش معــكم فى دار واحدة إذا لم تحترموا حظيتى إكراما لى ؟

ولا شك فى أن ما لمح به «حقا نخت» لابنه « مرسو » من أنه ليس شريكه فى أملاكه وأطفاله وكذلك تهديداته بأن يقصى كل أولاده من داره إذا لم ينفذوا أوامره لم يأت بفائدة .

والواقع أن «حقا نخت» كان يلذ له كثيرا انتهاز الفرصة لتنبيه أولاده بأنهم عبء عليه وأنهم يأكلون خبزه ، وأن كل شيء ملكه ، وأن كل أفراد الأسرة كَلٌّ عليه .

والحق أنه كان رجلا مشاغبا متعبا . وكانت رسائله مملوءة بالتهديدات مثل قوله : "افهم هذا، واحترس جدا، وكن نشيطا جدا، وستكون مسئولا أمامى عن ذلك، ولا تنس أن تجيب عن كل شيء كتبت لك عنه" . أو نراه يشدّد فى قوله : "افهم أن هذه سنة يجب فيها على الرجل أن يشتغل لسيده" أو يقول : "ليست هذه سنة يهمل فيها الرجل سيده أو أولاده أو أخاه" .

ولا شك فى أن « مرسو » قد تنفس الصعداء عند ما سافرت « ايخاب » إلى «حقا نخت» الذى كتب بأنه سيبقى بعيدا ستة أشهر أخرى .

هذه جولات خاطفة فى هذه الوثائق إلى أن تدرس درسا عميقا ، ومع ذلك فإنها تكشف لنا من صفحة مجيدة من حياة القوم الأسرية والاجتماعية فى عصر مظلم لا نعرف عنه إلا القليل . والمتأمل فى هذه الوثائق يمكنه أن يستنبط أمورا كثيرة لم يتسنّ لنا معرفتها حتى فى أزهى العصور المصرية وسنترك ذلك لفطنة القارئ على أن نعود إليها كلما دعت الضرورة عند درس مدنية الدولة الوسطى جملة .

آثار الملك سعنخ كارع

وقد بقى لنا عدد محدود من الآثار الصغيرة التى تحمل اسم الفرعون «سعنخ كارع» ففى سقاره عثر له على تمثال محفوظ الآن فى «متحف اللوفر»، ويقال إنّ له كذلك خاتما من الذهب نقش عليه اسمه (Wiedemann, ibid p. 221)

وتوجد له لوحة من ودائع الحجر الأساسى لمعبده وهى بديعة الصنع قد نقش عليها "ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «سعنخ كارع» محبوب «منتو» رب طيبة"
(Petrie, Historical Scarabs. p. 165.)

وقد عثر «نافيل» على خرزة كريّة الشكل لونها أزرق قاتم تحمل لقبه
(Hall, Egyptian Scarabs in the British Museum No. 61).

وكذلك يوجد فى مجموعة « بترى » جعران ولكن يحتمل أنه من عصر متأخر
(Petrie, Scarabs and Cylinders Pl. XI, 11. 9).
على أنه إذا كان « سعنخ كارع » قد قارب الخمسين من عمره عند توليته عرش الملك فقد كانت الضرورة تملى عليه أن يسارع فى إقامة مثواه الأخير ، ولكن تدل ظواهر الأمور على أنه كان يقوم بهذا العمل بشىء من الفتور والتراخى
(Winlock, A. J. S. L. 1915 p. 29. Figs 1, 6 — 9; 1941, p. 146, Pl. 23.)
فنعرف أنه قد وضع تصميم طريق ابتداء للعمل فى البقعة التى قام عليها معبد الرمسيوم الحالى ، وكان المجارون قد بدءوا من جهه أخرى يقطعون طريق المعبد فى الطرف الجنوبى لشيخ عبد القرنه وعلى سفح التلال للجبل . وكان انحدار هذا الطريق بنسبة واحد إلى خمسة وعشرين ، ومن المحتمل أن هذين المكانين اللذين ابتدأ عندهما العمل لم يتصل بعضهما ببعض قط ، وإذا اتخذنا الخنادق الظاهرة حتى الآن وهى التى قطعت فى سفح التل ، أساسا لحكمنا استنتجنا أن العمل كان يقوم به شرذمة قليلة من العمال ، وقد تركوا عدّة قطع من الأحجار المنزوعة من الصخر فى مكانها فى الرصيف السفلى من الجبل . وإنه لمن السهل أن يتتبع الإنسان أثر الجانبين اللذين سيتكوّن منهما عرض الطريق ومن ثم يمكن الحكم بأن تصميم عرضه كان مثل عرض طريق «نب حبت رع» .

وفى أعلى هذا الطريق كان العمال قد بدءوا عمل رصيف ممهد تقريبا طوله نحو ١٠٠ متر ، ومن المحتمل أن عرضه كان يساوى طوله لو تم . وكذلك كان العمل قد بدئ فى حفر خندق لإقامة جدار طوله نحو ٧٠ ذراعا أمام مقبرة الملك غير أنه لم يتم ، وكان قد وضع خمس ودائع لحجر الأساس وهى قربان من اللحم فى حفر عملت فى الصخر ، وكذلك شرع العمل فى نحت قبر للفرعون غير أنه لم يتم منه إلا قطع الممر المنحدر وطوله نحو ٣٥ مترا ، وعندئذ أعلن وفاة الفرعون فكانت النتيجة أن وسع نهاية الممر بسرعة واتخذ منه حجرة دفن للملك . ثم سدّت بعد بقطع من الحجر الجيرى الأبيض بدلا من حجر الجرانيت الذى كان يغلق به حجرة دفن الملوك .

المعبـــد

أما معبد الفرعون فكان يتألف من جدار رخيص ملتوٍ بنى من اللبن فوق المكان الذى دفن فيـه ، وقد أقيم خارج هـذا المعبد بيت صغير من اللبن للكاهن الحارس . ولم نجد حول قبر هذا الفرعون إلا حفرا صغيرة اتخذت مقابر وكان لكل منها بئر مستطيلة الشكل ولم يقم بجواره حتى فيما بعد إلا بعض مدافن مربعة الشكل فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة .

مقبرة مكت رع (١)

أما الأغنياء الذين كان فى مقدورهم أن ينحتوا لأنفسهم مقابر على جوانب التل المشرف على موقع هذا المعبد ، فكان يبلغ عددهم نحو الثلاثين . على أنه من الأمور الغريبة التى يلاحظها الإنسان فى هـذا المكان أنه كلما جال المرء حول منحدرات هذا التل يلحظ أن معظم هذه المقابر التى حفرت فى واجهته قد هجرت قبل أن يتم العمل فيها وأن العدد القليل منها نسبيا هو الذى قد استعمل للدفن فعلا . ففى واحد منها نجد اسم مدير البيت للقصر الداخلى المسمى « سى انحور » على قطعة من غطاء وجه (Winlock, Dier el Bahri p. 32.)

ولكن أهم القبور وأعظمها فى الجبانة كلها كان قبر الأمير الوراثى ، والحاكم ، وخازن بيت مال ملك الوجه القبلى والأمير الوراثى ، عند بوابة (جب) مدير البيت العظيم والسمير الوحيد ، وحامل الختم «مكت رع» وهو نفس الرجل الذى ذهب فى ركاب الفرعون « نب حبت رع » ومضى اسمه فى «شط الرجال» على الصخور بوصفه المحبوب حقا من سيده وحاكم الحاكم الست العظيمة . والواقع أن محتويات هـذه المقبرة قد كشفت لنا عن صفحة مجيدة فى حياة القوم الاقتصادية والاجتماعية والصناعية والدينية بشكل مجسم مما لم نكن نحلم به فى هذا العصر البخيل بآثاره .

---

(1) M. M. A. December 1920, p. 14 ff.

ولذلك سأتكلم عنها وعن محتوياتها ببعض التفصيل . ولنترك الملوك وآثارها ونعيش مع موظف كبير وما يحيط به من عامة الشعب على مختلف نحلهم وطبقاتهم :

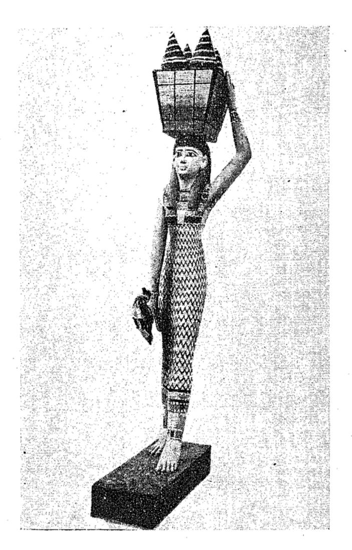
نحتت هـذه المقبرة العظيمة فى الصخرة المطلة على معبد الأسرة الحادية عشرة بالدير البحرى وقد حاول الكشف عنها «درسى» فى عام ١٨٩٥ فلم يصل إلى نتيجة ثم جاء بعده « السير منذ » عام ١٩٠٢ واستطاع كشف الطريق المؤدّية إلى بابها، (A. S. II. p. 133 & VI, p. 77.) وقد بقيت مطمورة بالأتربة حتى كشف عنها «ونلك» عام ١٩٢٢ . و «مكترع» هذا كان موظفا كبيرا يلقب بحامل الختم ومدير القصر، عاش فى عهد الملك «منتوحتب الثالث» وقد عثرنا قبل على اسمه فى معبد هذا الملك بالدير البحرى . (Naville, XI. Dyn. Temple II. Pl. IX d.) والظاهر أنه عاش فى عهد الملوك الذين خلفوا «منتوحتب الثانى» . وتدل محتويات قبره على أنه كان صاحب سلطان عظيم فى البلاط فقد انتخب لنفسـه أفخم مكان فى جبانة عصره فهو يشرف كما قلنا من قبل على معبد سيده الجنازى . و يمكن مشاهدة القبر من ساحة المعبـد، وتصميم المقبرة يشعر بأن « مكترع » قد نحت لابنـه المسمى «انتف» مقبرة فى نفس مقبرته ، وقد أصبح فيما بعد «انتف» هذا أميرا . وحامل ختم الملك . ورغم أن المقبرة وجدت منهوبة فقد عثر فيها على حجرة سرداب لم يمس بعـــد .

السراديب ومحتو ياتها — وقد كان استعمال السرداب شائعا فى عهد الدولة القديمة ومخصصا لحفظ تمـاثيل المتوفى فى بادئ الأمر . ثم أخذ القوم بالتدريج يضعون فيه مع تمثال المتوفى بعض أفراد أسرته أو خدمه، وقد كانوا أحيانا يضعون سردابا خاصا للخدم وأصحاب الحرف والصناعات التى كان يحتاج إليها المتوفى فى آخرته . كل ذلك كانـــ يصنع من الحجر الجيرى الأبيض أو الحجر المحـلى فى جبانة الجيزة أو فى جبانة سقارة . وفى عهد الأسرة السادسة كثر عملها من الخشب، وربما كان سبب ذلك اتصال التجارة بين مصر و «سوريا» وجلب الخشب منها . وقد لاحظنا

أن هذه التماثيل أخذت تكثر شيئا فشيئا وبخاصة أنها كانت مجرّد نمـاذج صغيرة، ولوحظ أن تمثال صاحب المقبرة أخذ يصغر حجمه حتى أصبح فى النهاية يعمل بحجم تماثيل الخدم وأصحاب الحرف والصناعات . وقد رأينـا فى أواخر الدولة القديمة وما بعدها أن تمـاثيل الخدم وأصحاب الحرف والصناعات تعمل فى مصانع خاصة بها كما يظهر، وتكون كل منها فرقة خاصة بصناعة أو حرفة أو تعمل فى قوارب . أما تمثال صاحب المقبرة فقد كان يشرف على ما تقوم به هذه الفرق من الأعمال . وقد كانت العقيدة السائدة فى هذه الفترة عند معظم الشعب أن روح هذه النمـاذج من العمال وكذلك روح الطعام الذى كانوا يصنعونه ليكون خالدا يمدّ صاحب المقبرة بما يحتاج إليه من طعام وغيره. وهذه الفكرة كانت منتشرة انتشارا عظيما بين المصريين حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م . فكان كل فرد فى مقدوره أن يشترى مثل هذه النماذج لتوضع معه حول تابوته أو بالقرب منه فى المقبرة، وكان لا يتأخر قط عن الحصول عليها، ولذلك نجد بعض التماثيل من هذا النوع منتشرة فى متاحف العالم . على أن المهم فى مقبرة « مكترع » هو أنه كان رجلا صاحب يسار وثروة عظيمة . وأراد حسب اعتقاده أن يحيا حياة بذخ وترف فى عالم الآخرة كما كان ينعم بالحياة فى الدار الفانية، ولذلك جهز نفسه بمجموعة فخمة من هذه النماذج مما لم يعثر على مثيلاتها للآن لشخص عادى، ويرجع الفضل فى بقاء هـذه المجموعة لنا إلى مهندسه الذى عاد إلى اتباع طريقة بناء السرداب كما كان الحال فى عهد الدولة القديمة ممـا لم يتنبه إليه اللصوص الذين تعوّدوا نهب القبور فى هذا العهد . ولذلك أفلتت من أيديهم هذه المجموعة الفذة لفائدة العلم والتاريخ، وما ذلك إلا لأن طريقة وضعها فى المقبرة لم تكن مألوفة للصوص الذين كانوا يعرفون طرق الدفن فى ذلك العصر وفى كل عصر بمهارة فائقة، ونحن بوصفنا هذه المجموعة هنا نكشف عن صحيفة اجتماعية فى تاريخ الشعب المصرى فى تلك الفترة الغامضة .

على أننا فى مثل هذا الكتاب لا يمكننا أن نصف مجموعات النمـاذج التى بلغت أربعا وعشرين، جهز بها « مكترع » قبره لتقوم بحاجياته فى الحياة الآخرة .

والواقع أن كثيرا من هذه المجاميع يوضح لنا عمليات ومناظر حيوية وصناعات دقيقة وغير ذلك مما يحتاج إلى درس طويل قبل أن نشرح تفاصيل كل مجموعة شرحا وافيا . ولا نزاع فى أن هذه التفاصيل وبخاصة ما دق منها هى التى تصوّر لنا حياة وادى النيل منذ أربعة آلاف سنة مضت، وفى ذلك تنحصر أهمية هذه النماذج فهى صور مجسمة من الحياة اليومية بعيدة عن الفكرة الدينية المحضة التى كانت الوازع فى عمل الأثاث الجنازى فمثلها عندنا اليوم مثل متاحف الشمع . وإذا



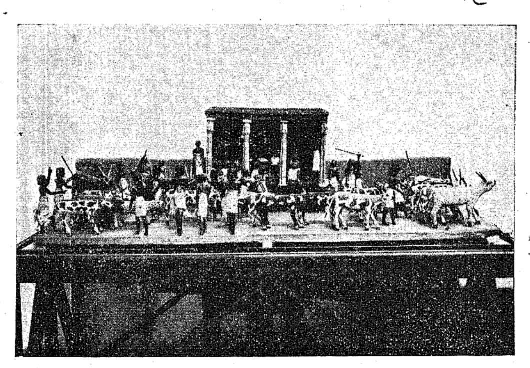
شكل رقم ٧

حاملة القرابين

استثنينا من بين هذه النماذج ثلاث مجموعات لها علاقة مباشرة بالفكرة الدينية كان ما تبقى منها دنيويا محضا .

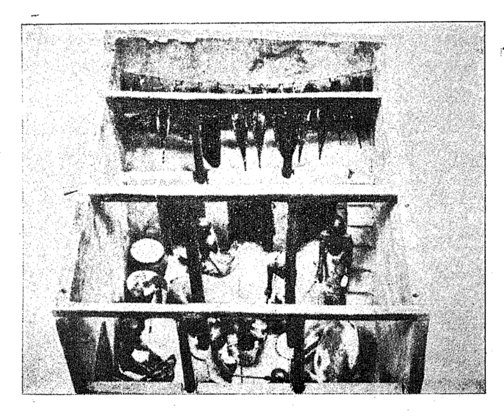
وهذه المجاميع الجنازية تنحصر فيما يأتى : مجموعة تمثل بنتين واقفتين على جانبى السرداب وترتدى كل منهما ملابس طلية ملونة بالألوان الزاهية وتحمل كل منهما قربانا فإحداهما على رأسها سلة فيها لحم وخبز وفى يد كل منهما أوزة حية ، وتمثالا هاتين البنتين مصنوعان من الخشب بنصف الحجم الطبيعى .

والمجموعة الثانية تتألف من أربعة أشخاص واقفين على كرسى واحد جميعا ويمثلون على التوالى كاهنا مستعدّا بمبخرته وآنية الطهور ، ورجلا يحمل على رأسه مجموعة ملاءات من الكتان للأسرة ، واثنتان أخريان تحملان إوزا وسلتين فيهما طعام ، أما ما بقى من النماذج التى يحتويها السرداب فتمثل صور الحياة التى كان ينعم بها « مكترع » مدّة حياته فى عالم الدنيا وهى نفس الحياة التى كان يزعم أنه سيتمتع بها فى الحياة الآخرة .



شكل رقم ٨
إحصاء الماشية

وأفخم هـذه الصور وأعظمها المجموعة التى يظهر فيها هذا العظيم وهو يحصى ماشيته (بمتحف القاهرة) وقد ظهر هذا المنظر ممثلا فى الردهة التى أمام بيته ويطل عليها إيوان ذو أربعة عمـد ملونة بألوان زاهية وفيه يجلس « مكترع » ومعه ابنه ووارثه ، ويلاحظ أنهما متربعان على رقعة الإيوان فى جانب منه وفى الجانب الآخر جلس أربعة من الكتبة منهمكين فى تدوين حسابات الضيعة على قراطيس البردى . وترى ساقيه ومن يرعى بيته قد وقفوا فى الإيوان على إحدى مراقيه ، وفى الردهة المقابلة للإيوان يقف رئيس الرعاة منحنيا تحية لسيده و يقدم له تقريره عن الإحصاء . وفى بداية هـذا المنظر يشاهد الرعاة وهم يلوحون بعصيهم و يشيرون بأيديهم حينما يسوقون و يقودون المـاشية المختلفة الألوان ، وقد مثل كل من هذه المـاشية بحجم يبلغ حوالى ثلثى قدم ، ولا يعتـبر صنع تمـاثيل تلك المـاشية من النوع الممتاز من



شـــكل رقم ٩

حظـــيرة الـــذبح

الوجهة الفنية غير أنها مع ذلك تشعر بصـدق التمثيل ودقة الملاحظة إذ أن حركاتها قد أبرزت بحذق ، فهذه النمـاذج بمـا فيها من ألوان زاهية تعبر عن الحياة والمرح اللذين لا تصادفهما فى القطع المصرية الفنية التى صنعت حسب قواعد موضوعة متبعة .

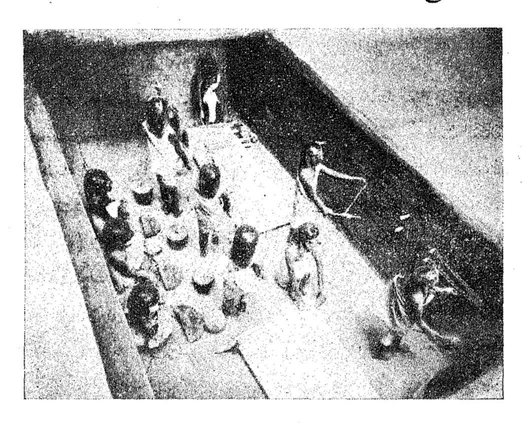
طريقة تسمين الثيران — وبعد عملية الإحصاء هذه لثيران « مكترع » نجـده قد مثل لنا طريقة تسمين الثيران فى الحظيرة (تمـاثيل هذا المنظر محفوظة فى متحف مترو بوليتان) فنشاهد فى الحجـرة التى تعلف فيها الثيران لتسمينها بعض الحيوان مربوطا حول مقود ، ثم نشاهد فى حجرة أخرى الثيران التى قد سمنت وهى تغذى باليد ، ويلاحظ أن الثور قد امتلأ جسمه لحما وشحما لدرجة أنه أصبح من ثقل وزنه راكعا على الأرض والراعى يدس له الطعام فى فمه دسا .

ذبح الثيران وتجفيف لحمها — وبعـد ذلك ننتقل إلى آخر منظر فى حيـاة الثور وأعنى بذلك حظيرة الذبح (متحف المترو بوليتان) فنشاهد هنالك الثيران وقد سيقت إلى قاعة ذات عمـد مكونة من طابقين مفتوحة للعراء من جهـة واحدة فهناك تطرح الثيران أرضا بعـد أن تعدّ للذبح . ونرى أن فى هـذه الحظيرة كاتبا ومعـه أدوات الكتابة المؤلفة من جعبة أقـلام وقرطاس من البردى يقوم بعملية الحساب ونرى كذلك رئيس القصابين يشرف على عملية الذبح ، وطاهيين يقومان بطهو عصيدة دم على مواقد فى ركن الحظيرة ، وفى شرفة القاعة قطع لحم معلقة للتجفيف .

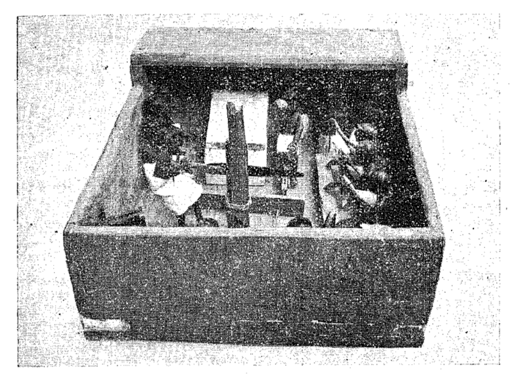
أهراء الغلال — ونشاهد أنه بعد أن يحصل « مكترع » على حاجته من اللحم ، يهتم بالحبوب التى كانت تعدّ لطعامه . فنشاهد أهراء الغلال ، ونرى كتبة يجلسون فى ردهته كل يحمل قلمه وقرطاسه ليدوّن حساب الغلال ونشاهد فى الوقت نفسه رجلين يكيلان القمح بمكاييل خاصة ليوضع فى حقائب يحملها طائفة من الرجال و يصعدون فى سلم ليضعوها فى مخازن عظيمة الحجم (بمتحف المترو بوليتان) . وقد جلس عند باب الحظيرة « أحدب » وفى يده عصا يشرف على العمل بيقظة حتى لا يترك العمل عامل قبل انتهاء الوقت المحدّد .

صناعة الخبز والجعة — ثم ننتقل بعد ذلك إلى مشهد صناعة الخبز والجعة وقد خصص لهما بناء واحد، (بمتحف المتروبوليتان) فيشاهـد فى الحجرة الأولى من هذا المبنى امرأتان تطحنان القمح ثم يرى رجل يصنع من دقيقه أقراصا من عجين يلوكها آخر فى وعاء، وبالقرب منه نجد العجينة التى تركت لتختمر فى أربعة قدور، وبعـد أن تختمر العجينة يشاهد إنسان آخر يصبها فى صف من الأوانى المصفوفة وقد أحكمت عليها سداداتها ووضعت مسندة على طول جدار الحجرة . أما فى الحجرة الثانية فنجد عملية إنضاج الخبز حيث نشاهد رجالا يدقون الحبوب بمدقات ونساء يطحنّ الدقيـق ، وآخرين يقلبون العجين ويصنعون منه أرغفة وفطائر فى أشكال غريبة وغيرهم يقومون بوضعها فى الأفران .

النسيج والنجارة — أما الأشغال اليدوية فقد عثر منها على نموذجين :



شـــكل رقم ١٠
حانـــوت النســـيج

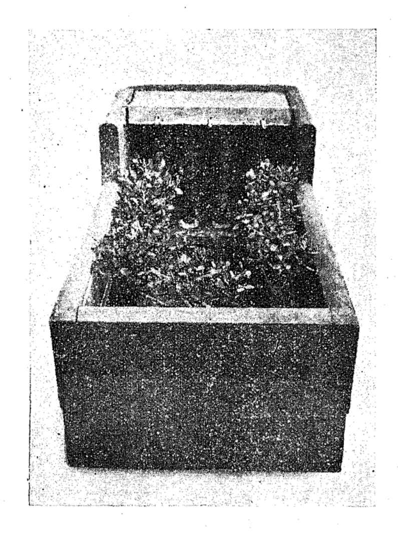


شـــكل رقم ١١
حانوت النـــجارة

فنجد فى صورة نساء يغزلن و ينسجن فى حانوت، كما يشاهد النجارون يقومون بعملهم فى حانوت آخر . وفى حانوت النسـيج ثلاث نسـوة قد أحضرن الكتان ووضعنه فى وعاء ليقوم بنسجه ثلاث نسوة أخر بعد أن تقوم بغزله نسوة يشاهدن واقفات، وفى اليد اليسرى لكل منهنّ مغزل تحركه بيدها اليمنى على ركبتها (بمتحف القاهرة) وعند ما تمتلئ المغازل بالخيوط المغـزولة ، توضع محتو ياتها على حمالات مثبتة فى الجـدار المقابل الذى يشتغل النسـوة بجواره . ونشاهد فى نفس الوقت نساء ينسجن على آلتين (نولين) منصو بتين على رقعـة الحجرة . ننتقل بعد ذلك إلى حانوت النجار وهو مكوّن من ردهة مسقف نصفها وتحتـوى على مشحذ لشحذ آلات النجارة وصـندوق ضخم يضم الآلات اللازمة ففيه مناشير وقواديم وأزاميل ومخار يز وهـذا الصندوق موضوع تحت الجزء المسقوف من الحـانوت (متحف القاهرة) . أما فى العراء فيجلس النجارون زمرا يقومون بقطع الأخشاب الغليظة

بالقواديم ثم يصقلون سطحها بقطع كبيرة من الحجـر الرملى ، وفى وسط تلك الردهة نشاهد نشارا ربط قطعة من الخشب فى عمود وأخذ فى نشرها ألواحا . وفى مكان آخر نرى نجارا جالسا على الأرض وفى يده لوح من الخشب يقوم بثقبه بمثقب ومدقة .

بيته وحديقته — نعود الآن الى ما أعده «مكترع» لنفسه فى حياته الخاصة المنزلية فنشاهد أنه قد شيد لنفسه حديقتين منقطعتى النظير فى كل ما عثر عليه من الآثار المصرية فى هذه الناحية .



شـــكل رقم ١٢
البيت والحـــديقة

والواقع أن المفتن المصرى الذى صنع نماذجهما قد بذل مجهودا جبارا فى إظهار كل الأجزاء الهامة التى ينتظمها بيت الشريف المصرى وحديقته التى تسرى عن قلب صاحبها وتدخل عليه الفرح والغبطة بمناظرها البهجة الأنيقة وجزء من نماذج هذين المنظرين يوجد (بمتحف القاهرة) والجزء الآخر بمتحف (المترو بوليتان) وأول ما يلاحظ أنه قد أقام جدارا حاجزا يحجب البيت عن العالم الخارجى ، وفى داخل هذا الجدار أنشأ بركة مستطيلة الشكل صنعها من النحاس حتى يسهل وضع ماء حقيقى فيها ثم حفها بأشجار الفاكهة وأنشأ قبالتها إيوانا عظيما محلى بعمد ملونة بألوان نضرة بهجة ، وفى نهاية هذا الإيوان أقيم باب رسمى ذو مصراعين ، فى أعلاه نافذة يدخل منها الهواء والنور ، وكذلك أقيم باب آخر صغير للاستعمال العادى ، وتشاهد أيضا نافذة طويلة يخيل للإنسان أنها واجهة البيت نفسه وقد صنعت أشجار هذه الحديقة من الخشب وكل شجرة قد ركبت فيها أوراقها بعد حبك صناعتها ، وهذه الأشجار تمتاز بالبساطة الطبيعية التى نشاهدها ماثلة فى كل هذه النماذج أما فاكهة هذه الأشجار فيلاحظ أنها لا تنبت من أغصان الأشجار بل من سيقانها الأصلية وفروعها .

نماذج سفنه المختلفة — على أن نصف ما عثر عليه من تلك النماذج كان يشتمل على قوارب وزوارق من التى تجرى فى النيل والبحر . ولا غرابة فى ذلك فإن الشريف فى تلك الأزمان كان فى حاجة ماسة إلى القيام بأسفار فى النيل جنوبا وشمالا ليدير أملاكه المبعثرة أو ليقوم بما عليه من الواجبات فى إدارة حكومة البلاد ، ولقد كانت الأسفار فى الأزمان الغابرة دائما بالنيل فى القوارب ، وكان لعظماء القوم بطبيعة الحال سفنهم الخاصة بهم للسياحة والنزهة ، ولا يدهشنا ذلك لأن النيل والمستنقعات كانت هى مسرح المصريين فى غدواتهم وروحاتهم ، ومن أجل ذلك كان نصف النماذج التى عثرنا عليها قوارب وسفنا لتقوم بسد حاجات « مكترع » فى عالم الآخرة الذى لم يكن فى نظر المصرى إلا صورة من عالم هذه الدنيا كما ذكرنا .

على أن « مكتترع » قد عاش فى عصر يبعد جيلا أو جيلين عن العصر الذى ظهرت فيه الشعائر الدينية الجديدة فى الوجه القبلى . وهى التى كانت تتطلب من المصرى أن يجهز نفسه بقارب مقدّس ليصحب الشمس فى سياحتها ، ونتشكك كثيرا فى أن « مكتترع » قد أعدّ واحدا من هذه القوارب لغرض جنازى ، بل الواقع أنها كانت نماذج لسفن عادية من التى كانت تمخر عباب النيل صعودا وهبوطا منذ أربعة آلاف سنة مضت .

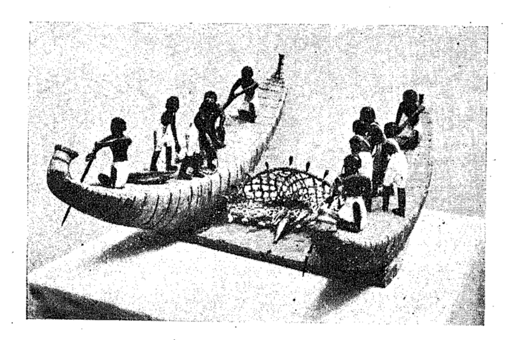
ويوجد من بين هذه القوارب المصغرة أربعة وطول الواحد منها فى الأصل نحو أربعين قدما ، وقد صنع نموذجه فى نحو أربعة أقدام فقط . ويحتوى القارب على عدد من الملاحين يتراوح بين اثنى عشر وثمانى عشر عدا الرعاة والرماة والضابط .

وكانت هذه القوارب عند ما تقلع نحو الجنوب إلى أعالى النيل سائرة مع الريح الشمالية ، تنشر فيها أربعة من الشرع ، ونشاهد النواتى الصغار يثبتون الأمراس ويشدّون حبال الشرع (بمتحف القاهرة) ولكن فى العودة عند الانحدار مع تيار النيل حيث يضاد التيار الريح تخفض السارية ويلف الشراع على سطح السفينة ويشتغل الملاحون بالمجاديف كما نشاهد اليوم فى قوارب النيل . وترى فى كل من هذه القوارب الشريف « مكتترع » جالسا على فراش وثير فوق كرسى وفى يده زهرة يشم عبيرها ، كما يشاهد ابنه جالسا بجانبه وفى الجانب الآخر منه مغنّ يمسح فمه ليجلو صوته للغناء ، وفى إحدى هذه المناظر ترى بجوار المغنى عوّادا ضريرا وقد وضع عوده على قاعدة من الخشب بين ركبتيه (متحف المترو بوليتان) ومما تجدر ملاحظته فى أحد هذه القوارب أن الصانع كان يتوخى تمثيل الحقيقة إلى درجة تثير الإعجاب والضحك معا ، إذ نجد فى حجرة قارب من هذه النماذج مدير البيت ممثلا جالسا وبجانبه كوّة فيها حقيبتان مستديرتان فى النهاية تشبه كل منهما تلك التى كانت تستعمل منذ جيلين من الزمان عندنا للسفر (متحف القاهرة) .

ولم تكن سفن النهر فى هذا الوقت كبيرة الحجم ، ولذلك لم يكن يطهى الطعام فيها ، بل كان يهيأ للطبخ قارب خاص يسير وراء القارب الكبير وعند تناول الطعام كان يربط به . (متحف المترو بوليتان) ، هذا ويشاهد على سطح القارب نساء يطحن ورجال يعجنون أحيانا بأيديهم وأحيانا بأرجلهم ثم يقتطعون الرغفان من العجينة بأيديهم ، وكذلك نرى فى حجرات القوارب قطع اللحم معلقة ، ورفوفا صفت عليها أوانى الجعة والنبيذ ، وأظن أن ذلك منتهى ما يمكن رؤيته من ضروب البذخ وحياة الرفاهية والنعيم فى عصرنا .

أما فى السياحات القصيرة الأمد أوالنزهة فكانت تستعمل قوارب نزهة صغيرة ضيقة الحجم ذات لون أخضر . قيدومها ، ومؤخرتها معقوفان ، وعندما يكون الريح ساكنا ملائما يرفع الملاحون السارية وينشرون الشراع المربع الشكل وهوالذى كان يستعمل فى سفن السياحة ، أما اذا كان معاكسا فكان تنزل السارية ويطوى الشراع ويقوم ستة عشر نوتيا بالتجديف (متحف المترو بوليتان) ومثل هذه القوارب كانت خالية من حجر النوم ، وكان الشريف وابنه يجلسان تحت قبة صغيرة مفتوحة .

أما إذا خرج الشريف لصيد الطيور والسمك فكان يستعمل لهذا الغرض قاربا صغيرا (متحف المترو بوليتان) وكان يقف فى مقدمته الصيادون بمقامعهم وإذا صيدت سمكة عظيمة الحجم جرت من حافة القارب إلى داخله ، ويلاحظ أنه قد ربط فى جانب حجرة القارب عمد وأوتاد خاصة بشباك الطير ، وترى فى القارب ولدا وابنة قد أحضرا إوزا حيا مما اصطاده الشريف وابنه ، ويشاهدان جالسين فوق سطح القارب ، ثم نشاهد أخيرا قاربين من الغاب يجران شبكة عظيمة مفعمة بالأسماك ؛ ويلاحظ أن كل قارب من هذين يجدف فيه رجلان ، وفى وسط القارب يقف صيادو السمك وهم يجرون الشبكة ومعهم مساعد يأتى بالسمك إلى القارب (متحف القاهرة) .



شـــكل رقم ١٣
قارباًن تصـــيد الســمك

على أن الأهميـة العظمى التى نستخلصها من نمـاذج السفن هـذه منحصرة فى المعلومات التى نصل إليها عن كيفية تجهيز السفن بالأمراس والأشرعة والمجاديف . فقد وجدناها تامة إلى حدّ بعيد جدا ومحكمة الترتيب والإتقان ومحفوظة بحالة جيدة لدرجة أن فى إمكاننا مشاهدة أمراس القارب وعقده سليمة جدّا وكذلك وجدنا المجـداف الذى يحرك السكان فى حالة جيدة يمكننا بها فحصه تمـاما لأول مرة . وقد ذكر لنا الأستاذ « ونلك » أنه فى صيف عام ١٩٢١ قد بعث الدهشة والعجب فى نفـوس أهالى ساحل « مين » فى الولايات المتحدة إلى درجة يقصر عنهـا الوصف عند ما جهز قاربا بأمراس وآلات لقارب صنع على نمط قوارب الأسرة الحادية عشرة . فقـد صنع مجاديف عظيمة الحجم كالتى على القـوارب المصرية ثم أقام فيهـا أعمدة لسكان القارب ووضع المجاديف فى أماكنهـا ونقل كل الحركات التى كان يقوم بها المصريون فى تجديفهم وقد أسفرت التجربة عن نجاح باهر جدا .

الحــروب الداخليــة

٢٠٠٧ — ٢٠٠٠ ق م

لقد كان الفرعون «سعنخ كارع» يأمل أن يتولى العرش بعد وفاته بكر أولاده ومن النقوش المهشمة التى عثر عليها فى الكرنك[1] نجد أن «سنوسرت» (الوالد المقدس) (وهو لقب دينى) قد جاء بعد اسم هـذا الفرعون مباشرة وذلك يذكرنا « بالوالد المقـدس » (انتف) الذى كان وارثا للفرعون « نب حبت رع » حتى عام ٣٩ من حكمه على أقل تقدير كما سبقت الإشارة الى ذلك .

سنوسرت (الوالد المقدّس) — غير أننا لا نعلم من مصير «سنوسرت» هـذا إلا أنه اختفى من مسرح التاريخ قبل أن يلبس تاج البلاد فعلا ؛ وقد أعقب ذلك سـبع سنوات مليئة بالفوضى والاضطرابات حسب قول (ونلك) (Winlock J. E. A. Vol. XXVI p. 118.) ومن المحتمل أن «سنوسرت» هذا قد قتل ولم يترك لنا أى أثر فى مخلفات هذا العصر بقدر ما وصلت إليه الكشوف حتى الآن .

الملك « نب تاوى رع » منتوحتب الرابع

وهؤلاء الذين كافحوا للاستيلاء على العرش مدّة خمسة الأعوام التى تلت موت « سعنخ كارع » لم يتركوا لنا أى أثر يثبت وجودهم أو شخصيتهم إلى أن نجد ملكا يظهر لمدّة قصيرة باسم « منتوحتب » وقد بقى المكان الذى يجب أن يحتله هـذا الفرعون فى قائمة ملوك هذه الأسرة غامضا إلى أن كشف الأستاذ (ونلك) النقاب عن أثر معاصر من عهد هذا الفرعون الذى كان يسمى «نب تاوى رع» وهذا غير نقوشـه التى عثر عليها فى وادى الحمامات وغيرها من الأماكن الأثرية التى سنتكلم عنها فيما بعد، وهذا الأثر قطعة صغيرة من إناء إردوازى وقد عثر عليه منذ عدّة أعوام

(1) Chevrier A. S. (1938) p. 601.

بين قطع من حفائر متحف (متربوليتان) التى عملت فى اللشت . وهذا الإناء كان قد صنع ليستعمل فى المعبد وقد وجد فى داخله نقش وهو الأسم الحورى « وحم نسوت » للملك امنمحات الأوّل رأس ملوك الأسرة الثانيــة عشرة ، وقد استعمل الإناء فى معبده إذ قد وجد فى داخله ،غير أن الفحص قد أظهر أنه لم يكن قد صنع خصيصا لمعبد « امنمحات » الأوّل لأنه قد وجد منقوشا على ظاهر الإناء بخــط مختلف صغير: " « حور نب تاوى بن رع» منتوحتب محبوب حتحور سيدة دندره معطى الحياة أبد الآبدين " . ولا نزاع فى أن الاحتمال ضــئيل جدّا فى أن يكون مثل هــذا الأثر القليل القيمة قد عاش بعد حكم « سعنخ كارع » الذى مكث على العــرش اثنى عشر عاما إلى أن أتى به الى العاصمة الجــديدة (اللشت) ويتضاءل الاحتمال أكثر إذا حكمنا بأن هذا الإناء قد عاش مدّة الإحدى والخمسين سنة التى حكمها « نب حبت رع » . وعلى ذلك نرجح أن تاريخ هذا الإناء يرجــع إلى تاريخ بعد حكم هذين الملكين فى الأسرة الحادية عشرة. وبذلك يكون الملك «نب حبت رع » هو صاحب الإناء ومن بين مخلفاته . هــذا فضلا عن أن الرابطة بين تتابع الاسمين بوجودهما على إناء واحد توحى بأن « نب تاوى رع » كان السلف المباشر للفرعون امنمحات الأوّل مؤسس الأسرة الثانيــة عشرة ، غير أن هذا الفرعون قد حذف من ورقة تورين لأسباب سنذكرها بعد وعلى أية حال فإننا نبحث فى عصر مظلم ولذلك ليس هناك ما يدهشنا إذا كنا لا نعلم عن أصــل « نب تاوى رع » أكثر من ذلك بالنسبة لمــا نعرفه عن غيره ممن ذكر اسمه على جزء من قائمــة الملوك التى وجدت منذ بضعة أعوام مضت فى الكرنك، فقد بقى على الجــزء المحفوظ من هذه القائمة ثلاثة أسماء وهم: « نب حبت رع » و «سعنخ كارع» وقد كتب كل منهما فى خرطوش أما الاسم الثالث الذى ذكر بعدهما مباشرة فيدعى الأب المقدس «سنوسرت» ولكنه لم يوضع فى طغراء . والظاهر أنه كان ابن الأخير غير أنه قد مات قبل أن يتوّج كما ذكرنا من قبل، ونجد إذا كما فهمنا من النقوش التى على قطعة

الإناء أن الأسرة الثانية عشرة قد سبقها ملك مشكوك فى شرعيته لتولى عرش البلاد ، وقد تولى عرش البلاد فعلا غير أن اسمه لم يظهر فى قوائم الملوك التى ألفت بعد عهده . ومن المحتمل أنه كان هناك مدّعون للعرش غيره لم تصل إلينا أسماؤهم ، والمختصر الذى جاء فى ورقة تورين عن سنى حكم ملوك الأسرة الحادية عشرة عند نهايتها هو كما يأتى : مجموع الملوك ستة حكموا ١٣٦ سنة مضافا إلى ذلك سبع سنوات فيكون المجموع ١٤٣ سنة من ذلك المائة والست والثلاثون سنة التى حكمها ستة الملوك الذين ذكرناهم فيما سبق وهم الملوك المعترف بهم شرعا . أما سبعة الأعوام المضافة فكانت عهد فوضى وهى عبارة عن الفترة التى تطاحن فيها سنوسرت الوالد المقدس ونب تاوى رع وغيرهما على تولى العرش الذى فاز به الأخير مدّة وجيزة ثم انتزعه منه « امنمحات الأوّل » مؤسس الأسرة الثانية عشرة كما سنرى ، وخلاصة القول أن « نب تاوى رع » الذى وجد اسمه على قطعة الآنية هو الذى نجح أخيرا فى تولى الملك . والواقع أن الآراء كانت فى غالب الأحيان تميل إلى جعل الوزير أمنمحات هو الملك الذى خلف « نب تاوى رع » على عرش البلاد ، وتدل الشواهد الآن على أن هذه النظرية يمكن قبولها وبخاصة بعد العثور على قطعة الإناء التى عليها النقوش السالفة الذكر .

أما منتوحتب نفسه الملقب « نب تاوى رع » فكان معروفا لدينا من نقوشه فى وادى الحمامات (Couyat et Montet, ibid, No. 110 a. b, 191, 192 Breasted, A. R. Vol. 1, 434 – 53.)

فنجده عليها يسمى « حور نب تاوى — رب الأرضين — وصاحب الإلهتين (نب تاوى ، حور الذهبى نتر — نترى) الواحد المقدس — ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نب تاوى رع » بن الشمس منتوحتب العائش مخلدا » .

ويجوز رغم مايحمل من الألقاب الطنانة أنه ليس صاحب حق شرعى فى العرش لأن والدته على ما يظهر كانت من عامة الشعب إذ كانت تلقب (أم الملك امى)

أما والده فلم يذكر قط فى النقوش، وقد قبض «نب تاوى رع» على صولجان الحكم فعلا . وقد نقش له وزيره «امنمحات» أربعة نقوش مؤرخة الاحتفال الأول بعيد «سد» فى السنة الثانية . الفصل الأول الشهر الثانى اليوم الثالث، وفى اليوم الخامس عشر واليوم الثالث والعشرين واليوم الثامن والعشرين من نفس الشهر أو بالتاريخ الحالى من ١٤ يناير إلى ٨ فبراير إذ كانت هذه السنة هى سنة ٢٠٠١ ق م أو ما يقرب من ذلك . (Winlock J. E. A. Vol. XXVI. p. 118.)

بعوث هذا الملك إلى وادى الحمامات — ونقوش وادى الحمامات التى تنسب إلى حكم هذا الملك تعدّ من أهم النقوش التى وصلت إلينا من العهود القديمة، وليس ذلك لأنها تحدّثنا عن جلب الأحجار من هذه الجهات وحسب بل لأنها تحدّثنا عن المعجزات التى وقعت فى سينا بالإضافة إلى أن الحملة صارت بقيادة « امنمحات » الوزير العظيم الذى آل إليه الملك بعد سيده وأسس دولة جديدة وفى هذه النقوش يشرح لنا هذا القائد بنفسه كل الأعمال بالتفصيل، ومع أنه كان من المألوف عند كبار رجال الدولة فى مصر ألا يتورّعوا ولا يخجلوا من التحدّث عن أعمالهم العظيمة وخدماتهم التى قاموا بها لفرعون البلاد، فإن « امنمحات » قد غالى مغالاة كبيرة فى هذه الناحية حتى إن لوحته التى أقامها فى وادى حمامات كانت تحدث عن مناقبه ومفاخره أكثر من الفرعون نفسه .

أسطورة الغزالة أثناء الحملة — وتبتدئ قصة حملته إلى وادى حمامات بعد ذكر تاريخها بحادث كان يعتبر بمثابة معجزة فى أعين عمال الوزير الأول، وقد أوحى بها من السماء إليهم ! هذه المعجزة التى حدثت لجلالته هى أن وحوش الجبال نزلت له منها إذ جاءت غزالة عظيمة ومعها وليدها وقد اقتربت بوجهها نحو القوم على حين أن عينيها كانتا ملتفتتين إلى الخلف ولكنها لم تدر عينيها حتى وصلت إلى هذا الجبل الفاخر عند الكتلة (التى كانت تجهز لتكون غطاء تابوت الفرعون) وكانت لا تزال عالقة بموضعها فى الصخر، وفى النية قطعها لتكون غطاء هذا التابوت .

فوضعت الغزالة وليدها عليها ، وكان جيش الملك ينظر إلى ذلك ، وعندئذ قطعوا رقبتها أمام كتلة الحجر وأحضروا نارا ليقربوا قربانا وبعد ذلك انفصلت الكتلة بسلام (أى قطعت بسهولة) .

وكان جلالة هذا السيد العظيم رب الصحراء الذى منح ابنه (نب — تاوى — رع) « منتوحتب الرابع » عاش مخلدا : هذا القربان ليكون قلبه فرحا ويبقى على عرشه أبد الآبدين ويحتفل له بملايين الأعياد «سد» ثم يأتى بعد ذلك ذكر ألقاب « امنمحات » الأمير الوراثى والشريف وحاكم المدينة والوزير ، ورئيس أشراف مصلحة العدل كلهم ، والمشرف على كل ما تجود به السماء وتنبته الأرض وما يجلبه النيل والمهيمن على كل شىء فى البلاد كلها ، الوزير « امينمحات » ومن مختصر ألقاب هذا الوزير نعلم أنه لم تعوزه المشاغل ليصرف فيها وقته إذ يظهر أنه كان المشرف على كل شىء فى السماء وفى الأرض وفى الماء وتحت الأرضين . على أن ما ذكرناه هنا ليس إلا مقدمة لحوادث الحملة نفسها وذلك أنه بعد حدوث هذه المعجزة باثنى عشر يوما أخذ « امنمحات » ينقش على الصخر الغرض الرسمى الذى من أجله أرسلت الحملة ومدى نجاحها .

وتبتدئ النقوش بأن الملك أمر بإقامة لوحة : "لقد أمر جلالته بأن تنصب هذه اللوحة لوالده الإله « مين » رب الصحراء فى هذا الجبل الفاخر الأزلى" ثم بعد ذلك كلام لا فائدة من ذكره يقول الفرعون «منتوحتب» : "لقد أرسل جلالتى الأمير الوراثى ، حاكم المدينه والوزير ، ومدير الأشغال والمقرب عند الملك « امنمحات » جيشا يبلغ عدده ١٠٠٠٠ رجل من المقاطعات الجنوبية من مصر الوسطى ... ... مقاطعة الغزال ليحضر لى من هذا الجبل من الحجر النقى الثمين الذى خلق صفاته الممتازة الإله « مين » لأصنع منها تابوتا أبديا ولأصنع آثارا فى معابد مصر الوسطى ، وذلك حسبما يرسل ملك الأرضين ليحضر لنفسه ما يتوق إليه قلبه من أرض والده « مين » الصحراوية وقد جعل هذه الآثار لوالده «مين» رب الصحراء .

ورئيس البدو حتى يتسنى للفرعون أن يقيم عدة مرات أعياد (سد) وهو حى كالإله « رع » الخالد" .

لوحة الوزير «أمنمحات» — أما «أمنمحات» فقد أقام لنفسه لوحة فى نفس اليوم ولكن ما جاء فيها من الاشادة بذكر نفسه ومناقبه يتضاءل أمامه كل شيء ذكره عن مناقب سيده « منتوحتب » فهو يقول : « فى السنة الثانية الشهر الثانى من الفصل الأول . اليوم الخامس عشر من الشهر: المهمة الملكية التى قام بتنفيذها الأمير الوراثى ، والشريف، وحاكم المدينة، والوزير، والمقرب من الفرعون ، ورئيس الأشغال، والمتفوق فى وظيفته، والعظيم فى درجته، صاحب المكان العالى فى بيت سيده ، والمشرف على الموظفين، ورئيس محاكم القضاء الست والقاضى بين الناس والأهلين، والذى يسمع القضايا، والذى يأتى إليه الحكام راكعين، وأهل كل الأرض ساجدين على بطونهم أمامه، والذى يدرج به سيده إلى المعالى فى وظائفه، ومحبو به بوصفه حارس باب الجنوب والذى يقود إليه الملايين من الناس ليعملوا له كل ما يحبه قلبه نحو آثاره ، والمخلد على الأرض ، وممثل فرعون فى مصر العليا والعظيم عند الملك فى مصر السفلى، ومدير القصر، والذى يقضى دون محاباة، وحاكم كل الصعيد، والذى يخبر بكل ما حدث وما سيحدث، ومدير إدارة سيد الأرضين ، وقائد القوّاد ، ومرشد الرؤساء ، ووزير الملك فى مجالسه « امنمحات » . تلك هى ألقاب « امنمحات » ولا شك أنه كان متأكدا بأن سيده لن يرى كل هذه الألقاب والوظائف الذى أغدقها وزيره على نفسه عن سعة وإلا لحق « لمنتوحتب » أن يتساءل بم يصف هذا الرجل الملك نفسه إذا كان قد كال لنفسه كل هذه النعوت ؟

والآن نعود إلى ما يقوله الوزير عن بعثته : "لقد بعثنى سيدى ملك القطرين «نب تاوى رع» كما يبعث إنسانا امتاز بالصفات المقدّسة ليقيم آثاره فى هذه الأرض، وقد اختارنى على مرأى من مدينته، وفضلنى على رجال بلاطه. والآن أمر جلالته أن يسير إلى هذه الصحراء المقدّسة جيشا بقيادتى مؤلفا من خيرة رجال البلاد كلها من

عمال مناجم، ورجال حرف، وحجارين ومفتنين ورسامين، وقاطعي أحجار وصياغ، ورجال مالية الفرعون، ومن كل مصلحة للبيت الأبيض (بيت المال) ومن كل مصالح القصر — كل هؤلاء كانوا فى ركابى، ولقد جعلت من الصحراء نهرا، ومن الوديان العالية مجارى ماء، وأحضرت للملكى تذكارا أبديا خالدا لم يؤت من الصحراء بمثله منذ عهد الإله (أى منذ أقدم العهود)، ولقد عادت جنودى دون أن تحيق بهم خسارة، فلم يمت واحد ولم يضل الطريق منهم فرد ولم ينفق حمار، ولم يصب عامل واحد ضعفا، وقد حدث ذلك تمييزا لجلالة سيدى، على يد الإله «مين» لأنه يحب سيدى حبا جما، ولأجل أن يكتب البقاء لروحه على العرش العظيم فى مملكة قطرى «حور» (أى الوجه القبلى والبحرى) ...

وإنى خادمه المقرب الذى ينفذ جميع ما يمتدحه كل يوم".

وبعد انقضاء ثمانية أيام على هذا النقش أمر بحفر نقش آخر يظهر فيه عطف الإله «مين» عليه والمعجزة التى عملها له.

وقد أخذ الواحد «الإله مين» يعمل فى هذا الجبل لإتمام غطاء التابوت، وقد تكررت المعجزة إذ تساقط المطر وظهرت أشكال الإله وتجلت شهرته للناس، فانقلبت الصحراء بحيرة وجرى الماء حتى وصل إلى حافة الحجر، وعثر على بئر فى وسط الوادى أبعادها ١٠ × ١٠ أذرع مملوءة بالماء العذب حتى الحافة لم يمسسه سوء وحفظ نقيا نظيفا من عبث الغزلان، وبقى محجوبا عن أعين البدو المتوحشين، وقد كان جنود الأزمان السالفة والملوك الغابرين يروحون ويغدون بجواره ومع ذلك لم تره عين ولم يلمحه وجه إنسان ولكنه كشف لجلالته ... ... ومن كان فى مصر قد سمع به، وطأطأ القوم الذين كانوا فى صعيد مصر وريفها رءوسهم وحمدوا طيبة جلالته أبد الآبدين.

عودة الحملة إلى مصر — وبعد خمسة أيام من تاريخ النقش المتقدم ختم «امنمحات» بعثته هذه بالنقوش الآتية :

فى اليوم الثامن والعشرين فصل غطاء هذا التابوت من الحجر وهو كتلة أبعادها ٤ × ٨ × ٢ أذرع وذبحت الماشية والماعز وأحرق البخور وسار فى ركابه جيش مؤلف من ٣٠٠٠ جندى من المقاطعات الشمالية (الدلتا) ساروا معه فى سلام إلى مصر» ، وبذلك يتضح لنا أن جنود مصر كانوا رجال أعمال فى زمنهم، ويمكن أن نشبههم بالجنود الإنجليزية الحاليين ، فهم من الصنف الذى يعتمد عليه فى جر الأثقال وحملها، ويلاحظ هنا أننا أسرفنا فى وصف بعثة «امنمحات» إسرافا عظيما، وليس ذلك إكراما لجلب تابوت من وادى حمامات أبعاده ٤ × ٨ × ٢ من الأذرع . بل لأن هناك أمرا آخر أعظم خطرا، إذ الواقع أن هذه البعثة هى البرهان الوحيد الذى بين أيدينا عن نمو قوة عظيمة خلف قوة العرش وهى التى يحتمل جدا أنها ستسيطر على العرش فيما بعد كما تدل كل الظواهر على ذلك، وإن كان البرهان القاطع لا يزال يعوزنا فى هذا الموضوع .

بعثة القائد سعنخ — على أنه لم يكن «امنمحات» هو القائد الوحيد الذى قام بحملات فى الصحراء فى عهد «منتوحتب» إذ قام «سعنخ» قائد جنود الصحراء بحملة فى تلك الصحارى حتى وصل إلى البحر الأحمر وأحضر معه أسرى من البدو ليستعمروا واحة (سليمة) وكذلك أحضر معهم ماشيتهم وبذلك أصبح كل الإقليم الجبلى والصحراوى الواقع فى الشرق تحت إدارة مقاطعة «منعات خوفو» (بنى حسن) فى مصر الوسطى . ومنذ ذلك العهد أصبحت البعثات التى ترسل إلى بلاد «بنت» المشهورة وقتئذ بروائحها العطرية وبالبخور لا تذهب عن طريق السويس كما كان الحال من قبل بل صارت تخرج من قفط إلى وادى حمامات ثم البحر الأحمر حيث أسست مينا «ساوو» (وادى جاسوس الحالية الواقعة فى شمالى القصير) . ويبتدئ نقش القائد «سعنخ» كالآتى : «نب — تاوى — رع» (منتوحتب الرابع) عاش مخلدا . ثم يذكر ألقاب «سعنخ» : قائد جنود الصحراء، ومدير بيت الفرعون، وقائد الأسطول النهرى . سعنخ يقول : "لقد كنت قائد جنود هذه الأرض قاطبة

فى الصحراء مجهزا بقرب المــاء والسلات ، والخبز والجعة ، وكل الخضر اليانعة من الجنوب . ولقد جعلت وديانها حقولا خضراء وتلاعها برك ماء جار ، وعمرتها بالسكان كلها من الجنوب الى «زاو» ومن الشمال الى «منعات خوفو» (بنى حسن) وقد توغلت فى سيرى حتى البحر الأحمر وأسرت شبانا واستوليت على ماشية ، وجبت الصحراء رغم أنى كنت فى الحول الستين من عمرى ولى سبعون حفيــدا من أولاد زوجة واحدة . ولقد نهضت بإتمام كل شئ على الوجه الأكمل للفرعون «نب — تاوى — رع» منتوحتب عاش مخلداً" .

وادى الهودى واستغلاله

وتدل الكشوف الحديثــة على أنه أوّل من اســتغل وادى الهودى الذى كان يجلب منه حجر الجمشت المستعمل كثيرا فى الدولة الوسطى وقبل أن نتكلم عن بعوثه إلى هذه الجهة سنورد كلمة عن وادى الهودى وعن حجر الجمشت نفسه .

يقع وادى الهودى (١) فى الصحراء الشرقية على بعد أربعين كيلو مترا تقريبا جنوب شرقى أسوان . وظل هــذا المكان مجهولا حتى عام ١٩٣٨ عنــدما كانت مصلحة المساحة المصرية تقوم بعمل مصوّرات لهذه المنطقة ، فعثر أحد مهندسيها على لوحة من الحجر الجيرى فأبلغ الأمر الى تفتيش آثار أسوان .

وعنــدما ذهب المفتش الى هناك أحضر اللوحة وأحضر لوحتين أخريين عثر عليهما هناك ، وقد نشر المستر «الن دو» والمسيو «دريتون» هذه اللوحات الثلاث فى مجلة أخبار المصلحة عام ١٩٣٨ (٢) . وترجم المسيو «دريتون» كلمة (حسمن) ، التى كانت الغرض من رحلة صاحب اللوحة بأنها النحاس . ولمــا علم البدو بهذا المكان ذهب الكثيرون لسرقة الأحجار ، ولكن لحسن الحظ أسرع المستر «مرى» مدير

(١) هذه الكلمة التى نكتبها عن وادى الهودى هى للأستاذ أحمــد فخرى الأمين المساعد بالمتحف المصرى وإليه يرجع الفضل فى السماح لى بنشر اللوحات التى عثر عليها فى هذه الجهة .

(2) A. S. IXXXIX P. 187 ff.

المساحة الطبوغرافية بنقل الكثير منها الى أسوان . ومن عام ١٩٤٢ ذهبت إلى المنطقة لمعاينتها فوجدت الكثير من اللوحات الأخرى والكتابات على الصخور . وتكررت الزيارة فى عام ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ حيث نقلت النقوش بأكملها ودرست المبانى التى حولها التى كان يقيم فيها العمال كما وجدت نقوشا أخرى فى الوديان المحيطة بالمنطقة .

واتضح من دراسة الجهة جيولوجيا أنه لا يوجد بها أى أثر للنحاس بل على العكس فإن هذه النقوش كانت فى منطقتين رئيسيتين كل منها بجوار محجر (منجم) كبير يحميه حصن . وهذا المنجم ما زالت فيه بقايا الأماتيست .

وبالرجوع إلى القاموس نرى أن من معانى « حسمن » معنى غامضا وهو أنه مذكور ضمن الأحجار نصف الكريمة . وبدراسة المصادر المختلفة وخاصة ورقة بردية هاريس نرى فى الأجزاء الخاصة بحصر هدايا الملك للعابد أن هناك تماثيل صغيرة وعقودا وجعارين من الحسمن مذكورة دائما بين مثيلاتها المصنوعة من العقيق والبللور الصخرى وأشباهها . وبذلك نؤكد أن معنى كلمة « الأماتيست » (حجر الجمشت) بالهيروغليفية هو كلمة «حسمن» .

والنقوش التى عثر عليها فى هذه المنطقة يزيد عددها عن ١٣٠ ، بعضها هام ذو قيمة تاريخية ولغوية ، والبعض الآخر لا يعدو رسما صغيرا لرجل أو لحيوان ، وبعضها منقوش على الصخر نفسه والبعض الآخر على لوحات قائمة بذاتها يسهل نقلها فنقلتها كلها إلى أسوان .

ويبدأ تاريخ استغلال هذه المناجم إلى عصر الملك «منتوحتب — نبتاوى — رع» ويستمر استغلالها الى الأسرة الثالثة عشرة ، وأكثر اللوحات وأهمها هى إما من عصر «منتوحتب الرابع» أو عصر سنوسرت الأول .

ومما يجدر ذكره أنه ليس هناك أثر لاستغلال هذه المناجم بعد عصر الدولة الوسطى إلا فى أيام الرومان فقط .

وهناك حقيقة هامة وهى أن علماء الآثار كانوا دائمـا يتساءلون عن مصـدر الأماتيست الجميل الزاهى اللون الذى كثر استعماله بوجه خاص فى الدولة الوسطى ، وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى . فبالعثور على هذه المنطقة تأكد لدينا مصدر هذا الحجر الكريم . ومما يستحق الذكر أيضا أن الكثيرين ممن وردت أسماؤهم فى لوحات وادى الهودى باعتبارهم رؤساء بعثات كانوا يقومون برحلات أيضـا الى وادى الحمامات وإلى سينا .

بعوث الفـرعون (منتحوتب الرابع) الى وادى الهودى — وتدل الكشوف[1] التى عملت فى وادى الهودى حديثا على أن هـذا الفرعون قد أرسـل بعـوثا لاستحضار حجـر الجمشت (الأماتيست) الذى كثـيرا ما عرفنا أنه كان مستعملا فى عهد الدولة الوسطى وبخاصة فى عهد الأسرة الثانيـة عشرة ، وقد عثر فى وادى الهودى على أربع لوحات لموظف كبير اسمه «انتف بن بتاح شدو» .

وقد كان انتف هـذا فى السنة الأولى من حكم الفرعون يلقب « مدير البيت ومدير القافلة أو مدير المترجمين » ، وفى السنة الثانية أى فى رحلته الثانية كان يلقب حامل الخاتم ومدير البيت . ففى رحلته الأولى أى فى السنة الأولى من حكم « نب تاوى رع » جاء فى لوحته :

السنة الأولى ملك الوجه القبلى والبحرى « نب تاوى رع »(رب الأرضين رع مدير القافلة أنتف خادمه الحقيق ومحبوب قلبه ، والذى يفعل مايمدحه مدير البيت «أنتف» بن بتاح شدو) . وفى اللوحة الثانية يقول :

السنة الأولى من حكم ملك الوجه القبلى والبحرى « نب تاوى رع » مثل رع الخالد .

---

(١) هـذه اللوحات التى نترجمها هنا ترجمة سطحية قد كشف عنها الأستاذ أحمد فخرى ولم تنشر بعد وقد استأذنته فى وضع ملخص لها هنا .

إنه مدير البيت أنتف بن بتاح شدو، وهو الذى أرسله ليحضر هذا الجمشت فى بعثة بوصفه مدير القافلة « أنتف » المدير الأعظم لبيت سـيده ... ورئيس ... والذى يفعل ما يمدحه ومحبوب قلبه ... المبرأ .

وقد جاء فى اللوحة الثالثة نفس الاسم واللقب غير أن بها بعض كسور يتعذر معها حل نقوشها .

أما اللوحة الرابعة وقد أرخت بالسنة الثانية من حكم هـذا الفرعون فقد جاء فيها ما معناه أن "أنتف هذا الذى كان حامل الخاتم ومدير البيت، ومدير التراجمة قد خرج ليحضر الجمشت من أرض «نخنت» والظاهر أنه قهر العبيد السودانيين فى «واوات» وقهر أولئك الذين فى جنوبى النوبة وفى شماليها وأنه عاد سالمـا ونفذ كل أوامر سيده" .

ومما سبق نرى أن هـذا الفرعون لم يضيع شـيئا من أيام حكمه المعدودات ولكن يظهر أن «امنمحات» خادمه العزيز الذى يفعل كل ما يحبه سيده لم يبق على إخلاصه له وولائه لعرشه فيظهر أنه بعد عودته من بعثته فى الصحراء كان قد اتخذ العدّة لاعتلاء العرش الذى كان يجلس عليه سيده «نب تاوى رع» وأن يناضل من ينازعه هذا المطمح .

ولا بدّ أن «امنمحات» قد ولد فى مدينة «طيبة» رغم العلاقة البعيدة التى تربط جدّه بالأشمونين وهى عادة وطن « آمون» الأصلى . وقد مر علينا سمىّ له قد مات فى «طيبة» منذ تسعين سـنة مضت . وعلى ذلك فإنه لا بدّ قد ولد وسمى كذلك بهذا الاسم فى عهد « واح عنخ » أما عن الحوادث التى أدّت إلى نهاية حكم « نب تاوى — رع» القصير واعتلاء «امنمحات» العرش بعـده فلا نعلم عنها شيئا مطلقا وكل ما يمكن قوله على وجه التأكيد هو أن «امنمحات» انتحـل لنفسه اسم تتويج يذكرنا باسم تتويج الفرعون «سعنخ كارع» آخر ملك شرعى للاسرة الحادية عشرة . وعلى ذلك أسس « امنمحات » باسم «سحتب أب رع» (مدخل السرور على قلبه رع) الأسرة الثانية عشرة .

نظام الحكم فى العهد الإقطاعى الأوّل

فى حكومة العهد الإقطاعى بالدلتا

مقدّمة — إن أقدم عهد إقطاعى معلوم لنا من النقوش المصرية هو العصر الذى جاء بعد تفكك الدولة المتحدة التى قامت فى مصر فى عهد الأسرات الثالثة والرابعة والخامسة، ثم بدأ عصر الانحلال فى أوائل الأسرة السادسة . وتحولت المديريات القديمة إلى إمارات وراثية قامت على الأعطية التى كان يهبها الملك الأمراء المستقلين الذين لم يكن له سطان عليهم منذ سنة ٢٥٠٠ ق م اللهم إلا السلطة الشخصية التى كانت للملك على أتباعه . وهذا العصر الإقطاعى يمتدّ من أواخر الدولة القديمة حوالى سنة ٢٤٧٥ إلى بداية الأسرة الحادية عشرة . حوالى سنة ٢١٤٠ ق م وفى هذه الأثناء كانت الوحدة المصرية فى طريق التكوين ثانية تحت حكم أسرة كان ينتخب ملوكها على ما يظهر . ولكنها أصبحت فيما بعد وراثية فى عهد الأسرة الثانية عشرة حوالى عام ٢٠٠٠ ق م وقد حلت هذه الأسرة بدلا من الإقطاعيات المفككة التى كانت تتألف منها البلاد فكوّنت مملكة إقطاعية متحدة مهدت السبيل إلى الدولة الحديثة التى بدأت بالأسرة الثامنة عشرة حوالى سنة ١٥٨٠ ق م .

والواقع أن هذا العهد الإقطاعى الذى مكث نحو ثلاثة قرون منذ الأسرة الثامنة إلى نهاية الأسرة العاشرة بقى مجهولا لنا، و يرجع السبب فى ذلك إلى أن الوثائق عنه قليلة، وكل ما لدينا ينحصر فى بعض لوحات ومراسيم الملك « نفر — كاو — حور » «نفر — اب — تاوى» ونقوش أمراء إخميم أى المقاطعة التاسعة من مقاطعات الوجه القبلى يضاف إلى ذلك نقوش أمراء سيوط ... ... ثم أخيرا تعاليم الملك [خيتى] لابنه مريكا رع أحد ملوك الأسرة التاسعة أى الأسرة الاهناسية وقد تكلمنا عنها جميعا ببعض الاختصار فيما سبق .

وعند موازنة هذه الوثائق السالفة الذكر بالوثائق التى من عهد الأسرة السادسة والتى توضح لنا عهد الإقطاع فى تكوينه وبالوثائق التى من عهد الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة التى تضع أمامنا معلومات عن أقوال رجال هذا العصر، يصبح فى إمكاننا أن نفهم بوجه عام أن النظام الإقطاعى الذى كان السلطان فيه للأمراء ساد فى مصر الوسطى، ولم تصل إلينا حتى الآن معلومات مؤكدة عن حالة البلاد السياسية والاجتماعية فى الدلتا فى نفس هذا العصر لأن الوثائق التى وصلتنا من العهد الفرعونى فى معظمها خاصة بالوجه القبلى ومصر الوسطى . وسبب ذلك يرجع إلى أن رمال هذه الجهات قد حفظت لنا الآثار وملفات البردى عكس ما كان عليه الأمر فى الدلتا إذ أن غرين الدلتا قد دفن كل الآثار الخاصة بهذه المدنية العظيمة الضخمة التى كان مسرحها الوجه البحرى والتى كانت تقع على النيل وقد أصبحنا لا نعرف عنها شيئا إلا الإشارات القليلة التى نجدها فيما عثرنا عليه من الوثائق فى الوجه القبلى أو ما كتبه بعد مؤرخو الإغريق . وقد كان ذلك سببا فى خلق فكرة خاطئة فى أفقنا التاريخى عن مصر القديمة، فقد صوّرت لنا طبق ما وجدناه فى وثائق الوجه القبلى .

عراقة مدنية الوجه البحرى — والواقع أن الوجه القبلى كان بلادا زراعية فى أصلها وقد أدخلت فيه الحضارة بعد الدلتا بزمن طويل إذ كانت الدلتا معظمها مدن يشتغل سكانها بالتجارة البحرية والنيلية وبالصناعة ، ومن أجل ذلك كانت أغنى البلاد المصرية وأكثفها سكانا وأعرقها حضارة، ومع ذلك فإن مكانة هذه البلاد لا تشغل حيزا ما تقريبا فى التاريخ المصرى القديم لقلة ما لدينا عنها من المصادر المدوّنة .

لوحة نعرمرو الحكم الديمقراطى — وعلى أية حال فلدينا سلسلة وثائق ذات أهمية ممتازة تسهل لنا درس هذه المدن واقتفاء أثر أنظمتها فى إجمالها ، وفهم أصل نشأتها الاجتماعية، وذلك فى عصر ما قبل الأسرات وعصر الإقطاع الإهناسى.

ففى زمن ما قبل الأسرات ألقت اللوحات الأثرية لملوك الجنوب نورا خاطفا على مدن الدلتا فقد مثل عليها ملوك هـذا العهد وهم يهدمون تلك المدن ولوحة الملك «نعرمر» الذى يختلط اسمه باسم الملك «مينا» لها أهمية عظيمة جدا فى موضوعنا هذا . فقد مثل هذا الملك وهو يضرب عصاة الدلتا مرتديا تاج الوجه القبلى وهؤلاء العصـاة هم أناس يسمون بالمصرية « رخيت » (سكان المدن) وهم من الخوارج وقد ذبح منهم الملك «نعرمر» خلقا كثيرا .

و بعد أن قهر قرية متليس ومليج (فوّة الحالية) القوية ، وهى تمـيز على لوحة «نعرمر» بالرمز الخاص بها وهو المقمعة (الخطاف)، أمر بإزالة جدرانها وقصف رقاب عشرة الرجال الذين يديرون شئونها وأخضعها لسلطانه .

وهذا النصر كان بلا شك حاسمـا لأن الملك كان يحمـل فى تلك الآونة التاجين الأحمر والأبيض للوجه القبلى والوجه البحرى . على أن توحيد مصر فى عهد «مينا» لم ينتج عنه تهدئة الأحوال فى مدن الدلتا نهائيا، وذلك لأن ذكرى استقلالها القديم كان يعاودها، فكانت تقـوم بثورات ضـدّ السلطة الملكية، ويقص علينا حجـر «بلرم» فى عهد الأسرة الثانية الحملات التى كان يرسلها الفرعون ضدّ مدينتى «بزم» و «شمع — رع» (Breasted, A, R, I. p. 62).

وأخيرا قضت الأسرة الثالثـة على كل مقاومة من ناحية هذه المدن فلم تعـد تجـد بعد أثرا لعشرة الرجال الذين كانوا يحكمونها منـذ أربعة أجيـال مضت .

نظام الحـكم فى مدن الدلتا — وكانت هذه المدن الآن قد وضعت تحت إدارة مديرين ملكيين يحمـل كل واحد منهم لقب « عزمر » «المشرف على حفر الترع» وربما كان حفر الترع هـذا عملا يستحق العناية فى الدلتا فى ذلك الوقت، ولا نستغرب ذلك لأن الدلتا فى حاجة الى توزيع المياه والعناية بها فى كل الأزمان، وسنرى أن الاهتمام بالنيل فى الدلتا كان من الأسلحة التى يشهرها الملك على كل بلدة تعصيه فيحجز المياه عنها بإقامة سـد فيعطل تجارتها ورى الأراضى التى حولها ،

وبخاصة إذا علمنا أن مدن الوجه البحرى كانت تعيش فيما بينها على التجارة بالنيل وترعه .

والظاهر أن هذه المدن كانت لا تزال تحتفظ بعض الشيء باستقلال قضائى، ومالى يختلف عن الجهات الزراعية فى البلاد ، ويلاحظ أن الأسرة الرابعة بعد أن ركزت السلطة الملكية فى يدها (Pirenne, Histoire des Institutions et du Droit Privé de l'Ancienne Egypte Vol. II p. 144, 152.) كان الوزير يلقب فيها بلقب جديد وهو « مدورخيت » أى رئيس المدنيين .

ولما كان الوزير هو القاضى الأعلى فى البلاد فانه عنى بمد سلطانه حتى على سكان المدن (رخيت) ، وذلك مما يدل على أن هؤلاء المدنيين كانوا قبل ذلك يتمتعون بمركز قانونى خاص . ويظهر ذلك جليا منذ قيام الإصلاح التشريعى الجديد الذى أدخلته الأسرة الخامسة .

محكمة العدل العليا — ولما وحدت الأسرة الرابعة الأنظمة الإدارية فى البلاد كلها لقبت حكام المقاطعات فى الوجه القبلى والوجه البحرى بلقب (قاضى مدير الترع) «ساب عزمر» وفوق هؤلاء أنشأ ملوك الأسرة الخامسة فى « منف » محكمة ستة المجالس «حت ورت . سو» وهى محكمة عليا يرأسها الوزير مؤلفة من حكام لهم ماض فى الخدمة وكانت سلطتهم تتناول كل البلاد (Pirenne ibid, p. 168) وفى الوقت نفسه نجد أن القضاة المديرين «ساب عزمر» للمقاطعات قد أضافوا إلى لقبهم هذا لقب «مدو رخيت» أى (رئيس الرخيت) مؤكدين بذلك طبعا أن الرخيت (سكان المدن) منذ ذلك الوقت أصبحوا تحت سلطانهم كباقى المواطنين الآخرين . ولما كنا قد لاحظنا أن المدن منذ الأسرة الثانية كانت تحت إدارة (مدير) « عزمر » أى حاكم إدارى ، فإن سلطة القاضى المدير التى امتدت على (سكان المدن) فى عهد الأسرة الخامسة لا يمكن إلا أن تعبر عن سلطته بصفته قاضيا (ساب) أى سلطته القضائية . وهذه النظرية مقبولة جدا فى ظاهرها ، إذا لاحظنا

أن الحاكم كان لا يقوم بالعدالة فى مقاطعته إلا بصفته رئيسا لمجلس أشراف (سر) ومن المحتمــل أن هؤلاء لم يكونوا فى المــدن إلا خلفا (لعشرة الرجال) الذين كان فى أيديهم قبل حكم « مينا » إدارة الحكومة فى كل مدينة ، ولا بدّ من القول بأن «الرخيت» سكان المدن كانوا طائفة مميزة من المموّلين وهذا يمكن استنتاجه من درس ألقاب الدولة القديمة . فمصلحة المــالية «برحز» (P. r. h. d.) . كانت تشمل إدارة هامة يقوم بإدارتها مدير الضرائب «حرى . وزب» وكانت إدارة الضرائب فى عهد الأسرة الخامسة على ما يظهر تحت سلطة مديرين، مدير ضرائب الزراعة «حرى . وزب . مريت» ومدير ضرائب المدنيين «حرى . وزب . رخيت» وكان الاثنان تحت إشراف الوزير الأعلى الذى كان من ألقابه العدّة مدير الضرائب الزراعية وأهل المدن (Pirenne, ibid. p. 183) وسكان المدن هؤلاء « رخيت » رغم أنهم كانوا يخضعون بالتدريج لقانون الحقوق العامة كلما تركزت السلطة الرئيسية، قد حافظوا طوال الدولة القديمة على طابع خاص بهم من الوجهة الاجتماعية على الأقل .

عـودة الحـكم الديمقراطى الى الدلتـا فى العهـد الإقطـاعى —

ومن الأمور الهــامة فى تاريخ العهــد الإقطاعى فى عصر الأسرة التاســعة أن نرى عشرة الرجال الذين شاهدناهم فى لوحة « نعرمر » كانوا يحكمون المدن قبل جمــع السلطة الملكية فى يد « مينــا » وقــد ظهروا ثانية فى متن تعاليم الملك « خيــتى » لابنه « مريكارع » وهــذا المتن له أهمية ممتازة فى درس تاريخ مدن الدلتا والعصر الإقطاعى بوجه عام . ومن المدهش أنه لم يدرس قط حتى الآن من هذه الناحية . وذلك أنه عند ما شرح الملك « خيتى » لابنه ما يجب عليه القيام به لتنفيذ سلطانه حتى يكون ملكا قويا فاضلا فى وقت واحد، أشار فى سياق الحديث إلى أن الحال قد تستدعى فى مواطن كثيرة الاستعانة بسلطانه الشخصى وسلطان أتباعه ورعاياه على أن طابع هذه الوثيقة التى فى أيدينا نفسها لا يعرض أمامنا وصفا منظما عن مملكة « خيتى » التى كانت وقتئذ تنحصر فى مصر السفلى ومصر الوسطى ، ولكن من الممكن

أن نستخلص هذا النظام بجمع كل العناصر التى تضمها الوثيقـة ويكون لها علاقة بالأنظمة الإقطاعية فى تلك الفترة .

وسـنرى أنها تجتمع من جهـة حول الأمراء الإقطاعيين أو الأتبـاع ذوى الإنعامات الملكية، ومن جهة أخرى حول مدن الشمال[1] .

ورغم أن التعاليم التى وجهت إلى «مريكا — رع» ترجع إلى العهد الإهناسى، فان النسخة التى فى أيدينا قد كتبت فى عهد «تحتمس الثالث» أو «أمنحوتب الثانى» هذا فضلا عن أن المتن الذى فى أيدينا مشوه وفيه بفجوات ، ونجد كثيرا من نقطه لا يمكن الاستفادة منهـا ، وسنقتصر فى الترجمـة على الفقرات السليمة التى يمكن الوصول فيها إلى حقائق مفهومة .

حالة بلاد الدلتا من تعاليم مريكارع — ونعلم من هـذا المتن أن الملك الإقطاعى كان قبل كل شىء كاهنا أعظم، على أنه وإن كان سلطانه من جوهر إلهى فإنه لم يكن بإله كما كان الفراعنة العظام فى عهد الدولة القديمة ويرجع السبب فى ذلك إلى أن تفكك الدولة قد غير الفكرة عن الملكية وجعلها تعود إلى ما كانت عليه قبل توحيد « مينا » للبلاد أى إلى الفكرة الإقطاعية قبل الأسرات .

والواقع أنه بقدر التقوى التى كان يظهرها الملك نحو ربه، يصبح ملكا ذا بأس عادلا مهابا محبوبا . ولذلك يقول خيتى لابنه :

„ أسس بيوتا للإله وطوائف الناس الذين تجنـدوا (لهـذه البيوت) نافعين لربهم ، وهذا هو السبيل لإحياء اسم من أقامها — ويجب على الإنسان أن يفعل ما يسر روحه « با » . أدّ الخدمة الشهرية للكاهن المطهر « وعبت » فالبس حذاء أبيض ، واختلف إلى المعبـد ، وتفقه فى الأسرار، وانفـذ إلى أعماق المحراب ،

(1) W. Golenischeff, Les Papyrus Hieratiques N. 1115-1116 A. 1116 b, de L'Ermitage Imperial à St. Petersburg 1913; Gardener, New Literary Works from Ancient Egypt, J. E. A. 1914 p. 22-32; Erman Die Literatur der Agypter 109-119.

وكل من خبز المعبد، وابسط مائدة القربان وضاعف خبز (القربان) وزد فى أهمية ضحايا المؤسسات الدينيـة، فإن ذلك شيء نافع لفاعله . أسس بيوتا للإله حسب ثروتك، لأن يوما واحدا يثمر لكل الأبدية، وساعة واحدة تجلب السعادة للمستقبل، والله يعرف الذى يعمل حبا فى ذاته " .

أما ميزة الملك الرئيسية فإقامة العدل، ولكن ما أبعدنا فى متون « خيتى » عن النظام القضائى الفاخر الذى كان سائدا فى الدولة القديمـة ، فمحكمة ست القاعات المقامة فى «منف» وهى التى كان يشرف عليها الوزير وتصدر الأحكام باسم الفرعون قد اختفت وحل محلها الملك نفسه يعمل قاضيا فى قصره . أما القصر فلم يعد بعد يطلق عليه اسم البيت العظيم (برعا) الذى كان مقر .(Pirenne, ibid p. 47-17, 59 Vol. III. p. 33, 43) الملك يحيط به حاشيته وعظماء ضباطه وجم غفير من موظفيه، بل كان مجرد قصر الملك «خنو» أى بيته الخاص، وكان الملك يجلس فيه فى وسط حاشيته المؤلفة من أتباعه الذين يقيم معهم العدالة فى البلاد .

نزاهة الحكم والعدالة — وكانت محكمـة العدالة هـذه هى أساس القوة الملكية وذلك لمـا كانت سلطة الملك تفرض على الناس الرهبـة التى كان يجب أن تبعثها فى نفوس القوم . وكذلك تفرض رهبته عليهم باستقامته التى كان يعترف بها الجميـع ، فإنه كان من الضرورى أن يكون عظماء حاشيته مستشارين مخلصين له وقضاة نزيهين فى أحكامهم، ولذلك كان من واجب الملك أن يجعلهم من أهـل اليسار لأن «خيتى» يقول لابنه: "إن الرجل الذى لا يحتاج إلى شيء فى مأمن من أن تشترى نفسه بالمـال .

حاب عظماءك حتى يحترموا قوانينك ولن يكون محابيـا من كان غنيا فى بيتـه وله متاع ولا يشكو الفـاقة ، والرجل المعوز لا يتكلم حسب اعتقاده، ولا يكون مستقيما من يقـول : آه لمـاذا لم أكن غنيا ، ويكون إذا محابيا لمن فى قدرته أن يدفع له (الرشوة) .

وعظمة الرجل العظيم عند ما يكون العظماء عظماء .

وإنه لملك قوى إذا ما شدّ أزره مجلس ، وإنه لجدير بالاحترام من كان غنيا فى عظمائه ، وعنـدما يكون الملك محاطا بعظمائه الذين تضمن ثروتهم اسـتقامتهم ، فإنه يقيم عدالة صحيحة .

وعندما تقيم العدالة فى بيتك فالعظماء الذين فى البلاد يخافونك . وكل شيء ينجح لملك سـليم القلب ؛ وإن داخلية بيتك هى التى تبعث الرهبة فى خارج بيتك . أجر العـدل حتى يمكن أن تبقى على الأرض ، واس الباكى ، ولا تضطهدن الأرامل ، ولا تحرمن رجلا متاع والده ، ولا تؤذين العظماء فى مراكزهم ، واحذر أن تعاقب ظلما ، ولا تضربن إلا إذا كان فى ذلك مصلحة ، ويمكنك أن تعاقب بالجـلد وبالسجن ، فالبـلاد يحسن نظامها بهذه الطريقة ، ولا تستثنين إلا الثائر عند ما يكشف عن نواياه ، لأن الله يعرف الشرير ويلعنه فى الدم ... ... ولكن لا تضربن رجلا تعرف مزاياه وقد رتلت معه الكتب " .

يجب أن يكون الملك متعلما تقيا ــ والكتب المقصودة هنا هى التى قد حفظ فيها حكم الأجداد أساسا لتكوين الرجال المثقفين . " قلد آباءك وأجدادك ، وتأمل فإن كلامهم محفوظ فى الكتب . افتحها واقرأها لتصير من أهل المعرفة ، لأن الذى يعمل يصبح رجلا متعلما . والواقع أن الملك ببعثـه مثل هـذه الحكمة التقليدية يصل إلى هذه الاستقامة وطيبة القلب اللتين تسمحان له أن يقابل حساب ربه دون خوف بعد الموت ، لأنه لن ينسى قط أنه مسئول أمام الإله ، إنّ المحكمة الإلهية التى تحاكم المجرم كما تعرف ليست متهاونة فى اليوم الذى يقف فيه الشقى ساعة النطق بالحكم ، فالشقاء إذا كان المتهم مجرما . ولا تركنن إلى التفكير فى طول الأعوام (التى عشتها) لأن الحياة الإنسانية فى نظر المحكمة مثل ساعة واحدة . (هذه هى نظرية العلم الرياضى) . والرجل يظل باقيا بعـد أن يصل إلى ميناء الموت وأعماله تكون بجانبه مكدسة وسيبقى هناك أبدا وإنه لمن الحمق أن يستهان بذلك .

ومن يصل إلى ميناء المـوت دون أن يرتكب خطيئة كان هنـاك بمثابة إله وسيتنزه كأسياد الآخرة» . (1. 57)

ومن المهم الآن أن نتساءل من هم هؤلاء العظماء والرعايا الذين مدّ الملك عليهم سلطانه التشريعى . ولكن متن هذه البردية لا يمكننا من فهم ذلك إلا بعد أن نفحص فحصا دقيقا الألفاظ التى تعـبر عنها ، ومن ثم يمكننا أن نصـل إلى بعض نتائج بطريقة واضحة بالرغم من الفجوات والإبهامات التى تجعل بعض أجزاء المتن لا يمكن فهمها كلية .

تفسير كلمة عظماء فى العهـد الإقطاعى — ففى المـتن كلمة (العظماء) « ورو » وهـذا هو اللقب الذى كان يحمله الإقطاعيون فى عهد ما قبل الأسرات عندما كان مجلس (عشرة رجال الجنوب) « ور . مز . شمع » يؤلفون نوعا من مجلس عشرة العظماء الإقطاعيين قبـل أن يصبحوا عشرة الأمراء فى عهـد الدولة القديمة (Petrie, Tanis p. 100.) وهذا هو اللقب الذى كان يحمله أمراء أسيوط فى عهـد الأسرتين التاسعة والعاشرة (Breasted, A. R, I, par. 393-408) ، على ذلك فالعظماء هم أمراء الإقطاع التـابعون للملك ، وهم رؤساء عشائر وكلمـة العشيرة هنـا « وحيت » يقصد بهـا القبيلة تقريبا وهى التى تشمل الأسرة وكل أتباع « السيد » ، وهؤلاء الأتباع « الموالى » يعبر عنهم بكلمة (مريت) وهـذه اللفظة تفسرها لنـا المراسيم الملكية التى صدرت فى عهـد الأسرتين الخامسة والسادسـة (Pirenne, ibid, Vol. II p. 306-316) ومعناها المـزارعون أو الفلاحـون بالمطابقة مع المدنيين . وهؤلاء الفلاحون قد تحوّلوا فى أواخر الأسرة السادسة إلى مستأجرين (تمليين) (Pirenne, ibid. Vol. III. p. 299-302) و يطلق عليهم متن «مريكا رع» كذلك لفظة « زت » (تملية) وهى كلمة تدل على نوع من المزارعين (التملية) التابعين لضيعة السيد .

وهـؤلاء الأسياد كانوا يسكنون قلاعا عظيمة « حت ـ عات » مثل حكام الإقطاع فى عصر ما قبل التاريخ و يلقب كل واحد منهـم بلقب « نب » (السيد)

مثل الملك نفسه، ونقوش أمراء أسيوط تظهر لنا أنهم كانوا يتعاقبون على حكومة مقاطعتهم حسب قواعد الوراثة الملكية، وفى يدهم السلطة الملكية الحقيقية ، ومع ذلك فإنهم كانوا تابعين للملك فهم أتباعه وأصحاب إقطاعه ومرتبطون به من جيل إلى جيل وخاضعون لتشريعــه ويحصلون منه على هبـات وثروة؛ وهم مدينون له بالخدمة العسكرية ولكنهم يقودون جيوشهم الخاصة .

وملوك إهناسية لم يمدّوا سلطتهم على الأمراء الإقطاعيين فحسب بل إن قوتهم كانت تتمثـل إلى درجة عظيمة فى السلطة التى يديرونها ، وذلك بفرضها على مدن الدلتا أو على الأقل على طائفة منها .

تقسيم الدلتا إلى مراكز ديمقراطية — وكانت الدلتا خلافا لمصر الوسطى مقسمة بين العظماء وتتألف من مراكز (سبت) لكل مركز مدينة عظيمة تتخـذ حاضرة له : وفى كل من هـذه المدن كانت السيادة فى أيدى عشرة رجال وكان الحـاكم يستمدّ إيراده من الضرائب المختلفة . أما الكاهن فكان له حقل (أى أن الكاهن كان له حقل بصفة مرتب يستغله هبة وراثية) .

وصف مدينــة أتريب (بنها) وحكومتها — ويصف لنـا المتن بلدة « أتريب » بأنها مدينة من أهم هـذه المدن وهى واقعة فى وسط الدلتـا على الفرع الأوسط للنيل (المقاطعة العاشرة من الوجه البحرى) (9901) وهى المركز الرئيسى للطرق التى تؤدى إلى البلاد الأجنبية (فى المتن يقول سرة جبال أهـل الصحراء) وأسوارها وجنودها كثيرة .

ويبلغ تعـدادهم عشرة آلاف رجل (الذين يطلق عليهـم صفة المواطنين) لا يدفعون ضرائب (أى الضرائب أو السخرة للملك التى أعفوا منها . إذ المتن فى الواقع يشير إلى ضرائب يدفعونها إلى حكومة المدينة) .

ولهـا حكام « سر » منـذ زمن الحاضرة (أى منـذ أوزير وهو عصر ما قبل التاريخ الذى تنتمى إليــه اللوحات المنقوشة، وهى التى عرفنا منها هـؤلاء الحكام أى عشرة الرجال) .

وحدودها ثابتة ، وقوية ، وحامياتها (؟) ، وهى مؤلفة من جم غفير من رجال الشمال ، وبلاد الدلتا تنتج القمح بلا قيد ولا شرط ، وهذا القمح ملك لمن يزرعه . ولقد كانت هذه هى الميزة الأساسية لبلاد الشمال . ولا نزاع فى أن هذه الأسطر القلائل من هذا المتن (وهى لم تفهم من قبل على ما أعتقد) تظهر لنا بوضوح حال مدن الدلتا . فكان يدبر شئونها حكام وهم عشرة الرجال . ومن المهم أن نلاحظ أن السلطة التى كانوا يمارسونها قد عبر عنها فى المتن بكلمة (حقات) وتدل على السيادة التى كانت فى يد الأمير . والواقع أن سيادة الأمراء الإقطاعيين كان يعبر عنها بلقب (حاكم القلعة) «حقاحت» ففى مرسوم «نفر كاوحور» وهو أحد العقود القانونية فى العهد الإقطاعى يقول : "عندما عين «ادى» أمير «قفط» حاكما على ست المقاطعات الجنوبية للوجه القبلى"، وقد أنعم عليه بهذه السلطة فى العبارة الآتية : اعمل أميرا (حاتى عا) ... ... ورئيسا لحكام القلاع (حقاحت) الذين هناك (فى هذه المقاطعات)؛ وعلى ذلك فإن المدينة كانت بالنسبة للملك كاقطاعية أى أنها ليست تابعة لأى أمير إقطاعى ، وهذا يدل على أن الدلتا لم تكن مقسمة إمارات إقطاعية ولكن المدن كانت منظمة جمهوريات تتمتع بحكم ذاتى وتحت سيطرتها الأراضى المنبسطة . وسكان هذه المدن كانوا يتألفون من مواطنين أحرار، وكانوا قابعين داخل أسوارهم، وفى قبضتهم الأراضى التى تحيط بهم . أما مصدر حياتهم فكان التجارة، وكانت تلتقى القوافل البرية فى هذه المدن، وكذلك السفن التى كانت تجرى على النيل نحوها . وفى أصقاع هذه المدن لم يكن نظام (التملية) الإقطاعية موجودا ، فالقمح كان ينتجه الزراع بحرية ومحصوله ملك لهم .

سكان المدن من الطبقة الوسطى — وهؤلاء السكان الأحرار كانوا يتألفون من الطبقة الوسطى الحرة ولكنهم لم يكونوا من الأشراف ، والمتن يعبر عنهم بكلمة «نزى» التى تعنى بالمصرية صغير «متواضع» وقد ترجمها الأستاذ «جردنر»

فى سـطر ٦٢ بكلمة (متواضع) وفى سطر ١٠١ بكلمة (مواطن) والواقع أن كلمة « نزى » هنا معناها من غير الأشراف ، ولكن أهل هذه الطبقة المتوسطة الأحرار كان يتألف منهم قوم على وجه خاص مشاغبون ، وكانوا مقسمين عصابات سياسية ، وهذا ما يجعلنا نوافق على أن عشرة الرجال كانوا منتخبين من أهل المدن لإدارتها ، واستمع إلى المتن يصف تطاحن الأحزاب فيقول : " إنهم عنصر ثورة فى المدينة فهم كالرجل المشاغب الذى يبعث الشـقاق فى حزبين بين أهـل الجيل الغنى فاذا فهمت أن المدينة منحازة إليه ... وأن أعماله لا تحسب حسابك فعليك أن تحضره أمام المجلس وعاقبه لأنه ثائر ، والإنسان المؤذى للمدينة يكون مثل الثرثار . وعليك أن تخضع الجمهور وأن تقمع هياجه " .

ونشعر من هـذا المتن الممتلئ حيوية بحياة هؤلاء السكان المدنيين المضطربين المتفرقين شيعا سياسية أنهم يكونون دائمـا على أهبة خلع النير الملكى . وكذلك نجد من جهـة أخرى أن الملك ، وإن لم يكن يضرب الضرائب على أهل المدن ، فانه كان له عليهـم نفوذ تشريعى إقطاعى الصبغة ، فالقاضى كان يحضرهم أمام محكمته ويحكم عليهم . على أن الملك مع ذلك كان لا يتردد فى أن يتدخل ويخضع الجمهور كما فعـل ملوك ما قبـل التاريخ وملوك الأسرتين الأوليين الذين أرسـلوا الحملات التأديبية الى المدن كما جاء فى لوحات ذلك العصر وفى حجر « بلرم » .

تـكوين جيش الفرعون ـــ وعند كلام الملك عن هذه المدن القوية الآهلة بالسكان الواقعة فى شرق الدلتا كان يقول : " إنها تقدم له خدمات كزمرة بسيطة « تس » " ويقصد من هذه (الزمرة) أن المدينة تقدم للملك فرقا عسكرية من المجندين . وسـنرى ذلك فيما يلى . فإذا كان أمراء الإقطاع كما نفهـم من نقوش أسيوط ، لهم جيوشهم الخاصة فإن الملك كذلك له جيشه الذى كان يهتم دائما بزيادته . " جند جنودك بطريقـة تجعل القصر يقدرك . وضاعف عدد رعاياك الذين تتخذ منهم أتباعك .

وارع أن تكون المدينة (يعنى هنا المدينة الملكية) مكتظة بجنود جدد وهاك عشرين عاما والجيل الغنى مرتاح ليعيش حسب رغبته .

وعلى ذلك استمر الأتباع يقدّمون أنفسهم ، ورئيس الأسرة يشترك فى الخدمة مع أولاده ... ...[فهل الشيخوخة هى] التى حاربت لأجلنا عند ما جندت جنودى وقت توليتى العرش ؟

حاب عظماءك ومد (محاربيك) وضاعف أجيال أتباعك ومدهم فى قوائمك بالهبات من الحقول المجهزة ... ... بالماشية" . وهذه الفقرة تظهر أن الملك كان يجند من بين رعاياه رجالا يحملون السلاح ويهبهم إنعامات وراثية ،و بذلك أصبحوا أتباعه . والظاهر أنه كان من واجبهم أن يقوموا له بالخدمة العسكرية مدّة عشرين عاما .

وهذا الجيش كان يقوده رؤساء ينتخبهم الملك من بين عظمائه كما كان ينتخبهم من بين أهل المدن .

"لا تميزن بين ابن الأسرة (أى الشريف فى النسب) و بين الرجل الرقيق الحال أى الذى من الطبقة المتوسطة بل خذ الرجل فى خدمتك حسب قيمته" .

ولا شك فى أن الملك كان يفرض خدمة عسكرية خاصة على سكان المدن . ومن أجل ذلك كان يخرطهم فى سلك فرقة من الفرق «تس» التى يتألف منها جيشه . فمع أن مدن الدلتا كانت صاحبة استقلال ذاتى إلا أنها كانت تابعة للتشريع الملكى ، ومدينة للملك بتقديم فرق من المجندين ، وكانت له منبع قوة ولذلك وصى «خيتى» ابنه بألا يهمل ذلك المنبع ؛ ولا نزاع فى أن المدن كانت تطبق سلطان الملك بصعوبة . وكذلك الالتزامات التى كانت تنجم عن هذا الخضوع ، ولهذا كان يرى الملك من بعيد المعارضة التى ينتظر أن تقوم فى وجه ابنه .

أسلحة الملك لمحاربة المدن الثائرة — وكيف حدث أن هذه المدن لم تثر؟ فيقول لأن النيل لا يخطئ ، فاذا أردت فإنه لا يأتى (الى هذه المدن) . وهذا

هو السبب الذى من أجله أصبحت الضرائب « باك » فى يدك وهى التى تجبى من بلاد الشمال . وهكذا فقد غرست وتد حبل المرسى فى القطر الذى أخضعته فى شرق الدلتا (أى أصبحت مسيطرا على شرق الدلتا) من بداية حدود حبتو (بنى حسن) حتى طريق حور (حدود شرق الدلتا) وهذا القطر آهل بالمدن المكتظة بالسكان وهى أحسن البلاد ... ... » .

وفى جزء آخر من المتن يفسر لنا الملك كيف تنتهز الفرصة لإجبار المدن على الخضوع ، وذلك أن المدن كانت دائما فى حروب مستمرة فيما بينها ، فمثلا نجد أن « اتريب » لأجل أن تقهرها « إهناسية » حاضرة الملك ، قد أقامت سدّا ضدّها ، وهو سدّ فى عرض النهر طبعا اوقف الملاحة وإجبارها على التسليم والخضوع .

وهذه هى نفس الطريقة التى يشير إليها الملك عند قوله أن يمنع المدن من الثورة ضدّه ، لأنه هو سيد النيل ، وأنه بإرادته يأتى النيل أولا يأتى حتى مدن الدلتا .

ومن ذلك نعلم أن فيضان النيل وسده كانا هما الطريقين الفعالين للسيادة على المدن ؛ فالفيضان يعوق زرع الغلال وهو مادة التجارة لمدن الشمال ، والسد يمنع الملاحة . وهكذا يصف لنا الملك الحرب التى شنها على الدلتا : «أقم سدا ضدّ نصف البلاد ، واغمر النصف الثانى بالمياه بما فى ذلك (؟) مدينة « اتريب » » .

وهذه الجمل مع إيجازها لها أهمية استثنائية إذ تبرهن على أن المدن كلها كانت تتوقف حياتها على النيل لأنه الطريق العظيم للتجارة التى منها تعيش وبه حافظت على حريتها فى داخل أسوارها .

والظاهر أن تعاليم « مريكارع » لم تترك مجالا للشك فى أهمية مدن الدلتا مدّة العصر الإقطاعى ، إلى أنها قد سهلت علينا فهم النظام الذى كانت تعيش تحت كنفه هذه المدن ، وكذلك تأليف سكانها ونشاطهم .

وفى وسط نظام الإقطاع الذى ملك الدولة القـديمة تحول المجتمع إلى ضياع يملكها الأشراف ، وأسس بين الأشراف والأحرار والعبيد نظـام طبقات وراثى دقيق منظم اقتصاديا فى نطاق ضيق جدّا نجد فيه أن المدن التى كانت مركز التجارة والملاحة ، كسرت تلك القيود التى كان يضيق بها الأشراف الخناق باضطراد .

وحوادث الثورة الاجتماعية التى اندلع لهيبها فى هذه الفترة فى المدن قد حفظت لنا فى أحد المصادر التى تعـد من أهم الشواهد التاريخية المؤثرة فى العصور كلها . وهى التى تعرف باسم (تحذيرات متنبئ)[١] ففيها نرى الشعب يقتل الأشراف ويخرب دواوين المساحة . ويتخلص من نير الملكية القديمة . والمدن تسترجع اسـتقلالها الذاتى الذى كان لها منذ ألف سنة سبقت ذلك العهد قبل توحيد السلطة على يد مينا .

نظام الحكم الجمهورى فى مدن الدلتا — وقد كانت كل مدينة من هذا العهد تؤلف جمهورية لها حكومتها الذاتيـة ، وسكانها الذين كان يبلغ عددهم نحو ١٠٠٠٠ مواطن بالغ كما فى « أتريب » يعيشون أحرارا دون أشراف بينهـم ، ولكن كان يقلقل راحتهم حياة سياسية شديدة قسمتهم أحزابا ، وكانت محكومة كما كانت فى عهد « نعرمر » بعشرة حكام فى يدهم السيادة ، وهذه المدن كانت محوطة بأسوار ولهـا جنود مرابطون يسيطرون على الأراضى المستوية التى تحيط بهـا ويحافظون على حريتها ، وزراع هذه الولايات الصغيرة المدنية كانوا يزرعون بحرية القمح ويبيعونه فى المدن ويصدّرونه بفضل مياه النيل إلى الأقطار الأجنبية ، وثروة المدن وقوتها كانت تأتى لها عن طريق تجارتها التى سهلت بفضل السفن التى تجرى على ماء النيل .

ومع ذلك فقد كان لزاما على هذه المدن أن تخضع للإشراف الملكى ، لأن المشاحنات التى قسمتها أحزابا قد صيرتها تحت رحمة الملك ، فجرّها ذلك إلى الخضوع

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم للمؤلف جزء أوّل ص ١٩٤ الخ .

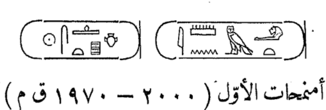
حتى لا يغرقهـا أو يمنع عنها النيـل وبذلك يعزلها عن باقى العـالم ويجعل نشاطها التجارى وهو قوام حياتها مستحيلا .

ومع ذلك فإن السـلطة الملكية لم تظهر فى المدن إلا فى امتـداد تشريع محكمة الملك الإقطاعية وفى الالتزامات المفروضة عليها وإمداد جيش الملك بالمجندين .

أهمية تعاليم خيتى فى الأنظمة الحكومية ــ ونجد عند عرض ما قامت به مدن الوجه البحرى فى العهد الأول الإقطاعى المصرى أن تعـاليم « مريكا رع » تحتل على ما يظهر مكانة تاريخية ذات أهمية ممتازة . فاللوحات التى من عهد ما قبل التاريخ تثبت وجود الحكم الذاتى فى مدن الشمال قبل عهد «مينا» ، ووثائق الأسرة السادسة والعشرين تبرهن على الصبغة الأصلية للمدنيـة الصاوية التى نمت فى الدلتا بعد العصر الإقطاعى الثانى (الأسرة ٢١ ــ ٢٥) . أما تعاليم «خيتى» التى وصفت لنا الحياة فى المدن المصرية بأنها حياة صاخبة قوية فتبرهن لنا على أن هذه الحياة قد ظلت فى خلال أربعة آلاف عام محورا يدور حوله نظام الحكم ، ويرجـع به إذا اقتضى الأمر إلى نظام الإقطاع فى وادى النيل ، ويجعل من هذه المدن المتحضرة جزيرات حيث تسـود بفضل التجارة والملاحة حرية لا تختلف كثيرا عن تلك التى كانت معروفة فى مدن سهل (لومباردى) و (الفلندر) فى وسط المدينة الإقطاعية منذ القرن الحادى عشر الى القرن الخامس عشر .

الأسرة الثانيـــة عشرة

٢٠٠٠ — ١٧٨٧ ق م



أمنمحات الأول (٢٠٠٠ — ١٩٧٠ ق م)

مقـــدمـــة

قلنا فيما سبق : إن «أمنمحات» الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة يحتمل أن يكون هو نفس « أمنمحات » وزير الفـرعون « منتوحتب الرابع » ، والمرجح أن سلطان هذا الوزير أخذ يعظم ، ونفوذه يزداد ويقوى فى عهد « منتوحتب » هذا



(شـــكل ١٤) أمنمحات الأول

حتى تمكن فى النهاية من الاستيلاء على العرش عنوة ، ويقوى هذا الظن أن «منتوحتب» الرابع هذا ، كان مغتصبا الملك ولم يكن صاحب حق وراثى فيه ، على أنه من الجائز أن يكون « أمنمحات » تولى العرش بعد وفاة «منتوحتب» مباشرة بفضل ما كان

له من قـوّة ونفوذ فى البلاط ، ويعدّ هـذا الرأى الأخير مقبولا جدّا إذا ثبت أن « أمنمحات » هـذا ، ينتسب إلى أحد فروع الأسرة الملكية الشرعية القـديمة . ولدينا مصادر تاريخية تشـير إلى وجود صلة دم بين « أمنمحات » مؤسس الأسرة الثانية عشرة وبين ملوك الأسرة الحادية عشرة . فقد نوه « سنوسرت » الأوّل عن ذلك كما أسلفنا ، ولكن على الرغم من وجود صـلة الدم هـذه فإن « أمنمحات » الأوّل على ما يظهر أراد أن يبرر اعتلاءه عرش الملك أمام الشعب المصرى بطريقة روحية مبتكرة تختلف عن الطريقة التى اخترعها ملوك الأسرة الخامسة عندما أرادوا أن يثبتوا مراكزهم أمام الشعب المصرى (مصر القديمة ج ١ ص ٣٢) ؛ وقد جرت التقاليد فى التـاريخ المصرى القديم ألا يتـولى عرش الفراعنـة إلا من كان يجرى فى عروقه الدم الملكى الخالص كما سبق شرح ذلك فى الجزء الأوّل (مصر القديمة ج ١ ص ٢٩٦) . فإذا اتفق أنه ظهر رجل عظيم فى البلاد ولم يكن من دم ملكى وأراد أن يؤسس أسرة جديدة أو يغتصب الملك بما لديه من قوّة ونفوذ بدون حق شرعى ، فإنه كان يلق فى سبيل تنفيذ مآربه عقبات جساما ، وذلك لأن الشعب المصرى كان يميل إلى التمسك بأهداب القديم ، ويحافظ على ما وجد عليه آباءه وأجداده ؛ وبخاصة فيما يتعلق بالبيت المالك الذى يرتفع فى نظر المصريين إلى مرتبة الآلهة . من أجل ذلك لم يعتمد «أمنمحات الأوّل» فى استوائه على العرش على القوّة وحدها ، بل قرنها بحيـلة تدل على الحـذق والمهارة ، استمال بها أبناء الشعب مثقفين وغير مثقفين ، تلك هى أسطورة حرص على إذاعتها بين القوم قوامها نبوءة لحكيم قديم رأى فيها أن الويلات التى حاقت بالبلاد ستنجاب على يد رجل عظيم يصلح عوجها ، ويبرئ بحكمته عللها ، وذلك المخلص المنتظر هو « أمنمحات » ، آمن بها الدهماء ؛ لأنها نبوءة تنبأ بها حكيم من قديم الزمان منذ آلاف السنين ، وقال عنه إنه المخلص المنتظر الذى سيخلص البلاد مما أحاق بها من ويلات ونكبات ظلت قرونا متوالية ، وآمن بها المثقفون لأنهـا كتبت بأسلوب يأخذ بمجامع القلوب فى عصر يحتـل فيه

الأدب مكانة رفيعة بفضل كتاب نابهين كانوا يصوّرون حالة البلاد وما انطوت عليه من بؤس وفقر بأسلوب مؤثر. فكان ظهور هذا المخلص المنتظر يعدّ رحمة عند الجميع . وسنورد فيما يأتى هذه النبوءة التى صاغها الكاهن المرتل « نفرروهو » فى قالب أدبى جذاب تبريرا لاعتلاء « أمنمحات » عرش الملك مع التعليق على محتوياتها .

« نبوءة نفرروهو » (1)

عثر الأستاذ « جولنيشف » على بردية هى الآن بمتحف « لننجراد » وتحتوى على نبوءات كاهن مرتل اسمه « نفرروهو » . وهو يدّعى أنها ألقيت فى حضرة الملك «سنفرو» الذى ينتسب إلى أوائل الأسرة الرابعة، أى قبل العصر الإقطاعى الذى نحن بصدده بما يقرب من ألف سنة . والواقع أن ذلك هو مجرد وضع تمثيلى ليسبغ على كلمات « نفرروهو » قوّة التأثير . ومن حسن الحظ أن كاتبا آخر من عهد الدولة الحديثة ممن عاشوا فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد قد ظهرت له أهمية ذلك المقال، ولما لم يجد لديه برديا أبيض ينقشه عليه نقله على ظهر أوراق أخرى سبق أن استعملها فى تدوين حسابه هو، وبذلك بقيت نبوءات «نفرروهو» فى تلك الصورة التى وصلت عفوا بما تحتويه من غموض بسبب أغلاطها الكثيرة التى حدثت عند نقلها بطريق المصادفة كما ذكرنا .

والوثيقة تبتدئ بمنظر مألوف فى كل عصور التاريخ المصرى حتى فى النقوش الرسمية ويصوّر مقدّمة للموضوع . فيجلس الملك مع حاشيته يتشاور فى أمر ، أو تقص عليه الحاشية حكاية، أو كما نجد فى غير هذا المكان أن الملك لحب استطلاعه أمور الغيب تتوق نفسه لسماع شىء لم يكن يعرفه .

فيقول : ” والآن اتفق فى عهد جلالة الملك « شنفرو » وهو الملك المحسن فى كل هذه الأرض أن موظفى الحاضرة دخلوا يوما القصر ليقدّموا للملك تحياتهم .

(1) Papyrus Petersburg No. 1116 B. (Recto).

ثم جاءوا ثانية ليقدّموا تحيـاتهم كرة أخرى كما كانت عادتهم اليومية . وعندئذ قال الملك لمستشاره الذى كان بجانبه : " اذهب وأحضر إلىّ موظفى مقرّ الملك الذين خرجوا من هنا اليوم ليقدّموا تحياتهم [(١)]، فدخلوا عليه وسجدوا ثم انبطحوا على بطونهم أمام جلالته كرة أخرى .

وقال لهم جلالته : " يا إخوانى . لقد أمرت بطلبكم لتبحثوا لى عن ابن من أبنائكم يجيـد الفهم أو أخ من إخوانكم بارع ، أو صـديق من أصدقائكم قد أنجز بعض عمـل شريف ، أى فرد يتحدّث إلىّ بكلمات جميـلة وألفاظ مختارة عند ما تسمعها جلالتى تجد فيها تسلية " .

وعندئذ سجدوا منبطحين على بطونهم فى حضرة جلالته مرة أخرى .

وقالوا فى حضرة جلالته : " يوجد مرتل عظيم للالهة « باست [(٢)] » يأيها الملك يا مولانا ، واسمـه « نفرروهو » ، وهو شعبى قوى الساعد وكاتب حاذق الأنامل ، وهو شخص مسوّد أغنى أقرانه . ليته يشاهد جلالتك " .

فقال جلالته : " اذهبوا واتونى به " وأدخل عليه فى الحال [(٣)] وسجـد على بطنه فى حضرة جلالته . وقال جلالته : " تعال الآن يا « نفرروهو » ياصاحبى وحدّثنى ببعض كلمات جميلة ، كلمات مختارة حينما أسمعها ربمـا أجد فيها تسلية " . فقال المرتل « نفرروهو » هل ستكون الكلمات من الأمور التى حدثت أو مما سيحدث يأيها الملك يامولاى ؟ فقال جلالته : " لا ممـا سيحدث ، إذ أن الحاضر قد دخل فى الوجود ويمز الإنسان به " . فمـدّ يده إلى صندوق مواد الكتابة وأخذ قرطاسا

---

(١) يقصد (بتقديم التحيات) الأنباء اليومية عن كبار الموظفين ، وكانت تقدّم أولا إلى الملك ثم الى الوزير وغيره من رؤساء الأقلام . (٢) «باست» هى إلهة الفرح . رأسها رأس قطة وتعبد فى «تل بسطة» من أعمال الدلتا وهى (الزقازيق الحالية) . (٣) هذا الاصطلاح «أدخل فى الحال» عادى فى القصص التى من هـذا النوع . ولا يجب الأخذ به حرفيا لأن «تل بسطة» على بعد تسعين كيلومترا على الأقل من حاضرة « سـنفرو » .

وقلما ومدادا ودوّن : كتابة ما تحدّث به الكاهن المرتل « نفررودو » حكيم الشرق التابع للالهة « باست » ... ابن مقاطعة « عين شمس » حينما كان يفكر فيما سيحدث فى الأرض ، ويفكر فى حالة الشرق حينما يأتى الأسيويون بقوّتهم ، وحينما يعذبون قلوب الحاصدين و يغتصبون ما شيتهم وقت الحرث .

ثم يصف لنا بعد هذه المقدّمة التاريخية التى تنسب لذلك المقال كما أوضحنا ، الخراب والفوضى الذين كانا يحيطان به ، ومثله فى ذلك مثل «خع خبر — رع — سنب » . إذ يتكلم مع قلبه فنراه يقول : " أنصت يا قلبى وانع تلك الأرض التى منها نشأت ... " .

وصف حالة البلاد المحزنة — لقد أصبحت تلك البلاد خرابا فلا من يهتم بها ، ولا من يتكلم عنها ، ولا من يذرف الدمع عليها ، فأية حال تلك التى عليها البلاد؟ لقد حجبت الشمس فلا تضىء حتى يبصر الناس .

وقد كان من نتيجة تعطيل أعمال الرى العظيمة العامة أن أصبح نيل مصر جافا ، فيمكن للإنسان أن يخوضه بالقدم ، وصار الانسان عند ما يريد أن يبحث عن ماء ، (يعنى النهر) لتجرى عليه السفن وجد مجراه قد صار شاطئا ، والشاطئ صار ماء وكل طيب قد اختفى وصارت البلاد طريحة الشقاء بسبب طعام البدو ، والذين يغزون البلاد ، وظهر الأعداء فى مصر فانحدر الأسيويون إليها ... وسأريك البلاد وهى مغزوّة تتألم . وقد حدث فى البلاد ما لم يحدث قط من قبل ... فالرجل يجلس فى عقر داره موليا ظهره عند ما يكون الآخر يذبح بجواره ... وسأريك الابن صار مثل العدوّ ، والأخ صار خصما ، والرجل يذبح والده ، وكل فم ملؤه أحببنى [صياح المتكفف ؟] ، وكل الأشياء الطيبة قد ذهبت ، والبلاد تحتضر ... وأملاك الرجل تغتصب منه وتعطى الأجنبى ... وسأريك أن المالك صار فى حاجة ، والأجنبى فى غنى ... وأن الأرض قد نقصت ، وقد تضاعف حكامها ، وصارت الحياة شحيحة ، مع أن المكيال صار كبيرا ، وتكال الحبوب (أى بجابى الضرائب) حتى يطفح

الكل . سأريك البلاد ، وقد صارت مغزوقة تتألم . و إن منطقة « عين شمس » لن تصير بعد مكان ولادة كل إله .

الدعاية لظهور مخلص للبلاد — و بعد ذلك يتحول « نفرر وهو » من غير تردّد أو شك عن تلك الصورة التي يصف فيها القحط الذى وقعت فيه البلاد مناد بالكلمات التاليـة الهامة، داعيا لظهور الملك الذى سيخلص مصر ممـا حاق بها ، إذ يقول: "سيأتى ملك من الجنوب اسمه «أمينى» وهو ابن امرأة نوبية الأصل، وقـد ولد فى الوجه القبلى ، وسيتسلم التاج الأبيض وسيلبس التاج الأحمر، فيوحد البـلاد بذلك التاج المزدوج ، وسينشر السلام فى الأرضين ، (يعنى مصر) فيحبه أهلها ... وسيفرح أهل زمانه . وسيجعل ابن الإنسان يبقى أبد الآبدين. أما الذين كانوا قد تآمروا على الشر، ودبروا الفتنة فقد أخرسوا أفواههم خوفا منه. والأسيويون سيقتلون بسيفه، واللوبيون سيحرقون بلهيبه، والثوار سيستسلمون لنصائحه، والعصاة إلى بطشه ، وسيخضع المتمردون للصـل الذى على جبينه ... وسيقيمون « سـور الحاكم» حتى لا يتمكن الأسيويون من أن يغزوا مصر، وسيستجدون المـاء حسب طريقتهم التقليدية لأجل أن تردها أنعامهم . والعدالة ستعود إلى مكانها ، والظلم ينفى من الأرض فليبتهج من سيراه، ومن سيكون من نصيبه خدمة ذلك الملك" .

فظهور الملك المخلص للبلاد بالفعل، ومجيئه كان هو الأمل الذى ينشده الحكيم « إبور » ثم عرف ذلك الملك « نفـرر وهو» بالاسم؛ ورسم كتابة الاسم «أمينى» الذى استعمله «نفرر وهو» وهو اختصار مشهور للاسم الكامل «أمنمحات» ، وهو بالبداهة المؤسس العظيم للأسرة الثانية عشرة ، والمصلح الذى أعاد توطيد سلطان مصر فى العهد الإقطاعى حوالى ٢٠٠٠ سنة ق م . وقد ذكر عنه فى نقش تاريخى بعد ذلك العصر بثلاثة أجيال بشكل بارز : "أنه قد محا الظلم؛ لأنه أحب العدل كثيرا (يعنى : ماعت)[١]؛ وقد كان عرّافنا هنا واثقا من أن بطله «أمنمحات» سيستولى

---

(١) إلهة العدل والصدق والحق .

على التاجين اللذين يرمزان لحكومة البلاد المتحدة مصر السفلى ومصر العليا، وأنه سيفتح عصرا جديدا، غير أنه يرجئ الإصلاح العظيم بوجه عام إلى المستقبل" وذلك يضع أمامنا سؤالا جديدا وهو : هل هـذا التأكيد القوى مجرد نبوءة عن حادثة قبل وقوعها ؟ وهل كان ذلك إعلانا ينم عن الظفر يلقاه بطل منتصر قد نجح نجاحا عظيما فى إصلاح مصر العليا ، حتى إن انتصاره النهائى و إصلاحه لمصر كلها كان متوقعا حدوثه ؟ أم هل كان « نفرروهو » مرسلا من قبل «أمنمحات» إلى مصر السفلى ليعلن قدومه إليها ؟ أو هل كان كأى شخص من أنصار «أمنمحات» قد عظم إصــلاحاته فصوّرها بصورة تبرزها إذا قاسها بمـا صارت إليه البـلاد من الدمار والخراب قبل مجيئه ؟ .

و إنه لمن المستحيل أن يعطى الإنسان جوابا شافيا عن تلك الأسئلة ، ولكن يظهر أنه يوجد سبب قوى يدعونا إلى الاعتقاد بأن « نفرروهو » كان حقيقة محاطا فى زمنه بالخراب الذى صوّره لنا بصورة حقيقية ، وأن تاريخ حياة « أمنمحات » الذى كان رائده النجاح فى مصر العليا قد جعل الأمل بنجاحه فى إعادة وحدة البلاد إلى ما كانت عليه، و إرجاع مجدها القديم متوقعا . ومن المدهش حقا أن «نفرروهو» يذكر لنا هنا صراحة أن الفرعون الجديد ليس من ســلالة البيت المـالك القديم ، ولاشك فى أنه كان هنالك مطالبون بالعرش فى البلاد، أو مدّعون له كثيرون، فظهور مطالب آخر مثل « أمنمحات » ليس بالأمر الغريب . على أن تسمية « أمنمحات » (بابن الانسان)[1] كما ذكر ذلك فيما سلف على لسان ذلك المتنبئ يلفت نظرنا، كما يوحى إلينا فى الحال بوجــود علاقات بين هــذه التسمية والتسمية التى تطلق على المسيح عليه السلام؛ إذ أن ذلك التعبير قد استعمل فى النصيحة الموجهة إلى «مريكارع» ليدل على «ابن رجل ذى أهمية» ، وقد جرى فى بلاد « بابل» القديمة استعمال تعبير مشابه لذلك التعبير . وذلك الإعلان الذى أعلنه ذلك المتنبئ يشمل القيام بعملين

(١) (ابن الانسان) اسم يطلق على المسيح عليه السلام .

يتعهد بإنجازهما مليكه ، وهما من الأهمية للشعب البائس فى مصر الطريحة بمكان وهذان العملان هما :

(أولا) القضاء على المغيرين وأخذ العدّة لدفع الغارات المقبلة .

(ثانيا) إصلاح النظام الداخلى .

« فسور الحاكم » الذى سبق ذكره كان قلعة قديمة لحماية الدلتا الشرقية ، وكان واقعا على التخوم الأسيوية . وقد بنى لحراسة الطريق من آسيا إلى مصر فى عهد بناة الأهرام ، وقد أعلن « نفرروهو » أن الملك سيعيده كما كان من قبل .

والصور التى رسمها لنا ذلك المتنبئ عن الحالة التى نتجت عن دخول الأسيويين يذكرنا بما ورد فى الرواية العبرانية الخاصة برحلة دخول أجدادهم إلى مصر .

أما إعلان الإصلاح الذى حدث فى النظام الداخلى فإنه يسترعى الأنظار لقصره وبساطته إذ يقول : " إن العدالة ستعود إلى مكانتها ، والظلم سينبذ بعيدا " فكانت إذا « ماعت » القديمة هى التى سيعيدها الملك الجديد فى شكل نظام ثابت يكون رقيبا ومهيمنا على حياة الشعب المصرى الاجتماعية .

وقد رجع إلى « ماعت » ، وهى ذلك النظام القديم الذى مكث ألف سنة مرشدا ومهيمنا على الحاكم وحكومته ، سلطانها مرة أخرى من جديد .

ومن المحتمل أن الابتهاج الذى يظهره ذلك المتنبئ العتيق كان يعنى المثل العليا القديمة للأخلاق الفاضلة والسعادة القويمة . غير أن تلك الحالة كانت — مع الأسف — بعيدة عن الحقيقة الواقعة ؛ فإن « امنحات » وهو من كبار الإداريين فى العالم القديم ، وكان قد وهبه الله فطنة عظيمة حتى أعاد بلا نزاع ذلك النظام القديم بقدر ما سمحت له الأحوال — قد حتمت عليه الظروف أن يتخير عماله وموظفيه لإدارة شئون البلاد من بين أولئك الرجال الذين ترعرعوا ونشئوا فى عهد ذلك الانحطاط الذى جاء عقب عصر الأهرام وأشربت قلوبهم حب الفوضى والفساد ،

مما أدّى الى قتـله ونصحه لابنه بعد موته فى رؤية صادقة بألا يعتمد على أحد كما سيجىء بعد[١] .

نشأة أمنمحات وعبادة الإله آمون — تلك كانت حالة البـلاد المصرية كما يريد أن يصفها لنـا « نفرر وهـو » أو كما يريد أن يصوّرها لنا « أمنمحات » عند توليته العرش . وسنرى فيما يلى الإصلاحات العظيمة التى أدخلها هذا الفرعون العظيم فى خلال مدّة حكمه الطويل . ومن الغريب أن المؤرّخ « مانيتون » لم يذكر لنا فى تاريخه عن هذا البطل العظيم شيئا إلا أنه هو المؤسس للأسرة الثانية عشرة . ومن مدلول أسمه «أمنمحات» (أمون فى الأمام) . أى أمون أمام الإله ، نلحظ أن أسرته كانت تنتمى إلى عبادة الإله «أمون» معبود «طيبة» المحلى ، وأنه كان يقدّس هذا الإله أكثر من الإله « منتو » إله الحرب وهو معبود بلدة « أرمنت » المحلى . وكان ملوك الأسرة الحادية عشرة يقدّسونه أكثر من «أمون» ويمزجون اسمه فى تركيب اسمهم «منتوحتب» ، هذا على الرغم من أن عاصمتهم كانت طيبة . ولكن من يوم أن اعتلى «أمنمحات» الأوّل عرش الديار المصرية أخذ نجم الإله «أمون» يعلو ويتلالأ بين الآلهـة المصرية حتى صار فيما بعد أعظم الآلهة المصرية شهرة وعظمة وثراء ؛ لدرجة أنه غطى على شهرة كل الآلهة المصرية ، وانتحل لنفسه صفاتها ليكون هو الإله المسيطر ، ومن ذلك أن كهنته لاحظوا أن الإله « رع » أى الشمس كان أعظم الآلهـة المصرية نفوذا وعظمة فمزجوا اسم « رع » باسم « أمون » وأصبح يسمى « أمون رع » ؛ ومنذ عهد هذا الفرعون أخذ ثالوث مدينة « طيبة » يزداد شهرة ويتألف من الأب وهـو « أمـون » ومن الأم وهى «موت» ثم من الابن وهو «خنسو» أى «القمر» وكلهم حسب الاعتقاد المصرى إله واحد ؛ أما الآلهة الآخرون فأخذوا يتضاءلون أمام هذا الثالوث ، اللهم إلا الإله « أوزير » إله الآخرة ، فإنه حفظ مكانتـه وسلطانه ، وسنرى فيما بعـد أن كهنة « طيبة » قد ازداد سلطانهم

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم من ص ٣١٩ الخ .

تدريجا، حتى أنهم فى النهاية أصبحوا أصحاب السيطرة الدينية فى البلاد كلها، وأغنى طائفة فيها فى عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة؛ وسنتكلم عن نشأة عبادة « آمون » عند الكلام على الديانة .

مقرّ الملك الجديد — ولكن على الرغم من أن «أمنحات» قد نجح فى رفع شأن آمون إله «طيبة» المحلى وهى مسقط رأسه، وجعله يعبد فى كل البلاد من أقصاها إلى أقصاها، فإن حالة البلاد عند ما أخذ بزمام الأمور فيها لم تسمح له أن يجعل «طيبة» عاصمة ملكه وقد كانت حاضرة الملك فى عهد الأسرة الحادية عشرة، لأنه كان يريد أن يجعل كل البلاد فى متناول قبضته، فرأى بثاقب نظره أن مقر الملك يجب أن يكون فى نقطة تكون كواسطة العقد بالنسبة لبلاده، فضرب صفحا عن « طيبة » مقر أسلافه واختار بقعة بعيدة عن « اهناسية » عاصمة الملك فى خلال الأسرتين التاسعة والعاشرة كما أحجم عن اتخاذ « منف » عاصمة الملك فى عهد الدولة القديمة التى كانت حاضرة لسلسلة فراعنة أمجاد . والظاهر أنه كان يرمى من وراء إبعاد الحكم عن هاتين العاصمتين أن يكون مجدّدا فى كل ما يقوم به، وفى الوقت نفسه معيدا للبلاد عظمتها وسمعتها . وقد وقع اختياره على بقعة تدل شواهد الأحوال على أن قرية «اللشت» الحالية قامت على أنقاضها، وهى تبعد نحو ١٥ ميلا جنوبى « منف » . والواقع أن الموقع الحقيقى قد ضاعت معالمه . وقد أقام فى هذه البقعة مدينة محصنة كانت تحتوى على القصر الفرعونى ومركز القيادة العامة للجيش على ما يظهر . وقد أطلق على العاصمة الجديدة اسم « اث تاوى »[1] (اللشت) الحالية ومعناها (مراقبة الأرضين) . وقد وصف القصر بأنه محلى بالذهب وأبوابه من نحاس، وأقفاله من الشبه، وكان كل بنائه قد أتقن إتقانا عظيما، غير أن يد التخريب لم تبق منه أى أثر، وبهذه المناسبة نذكر أنه قد عثر على قاعدة تمثال صغير للفرعون

(1) A. Z. 59' p. 53.

« أمنمحات » مصنوع من النحاس فى «سينا» وهذا يدل على أن هذا الفرعون كان يستخرج النحاس الذى استعمله فى مبانيه من مناجم « سينا » فى عصره .

(Gardiner and Peet, Inscrptions of Sinai, Pl. 63)

نظرة عامة فى أخلاقه وإصلاحاته — ولا نزاع فى أن هذه التسمية (مراقبة الأرضين) تحكى قصة ما كانت عليه البلاد وقتئذ من القلق والاضطراب كما وصفها « نفرروهو » ، وأن « أمنمحات » لم يكن بالرجل الذى يخدع نفسه ، إذ كان يعرف أنه لم يكن بالفرعون المحبوب ، بل ربما كان يعدّ فى نظرهم دخيلا على البيت المالك الأصلى ، وإن كان ينتسب إلى فرع منه على حسب إحدى الروايات ؛ وأن أكبر شفيع له فى تولى عرش البلاد واحترام الأهلين له يرجع إلى كفايته فى إدارة البلاد بعد طول الفوضى ، وأنه هو المصلح المنتظر الذى تنبأت بظهوره الأساطير منذ قديم الزمان . وحقا قد حقق ما أنبأت به الكتب بما أظهره من مقدرة نادرة فى توجيه سكان البلاد ، وهى تلك المقدرة التى ورثها عنه أخلافه ، وميزت هذه الأسرة وجعلتها أقوى أسرة مصرية ، حكمت البلاد فى كل عصورها بمقدرة فذة وكفاية منقطعة النظير ، حتى أصبح عصرها يعرف بالعصر الذهبى فى تاريخ الديار المصرية ؛ وبخاصة من حيث الإدارة والأدب والفن .

ذكرنا فيما سبق أن نبوءة « نفرروهو » لم تكن إلا دعاية لهذا الفرعون ، ومبررا لاعتلائه عرش الملك أمام الشعب المصرى — وقد كان مما تنبأ به هذا الحكيم أنه سيقام « سور الحاكم » ولن يسمح للأسيويين ثانية بنزول مصر . ولا نزاع فى أن « نفرروهو » يشير هنا إلى سور الحدود الذى كان مقاما على خليج السويس ليصدّ غارات الأسيويين عن بلاد الدلتا . وقد كانت هذه الغارات الأسيوية موضع شكوى فى الأزمان السالفة .

تاريخ سيدنا إبراهيم وما يقال عنـه — وينسب بعض المؤرخين خروج إبراهيم عليه السـلام وطرده من مصر إلى هذا العهد، وأن الإشارة إلى الأسيويين فى نبوءات « نفررو هو » يقصد بها هذا الحادث بعينه :

(Weigall, A History of the Pharaohs, Vol II, p. 40)

وإذا كان من الأمور الثابتة أن «إبراهيم» عليه السلام كان معاصرا لأحد فراعنة الأسرة الثانية عشرة، فالقول بأنه معاصر بالذات للفرعون «أمنمحات» الأول، وأن طرده حادثة مؤكدة وقعت فى عهد هذا الفرعون قول لا نجد برهانا على صحته ؛ بل نذهب إلى جحوده وإنكاره لأسباب تاريخية ؛ فإن من المتفق عليه أن «أمرافيل» (Amraphel) الذى هزمه إبراهيم عنـد ما كان يريد خلاص ابن أخيه لوط ، هو « حمورابى » البابلى أى أن «إبراهيم» كان معاصرا له ، والبحوث التاريخية الحديثة تميل إلى وضع تاريخ حياة «حمورابى» معاصره بعد قرن على الأقل مـما أرخا به له من قبل، وآخر تاريخ متفق عليه الآن لهذا الملك البابلى العظيم هو عام ١٩٤٠ ق . م أو ما يقرب من ذلك :

(Sidney Smith, The Early History of Assyria, pp. 70–71.)

ولذلك فإن التاريخ ٢٠٠٠ ق . م الذى يظن المستر « ويجـول » أنه يعاصر « أمنمحات » الأول يسبب بفجوة تبلغ نحو ٧٠ سنة تقريبا بين إبراهيم عليه السلام المعاصر للملك «أمنمحات» الأول و«إبراهيم» المعاصر للملك «حمورابى» ، وهكذا يجد القارئ نفسه أمام نظريتين جذابتين فى ظاهرهما ولا يمكن القطع بإحداهما مادام التاريخ لا يمكن القطع بصحته بصفة نهائية فى مثل هذه الأحوال التى يرتكز التاريخ فيهـا على استنتاجات قـد تصيب وقـد تخطئ ، ولكن يمكننا أن نقول على وجه التقريب : إن إبراهيم عليه السلام كان معاصرا لأحد ملوك الأسرة الثانية عشرة، ويرجح جدا أنه كان يعيش فى عهد أحد أواخر ملوك هذه الأسرة لا عهد أحد أوائل فراعنتها.

وهذا كل ما يمكن القول به الآن إلى أن تجود الكشوف فى مصر أو «بابل» بما يكشف النقاب عن هذا الحادث العظيم فى تاريخ البشر، وبخاصة من الوجهة الدينية.

إصلاحاته وسياسته الداخلية — ومما لا ريب فيه أن تولى « أمنمحات » الأول ملك مصر لم يقابل بالترحاب من أمراء المقاطعات الذين كان ملكهـم فى مقاطعاتهم وراثيا، فكان كل واحد منهم يحكم فى عاصمة مقاطعته كأنه ملك مستقل، ولذلك عارضـوا فى توحيد السلطة فى كل البـلاد من أقصاها إلى أقصاها على يد الفرعون الجديد . ولهذا كان لزاما على « أمنمحات » أن يذهب إلى كل مقاطعـة بنفسه، ويضع كل أمير عند حده، ويكبح من جماح أطماعه، وينزله من عليائه، بقدر ما كانت تسمح الأحوال به فى كل مقاطعـة ، هذا فضـلا عن أنه على ما يظهر قد ترك له سلفه حروبا خارجية كان لا بدّ من متابعتها ولذلك يقول « ادوردمير » :

(Histoire de l'Antiquite, "Tome II. par. 280).

"لم يكن فى مقدور « أمنمحات الأول » أن يظفر بعرش البلاد والمحافظة عليه إلا بالقوة، ونحن نعلم كذلك أنه كانت هناك حروب خارجية يمكن ربطها بالتغـير الأسرى وهذه الحروب كانت قد بدأت فعلا فى عهد سلفيه « منتوحتب الثالث والرابع » وكانت ولا تزال قائمة فى « آسيا » و « لوبيا » و « بلاد النوبه » .

وقد قص علينا «خنوم حتب»(1) أحد قوّاده فى نقش جنازى نقش على جدران مقبرته [غير أنه مما يأسف له ملىء بالفجوات] أنه ظهر مع الملك فى أسطول يبلغ نحو عشرين سفينة . مصنوعة من خشب الأرز، وأنه هزم العدو فى مصر، وأخضع السود والأسيويين الذين كانوا فى معسكر العدو ، واستولى على الأراضى المنخفضة والأراضى العالية فى كلا القطرين . وقد كافأ الفرعون « خنوم حتب » على ذلك بأن جعله أميرا على بـلدة « منعات خوفـو » (بنى حسن) التى كانت إلى هـذا الوقت تابعة لمقاطعـة الغزال، وفصلت عن حكومة هذه المقاطعـة . وكذلك ضم إليه إدارة الصحراء الشرقيـة ، ولقد امتدّت سيطرة هذه البـلدة حتى شملت كل مقاطعة الغزال (بالقرب من المنيا)؛ والظاهر أن أسرة الأمراء القديمة فى هـذه

(1) Newberry, A. H. Vol. I, Pl. XIV; Breasted, A. R. Vol. I, par. 363-455.

الجهة كانت قد انضمت إلى المعسكر المعادى للفرعون لخلعوا من حكم هذه المقاطعة، ولذلك يظن أن السود والأسيويين الذين ذكروا فى هذه الحروب ليسوا إلا جنودا مرتزقة كانوا يحاربون فى المعسكر المعادى للفرعون .

ولما لم يكن فى مقدور « أمنمحات » أن يجمع كل السلطة فى يده دفعة واحدة وأن يكون له الحق والسلطان المطلق فى تولية حكام المقاطعات الوراثيـة وعزلهم كما كانت الحال فى إبان عز الدولة القديمة ، لجأ إلى سبيل أخرى للحـدّ من شوكة هؤلاء الحكام الوراثيين والأسرات القـديمة القوية، وتلك أنه أخذ يضمهم إلى جانبـه بإغداق الإنعامات عليهم ومنحهم الألقاب الرفيعة وتقريبهم منـه بالحظوة والوعود الخلابة .

والواقع أن هـذه السياسة الحاذقة قد نجحت نجاحا باهرا ، و بذلك تركت الأسرة الثانية عشرة فى تاريخ الفراعنة الطويل ذكرى لعصر كان نظامه الإدارى غاية فى القوة والرخاء ، وبخاصة فى نهاية عهدها، وكذلك كان لها أثرها المجيد فى السياسة والحياة الاقتصادية، هذا إلى تجديد قوى مبتكرة فى الفنّ والأدب . وقد بقى ذكرى إصلاح هذا الفرعون العظيم يتغنى به الأمراء حتى إن « خنوم حتب الثانى » أمير مقاطعة الغزال أخذ يعدّد لنا إصلاحات هذا الفرعون العظيم بعد مضى ثمانين عاما على عهد جدّه، وكيف أنه كافأه على إخلاصه وولائه فيقول : " لقد ذهب لمعاقبة الجرم مشعا مثل « أتوم » نفسـه لأجل أن يعيد النظام الذى كان قد قضى عليه، و يعيد لكل مدينة ومقاطعة ما كان قد انتزع منها، ويجعل كل إنسان يعرف حدوده بالنسبة لغـيره ناصبا حدودها مثل السماء ، ومرتكنا على السجلات فى معرفـة كل واحد (أى مايخصه من فرع النيل وترعه)، وأن يعيد مساحة الأراضى حسب ماجاء فى السجلات القديمة ، وذلك لأن قلبه ينطوى على العـدالة " (Beni Hassan Vol. I, pl. XXXIII) . وإنا لنقرأ من بين السطور بوضوح المعنى الذى يرمى اليه هذا المتن فقد أعاد « أمنمحات الأوّل » فى مصر سلطان الملكية وجعـل الأمراء

العظام يشعرون بثقل يده . والظاهر أنه قد عين أسرا عدّة فى المقاطعات الأخرى أيضا مثل «سيوط» . وتوجد بعض نقوش من بداية حكم هذه الأسرة تشير أحيانا إلى المنازعات التى قامت بين الملك وأمراء المقـاطعات ، هذا وتشير التعاليم التى وضعت على لسان « أمنمحات » إلى عهد الرخاء الذى كان يمتاز به عصره كما سيجىء بعد .

والواقع أن « أمنمحات » الأول أحيا فى نواحى البلاد كلها تلك الروح القومية القديمة التى أخنى عليها الدهر زمنا طويلا .

آثاره المندثرة وما بقى منها — وأخذ هـذا الفرعون فى إقامة آثار عظيمة فى طول البلاد وعرضها ، وأصلح كثيرا من المعابد التى كانت قد هدمت ، محييا بذلك ذكرى الآلهة التى اندثرت آثاهم ففى « تانيس » عثر على عتب باب منقوش باسمه (A. Z. XXV, 12) مما يدل على أنه قد أقام أو أصلح معبـدا هناك . وعثر فى « تل بسطه » على بقايا معبد أقيم تكريمـا للالهة « باست » (القطة) (Naville, Bubastis ; Pl. XXXIII) وفى « منف » أهـدى مائدة قربان للاله « بتـاح » (Monuments Divers 34 f) ، ومن المحتمل كذلك أن التمثال الذى عثر عليه فى «تانيس» قد نقل من «منف» (Petrie ,'Tanis" Vol. I, p. 3) ورأس هذا التمثال مرسوم فى تاريخ مصر للأستاذ (بترى) : (راجع شكل ١٤)
(Petrie, A History of Egypt, Vol. 1 p. 155)

وفى بلدة « شدت » أى (الفيوم) الحـالية عثر على بقايا تماثيل وأعمـدة من معبده (Petrie, Hawara p. 57) ، وفى العرابة المدفونة أهدى مائدة قربان (مذبح) للاله «أوزير» (Mariette, Abydos, 138) ، وفى «قفط» عثر على قطعة من جدار معبد منقوش عليها اسمه (Petrie, History, 1. 157) ، وكذلك عثر فى «دندرة» على بقايا معبد مشابهة للسابقـة (Dumichen, Dendarah, III f. IV b) ، وكذلك عثر فى « الكرنك » على بقايا أعمدة هناك مهداة للاله « آمون رع » :
(Mariette, Karnak, 8 d. e.)

وعثر له على قاعدة تمثال فى « سينا » عليها اسمه :

(Gardiner and Peet, Sinai, Pl. 19, 63)

وأقام هرمه بالقرب من «اللشت» عاصمة الملك، وسنتناول الكلام عليه فيما بعد .

وكذلك قام باصلاحات فى « معبد منتو » « ببلدة أرمنت » راجع (Mond, Temples of Armant, (text), p. 168. ff.)

بعثته إلى وادى الحمامات — ولقد أرسل هـذا الفرعون بعثة إلى وادى الحمامات على رأسها «أنتف»[1] الذى كان يحمل لقب الأمير الوراثى، وحامل الختم الملكى، والسمير الوحيد، والمبعوث الملكى، والكاهن الأعظم للاله «مين» ، وقد خلف لنا «أنتف» هذا لوحة تذكارية لحملته هذه يقول فيها : "أرسلنى سيدى إلى وادى «الحمامات» لأحضر هذا الحجر الفاخر، ولم يكن قد أتى بمثله منذ عهد الآلهة . ولم يكن هناك باحث يعرف غرابته ، ولم يتمكن أحد ممن بحثوا عنه من الوصول إليـه . على أنى قضيت ثمانية أيام فى البحث عن هذا المرتفع (الذى فيـه الحجر) فلم أعثر على المكان الذى كان فيه، ولقد سجدت للإله « مين » وللإلهة « موت » (والدة الإله خنسو بطيبة) ولإلهة السحر العظيمة، ولكل آلهة هذه الأراضى المرتفعة مقدما البخور لهم على النار . وفى ذات يوم عندما طلع الفجر بدأت أجوب جبال وادى الحمـامات ورجالى خلفى وأناسى منتشرون على الجبال باحثين فى كل هـذه الصحراء، وفى النهاية وجدته ، وكان العمال فرحين والجيش بأجمعه يحمـدون الله ، وسروا خاشعين ، وشكرت الإله « منتو » .

حروبه الخـارجية ضد آسيا — ولم يكن نشاط هـذا الفرعون منحصرا فى داخل بلاده فحسب ، بل وجه همـه لمنع هجرة الأسيويين عن طريق « سور الحـاكم » السالفة الذكر، واتخذ كذلك تدابير فعـالة ضدّ بدو الصحراء الشرقية ،

---

(1) Breasted, A. R. Vol. 1, par. 468; L. D. II, 118 d; Couyat et Montet, Les Inscriptions Hieroglyphiques et Hieratiques du Ouadi Hommamat, 101.

كما تدل على ذلك النقوش التى تركها لنا « نسومنتو » وهى محفوظة الآن بمتحف « اللوفر »[1]، وقد كان هذا القائد مرتاحا لنتائج حملته ، فيقول فى اللوحة التى نقشها تذكارا لهذا الحادث فى السنة الرابعة والعشرين من حكم هذا الفرعون : "كل كلمة ذكرت على هذه اللوحة صادقة تعبر عما حدث بقوة ساعدى ، وهو ما فعلته فى الواقع ، وليس فيه تمويه ، وليس فيه أى مين ؛ فقد قهرت سكان الكهوف من الأسيويين ، وسكان الرمل وخربت معاقل البدو ، وجعلتها كأن لم تغن بالأمس ، ووطئت حقولهم ، وتقدمت أمام الذين توانوا خلف حصونهم (من جنودى) ولم يجارينى فى ذلك أحد وذلك بأمر الإله «منتو» ؛ والظاهر أن جنود «نسومنتو» كانوا يفضلون النجاة على البطولة " .

حروبه فى بلاد النوبة — أما فى بلاد النوبة فإن « أمنمحات » قد وطد سلطانه فيها ، وقد لمح بذلك فى التعاليم المنسوبة إليه ، وهى التى ألقى فيها على ابنه دروسا فى الحياة ، فيقول : " لقد أذللت الأسود ، واصطدت التماسيح ، وقهرت أهل «واوات» وأسرت قوم «المازوى» وجعلت الأسيويين يمشون كالكلاب". وقد وجدت كذلك نقوش مختصرة على صخرة فى « كرسكو » تدل على وصول جيوش الفرعون إلى هذه البقعة "فى السنة التاسعة والعشرين من حكم ملك الوجهين القبلى والبحرى «سحتب إب رع» «أمنمحات الأول» عاش مخلدا ، لقد جئنا لنهزم أهالى (واوات)" .(A. Z. (1882) p. 30; Breasted A. R. Vol. I, par. 472). ولا نعلم إذا كان الفرعون قد قاد الجيش بنفسه فى هذه الحملة ، أو ذهبت بقيادة أحد عظماء رجال دولته ، والمرجح هو الرأى الثانى ، وذلك لأن «أمنمحات» كان قد تقدم فى السن فى هذه الآونة .

إشراك ابنه « سنوسرت » معه فى الحكم — ولما كان « أمنمحات » قد أخذ يتقدم فى السن وكانت بغيته أن يناضل بنجاح مستمر فى القضاء على حكام

(1) Louvre c. 1; Breasted A. R. Vol. I, par. (469–471).

المقاطعات الوراثيين الذين كانوا يدافعون عن استقلالهم بكل وسيلة وبالقوة، رأى أن يشرك ابنه الأكبر فى تولى مهام الحكم معه، وهو النظام الذى جرى عليه أخلافه من بعده، ولذلك عدّت هذه الخطة الحكيمة من مميزات هذه الأسرة؛ ولا شك فى أن هذا التجديد فى نظام الحكم يعدّ عملا حكيما، لأنه قضى على معظم الفتن والدسائس التى كانت تتبع عادة عند موت الفرعون الحاكم .

والواقع أن سلطان الفرعون قد زاد باشراك ابنه « سنوسرت » معه فى حكم البلاد عام (٢١ من حكم أمنمحات)، فقد ظهر أثر ذلك فى الأقاليم، إذ أخذ الفرعون يتدخل فعلا فى شئون حكام المقاطعات الخاصة كلما سنحت له الفرصة، فمن ذلك أن الفرعون استطاع أن يحفظ لنفسه حق تولية كبار الموظفين فى المقاطعات وعزلهم، وقد كان هذا الحق من قبل من حقوق الأمراء أنفسهم منذ عدّة أجيال متعاقبة، وبهذه الطريقة تمكن الفرعون وحكومته من استعادة السلطة العليا المطلقة فى كثير من المقاطعات، وهى السلطة التى لم يكن يتمتع بها الفراعنة إلا اسما منذ نهاية الأسرة السادسة .

سلطة الوزير — وفى ظل هذه السلطة استعادت الحكومة المركزية نفوذها القديم الذى كان قد انمحى منذ زمن بعيد . وقد وضع الفرعون على رأس هذه السلطة المركزية وزيرا كان فى الواقع يعدّ ساعد الفرعون الأيمن، وممثله فى كل شئون البلاد المالية والقضائية والحربية الخ .

ولا شك فى أن إدارة الوزير للبلاد بما فيها من أنظمة حازمة، كانت نموذجا صالحا لكل الأنظمة الرئيسية، مما جعل البلاد بأجمعها تسير على نظام إدارة واحد حازم، يشمل الأمور المالية والقضائية والحربية أيضا . وهذا النظام قد حل محل النظام المرتبك القديم فى المدة السالفة . أما فى الأمور الدينية فإن الآلهة المختلفة التى كانت تعبد فى كل البلاد قد بقيت على حالها مع إصلاح معابدها، والشىء الجديد هو ظهور الإله « آمون »؛ ولقد عظم شأنه حتى أصبح الإله الأعظم الرسمى للحكومة، وبذلك غطى على معظم الآلهة كما سبق ذكره، اللهم إلا الإله « أوزير » فقد حفظ مكانته بوصفه إله الآخرة .

تفكير الفرعون فى إصلاح الفيوم — ولم تقف جهود «أمنمحات الأول» عنـد الإصلاحات الإدارية والبنائيـة، بل كان كذلك أوّل من فكر فى كثـير من المشروعات التى تعود على البلاد بالخير . ولعـل أجدرها بالذكر التفاته إلى إصلاح إقليم الفيوم، ويعزو بعض المؤرّخين إليه أنه هو أوّل من فكر فى إنشاء خزان المياه الذى عرف فيما بعـد باسم بحيرة "موريس"، وينسب إلى « أمنمحات الثالث » إتمامه جملة .

محاربته اللوبيين — وكان آخر حادث هام فى حياة هذا الفرعون المسن هو إرسال جيش إلى الحدود الغربية لتأديب اللوبيين وكبح جماحهم. فسار «سنوسرت» ابنه وشريكه فى الحكم على رأس الجيش ، وعند ما كانت الحملة عائدة من الحدود مظفـرة قابلها رسول من قبـل كبير أمناء القصر ليخبر « سنوسرت » باغتيال والده، وقد بقى لنا وصف هـذا الحادث بكل ما فيه من اضطراب وفزع فى قصة «سنوهيت» ،وقد وصلنا منها لحسن الحظ عدّة نسخ، وسنترك المتن المصرى يقص علينا تفاصيل هـذا الخبر وما لابسه من الأحداث . ونراه يبتدئ بألقابه ثم يقص قصته فاستمع إليه .

متن القصة — الأمير الوراثى، والحاكم، ومدير ضياع الملك فى بلاد الأسيويين، والسمير الوحيد للملك والمحبب إليه «سنوهيت» . الخادم «سنوهيت» يقول: "كنت خادما يتبع سيده، وخادم نساء الملك يخـدم الأميرة ، صاحبة الثناء العظيم ، زوجة « سنوسرت » الملكية فى بلدة الهـرم المسماة « خنم — أسوت » والابنـة الملكية « لأمنحات » فى بلد الأهرام « كانفرو » المسماة « نفرو » المحترمة .

واتفق أنه فى السنة الثلاثين فى اليوم التاسع من الشهر الثالث من فصل الفيضان دخل الإله أفقه[1] « مات » .

(١) أما ترجمته — حسب الاستعمال — « بالأفق » كان فى الحالة الأولى مسكن إله الشمس فى السماء، ثم استعمل للأمكنة التى تشرق منها الشمس وتغرب فيها . ولما كان الملك هو ممثل إله الشمس فإن قصره وقبره كان كل منهما يسمى « الأفق » والمقصود هنا هو القبر .

فطار الملك « أمنمحات » إلى السماء واتحد مع قرص الشمس، وامتزج جسم الإله بجسم خالقه[١] وعندئذ صمت القصر . وامتلأت القلوب حزنا ، وأغلق البابان العظيمان[٢] وجلس رجال القصر رءوسهم منكسة على ركبهم . وحزن القوم .

وكان جلالته قد أرسل جيشا الى أرض « التمحو[٣] » وكان بكر أولاده « سنوسرت » الطيب ضابطا فيه، وقد كان فى هذه الأثناء عائدا بعد أن استولى على أسرى من « التحنو[٤] » وكل أنواع الماشية التى يخطئها العدّ .

وأرسل أمناء القصر الى حدود غرب « الدلتا » ليخبروا ابن الملك بالحادث الذى وقع فى البلاط . وقد قابله الرسل فى الطريق ولحقوا به عند الغروب، فلم يتأخر طرفة عين إذ طار الصقر[٥] مع خادمه، ولم يعلم بذلك الجيش . ورغم ذلك فقد أرسلت رسالة[٦] إلى أولاد الملك الذين كانوا معه فى الجيش وطلب واحد منهم . وتأمل : لقد وقفت وسمعت صوته حينما كان يتكلم[٧] إذ كنت عن كثب .

المؤامرة ضدّ ولى العهد ونصيب « سنوهيت » فيها وفراره — ولاشك فى أننا نرى فى هذه الجمل القصيرة صورة تامة للأزمة التى حدثت فى القصر عقب اغتيال الفرعون، فإنه مات بسبب مؤامرة دبرت ضدّه كما سنوضح ذلك بعد، وقد أعقب هذا الاغتيال دسيسة لتولية أحد أولاد الملك غير « سنوسرت » الذى كان يعتبر خلفه، لأنه أشركه معه فى الملك مدّة تربى على عشرة أعوام، والظاهر بل الواقع أنه كان فى البلاط حزبان : حزب موالٍ « لسنوسرت » وآخر موالٍ لابن آخر للملك . ومن حسن الحظ أن رئيس الأمناء فى القصر كان يعلم بهذه المؤامرة وكان

(١) يسبح الى السماء و يصير ثانيا جزءا من الشمس التى خرج منها . (٢) عند مدخل القصر .
(٣) قوم من اللوبيين فى غرب الدلتا كانوا ينهبونها بانتظام . (٤) قوم آخرون من اللوبيين .
(٥) الملك الجديد « سنوسرت الأوّل » . (٦) أى من حزب آخر إذ كانت هناك مؤامرة لوضع ملك آخر يناهض « سنوسرت » وقد مر « سنوهيت » على هذه المسألة دون أن يذكرها بوضوح .
(٧) من المحتمل أنه هو الأمير الذى طلب .

فى الوقت نفسه على ولاء تام لولى العهد، فأسر إليه بخبر الأزمة التى كانت فى البلاط بعد وفاة والده . وطلب اليه العودة على جناح السرعة دون أن يضيع لحظة واحدة، ولكن الحزب الثانى كان على استعداد لانتهاز الفرصة . ولا يبعد أن رجاله هم الذين دبروا المؤامرة ضد الملك . وتمكنوا من تطيير الخبر الى الأمير الذى وقع عليه اختيارهم من بين أبناء الملك الذين كانوا يحاربون فى الجيش مع ولى العهد، غير أن مغادرة «سنوسرت» الجيش كالبرق ومعه ثلة من رجاله الذين يعتمد عليهم ، مكنه من القضاء على المؤامرة قبل أن تنفذ، لأننا لم نسمع عنها بعد ذلك . وتدل ظواهر الأمور على أن « شنوهيت » كان له ضلع مع الفريق المتآمر ضدّ « سنوسرت » ، وأنه كان يعلم بها ، و إلا فليس هناك أى تفسير آخر للفرار المفاجئ ، والفزع الذى استولى عليه حينما استرق السمع وأصغى لرسول المتآمرين ضدّ « سنوسرت » حينما كانوا يقصون رسالتهم على الأمير الذى أرسلوا فى طلبه لتولية العرش إذ يقول : ”وعندئذ كان قلبى يتحرق، وخارت ذراعاى، واستولت الرعدة على جميع أعضائى، فقفزت باحثا عن مكان أختبئ فيه ، فوضعت نفسى بين أيكتين لأفسح الطريق للسافر فيها (أى لأكون بعيدا عن الطريق المطروق) . ثم سرت نحو الجنوب، ولم يكن غرضى الوصول إلى مقرّ الملك، لأنى فكرت أن الشجار يقوم هناك . ولم يكن يهمنى أن أعيش بعده الخ“ (كتاب الأدب المصرى ص٣٥). هذا ولا يمكننا أن نفسر الوقت الطويل الذى قضاه فى الخارج قبل أن يسمح له «سنوسرت الأوّل» بالعودة من منفاه .

ولا بدّ أن « سنوهيت» قد أقحم نفسه فى هذه المؤامرة التى كان مآلها الفشل التام، ولا أدل على ذلك من أنه لم يلمح لا من قريب ولا من بعيد عن سبب هربه وترك وطنه العزيز، مما جعل علماء الآثار المصرية يتحيرون فى سبب فراره مع أنه من كبار موظفى الدولة وأعلامها المشهورين كما تدل على ذلك ألقابه ؛ ولذلك نجده قد وصف هربه بصورة من أروع الصور الحية التى ورثناها من أدب الشرق القديم ؛

إذ تدل على براعة التملص والمروق من الموقف الحرج الذى يتطلب اللباقة والإبهام معا ؛ وبخاصة نلحظ تخلصه من الإجابة بصراحة عندما سأله « عمو ننشى » أمير « رتنوا العليا » . الخ . (ص ٣٦ من كتاب الأدب المصرى القديم) .

الدعاية للملك « سنوسرت الأوّل » — وهكذا اغتيل « أمنمحات » الأول بعد أن مكث يحكم البلاد المصرية أكثر من ثلاثين عاما قضاها فى كفاح مر فى داخل البلاد وخارجها . ولا بدّ أن « سنوسرت الأوّل » لما تولى الملك كانت الأحوال فى البلاط مضطربة ، وأن الحزب المعارض له كان يدس له خفية . ولذلك احتال الفرعون الجديد على استمالة قلوب الشعب إليه و إثبات شرعيته للعرش بطرق تكاد تكون مبتكرة ، واستعان على ذلك بجملة الأقلام الذين كان لهم قدم راسخة فى حسن التعبير وصياغة الكلام . فكتب له « خيتى بن دواوف » نصائح وتعاليم جعلها على لسان والده ، فقد جعل « أمنمحات » يظهر لابنه فى رؤية صادقة بعد وفاته ، ويلقى عليه تعاليمه ونصائحه وتجاريبه فى الحياة ليتخذها نبراسا له يهتدى به فى حكم البلاد .

ولقد ظل علماء الآثار واللغة يعتقدون أن هذه التعاليم كتبت فى حياة « أمنمحات » بعد مؤامرة أفلت منها ، ولكن الواقع والبحوث الجديدة تثبت عكس ذلك . ولذلك سنفرد لها بحثا خاصا حسب الآراء الحديثة التى كشف عنها الغطاء كل من الأستاذ « دى بك » الأثرى الهولندى . والأستاذ « جردنر » العالم الأثرى الانجليزى [1] (Melanges Maspero, Vol. 1, pp. 479 ff.) ، ثم نشفع رأيهما بالترجمة الحرفية .

التعاليم المنسوبة إلى « أمنمحات الأوّل — تدل الشواهد على أن تعاليم الملك « أمنمحات » لابنه « سنوسرت الأوّل » كانت تحتل مكانة عظيمة بين الوثائق الأدبية والتاريخية التى خلفتها الدولة الوسطى . وكان يستدل بها فى كثير

(1) Gardiner, Melanges Maspero, Vol. I, pp. 491 ff.

من المواضع على أنها من مأثور كلام هذا الفرعون . غير أن البحوث الحديثة تكاد تثبت بصفة قاطعة أن هذه التعاليم لم يفه بها « أمنمحات الأول » ، وأنها كتبت بعد وفاته لتكون بمثابة دعاية سياسية لابنــه « سنوسرت الأول » الذى تولى حكم البلاد بعده مباشرة ، وقد دلل الأثرى الكبير الأستاذ « دى بك » على ذلك بأدلة قوية مقتبسة من صلب متن التعاليم نفسها ، وكذلك من وثيقــة عثر عليها بين أوراق « شســتربيتى » فقد جاء فى هــذه الورقة ما نصــه : وأنه " هو (أى الكاتب خيتى) الذى كتب مؤلفا يسمى « تعاليم الملك سحتب ـ أب رع » عند ماذهب ليستريح منضما إلى السماء وداخلا بين أرباب الجبانة " .

تحليل العلماء لهذه التعاليم ـ وقــد تشكك الأســتاذ « جاردنر » فى أن « خيتى » هذا هو مؤلف هذه التعاليم قائلا : " إنها قد تنسب إليه بسبب جهل أحد الكتاب فى عهد الرعامسة . غير أنه من جهة أخرى يرى أن هــذه التعاليم قد كتبت فى عهد « أمنمحات » الأول ، وإن كان لا يجــزم بالطريقــة التى دوّنت بها . وكل ما قاله فى هذا الصدد لا يخرج عن كونه مجرد حدس وتخمين " . فقــال : " من المحتمل أنه عنــد ما أشرك « أمنمحات » ابنه « ســنوسرت » فى حــكم البلاد فاه أمام رجال بلاطه بنصائح غالية تحمل فى طياتها ما لاقاه من المصاعب والمصائب ، وما قام به من عظيم الأعمال ، وما جعــله يشرك ابنه معه فى حكم البلاد . ولا يبعد أن رجال الحاشية الذين أعجبوا بهذه النصائح وتلك الحكم الثمينة ، التمسوا من الملك أن يدوّنها ، فكلف بدوره كاتبا ملكيا بذلك " .

ثم قال الأستاذ « جاردنر » : " إنه يمكن أن يقاس ذلك بالخطاب الذى ألقاه الملك عند تولية الوزير كما نجد ذلك فى مقبرة « رخمرع » وغيرها من المقابر " .

أما الأســتاذ « دى بك » فيرى أن الملك « أمنمحات » قــد قتل فى مؤامرة قامت ضدّه فى القصر ، ويدلل على ذلك بجمل فى صلب متن التعاليم و ببراهين أخرى ، إذ يقول : إنه جاء فى صلب المتن الجملة التالية :

"ولو كنت استللت سـلاحى بيدى لكنت جعلت هـؤلاء المخنثين يولون الأدبار ، ولكن لا شجاع فى الليل ولا أحد يحارب وحيدا ، ولا يحرز النصر بدون عضد" .

فاذا اعترفنا أن « أمنمحات » يشير فى هذه الفقرة الى مؤامرة ناجحة ضدّه ، وهذا على ما يظهر هو الرأى الصحيح ، وأن ما جاء فى ورقة « شستر بيتى » من أن «خيتى» هو مؤلفها كان لابدّ لنا من أن نأخذ بنظرية من يقول : "إن الملك كان يتكلم ، أو كان مفروضا أن يتكلم من قبره" .

على أن ذكر الميت الذى يترجم حياة نفســه خاصــة لا تقتصر على المتن الذى تحدّث عنه ، بل نجدها فى متون جنازية أخرى . يضاف الى ذلك أن هذه ليست هى الظاهرة الوحيدة فى تعاليم هذا الملك التى تذكرنا بأسلوب الكاتب الذى يترجم حياة نفسه . وأكبر دليل على ذلك ما يأتى :

"لقد أعطيت الفقير وعلمت اليتيم ، وقد جعلت الرجل المغمور الذكر يصل إلى غرضه مثل صاحب المكانة" .

وكذلك نجد فى فقرة أخرى وهى من الصنف الذى نعثر عليه فى تراجم الأموات :

"أنا الذى أنشأت الغلال والذى أحبــه « نبر» (إله الحبوب) ، والفيضان قــد حيانى باحترام (أى كان معتدلا فى أيامى) ، ولم يجع إنسان فى سنى حكمى ، ولم يعطش خلالها أحد ، وكل ما أمرت به كان فى موضعه الصحيح" .

ولا شك فى أن أى عالم أثرى يقرأ هذه الفقرات دون أن يعلم أنها من تعاليم « أمنمحات » لا يشك فى أنها كانت على لوحة جنازية .

ولدينا فقرة أخرى يمكن أن تعتبر تفسيرا للظروف التى انفجرت فيها المؤامرة ، وهى فى الوقت نفسه تمدّنا بسبب من الأسـباب التى بها نجحت فى بادئ الأمر وهى الفقرة التى يقول فيها « أمنمحات » :

" انظر إنّ المصيبة قد حلت بى عند ما كنت بدونك " .

والقول بأن الثورة قد بدأت و « سنوسرت » بعيد عن العاصمة يتفق تماما مع بداية قصة « سنوهيت » إذ نقرأ هناك أن « أمنمحات » قد مات عند ما كان ابنه عائدا من حملته إلى بلاد «لوبيا» . على أن السرعة التى عاد بها « سنوسرت » ليصل إلى مقر الملك مع كتمان الأمر عن جيشه ، والرسالة التى بعث بها لإحضار أولاد الملك الذين كانوا يرافقون الجيش وذعر «سنوهيت» الغريب وهربه ، وسؤال الشيخ الفلسطينى «لسنوهيت» عما إذا كانت قد حدثت كارثة فى العاصمة ثم محاولة « سنوهيت » إقناعه بعدم حدوث أى شىء شاذ ، (وأن كل ما حدث هو أن «أمنمحات» قد رحل إلى الأفق ... وأن ابنه قد دخل القصر وتولى ميراث والده . واعترافه بأن موت « أمنمحات » لا تعرف نتائجه ، كل هذه الحقائق توحى إلينا أن هذا الموت لم يكن طبعيا مما يتفق وما جاء فى سياق التعاليم . ثم يأتى بعد ذلك فى المتن (هذا إذا كان ما ترجم هو المتن الصحيح) :

" قبل أن يسمع رجال البلاط أنى سأسلمك (الحكم) وقبل أن أجلس معك " .

وإنى أفهم من هذه الكلمات أن « أمنمحات » قد حال بينه وبين إعلان ابنه ملكا على البلاد بصفة رسمية موته المفاجئ .

وإذا كان هذا الرأى هو الصحيح عن محتويات هذه التعاليم فما هو إذن الغرض منها وما القصد الذى من أجله كتبت ؟

والجواب عن ذلك أن هذه الوثيقة مقال سياسىّ فى صورة قطعة أدبية صيغت دعاية لتعضيد حزب « سنوسرت الأول » ، فقد رأينا أن « سنوسرت » بعد موت والده قد أسرع إلى مقر الملك . وقد وصل فى الوقت المناسب ، ليمنع ما يخشى من الأحداث ، وقد أفلح فى تسلم مقود المملكة التى كان والده قد أعدها له .

ولكن لابدّ أن يكون تيار المعارضين قويا ، إذ كان المنافسون له على وشك الوصول الى مآربهم ، وربما كان لديهم من الأسباب الحقة ما يبرر موقفهم ويقوّى جبهتهم ويضعف من « سنوسرت » واستحقاقه العرش .

فمن المحتمل أن يكون « سنوسرت » قد لجأ إلى قوة السلاح الأدبى لتهدأ النفوس عقب الضربات القاصمة التى أودت بحياة الملك الكبير .

فقد كتب أديب بإيعاز من « سنوسرت » أو بوازع من نفسه هذه التعاليم يظهر فيها الملك المتوفى بسلطانه العظيم يعضد « سنوسرت » ويخاطبه من قبره بوصفه الملك الشرعى على البلاد ، ومتهما أولئك الأوغاد الذين أودوا بحياته . ولما كان غرضه من هذه التعاليم أن يعضد ابنه جاء فى مستهلها بما يؤكدها ويثبت صدقها فذكر الجملة التالية يقول لابنه فى رسالة صادقة[1] :

وقد كان من الأمور الطبعية فى التفكير المصرى أن يأتى الوالد المتوفى من عالم الأموات لمساعدة ابنه على الأرض ، وذلك لأن موتى المصريين كانوا دائما حاضرين ، وكان لديهم من القوة ما يؤثر على حظوظ الأحياء . فكثيرا ما نجد الحىّ يطلب مساعدة المتوفى وحمايته ، وقد عثر على كثير من الخطابات التى أرسلها الأحياء إلى الأموات مما يوضح لنا تأصل هذه الفكرة فى معتقدات المصريين .

وإذا كان من الممكن الاتصال بالموتى بالرسائل ، وإذا كان فى مقدور المتوفى أن يقرأ ما يرد إليه من رسائل الأحياء فمن المعقول المنطقى — وكان المصريون منطقيين فى مثل هذه الأمور — أن يكتب الأموات بأنفسهم للأحياء .

ولهذا عثرنا على عدد قليل من الخطابات أرسلها الأموات للأحياء مقابل ما يصل إليهم من أقاربهم ، ومن بين هذه الوثائق ورقة « هاريس » التى وصفها « ستروف » الأثرى الروسى بأنها تزييف ولكنه قديم . وقد ذكر فيها أن الملك « رعمسيس الثالث » المتوفى (وقد كان كذلك فريسة لمؤامرة نسوية) قد أفرد أحد أولاده بأن يكون الوارث الشرعى للعرش ، ويرجو من الآلهة والشعب أن يعضدوه ، وبذلك أفسد الغرض الذى لاقى من أجله الملك حتفه . ولا شك فى أن

---

(١) جاء فى بحث جديد للأستاذ « جن » أن « أمنمحات » ظهر لابنه فى رؤيا صادقة (حلم) بعد موته . وهذا هو الرأى القديم . (J. E. A. Vol. 27. p. 4. ff.)

المتن الذى بين أيدينـا الآن بمثابة مثال مبتكر من نفس هـذا النوع من المقالات السياسية التى كتبت للدعاية .

على أن الحرب بالأسلحة الكتابية أو الأدبيـة لم تكن من مبتكرات الملك «أمنمحات» الأوّل . وإذا كان من الممكن أن يصل إليه صدى من تعاليمه فى العالم السفلى الذى غيب فيه ، فإنه لابدّ أن يذكر بابتسامة نبوءات «نفرروهو» عنه بأنه هو المخلص المنتظر الذى سينشر فى البلاد عهـد سعادة ورخاء . فقـد كانت تلك النبوءات دعاية له فى أوّل عهـده عند ما كانت شـوكة الحـزب المنتمى للأسرة الحادية عشرة لا تزال قوية . وقد كان من نتائج هذه الدعاية أن ضمت إلى جانبه شعور القوم الدينى ومهدت له السبيل إلى اعتلاء عرش البلاد .

وفى اعتقادى أن هذه التعاليم تعدّ من نوع هـذه الوثائق . ورغم أننا لا نرى أمامنا صورة ذلك الملك المسن اليقظ الصارم الذى لم تخدعه الأوهام ، فإن لدينـا فى مقابل ذلك مقالا هو دعاية سياسية ليس أقل حيوية ولا إنسانية من شخصه .

التعاليم والتعليق عليها

التعاليم التى ألفها جلالة الملك «سحتب أب رع» ابن الاله «رع» «أمنمحات» الأوّل متحدّثا عن رسالة صادقة لابنه رب العالمين يقول :

"أنت يا من ظهرت إلها (أصبحت ملكا) أصغ لمـا سألقيه عليك حتى تصير ملكا على البلاد وحاكما على شواطئ النهر ، وحتى يمكنك أن تفعل الخير (أكثر مما ينتظر) . خذ الحذر من مرءوسيك ، لأن الناس يصغون لمن يرهبهم ، ولاتقتربن منهم على انفراد ، ولا تثقن بأخ ، ولا تعرفن لنفسك صديقا ، ولا تصطفين لك خلانا لأن ذلك لا فائدة منه" .

وبعد أن حذر ذلك الملك العظيم ابنـه الثقة ببنى الإنسان عامتهم حتى الأخ ، حذره كذلك اتخاذ الخلان ، لأن تجاربه الشخصية عرفتـه أن أقرب الناس إليه

هم الذين اغتالوه . و بعد ذلك ينتقل الملك إلى نصح ابنــه بألا يتكل على أحد آخر فى أن يحافظ عليه . وذلك بعد أن رأى بعينى رأسه أن إحسانه وعطفه قد قوبلا بإنكار الجميل . قال :

" وعند ما تكون نائمــا كن الحارس لشخصك حرصا على قلبك ؛ لأن الرجل لا صديق له فى يوم الشدّة، فإنى قد أعطيت الفقير، وعلمت اليتيم، وجعلت من لا ثروة له مثل صاحب الثراء . وقد كان آكل خبزى هو الذى جند الجنود ضدّى، والرجل الذى مددت له يد المساعدة هو الذى أحدث لى بهــا المتاعب ؛ والذين يرتدون فاخر كتّانى عاملونى كالذين فى حاجة إليه؛ والناس الذين يتضمخون بعطورى قد لوثوا أنفسهم وهم يستعملونه (بخيانتى) " .

وانتقل «أمنمحات» بعد ذكره هذه الصورة التى تدل على الشك فى الناس والتشاؤم منهم إلى حث خلفه وهم لا يزالون يذكرون تأملاته المحــزنة وما أتاه من الأعمال الحربية العظيمة، أن يعوا هذه المعلومات فى أنفسهم، وذلك لأن الخلف دائما ينسى ما قام به السلف؛ ومع ذلك فإن الانسان لا يمكنه أن يصل إلى السعادة الحقيقية إلا بالمعرفة . اسمع اليه وهو يقول :

"وأنتم يانسلى من الأحياء و يامن سيخلفوننى من الناس، اعملوا على أن تكون أحزانى كأنها أشياء لم يسمع بها، وكذلك اجعلوا ما قمت به من عظيم الأعمال الحربية لا يرى؛ وذلك لأن الإنسان يحارب فى ساحة الوغى وقد نسى (ما جرى) بالأمس، ومع ذلك فإن الانسان الذى يتناسى العلم لا تتم له سعادة" .

وينتقل الملك بعد ذلك إلى وصف الحالة التى كان عليها حينما هاجمه المتآمرون، قال : " لقد كان ذلك بعــد العشاء حينما دخل الليل . وكنت أخذت ساعة من الراحة واضطجعت على سريرى ، وكنت متعبا وأخذ قلبى يجــدّ وراء النــوم ، ثم شــعرت كأن أسلحة تلوح، وكأن إنسانا يسأل عنى، فانقلبت كأنى ثعبان الصحراء (أى قمت منتصبا) " .

و بعد هذه القطعة أخذ «أمنمحات» يصف موقفه الحرج عند الهجوم عليه ، وهنا تختلف الآراء كما أوضحنا فيما مضى فيقول «دى بك» : إن الملك اغتيل فعلا . أما « جاردنر» فلا يعتقد ذلك . ولهذا نجـد أن كلا منهما يترجم الجمـلة التى تشير إلى ذلك حسبما يظن : " وقـد استيقظت على صـوت الحرب ، وكنت وحيـدا ووجدت أنها حرب جنود . ولو كنت أسعفت بالسلاح فى يدى لكنت قد شتت شمل المخنثين شـذر مذر ؛ ولكن لا شجاع فى الليل ، ولا يمكن أن يحارب الإنسان وحيدا إذ لا نصر بدون معين " .

يرى بعد ذلك « أمنمحات » أنه قـد أصبح طاعنا فى السن وليس فى مقدوره أن يحكم البـلاد وحده . ولمـا لاحظ أنه قد أصبح غير قادر على أن يتنبأ و يعوق المؤامرة التى دبرت ضدّه نزل عن الملك لابنه «سنوسرت» وهو الذى أشركه معه فى حكم البلاد ، ولذلك يقول :

" تأمل ! لقد أريق الدم وأنت بعيد عنى ، وقد سلمت لك (الملك) قبل أن يسمع بذلك رجال البلاط . وعلى ذلك دعنى ، افعل ما تريد ، وذلك لأنى لم أحتط لنفسى ضدّ هذه (المؤامرة) فإنى لم أفطن إليها من قبل . هذا فضلا عن أن قلبى لم يتنبه إلى تراخى الخدم " .

ينتقل بعد ذلك «أمنمحات» إلى التنويه بأن هذه المؤامرة قد دبرت فى الخدور . وقد وضع المؤلف هذه الحادثة فى ثلاثة أسئلة قد اختلف كثيرا فى ترجمتها . ونظن أن الأستاذ « جاردنر » قد قارب الحقيقة إذ يقول :

" هل حدث أن النساء اصطففن فى ميدان المعركة ؟ وهل من لا يرعى حرمة القانون قد شب فى القصر ؟ أو هل المـاء الذى كسر السدّ قد انطلق ، وعلى ذلك خاب الفلاحون فى عملهم ؟ " .

و يمكن فهم السؤالين الأوّلين تماما . أما الثالث فانه استعارة تشبيهية من الطراز الأوّل ، إذ من المحتمل أن نفهم منها أن الشعور بالولاء الذى نماه الملك قد تلاشى

فأصبح الوئام الذى كان يسود القصر مقضيا عليه جملة ، ولذلك شبهه بتوزيع مياه الفيضان فى وقت الزرع بوساطة القنوات الصغيرة تشق الحقول وتقسمها إلى مربعات مثل رقعة الشطرنج ، فاذا حدث خلل فى هذه القنوات فإن كل المساحة تغمرها المياه ، و بذلك يضيع تعب الفلاحين سدى .

على أن ما يأتى لا يثبت أن المؤامرة قد خابت ، و يمكن فهم نتيجتها ضمنا من قوله : "وسوء الحظ لم يتنبى منذ ولدت ، هذا فضلا عن أنه لم يتأت لإنسان قط أن يقوم بمثل ما قمت به من الأعمال العظيمة بوصفى رجلا شجاعا" .

ثم ينتقل «أمنمحات» إلى تعداد ما أحرزه من النجاح فى ميدان الأعمال المادية فيقول : "لقد اقتحمت طريق الى « الفنتين » (أسوان) ونفذت حتى مناقع الدلتا ، ووقفت عند نهاية حدود الأرض ، وشاهدت وسطها ، ووصلت إلى معاقل الحدود بقوة ساعدى و باهر أعمالى العظيمة" .

ثم يأتى ذكر أعمال الخير التى قام بها الفرعون المسن مادحا إياها قائلا :

"لقد كنت مؤسسا للحاصيل الزراعية ، محبوبا من الإله « نبر » رب الغلال ، وقد حيانى النيل فى كل رقعة من الأرض المكشوفة ، ولم يجع إنسان فى سنى حكمى ، ولم يسغب أحد خلالها (السنون) ، ولكن القوم جلسوا فى سلام بما عملت لهم وتحدثوا عنى ، وكل ما أمرت به كان فى موضعه الحق . ولقد أذللت الأسود ، واصطدت التماسيح ، وقهرت أهل «واوات» وأسرت قوم «المازوى» وجعلت الأسيويين يمشون كالكلاب ، وأقمت بيتا مزينا بالذهب وسقفته باللازورد ، ... ورقعته ... وأبوابه من النحاس وأقفاله من البرنز ، وقد صنعتها لتبقى إلى زمن لا نهاية له ، والأبدية تخشاها لأنها لا يمكنها أن تقضى عليها" .

و يأتى بعد ذلك عدة جمل لا يمكن فهمها لأن المتن مشوه .

ولا نزاع فى أن كاتب هذه التعاليم قد رسم لنا صورة التشاؤم والريبة التى بعثتها أحوال البلاد فى ذلك العصر ، رغم ما قام به « أمنمحات » من إعادة النظام القديم

الذى كانت عليه البلاد بقدر ما استطاع ، إذ كانت الأحوال قد حتمت عليه أن يتخير عمــاله وموظفيه لإدارة البــلاد من بين أولئك الرجال الذين ترعرعوا وشبوا فى عهــد ذلك الانحطاط الذى عقب عصر الأهرام ، وكانت قلوبهم قد أشربت حب الفوضى والفساد اللذين هوى إلى حضيضهما الشعب المصرى عدّة قرون، ولم ينقذه منها فى ذاك الوقت إلا « أمنمحات »، وإن كانت بقاياهما قد ظهرت ثانية فى حادثة اغتياله على يد من أحسن إليهم، لذلك بدأ شعور النفوس فى المجتمع المصرى فى ذلك العهد مملوءا بالريبة والشكوك إلى حدّ أن ذلك الشعور قد انعكست ظلاله على أعظم أنواع الفنون فى ذلك العصر وأعنى بذلك فن نحت التمــاثيل البشرية ، فظهر فى هيئات التمــاثيل الخالدة التى تمثل لنا ملوك الدولة الوسطى ، سمــة الرزانة والوجوم التى تلمح فى أقوالهم ونصائحهم، والتى كانوا ينظرون بهــا فى عصرهم إلى الحيــاة الدنيا . وعند ما ننعم النظر فى تلك الوجوه التى تدل على الجــرأة والبطولة أمثال « سنوسرت الثالث » و « أمنمحات الأوّل » والثالث ، وقد ظللتها سحــائب اليأس والقنوط، نرى أن نفس هذه الوجوه تعد كشفا جديدا فى ميدان الفن يميط لنا اللثام من غير شك عن روح ذلك العصر الذى يعتبر أقــدم عصر معروف تخلص من الأوهام ولم ينخدع بها . (راجع صور هؤلاء الملوك فى مكانها) .

هرم أمنمحات ومعبده — وقد أقام «أمنمحات» لنفسه هرما بالقرب من مدخل الفيوم (اللشت) يظهر أنه كان على أنقــاض بلدة يرجع عهــدها إلى عصر ما قبل التاريخ. وتدل أعمال الحفر التى قامت فى تلك الجهة على أن التصميم الأوّل للهرم ومعبده كان ضخما جدّا ، ولكن يظهر أن الملك رأى أنه لا يمكنه إتمام هــذا العمل فى حياته، وأن المكان الذى اختاره لم يكن ملائما من الوجهة الهندسية لأنه كان ينحدر شرقا وجنوبا، فترى موضع الهرم وإن كان سهلا، لأن الأرض التى أقيم عليها قد سويت بقطع الأحجار من المكان العالى وبنائها فى المكان المنخفض، إلا أن موضع المعبد كان غير معبد ويحتــاج إلى عناء كبير ؛ ولذلك اكتفى « أمنمحات »

ببناء معبد صغير فى الجهـة الشرقية على مستوى منخفض جدّا من الهرم . ومن المدهش أنه وجدت أحجار من أحجار المعبد كانت قـد استعملت فى بناء آخر باسم «أمنمحات» ، ويحتمل أنه كان قد أعدّها لبناء آخر ولكن استعملها فى هرمه هذا ، وكذلك تدل الأبحاث على أن هـذا المعبد والهرم قد اغتصبهما ملك آخر فيما بعد ، ولكن لا يمكن الجزم بذلك لأن حجرة الدفن موجودة تحت المـاء الآن .

ومن الأمور التى تلفت النظر رغم شيوعها منـذ الدولة القديمة أن بنـاء قلب هرم «أمنمحات» وجدت فيه أحجار كثيرة منقوشة ، معظمها يرجع إلى عهد الدولة القديمة ، وقد اغتصبت إما من «دهشور» أو «سقارة» . وقد كان تمييز هذه الأحجار من أحجار الهرم والمعبد الأصلية من الأمور الصعبة ؛ وذلك لأن «أمنمحات» كان يقلد كتابة الدولة القـديمة بكل دقة بل كان أحيانا ينقل أسطرا منها كاملة . ولمـا تولى « سنوسرت » الملك بنى لنفسه هرما على مسافة ميل ونصف من هرم والده جنوبا ، وقد أقيم حول الهرمين عدّة مقابر لرجال البلاط وكبار الموظفين . وقد كان قرب كل منهم و بعده من قبر سيده يتوقف على مركزه فى البلاط والمجتمع . وحول قبور العظماء أقيمت قبور أسرهم وخدمهم . وقد أخذ عدد هذه المقابر يتزايد حتى شغلت حيزا عظيما فى أواخر الدولة الوسطى إلى أن جاء عهد «الهكسوس» فهجرت ، ومن ثم أصبحت تحت رحمة السرقة ولصوص المقابر . وقد كان أوّل بناء عرض للنهب هو هرم « أمنمحات » الذى كانت معظم أحجاره مغتصبة من مقـابر الدولة القـديمة (انتقام التاريخ) حتى أنه بعـد فترة أصبح كومة عاليـة فقدت شكلها الهرمى ، إذ أخذت كل أحجارها واستعملت فى جهات أخرى . وفى الجهة الغربية من الهرم عثر على بعض مقابر لعظماء عصر « أمنمحات » ، وكان معظم أحجارها من مقابر الدولة القديمة مما يدل على أن الملك لم يكن يغتصب الأحجار لنفسه فحسب ، بل كان يغتصبها أيضا لعظماء بلاطه .

حجر أثاث الهرم وما وجد معه — وفى هـذه الجهة من الهرم عثر الأثرى « ونلك» على قطع الأثاث التى كانت توضع عند وضع حجر الأساس . وقد وجدت

فى الركن الجنوبى الغربى للهرم، ويعدّ العثور على هذه الأشياء من الأمور النادرة جدا . وقد عثر عليها فى حفرة مستطيلة عند الفوهة، وبيضية فى نهايتها، وقد غطيت بحجر جيرى مهذب بعض الشىء وهذه الحجرة كانت مملوءة بالرمل الصافى .

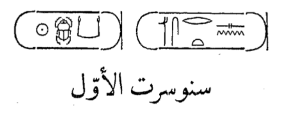
ويتألف هذا الكنز من رأس ثور وستة قوالب من اللبن ذات شكل ساذج، وكميـة عظيمة من قطع الخزف المهشم وأطباق من الفخار . وعند فحص قوالب اللبن وجد أنه قد ركب فى كل منها لوحتان من النحاس، واثنتان من الخزف المطلى، واثنتان من الحجر الجـيرى الأبيض فقدت إحداهما . والكتابة التى على كل منهـا تشتمل على اسم الملك ثم اسم الهرم « اسوت خعو » ثم العلاقة الدالة على الهرم. ومعنى الاسم « أماكن الظهور » أى الأماكن التى يشرق فيها الملك . غير أن هذا الهرم كان يعرف قبل الكشف عن أشياء الأساس باسم « كانفر » (الروح الجميلة) لأمنمحات (A. Z. Vol. 59, p. 53) ، وقد وجد هذا الاسم على لوحة محفوظة الآن فى متحف « اللوفر » وكذلك جاء ذكره فى قصة « سنوهيت » ، إذ قد عين حارسا (للحريم الملكى) فى مدينة هرم « كانفر » . ولا ندرى أكان هذا الاسم الأخير هو للهرم كله وتوابعه، والاسم الذى كشف فى الأساس هو للهرم — وحده كما نرجح — أم لا . ولكن يقول الأستاذ « شارف » أنه اسم مدينـة الهرم (A. Z. ibid) .

مدينة الهرم — وفى الجهة الجنوبية كشف عن مساحة كبيرة تحتوى على بلدة وجبانة من هذا العصر . ومما يلفت النظر فى هذه المدينة أن إحدى منازلهـا كانت على ما يظهر معملا لطلى الخزف .

ففى إحدى الحجـرات عثر على حجر غائر فى رقعتها ، ولا بـدّ أنه كان يستعمل لعجن الجير المطفى بالمـاء، وفى الحجرات الأخرى لهـذا المعمل وجد قـين مهشم ومبعثر فى كل أنحاء البيت وخارجه، وكذلك وجد عدد عظيم من قطع العجين التى بدئ فى تشكيل بعضها . هذا إلى وجود عدد عظيم من آلات الصقل مصنوعة من الحجر الرملى، وآلاف من حبات الخرز، وكمية من المواد المختلفة الأنواع .

أما فى الجبانة فقد نظف كثير من المدافن ووجد معظمها منهوبا نهبا تاما ، غير أن البعض الآخر قد عثر فيه على أشياء ثمينة نقف منها على بعض نواحى الفن فى هذا العصر وصناعاته . فقد عثر مثلا[1] على بعض أوانى من الفخار المزخرف الذى ينسب إلى هذا العصر . وقد عثرنا على أمثلة منه فى منطقة أهرام الجيزة فى حفائر عصر الدولة القديمة . غير أن بعض العلماء ينسبه إلى صناعة أجنبية كما سيأتى بعد . وكذلك عثر على قطعة من الحجر الجيرى الأبيض نقش على جوانبها الأربعة اسم «سنوسرت» وربما كان «سنوسرت الأول» . وهذه القطعة كانت بلا شك مثقالا يستعمل فى الموازين .

(1) M. M. A. "The Egyptian Expedition, 1920-1921"



سنوسرت الأوّل

حوالى (١٩٨٠ — ١٩٣٦ ق م)



شــــكل رقم ١٥
سنوسرت الأوّل

مقـــدّمة ـــ دلت ظواهر الأحـوال على أن المـؤامرة التى قامت ضـدّ « سنوسرت » الأوّل لاغتصاب الملك منـه على إثر اغتيال والده بعد أن اشترك معه فى الحكم نحـو عشرة أعوام لم تكن واسـعة النطاق . وأنه بعودته فى الحال قضى على هـذه الفتنة قضاء عاجلا حاسما كما أسلفنا الإشارة إلى ذلك .

وقـد خلا «لسنوسرت » الجو بعد ذلك وأخذ فى الدعاية لنفسه . وقد حكم البلاد نحو ٤٠ سنة ، منها عشر سنوات بالاشتراك مع والده ، وثلاث منها مع ابنه عندما أشركه معه فى الحكم . و يمتاز عصر « سنوسرت » الأوّل بجلائل الأعمـال و بالإصلاحات التى قام بها فى داخل البلاد ، و بخاصة مبانيه العظيمة التى نشاهدها منبثة فى طول البلاد وعرضها ، وقد وضعته فى الصف الأوّل بين عظماء الفراعنة الذين اشتهروا بمبانيهم الهـامة .

وصف « سنوهيت » للملك « سنوسرت الأوّل » ـــ ولقـد وصفه لنا «سنوهيت» الذى كان معاصرا له وحارب معه جنبا لجنب فى حملة « لوبيـا » وصفا شيقا لا يخلو من المبالغة فيقول :

”إنه هو الإله المنقطع القرين الذى لا يفوقه أحد ، وإنه رب الحزم المتفوّق فى النصيحة والحازم فى إعطاء الأوامر ، والرواح والغدوّ تحت إرادته ، وهو الذى أخضع الأراضى الأجنبية ، ووالده مقيم فى القصر ليتاقى الأخبار بأن أمره قد نفذ ، وأنه القـوى الذى يحرز النصر بساعده القـوى ، البطل الذى لا نظير له عند ما يشاهد منقضا على العدو ، أو مقتربا من حومة الوغى ، وهو الذى يثنى القـرون [(١)] ، و يضعف الأيدى ، وأعداؤه لا يمكنهم تنظيم صفوفهم .

و إنه لمنتقم محطم للجبناء ، ولا أحد يجسر على الوقوف بجواره . وهو الواسـع الخطى المهلك للهارب ، ولا نهاية لمن يولى ظهره له . (أى أن الهارب لا يصل إلى غايته سالمـا) . شجاع القلب عندما يرى الجموع ، ولا يسمح لقلبه بأية راحة

(١) أى قرون العدوّ الذى يشبه بالثور فى قوّته (يعنى كناية عن البطش والغلبة) .

الجسور عندما ينقض على الشرقيين . وسروره أن يأسر «الربدتو» (العدو)، وهو يقبض على درعه ، ويدوس تحت القدم (العدو) ، ولا يعيد ضربته ليقتل (أى لا يضرب إلا ضربة واحدة قاتلة) .

وليس هناك من حوّل سهمه عن هدفه ، وليس هناك من حنى قوسه (لصلابته) ، و «شعب الأقواس» يهرب أمامه كما يهرب أمام قوة الآلهة العظيمة ، وهو يحارب بدون نهاية ، وهو لا يبقى ولا يذر، وهو رب الرشاقة، غنى فى عذوبة، وبالمحبة قد تغلب على قلوب الناس ، ومدينته تحبه أكثر من نفسها ، وهى تبتهج به أكثر من إلهها ، والرجال والنساء يمرّون أمام قصره فرحين ، وهو ملك قد فتح وهو لا يزال فى البيضة (أى طفلا) ، وقد كانت وجهته أن يكون ملكا منذ ولادته .

وهو الذى يكثر عدد من ولدوا معه ، وهو نسيج وحده ، ومنحة من الله ، وسيفتح الأراضى الجنوبية، ولكنه إلى الآن لم يلتفت إلى الأراضى الشمالية .

ومع ذلك فقد خلق ليضرب على أيدى البدو . ويحطم سكان الرمال .

أرسل إليه ودعه يعرف اسمك، ولا تنطق بلعنة ضد جلالته، وهو لا يفوته أن يعمل خيرا لأرض ستكون موالية له ".

حفلة تتويج « سنوسرت » الأوّل — وقد كان أوّل عمل قام به «سنوسرت» بعد توليته العرش أن أقام حفلة لتتويج نفسه، وقد كان الغرض منها محض الدعاية لشخصه، وأنه هو الوارث للعرش الحقيقى ، وفى ذلك تشبه «بأوزير» و « حور » ، فإن « حور » قد أقام لنفسه حفلة تتويج عند اعتلائه عرش والده «أوزير» ، وكان الأخير قد قتله «ست» أخوه، وهذه الحفلة كانت تقام فى صورة رواية تمثيلية تمثل فيها كل الأدوار التى حدثت فى مأساة « أوزير » و « حور » « فأوزير » هو الملك المتوفى «أمنمحات الأوّل» و «حور» هو الملك الذى خلفه، وهو هنا « سنوسرت الأوّل » . وتمتاز التمثيلية التى نحن بصددها الآن بأنها من إنشاء عصر الدولة الوسطى وقد عثر عليها « كوبيل » فى عام ١٨٩٥ — ١٨٩٦

فى منطقة « الرمسيوم » . ولمـا كانت هـذه الدراما منقطعة القرين فى بابها حتى الآن آثرنا أن نأتى على ملخصها هنا ، وبخاصة أنها كانت أكبر دعاية « لسنوسرت » الأوّل فى تثبيت ملكه وتعريف الشعب بأحقيته للملك ، وتحتوى هذه الدراما على ستة وأربعين منظرا . وها هى ذى حسب ترتيب مناظرها :

ملخص تمثيلية عيد التتويج — فنجد فى المنظرين الأوّل والثانى أن الملك قد مات (وهو أمنمحات الأوّل) وعندئذ يأمر ابنه ووارثه على العرش « سنوسرت الأوّل» بإحضار السفينة الملكية بعد إعدادها . وقد كان المفروض أن الملك يمثل دوره فيها خلال عرض هذه الدراما كلها . ولكن يظهر أنه قد تركها فى المنظرين الأخيرين منها . ونشاهد فى المنظر (٣ و ٤) تقديم ضحية للملك المتوفى وهو ثور يذبح ثم يقطع قطعا ليقـدّم وجبة . والمعنى هنا رمزى أى أن الثور هو الإله « ست » الذى قتل أخاه « أوزير » .

وفى المنظرين الخامس والسادس يطحن الشعير ثم يقدّم منه كعك للملك .

وفى المنظر السابع نشاهد تجهيز سفينتين لأولاد الملك .

وفى المنظر الثامن نشاهد شارات الملك الخاصـة بحور (أى الملك الجـديد) تستخرج من محرابه ، ثم يجهز موكب يمرّ به الملك فى الجبل (أى الجبانة) .

وفى المنظر التاسع نشاهد درس الشعير بوساطة البهائم وحمله إلى المخازن . وهذا المنظر رمزى يقصد به أن «حور» بدرس الشعير يمزق أوصال عدوّ والده «ست» انتقاما له .

وفى المنظرين العاشر والحادى عشر نشاهد زيادة الاهتمام بإعداد سفينة الملك وسفينتى أولاده . وذلك بوضع أشياء وأوان خاصة بتطهير الملك وأولاده .

وفى المنظر الثانى عشر و الخامس عشر وما بينهما نشاهد صورا تحتـوى على صب المـاء وتقديم رأس حيوانين (رأس ثور ورأس أوزة) للآله المحلى ، ثم يأمر بإقامة العمود المقدّس بأيدى الأولاد الملكيين .

وهذا رمز إلى أن «حور» قد أمر أولاده أن يجعلوا الإ ٓله «ست» تحت «أوزير» . وعندئذ يشدّ العمود بحبل ويقام ، ويفسر هذا بقتل « ست » ، ثم يأمر «حور» أولاده بأن يتركوه موثوقا ويطرحوه أرضا . أما المنظر السادس عشر فنشاهد فيه أولاد الملك ينزلون فى سفينتيهم ثم يتكلم «حور» عن أولاده مع «ست» الذى يمثل هنا بالسفينة قائلا له : "احملنى أنت يامن حملت والدى على ظهرك" (أى أنه يتغلب عليه) . أما المنظر السابع عشر فنشاهد فيه تقديم الخبز والجعة للا ٓله «حور» الأعمى رب «ليتوبوليس» (أوسيم الحالية) (وهى البلدة التى انتقم فيها « حور » من قتلة والده ثم دفنه فيها) ، وبذلك أعيد له نظره . أما المناظر من الثامن عشر إلى الحادى والعشرين فنشاهد فيها حدوث مبارزة بين « حور » و « ست » ، وكذلك إحضار مرضعتين[1] ونجارين لصنع مائدة قربان للملك ، ثم نشاهد الكاهن الخاص بتقديم القرابين يحضر المائدة .

وفى المنظر الثانى والعشرين نشاهد أولاد الملك يقدّمون له الخمر . وهذا رمز إلى تقديم عين « حور » إليه بعد أن اقتلعها « ست » الشرير .

وفى المنظرين الثالث والعشرين والرابع والعشرين يقدّم للملك حلى من حجر الدم والفخار المطلى ، وهذه يرمز بها إلى إرجاع عين « حور » إليه ثانية . وفى المنظر الخامس والعشرين يقدّم ساقى الملك له وجبة ، وهذا رمز للإ ٓله « تحوت » عندما قدّم عين « حور » إليه بعد أن اقتلعها « ست » ، ولذلك يقول « تحوت » فى هذا المنظر للإ ٓله «حور» : "إنى أقدّم لك عينك لتفرح بها" ، فتقديم العين إلى «حور» هو تقديم الوجبة . وفى المنظر السادس والعشرين نشاهد كهنة خاصة يلتفون حول علمى «حور» ، وهما اللذان يرمز بهما إلى سلطان الملك على الوجهين القبلى والبحرى أو غرب الدلتا وشرقيها ، وكذلك يرمز بهما إلى عينى « حور » ؛ وفى المناظر من السابع والعشرين إلى الحادى والثلاثين نشاهد أنه كان يقدّم للملك شارات ملكه الخاصة

---

(١) كان اللبن من أهم القرابين التى تقدّم للتوفى .

وهى الريشتان والصولجان والخاتم، وعند ذلك يهلل عظماء الوجه القبلى والبحرى فرحا، وبعد ذلك يؤتى بكل ضرورى لتزيين الملك وتضميخه وتعطيره وإطلاق البخور له، ثم وضع الحارستين على رأسه، أى الريشتين اللتين يزين بهما تاجه. وفى المنظر الثانى والثلاثين نشاهد بعد التتويج عظماء القوم الذين اشتركوا فى احتفال التتويج هذا، ويشتركون كذلك فى تناول طعام الوليمة الملكية التى أقيمت لهذا الغرض وحده. وفى المنظرين الثالث والثلاثين والرابع والثلاثين نشاهد الملك قد ارتدى لباس الحزن على والده المتوفى، وعندئذ يقدّم نوع خاص من الخبز، ونوع خاص من الجعة فالخبز كان يسمى خبز « أح » أى « أوزير » الذى قتل . أما الجعة فكانت تسمى جعة «سرمت» وهى ترمز إلى « إزيس » والدموع التى سكبتها هى و « حور » على « أوزير » المقتول . وكانا يقدّمان طعاما فى الاحتفال بجنازة « أوزير » .

والمناظر من الخامس والثلاثين إلى الأربعين تستحضر فى آن واحد أدوات التحنيط للملك الراحل مع الملابس الحمراء للملك الذى خلفه على العرش . ثم نشاهد الكهنة المسمين « سخنوأخ » (الباحثين عن الأرواح) وهم المكلفون بخدمة الملك المتوفى يؤمرون بحمل تمثاله على أيديهم كما كان يحمل الأصدقاء « أى أصدقاء المتوفى » كما جرت العادة فى الشعائر الجنازية . ثم نراهم يبنون بصورة رمزية سلما إلى السماء ليصعد فيه الملك المتوفى إلى العالم العلوى الذى كان لابدّ له أن يعرج إليه . ثم تنتخب المرأتان اللتان كانتا تقومان بالنحيب على المتوفى وهما اللتان تمثلان دور « إيزيس » و « نفتيس » . ثم بعد ذلك يعطى الكاهن مقدّم القربان فخذا من اللحم، وقطعا من النسيج لاستعمالها فى خدمة المتوفى . وفى المناظر من الحادى والأربعين إلى الرابع والأربعين نشاهد كهنة « سخنوأخ » يتسلمون هذه الأشياء التى كانوا يستعملونها فى تكفين الجثة والاحتفال بفتح الفم[1] . وبخاصة أنواع العطور والزيوت .

(١) شعيرة فتح الفم كانت من الشعائر التى يقوم بها كهنة خاصة باحتفال خاص، وذلك لأجل أن يعيدوا إلى الميت قوة فتح الفم والعينين ليمكنه أن يتمتع بكل ما يقرب له، وكان ذلك بطريقة سحرية وتعاويذ خاصه وآلات معدّة لهذا الغرض .

وفى المنظرين الآخرين وهمــا اللذان لا يظهر فيهما الملك وبهما تنتهى الدراما يحضر إلى الملك المتوفى كل معــدّات التطهير وبخاصة النطرون الذى كان يستعمل لهذا الغرض وتوضع فى المحراب المقدّس، وهو المكان الذى يثوى فيه وآخر مطاف له فى عالم الدنيا ؛ وأعنى بذلك هرمه الذى يدفن فيه .

مبانيه الدينية — معبد عين شمس — وقد كانت الخطوة الثانية فى إرضاء الشعب وجعله يلتف حوله ماقام به من المبانى الدينية للآلهة وبخاصة الإله «رع»، فقد أقام له معبدا فى مدينة «عين شمس» . وقد أسعدنا الحظ بالعثور على بردية كتبت بعد عصره بنحو ٥٠٠ عام ، وتحتوى على النقوش العظيمة التى قدّمها « سنوسرت » تذكارا للاحتفال العظيم الذى أقامه عنــد إتمام معبد الشمس فى « هليوبوليس » (عين شمس) الحــالية ، وقد كانت هذه النقوش فى بادئ الأمر منقوشة على لوحة وضعت فى فناء المعبد ثم نقلها الكاتب على بردية، ومما يؤسف له جدّ الأسف أن هذه البردية لم تصل إلينا كاملة وهاك نص ما تبقى منها .

وعندما توج الفرعون بالتاج المزدوج للوجه القبــلى والوجه البحرى (أى عند توليته العرش بوصفه فرعونا منفردا بعد موت والده، جمع المجلس وطلب الفرعون رأى أتباعه، وهم أشراف القصر والأمراء الذين فى البلاط فى مكان المشاورة الخاص، ثم تكلم الفرعون وهم مصغون وســألهم الملك رأيهم ، وجعلهم يتكلمون بما عندهم فقال تأملوا ! إن جلالتى عازم على القيام بعمل، ويفكر فى أمر حسن للمستقبل وذلك أن يكون فى مقــدورى إقامة أثر ونقش لوحة تذكارية للإله « حور أختى » (إله الشمس) ، فإنه ذرأنى لأقوم له بعمل مايجب أن أعمله ، وأنفذ ما أمر بنفاذه، فهو الذى جعلنى راعيا على هذه الأرض، لأنه يعلم أنى سأحافظ له على النظام فيها ، ومنحنى كل شىء تحت حمايته ، وما تسطع عليه العين التى فيه (أى الشمس)، وكل شىء يعمل

(1) Breasted, A. R., Vol. I, Par. 498 ff. ; Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", p. 49 ff.

حسب رغبته، وقد انجزت كل ما يريده منى لأنى ملك بحسب إرادته وفرعون لا ...
وحتى عند ما كنت صبيا كنت مظفرا وكنت قويا وأنا لا أزال فى بطن أمى ...
وقد قدّر لى أن أكون سيد القطرين ؛ وقد كنت لا أزال طفلا قبل أن تنتزع عنى
لفائفى، وقد نصبنى سيد بنى الإنسان ... أمام الناس، وعلمنى أن أستوى على العرش
عندما كنت لاأزال شابا ... ... وقد أعطانى صورته وحزامه، وقد صورت حسب
الشكل الذى اتخـذه هو، وقد أعطيت الأرض وإنى سيدها، وبذلك قد وصلت
شهرتى إلى عنان السماء ... ... وقد أمرنى أن أتغلب على مايجب أن يتغلب عليه هو
وقد جمعت بوصفى الصـقر الملكى مناقبـه وقد حبست قرابين الآلهة . وسأقوم
الآن بعمل وهو إقامة معبد عظيم لوالدى إله الشمس «آتوم» ، وسأجعله منيرا بقدر
ماجعلنى مظفرا ، وسأمدّ مائدته بالطعام على الأرض ، وسأشيد بيتى (هذا) على
الأرض المقدّسة، وبذلك سيذكر طيبتى فى هذا المعبد وسيكون اسمى (مخلدا مثل)
حجر « بنبن » (قمة الهرم) ، وستكرى البحيرة (البحيرة المقدّسة التى تجاور المعبد عادة) ،
وسيكون هـذا العمل الذى عقدت العزم عليـه مثل الأبدية، لأنه لن يموت ملك
وآثاره تحدّث عنه . وإن اسمى سيذكر دائما ولن يفنى لمـا خلده من الآثار، وما أفعله
هو الصواب، وما أبحث وراءه هو الممتاز . فأجاب مستشاروه بما يأتى : إن القول الفصل
فى فمك ، وثاقب الرأى خلفك، يأيها الملك، وإن ماعزمت عليه سينفذ يأيها الملك
الذى ظهر موحدا للقـطرين لأجل أن ... ... فى معبدك . إنه لحسن أن ينظر
الإنسان إلى العدق... ولكن بنى الإنسان قاطبة لن يتخيروا شيئا بدونك، لأن جلالتك
عين كل إنسان وإنك لعظيم حينما تقيم آثارا فى «عين شمس» مسكن الآلهة أمام والدك
رب القاعة العظيمة «آتوم» ثور التاسوع . أقم بيتـك وخصص له منحا لمـائدة
القربان لأجل أن تمدّ تمثاله المقرّب منه لكل الأبدية .

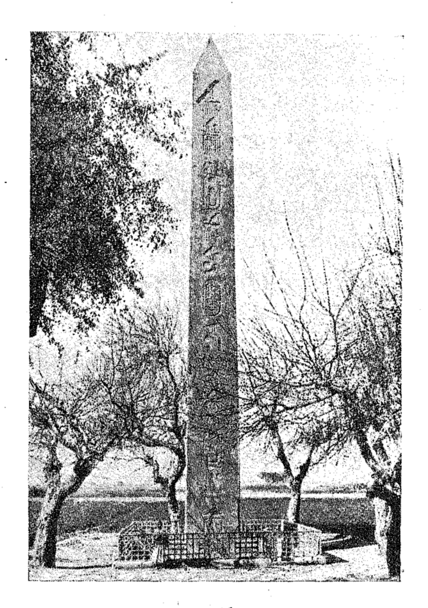
وبعد أن حصل على الموافقة التامة من مستشاريه، أخذ الفرعون يعطى تعليمات
للاحتفال بوضع الحجر الأساسى للمعبد، فقال الملك نفسه لحامل الختم ورئيس تشريفاته

ومدير الخزانة والمشرف على أسرار (تاجيـه) سيكون رأيك هو المعمول به لتنفيذ العمـــل .

وهذا ما تصبو إليه جلالتى ، وستكون أنت المدير المكلف به حسبما يحبه قلبى . كن يقظا حتى ينفذ من غير تراخ كل عمل خاص به ، أما كل الذين يعملون فإنهم قد أمروا ليعملوا حسب أوامرك ، ثم طلع الملك لابسا تاجه وعليه الريشتان ، وقد سار خلفه القوم كلهـم ، وبعد ذلك مدّ رئيس المـرتلين وكاتب الكتب المقدّسة الخيط ، ودق أوتاد الحدود فى الأرض (أى حدود المعبد) ، وبعد ذلك أمر الملك بأن يمشى كاتب الوثائق الملكيـة أمام الناس الذين كانوا متجمعين فى مكان واحد من الوجهين القبلى والبحرى .

وممـا يؤسف له أن الورقة قد قطعت عند هذه النقطة بالذات . ولكنا على الرغم من ذلك قـد وقفنا على مضمونها فى جملتها ، ويرى القارئ أن معظم النص ينحصر فى مدائح للفرعون كان يكيلها لنفسه ، ويفرغها عليه مستشاروه . ولقد أراد « سنوسرت » من إقامة هـذا الأثر أن يثبت للملأ أنه من نسـل « رع » الذى ينتسب إليه كل فراعنـة مصر وبخاصة أن موضوع نسـبه للأسرة المـالكة كان مشكوكا فيه . يضاف الى ذلك أنه أراد أن يبقى ذكراه فى مدينة الشمس موطن جدّه الإله « رع » الى أبد الآبدين .

مسلة عين شمس — ولكنه لو قـدّر له أن يحيا ثانيـة لرأى أن يد الدهر لم تبق من كل هذا الأثر الفخم إلا ثلاث قطع من الأحجار وأهمها مسلته التى لاتزال قائمة فى موضعها الأصلى بالمطرية ، وهى أقدم المسلات الخمس التى لا تزال قائمة فى مكانها الأصلى . أما باقى مسلات الفراعنة فقد نقلت الى عواصم المدن الأوربية وأمريكا لإشباع شهوة طائشـة . ففى « روما » وحدها يوجد تسع مسلات يزيد ارتفاع كل منها على ٢٩ قدما . ويبلغ ارتفاع مسلة «سنوسرت» هذه ٦٦ قدما ، وهى كتلة واحدة من الجرانيت الأحمر وقد نقش على كل من جوانبها سـطر من



شـــكل رقم ١٦
مسلة سنوسرت الأول بالمطرية

النقوش الهيروغليفية ، يدل على أن مقيمها هو « سنوسرت الأول » الذى تحبـه أرواح عين شمس المقدسة (أى الملوك الذين توفوا قبـله من أجداده) وفى ذلك من الدعاية لنفسه ما فيـه ، وأنه صنعها تذكارا لعيد « سـد » أى العيد الثلاثينى لتوليـه الحكم . وقد ذكرنـا «عبد اللطيف البغدادى» فى كتابه عن مصر عنـد مازار « عين شمس » عام ١١٩٠ ميلادية أنه شاهد مسلتين عظيمتين واحدة منهما

لا تزال قائمة فى مكانها والثانيــة ملقاة على الأرض مهشمة . وقــد شوهد كذلك الجزء الهرمى لكل منهما، وقد صنعا من النحاس، و بقى ملق على الأرض حتى عام ١٢٠٠ ق م . وفى عام ١٩١٢ عثر الأستاذ «فلندرز بترى» على بقايا مسلة فى هــذه الجهة غير أن نقوشها دلت على أنها للفرعون الفاتح العظيم «تحتمس الثالث» .

أما الحجران الآخران اللذان وجدا من بقايا هــذا المعبد فقــد نقش على واحد منهما نقوش تذكر لنا أسماء « سنوسرت » وألقابه (A. S. IV. p. 101) .

هدايا « سنوسرت » للآلهة المصرية — أما الحجر الثانى فقد نقش عليه قائمة طريفة تعدد لنا الهدايا المقدسة التى قدمها على ما يظهر هذا الفرعون نفسه للآلهة المختلفة (لم يبق ما يدل على اسم هذا الملك إلا كلمة «سنوسرت») (Ibid p. 102)، وفى ذلك دليل على رغبة هذا الفرعون فى إحياء ذكرى الآلهة الذين كانوا قد أهملوا فى عهد الفوضى مما يحبب فيه الأهلين، وكذلك نستخلص من هذه القائمة انتعاش الثروة المعدنية فى البــلاد وعظم المستخرج منهـا ، وكذلك المعابد التى أقامها لهم فى طول البــلاد وعرضها . وهاك النص كما وجد مهشما عقد من حجر مسنت (الإله اسمــه مهشم) وعدد عظيم من الأختام الكبيرة ... ... وعقد من حجر مسنت وللإلهة « عنقت » (إلهة الشلال) خاتم وآنية من الفضة وآنية من الذهب وآنية من الجمشت وآنيتان من النحاس ، ومبخرة من العاج ومبخرة من الفضة ، وللإله «أوزير» أول أهل الغرب وسيد العرابة المدفونة ... ... آنية من الجمشت وآنيتان من النحاس، ومبخرة من العاج . وللإله «أنحور» رب «طينه» آنية من الفضة وآنية من الذهب وآنية من البرنز وآنيتان من الجمشت ومبخرة من العاج ومبخرة من الفضة؛ وللإله «إبو» (صورة من صور الإله مين) وآنية من الفضة آنية من الذهب وآنية من الجمشت وآنيتان من النحاس ومبخرة من العاج ومبخرة من الفضة ... ... ولمعبود اسمه ... ... عقــد منات . وكذلك أقيمت معبدا للإلهــة « ساتت » و « عنقت » و « خنوم » رب الشلال (وهــذا الثالوث خاص ببلاد النوبة السفلية) من الحجر

المنحوت، وكذلك أقمت معبدا للإله «حور» النوبى فى الاقليم الثانى لمصر العليا (أى شمالى أسوان) ... ... وقد قدّمت لمعبد «آتوم» التذكارى رب «عين شمس» كثيرا من آنية الفضة ... ... ومحرابا من الذهب (؟) ... ... وتمثالا ... ... لنفسى «سنوسرت» فى مدينة «سايس»، وتمثالا للإلهة «وازيت» سيدة مدينتى «پ» و «دپ» وآنية عظيمة من النحاس وتمثالا لسنوسرت (أى نفسه) لمدينة «ب» وللإلهة «نفتيس» ... ... وللتاسوع فى بلدة «خرعجا» (مصر العتيقة) قدّمت إناء عظيما من النحاس وتمثالا للإله «حعبى» (النيـل) . وعنـد ما أقلعت مصعدا فى النيل الى «الفنتين» (إسوان) قدّمت موائد قربان لآلهة الجنوب، وقدّمت للإلهة «حتحور» سيدة دندرة ... ... من الذهب وعقدا من حجر «حماجت» (حجر يشبه العقيق) وعقدا ... ... وقدّمت «لحتحور» سيدة «القوصية» ! عقدا من حجر «حماجت» وعقدا من حجر مسنت .

آثاره فى أنحاء البلاد — هذا وقد شيد هذا الفرعون كذلك معبدا فى الفيوم لم يبق منـه أمامنا إلا المسـلة ذات القمة المستديرة الموجودة الآن فى «أبجيج» (L. D. II. 119)، وقد عثر له فى «تانيس» (Petrie, Tanis, 1, II, XIII) على بعض تماثيل منها تمثال نصفى يكاد يكون منقطع القرين فى فن النحت المصرى إذ ليس له عمود يستند عليـه كما هو المألوف فى كل التمـاثيل المصرية، وكذلك عثر له على تمثال فى صورة أبو الهول فى فاقوس (A. Z. Vol. XXIII. p. 11)، وقد كان لسنوسرت نشاط خاص فى إقامة المعابد فى جميع أنحاء القطر . فقد أقام — زيادة على ما ذكرناه معبـدا فى الأطاولة بمديرية سيوط (A. Z. XXIII, p. 11) كما أقام معبدا فى «العرابة المدفونة» (Petrie, Abydos I, Pl. LIV) وآخر فى «دندره» وفى «قفط» (Petrie, Koptos, Pl. X) وفى «الكرنك» (Rec. Trav. XXIII, p. 63)، وقد هدم معبد «الكرنك» «أمنحوتب الثالث» واستعمله حشوا فى إقامة (بوّابته) الثالثة فى الكرنك، وقد عثر على أحجار هـذا المعبد كاملة المهندس «شفريه» عند

ما كان يقوم بإصلاح هذه (البوّابة) . وأعيد بناؤه فى «الكرنك» ثانية فى مكان خال وهو من الحجر الجيرى الأبيض، وقد قدّمه «سنوسرت» للإله «آمون رع» ونقوشه دقيقة الصنع إلى أبعد حدّ . ويعدّ هذا الهيكل من أجمل ما وصل إلينا من الأسرة الثانية عشرة إلى الآن ، من حيث الدقة والصنع وجمال الفن ، وقد نقش على ظاهره أسماء مقاطعات القطر المصرى للوجهين القبلى والبحرى . وهذه أوّل مرة نعثر فيها على أسماء مقاطعات مصر كاملة فى الدولة الوسطى، وقد تكلمت عنها فى كتاب (أقسام مصر الجغرافية) ص ٢٢ الخ فى عهد الفراعنة. وسنتكلم عن هذا المعبد فيما بعد .

مبانيه بالعرابة المدفونة — وقد نفذت أعمال البناء التى شيدها فى «العرابة المدفونة» تحت إدارة وزيره الأوّل « منتوحتب » وقد ترك لنا سجلا بأعماله على لوحة كشف عنها هناك وهى محفوظة الآن فى متحف القاهرة رقم ٢٠٥٣٩ (Breasted, A. R. I. Par. 530) يقول فيها : "لقد أشرفت على إقامة المعبد فبنيت بيت الإله وحفرت بحيرته المقدسة ، وحفرت البئر بأمر جلالة « الصقر » (الملك) ... وقمت بالعمل فى المعبد وبنيته من حجر «عين» ... وأشرفت على العمل فى القارب المقدّس، وكنت أنا الذى وضعت ألوانه... وصنعت موائد قربان، ورصعتها باللازورد، والجمشت، والسوم، والفضة وكثير من النحاس بدون حصر ، وشَبَهٍ يخطئه العدّ . وكذلك صنعت أطواقا من الفيروز الحقيق وحليا من كل أنواع الأحجار الكريمة ... والمنتخبة من كل شىء ليعطاها الإله فى احتفالات الأعياد" (Rec. Trav. X. p. 146)؛ وفى بلدة «طود» بالقرب من «أرمنت» عثر لهذا الملك على مذبح (A. Z. XX, p. 123)، وكذلك عثر على بقايا معبد فى بلدة «نخن» (الكاب الحالية) عاصمة مصر القديمة (Murray, "Handbook", p. 50) ، وعثر على مذبح آخر فى بلدة «نخب» المقابلة «لنخن» (Weigall, Guide to the Antiquities of Upper Egypt, p. 310)

على الشاطىء الآخر للنيل . ووجدله قاعدة تمثال فى «الفنتين» ، (A. S. VIII, p. 47)
كما عثر على بعض أحجار معبد من حجر الجرانيت ، (P. S. B. A. 1909. p. 252)
وعثرله فى "الفيلة" على لوحة ذكرعليها اسم هذاالفرعون وهى الآن بالمتحف البريطانى
(Budge, A Guide to the Egyptian Galleries, Sculpture p. 39).

وقد استخدم الفرعون لإقامة هذه المبانى العدّة « حجر البرشيا » المستخرج من محاجر « وادى الحمامات » فى الصحراء الشرقية ، ولا تزال النقوش الدالة على هـذا ترى هنـاك منحوتة فى الصخر ، ومسجلة عليهـا الحملات التى قامت فى السنة السادسة عشرة من حكم هذا الفرعون .

وكذلك فى السـنة الثامنة والثـلاثين من حكمه (Coueat atd Montet, Hammamat ; 87, 117, 123.).

وكذلك توجد عدّة نقوش على صخور الجرانيت الواقعة على الشلال الأوّل ، ويحتمل أنها خاصة بقطع الأحجار ، ومن بين هذه نقش مؤرّخ بالسنة الأولى وآخر بالسنة الثالثة والثلاثين وثالث بالسنة الحادية والأربعين (L. D. II, p. 1, 118) .

أعماله فى المناجم وآثاره الأخرى — وقد وجد اسم هـذا الملك خلف مدينة «الكاب» عند بداية طريق الصحراء لمناجم الذهب ، (P. S. B. A. 1909, p. 252) ولا شك فى أن هذه المناجم قد جرى العمل فيها فى عهد هذا الفرعون . وكذلك قامت عمليات فى منـاجم الفيروز ومنـاجم النحاس « بسينا » وقد عثر فى « سرابة الخـادم » التى تعـد المركز الرئيسى لهذا الإقليم الصحراوى الذى كان يحتوى على بلدة عظيمة وقلعة ومعبـد ، على آثار كثيرة من حكم هذا الفرعون منها عتبـة باب ، ومذبح ، ولوحة ، وتمثـال جالس ، الخ (Gardiner and Peet, Sinai, p. 64 — 70) ، وفى محاجر المرمر الموجودة « بحتنوب » بالقرب من « تل العمارنة » قد قامت أعمـال قطع الأحجار ، ولا يزال يوجد نقش على الصخر هناك من عهد هذا الفرعون شاهد على ذلك . (Fraser, Hatnub, X. I.) .

محاجر صحراء «النوبة الغربية»

وقد كان على ما يظهر أوّل من استثمر محاجر صحراء النوبة الغربية فى عهد الدولة الوسطى هو الملك «سنوسرت الأوّل». وقد كشف عن موقع هذه المحاجر حديثا، وتقع على مسافة ٦٥ كيلو مترا فى الشمال الغربى من «أبو سمبل» أى على خط عرض ٢٢/٤٩ شمالا وخط طول ٣١/١٦ شرقا. وقد جاء كشفها عن غير قصد، فلقد كان رجال من شرطة الجيش المصرى يمرّون فى هذا المكان، فلفت نظرهم قطعتان من الحجر عليهما نقوش ظهر أنها تحمل ألقاب بعض ملوك الدولة القديمة ومن بينها اسم الفرعون «زدفرع».

ما عثر عليه فى هذه المحاجر — وقد عثر فى هذه المحاجر على حجر الديوريت الجميل الذى كان يستعمله «خفرع» لصنع تماثيله العظيمة، وقد كان مصدر هذا الحجر مجهولا حتى كشف عنه كما ذكرنا، وكذلك عثر على أنواع أخرى من الحجر الصلب فى هذه البقعة، مثل الجرانيت الوردى ذى الحبات الدقيقة، وحجر الكوارتسيت الأبيض القاتم.

وقد عثر فى هذا المكان على لوحة من الحجر الرملى الأسمر نقش عليها طغراء كل من «أمنمحات الأوّل» وابنه «سنوسرت الأوّل».

وفى محاجر الجرانيت الواقعة فى هذه البقعة وجدت لوحة لهذا الفرعون مؤرّخة بالسنة العشرين، الشهر الثانى، فصل الحصاد، والجزء الأسفل منها غامض.

يضاف إلى ذلك لوحة أخرى من الحجر الرملى الأصفر، أقامها لهذا الفرعون موظف يدعى «حننو» بن «منتو حتب» ويلقب عظيم عشرة الجنوب، وقد نقش عليها محبوب «حتحور» سيدة الصحراء، له كل الحماية والحياة الخالدة (A. S. XXXIII, p. 65. ff.).

بعوثه إلى وادى الهودى — وأرسل «سنوسرت» الأوّل عدّة بعوث إلى «وادى الهودى» لاستحضار حجر الجمشت فى السنوات العشرين، والحادية

والعشرين ، والثانية والعشرين ، والرابعة والعشرين ، والثامنة والعشرين ، والتاسعة والعشرين من حكمه . وقد ترك لنا رجال هذه البعوث لوحات هامة عما قاموا به فى هـذه الجهة ، ففى السنة العشرين من حكم هذا الفرعون ترك لنـا ثلاثة ممن قاموا بالبعثة ثلاث لوحات : الأولى منها لأعظم عشرات الجنوب المسمى «منتو حتب» بن «حننو» بن « بيبى » وقد صنعت من الجرانيت الأسود .

نص لوحة « منتو حتب » — (١) السنة العشرون فى حكم جلالة الصقر "الملك ... ملك الوجه القبلى والبحرى « خبر كارع » بن الشمس " «سنوسرت» حور العائش أبديا . خادمه الحقيق وعزيزه الذى يفعل كل ما يمدحه دائمـا وكل يوم، أعظم عشرات الجنوب، الذى شخصه «ماعت» (العدالة) : «منتو حتب» بن « حننو » بن « بيبى » يقول : "أرسلنى سـيدى له الحياة والصحة والسلامة لأحضر الجمشت من أرض «النوبة» ، واستوليت من جديد على الأماكن التى كنت قد عملتها ، وقد أحضرت منه كثيرا جدا من منجم الأحجار التى من الجمشت ، ولقد كانت قوة رب القصر وامتيازه همـا اللذان رعيانى ، ولرهبته انحنى أهل الأراضى الأجنبية ، وسيفه يخضع كل الأراضى ليشتغلوا له ، وأعطى الصحراء التى هم فيها بأمر «منتو» ساكن «أيون» (أرمنت) و « آمون » رب تيجان الأرضين ليبقى خالدا .

وقد عاد « منتو حتب » هذا مرة أخرى فى العـام الرابع والعشرين من حكم هذا الفرعون ، فكتب على نفس اللوحة ما يأتى : السنة الخامسة والعشرون من حكم جلالة « حور » حياة المواليد ، وصاحب الإلهتين ، حياة المواليد ، ملك الوجه القبلى والبحرى «خبر كارع» (روح رع تأتى إلى الحياة) ، ابن الشمس «سنوسرت» الإله الطيب رب الأرضين الحى إلى الأبد : العودة لمتابعة (استخراج) الجمشت إنه خادم سيده ومحبوبه الخ " .

لوحة قائد الجيش « أنتف » — (٢) وفى نفس السنة العشرين ترك لنا قائد الجيش «أنتف» لوحة لم يكمل كتابتها وقد جاء فيها : " السـنة العشرون من

حكم « حور » حيـاة المواليد، الإله الطيب، رب الأرضين، ملك الوجه القبـلى والبحرى، «خبر كا رع» عاش مثل « رع » مخـلدا . حامل الختم وقائد الجيش « أنتف » خادمه الذى يثق فيه، والذى يفعل كل ما يرضيه، وعشت خاليا من الذنب « أنتف » المبرأ ...“ .

لوحة رئيس الخزانة « أنتف إقر » — (٣) وكذلك ترك لنا لوحة من الجرانيت الأسود رئيس الخزانة غير أن نقوشها متآكلة .

وقد جاء عليها : ” السنة العشرون رئيس الخزانة ووكيل حامل الختم « ونى » . عملت « هذه اللوحة » لقائد جيشه الذى يعمل كل ما يرضيه دائمـا، وكل يوم، حاكم المدينة (طيبة) . والوزير، وكاتم أسرار بيوت الفرعون «أنتف إقر» له الحياة والصحة والسلامة، لقد أرسلنى لأحضر الجمشت والذهب، ... وقد أحضرت منها [الكثير جدا] ... “ .

وفى السنة الواحدة والعشرين ترك لنا «منتونسو» لوحة من الجرانيت منقوشة نقشا جميلا جاء فيها : ”السنة الواحدة والعشرون من حكم جلالة « حور » حياة المواليد الإله الطيب « سنوسرت » الحى الخالد .

إنه خادمه وموضع ثقته بحق الذى يفعل كل ما يرضيه دائما وكل يوم . لقـد تبع خطوات سيده فى الطرق المعبدة التى أحسن صنعها الخـادم « منتونسو » بن « حتبى » بن « ادن » “ وفى نهاية اللوحة نجد رسم الملك .

فهل هذا يشعر بأن الفرعون نفسه قد زار هذه المناجم ؟ .

وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف « أسوان » .

(٤) وفى السنة الثانية والعشرين ترك شخصان لوحتين من الجرانيت : أولهما يدعى «سنوسرت» بن «ونى»، وقد جاء عليها ما يأتى : ” السنة الثانية والعشرون، الخروج لإحضار الجمشت «لحور» (أى الملك) حياة المواليد الإله الطيب ابن الشمس ملك الوجهين القبلى والبحرى « خبر كارع » ابن الشمس « سنوسرت » عاش أبد

الآبدين خادمه «سنوسرت» بن « ونى » ، مما يدل على أن خادمه كان معه فى الرحلة .
أما اللوحة الثانية فهى لشخص يدعى « سبك » ابن ... وقد نقش عليها ما يأتى :
"السنة الثانية والعشرون، ملك الوجهين القبلى والبحرى (خبر كارع) بن الشمس سنوسرت معطى الحياة مثل «رع» مخلدا «سبك» ابن... الممدوح... نزل فى سلام" .

(٥) وفى السنة الرابعة والعشرين قامت حملة خامسة يقول فيها قائدها : إنه تابع البحث عن الجمشت . والظاهر أن كاتب اللوحة قد كتبها على عجل إذ نقش اسم « سنوسرت » بدون طغراء .

(٦) ولدينا لوحة من السنة الثامنة والعشرين باسم «وسدى» ويلقب رئيس القوم ، ولم يذكر فيها شىء غير الألقاب الفرعونية والصيغ المعتادة فى إخلاصه للفرعون، وكان معه خادمه المخلص الذى يثق فيه « حرور » قاطع الأحجار .

أما فى السنة التاسعة والعشرين فقد وجد على ما يظهر لوحتان من عهده : الأولى أقامها موظف يدعى «حننو» وهى من الحجر الرملى وقد جاء عليها ما يأتى : "فى السنة التاسعة والعشرين خرج إلى هذه البلاد أعظم عشرة الوجه القبلى «حننو» ليته يعيش ويقوى ويصح . (ومعه) خادمه الأمين الذى يعمل كل ما يمدحه (سيده) فى خلال كل نهار المسمى « سنب حا اشتف» " .

أما اللوحة الثانية فصاحبها كذلك « حننو » بن « منتوحتب » وهو نفس الموظف صاحب اللوحة السابقة وقد جاء عليها ما يأتى : "السنة التاسعة والثلاثون أعظم عشرة الوجه القبلى «حننو» بن «منتوحتب» ليته يعيش ويقوى ويصح (ومعه) خادمه الأمين الذى يعمل كل ما يمدحه (سيده) كل يوم «شمسو سعنخ»" . ومن ذلك نعلم أن اللوحتين قد عملتا للموظف «حننو» ومعه خادماه أى أن الثلاثة كانوا قد ذهبوا سويا إلى هذه المناجم .

لوحة « حور » — وأعظم هذه اللوحات التى تنسب إلى عهد هذا الفرعون واحة أقامها موظف يدعى «حور» أرسله «سنوسرت» لإحضار الجمشت من صحراء

النوبة الجنوبية الشرقية من « وادى الهودى » . وهـذه اللوحة مصنوعة من الحجر الجيرى الأبيض وهاك النص الذى نقش عليها :

" يعيش « حور » حيـاة المواليد، صاحب السيدتين، (الصل والعقاب) ، حيـاة المواليد، ملك الجنوب والشمال « خبركارع » (روح رع تأتى للوجـود) ابن الشمس، « سنوسرت» الإله الحسن، الذى يذبح «الأونتى» (سكان الصحراء الجنوبية الشرقية) و يقطع رقاب الذين فى الأراضى الأسيوية، الملك الذى يطوق «حانبو» (أقوام الشمال) والذى يصل إلى نهاية حدود المقهورين وحدود السود، والذى يهشم رءوس الأسر الثائرة، موسعا تخوم مصر مفسحا بذلك المجال (لبلاده)، وهو الذى وحد بجماله الأرضين ، رب القوة والحروب فى البلاد الأجنبية ؛ وسيفه قد أخضع الثوار ، ومن ثاروا عليه ماتوا بسيف جلالته . وهو الذى وضع أعداءه فى الأغلال، وهو أمير وديع الخلق لمن يخدمه، ومعطيا نَفَس الحياة من يبتهل إليه، والبلاد تقدّم له طعامها ، و « جب » (إله الأرض) أفضى إليه بأسراره ، والبلاد الأجنبية أصبحت تابعة (له) ، والجبال صارت مبتهجة (به)، وكل مكان قـد أفضى إليه بأسراره . مبعوثوه عديدون فى كل الأراضى، ورسله يفعلون ما يريد، وأملاكه هى السهل والحزن ، و يدين له ما يحيط به قرص الشمس، و إليه تجلب العين وما فيهـا (العين هنا عين حور وهى تعنى كل شىء حسن)، وهى سيدة الموجودات مع كل ما خلقته .

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «خبركارع » الذى يحب «حور النوبة » ، والذى يمدح السـيدة التى على رأس « النوبة » معطى الحياة والثبات والصحة مثل «رع» مخلدا . خادمه الأمين حقيقة ، حامل ختم ملك الوجه البحرى، والسـمير الوحيد ومدير مخزنى الغـلال، ومدير حظيرتى الدجاج، ومدير بيتى التبريد . ومدير ذوات القرن، وذوات الحوافر، والطيور والسمك ، ومدير البيت «حور» يقول : " لقد أرسلنى السيد (هذا الإله رئيس الأرضين) بأمر يتعلق بأعماله الطيبة فى هذه

الأرض وقد كان الجيش خلفى (أى يشد أزرى) لأجل أن أقوم بما أراده خاصا بهذا الجمشت الذى فى أرض « النوبة » وقد أحضرته من هناك بكميات عظيمة ، وعند ما جمعته مثل فم المخزنين (أى مثل القطع التى تسد فم المخزنين) جر بزحافات وحمل على نقالات . وكل « انتيو » من أرض النوبة الذين سيدفعون الجزية يعمل خادما حسب رغبة هذا الإله فان جنسه سيبقى أبد الآبدين " .

(A. S. XXXIX. p. 188. ff.)

وفى جنوب الشلال الأول عثر له على لوحتين فى معبد « بوهن » ويعدان من أهم آثاره ، وهذا المعبد قائم أمام بلدة « وادى حلفا » ؛ أقامه هذا الفرعون تخليدا لذكرى انتصاراته على أعدائه ، واعترافا منه بالجميل لآلهة هذه المنطقة .

(Maclver and Wolley, "Buhen" pp. 89, 95).

وتوجد لهذا الملك آثار مؤرخة بسنى حكمه من السنة الأولى حتى السنة الخامسة والأربعين (Petrie, "History" p. 163).

بعض من أعمال دعايته لنفسه — وقد أقام هذا الملك كذلك من باب الدعاية تماثيل للملك «سحورع» أحد ملوك الأسرة الخامسة وتمثالا للأمير « أنتف » والد « واح عنخ أنتف » مؤسس الأسرة الحادية عشرة :

(Legrain, "statues" Nos. 42004, 42005)

وقد ذكرهما بوصفهما من أجداده وذلك ليدلل على أنه يمكن تتبع سلسلة نسبه إلى نحو ٦٠٠ سنة مضت من تاريخ حكمه كما أسلفنا . وفى «طيبة» يوجد مزار جنازى يظهر أنه قد أقيم لوزيره الأول « أنتف اقر » فى عهد هذا الفرعون وكذلك لزوجه «سنت» (Davies and Gardiner, Tomb of Antefoker) غير أن « انتف اقر » قد دفن فى « اللشت » بالقرب من الفرعون سيده . وتدل ظواهر الأمور على أن زوجته « سنت » قد احتلت هذا القبر بطيبة وادّعته لنفسها ومحت من نقوشه اسم زوجها فى كثير من المناظر وكأنها تريد بذلك ألا يشاطرها قربانها الجنازى .

أعمـاله الحربيــة

حملة بقيادة « منتوحتب » لإخضاع النوبيين — ومن اهم الحوادث التي وقعت فى عهـد « سنوسرت الأول » حملته العظيمة التى قام بها حتى الشلال الثالث ، وكان غرضه منها إخضاع قبائل السود فى هذه الأصقاع وتثبيت حدود مصر الجنوبية إلى نقطة تبعـد نحو ٢٥٠ كيلومترا من جنوبى « وادى حلفا » التى تعتبر الآن الحدّ الشمالى لبلاد السودان وبذلك تصبح كل بلاد النوبة السفلية وشمال السودان خالية من كل اعتداء أو غزو من جهـة السود . وهذه الحملة قد قامت فى السنة الثامنة عشرة من حكم هذا الفرعون وكانت بقيادة قائد من الأشراف يدعى « منتوحتب » (P. S. B. A. 1901. p. 231) ؛ وقد ترك لنـا هـذا القائد نقشا فى معبد « وادى حلفا » مثل فى أعلاه « سنوسرت » الأوّل واقفا أمام إله الحرب «منتو» الذى يقول للملك : " أحضرت كل الممـالك التى فى «النوبة» تحت قدميك يأيهـا الإله الطيب " . ويشاهد بعـد ذلك الإله يقود للفرعون عشرة أسرى من النوبيين كل منهم يمثل قبيلة . وتحت هذا دونت النقوش الخاصة بالفرعون ولكن لم يبق منها إلا بعض كلمات لا تؤدى معنى مفهوما ، وبعد ذلك ذكر «منتوحتب» بعض مناقبه الشخصية ، وعزى لنفسه مفاخر هذه الحملة ظنا منه أن سيده الفرعون لن يرى ذلك . وقد كان الفرعون يعتبر القائد الحقيق للحملة وإن لم يقدها بنفسه . والظاهر أن الفرعون قد وصله خبر ما نقشه « منتوحتب » فجعله يدفع الثمن غاليا إذ محا اسمه من اللوحة ومحا كل ما عدّده من المناقب لنفسه وأصبح من المغضوب عليهـم .

وقد وصلت الينا معلومات هامة من مصادر أخرى عن هذه الحملة ، منها النقوش التى وجدت على مقبرة « أمنمحات » أمير مقاطعـة الغزال « بنى حسن » ، وهذا الأمير يعرف باسم « أمينى » أيضـا وهو الذى خلف والده « خنوم حتب » الذى سـبق ذكره فى عهـد « أمنمحات » الأول . وقـد أرّخ « أمينى » نقوشه بالسنة

الثالثة والأربعين من حكم جلالة « سنوسرت الأول » عاش أبد الآبدين ، وهذا التاريخ يقابل السنة الخامسة والعشرين من حكمه فى مقاطعة الغزال بوصفه الأمير الوارثى والحاكم مما يدل على استمرار استقلال الأمراء الوارثيين فى مقاطعاتهم ، وهو يقص علينا خبر هذه الحملة فيقول : "تبعت سيدى عندما أقلع نحو الجنوب ليهزم أعداءه الأربعة أمم الهمج . وقد أقلعت جنوبا بوصفى ابن الأمير « خنوم حتب » لابسا الخاتم الملكى ، وقائدا جنود مقاطعة الغزال ، وكنت فى ذلك أنوب عن والدى . (وقد كان لا يزال على قيد الحياة . ولم يكن فى استطاعته قيادة الجيش لكبر سنه) ، وذلك لحظوته فى القصر ومحبته بين رجال الحاشية . فمررت ببلاد « كوش » وسحت فى النهر جنوبا ، وتقدّمت نحو تخوم البلاد (الجديدة) وأحضرت كل الهدايا ، ووصل مدحى إلى عنان السماء ، وبعد ذلك عاد جلالته فى سلام بعد أن هزم أعداءه فى « كوش » الخاسئة ، وعدت فى ركابه مرفوع الرأس ولم تحدث أية خسارة بين جنودى" : (Breasted, A. R. Vol. I, Par. 518.) .

حملاته للبحث عن الذهب

وقد ذكر لنا بعد ذلك «أمينى» حملتين لم يكن غرضهما حربيا بل كان للبحث عن الذهب الغفل. وقد كانت طبيعة الأرض التى لابدّ من السير فيها تحتم أن يكون مع القائمين بالبعثة جنود ؛ فسار مع الحملة الأولى نحو أربعمائة جندى ، ومع البعثة الثانية نحو من ستمائة جندى . وإذا كانت الحملة الأولى التى شيد بذكرها «أمينى» فى نقوشه هى نفس الحملة التى كان القائد فيها « منتوحتب » فإن « أمينى » لم يكن فيها إلا قائدا لجنود مقاطعته فحسب .

وقد أشير الى حملة بلاد النوبة هذه فى ترجمة حياة أمير من «إلفنتين» يدعى « سرنبوت » فى نقش دوّن على إحدى جدران مقبرته بالقرب من «أسوان» .
(De Morgan, Catalogue des Monuments, p. 183; Weigall, "Guide", p. 431)

وهـذا الشريف الذى كان رئيسا لبلاد النوبة السفلية وحاكم بلاد الجنـوب نشاهده مرسوما مع كلابه ، وقد اشترك فى هذه الحملة ،وكل ما يمكن حله من نقوشه المهشمة خاصا بهذه الحملة هو "لقـد حضر جلالته لهزم « كوش » الخاسئة وقد حضر جلالته وأحضر معه ..." (١) .

حملة « أكوديدى » الى الواحات ـــ وقد خلف لنا فى «العرابة المدفونة» موظف يدعى « إكوديدى » (Ikadidj) نقشا موجودا الآن بالمتحف البريطانى Breasted A. R. Vol. I, par. 524. f. f. ذكر فيـه حملته إلى الواحة الخارجية ، وعند عودته أمر بتجهيز قبر له فى « العرابة » المقدّسة فيقول : "لقد حضرت من « طيبة » بوصفى عامل الملك الخاص لأقوم برغباته . وقد كنت على رأس فرقة من الجنود لزيارة أرض سكان الواحة ،لأنى موظف ممتاز يعرفه سيده بنفاذ بصيرته ويتمـدّح به موظفو القصر، وقد أقمت هـذا القبر عند سلم عرش الإله الأعظم « أوزير » لأجل أن أكون فى ركابه ، فى حين أن الجنود الذين يتبعون جلالتـه يقدّمون لروحى من خبزه ومؤنته كما يفعل رسول الملك عند ما يأتى ليفحص حدود جلالته . وقد أرّخت بالسنة الرابعة والثلاثين من حكم هذا الفرعون .

---

(١) هذا وقـد كشف حديثا كبير مفتشى الوجه القبلى « لبيب حبشى » عن مبنى يكاد يكون كاملا من اللبن مع كثـير من الآثار التى وجدت فى أمكنتها الأصلية ، وقد تبين أن الذى أقام هـذا البناء هو « سرنبوت » من حكام جزيرة الفنتين . فى عهد الملك « سنوسرت الأوّل » (١٩٨٠ ق . م) تمجيدا لأحد حكام الجزيرة نفسها ،وكان يعرف باسم «حقا إب» وهو الذى عاش قبل ذلك بحوالى ستة قرون . وقد شيد فى هذا المبنى مقصورة (ناووسا) لنفسه ، وأخرى «لحقا إب» وضع فيها مذبحا ، كما أقام أربع اوحات ، على اثنين منها رسوم تبين «سرنبوت» وهو يقوم ببعض الطقوس الدينية ، وعلى الباقية كتابات تدل على أنه كان فى نفس المكان مبنى لتمجيد « حقا إب » شيد قبل إقامة المبنى المكشوف . ويبدو أن هذا المكان لم يزدهر إلا بعد أن أقام « سرنبوت » بناءه ، إذ يظهر من الآثار التى عثر عليها أن أكثر الحكام ورؤساء الكهنة الذين عاشوا إبان حكم الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة قد حرصوا على أن يقيموا لأنفسهم هناك مزارات ومقاصير وضعوا فيها تماثيلهم ، كما حرص بعض ملوك هاتين الأسرتين وبعض موظفى «الفنتين» وكهنتها على أن يتركوا بعض الآثار تمجيدا «لحقا إب» وهذا يفسر لنا السبب الذى من أجله عثر فى هذا البناء على عدد كبير من موائد القرابين واللوحات التذكارية والتماثيل [بيان مصلحة الآثار ١٩٤٦] .

حزم « سنوسرت » وسلوك حكام المقاطعات — وتدل النقوش التى عثر عليها من عصر هـذا الفرعون على أنه كان إداريا يقظا حازما، وقد ظهر ذلك بوجه خاص فى رقابته الشديدة على رجال إدارته، حتى أنهم كانوا يهابونه ويؤدّون أعمالهم بكل دقة وأمانة، ولا أدل على ذلك مما ذكره لنا «أمينى» عن سلوكه فى حكم مقاطعة الغزال . هـذا إذا صدّقنا كل ما قاله فى نقوشه، ولكن على الرغم من كل ما ذكره من المبالغات فى كلامه، وتلك سجية فى عظماء هذا العصر، فان مقتضيات الأحوال تدل على أنه كان حتما حاكما عادلا يخشى سلطة أكبر من سلطته فيقص علينا: "كنت سمحا يحبنى الناس كثيرا، كما كنت حاكما تحبه أهل بلدته، وقد قضيت سنين فى حكم مقاطعة الغزال، وكانت كل الجزية المستحقة تمر بيدى، وقد أعطانى رؤساء عمال التـاج من الرعاة فى مقاطعة الغزال ثلاثة آلاف ثور بمحاريثها، ولذلك مدحت فى القصر كل عام لعدد المـاشية (التى أقدّمها)، وحملت كل ضرائبها الى بيت الملك، ولم أكن متأخرا فى أية مصلحة". ولا نزاع فى أن «أمينى» كان يعدّ إدارته مرضية بالنسبة لولائه للفرعون . ويمكن تصديقه لأن مثل هذه الحوادث والاعترافات كانت تجرى على مرأى من كل الشعب، وتقيد فى السجلات العامة . وكذلك كان « أمينى » مرتاحا لمـا كان يقوم به فى حكومة مقاطعتـه من المساواة والعدالة الاجتماعية التى كان ينشدها كل الناس وعلى رأسهم الفرعون . اسمع اليه يقول :

وصف « أمينى » لعدالته — " إنى لم أسىء معاملة بنت أى رجل، ولم أظلم أية أرملة، ولا يوجد فلاح احتقرته، ولا راع أقصيته، ولا رئيس عمال قد سخرت عماله، ولا يوجد بائس فى بلادى، ولا جائع فى عهدى . وعند حلول سنى القحط كنت أحرث كل حقول مقاطعة الغزال الى حدودها الجنوبية والشمالية، وبذلك حافظت على حياة أهلها مقـدّما لهم الطعام، حتى أنه لم يبـق فيها جائع . وأغدقت على الأرملة والمتزوّجة الخيرات على السواء، ولم أميز العظيم على الصغير فى كل ما أعطيت . وبعـد ذلك كان يأتى نيل يحمـل الحبوب وكل الأشياء، ومع ذلك

فانى لم أحصل المتأخر على الحقول". حقا إن هذه العبارات تكاد تكون المثل الأعلى فى المعاملة الحسنة وحسن الأحدوثة ولا يمكن أن يصدقها إنسان، ولكن يظهر أن روح العصر كانت توحى بذلك لما أدخل من الاصلاحات، وذلك يدل على أن مقاطعة الغزال كانت أسعد البلاد، وبخاصة فى وقت كانت البلاد فيه حديثة عهد بالخروج من ظلمات الفوضى والفقر التى شملت البلاد فترة طويلة، على أن هذه التصريحات التى فاه بها «أمينى» تكشف لنا من جهة أخرى عما كان يجرى فى البلاد من مظالم واضطهادات فى الاقطاعات فى العهد الذى سبق تولى ملوك الأسرة الثانية عشرة الحكم، وأن «أمينى» أراد أن يبرئ نفسه أمام «سنوسرت» من أمثال هذه الاتهامات التى كانت فاشية فى طول البلاد وعرضها، وأنه اتبع نظامه الجديد الذى يوحى بالعدالة الاجتماعية كما سنذكره فيما بعد.

زفاى حعبى حاكم بلاد النوبة من قبل سنوسرت الأوّل ومقبرتاه —

ولقد كان من نتائج حملة «سنوسرت» العظيمة الى بلاد السودان أن أصبحت هذه الجهات خاضعة للاحتلال المصرى الدائم نوعا ما حتى جنوبى الشلال الثالث، كما عين الفرعون حاكما مصريا لهذا الاقليم المحتل، وكانت له مكانة وشهرة عظيمة عند المشتغلين بالتاريخ المصرى القديم قبل أن يكشف الأستاذ «ريزنر» مقبرته العظيمة فى بلدة «كرمة» فى بلاد النوبة (١٩١٤ — ١٩١٥ ق م)، فكان يلقب بالأمير الوراثى والحاكم والكاهن الأعظم «زفاى حعبى»، وهو الذى نحت لنفسه أكبر مقبرة معروفة فى تاريخ الدولة الوسطى فى جبل «سيوط»، وجدران مقبرة «زفاى حعبى» الشرقية قد نقش عليها نصوص تعدّ من أهم ما عثر عليه فى هذا العصر، وهى عبارة عن عشرة شروط خاصة بوقفه على معبده، وكل منها على حدة. وقد تعاقد بها «زفاى حعبى» صاحب المقبرة مع كهنة البلدة المختلفين لأجل أن يقوموا له باحتفالات دينية خاصة فى مقبرته على كر الأيام، وهذه النصوص العشرة تعدّ فريدة فى بابها،

(1) J. E. A., Vol. V. pp. 77 ff.

إذ نستخلص منها معلومات جمة خاصة بالأعياد المصرية التي كانت تقام في بلدة مصرية في عهد الأسرة الثانية عشرة، وكذلك الاحتفالات الجنازية التي كانت تقام للأفراد وكان لها ارتباط بالأعياد العامة؛ ويعتقد بعض علماء الآثار المصرية أن هذه الوثائق المنقوشة على جدران مقبرة « زفاى حعبى » ملخص للشروط الأصلية التي عقدت مع الكهنة . وكانت بطبيعة الحال مكتوبة على ورق بردى ومختومة . ورغم أنها مختصرة فإن الإنسان ليدهش من مقدار ما وصل اليه المجتمع المصرى من نضوج في تدوين الوثائق الرسمية سواء أكانت قضائية أم دينية . وقد اتضح بعد درس هذه الشروط أنه لم يكن يمرّ يوم طوال العام دون أن يقدّم للأمير «زفاى حعبى» الطعام والشراب اللازمان لبقاء قرينه « كا » . ومن الغريب أننا عرفنا حديثا أن « زفاى حعبى » لم يدفن في قبره الفاخر الذى أقامه لنفسه في جبل «سيوط»[1] بل دفن في « كرمة »[1] بالسودان، دفنه النوبيون الذين كان يحكمهم في وسط فرقة كاملة من جنوده، وقد ذبحوا ليرافقوا سيدهم المتوفى في عالم الآخرة .

على أن الانسان في هذه الحالة يتساءل إذا كان من المستحيل أن يضمن المتوفى لنفسه — وقد دفن في وطنه الأصلى — استمرار الاحتفالات الجنازية، فأى أمل للأمير « زفاى حعبى » وقد مات في السودان في تنفيذ رغباته بمصر ؟

وقد قال الأستاذ « ريزنر » : إن رغبة «زفاى حعبى» في تحقيق هذه الأمنية الصعبة المنال هو الذى دعاه لكتابة هذا المختصر الفريد في بابه . وذلك أن « زفاى حعبى »وهو ذاهب الى السودان حذر كاهن الروح أو القرينة « كا » بكل مهارة ألا يهمل الاحتفالات التي تعاقد على تنفيذها . ولما كان دخل هذا الكاهن مرتبطا بالمحافظة على إقامة هذه الشعائر وتنفيذها بكل دقة ، عمل جهده ألا تُنسى أو تهمل، من أجل ذلك دوّنها على جدران المقبرة، ويظهر أن التعليمات التي أعطاها «زفاى حعبى» كاهن روحه كما يظن الدكتور « ريزنر » هي التي جاءت في خطاب

(1) J. E. A., Vol. V. p. 79 ff.

كتبه هـذا الحاكم العظيم من السودان قبل مماته بقليل إلى كاهن الروح، وهـذا الخطاب كان يحتوى على بعض التعليمات التى نجـدها فى السطور ٢٦٩ — ٢٦٢ من عقوده وهى :

تعليمات زفاى حعبى لكاهن الروح — الأمير الوراثى، حاكم المقاطعة، و رئيس الكهنة الأعظم « زفاى حعبى » يقـول : "انظر! إن كل هذه الأشـياء التى تعاقدت بشأنها مع كهنة الطهور « وعب » تحت رعايتك ، وذلك لأن كاهن الروح (القرينة) للإنسان هو الذى يجعل أملاكه تنمو . انظر ! لقد جعلتك تعرف هذه الأشياء التى أعطيتها الكهنة المقربين ، وذلك مقابل تلك الأشياء التى أعطوها إياى . واحذر أن ينتقص منها شيء . وعليك أن تتكلم عن الأشياء الخاصة بى التى سلمتها لهم، ويجب عليك أن تجعل ابنك ووارثك يسمعهم ، فإنه هو الذى سيعمل كاهنا لروحى . انظر ! لقد منحتك أراضى وعبيدا وماشـية وحدائق وكل شىء كأى إنسان عظيم المكانة فى «سيوط» ، حتى تقوم على عملى بقلب سليم، وحتى تشرف على كل أمورى التى وضعتها بين يديك . انظر ! إنها كلها أمامك مكتوبة وستئول كل هذه الأشياء لابنك الذى تريد أن يكون كاهنا لروحى من بين أولادك ، وسيكون هو الذى يتصرف فى الدخل دون أن يعبث به ، وذلك تنفيذا لهذه التعليمات التى أعطيتك إياها " .

حقا إن « زفاى حعبى » نفسه كان كاهنا وكان عنده بلا شـك من الأسباب ما يجعـله يسىء الظن بهؤلاء الكهنة المطهـرين، وقـد نصح لكاهن الروح أن يحذرهم ، وقـد كان يعتقد أنّ مصلحته فى أن يجعل مصلحة كاهن الروح متوقفـة على نفاذ ما جاء فى الشروط التى فرضهـا ، ولا نزاع فى أن كاهن الروح كان يقـوم بواجبه لأن ذلك من مصلحته بصرف النظر عن مصلحة « زفاى حعبى » ، وقد كان « زفاى حعبى » يعتقد أن روحه « كا » كانت تسافر من « كرمة » مقر جسـده لتبعث الحياة فى تماثيله فى مقبرته أو فى مزاره، ولتأخذ بنصيبها كذلك من القرابين

اللذيذة التى كانت توضع أمامها . ولا بدّ أن النشاط الذى كان يبديه الكهنة فى تأدية الشعائر أخذ يتناقص على مر الأيام كلما تناسى القوم ذكرى هذا الرجل العظيم ، وتغيرت هذه الأحوال الاجتماعية إلى أن أصبحت هـذه الأوقاف التى كان يحافظ عليها بكل عناية أثرا بعد عين ، إذ لا يبعد أن التهمتها الكهنة الجشعون ، أو وضع الفراعنة أيديهم عليها ، ولم يبق لنا شاهـد على وجودها إلا نقوشها المحفـورة على جدران المقبرة المنحوتة فى الصـخر ، وسنتكلم عنها عندما نتكلم على الحياة الدينية فى هذا العصر .

مقبرة «زفاى حعبى» فى كرمة ومحتوياتها — أما قـبره الثانى الذى عثر عليه فى كرمة فقد وجد فيـه أثاث جنازى يكشف لنـا عن صفحة جديدة فى أثر الفنّ النوبى وتأثير كل منهما فى صاحبه وتأثره به مما جعله يتفق وذوق أهالى بلاد النوبة . والواقع أننا فى هذا العصر نشاهد تمصير النوبيين . ومما هو جدير بالملاحظة فى هـذه المناسبة أن الثقافة المصرية والحكومة كانت فى الدولة الوسـطى مصرية بحتة ، وأن تقدمها كان داخليا بحتا لا يعزى إلى بلد أجنبى ، وهذا نفس ما كانت عليه البلاد فى عهد الدولة الحديثة إلى حدّ ما ، إذ كانت تجد كفايتها فى تربة بلادها وأنها لم تخرج عن نطاق حدودها الأصلية إلا عندما كانت إحدى الممـالك المجاورة تهدّدها طلبا للغنائم ، ولم تشذ عن هذه القاعدة على ما يظهر إلا عنـد قيام ملوكها بالتوسع فى حدودها من جهة الجنوب حيث قد امتدت الحدود المصرية فى عهد الدولة القديمة حتى ما بعد الشلال الثانى .

زحف النوبيين على مصر فى العهد الإقطاعى الأوّل — ولقـد بقى السبب الذى دعا إلى هذا الفتح غامضا حتى أماطت عنه اللثام الكشوف الأثرية التى قامت حديثا فى بلاد النوبة ، إذ تدل الحقائق التى كشف عنها معول الحفار أنه قد حدث زحف قام به أقوام من السودان فى العصر الذى يقع بين الدولة القديمة والدولة الوسطى . والظاهر أن هؤلاء الأقوام قـد زحفوا من الجنوب وانتشروا

على طول النيــل شمالا . وقد تخطت القبائل المغيرة فى زحفها الشــلال الثانى، ثم اكتسحت فى طريقها السكان القــدامى أى سكان بلاد النوبة السفلية وهزموهم تماما ، ثم تابعوا سيرهم حتى الشلال الأول، وتوغلوا فى الأراضى المصرية نفسها ، وقد كشف عن آثار كثيرة تدل على اســتعمارهم لبعض الأراضى المصرية حتى « الكاب » الحاليــة . وكذلك تدل البحوث الأثرية وما قام به علمــاء الأجناس البشرية فى هذه الجهات على أن قبائل من جنس واحد قد أوغلوا فى البــلاد حتى الشلال الثانى على أقل تقدير، إذ قد وجدت آثار مساكنهم باقية هناك . وهؤلاء القبائل ليسوا من الزنوج وكذلك ليسوا مثل سكان بلاد النوبة الأقدمين بل ينتسبون إلى الجنس الحــامى ، ويحتمل أن الدم الزنجى يجرى فى عروقهــم ، وقد كانوا يسكنون أكواخا مستديرة الشكل محملة عروشها على جذوع أشجار . أما قبــورهم فكان يقام على ظاهرها كومة مستديرة الشــكل أيضا ، وتدل الكشوف على أن ثقافتهم كانت ساذجة تماما . ولقد كان من البدهى أن توجد روابط بين هذه الثقافة والثقافة المصرية فى عهد ما قبــل التاريخ ، وهذه الثقافة كانت لهــا علاقة بالثقافة المصرية التى توغلت فى أعماق السودان فى الأزمان السحيقة فى القدم ، ثم بقيت هناك فى صورتها الأصلية، على حين أنها أخذت فى النمو والارتقاء باستمرار فى الجزء الأسفل من وادى النيــل . وتدل الكشوف على أن المستعمرات التى قطنها هؤلاء الوافدون كانت عديدة بدرجة تفوق حدّ المألوف ، وأن البلاد كانت مكتظة بالسكان بالنسبة للأزمان السالفة؛ ومع ذلك فإن الهجرة الجديدة لم تكن مصــدر خطر ما ، وأنّ إخضاعهــم لم يتطلب مصاعب كبيرة ، لأنهم كانوا يقطنون فى الأراضى الضيقة الزراعية الممتدة على شاطىء النيــل فى بلاد النوبة السفلية ، غير أنه كان يقطن فى الجنوب قبائل متصلة بهم ، وهؤلاء قد أسسوا فى « دنقــلة » مملكة قوية البنيان واتخذوا « كرمة » حاضرة لملكهم . وتقع على مسافة قصــيرة من جنوبى الشلال الثالث ، وهذه المملكة هى التى تعــرف بمملكة « كوش » .

وقد ظهر هؤلاء الكوشيون لأول مرة فى تاريخ العالم، وهم متصلون اتصالا وثيقا بسكان بلاد النوبة السفلية، غير أنهم ليسوا من فصيلة واحدة، وتنطوى ثقافتهم على اختلافات كثيرة ظاهرة عن سكان بلاد النوبة . ومن الغريب أننا لم نعثر حتى الآن على مستعمرات أو مساكن لقوم « الكوش » غير أن مقابرهم الضخمة التى عثر عليها فى « كرمه » عام ١٩١٣ — ١٩١٥م، قد بسطت أمامنا صورة واضحة عن هذه المملكة التى تعدّ أقدم مدنية عثر عليها فى مجاهل أفريقية، فكل ملك لهم قد دفن تحت تل ضخم (هرم) يبلغ ارتفاعه نحو ٩٠ مترا، وقد دفن معه عدد عظيم من خدمه الأناث والذكور ليقوموا بخدمته فى عالم الآخرة، كما كانوا يخدمونه فى عالم الحياة الدنيا، وكذلك وجد فى مقبرته مدافن لأعضاء أسرته وأتباعه .

وتدل قطع الفخار التى عثر عليها فى « كرمة » أنها قد بلغت من الدقة حدّا مدهشا، وهى تمثل استمرار تحسن الأوانى التى يرجع عهدها إلى عصر ما قبل التاريخ، ويشترك فى ذلك مجاميع الفخار التى عثر عليها فى بلاد النوبة السفلية . وهذا التحسن فى فن صناعة الفخار وشكله نلحظه بصورة منقطعة النظير من جهة الإتقان، وبجانب ذلك نجد أشكالا محلية كثيرة، كما نجد تقليدا للأشكال المصرية المعاصرة، فنشاهد فى قطع العاج المطعمة طرازا دقيقا . وكذلك وجدت بقايا ألوان متساقطة من مبانى الأضرحة الملكية التى أقيمت من اللبن، وهذه الألوان تعزى حتما إلى صناعة وطنية أصلية، والصور البارزة ترجع إلى أصل مصرى، وكذلك الخزف المطلى الذى وجد بجوار مصانعه كان لا بدّ من عمل مصانع أسسها المصريون هناك

(Junker, Die Volker des Antiken Orients. Die Agypter, p. 22 ff.); Archaeological Survey of Nubia, Reports. (Firth) 1907[8; Reisner, 1908[9, 1909[10; see also Kees, Kulturgeschichte des Alten Orients; p. 341 ff.

وقد كان الخطر الذى يهدّد الحدود المصرية الجنوبية منبعه مملكة « دنقلة » هذه، وقد كان سكان بلاد النوبة يشدّون أزرهم، ولذلك جعل ملوك الأسرة

الثانية عشرة هـذه الجهة ميدان قتالهم، والمكان الذى يدافعون منه عن بلادهم، من أجل هـذا جعل «سنوسرت الأوّل» وجهته فى بادئ الأمر كما أسلفنا الإقليم الشرقى من بلاد النـوبة حيث تمكن من منع أى تقدّم نحو مصر من قبـل العدو فأخضع له الأقاليم المجاورة، ومدّ الحـدود المصرية حتى الشلال الثانى، ولكن الضربة القاضية كانت على يد «سنوسرت الثالث» كما سيجئ بعد.

وصف سنوهيت لحياته مع بدو آسيا — لقدرأينا كيف أن «سنوهيت» قد ولى الأدبار إلى بلاد فلسطين عنـد ما انفرد «سنوسرت» بالحكم، وكيف أنه وصف لشيخ القبيلة «عمو ننشى» الفرعون الجديد بكل نعوت الشجاعة والمهارة والحزم بمـا يتفق مع موقفه الجديد بعد موت «أمنمحات الأوّل»، وذلك مما يدل على أنه كان يسـير مع الريح ويريد تحسين مركزه بعـد هربه الذى لم يذكر له هو مبررا ما. ولمـا كانت بقية القصة تفصح لنا عن الخلق المصرى فى هـذا العصر، وتبديه فى مظهر يجمع بين السذاجة والمكر ونفاذ البصيرة والشعور بالعظمة والبراعة فى النكتة، كما تكشف لنا عن بعض نواحى حياة البادية وقبائلها، فإنا آثرنا أن نوردها هنا حتى يعرف الباحث فى تاريخ القوم الاجتماعى والدينى ما انطوت عليه القصة، أو بعبارة أخرى ترجمة «سنوهيت» من عجائب وحقائق مدهشة. وعندما انتهى «سنوهيت» من وصف الفرعون اندفع الشـيخ قائلا: "حقا إن مصر سعيدة؛ لأنها تعرف أنه (أى الملك الجديد) يفلح «فى حكمه» ولكن تأمل إنك ستكون هنا وستسكن معى وسأعاملك بشفقة". بعد ذلك يصف لنا «سنوهيت» حياته فى وسط هـذه القبيلة، وما وصل إليـه من مركز ممتاز، والمبارزة التى قامت بينه وبين أحد شجعان فلسطين الممتـازين فيقول: "وقد جعلنى على رأس أولاده، وزوّجنى من كبرى بناته، وقد جعلنى أختار لنفسى من بلاده أحسن ما فى حيازته على حدوده إلى بلاد أخرى، وقد كانت أرضا جميـلة، تسمى «ياء» وكان فيها التين والكرم، ونبيـذها أكثر من مائها. شهدها غزير، وزيتونها كثير، وكل

الفاكهة محملة على أشجارها . وكان فيها الشعير والقمح ، وماشـية يخطئها العدّ من كل نوع ، وكذلك كان نصيبى عظيما بسبب ما نلت من الحب (حب النـاس)، وقد نصبنى حاكم قبيلة من أحسن قبائل بلاده ، وقـد كان يضع لى الخبز لأكلى اليومى ، والخمر لشرابى اليومى ، وكذلك اللحم المطبوخ والدجاج المشوى ، هذا فضلا عن صيد الصحراء ، لأن ذلك كان القوم يصطادونه ، ويضعونه أمامى خلافا لصيد كلابى . وكان يضع لى كثيرا من الحلوى ، ويحضر اللبن بكل الأشكال .

وقد قضيت سنين عدّة . وقد نما أولادى ، وأصبحوا رجالا أشدّاء كل يحكم قبيلته . والرسول الذى كان يأتى من قبـل مقرّ الملك شمالا أو جنوبا ، كان ينزل عندى . وقد أعطيت الظمآن ماء ، وهديت الضال إلى الطريق ، وخلصت من كان قد نهب ، ولمـا أخذ البدو يخرجون عن الطاعة ويقاومون رؤساء الصحارى كبحت جماحهم ؛ وذلك لأن أمير «فلسطين» قد جعلنى عدّة أعوام رئيس جيشه ، وكل بلاد سرت إليهـا قد طردتها من مراعيها وآبارها ، ونهبت ماشيتها ، وأسرت أهلهـا ، وحملت طعامهم ، وذبحت القوم فيها بساعدى القوى وبقوسى وهجماتى ، وتدابيرى الحسنة . وقـد حزت بذلك الحظوة لديه ، وأحبنى ، وقد جعلنى على رأس أولاده عند ما شاهد كيف تتفوّق يداى" .

المبارزة بين « سنوهيت » والفلسطينى

"وقد جاء رجل قوى من فلسطين ليبارزنى فى معسكرى . وقد كان بطلا منقطع النظير ، أخضع كل فلسطين ، وقد أقسم أن يحاربنى ، وقد دبر سرقتى ، وتآمر على أن يأخذ ماشيتى غنيمة بمشورة قبيلته ، وقد تكلم معى هـذا الأمير فقلت له : أنا لا أعرفه ، وفى الحقيقة لست محالفا له ؛ ولا من الأفراد الذين حاموا حول معسكره . ومع ذلك هل فتحت بابه قط أو اخترقت سياجه ؟ كلا . إن ذلك حقد ، لأنه يرى أنى أنفذ أوامرك ، والحق أنى كثور المـاشية فى وسط قطيع غريب ، وثور الأبقار يهاجمه ، والثور صاحب القـرن الطويل ينطحه ؛ وهـل يوجد رجل خامل الذكر

يكون محبوبا وفى منزله سيدا؟ وليس هناك بدوى يحالف رجلا من الدلتا، إذ ما الشئ الذى يمكن أن يربط البردية بالصخرة؟ هل يحب الثور النزال، ويريد من ثور أقوى منه أن يعلن تقهقره خوفا من أنه ربما كان مضارعا له فى القوة؟ فاذا كان قلبه مصمما على الحرب فدعه ينطق بإرادته . وهل الإله يعلم بما قدّر له، أو هل يعرف هو كيف يكون المصير؟ " .

"وفى وقت الليل شددت قوسى، وفوقت سهامى، وأرهفت خنجرى، وصقلت أسلحتى، وعند الفجر كانت «فلسطين» قد جاءت، إذ أنها أثارت قبائلها وحشدت ممالكها وهيأت هذا النزال، وقد برز إلى المكان الذى كنت أقف فيه، وقد وقف بالقرب منه، وكان كل قلب يحترق من أجلى، ولغط النساء والرجال، وكان كل قلب مكلوما بسببى وقالوا : "هل هناك رجل آخر شديد يستطيع منازلته" .

"ثم سقط درعه وفأسه وحزمة حرابه عند ما تفاديت سلاحه، وجعلت سهمه يمرّ بى طائشا . ولما اقترب كل منا من الآخر هاجمنى، وأرسلت سهمى عليه فلصق بعنقه فصاح وسقط على أنفه، وألقيته أرضا بفأسه، وصحت صيحة النصر على رقبته، وصاح كل أسيوى، وقدّمت الثناء «لمنتو» قربانا . وحزن له أتباعه . أما هذا الأمير «عمو ننشى» فضمنى إلى صدره" .

"وبعد ذلك أخذت متاعه، وأتلفت ماشيته، وما قد دبره من النكاية بى جعلته يحيق به، واستوليت على كل ما فى خيمته، ونهبت معسكره، وقد أصبحت عظيما بهذا واسعا فى ثروتى، غزيرا فى قطعانى" .

وقد فعل الإله (ذلك) رحمة بفرد غضب عليه، وجعله يفر إلى أرض أخرى واليوم أصبح قلبه فرحا ثانية .

سنوهيت يتحدّث عن مجده :

"كنت فارّا هرب فى وقته
والآن يكتب التقرير عنى فى مقر المليك

وكنت ثقيلا يتضاءل بسبب الجوع
والآن أقدم الخبز إلى جارى
وكنت رجلا ترك بلاده بسبب العرى
والآن أرتدى الملابس البيضاء والكتان
وكنت رجلا أسرع الخطى لعدم من أرسل
والآن أملك العبيد بكثرة
بيتى جميل ومحل إقامتى رحب
وإنى أذكر فى القصر الملكى "

حنين سنوهيت إلى وطنه — "وأنت يأيها الإله ، الذى أمرت بهذا الهرب ، كن رحيما وأعدنى ثانية إلى مقر الملك . وربما تسمح لى أن أرى المكان الذى يسكن فيه قلبى ، والأمر الذى هو أهم من ذلك أن تدفن جثتى فى الأرض التى ولدت فيها ، تعال لمساعدتى . ولقد وقع حادث سعيد . لقد جعلت الإله يرحمنى . وليته يرحمنى ثانية حتى تحسن خاتمة من قد عذبه ، وقلبه رحيم يحنّ لمن حتم عليه أن يعيش فى الخارج . وإذا كان رحيما بى اليوم فليته يصغى إلى دعوات فردٍ ناء ، وليته يعيد من قد نكبه إلى المكان الذى أخذ منه .

آه ليت جسمى يعود إلى الشباب ، ثانية لأن كبر السنّ قد نزل بى ، واستولى علىّ الضعف وعيناى ثقيلتان ، وذراعاى ضعيفتان ، وساقاى قد وقفتا عن السير ، وقلبى متعب ، والموت يقترب منى ، سأحمل إلى مدن الأبدية ، فدعنى أخدم سيدتى الملكة ، وليتها تحدّث إلىّ عن جمال أطفالها ، وليتها تخلع علىّ قبر اللاأبدية .

واتفق أن جلالة الملك «خبر كارع» قد حُدّث عن الحالة التى كنتُ عليها ، من أجل ذلك أرسل إلىّ جلالته هدايا من الفيض الملكى لينشرح صدر الخادم هناك كأنه أمير بلد أجنبى ، وكذلك أولاد الملك فى القصر جعلونى أسمع أوامرهم[١] " .

(١) أى كتبوا إلى أيضا .

صورة من القرار الملكي الذي أحضر إلى الخادم المتواضع خاصا بعودته إلى مصر

« حور » ، حياة المواليد ، الممثل للإلهتين ، حياة المواليد ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري ، «خبركارع» ، بن «رع» ، «سنوسرت» الحي إلى أبد الآبدين[١].

قرار ملكي إلى التابع « سنوهيت »

"انظر ! إن قرار الملك هذا قد أحضر إليك ليعلمك بما هو آت : لقد اخترقت الأراضي الأجنبية ، وخرجت من « كدمى » إلى «فلسطين» ، وقد أسلمتك أرض إلى أرض ، وذلك بمشورة قلبك . فما الذي فعلته حتى يبرم شيء ضدك؟ إنك لم تلعن حتى تعنف على كلامك ، ولم تتكلم في محفل الحاكم حتى يلعن حديثك . وهذا العزم (على الفرار) قد ملك عليك قلبك أنت ، ولم يكن في قلبي شيء ضدك (عن هذا الهرب) ، ولكن سماءك[٢] هذه التي في القصر لا تزال تسكن وتفلح اليوم ، ولها نصيبها في ملك الأرض ، وأولادها في البلاط . وليتك تعيش طويلا على الأشياء الطيبة التي سيعطونك إياها ، وليتك تحيا على فيضهم" .

وصف الاحتفال بالدفن — "تعال ثانية إلى مصر لترى مقر الملك الذي تموت فيه ، وتقبل الأرض عند البابين العظيمين ، وتنال نصيبك من رجال القصر . وذلك لأنك قد أخذت فعلا تتقدم اليوم في السن ، وقد ضيعت شبابك . فكر في يوم الدفن والمرور إلى دار النعيم ! وكيف سيخصص الليل لك بالعطور والأكفان من يد « تايت »[٣] . وسيقام لك محفل جنازي يوم الدفن وسيكون غطاء المومية من الذهب ، والرأس من اللازورد ، وسيقام فوقك سماء ، وستوضع زحافة ، وتجرك الثيران ، ويمشي أمامك المغنون ، ويقام أمامك رقص « موو » عند باب قبرك .

---

(١) الألقاب الرسمية وقد وضع أول القرار في صورة رسمية .

(٢) سماء — الملكة وتشبه بالإلهة « نوت » التي تمثل السماء .   (٣) إلهة للغزل والنسيج .

وقائمة مائدة القربان ستتلى من أجلك، وتذبح الضحايا بالقرب من لوحتك، وعمدك تصنع من الحجر الأبيض فى وسط مقابر أولادالملك، وعلى ذلك لن تموت فى الخارج، ولن يدفنك الأسيويون ، ولن توضع فى جلد غنم عند ما يصنع لك قبرك . حقا كل هذه الأشياء ستسقط فى الأرض، ولهذا يجب عليك أن تفكر فى جثتك وتعود".

وقد وصلنى هذا القرار الملكى عند ما كنت واقفا فى وسط قبيلتى . وقد قُرئ علىّ فانبطحت على بطنى ، ولمست التراب ، ونثرته على شعرى . ومشيت حول معسكرى فرحا قائلا : "كيف تفعل أشياء مثل هذه لخادم، قد أضله قلبه وقاده الى أراض متوحشة ؟ نعم إن ذلك الواحد المحسن الذى يخلصنى من الموت طيب حقيقة . و إن حضرتك ستسمح لى بأن أختم نهاية حياتى فى مقر الملك" .

صورة من الاعتراف بهذا القرار الملكى

يقول خادم نساء القصر «سنوهيت» — "فى سلام غاية فى الرقة — إنه من المحقق أن هذا الهرب الذى ارتكبه الخادم هناك « أنا » كان بدون تعقل، بحياتك أنت يأيها الإله الطيب يا رب الأرضين ، المحبوب من «رع» ، المثنى عليه من « منتو» رب « طيبة » . ليت «آمون » رب الكرنك ، و « سبك » و « رع » و « حور » و «حتحور » و « أتوم » و « تاسوع الآلهة » و « سبدو و نفر بايو وسمسرو » وحور الشرق، وسيدة « بوتو » الموضوعة فوق رأسك[1] ، و إلهة الماء، و«مين — حور » ، الذى يوجد فى البلاد الأجنبية، و « وررت » سيدة « بنت » (بلاد الصومال) و «حور — رع »، وكل آلهة مصر وجزر البحر — ليتهم كلهم يمنحون أنفك الحياة والقوة ، وليتهم يمنحونك هداياهم ، وليتهم يعطونك الأبدية المطلقة . والخلود الأبدى .

والناس يتحدّثون عن الخوف منك فى السهل والحزن، وقد أخضعت كل ما تحيط به الشمس . وهذه الصلاة من الخادم هناك (يعنى نفسه) إلى سيده لينجيه من

(١) الصل الملكى .

الغرب ، رب الفطنة الذى يفهم صغار الناس ، قد أدركها فى قصره المنيف ، والخادم هناك خاف أن يقولها ، لأن ذلك أمر خطير أن يعيدها ، وأنت أيها الإله العظيم الذى يماثل « رع » فى إعطاء الفطنة لفرد يجاهد لنفسه ، وخادمك هذا فى يد ناصح طيب فى مصلحته ؛ وفى الحق أنى قد أصبحت تحت إرشاده لأن جلالتك « حور » المظفر ، وساعداك قويان على كل البلاد . والآن فلتأمر جلالتك أن يحضر « مكى » من « كدمى » « وخنتواش » من بلاد خنتكش . و « منوس » من أراضى « الفنخو » وهم أمراء مشهورون قد نموا على حبك غير أنهم منسيون ، و « فلسطين » ملكك كأنها كلابك .

أما من ناحية هذا الهرب الذى فعلته فلم أدبره ولم يكن فى قلبى ، ولم أفهمه ولم أعرف الشىء الذى أقصانى عن مكانى ، وقد كان ذلك كحلم كما لو كان رجل من الدلتا يرى نفسه على غفلة فى « الفنتين » أو رجل من المستنقعات فى النوبة . ولم يكن هناك أى شىء أخافه ، ولم يطاردنى إنسان ، ولم أسمع أى كلام معيب ، واسمى لم يسمع فى فم المنادى ، وكل ما حدث أن جسمى أخذته الرعدة ، وبدأت قدماى تخوران ، وقادنى قلبى ، والإله الذى أمرنى بهذا الهرب جرّنى بعيدا . ومع ذلك لم أكن دعيا من قبل . على أن الرجل الذى يعرف بلاده يخاف ، لأن « رع » قد بث خوفك فى كل الأرض ، والرعب منك فى كل البلاد الأجنبية ، وسواء أكنت فى مقر الملك أم فى هذا المكان فإنك أنت الذى فى قدرتك أن تظلم ذلك الأفق ، وتطلع الشمس بإرادتك ، ومياه النهر تشرب حينما تريد ، وهواء السماء يستنشق حينما تأمر .

وسيسلم خادمك مركز الوزارة الذى كنت أشغله فى هذا المكان ، ولكن دع جلالتك تفعل ما تشاء ، فالناس يعيشون على النفس الذى تمنحه . ليت « رع » و « حور » و « حتحور » يحبون أنفك الرفيع الذى يريد « منتو » رب طيبة أن يبقى إلى الأبد .

وقد حضر إلى هذا الخادم الرسل ، وقد سمح لى أن أمضى يوما فى « ياء » ، وسلمت فيه متاعى إلى أولادى ، فأصبح ابنى الكبير المشرف على قبيلتى ، وكل ما أملك أصبح فى يده : عبيدى وكل ماشيتى وفاكهتى ، وكل شجرة لذيذة أملكها .

ثم سار هذا الخادم المتواضع نحو الجنوب ، ووقف عند «ممرات حور» ، وأرسل القائد الذى كان مكلفا بحراسة الحدود هناك رسالة الى مقر الملك تحمل الأخبار بوصولى؛ فأرسل جلالته أحد رؤساء الصيد فى القصر ممن يثق بهم ومعه سفن محملة بالهدايا من الفيض الملكى للبدو الذين أتوا معى ليقودونى إلى « ممرات حور » وقد ناديت كلا منهم باسمه؛ وكان صناع الجعة يعجنونها و يصبونها فى حضرتى . وكان كل خادم منهمكا فى عمله ، ثم أخذت فى سياحتى الى أن وصلت بلدة «مراقبة الأرضين» (العاصمة) ، وعند انفلاق الصبح ، أتوا ليطلبونى مبكرين جدا ، وقد كان عشرة رجال يأتون ، وعشرة رجال يذهبون ليقودونى إلى القصر ، واستلمت الأرض بين تماثيل «بو الهول» بجبهتى ، ووقف أولاد الملك عند الباب واستقبلونى ، أما أمناء القصر الذين يقودوننى إلى القاعة فإنهم ذهبوا بى إلى الطريق المؤدّية إلى الحجرة الخاصة ، فوجدت جلالته على عرشه العظيم فى مدخل من الذهب ، فانبطحت على بطنى ، وذهب عنى عقلى فى حضرته ؛ مع أن هذا الإله حيانى بفرح . وقد كنت كرجل أطبق عليه الظلام ، إذ فرت روحى وتزلزلت أعضائى ، ولم يعد قلبى فى جسمى ؛ ولم أشعر إذا كنت حيا أو ميتا " .

وعندئذ قال جلالته لأحد هؤلاء الأمناء : "ارفعه ودعه يكلمنى" . وقال جلالته : "انظر ! لقد عدت بعد أن قطعت الصحارى واخترقت الفيافى ؛ والكبر قد تغلب عليك ، وقد بلغت الشيخوخة ، وإنه ليس بالأمر الهين أن يدفن جسمك فى الأرض دون أن يسير فى مشهدك المتوحشون . ولكن لا تبق هكذا صامتا باستمرار عند ما ينطق باسمك" . ولكن فى الحق خفت العقاب وأجبت عن ذلك جواب الخائف : "ماذا يقول سيدى لى ؟ ليت فى مقدورى أن أجيب عليه ، ولكن

لا يمكننى . انظر ! كأن ذلك يد الله ، إذ أن الفزع الذى فى جسمى كالفزع الذى سبب هـذا الهرب الذى قضى به على . انظر ! إننى فى حضرتك والحياة ملكك وليت جلالتك تتصرف كما تريد " .

ثم أُمر بدخول أولاد الملك وقال جلالته للملكة : " انظرى . هـذا هو « سنوهيت » الذى عاد كآسيوى من نسل أهل البدو " ، فصاحت صيحة عالية جدا ، وكذلك صاح أولاد الملك معا ، وقالوا لجلالته : " حقا كأنه ليس هو يأيها الملك ياسيدنا " فقال جلالته : " حقا إنه هو " ، وبعد ذلك أحضرن معهنّ عقودهنّ ودفوفهنّ وصاجاتهنّ و رفعنها إلى جلالته قائلات : " لتكن يداك على الواحدة الجميلة ، أيها الملك الخالد ، على حلى (سيدة السماء) . ليت « الواحدة الذهبية »(1) تمنح الحياة أنفك ، و « سيدة النجوم » تضم نفسها إليـك . دع إلهة الوجه القبلى تنحدر مع النهر ، و إلهة الوجه البحرى تصعد مع النهر متحدتين ومنضمتين فى اسم جلالتك . ليت الصـل يوضع على جبهتك ، لقد خلصت رعاياك من الأذى . ليت « رع » يكون رحيما بك ياسيد الأرضين . مرحبا بك وكذلك بملكتنا . أخرج قرنك ، وانزع قوسك ، وامنح النفس من قد اختنق ، وامنحنا هدية جميلة للعيد ، هذا الشيخ ابن آلهة الشمال البدوى المولود فى مصر " ، وقد هرب خوفا منك ، وترك الأرض رعبا منك ، ولكن الوجه الذى قد رأى جلالتك لن يصفر بعد ، والعين التى شاهدتك لن تخاف " .

وعندئذ قال جلالته : " لن يخاف ولن يرتاع ، لأنه سيصير أمينا فى القصر بين الحكام ، وسيوضع بين رجال الحاشية . اذهبوا إلى قاعة الزينة لتكونوا فى خدمته " .

و بعد أن تركت الحجرة الخاصة ، وقد صافحنى أولاد الملك ، ذهبنا إلى البابين العظيمين ، وقد أسكنت فى بيت ابن من أولاد الملك ، وكان مزينا بثمين الأثاث ، وكان فيـه حمام وأشكال ملونة للافق ، وكان فيه أشياء ثمينة من الخزانة ، فكان فيه

(1) الإلهة « حتحور » إلهة الحب والجمال .

ملابس الكتان الملكى، والبخور، والزيت الثمين الخاص بالملك، ورجال البلاط الذين يحبهم، وكان كل خادم فى عمله. وقد أخذت السنون تذهب عن جسمى، وأزيلت لحيتى ورجّل شعرى، وقد ألقى فى الصحراء حمل أوساخ، وأعطيت الملابس القذرة رجال الرمال.

وقد زينت بأحسن ملابس الكتان، ودلكت بأحسن الزيت، وفى الليل نمت على سرير، وتركت الرمال لمن هم فيها، وزيت الخشب لمن يدلك نفسه به.

وقد أهدى لى بيت حاكم مقاطعة كما يليق بسمير ملكى. وقد بناه كثير من الصناع، وكانت كل الصناعة الخشبية فيه جديدة.

وكان يؤتى إلىّ الطعام من القصر ثلاث مرات وأربع مرات فى اليوم، هذا فضلا عما أعطانيه أولاد الملك بدون انقطاع فى أى وقت.

وقد أقيم لى قبر من الحجر فى وسط المقابر، والبناءون الذين ينحتون المقابر قد وضعوا تصميمه، وكبير مهندسى العمارة قد بدأ فى بنايته (؟)، وأخذ النقاشون ينقشونه، وأخذ مهرة النحاتين ينحتون فيه، أما رؤساء بنائى الجبانة فوجهوا عنايتهم له وكل ما يحتاج إليه من لامع المتاع الذى يوضع فى القبر قد مدّ به، وقد رتب لى كهنة جنازيون، وصنعت لى حديقة للقبر كان فيها حقول مقابلة للمأوى، كما كان يصنع للسمير الأول للقصر، وقد رصع تمثالى بالذهب ومئزره كان من خالص النضار، وإن جلالته هو الذى أمر بصنعه، وليس هناك رجل فقير قد عمل له مثل ذلك، وقد تمتعت بعطف من الفيض الملكى إلى أن أتى يوم الممات".

إشراك سنوسرت ابنه «أمنمحات» الثانى فى الحكم — وفى السنة الثالثة والأربعين من حكمه كان سنوسرت قد ناهز السبعين من عمره (هذا إذا كان قد اشترك مع والده فى الحكم وهو بين الخامسة والعشرين والثلاثين من عمره)، فأشرك معه ابنه «أمنمحات» الثانى فى حكم البلاد، وقد جاء ذكر ذلك فى أثر محفوظ الآن بمتحف «ليدن»: "السنة الرابعة والأربعون من حكم «سنوسرت» المقابلة للسنة

الثانية من حكم «امنمحات» الثانى " . (Boeser, "AegyptischenSammlung) des Neiderlandischen Reichmuseums der Altertumer in Leiden, Pl. IV)
وكما أعدّ « أمنمحات » الاوّل ابنه « سنوسرت» الأوّل ليكون مدرّبا فى فنون الحكم والحروب، اتبع « سنوسرت الأوّل » نفس الطريقة مع ابنه « أمنمحات الثانى » ، إذ أرسله مع القائد « أمينى » ليرى أجزاء مملكته النائية بنفسه، وليتقبل خضوع أمراء هذه البلاد، وليقضى على كل من شق عصا الطاعة منهم .

وفاة « سنوسرت الأوّل » : — وقد توفى هذا الفرعون المسن فى السنة السادسة والأربعين من حكمه، وهى السنة الرابعة من اشتراك ابنه معه فى الحكم أى بعد أن حكم خمسا وأربعين سـنة كما جاء فى ورقة « تورين » ، وكما تدل على ذلك آثاره المؤرّخة، إذ وجدنا من بينها أثرا يذكر لنا السنة الخامسة والأربعين من حكمه .

ولدينا لوحة هامة محفوظة فى المتحف البريطانى الآن (No 828; Breasted, A. R, Vol. I. par 594-598) مؤرّخة فى السنة الثالثة من حكم «أمنمحات الثانى» ، وهـذا التاريخ يقابل السنة الخامسة والأربعـين من حكم والده، وهى تحتوى على الخطوات المتتابعة التى سار فيها «سمنتو» الذى كان يلقب بالأمير، والكاتب الملكى مدّة حياته . فيقول : " لقد ولدت فى حكم الملك « أمنمحات الأول » المرحوم، وقد كنت طفـلا متمنطقا بحزامه عندما توفى جلالته ، (وكان الأولاد يلبسـون حزام الصبية بين العاشرة والحادية عشرة)، وقـد نصبنى الملك « خبر كارع » « سنوسرت الأوّل » عاش أبديا كاتب (الحريم)، ومدحنى كثيرا جدا فى هذا العمل، وبعد ذلك نصبنى كاتبا ومدحنى كثيرا على ذلك، ثم بعد ذلك جعلنى كاتب حسابات غلال الشمال والجنوب، ثم عيننى كاتبا (للحريم الأعظم)، وأخيرا نصبنى كاتبا ملكيا ومديرا لكل الأعمال فى كل البلاد، وقد مدحنى سيدى لأنى كنت صامتا، وكان يحبنى، لأنى كنت ضدّ المتهوّر، ولم أعد كلمة سوء . ولا بدّ أن «سمنتو» قد بلغ ما يقرب من الخامسة والأربعين من العمر عند ما أمر بكتابة هذه النقوش .

وفى هــذه السنّ كان يلقب نفسه الأمير الوراثى، حامل الخاتم الملكى، والشريف محبوب الصقر (الملك)، سيد القصر الذى يفعل كل ما يمدحه سيده كل يوم، الكاتب الملكى «سمنتو» . ومما يلاحظ هنا أن استعمال عبارة العائش أبديا بالنسبة للفرعون فى هذا النقش، دليل على أن الفرعون كان لا يزال عائشا عند كتابته أى فى السنة الثالثة من الحكم المشترك مع « أمنمحات » .

هرم سنوسرت الأوّل — وقد مات «سنوسرت الأوّل» بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال، بنى فيها مجد الأسرة الثانية عشرة، ودفن فى هرم أقامه لنفسه . انتخب موقعه فى الجهة الجنوبية من معبد هرم والده باللشت ، وقد وجد مدخله فى رقعة الهرم عند سفحه، وكان الممرّ المؤدّى إلى حجرة الدفن مسدودا بقطع كبيرة من الجرانيت، وقد تسرب اللصــوص إلى مخدعه بنفق حفر بجانب المدخل، ولكن الحجرة لم يمكن الوصول إليها بسبب ارتفاع منسوب مياه الرشح فيها الآن .

وقد أحاط «سنوسرت» هرمه بجدار عظيم زين بألواح منقوشة باسمه، وقد وجد مذبحه فى البقعة التى أقيم فيها المعبد . وعلى مقربة من هذا الهرم، أقام كاهن « هليوبوليس » الأعظم « أمحوتب » قبرا له ، وتدل ظواهر الأحوال على أنه هو الذى أشرف على بناء هــذا الهرم ، لأنه يحمل بين ألقابه مدير أعمــال الملك كلها، وفى سمك أحد جدران هــذه المقبرة المبنية باللبن عثر على تمثــالين جميلين مصنوعين من خشب الأرز باسم الملك « سنوسرت الأوّل»، واحد منهما يمثله وهو لابس تاج الوجه القبلى، والثانى يمثله وهو لابس تاج الوجه البحرى . (Lythgoe, Ancient Egypt, (1915) p. 145.) ؛ هذا وقد خلف لنا مساعد الخزانة المسمى « مرى » الذى عاش فى عهد هذا الفرعون نقشا سجل فيه بناء الضريح الأبدى . وهذه العبارة تشير بطبيعة الحال إما لهرم «اللشت» الذى أقامه الملك هناك، أو إلى مقبرة أخرى ثانية أقامها هذا الفرعون لنفسه فى « العرابة المدفونة » . وهذا ليس بغريب لأن عددا عظيما من الملوك قد أقاموا لأنفسهم قبرين . فيقول «مرى» فى نقشه : "ولمــا

كنت غيورا جدًا أرسلنى الفرعون لأقيم له ضريحا أبديا، وكانت جدرانه تخترق السماوات ، والبحيرة التى حفرت قد بلغت فى حجمها النهر، وأقيمت (بواباته) التى تناطح السماء من حجر «طرة» ، وقد فرح الإله « أوزير» أول سكان الغرب بهذا البناء الذى أقمته لسيدى . وقد سررت أنا نفسى وكان قلبى فرحا بما أنجزته" .
(Piehl, Inscriptions, I, II–IV; Breasted, A. R. Vol. I, par. 507-509).
وقد أرخ هذا النقش بالسنة التاسعة ، الشهر الثانى من الفصل الأول فى اليوم العشرين من حكم هذا الفرعون .

قد سمى « سنوسرت » هرمه فى اللشت باسم «المحمى الأماكن» وقد وجد هذا الاسم على نقش مهشم عثر عليه فى « منف » ,Petrie, Memphis. Vol. I (p. 18; A. Z., Vol. 59, p. 53.) ، وهو يشير كذلك إلى وقف خصص لهذا الهرم ولهرم والده «أمنمحات الأول»؛ والظاهر أنه كان قد جهز لمعبد الهرم عشرة تماثيل من الحجر الجيرى الأبيض الجميل، غير أننا لا نعلم السبب الذى من أجله لم تقم هذه التماثيل فى أماكنها ، لا فى عهد هذا الملك ولا فى عهد ابنه، بل بقيت ملقاة على الأرض ، ومغطاة بالرمال إلى أن عثر عليها فى عام ١٨٩٤، ومعها ستة تماثيل للملك «سنوسرت» وكذلك تمثاله فى صورة الإله «أوزير» ،هذا إلى ثلاثة عشر مذبحا مهداة من كاهنات هذا الفرعون، وكل هذه التماثيل موجودة الآن بالمتحف المصرى بحالة جيدة، عدا تمثال واحد قد أصابه بعض التشقق (Borchardt, "Statuen", Vol. II, p. 21, Pl. 97) ، وليس لوجود هذه التماثيل بهذه الكيفية إلا أحد فرضين ، فإما أن يكون الملك قد مات قبل إقامتها فى أماكنها، وأن ابنه لم يعتن بعد وفاة والده بآثاره ، وإما أن تكون قد دفنت فى الرمال لأسباب دينية قد غاب عنا الوصول إلى معرفة مغزاها .

والظاهر أن مقر الملك فى عهد هذا الفرعون كان فى مكان يدعى « أث تو » بجوار الهرم فى اللشت، راجع (A. Z., Vol. 59. p. 53) .

أمنمحات الثانى

١٩٣٨ — ١٩٠٣ ق م

مجمل أعماله — انفرد «أمنمحات الثانى» بالملك بعد وفاة والده «سنوسرت» الأوّل، وكان عند ما تولى العرش مشتركا مع والده، قد اتخذ لنفسه لقب «نب كاو رع» أى الواحد الذهبي لأرواح إله الشمس .

وتدل الآثار المكشوفة إلى الآن، التى وصلت إلينا من عهده، على أن عصره كان عصر هدوء وسلام ، وأنه لم يقم بأعمال جسيمة فى الفتوح والغـزوات ، كما أنه لم ينسب إلى عهده شىء من المبانى العظيمة الخالدة ، وذلك لا يعنى أن عهده خلا من الأعمال الجليـلة التى سارت بسفينة البلاد نحو التقدّم والوحدة التى كانت الغرض الأسمى لفراعنة هـذه الأسرة، فقد أظهر نشاطه العظيم فى إرسال البعوث العديدة إلى مختلف نواحى ممتلكاته لاستخراج المعادن من جبالها الغنية بها، أو لتهدئة الأحوال فى الجهات التى حدثت فيها اضطرابات، كما أرسل البعوث للبلاد الأجنبية بقصـد التجارة ونشر الحضـارة المصرية . هـذا إلى أنه أقام مبانى عدّة للآلهة فى مختلف جهات القطر، غير أنها لم تضارع ما قام به والده وجدّه .

بعوثه إلى سينا — فمن أهم أعماله ما أظهره من نشاط فى شبه جزيرة سينا، إذ أرسل بعثتين لاستخراج المعـادن والأحجار الكريمة، وقد أرّخت الأولى بالسنة الرابعة من حكمه على لوحة وجدت فى هذه الجهة . وكذلك وجدت نقوش أخرى تدل على أنه أرسل بعثة ثانية مؤرّخة فى السنة الرابعة والعشرين ، وهـذه النقوش قد حفرت على صخرة بالقرب من مخزن مياه «سرابة الخادم»، وتدل على أنه فتح منجما جديدا فى هـذا المكان لم يكن معروفا من قبل . ونصها : "السنة الرابعـة

والعشرون من حكم جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى «أمنمحات الثانى» . منجم حفره صديق الفرعون الحقيق، وضابط البحارة المسمى «مين» ، وأمه « موت » المرحوم " . وقــد عثر فى هذه الجهات على تمثالين صغيرين من عهد هذا الفرعون وعلى تسعة ألواح منقوشة فضلا عن ذلك .

(Gardiner and Peet, Sinai, pls. XVI, XIX-XXII, Petrie, Sinai, Fig. 130).

يضاف إلى ذلك أن « ساحتحور » أحد الموظفين المجدّين فى هذا العصر ، يحدّثنا أن الفرعون قد أرسله فى عدّة بعوث كما سنذكر بعد ، إحداها لزيارة أرض المناجم فى شبه جزيرة « سينا » ، وكذلك عثر على الجزء الأســفل من تمثال جالس للإلهــة « حتحور » ســيدة الفيروز وحارسة المعدنين فى هذه الجهات ، وقد قدّمه لهــا الضابط الأكبر للأسطول ويسمى « سنفرو » .

(Breasted, A. R., Vol. I, Par. 599)

آثاره فى مختلف جهات القطر — ونجــد لهــذا الفرعون نقوشا عدّة فى مختلف جهات القطر تدل على نشاطه فى إقامة المبانى، ففى «إسوان» عثر على نقوش عدّة محفورة على الصخور مما يدل على أنه كان يقطع حجر الجرانيت من هذه الجهة، وأهمها نقش مؤرّخ بالسنة الرابعة عشرة (Weigall, "History" Vol. II, p. 75)، وفى وادى الحمــامات عثر على اسم « امنمحات الثــانى » فى مناجم « حجر البرشيا » الشهيرة الواقعة فى الصحراء الشرقية (Murray, "Handbook", p. 826) .

وكذلك وجد اسمه منقوشا فى محاجر المرمر بجهة «حتنوب» ، وفى إقليم الجســر (Frazer "Hatnub", XV, 11) الرملى القريب من جبل السلسلة وجد اسمه منقوشا هناك، وأرّخ النقش بالسنة السابعة عشرة من حكمه (Ibid, 512) .

البعوث إلى محاجر صحراء النوبة — وقد أرسل هذا الفرعون البعوث إلى محاجر صحراء النوبة الغربيــة التى كشف عنهــا حديثا لاستحضار حجر الديوريت والجرانيت فقــد عثر له على لوحة فى المحــاجر الجنوبية لهــذه الجهة مصنوعة من

الديوريت الأسود، ولكن مما يؤسف له أن هذه اللوحة قد وجدت نقوشها متآكلة وممحوّة مما يصعب معه حل رموزها ، وكل ما يمكن حله فى نقوشها أن الذى كان على رأس البعثة أمير، وأن الغرض من إرسالها هو إحضار حجر «منتت» من مكان يسمى «نخنت» (؟)

وكذلك أرسل «أمنمحات الثانى» بعوثا إلى « وادى الهودى » ، وقد وصلتنا لوحة من عهده غير مؤرّخة، وقد أقامها رئيس البعثة المسمى « سنببو » ، ويحمل لقب رئيس الخزانة ونقش عليها ما يأتى :

" ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «خع كاو رع» عاش أبد الآبدين محبوب « حتحور » سيدة الجمشت (حسمن) . قريب الملك الحقيق ومحبوبه وساكن قلبه رئيس الخزانة، وهو الذى وضعته «سبك رع» ، ورب الاحترام، والذى استولى على قلب الملك باختراق الصحارى (فى البعثة) التى قام بها لسيده بتفوّق «سنببو» رب الاحترام " . ولدينا لوحة أخرى من هـذا المكان ، غير أن معظم كتاباتها قد محيت، وهى منحوتة من الحجر الرملى، ويرجع عهدها إلى السنة السادسة من الحكم المشترك لهذا الفرعون، وابنه «سنوسرت الثانى» (هاتان اللوحتان لم تنشرا بعد).

ومن الغريب أنه قد عثر على نقش لأمير من عهد هذا الفرعون فى سدّ وادى «العنقابية الراويانه» ، وهذا السدّ يقع على بعد سبعة كيلو مترات فى أعالى النهر، وفى الجهة الجنوبية الشرقية عند النقطة التى يقطع فيها الوادى طريق (مصر — السويس) فى الكيلومتر الثانى والعشرين . وهذا النقش قد حفر على وجه السدّ (صخرة)، غير أنه قـد تآكل ولم يبق فيه إلا جزء من طغراء الفرعون، ولقب الأمير هو (كاهن عين شمس الأعظم) وهذا اللقب لم يعثر عليه فى الدولة الوسطى قط إلا هذه المرة ، ولا نعلم لوجود هذا النقش فى هذا المكان من سبب حتى الآن .

(A. S., Vol. XXXIII, p. p. 1-5, Pl. 1.)

بعوثه إلى بلاد بنت — ومن أهم البعثات التى أرسلها فى عهده إلى الخارج وتعتبر تجديدا فى نشاط هذه الأسرة ، البعثتان اللتان أرسلهما إلى بلاد « بنت » .

أما البعثة الأولى فقد وجدت نقوشها فى وادى «جاسوس» على شاطىء البحر الأحمر على لوحة موجـودة الآن فى « النوك كاسل » (Alnwick Castle) بانجلترا . وقـد عثر عليها الرحالة "برطون" (Birch, "Alnwick", Pl. III, p. 268) .

ولهذه اللوحة أهمية خاصة، إذ عرفنا منها اسم الميناء التى كانت تستعمل كثيرا لقيام البعوث إلى « سينا » و إلى بلاد « بنت » ، وهـذه اللوحة تعزى إلى حامل الختم الفرعونى ومدير مخازنه المسمى « خنتخاتى ور » ، وقـد كان غرضه إحضار العطور والروائح الذكية . ونشاهـد على هذه اللوحة صـورة الفرعون « أمنمحات » الثانى يقـترب الشراب للإله « مين » سيد « قفط » ، وأسفل هـذا المنظر نرى « خنتخاتى ور » نفسه رافعا ذراعه تعبدا للإله ، ويلى ذلك النقوش وهى : تقديم المـديح الإلهى ، والشـكر من الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الفرعون ورئيس قاعة المحكمة « خنتخاتى ور » إلى الإله « حور » والإله « مين » رب «قفط» . وذلك بعد وصوله مع جيشه سالمـا من « بنت » غانما مظفرا ، وسفنه قد رست فى « سواو» (وادى جاسوس). فى السنة الثامنة والعشرين من حكم هذا الفرعون.

أما الحملة الثانية فكانت فى السنة الأولى من اشتراك « سنوسرت الثانى » مع والده « أمنمحات الثـانى » بقيادة شريف يـدعى « خنوم حتب » ، وقـد ذكر تاريخها على لوحة وجدت فى وادى « جاسوس » على ساحل البحر الأحمر، وهى موجودة الآن فى قلعة « النوك » ؛ والظاهر أن الحملات إلى هذه الجهات كانت عديدة ويقول «ويجول» (Weigall, Guide 246) فى دليله عن آثار الوجه القبلى: إنه قد ذكر فى قـبر « خوى » بأسـوان ويرجع تاريخه إلى هـذا العصر تقريبا . وكذلك فى قبر شريف آخر يدعى « ثتى » أنهما زارا « سوريا » و بلاد «بنت» إحدى عشرة مرة (Sethe, "Urkunden ", Vol. I, 140).

انظر كذلك « برستد » (Breasted, A. R., Vol. I, Par. 361) حيث يعزى هذا النقش إلى الأسرة السادسة، ولكن هذا الرأى فيه شك كبير .

أهمية البعوث إلى بلاد بنت — والواقع أن إرسال الفرعون « أمنمحات الثانى » الحملات إلى « بنت » تلك البلاد النائية الواقعة بجوار بلاد « الصومال» الحالية له أهمية عظيمة ، إذ يدل على أن هـذا الفرعون كان يريد مجاراة أجداده القدامى فى هذه البعوث التى سبقه اليها « سحورع » و « اسسى » و « ببى » من ملوك الدولة القـديمة، و « سعنخ كارع » من ملوك الأسرة الحادية عشرة . ولا شك فى أن الرحلة إلى هـذه البلاد النائيـة كانت فى وقت ما شاقة خطرة ، إذ كان على رجالهـا أن يخترقوا الصـحراء حتى يصلوا إلى البحر الأحمر ، وبعـد ذلك كان لا بدّ من بنـاء السفن اللازمة لحمل رجال البعثة ، وفى أراضى الصحراء القاحلة الجـرداء يلاقون قبـائل العرب الرحل الذين تعـوّدوا السلب والنهب ، يجولون طلبا للسـطو على أية غنيمة . وبعـد ذلك كانت تقلع البعثـة عدّة أيام متجهة جنوبا محاذية الشاطئ الخالى من السكان . وفى نهاية المطاف كان عليهم أن ينزلوا عند قـوم من النـاس غاية فى السذاجة غير معروفين لهم ، فيتجرون معهم ، ثم يحملون عند عودتهم المر والأصماغ ذات الروائح الذكية . وتدل شواهد الأحوال على أن السياحة إلى بلاد « بنت » العجيبة كانت ممـا يثير الدهشة والإعجاب حتى إن رجال القصص قد ألفوا سلسلة قصص عن المخاطرات التى كان يلاقيها المسافر إلى هذا القطر الغريب، وقد وصلت إلينا واحدة من هذه القصص وهى، «قصة الغريق» التى يرجع تاريخها الى هذا العصر. وهى تذكرنا بقصة «السندباد البحرى» فى «ألف ليلة وليلة». وبطل هذه القصة الطريفة يقلع فى سفينة طولها ١٢٠ ذراعا وعرضها ٤٠ ذراعا وبها ١٢٠ من خيرة البحارة المصريين، وقد أرسل هـذه البعثة الملك الى أرض الإله (أى بلاد بنت) ليحضر بعض النفائس منها، ولكنهم لم يفلحوا فى مهمتهم فرجعوا بالخيبة بعد أن لاقوا فى الطريق أهوالا عظيمة ، وصلوا بعدها إلى الوطن سالمين . ثم تستمر القصة فى سرد قصة أخرى فاستمع إلى ما جاء فيها :

. قصة الغريق : يقول تابع حاذق : "كن فرحا أيها الأمير، انظر! لقد وصلنا إلى مقـر الملك ، وقد أُخذت المطرقة ودُقت أوتاد المرسى ، وأُلقيت حبالها على

البر، وكان الثناء والشكر لله ، وقد عانق كل فرد زميله ، وقد وصل ملاحونا سالمين أصحاء، ولم نفقــد من جنودنا أحدا ، وقد وصلنا إلى أقصى « واوات » ومررنا « بسنموت » . تأمل ! لقد عدنا بسلام ووصلنا إلى بلادنا .

اصغ الىّ أيها الأمير، إنى فرد خلو من المبالغة . اغسل نفسك، وصب المـاء على أصابعك، وأجب عندما تحيا، وتكلم إلى الملك وأنت مالك لشعورك، وأجب فى غير تلعثم ، وإن فم الإنسان هو الذى ينجيه ، وكلامه هو الذى يجعل الناس يرفقون به ، وستفعل ما يحلو لك ، ومع ذلك فالكلام معك غير مجـد ، ومع ذلك سأقص عليك شيئا ممـاثلا لقصتك، فقد حدث لى شخصيا عند ما أقلعت إلى إقليم مناجم الملك ذاهبا إلى البحر فى سفينة ذرعها ١٢٠ طولا و ٤٠ عرضا ، وكان فيها ١٢٠ بحارا من نخبة مصر، وكانوا يتعرّفون السماء، وكانوا يتعرفون الأرض، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود، وكانوا يتنبؤن بالعاصفة قبل أن تحدث، والزوبعة قبل أن تمر. وقد هبت عاصفة ونحن مازلنا فى البحر، وقبل أن نصل إلى الأرض، وقد قامت الريح فضاعفت من شدّتها ، وجاءت موجة ارتفاعها ثمـانية أذرع، وقد حملت من على سطح السفينة مع السارية .

وبعد ذلك غرقت السفينة، ولم يبق غير واحد من بين الذين كانوا فيها، وقد رمت بى موجة إلى جزيرة ، وقد قضيت ثلاثة أيام وحيداً، ولم يكن لى رفيق غير قلبى، ونمت فى خباء من الخشب ، واحتضنت الفىء ، ثم وقفت على قدمى لأجد ما يمكن أن أضعه فى فمى، فوجدت تينا وعنبا هناك ، وكل أنواع الخضر الجميلة، وكان هناك فاكهة « كاو » و « نكوت » وخيار كأنه مزروع ، وكان هناك سمك وطيور، ولم يكن هناك شىء لا يوجد فيها، وعندئذ أشبعت نفسى، وتركت بعضها على الأرض، لأن حمله كان ثقيلا على ذراعى، ثم أخذت زنادا وأوقدت نارا لنفسى، وقدمت قربانا مشويا للآلهة .

وبعد ذلك سمعت صوت رعد ، وظننت أنها موجة بحر ، فتكسرت الأشجار وزلزلت الأرض، ولمـا كشفت عن وجهى وجدت أنه ثعبان يقترب منى، وكان

ذرعه ثلاثين ذراعا طولا ، ولحيته تزيد طولها على خمسة أذرع ، وكان جسمه مرصعا بالذهب وحاجباه من خالص اللازورد ، وقد كان غاية فى العقل ، ثم فغر فاه لى حينما كنت ملقى على بطنى أمامه وقال لى :

" من أحضرك إلى هنا ؟ من أحضرك إلى هنا أيها الصغير ؟ من أحضرك هنا ؟ وإذا تأخرت عن إجابتى عمن أحضرك إلى هـذه الجزيرة جعلتك لا تجـد نفسك إلا ترابا ، وتصير كالذى لم يكن قد رئى " . فأجبت : " إنك تتحدث إلىّ ومع ذلك لم أسمع ماتقول . إنى فى حضرتك ولكن حواسى قد ذهبت " .

وبعد ذلك أخذنى فى فمه ، وأحضرنى الى جحره ، ووضعنى دون أن يلمسنى ، وكنت صحيحا ولم يمزق شىء منى ؛ وفغر فاه لى عنـد ما كنت ملقى على بطنى أمامه وقال لى : " من أحضرك إلى هنا؟ من أحضرك إلى هنا أيها الصغير؟ من أحضرك إلى جزيرة البحر هـذه التى يحيط بها المـاء من الجانبين ؟ " وقـد أجبته وذراعاى مثنيتان فى حضرته وقلت له : " إنى فرد ذهبت إلى المناجم فى أمر للملك فى سفينة ذرعها ١٢٠ طولا و ٤٠ عرضا وكان فيها ١٢٠ بحارا من نخبة مصر ، وكانوا يتعرّفون السماء ، وكانوا يتعرّفون الأرض ، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود ؛ وكانوا يتنبئون بالعاصفة قبل أن تحدث ، والزوبعة قبل أن تكون ، وكان كل واحد منهم شجاع القلب قوى الساعد أكثر من زميله ، ولم يكن بينهم أحمق ، وقد هبت عاصفة ونحن لا نزال فى البحر قبل أن نصل إلى الأرض ، وقد قامت الريح فضاعفت من شدّتها وجاءت موجة ارتفاعها ثمانية أذرع ، وقد حملت من على سطح السفينة مع السارية ؛ وبعد ذلك غرقت السفينة بمن كانوا فيها ، ولم يبق غيرى وتأمل ! فإنى هنا بجانبك وقد أحضرت إلى هذه الجزيرة بموجة البحر " .

وعندئذ قال لى : " لا تخف ، لا تخف ، أيها الصغير ، ولا تدع محياك يصفر مادمت قد جئت إلىّ . انظر ! لقد حفظك الله حيا ليحضرك إلى جزيرة الطعام (الوفير) التى ينمـو فيها كل شىء ، لأنهـا مفعمة بكل شىء حسن ، وانظر ! ستمضى الشهر

بعد الشهر فى هـذه الجزيرة إلى أن تتم أربعة أشهر ، ثم تأتى سفينة من مقر الملك تحمـل بحارة تعرفهم ، وستذهب معهم إلى مقـر الملك ، وتموت فى نفس بلدك . ما أشدّ فرحة الذى يقص ما جرى له بعـد أن تمرّ الكارثة ، وهكذا سأقص عليك شيئا ممـاثلا لهذا قد حدث فى هـذه الجزيرة ، وذلك أننى كنت فيها مع إخوتى وأطفالى فى وسطهم ، وكان كل عددنا ٧٥ ثعبانا — أولادى و إخوتى ، هذا غير بنت آمرأة مسكينة قد أحضرت إلىّ ... ثم آنقض شهاب فذهب هؤلاء فى النار بسببه (أى الشهاب) .

وقد حدث ذلك وأنا لست مع المحرقين (؟) ، ولم أكن بينهم ، وقد كدت أموت من أجلهم عند ما وجدتهم كومة من الجثث .

فإذا كنت شجاعا فاكبح جماح قلبك . على أنك ستضم أطفالك ، وتقبل زوجتك وترى منزلك ، وهذا أحسن من كل شىء ، وستصل إلى مقر الملك ، وتسكن هناك فى وسط أولادك " .

وعند ذلك ألقيت بنفسى على بطنى ولثمت الأرض فى حضرته ، وقلت له : " سأتحدث للملك عن قوّتك وأعلمه بعظمتك ، وسأعمل على أن يجلب إليك «أبى» و «حكنو» ، و «أدنب» و «خسايت» وكذلك بخور المعابد التى يسر لها كل إله ، وسأقص ماحدث لى وما قد شاهدت ... وستشكرنى المدينة أمام ضـباط الأرض كلها ، وسأذبح لك ثيرانا قربانا مشويا ، وأضحى لك الأوز ، وسأرسل لك سفنا محملة بكل بضائع مصر الثمينة ، كما يجب أن يفعل لإله يحب الناس فى أرض نائية لا يعرفها الناس " . عند ذلك ضحك منى ومما قلت ، كأن ذلك الذى قلته سخافة وقال لى : " ليس عندكم « عنتيو » بكثرة . ولا تملكون إلا البخور ، ولكنى أمير « بنت » ، والمرّ متاعى الخاص ، أما من حيث « حكنو » الذى تقول عنـه إنك ستجلبه إلىّ فهو أهم حاصلات هـذه الجزيرة . ولكن الواقع أنك لن ترى هـذه الجزيرة قط بعد سفرك لأنها ستصير ماء " .

و بعد ذلك أتت هذه السفينة كما تنبأ، وذهبت وتسلقت شجرة طويلة، ورأيت أولئك الذين كانوا فيها، وذهبت لأخبره، فعلمت أنه عرف ذلك من قبل . وقال لى : " بسلام بسلام للوطن، أيها الصغير، وشاهد أطفالك، واجعل لى اسما حسنا فى مدينتك . اسمع فإن هذا هو كل ما أبغى " .

وعندئذ ألقيت بنفسى على بطنى، وأثنيت ذراعىّ فى حضرته، وأعطانى حمولة « مر » و « حكنو » و « ادنب » و « خسايت » و « تشبس » و « شاس » ، وكحل، وذيول زرافات، وكمية عظيمة من البخور، وسن فيل، وكلاب صيد، وقردة، ونسانيس، وكل الذخائر الجميلة، وأنزلتها فى هذه السفينة .

ولما ألقيت بنفسى على بطنى لأشكره قال لى : " انظر ! ستصل إلى الحاضرة بعد شهرين، وستضم أولادك فى حضنك، وتصير شابا ثانية فى مقر الملك ثم تدفن " .

وذهبت إلى الساحل حيث كانت هذه السفينة، وحييت الفرقة التى كانت فى هذه السفينة، وأثنيت على رب هذه الجزيرة على الساحل، وكل من كان فى السفينة فعل كذلك .

ثم سحنا شمالا إلى حاضرة الملك، ووصلنا إلى العاصمة فى شهرين كما قال . ومثلت أمام الملك، وقدمت له هذه الذخائر التى أحضرتها من الجزيرة، وقد شكرنى أمام كل ضباط الأرض قاطبة، وعينت حاجبا وكافأنى ببعض حشمه (؟)

انظر إلىّ بعد أن وصلت إلى الأرض وبعد أن شاهدت ما لاقيته . اسمع لما أقول انظر إنه من الخير للناس أن يصغوا .

فقال لى : " لا تلعبن دور الحكيم ياصديقى ! فإن ذلك كالذى يعطى الطائر عند الفجر ماء وسيذبحه مبكرا فى الصباح، أى أنى مقضى علىّ بالموت عندما أقابل الفرعون وعلى ذلك فإن كلامك المطمئن لا فائدة منه لى " .

بلاد النوبة ونشاطه فيها — وكان نشاط هـذا الفرعون فى بلاد النـوبة لا يقل عن نشاطه فى الجهات الأخرى فقد ترك لنا مساعد خزانته المسمى «ساحتحور» الذى أسلفنا ذكره نقشا (British Museum, No. 569; Breasted, "A. R.", Vol. I, Par. 599) يعطينا فكرة عن نشاط هذا الفرعون فى جهات مختلفة وبخاصة فى بلاد النوبة لاستخراج الذهب إذ يقول : "إن الملك «نب كاورع» «أمنمحات الثانى» قد أرسلنى مرات عدّة للقيام بكل أنواع البعوث الهامة التى أراد الفرعون أن تتم حسبما يصبـو إليه قلبـه . فأعطى الأوامر بأن أُبعث إلى أهرامه المسمى «خرپ» الواقع فى دهشور لأشرف على عمـل الستة عشر تمثـالا لذاته من الحجر الصلب ، وقد نفذ هـذا العمل فى مدّة شهرين إلا يوما ، على أنه لم ينجز مثل هذا العمل (بمثل هذه السرعة) على يد أى موظف ، وقد زرت مناجم «سينا» وأنا لا أزال شابا ، وقد أجبرت رؤساء (إقليم مناجم الذهب) أن يغسلوا الذهب لى ، واستحوذت على الفيروز من «سينا» ، وقد اخترقت بلاد السـود وذهبت إليهم وهزمتهم برهبـة الملك ، وقد وصلت إلى أرض «حح» (سمنـه) ، وسرت حتى وسط جزرها وأحضرت معى من منتجاتها" . ويلاحظ هنا أنه ليس من السهـل تحديد موقع مكان «حح» ولكن «ويجول» (History, Vol. II, p. 75) يقول : "إن الحملة إلى بلاد النوبة فى عهد الفرعون السابق قد جعلت الشلال الثالث تحت سلطان المصريين ، ولذلك يظن الإنسان أن الإقليم الذى وصل إليه «ساحتحور» يحتمل أن يكون بالقرب من «أرجو» (Argo) وجزائرها ونحن نعلم من جهة أخرى أن الإله «حور» الذى كان يعبد فى أرض «حح» فى عهـد الأسرة التاسعة عشرة كان يعبـد فى «أبو سمبل» ومن ثم يظن أن «حح» كانت قريبـة من هـذا المكان . غير أن نقوش «ساحتحور» تشير صراحة إلى أن «حح» كانت فى الجنوب الأقصى ، بل كانت تقع بعـد النفوذ المصرى فى السودان . ومن المحتمل جدا أن تكون هـذه البعثة هى ما تشير إليهـا النقوش التى عثر عليها مدوّنة على صخـرة

فى « دهميت » بلاد النوبة السفلية، وقد ذكر فيها اسم « أمنمحات الثانى » وهى مؤرخة بالسنة الثالثة من حكمه، أو هى التى يشير إليها نقش آخر وجد فى « آمادا » ومؤرخ بالسنة الخامسة من عهد هذا الفرعون أيضا :

(Weigall, "Lower Nubia", Pl. XVIII)

ومما هو جدير بالذكر فى هـذه المناسبة اللوحة التى عثر عليها فى « دابود » (على مسافة ١٨ كيلو مترا جنوبى أسوان) وهى محفوظة الآن بمتحف برلين :

(L. D. Vol. II, Pl. 123 b.)

وتنحصر أهميتها فى تحديد العصر الذى أنشئت فيه هذه البلدة لحماية الحدود المصرية من غارات سكان الجنوب، وتنسب إلى هذا العهد .

علاقة مصر ببلاد آسيا فى عهد هذا الفرعون — أما علاقة مصر ببلاد «فينيقية» (ببلوص = جبيل) و «سوريا» فى عهد ملوك الأسرة الثانية عشرة، فإن ظواهر الأمور تدل على أنها كانت على أحسن ما يكون من الودّ والصفاء، وبخاصة فى عهد هذا الفرعون، إذ عثر فعلا فى جبيل (ببلوص) على نقوش مصرية قـديمة ذكر فيها اسم شخصية مصرية عظيمة تحمل لقب الأمير الوراثى (حاتى عا)، كما أن اسمه ونسبه يدلان على أنه من أصل مصرى بحت ، وهـذه الوثيقة يرجع عهدها بلا شك إلى الأسرة الثانية عشرة، ولا نزاع فى أن تاريخها يرجع إلى ما قبل عهـد حكم الفرعون «سنوسرت الثالث» ؛ونحن نجهل الآن مدى بقاء هذه السيادة المصرية على بلاد «فينيقية» . ولكن المؤكد أن النفوذ المصرى كان عظيما فيها فى خلال عهد الأسرة الثانية عشرة حتى ختامها — وقـد كشف حديثا عن أشـياء تدل على أن توطيد العلاقات بين مصر و «فينيقية» كانت على خير ما يكون .

كنز طود وأهميته — فقد كشف فى بلدة « طود » عام ١٩٣٦ عن كنز فى أساس معبد يرجع عهده إلى الأسرة الثانية عشرة من عهد الفرعون «أمنمحات الثانى » ويشتمل على أربعة صناديق من البرنز نقش عليها اسم الفرعون «أمنمحات

الثانى » وقد وجدت كلها مملوءة بأوان من الذهب والفضة يربى عددها على مائتى آنية ، وكذلك وجد من بين محتوياتها سبائك من الذهب والفضة وكمية عظيمة من الخرز والأسطوانات «البابلية» والتعاويذ المصنوعة من اللازورد وقطع من اللازورد الغفل . ولاشك فى أن هذه الأوانى من الصناعة « الإيجية » المحضة . أما الأشياء المصنوعة من اللازورد فهى صناعة « بابلية » .

(Depot Asiatique Trouvé à Tod. Bisson dé la Roque, "Tod". (1934-1936) Le Caire, 1937, pp. 113. ff.)

ولما كانت ظواهر الأحوال تدل على أن العلاقات بين مصر فى عهد « أمنمحات الثانى » والبلاد الأجنبية كانت علاقات صداقة وود ، وبخاصة بين هذا الفرعون « وآسيا » فإنه من المستبعد أن تكون هذه التحف قد أتت إلى مصر عن طريق الغزو ، بل يحتمل جدا أنها كانت جزية فرضها الفرعون على أمير «ببلوص» (جبيل) سواء أكان أميرا من أهل البلاد نفسها أم أميرا مصريا قد وضعه الفرعون حاكما عليها من قبله .

محافظته على مبانى أسلافه — أما عن أعمال هذا الفرعون الإنشائية فى البناء ، فيدل ما كشف من النقوش حتى الآن على أنه لم يقم بإنشاء مبان عظيمة ، إذ لم نعثر له إلى الآن على معابد باقية ، ولكن من جهة أخرى يظهر أنه كان شديد المحافظة على المبانى العظيمة التى تركها أسلافه ، وقد كان يسهر على إصلاح ما تخرب منها ، ولدينا وثائق تشير إلى ذلك مباشرة ، ونخص بالذكر الوثيقة الرسمية التى تركها لنا « خنتمسميتى » .

(British Museum No. 574; Breasted, A. R., Vol. I, Par. 608.)

وهو خادم الفرعون المقرّب لديه ، (سكرتير) ملابسه . فيقص علينا : "لقد وضعنى الفرعون عند قدميه وأنا صبى ، وكان اسمى يُتحدّث عنه قبل أقرانى ، وكان جلالته يحبنى ، ويظهر دهشته لعملى الطيب ، وكنت أمدح كل يوم أكثر من اليوم السابق ،

وكنت موضع ثقة الملك الحقيقية، وكان جلالته يقبل تزلفاتى، وعند ما كان موظفو (البلاط) يصطفون فى أماكنهم (حسب درجاتهم) كانت مكانتى أمامهم ... وكنت كاهن تاج الجنوب وتاج الشمال، وكنت خادم الملابس الملكية، وملبسا «التاج الذى اسمه» «عظيم فى السحر»، وقابضا على التاج فى القصر، ... ولما أصبحت فى المقدّمة أمام جلالته كلفنى أن أقوم بالتفتيش على الكهنة، وأقضى على العمل الخبيث وأُحسّن حالة عملهم فى كل الأمور المقدّسة، وذهبت حسب أوامر «الملك» إلى «الفنتين»؛ وقدّمت خضوعى أمام إله الشلال «خنوم»، وعدت بالطريق الذى ذهبت منه، ورسوت عند «العرابة» حيث أقمت هذه اللوحة التى تحمل اسمى عند المكان الذى يسكن فيه «أوزير» أوّل أهل الغرب ورب الأبدية، وحاكم الغرب، والذى يطير إليه كل كائن لما فيه من فائدة فى وسط أتباع سيد الحياة، لأجل أن آكل رغيفه، وأخرج نهارا (من قبره)، ولأجل أن يتمتع روحى باحتفالات القوم الذين يتشفعون بقلوبهم إلى قبرى وبأيديهم إلى لوحتى، وذلك لأنى لم أفعل (شرا)، ولأجل أن يكون الإله عطوفا علىّ عند الحساب حينما أكون هناك فى (الآخرة)، وحتى يكون فى مقدورى أن أعمل بوصفى روحا فى الجبانة المنحوتة فى الصحراء، وحاكما للأبدية، وحتى يمكننى أن أحرك السكان وأتمكن من النزول فى القارب المقدّس «نشمت» وأشم الأرض (ألثمها) أمام الإله «وبوات» خنتمسميتى «المرحوم سيد الاحترام».

المبانى — لم نعثر حتى الآن على مبان عظيمة فى المدن الهامة مثل «تانيس» «وتل بسطة» لهذا الفرعون، ولكن وجدنا له بقايا من مبان فى مواقع ليست ذات شأن عظيم، ويظهر أنه كان أوّل من زينها بالمبانى، ففى «دهدمون» الواقعة بالقرب من «فاقوس» عثر على مذبح من الجرانيت باسمه، وجده عربى من سكان هذا المركز وبيع لمتحف الجيزة، وهو من الجرانيت الأحمر المخطط، جميل الصنع دقيقه،

(A. Z, Vol. 22, p. 2.) وكذلك عثر فى نفس الإقليم فى « نبيشة » على بقايا مذبح آخر من الجرانيت الأسود لهذا الفرعون ؛ غير أنه قد أضيف عليه كتابة هامة أخرى لحامل خاتم من عصر متأخر (Petrie, Tanis, Vol. II, Pl. IX, 1.) ، وكذلك عثر على عتبة باب فى « منف » باسمه (Petrie, "Memphis" II, p. 14, Pl. XXIII) مصنوعة من الجرانيت .

الإدارة — والظاهر أن هـذا الفرعون كان حازما فى إدارة شئون البـلاد الداخلية ، ومسيطرا على حكام الأقاليم الوراثيين ؛ فقد ذكر لنـا « خنوم حتب » ابن « نحرى » أمير مقاطعة الغزال فى نقوشه التى على قبره فى « بنى حسن » أن الملك « نب كاو رع » « أمنمحات الثانى » قد ولاه منصب والده فى السنة التاسعة عشرة من حكمه فى الجهـة المسماة « منعات خوفو » ، ثم يصف لنا بعد ذلك فى هـذه النقوش المؤسسات الدينيـة التى أقامها لوالده للاحتفال بالأعياد المختلفة ، وكذلك ذكر لنا أن ابنه قد رقى حاكم مقاطعة « ابن آوى » المتاخمة لمقاطعته ، وأن الفرعون قد عين الحدود بنفسه . وبهذه المناسبة نذكر أنه قد نقش على مقابر « بنى حسن » تاريخ أسرة أمراء مقاطعة الغزال ، ولا بدّ من أن نشير هنا إلى شجرة نسب هذه الأسرة العريقة بالنسبة لحكم هـذا الفرعون ، حتى يعلم القارئ كيف تغلغل نفـوذ الأمراء الوراثيين فى المقاطعات ، وأن عمل الملوك على نزع السلطة من أيديهم كان أمرا عسيرا يحتاج إلى نضال شديد مع حكمة وحزم .

ومؤسس هـذه الأسرة « خنـوم حتب » الذى لعب دورا فى تثبيت ملك « أمنمحات » الأوّل على عرش الملك ، (انظر سنوسرت الثانى) . وهاك سلسلة النسب وسنتكلم عنها فى حكم الملك « سنوسرت الثانى » .

خنوم حتب الأوّل
أمير منعات خوفو ومقاطعة الغزال

البنت بقت	نخت	أميني (أمنمحات)
تزوّجت نحـرى أمير بلدة حات سحتب أب رع (مقاطعة الأرنب)	١٩٧٩ — ١٩٦٣	١٩٦٣ — ١٩٣٨
	أمير منعات خوفو	أمير مقاطعة الغزال

خنوم حتب الثانى
أصـبح حاكما « لمنعات خوفو » منذ سنة ١٩١٩ وتزوّج من «ختى» بنت أمير مقاطعة « ابن آوى »

خنوم حتب الثالث	نخت
أمير منعات خوفو	أمير مقاطعة ابن آوى في سنة ١٩٠٠

وهذه النقوش فضلا عن أنها تمدّنا بالحقائق السالفة فإنها قد دوّنت لنا الأعمال الصالحات لبعض الأمراء، مبينة لنا كيف كانت تؤسس الأوقاف الجنازية المعتادة، وكيف كانت توضع القربان أمام تماثيل الأجداد اتقاء إقامة أعياد خاصة كما سبق شرحه عند الكلام على « زفاى حعبى » .

(Breasted, A. R., Vol. I, par. 619); Newberry, "Beni Hassan" Vol. I, Pls, XXV, XXVI . والواقع أن حكام المقاطعات كانوا فعـلا يعاملون

الأهلين معاملة حسنة كما سنرى ذلك حتى نالوا محبتهم ، وقد افتخر هؤلاء الأمراء بهذا إما بتدوينه كتابة أو بالمناظر التى كانوا يرسمونها على جدران مقابرهم ، فمن ذلك المنظر الذى خلد ذكرى الأمير « تحوتى حتب » حاكم مقاطعة « الأرنب » فى الأشمونين . وقد عاش هذا الأمير فى عهد كل من « أمنمحات » الثانى و «سنوسرت الثانى» «وسنوسرت الثالث» وسنتكلم عنه فى عهد هذا الأخير .

اشتراك سنوسرت الثانى فى الحكم — وبعد انقضاء ثلاث وثلاثين سنة على الفرعون « أمنمحات الثانى » فى الحكم أخذ يشعر بثقل السنين ، ويئن تحت عبء الشيخوخة ، ولذلك أشرك معه ابنه « سنوسرت الثانى » فى حكومة البلاد ، وكان يتراوح عمره بين الأربعين والخمسين ، وبذلك أصبحت السنة الثالثة والثلاثون من حكم « أمنمحات الثانى » تقابل السنة الأولى من حكم « سنوسرت الثانى » ؛ ويؤكد لنا ذلك نقش وجد على الصخر عند الشلال الأول على مسافة ميل بعد الخزان الحالى وهو : "عمل فى السنة الثالثة من حكم «سنوسرت الثانى» تعادل السنة الخامسة والثلاثين من حكم « أمنمحات الثانى » عند ما حضر الموظف « حابو » ليفحص تحصينات بلاد النوبة السفلية (De Morgan, Cat. Mon. 25 No. 178; L. D. II, 123,) ، وقد بقى «سنوسرت» يشاطر والده الحكم سبعة أعوام قضى بعدها الفرعون المسن نحبه بعد أن حكم البلاد نحوا من ثمانية وثلاثين سنة ، ويعزى «مانيتون» موته إلى مؤامرة قامت ضدّه ، وأن الذى قتله هم خدام قصره المقربون إليه ، ولكن من الجائز بل من المعقول أن « مانيتون » قد خلط بين «أمنمحات الأوّل» و «أمنمحات الثانى» بعد أن برهنا على أن الأوّل قد مات غيلة على يد حراسه وأن الملك الذى نحن بصدده الآن قد مات حتف أنفه استسلاما للشيخوخة وحدها .

هرم الملك أمنمحات الثانى — وقد دفن أمنمحات الثانى فى هرمه الذى أقامه فى نقطة منعزلة فى الصحراء على مسافة خمسة أميال جنوبى «سقارة» فى « دهشور» ، وعلى مسافة عشرة أميال شمالى « اللشت » حيث يوجد هرم والده ، وكان صلب

الهرم مبنيا من اللبن يغطيه كساء من الحجر الجيرى وأحيط بردهة مسوّرة ، وأطلق عليه اسم « خرب » وقد عرفنا ذلك عن لوحة لكاهن من كهنة الهرم نفسه (A. Z., Vol. XII, p. 112)

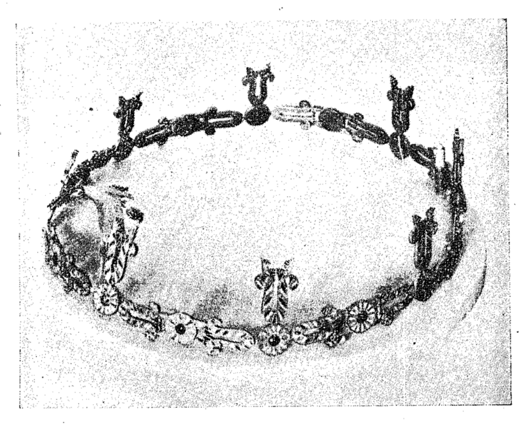
مقابر الأسرة الملكية ومحتوياتها — وقد وجد الهرم مخربا تماما منذ الأزمان القديمة ، ولكن قد عوّضنا عن ذلك بعض الشيء مقابر سيدات الأسرة المالكة التى أقيمت على مقربة من هذا الهرم ، وقد أخطأتها يد اللصوص الأقدمين ، غير أن اللصوص الأحداث قد تسربوا إليها ورغم ذلك فإن ما بقى منها يقدّم للعالم المتحضر تحفة فنية قديمة تعدّ من أهم ما عثر عليه حتى الآن فى تاريخ الفن القديم ، من حيث دقة الصنع وتناسب التركيب وحسن الذوق . ففى هذه البقعة عثر على مقبرة زوج الملك المسماة « كمى نب » (Keminub) ، وكذلك على مدافن أربع أميرات هنّ « إتا » (Ita) و « إتاورت » (Ita-wert) و «خنمت» و«سات حتحور مريت» . والواقع أن يد النهب قد امتدّت إلى كل مقبرة منها ولكن لم يتمكن اللصوص من نهبها تماما ، إذ قد أفلت من أيديهم مقدار عظيم من مجوهرات الأميرات . أما مقبرة الملكة « كمى نب » فقد نهبت كلها ولم يبق منها إلا قطع من التابوت . ووجد للأميرة «آتاورت» تابوت من الجرانيت الأحمر غاية فى دقة النحت ، وعثر فى حجرة الدفن على بعض مواد حمراء أرجوانية اللون حول الجسم ، وكذلك وجد معها أساور من ذهب وخرز من حجر صلب وطوق من ذهب وخرز ، والصولجان العادى ومقمعة (Mace) وقوس وزخمة وفأس ونماذج أخرى من الخشب المذهب ، ووجدت أوانى الأحشاء فى صندوقها ، ويكاد يشبه مدفن «سات حتحور مريت» هذا المدفن الأخير .

أما مقبرة « إتا »[1] فكان مدفنها غنيا إذ وجد فيه زيادة عن نظائره التى وجدت فى المقبرتين الأخيرتين خنجر ذهبى مقبضه من الذهب المرصع ، وكذلك أساور ذات

(1) De Morgan, "Dahchour", Vol. II, pp. 37, 75, 57..68.

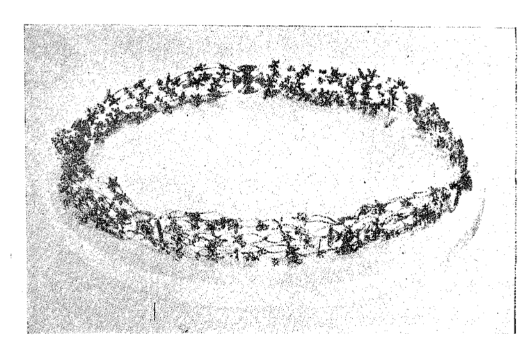
محابس من ذهب، وصقر من الكرنالين، وعلى الجسم وجدت زخرفة مؤلفة من قطع من الحجر وخرز ذهبي، هذا إلى نماذج آلات من النحاس واثنتان وثلاثون آنية من الفخار، ومجموعة من الأوانى الخاصة بالزيوت المقدّسة، ومجموعة الأوانى الأربعة الخاصة بالأحشاء ذات رءوس بشرية ثلاثة منها لها لحى والرابعة مرداء .

مجوهرات الملكة خنمت — أما مدفن « خنمت » فهو أغنى هذه المدافن جميعا، ويحتوى على أشياء مماثلة للأشياء التى وجدت فى مقبرة « إتا » إلى تاجين وجدا معا واحد منهما من الذهب الخالص المرصع بالأحجار نصف الكريمة،



شكل رقم ١٧ تاج الملكة « خنمت » من الذهب المرصع بالأحجار نصف الكريمة

والثانى مؤلف من أسلاك من الذهب محلى بزهيرات مرصعة بحجر الكرنالين، وهذا التاج يكاد يكون أحسن قطعة فنيسة وصل فيها الصائغ المصرى إلى محاكاة الطبيعة قدّمها لنا الفن القديم ، ومن المدهش أنه كشف فى هذه المقبرة حلى رائع أجنبى

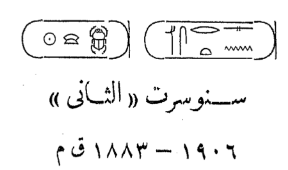


شكل ١٨ تاج الملكة «خنمت» من الذهب محلى بزهيرات

الصنع على شكل نجوم ودوائر صغيرة مقسمة، ومع هذا عثر كذلك على أقراص من الزجاج المنمق تمثل عجلا، ولا نعلم حتى الآن على وجه التأكيد من أى جهة أجنبية جاءت إلى مصر هذه الصناعة الدقيقة . هذا ويرجح بعض علماء الآثار أنها صناعة متأثرة بالفن «الكريتى» الذى كان قد بدأ يزدهر فى هذا العصر . وسنرى فى حكم خالف هذا الفرعون أنه عثر على كنز آخر من المجوهرات للأميرة «سات حتحور» عثر عليه السير «فلندرز بترى» عام ١٩١٤ فى «اللاهون» وتعتبر بعض قطعه أدق صنعا من التى كشف عنها فى عصر «أمنمحات الثانى» الذى نحن بصدده .

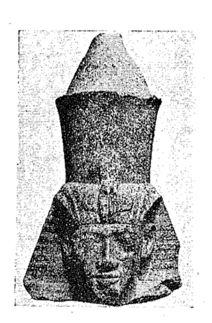
القيمة الفنية لمجوهرات الملكة خنمت — وبدهى عندما نشاهد مثل هذه الدقة الفنية فى وضع المجوهرات أن نعترف بأن المصرى الذى عاش فى عهد الدولة الوسطى أى منذ ٤٠٠٠ سنة خلت تقريبا قد صعد فى بعض نواحى حياته فى مدارج الرقى والمدنية حتى وصل إلى ما وصل إليه رجل القرن العشرين من حيث الإنتاج الفنى الذى ينم عن حسن الذوق . وفى الحق إذا كان منتهى الذوق السليم يعبر عنه بالجمال والمهارة، ويظهر فى المقدرة على التأليف الرائع بين الشكل واللون

محاكاة للطبيعة ، وإذا كان هذا هو المعيار والمحك للثقافة العالية التى بلغتها الأمة ، فإن كثيرا من ثقافتنا الحاضرة يتضاءل عند ما يقرن بثقافة المجتمع الذى كان ينتج صناعة مثل مجوهرات «دهشور» ، وهو ذاك المجتمع الذى كان يضم بين جنبيه مفتنين وصناعا يخرجون للعالم مثل هذه التحف المنقطعة النظير، ولا نكون مغالين إذا قلنا إذا إن مجوهرات «دهشور» لشاهد عدل على وجود مجتمع لا يقل عن مجتمعنا الحالى إن لم يكن أرقى منه فى الذوق الفنى ، يضاف إلى ذلك أن أحواله المعيشية كانت تجمع بين الثقافة والرخاء والرشاقة والتهذيب إلى درجة لم تصل إلى مثلها مصر إلا نادرا فى أى عصر آخر من عصور حضارتها .



سنوسرت « الثانى »

١٩٠٦ — ١٨٨٣ ق م



شكل رقم ١٩ (سنوسرت الثانى)

تولى الملك بعد « أمنمحات الثانى » ابنـه « سنوسرت الثانى » الملقب باسم « خع خبر رع » بعـد أن اشـترك معه فى الحكم حوالى سـبعة أعوام، وقد ذكر « مانيتون » أنه من أطول الملوك الذين جلسوا على عرش الملك قامة، فكان طوله حسب قول « مانيتون »، نقلا عن « يوسبيوس » (Eusebius) أربعة أذرع وثلاثة أشـبار وأصبعين أى نحو ستة أقدام . أما مدّة حكمه للبلاد فكانت قصيرة، إذ لم يمكث على العرش أكثر من تسع عشرة سنة بما فيها سبعة الأعوام التى اشترك فيها مع والده .

اضطراب الأحوال فى بلاد النوبة — والظاهر أنه لم يكن ميـالا للحروب، ومن المحتمـل أن بلاد النوبة أخذت تفلت من يده بعض الشىء ، وقد كان الملوك الذين سبقوه توغلوا بجيوشهم فيها إلى الشلال الثالث كما ذكرنا، وجعلوها إقليما مصريا . ولكن شـواهد الأحـوال تدل على أنه فى خلال حكم « أمنمحات الثانى » المشترك مع ابنه أخذ نفوذ المصريين يتناقص حتى أن القبائل النوبية هدّدت البلاد المصرية نفسها بالغزو، وقد عثرنا على بعض نقوش ربما كانت تشير إلى ذلك من بعيد . ففى (الكاب) وجدت لوحة مؤرّخة بالسنة الرابعة والأربعين من حكم « أمنمحات الثالث » لجـدّه « سنوسرت الثـانى » يقول فيها : "أمر جلالته ببناء حصار داخل سور «سشموتاوى» المرحوم" . وهذا الاسم هو اللقب «الحورى» للفرعون «سنوسرت الثانى» ، وأنه من الصعب أن نعرف السبب الذى من أجله أقام «سنوسرت» سورا فى هذا المكان طوله نحو ٨٠ كيلومترا شمالى الشلال الأوّل فى زمن كانت البلاد فيه غاية فى الهدوء والسكينة والاتحاد، اللهم إلا إذا كان هناك خطر يهدّدها من الجنوب . يضاف إلى ذلك أنه كان يوجد فى بلاد النوبة العليـا وفى الصعيد استحكامات وحصون يرجع تاريخها إلى هذا العهد وهى «خشتامنة» و « كوبان» و «عنيبة»، ولدينا من الأدلة ما يثبت أن هذه الاستحكامات كانت موضع عناية فى عهد هـذا الملك، وقد كان ظاهرا أنه يحتمل حدوث اضطرابات فى بلاد النوبة وأن القبائل السود كانت تهدّد التخوم المصرية .

لوحة « حابو » وأهميتها — وكان المشرف على تفتيش الحصون فى عهـد « سنوسرت الثـانى » وهو مشترك فى الحكم مع والده موظفا يدعى « حابـو » ، وقد ترك لنا نقشا ذهب معظم معالمه على صخرة فى «أسوان» وعليه اسم «أمنمحات الثانى» محبوب الإلهة «ساتت» ربة «الفنتين» ، واسم «سنوسرت الثانى» محبوب الإله « خنوم » رب منطقة الشلال ، وقد جاء فيه ما يأتى : ”عمل فى السنة الثالثة من حكم جلالة « حور » « سشموتاوى »(سنوسرت الثانى) وذلك يقابل السنة الخامسة والثلاثين من حكم جلالة «حور حكن إم ماعت» (أمنمحات الثانى) حضر «حابو» ... لأجل أن يفتش على حصون «واوات» (Weigall, "Guide", p. 411.)

ورغم ضآلة هذه المعلومات فإنها تفسر لنا السبب الذى من أجله قام « سنوسرت» الثالث على أثر توليته الملك بحملة على بلاد النوبة ، ولا يمكن أنهـا قد قامت بفأة لمحاربتـه ، بل لا بدّ أنّ قبضـة « سنوسرت الثانى » على تلك الجهات كانت قد أخذت تنحل شيئا فشيئا حتى قامت دفعة واحدة بالثورة والعصيان ضدّ خلفه .

نشاط « سنوسرت الثانى » — وتدل الآثار الباقيـة على أن نشاط هـذا الفرعون الذى ورثه عن آبائه كان ظاهرا فى عدّة جهات مثل «هيراكليو بوليس» ، فقد عثر على كثل من معبد أقامه هذا الفرعون (Naville, "Ahnas", I.) ، وقد عثر على لوحة فى وادى « جاسوس » لمدير خزانة الإله المسمى « خنوم حتب » يذكر فيها أنه قام ببعثة إلى أرض الإله « بنت » (Birch, "Alnwick" 269 Pl. IV) .

وعثر له فى «الكرنك» على رأس من الجرانيت الأحمر (Legrain, "Statues" No. 42010) ، وفى «هيراكنبوليس» وجدله تمثال ، (Rec. Trav. Vol. X, p. 139) ، وقد عثر له كذلك على تمثال صغير فى «سرابة الخادم» وهى مركز المناجم فى شبه جزيرة «سينا» (Gardiner and Peet, "Sinai" p. 79) ؛ أما فى «وادى الحمامات» وهو المكان الذى يستخرج منه حجر البرشيا ، فقد عثر على نقش ذكر فيه اسم هذا الفرعون (Couyat et Montet "Hammamat", 104) وفى «القصير» على البحر الأحمر

وهى الميناء التى كانت تقلع منها السفن الذاهبة إلى بلاد « بنت » ، (A. Z. XX, 204) وفى بلدة « الرقة » عثر على قطعة حلى تحمل اسم هذا الفرعون (Riqqeh and Memphis, Pl. 1.) ، وتوجد عدّة أسطوانات وجعارين باسم هذا الفرعون ، وقد كشف عن عشرة منها فى بلدة « اللاهون » وحدها ، وفى « أسوان » عثر على لوحة جميلة لشريف محلى يسمى « منتوحتب » ، وقد أرّخت بحكم « سنوسرت الثانى » (L. D.. Vol. II, Pl. 123 d) ، وكذلك أرّخ قبر « سرنبوت » وتمثاله المصنوع من الجرانيت الأسود بعهد هذا الفرعون (Budge, ''Sculpture'', p. 157) ؛ وكان والد هذا الأمير اسمه « أمنمحات » تيمنا باسم « أمنمحات الثانى » (Rec. Trav. Vol. X, p. 189) ؛ ويوجد الآن فى « برلين » تمثال مقدّم من موظف اسمه « سر » ويعزى إلى حكم هذا الفرعون (Wiedemann, ''Geschichte'', p. 250)

الملكة « نفرت » زوجة « سنوسرت الثانى » — وتزوّج « سنوسرت الثانى » من سيدة كانت شهرتها تفوق جمالها ، إذا كان تمثالها الذى عثر عليه فى « تانيس » صورة حقيقية لها ، والنقوش التى على عرش التمثال هى ! الأميرة الوراثية ، والحظية العظيمة ، والممدوحة كثيرا ، والزوجة الملكية ، وحاكمة النساء ، و بنت الملك من جوفه ، « نفرت » (ومعنى اسمها الجميلة وربما سميت بهذا الاسم رغبة فى أن يغطى اسمها على قبح منظرها) ، ومن ذلك نعلم أن الملكة نفسها كان لها حق ولاية الملك ، وذلك ما يفسره ذلك اللقب غير العادى « حاكمة النساء » الذى أعطيته ، وقد اتخذ هذا الفرعون عادة غريبة فى بابها فى نظرنا ، و إن كانت طبيعية وعادية عند الأسرة المالكة :

تلك هى عادة تزوّج الملك من أخته ، ولا شك فى أن مثل هذا العمل كان يقوّى مركزه على عرش البلاد ، ومن المدهش أن مثل هذه الرابطة لم تنتج العواقب الوخيمة التى تنجم من العلاقات الجنسية بين الأقارب من هذا النوع ، بل على العكس نجد أن فراعنة هذه الأسرة كانوا أشدّاء أقوياء الجسم .

وهذه الملكة نفسها على ما يظهر، وبنتها «حتشبسوت» قد ذكرتا على لوحة جنازية لموظف اسمه « إى » وهو يخبرنا أن زوجته كانت الأميرة «حتشبسوت» بنت الملكة « نفرت » المرحومة (Lange and Schafer, "Grab und Denkstein", No. 20394) ، وكذلك نجد ذكر الملكة «نفرت» وأختين أخريين إحداهما تسمى « نفرت » والثانية « إتاكايت » على بردية من اللاهون . (A. Z. Vol. XXXVIII, p. 91)

منظر العامو الوافدين إلى مصر بالجزية وما قيل عنهم — وقد تمتعت مصر فى أيامه بالرخاء والثروة والسعادة مما جلب إليها المهاجرين الساميين من الصحراء، وكذلك أهل البلاد الأخرى التى تجاورها ، ولا أدل على ذلك من المنظر الذى نشاهده على مقبرة « خنوم حتب الثانى »[١] سالف الذكر، ويرجع تاريخه الى السنة السادسة من حكم الفرعون « سنوسرت الثانى » فنشاهد « خنوم حتب » يستقبل جماعة من « العامو » سكان الصحراء الشرقية ويبلغ عددهم سبعة وثلاثين محملين بالجزية من الكحل ، وأشكال هؤلاء الأجانب وزيهم على جانب عظيم من الأهمية، إذ تصور لنا نوع المدنية المنتشرة فى المناطق التى بين مصر و «مسوبوتاميا» (ما بين النهرين) ، فيشاهد فى هذا المنظر أن الكاتب الملكى « نفرحتب » الذى يقدّم هذه الجماعة يحمل لوحة مكتوبا عليها السنة السادسة من عهد جلالة الملك «حور» مرشد الأرضين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خع خبر رع » ، وعدد « العامو » الذين أحضرهم ابن الأمير « خنوم حتب » لإحضار الكحل، سبعة وثلاثون رجلا .

ثم يأتى بعد ذلك « خيتى » رئيس الصيادين وخلفه هؤلاء الأجانب يتقدمهم رئيسهم ومعه غزال أليف واسم هذا الرئيس « أباشا » ويحمل لقب «حقاخاست»[٢]

---

(1) Newberry, "Beni Hassan", Vol. I, Pl. XXVIII; Breasted, A. R, Vol. I, Par. 619. ff.

(٢) ومعناها « حاكم البلاد الأجنبية ».

وهو الاسم الذى حرف فيا بعد الى لفظة « هكسوس »، وهم القوم الذين غزوا البلاد بعد سقوط الدولة الوسطى. ويلاحظ أن هؤلاء القوم يرتدون ملابس ثمينة ملونة بالألوان الجميلة الزاهية، مما يدل على أنهم لم يكونوا مجرد بدو مرتدين الجلود، بل على العكس كانت ملابسهم المزركشة تذكرنا بالرسوم والزخارف التى نشاهدها على السجاد العجمى، ولا نكون مغالين إذا قلنا إنهم أتوا من بلاد أكثر خصبا من الصحراء القاحلة الممتدة على سواحل البحر الأحمر، ولا مشاحة فى أن وجوه هؤلاء القوم تمثل الجنس السامى وبخاصة رئيسهم.

ومن الطريف أن هذه الصورة عندما كشفت، ظنّ بعض العلماء أنها تمثل دخول « يعقوب » وأولاده مصر، أو دخول سيدنا « إبراهيم » وأسرته؛ لأنهم لم يعرفوا أى الرئيسين كان ممثلا على هذه اللوحة، ولكن عدد من كان على اللوحة لا يتفق عدده مع أسرة سيدنا «يعقوب» ولا مع أسرة سيدنا «إبراهيم». والواقع أن هذه الصورة ليس لها أى علاقة بحوادث التوراة مطلقا، غير أنها تمثل لنا الحقيقة الواقعة، وهى أن مثل هذه الزيارات التى كان يقوم بها الأسيويون قد حدثت فى العصر الذى نحن بصدده، وأنه ليس هناك أى اعتراض على ما جاء فى قصة التوراة، وأنه يحتمل جدّا مجىء سيدنا « يعقوب » وسيدنا «إبراهيم» الى مصر كما ذكرنا من قبل. وقد عثر على صورة تمثل هذه الصورة على جعران، وتصوّر لنا حارسا لمائة وعشرة من العامو (البدو) (Petrie, "Scarabs", XV. A. C)

علاقة مصر بجزيرة « كريت » فى ذلك العصر — وهناك آثار أخرى تثبت أن مصر كانت متصلة فى مدنيتها ببلاد أخرى فى ذلك العهد عن طريق التجارة وتبادل السلع، إذ عثر على قطع من الفخار الملون بألوان مختلفة فى خرائب بلدة « اللاهون » (عند مدخل الفيوم) أى فى المنطقة التى كان يقيم فيها العمال الذين بنوا هرم « سنوسرت الثانى » كما سنرى بعد. وصناعة هذا الفخار ليست مصرية بل تنسب إلى العصر «المنوانى» الثانى بجزيرة «كريت» وهذا العصر يتفق فى تاريخه

تماما مع تاريخ الأسرة الثانية عشرة ، ونحن نعـلم أنه كانت هناك علاقات بين مصر و « كريت » قبل العصر الذى نحن بصدده ، إذ أن الأشكال الحلزونية التى انتشرت على الجعـارين المصرية فى عهـد « سنوسرت » الأوّل ترجع فى أصلها إلى المدنية « الإيجيـة » ، وكذلك يحتمل أن صـناعة طلاء الخزف قد نقلت من مصر إلى « كريت » فى عصر قبل ذلك بكثير . يضاف إلى ذلك أن أشـكال الأوانى الحجرية التى ترجع إلى العصر «الكريتى» الأوّل يظهر أنها غالبا مقلدة من أشكال الأوانى التى كانت تصنع فى مصر فى عهد الأسرة السادسة وما قبلها .

نقوش «خنوم حتب الثانى» — على أن أهم نقوش عثر عليها فى عصر هذا الفرعون هى نقوش « خنوم حتب » الثانى ، وهو كما نعلم أحد أفراد الأسرة العظيمة التى حكمت مقاطعة الغزال عدّة أجيال ، وكان لها شأن عظيم فى تاريخ الأسرة الثانية عشرة فقد كان مثلها كمثل أسرة « خيتى » حكام مقاطعة «سيوط» خلال الأسرة العاشرة الإهناسية التى سبق ذكرها — وقد بدأ نجم هذه الأسرة العظيمة فى الصعود فى «بنى حسن» فى بداية حكم « أمنمحات الأوّل » الذى نصب جد « خنوم حتب الثانى » وهو « خنوم حتب الأوّل » حاكما لجهة « منعات خوفو » ، وهو إقليم من مقاطعة الغزال ، ثم انتهى الأمر بأن جعـله حاكما للمقاطعة كلها ، و « خنوم حتب الأوّل » هو الذى شاهدناه مرافقا للفرعون « أمنمحات الأوّل» فى بعثته المؤلفة من عشرين سفينة ، وقد استمر هـذا العطف الفرعونى فى عهد « سنوسرت » الذى نصب ابنى « خنوم حتب الأوّل » وهما «نخت» و « أمنمحات» لإدارة إقليم « منعات خوفو» ومقاطعة الغـزال بالتوالى . ثم تزوّجت « بقت » بنت « خنـوم حتب » موظفا كبيرا من رجال البلاط اسمه « نحرى » ، وكان وقتئذ حاكما لمقاطعة الأرنب وتقع جنوب مقاطعة الغزال مباشرة . وقد أنجبت « بقت » هذه «خنوم حتب الثانى » الذى سنتكلم عنه الآن ، وهو الذى تولى حكومة « منعات خوفو » بعـد وفاة خاله «نخت» ، وكان ذلك فى السنة التاسعة عشرة من حكم «أمنمحات الثانى» ، ولما كان

« خنوم حتب الثانى » هذا طموحا و يريد أن يجمع بقدر ما يستطيع فى يده السلطة يزوج من السيدة «خيتى» وارثة مقاطعة «ابن آوى» التى تقع فى شمال مقاطعة الغزال مباشرة و بذلك ضمن لبكر أولاده « نخت الثانى » وظيفة حاكم مقاطعة « ابن آوى » (سيوط) بحق الوراثة من جهة أمه، على حين أن ابنه الثانى «خنوم حتب الثالث» ورث والده فى إقليم « منعات خوفو » . وتوارث هذه الأسرة لهذا الاقليم يظهر لنا ما كان عليه حكام الأقاليم من السلطة رغم قوة ملوك الأسرة الثانية عشرة ، إذ كان حكم الإقطاع متأصلا فى هـذه الجهة بخاصة دون جهات القطر الأخرى، و ربما يعزى ذلك لولاء هذه الأسرة لفراعنة البلاد مدّة محنتهم ولذلك تساهلوا معهم .

وقد كان « خنوم حتب » نفسه المثل الأعلى للموظف المهذب مادام قابضا على وظيفته ، وقد قص علينا قصـة أسرته وكيف تدرّجت فى جمع الوظائف المختلفة فى يدها ، وقد بدأ هذا بتعيين جدّه وسميه . وهو يخبرنا أن أجداده نالوا وظائفهم بفضل مالهم من المزايا ، كما أنه حصل على مركزه بصفاته ومزاياه العظيمة، وكذلك نال ابنه النجاح بما له من عظيم الصفات .

وما عليـك إلا أن تصغى لما يقوله بطلاقـة عن فضائل ابنـه الأصغر «خنوم حتب الثالث» وما امتاز به من الخصال الحميدة : "أمير آخر عين مستشارا، وهو السمير الوحيد، والعظيم بين السمار، والذى يقدّم هدايا كثيرة للقصر، والسمير الوحيد، وليس هناك من يفوقه فى فضائله، وهو الذى يصغى إليـه الموظفون ، والفم الفـريد، والذى يخرس الأفـواه الأخرى، والذى يجلب الفائدة لمالكها، حارس على باب الأراضى المرتفعة « خنوم حتب » بن « خنوم حتب » «نحرى» الذى انجبته السيدة « ختى » " .

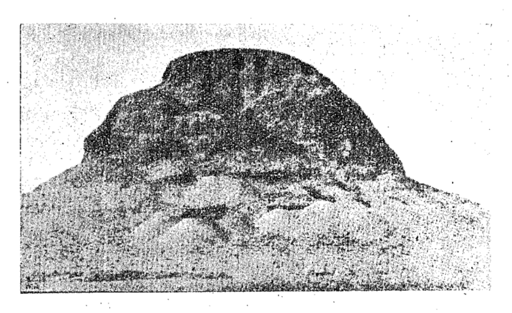
و يعتبر « خنوم حتب » أن أفضل ما قام به هو الأعمال الصالحة التى قدمها لآبائه و بخاصة بناء مقابرهم »، إذ إليهم يرجع الفضل فى كل ما يتمتع به من راحة وثروة، فيقول : " لقـد أحييت أسماء آبائى التى وجدتها قد انمحت على الأبواب،

وجعلتها تقرأ شكلا مع الدقة فى كتابتها، فلم أضع اسما بدل اسم آخر. وفى الحق إن الذى يعيد أسماء أجداده لولد ممتاز. ابن « نحرى » « خنوم حتب » المرحوم والمحترم. وقد كان أعظم شرف لى أن نحت لنفسى قبرا فى الصخر، لأنه من واجب الرجل أن يقلد ما يفعله والده". وبالاختصار تدل نقوشه على أن معظم همه كان منصرفا فى مقاطعته لتفخيم نفســه وأسرته وترك الشعب ظهـريا، ولذلك لم نره يذكر أنه أطعم الجائع أو كسا العريان وغير ذلك مما نقرؤه من أعمال حكام العصر الآخرين، ولكن بدلا من ذلك نسمع منه " أعمال الحاكم « خنوم حتب » العظيمة. لقد أقمت أثرا فى وسط مدينتى فبنيت قاعة أعمدة وجدتها مخربة، فأقمت فيها أعمدة جديدة منحوتا عليهـا اسمى، وخلدت اسم والدى عليهـا، ودونت أعمالى على كل أثر... وكنت عظيما فى آثارى، وعلمت « فى المدارس » كل حرفة أهملت فى هذه المدينة لأجل أن يبقى اسمى ممتازا فى دقة صنعه على كل أثر شيدته ".

ولا نزاع فى أن «خنوم حتب» كان حاكما طيبا إلى حدّ عظيم، وأنه سهر على مصالح قومه كما فعــل الحكام الذين ســبقوه، وملئوا الدنيا صياحا بجليل أعمالهم، ولكن من جهة أخرى كان أكثر منهم صراحة وأمانة عند ماذكر لأخلافه ما يعتقده غيره ويخفــونه فى قرارات نفوسهم، ولذلك كانت تنقصهم الشجاعة والصراحة لإفشائه ــ وهو أن باقى الجنس البشرى لم يوجد إلا لفخاره وفخار أسرته، وتلك هى حال الملوك فى كل زمان ومكان.

بعوثه إلى الصحراء النوبية الغربية ــ وقد أظهر «سنوسرت» نشاطه فى جلب الأحجار الصلبة من محاجر الديوريت الواقعة فى الصحراء النوبة الغربية، وهى التى كشف عنها حديثا كما أسلفنا، وقـد عثر على لوحة من عصره تحدّثنا عن بعثة فى عهده قام بها موظف كبير يدعى « أمينى » ويحمل لقب مدير هيئة الموظفين ولقب كاهن «سم» وهو من أكبر ألقاب الكهنة، والظاهر أنها أرسلت فى عام ٨ + س من حكمه، وقد نقش عليها صلاة للالهة «حتحور» سيدة «نخنت» (والظاهر

أن لفظة «نخنت» تطلق على اسم الحجر أو اسم المكان الذى كان يقطع منه الأحجار) ومن بين الأسماء التى ذكرت مع هـذه اللوحة موظف يدعى « حقا اب » بن «سنوسرت» ويحمل لقب المشرف على فرقة قطع الأحجار الأثرية ، وهذا اللقب نادر جداً فى الآثار المصرية ، وكذلك عثر على تمثال صغير منذور من الحجر الرملى نقش على صدره لقب « سنوسرت الثانى » (خع خبر رع) (A. S., Vol. XXXIII, p. 72)



شكل رقم ٢٠ (هرم سنوسرت الثانى)

هرم «سنوسرت» الثانى ومدينته — وقد بنى «سنوسرت» لنفسه هرماً سماه « خع » سنوسرت ، (المضىء) ومدينة مجاورة له تسمى «عنخ سنوسرت» (A. Z., Vol. 59, p.53) مما يعطينا فكرة تامة عن مدينة هذا الفرعون وعصره أكثر مما نعلمه عن غيره من ملوك الدولة الوسطى وسنشرح ذلك ببعض التفصيل فيما بعد .

وأقام « سنوسرت » هرمه فى اللاهون بالقرب من مدخل « الفيوم » ، ذلك الإقليم الذى كان موضع عناية فراعنة هذا العصر ولذلك لم يحد « سنوسرت » عن

(1) Petrie, "Illahun", Pl. II. pp. 1-4.

فكرة آبائه، وأقام هرمه عند مدخلها أى فى بقعة يمكن منها رؤية بلدة «الفيوم» من قمة هذا الهرم. وبناء الهرم نفسه غريب فى تركيبه إذ أنه أقامه فوق صخرة كبيرة أصلح بعض جوانبها ثم أكمل البنــاء بالأحجار واللبن، ثم كساه بالحجر الجيرى الأبيض مثل الأهرام الأخرى . والظاهر أن « سنوسرت الثانى » لاحظ أن أهرام من سبقه كانت فريسة للصوص ولذا نجده يجعل مدخل الهرم المؤدّى إلى حجرة الدفن فى الجهة الجنوبية تاركا بذلك نظام وضعه فى الجهة البحرية كما كان متبعا من قبل فى عهد الدولة القديمة . ثم يعمد بعد ذلك إلى إخفاء مكان الدخول إلى جوف الهرم بأن نحت كل الحجـرات الجنازية فى الصخر الصلد دون أن يترك فتحة يمكن الوصول اليها من بين الصخر والبناء .

وكان المدخل الرئيسى للهرم مغطى بأرضية مقــبرة إحدى الأميرات، وذلك احتراسا وتفاديا من اللصوص . أما المــدخل الثانوى فانه كان مخفيا تحت أرضــية ردهة الهرم . ورغم كل عناية «أنبو» المهندس الملكى، فان حجرة الدفن قد نهبت، ولا يزال تابوته المصنوع من الجرانيت باقيــا للآن آية فى دقــة الصنع . والأخطاء التى يمكن المؤاخذة عليها إذا كانت تسمى أخطاء فى تسطيح وجه التابوت واعتداله لا تتعدّى $\frac{1}{1000}$ من البوصة . وقد أقيم ناووس لعبادة الفرعون مستندا على الجدار الشرقى للهرم كما هى العادة، وكان هذا الناووس منحوتا وملونا تلوينا فخما، غير أنه قد مزقه شر ممزق بناء والمخرب العظيم «رعمسيس الثانى» الذى لم يتورع من ترك خرطوشه على الكتل التى تركتها يد التخريب والتكسير . (Naville, Ahnas el Medineh, I) وقد عثر على بعض أحجار هذا الهرم فى «إهناسية المدينة» مستعملة كرة أخرى وعليها اسم « رعمسيس الثانى » . وعلى مسافة ميل من شرقى هذا الهرم يقع معبده العظيم المسمى معبد الوادى محاذيا لمنتصف واجهته الشرقية، وفى غربى الهرم يقع المعبد الجنازى .

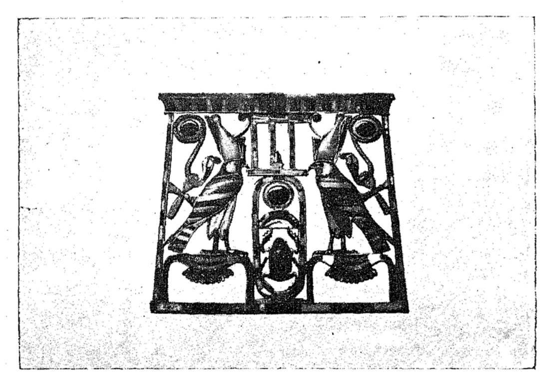
وصف مدينة سنوسرت الثانى — أما مدينة الهرم فإنها قد أقيمت بجوار معبد الوادى . وفى هذه البلدة عثر على الفخار « الكريتى سالف الذكر » ، وقد أطلق عليها الفرعون اسم « حتب سنوسرت » وهى الآن تسمى كاهون ، وقد محى جزء منها تماما غير أنها لا تزال تشغل نحو ثمانية عشر فدانا فيها أكثر من ألفى حجرة ، وقد نظفت كلها ونشر تخطيط شوارعها وبيوتها تماما (Petrie, "Illahun", Pl. XIV) ومن ذلك نعلم تفاصيل المنازل فى ذلك العصر سواء أكانت قصورا لعظماء الموظفين أم بيوتا للعمال . والأشياء التى وجدت فى بقايا هـذه المنازل تلقى ضوءا كثيرا على مدنية البلاد .

وقد عثر فيها على مجموعات من أوراق البردى تعد من أهم ما عثر عليه فى تاريخ هذا العصر إذ أنها تبحث فى موضوعات شتى كالطب والقضاء الخ .

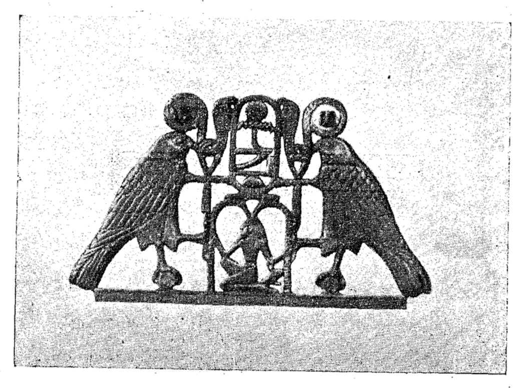
(A. *Z.* XXXII, 91, 96)

مقبرة الأميرة «سات حتحور أنت» ومحتوياتها

وفى الجهة الجنوبية من هرم «سنوسرت» عثر على أربع مقابر لأعضاء البيت المـالك ، وقد خربت ونهبت جميعها إلا مقـبرة الأمـيرة « سات حتحور أنت » (Brunton, "Lahun, The Treasure") فان إحدى حجراتها الصغيرة قـد أخطأها اللصوص . وعند ما كشف مستر (برنتن) عن هذه المقبرة فى عام ١٩١٤ عثر على محتويات هـذه الحجرة ، وهى مصوغات ملكية أقل كمية من كنز دهشور ، ولكن نوعها لا يقل عن سابقتها جودة وإتقانا ، بل وجد فيها بعض قطع تفـوق قطع كنز «دهشور» فى جمالها ودقة صنعها . وأهم هذه المجوهرات تاج الملكة محلى بالرسوم والأشكال الرائعة يعدّ أحسن مثال معروف يبرهن على نبوغ المصرى ومهارته فى هذا النوع من العمل ، وكذلك وجدت صدريتان واحدة «لسنوسرت» الثانى (شكل ٢١) وهو والد هذه الأميرة والأخرى «لأمنمحات الثالث» (شكل ٢٢) الذى تزوّجت منه .



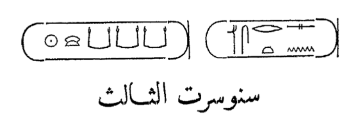
شـــكل ٢١ (صدرية سنوسرت الثانى)



شـــكل ٢٢ (صدرية أمنمحات الثالث)

ووجد من بينها أيضا أحزمة ، وأساور وخلاخيل ومرآة من الفضة مرصعة بحجر الأبسدين والذهب ، وهذه الصدريات تظهر لنا بوضوح الانحطاط التدريجى فى الذوق بين عصر « سنوسرت الثانى » وعصر أمنمحات الثالث . وكل منهما جميل ، غير أن صناعة الأولى تجذب النظر إليها أكثر من الثانية ، وإن كانت تعدّ غاية فى الدقة إذا امتحنت على حدة ، ولكن إذا قيست بالصدرية الثانية ظهرت خشنة فى صناعتها بجانب الأولى التى يظهر فيها العناية والأناقة فى الصنع .

وقد كان من حظ « فلندرز بترى » أن عثر أثناء الحفر فى عام ١٩٢٠ — ١٩٢١ فى هرم « سنوسرت الثانى » على قطعة من تاج الفرعون العظيم وهذه القطعة تعدّ فريدة فى نوعها ، إذ كل ما عثر عليه للآن صور للتاج المزدوج وغيره . أما التاج نفسه فلم يعثر على مثال واحد منه للآن . وهذه القطعة هى الصل (الثعبان) الذى يحلى جبهة الفرعون ، وهذا الصل مرصع بالأحجار نصف الكريمة . ومن المدهش أنه لم يعثر إلى الآن على تاج كامل لأى فرعون حتى ولا فى آثار « توت عنخ آمون » نفسه ، وستبقى الآثار المصرية التى كشفت خالية من تاج فرعون حقيق إلى أن يجود جوف أرض مصر بما يسد هذا الفراغ . راجع (Petrie, "Illahun", and "Ancient Egypt," (1920) pp. 65, 74)



سنوسرت الثالث

١٨٨٧ — ١٨٤٩ ق م

مكانته فى التاريخ المصرى — يعدّ «سنوسرت الثالث» عند المصريين من أكبر الغزاة الذين قاموا بحروب طاحنة دفاعا عن حدود مصر من جهة الجنوب ضدّ السودان ، ومن جهة الشمال ضدّ الأسيويين . غير أن الحروب التى

قام بها جنوبا كانت شغله الشاغل طوال مدّة حياته، من أجل ذلك عدّه المصريون من أكبر غزاتهم، حتى أنهم ألهوه فيما بعد، وبقى اسمه تتناقله الأجيال ويذكرونه فى خرافاتهم باسم « سوزستريس » كما سنشير إلى ذلك فيما يأتى .



شكل ٢٣
الملك سنوسرت الثالث

الاستعداد لمحاربة النوبيين — وأول عمل قام به « سنوسرت » عند اعتلاء عرش الملك هو تأديب قبائل السود فى بلاد النوبة، وهم الذين كانوا فى حالة اضطراب وقلاقل فى عهد الفرعون السابق بل كانوا مصدر خوف فى داخل مصر نفسها، وكانت الشلالات أكبر عائق للقيام بالغزوات فى السودان لما تسببه من قطع المواصلات أو تعويقها .

فكان لزاما على الفرعون أن يكون لديه أسطول عظيم لنقل الجنود ولمدّهم بالغذاء والمهمات باستمرار . ومنذ خمسمائة عام من هذا التاريخ تغلب فراعنة الأسرة السادسة على هذه العقبة بحفر سلسلة ترع حفرها « ونى » لعوامل تجارية (راجع مصر القديمة الجزء الأول صفحة ٣٨٢)، ولكنها بعد هذا الزمن الطويل كانت قد

هدمت، ولم تعــد صالحة لمـا يتطلبه الموقف وقتها ، ولذلك رأى « سنوسرت » ضرورة حفر قناة عند الشلال الأوّل ليعبر فيها الى أعالى الشلال . وقــد لا يكون المقصود من ذلك حفر قناة بالمعنى الصحيح الذى نفهمه نحن الآن، بل قد يكون القصد تعميق الممــر الموجود الان شرقى جزيرة سهل [1] ، ليساعد على جر السفن فيــه بدون كبير عناء . وذلك بدلا من معارضــة التيار القوى فى الممر الغربى . وعلى أية حال فإن هــذه الترعة قد تم تعميقها فى بداية حكم هــذا الفرعون كما تخبرنا بذلك نقوش « سهل » . وفيها نشاهد «سنوسرت» واقفا أمام الالهة «عنقت» إحدى إلهات الشلال وأسفل هذه الصورة نقرأ : لقد صنعها أثرا للإلهة « عنقت » ربة النوبة، إذ شق لها ترعة تسمى « أجمل طرق خع كاورع » « سنوسرت الثالث » الحى الخالد، ولم نجد تاريخا لهذا النقش، ولكن لمــا كان من الضرورى أن تطهر هذه الترعة من الغرين فى السنة الثانية من حكم هذا الفرعون ليسير منها بحملته رجحنا أنها كانت موجودة منذ بضعة أعوام قبل ذلك العهد، ويمكننا أن نتصوّر بعد ذلك جيش الفرعون يمر فى هذه الترعة الجديدة فى السنة الثانية من حكمه لغزو بلاد أعدائه .

حفر ترعة الشلال من جديد استعدادا للحملة الثانية ـــ والظاهر أن الحملة الأولى لم تكن كافية لتصفية الموقف مع قبائل السود ، فأعاد الفرعون الكرّة بعد ثمانية أعوام، ولكنه وجد أن الترعة التى حفرها لم تعد صالحة لأن تعبرها السفن الحربية وسفن النقل فطهرها ثانية . وقد دوّن هذا العمل على صخور «سهل» فنرى الفرعون واقفا وعلى رأسه التاج المزدوج أمام الإلهة « ساتت » إلهة الشلال وتقدّم له رمز "الحياة" وخلفه رئيس بيت المــال ومدير الأشغال . ثم يلى ذلك النقوش كما يأتى :

السنة الثامنة من حكم جلالة ملك الوجهين القبــلى والبحرى « خع كاورع » « سنوسرت الثالث » عاش مخلدا . أمر جلالته أن تحفر الترعة من جديد واسمها

(1) Rec. Trav. Vol. XIII, p. 202; A. Z., XXXII, p. 63; Breasted, A. R., Vol. I, Par. 642-648).

أجمل « طرق خع كاورع » عاش الى الأبد ، وذلك عند ما سار جيشه إلى أعالى النهر ليهزم الكوش الخاسئين . وطول هـذه الترعة مائة وخمسون ذراعا وعرضها عشرون ذراعا وعمقها خمس عشرة ذراعا ، أى أن هـذا الممر كان كافيا لمـرور أية سفينة لمثل هذه البعثة . وقد حفرت الترعة هذه المرّة حفرا جيدا إذ بقيت مستعملة حوالى ثلثمائة أو أربعمائة سنة تقريبا بعد حفرها ، وقد طهرت فى عهد « تحتمس الأوّل » وكذلك فى عهد « تحتمس الثالث » عند ما قاما بالغزو فى هذه الجهات . وقد كان لزاما على صيادى السمك تطهيرها سنويا .

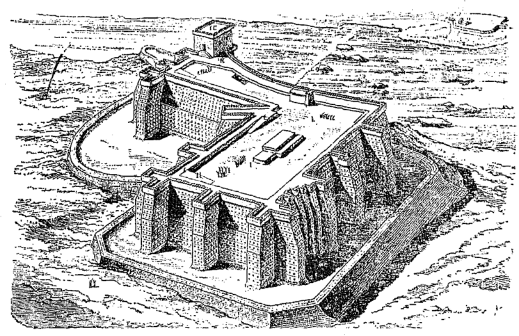
العناية بحصن «الفنتين» — وعند ما كان مارا نحو الجنوب وجه الفرعون عنايته إلى حصن الفنتين قاصدا بذلك تحسين مدخله ، وقد ترك لنا أحد الموظفين المحليين نقوشا تدل على إتمـام هذا العمـل الذى انتهى فى السـنة التالية " السـنة التاسعة ، الشهر الثالث من حكم جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى «خع كاورع» محبوب الإلهة « ساتت » سيدة « الفنتين » عاش مخلدا . أمر جلالته الى حاكم الجنوب «أمينى» ليقوم بعمل باب لحصن «الفنتين» وليعمل ... لأملاك الفرعون فى الجنوب ... ... عند ما سار سـيدى « له الصحة والعافية والسعادة » لهزم أهل « كوش » الخاسئين . (Breasted, A. R., Vol. 1, Par. 650)

نتائج الحملة الثانية — وقد كان من نتائج هـذه الحملة أن تقدّم المصريون فى زحفهم نحو سبعة وثلاثين ميلا جنوب «وادى حلفا» . ولكنهم كانوا لا يزالون بعيدين عن « كرمة » التى اتخذها «زفاى حعبى» مقرّا لحكم هذه الجهات فى عهد « سنوسرت الأوّل » بنحو مائتى ميـل . وكان الفـرعون « سنوسرت الثالث » مصمما على أن يحافظ على ما فتحه فأقام نصبا فى «سمنة» حيث أقام حصنا ليحافظ على حدود فتوحه الجديدة (L. D. II. Pl. 136 d-g.) : الحد الجنوبى الذى عمل فى السنة الثامنة فى عهـد جلالة ملك القطرين « خع كاورع » معطى الحيـاة أبد الآبدين ليمنع أى أسود أو أى قطيع من السود أن يتخطاه سواء أكان ذلك بطريق

النهر أو البحر ، بسفينة أو غيرها ، اللهم إلا إذا أتى أسود للتجارة فى « أيقن » (مكان مجهول) أو لأداء مهمة . وفى مثل هذه الحالة يعاملون معاملة حسنة (أى تعطى لهم كل التسهيلات) على شرط ألا يسمح لسفينة فيها سود أن تتخطى « حح » (سمنه) ذاهبة نحو الشمال أبدا .

الحملة الثالثة إلى بلاد النوبة — وبعد مضى أربعة أعوام على هذه الحملة فى بلاد «النوبة» قامت ثالثة ، أى فى السنة الثانية عشرة من حكم هذا الفرعون . غير أننا لم نعثر على نقوش تحدّثنا عما جرى فى خلالها إلا جملة نقشت على صخور «أسوان» ولم يذكر فيها إلا تاريخها واسم الفرعون والكلمات الآتية سار جلالته لهزم بلاد « كوش » (Petrie, "Season", XIII, 340) .

الحملة الرابعة إلى بلاد النوبة وإقامة لوحة الحدود المشهورة — والواقع أن بلاد « كوش » هذه قد تطلبت من الفرعون غزوات عدّة قبل أن تخضع وتذعن تماما للحكم المصرى ، إذ أنه بعد انقضاء أربعة أعوام على الحملة الأخيرة كان



شكل ٢٤ (قلعة سمنة عند آخر حدود جنوبية فى عهد سنوسرت الثالث)

«سنوسرت» يزحف بجيشه كرة أخرى، وفى هذه المرة أقام لوحة ثانية فى «سمنة» وأمر بإقامة صورة منها فى جزيرة « ورونارتى » وتقع تحت البلدة « سمـنة » مباشرة وتمتاز لوحة « ورونارتى » بأنها تعطينا بعض معلومات لم تدون على لوحة « سمنة » فبعد ذكر اسم الملك نقرأ : لوحة أقيمت فى السنة السادسة عشرة الشهر الثالث من الفصل الثانى عندما بنى الحصن المسمى « طرد النوبيين » (L. D. II. Pl. 136) .

الحصون التى أقامها هذا الفرعون — وهـذه اللوحة تؤرخ لنـا حصن « ورونارتى » ، ومن المحتمل أن الحصون الأخرى التى فى هـذه الجهة قد بنيت فى نفس الوقت . وأهمها هو حصن « سمنـة » كما كان يسميها المصريون (سمنـة التابعة للملك خع كاو رع) . وقد كانت قلعة عظيمة بنيت باللبن فى موقع حصين ، وقد زيد فى حصانتها الطبيعيـة بالتحصين الصناعى، وكانت تشرف على النهر الذى لا يزيد عرضه فى هذه الجهة عن أربعمائة متر. وفى الجهة الشرقية من النهر قبالة «سمنة» أقيمت قلعة أخرى صغيرة تعرف باسم « قمـة » (L. D., I. 111-112; Maspero, "L'Archelogie Egyptienne", p. p. 9, 29, 30) بنيت على قلعة طبعية فكان من الصعب مرور أى جيش فى النهـر من هذه الجهـة . وخرائب هاتين القلعتـين لا تزال باقيـة للآن ، غير أننـا لا يمكننا أن نتصور بالضبط ما كانتا عليه فى عهد « سنوسرت الثالث » .

آلهة بلاد «النوبة العليا» وتأليه «سنوسرت الثالث» — وكان فى كل من الحصنين معبد. ففى «سمنة» كان معبد الإله «ددون» وهو الإله المحلى لهذه الجهة وفى «قمة» معبـد للإله «خنوم» معبود شلال «إسوان» «والفنتين» ، وفى هذين المعبدين احتفل بعيد عظيم ابتهاجا بالانتصار على السود وكان يسمى «طرد السود» ، وكان يحتفل بعده بعيد آخر يسمى «شدّ وثاق المتوحشين» ، وفى خلاله كانت تقدّم القربان للملكة « مرسجـر » العظيمة زوجه الفرعون « سنوسرت الثـالث » وهذه الأعياد قد بقيت ذكراها إلى أزمان بعيدة حتى أن « تحتمس الثالث » عندما أعاد

بناء معبد سلفه بعد مضى ثلثمائة وسبعين سنة تقريبا ، أحيا الاحتفال بها مع أعياد أخرى ، يضاف إلى ذلك أنه ألّه الملك «سنوسرت» وجعله ثالث آلهة الحدود التى أسسها ولا نستغرب أن يصدر هـذا العمل الصالح من رجل عظيم مثل « تحتمس الثالث » الذى لم يحمل حقدا لأحد بخلاف « رعمسيس الثانى » الذى كان يغتصب كل شرف ليس له فيه أدنى نصيب ، ونجد فى معبد « أمادا » ببلاد النوبة أن الفرعون « تحتمس الثالث » كان يتعبد للإله سنوسرت الثالث (Weigall, "Lower Nubia", p. 104.) وفى معبد « الزيا » نراه كذلك يعبد ، ونرى «تحتمس الثالث» يتعبد إليه أيضا فى «بوهن» (وادى حلفا) ، (MacIver and Wooley, "Buhen", p. p. 41, 42) ولم تكن عبادة «سنوسرت الثالث» قاصرة على الملوك بل تعدّتهم إلى عامة الشعب إذ عـثر على نقش فى جهة «تشكه » شمـالى «أبو سمبل» على إحدى الصخور المطلة على النهر وهذا النقش يمثل منظر أسرة تتألف من رجل يدعى «سنبى» وزوجة وأولادهما وقـد أحضروا قربانا لصورة « حورمام » الذى مثـل جالسا ثم « سنوسرت الثالث » والإله « رشب » .

(Dunbar, "The Rock- pictures of Lower Nubia", p. p. 15, 16)

وتعدّ نقوش لوحة « سمنة » الثانية التى سجلت لنـا حملة السنة السادسة عشرة من أهم النقوش التى وصلت إلينا من هذا العصر ، (L. D., II.136) ولا تنحصر أهميتها فى أنها حدّدت لنـا « التخوم المصرية فى هذا العهد من جهة بلاد النوبة ، بل لأن جملها المنمقة تذكرنا بالخطب التى ذكرها « ديدور » ، والذى يقول عنها إنها كتبت على لوحة نقشها « سوزسـتريس » الخرافى تذكارا لفتـوحه . وتعدّ هـذه النقوش بحق من أهم ما تركه لنـا قدماء المصريين فى كل عصورهم ، إذ يتمثل لنـا فيها قوة إرادة هذا الفرعون وشدّة حرصه على مجد بلاده ، و إذكاؤه نار الغيرة فى نفوس أخلافه للمحافظة على فتوحاته ، والدفاع عن حدودها بالنفس والنفيس . وهاك ترجمتها حرفيا لتكون مثلا حيا لأبناء هذا الجيل من المصريين فى وقت أحوج ما تكون فيه البلاد لمثل هذه العظات الخالدة .

نص لوحة الحدود الخالدة — فى السنة السادسة عشرة فى الشهر الثالث من الفصل الثانى ، عند ما مدّ جلالته الحدود لغاية « حح » . (سمنة) . " لقد جعلت تخوم بلادى أبعد مما وصل إليه أجدادى ، ولقدزدت فى مساحة بلادى على ماورثته ، وإنى ملك يقول وينفذ ، وما يختلج فى صدرى تفعله يدى ، وإنى طموح إلى السيطرة ، وقوى لأحرز الفوز ، ولست بالرجل الذى يرضى لبه بالتقاعس عند ما يعتدى عليه ، أهاجم من يهاجمنى حسب ما تقتضيه الأحوال ؛ وإن الرجل الذى يركن إلى الدعة بعد الهجوم عليه يقوّى قلب العدوّ . والشجاعة هى مضاء العزيمة ، والجبن هو التخاذل ، وإن من يرتدّ وهو على الحدود جبان حقا ، ولما كان الأسود يحكم بكلمة تخرج من الفم ، فإن الجواب الحاسم يردعه ، وعند ما يكون الإنسان ماضى العزيمة فى وجهه (الأسود) فإنه يولى مدبرا ؛ أما إذا تخاذل أمامه فإنه يأخذ فى مهاجمته ، على أن السود ليسوا بقوم أشدّاء ولكنهم فقراء كسيرو القلب ، ولقد رآهم جلالتى ، وإنى لست بخاطئ فى تقديرى ، ولقد أسرت نساءهم ، وسقت رعاياهم ، واقتحمت آبارهم ، وذبحت ثيرانهم ، وحصدت زرعهم ؛ وأشعلت النار فيما تبقى منها ، وبحياتى وحياة والدى لم أنطق إلا صدقا ، دون أن تخرج من فمى فرية ، وكل ولد أنجبه ويحافظ على هذه الحدود التى وصل إليها جلالتى يكون ابنى ، وولد جلالتى ، وألحقه بنسبى ، وإن من يحافظ على تخوم الذى أنجبه ؛ يكون منتقما لأبيه حقا ، أما من يتخلى عنها ، ولا يحارب دفاعا عن سلامتها فليس ابنى ولم يولد من ظهرى ، والآن تأمل فإن جلالتى قد أمر بإقامة تمثال عند هذه الحدود التى وصل إليها جلالتى حتى تنبعث فيكم الشجاعة من أجلها ، وتحاربون للمحافظة عليها " .

وهذا الروح الحربى نشاهده فى الصور التى تنطق بها التماثيل العدّة التى تركها لنا هذا البطل العظيم ، وبخاصة تلك التماثيل التى كشف عنها فى ساحة معبد الملك « نب — حبت رع » بجوار الدير البحرى حيث أقامها لتكون تذكارا لسلفه العظيم وهذه التماثيل تصوّر لنا « سنوسرت الثالث » فى أطوار حياته الثلاثة المختلفة

الشباب — الكهولة — الشيوخة وكلها موجودة الآن بالمتحف البريطانى .
Naville, 11 th. Dyn. Temple, Vol. I., Pl. XIX; Vol. II, Pl. II.
وتلمح فى تمثال شيخوخته وجها ينم عن القوة الساحقة والعظمة والكبرياء التى يمتاز بها عظماء الفاتحين .

ذكرى انتصارات « سنوسرت » فى الأساطير وتسميته « سوزستريس » — ولقد كان لانتصارات « سنوسرت الثالث » هذه فى بلاد النوبة أثر عظيم فى تاريخها وعاش اسم « سنوسرت » محرفا باسم « سوزستريس » ومن ذلك نشأت خرافة « هردوت » عن « سوزستريس » إذ يقول لنا فيها . "هذا الملك كان حينئذ هو الفرعون الوحيد الذى حكم «أثيوبيا» (بلاد النوبة)"، وذلك طبعا لا ينطبق على الواقع ، ولكن من جهة أخرى يظهر لنا مقدار تأثير انتصارات « سنوسرت » فى هذه البلاد . ولا نعلم إذا كان هذا الفرعون قد حرّم عبادة تمثاله الذى أقامه عند الحدود أم لا ، ولكنا نعرف أن هذا التحريم ، إذا كان قد حدث فإنه نسخ بعد مدة قصيرة ، وأصبح « سنوسرت » يعد من بين الآلهة الذين كانوا يعدون أربابا لبلاد النوبة ، وقد رأينا فيما سبق أن عبادته أصبحت على قدم المساواة مع عبادة الإله « ددون » والإله « خنوم » فى قلعة « سمنة » فى عهد «تحتمس الثالث» ، ولما تولى «تاهرقا» الفرعون النوبى حكم البلاد بعد انقضاء ألف ومائتى سنة من حكم « سنوسرت » ، أعاد معبد « سمنة » وعبادة فاتح «النوبة» العظيم « سنوسرت الثالث » .

مارواه «هردوت» عن فتوح «سنوسرت الثالث» — وكذلك يقص علينا «هردوت» فى خرافة «سوزستريس» الخلابة ، كيف أن الكهنة أخبروه أن « سوزستريس » كان أول ملك أقلع بسفنه الحربية من خليج العرب ، وقهر الأمم التى تسكن على شاطئ البحر الأحمر ، ثم سار حتى وصل إلى بحر لا يمكن السياحة فيه ، لأن ماءه كان ضحضاحا ، (Herodotus, Book II, par. 102) ولما

عاد إلى مصر فيما بعد حسب ماترويه الكهنة ، جمع جيشا عظيما وسار به فى القارة مخضعا كل أمة تعترضه فى طريقه . وحينما كان يصادف قوما شجعانا متحمسين للدفاع عن حريتهم كان يقيم فى بلادهم عمودا عليه نقوش تدل على اسمهم واسم بلادهم ، وكيف أنه تغلب عليهم بالقوة . وفى مكان آخر يقول إنه بعد أن ترك تذكارات أقل شأنا فى البلاد التى كانت أقل شجاعة من السابقة ، عبر البحر إلى « أوربة » حيث قهر أهل « طراقية » وغيرها ؛ وهذا بلا نزاع حديث خرافة لأنه ليس هناك ملك مصرى قد قام بأعمال عظيمة مثل التى تعزى فى هذه الخرافة إلى «سوزستريس» ، ولكن الذى يلفت النظر هنا ، وربما كان فيه إشارة بعيدة إلى شىء من الصواب هو إقامة الأعمدة والنقوش التى عليها ، وهى التى تشير إلى شجاعة الأعداء الذين كان يحاربهم أو جبنهم . فإن هذا القول ربما كان فيه تلميح بعيد يذكرنا بلوحة « سمنة » ، وما فيها من جمل الاحتقار والازدراء الموجهة إلى أعدائه السود .

آخر حملاته إلى «السودان» — ورغم هزائم «سنوسرت» المتتالية للسود فإنهم قاموا فى وجهه كرة أخرى يظهر أنها كانت الأخيرة ، وكان قد مضى على إخضاعهم والخضد من شوكتهم ثلاث سنوات ، ولم تصلنا عن حملته الأخيرة معلومات شافية ، اللهم إلا نقشا لرئيس إدارة موظفيه الذى يدعى « سيسانت » وهى لوحة عثر عليها فى «العرابة المدفونة» وهى الآن فى متحف « جنيف » فيقول فيها : "حضرت إلى «العرابة» وبصحبتى كبير بيت المال «اخرنوفرت» لينحت (تمثالا) للإله «اوزير» رب «العرابة» عند ما كان ملك القطرين «خع كاورع» الحى المخلد سائرا ليهزم «الكوش» الخاسئين فى السنة التاسعة عشرة" .

آثاره — ومن ذلك نرى أن بلاد «النوبة» قد نالت الكثير من اهتمامه ؛ وقد وجد اسمه منقوشا فى «الفنتين» «وسهل» «وأمادا» و «تشكة» وكل هذه الأماكن شمال الشلال الثانى . أما جنوبه فقد وجدنا اسمه كذلك على معبد أقيم تكريما له فى «مرجرس» (J. E. A., (1916) p. 182. Mirgirsse) ويقع على الشاطئ الغربى من الشلال الثانى ،

ووجد اسمه على قطعة من لوحة فى قلعة «جزيرة الملك» (J. E. A. (1916) p. 181.) وتقـع على مسافة أربعة أميال شمالى « سمنة » .

والآن نعود إلى ماجاء فى خرافة « هيردوت » عن « سوزستريس » .

حملة البحر الأحمر — قد يكون للإشارة إلى الحمـلة البحرية الى البحـر الأحمـر ، نصيب من الصحة بالنسبة للفرعون « سـنوسرت الثالث » إذا اعتبرنا النقوش التى عثر عليها الأثرى « نافيـل » فى « تل بسـطة » (ومن الأسف أنها مؤرّخة وليس عليها اسم الملك الذى دوّنها) وفيها يصف حـملة هزم فيها السود ، ويشير فيها كذلك إلى بعض صعوبات بحرية عاقت السفن فى السـير نحو الجنوب لمشاهدة مرتفعات «حوا» ولكشف طرق الملاحة ... غير أنّ المؤرّخين قد اختلفوا فى عصر هـذه النقوش فيعزوها بعضهم إلى الأسرة الثانيـة عشرة ويعزوها البعض الآخر إلى الأسرة الثامنـة عشرة . والفريق الآخر يظن أن ذلك يشـير إلى حملة « أمنحوتب الثالث » فى بلاد « النوبة » .

حملته فى آسـيا — أما إشارة « هيردوت » لانتصارات « سوزستريس » فى آسيا فليس لدينا إلا مرجع واحد وهى الحملة التى قام بها « سنوسرت الثالث » فى فلسطين، وليس أمامنا عن هذه الحملة إلا وثيقة واحدة وهى لوحة «خوسبك»[1] التى عثر عليها فى العرابة المدفونة . وقد ذكر عليها أعماله العظيمة تحت قيادة سيده «سنوسرت الثالث» فيقول : "سار جلالته نحو الشمال ليهزم المنتيو «الأسيويين» وقد وصل جلالته عند مكان يدعى « سِكمم »، وكان جلالته يسلك الطريق المثلى إلى القصر (له الحيـاة والسعادة والصحة) عندما سقطت « سـكمم » ومعها أهل « رتنـو » الخاسئون ، وكنت وقتئذ أعمل حارسا ، وعندئذ اشتبك أتباع الجيش فى حرب مع «الأسيويين»، فأسرت أسيويا وسلمت أسلحته الى تابعين من أتباع

(1) Garstang, "El Arabah", Pl. V, p. p. 32, 33; Breasted, A. R. Vol. I, par. 676, f. f; Peet, "The Stele of Sebek-Khu," Manchester.

الجيش لأنى لم أول الأدبار فرارا من الحرب بل بقيت ووجهى إلى الأمام، ولم أول ظهرى للأسيويين، و إنى أقسم بحياة « سنوسرت » بأنى ماتكلمت إلا الصدق .

وعندئذ منحنى « سنوسرت » عصا من الذهب فى يدى ، وقوسا وخنجرا مذهبا هذا إلى أسلحة أسيرى " .

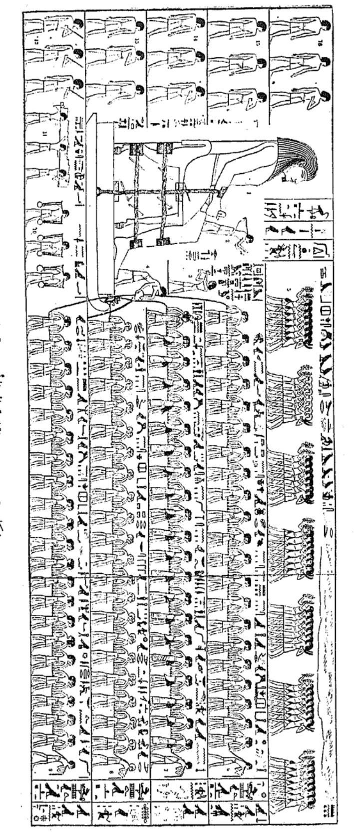
« خوسبك » يقص تاريخ حياته — وبعد أن قص علينا « خوسبك » أهم لحظة فى تاريخ حياته، أخذ يذكر لنا ألقابه وميلاده فى عهد «امنمحات الثانى» وعمله فى الجندية فيقول : " ظهر جلالة ملك القطرين « خع كاورع » المرحوم لابسا التاج المزدوج على عرش « حور » ، وأمر جلالته أن أشتغل جنديا خلف جلالته و بالقرب منه، ومعى ستة من رجال الحاشية، من أجل ذلك كنت بجانبه على استعداد، ثم أمر جلالته أن أعين حاجبا للفرعون، ووردت ستين رجلا عند ماسار جلالته نحو الجنوب ليهزم رجال قبائل النوبة، وهناك أسرت أسود فى ... بجوار المدينة التى كنت مرابطا فيها . و بعد ذلك اتجهت شمالا سائرا مع ستة من رجال الحاشية . ثم عيننى قائدا للأتباع وأعطانى مائة رجل مكافأة " .

العلاقات بين مصر وآسيا — وهذه الحملة التى لم نعرف عنها تفاصيل شافية، هى فى الواقع المثل الوحيد الذى فيه تدخل المصرى فى الشئون «السورية» خلال الأسرة الثانية عشرة . والظاهر أن العلاقة بين البلدين كانت علاقة مودّة وصفاء كما توضح لنا ذلك الهدايا التى كانت تأتى إلى مصر من هذه الجهات فى عهد أسلاف «سنوسرت» ومانفهمه من روح قصة «سنوهيت» ؛ إذ نجد أن السوريين كانوا يحترمون المصريين احتراما عظيما و يعجبون بالحكم المصرى والعادات المصرية، و يجوز أنه كانت هناك رغم ذلك غزوات أخرى لم نعثر على نصوص لها، وربما تعدّت حتى غزوات السلب والنهب كما سنشاهد بعد . ولم يكن عصر الحروب والفتوح العظيمة قد جاء بعد من جهة المصريين، بل كان أوّل هجوم قصد به الاستعمار الواسع النطاق آتيا من جهة الأسيويين الذين غزوا وادى النيل فى عهد الهكسوس .

ومن ذلك يتضح لنا أن الانتصارات العظيمة التي ينسبها « هردوت » إلى « سوزستريس » لم تكن فتوحات واسعة النطاق، وربما خلط المؤرخ اليوناني هذه الغزوة بالانتصارات العظيمة التي أحرزها « تحتمس الثالث » و «رعمسيس الثاني» فيما بعد ونسبوها كلها للملك « سوزستريس » « سنوسرت الثالث » .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا حادثا من أهم الحوادث الدينية له علاقة بالحروب النوبية في عهد ذلك الفرعون . تلك هي اللوحة الخاصة بعبادة « أوزير» وما ذكر عليها من الشعائر الدينية التي كانت تقام له في هذه الفترة . وذلك أن « سنوسرت الثالث » استولى خلال حملته المؤرخة بالسنة التاسعة عشرة من حكمه على كميات عظيمة من الذهب من بلاد «النوبة » ، وقد اعتزم أن يستعمل جزءا منه في ترميم مقبرة «أوزير» في «العرابة» ، وهذه المقبرة كما نعلم هي في الواقع مقبرة الملك «زر» أحد ملوك الأسرة الأولى ، وقد اختلط في ذلك العصر بإله الآخرة ، وقد عهد بهذا العمل إلى رئيس ماليته «أخرنوفرت» ، وكان يساعده فيه رئيس إدارة الموظفين الذي تكلمنا عنه فيما سلف . Melanges Maspero, Vol. 11, p. p. 217, 219 وقد ترك لنا كل منهما لوحة عما قام به ، ولكن لوحة «أخرنوفرت» تشتمل على مادة لها أهمية عظيمة . وقد ذكر في لوحته الأمر الملكي ثم ذكر لنا بعد ذلك كيفية تنفيذه ، وسنشرح ذلك عند الكلام على الحالة الدينية في البلاد .

تمثال « تحوتي حتب» أمير مقاطعة «الأشمونين» — وأهم ما عثر عليه في نقوش هذا العصر خاصا بأحوال البلاد الداخلية هو المنظر المشهور في مقبرة «تحوتي حتب» ويمثل نقل تمثال ضخم . والتمثال «لتحوتي حتب» نفسه الذي كان في ذلك الوقت حاكما لمقاطعة الأرنب وعاصمتها «خمنو» «الأشمونين» التي أطلق عليها اليونان « هرمو بوليس » ، وتقع قبالة «البرشة» حيث يوجد قبور هذا الحاكم وأسرته . وهذا المنظر مألوف جدا غير أن ما ينتظمه من النقوش يدلنا على روح التعاون والألفة والحماسة التي تسود تنفيذ هذا العمل . وقد اهتم « تحوتي حتب » في نقوشه



= شكل رقم ٢٥ = نقل تمثال الأمير « تحوت حتب »

بإظهار أن إقامة مثل هـذا التمثال لم تكن بوحى منه هو، بل كانت علامة عطف ملكى فيقول: "إن قلوبهم فرحة عند ما يرون عطف الملك عليك"؛ لأن «سنوسرت الثالث» كان فرعونا عظيم البطش إلى حدّ كبير لا يسمح لأى حاكم محلى بالحرّية التامة التى كان يتمتع بها حكام الأقاليم فى الدولة القديمة .

و إذا أغضينا النظر عن هذا التحفظ، فإنا نلحظ من المتن أن كل أهل المقاطعة كانوا على استعداد لتقديم يد المساعدة فى نقل التمثال العظيم فيقول لنا المتن : "السير خلف تمثال طوله ثلاث عشرة ذراعا من حجر حتنوب (المرمر) تأمل ! فإن الطريق التى سار عليها كانت وعرة أكثر ممـا يتصوّر . تأمل ! فإن جر الآثار العظيمة كان صعبا على قلوب القوم . وذلك بسبب صعوبة أحجار الأرض، لأنها أحجار صلبة، وأمرت الشبان والأحداث من رجال الجيش ليشقوا طريقا للتمثال، و يساعدهم فى ذلك جماعات من حفارى القبور ورجال المحاجر، ومن المقدّمين والمهرة" . وقال الرجال الأشدّاء : "أتينا لنحضره"، وكان قلبى فرحا وقتئذ، واجتمع أهـل المدينة كلهم مظهرين الفرح . وكان النظر إلى هذا سارّا جدّا أكثر من أى شىء . فكان الرجل المسنّ بينهـم يرتكز على الطفـل ومفتول الساعد، والضعفاء زادت شجاعتهم، وقويت أذرعتهم حتى إن واحدا منهم كان فى ساعده قوة ألف رجل ... ما قاله الشباب الذين كان يسوقهم سيدهم الحاكم الوراثى الذى ينعم برضاء المـلك والسيد : " دعنا نأت، دعنا نفلح وأولاده من بعـده ! إن قلوبنا فرحة بعطف الملك الذى يعيش مخلدا !" ولا نزاع فى أن من نظر إلى هذا العمل فى ظاهره يظن أنه من أعمال السخرة، وأنه كانت هناك مظالم ترتكب، ولكن تدل الأحوال على أن روح العدالة كانت قد أخذت تظهر فى هذا العصر بصورة واضحة . ومن عاش فى مصر يرى أن مثل هذه الأعمال كانت ولا تزال تعمل بين الفرح والسرور والغناء رغم ما فيها من المتاعب .

اهتمام « سنوسرت الثالث » بمدينة « العرابة » و إلهها « أوزير » — هذا ويدلنا على اهتمام «سنوسرت الثالث» الخاص بمدينة «العرابة المدفونة» و إلهها

«أوزير» مانجده فى النقش الذى خلفه لنا أحد رجال الدولة المسمى «سبكحتب»، (British Museum, No. 256) وقد أرّخ بالسنة السادسة من حكم هذا الفرعون فاستمع لما يقول : "لقد أمر جلالته بإرسال رسالته إلى أملاك التاج فى «طينه» لتنظيف المعابد، وأنه نفذ هذه الأوامر حتى أنها أصبحت مطهرة لقيام العيد الشهرى ونظيفة لعيد نصف الشهر" . وكذلك عثر على تمثال لهذا الفرعون فى معبد «العرابة المدفونة» (Petrie, Abydos, Vol. 11, Pl. XVII) ، ووجدت له صورة فى هذه الجهة أيضا . (Ibid, Vol. 111 Pl. XII. 4) .

مقبرة « سنوسرت الثالث » الثانية « بالعرابة المدفونة» ووصفها — ولكن أهم حقيقة تدل على اهتمام «سنوسرت الثالث» «بالعرابة المدفونة» وإلهها، هو إقامته مقبرة ثانية لنفسه فى هذه البقعة فى جهة الصحراء على مسافة بعيدة جنوب الجبانة الملكية التى دفن فيها « أوزير خنتى أمنتى » كما كان الاعتقاد . ففى هذه الجهة أقام لنفسه ضريحا، وربما كان الغرض منه أحد أمرين ، إما أنه كان قبرا ليدفن فيه ، أو أنه كان مكانا أعدّ لدفن « الكا » أو الروح ، حيث كان يقدم له القربان . ونحن نعلم أن كثيرا من فراعنة مصر قد أقاموا لأنفسهم مقبرتين غير أننا من جهة أخرى لا نعلم على وجه التحقيق الطريقة التى كانت متبعة فى استعمالها ، وقد كشف كل من « بترى » و « ويجول » عن مقبرة « سنوسرت الثالث » فى العرابة ؛ (Petrie, Abydos, Vol. III, p. 11.) . ولكنها وجدت منهوبة تماما فى الأزمان القديمة . وهى عبارة عن نفق طويل منحوت فى الصخر تحت سطح أرض الصحراء تنتهى بحجرة فيها تابوت من الجرانيت الأحمر وصندوق لتوضع فيه أوانى الأحشاء ، وفوق ذلك على سطح الأرض أقيمت ردهة مسوّرة تبلغ خمسمائة وعشرين قدما طولا فى مائتين وستة وتسعين عرضا ، وخارج هذا السور كانت توجد بعض مقابر الأشراف والأمراء ، وفى هذا المكان قد أقيم بناء ضخم عمل على شكل مقبرة . وقد ظهر أنه بناء كاذب أقيم ليخفى

باب النفق الحقيق وليضالل اللصوص، ويدخل فى روعهم أن الباب الأصلى الذى يؤدّى إلى حجرة الدفن حيث توجد الكنوز موجود هنا . وعلى بعد سبعمائة وخمسين ياردة من شرقى مدخل هذه الردهة المسوّرة، وحيث تلتقى الأراضى الزراعية بالصحراء أقام الفرعون معبدا جنازيا صغيرا لنفسه ، وقد عثر عليه الدكتور « ماك ايفر » ، والمفروض أنه أقيم لتقدّم فيه القربان لروح الفرعون بعد موته .

(Maclver and Mace, "Èl Amrah and Abydos, Pl. XX)

هرم « سنوسرت الثالث » — وقد بنى هــذا الفرعون لنفسه هرما من اللبن، وكساه أحجارا، ويقع فى دهشور شمالى «اللشت» أى فى «اللاهون»، وسماه « حتب » (أى سلام)، ويمتاز بتصميم حجرة الدفن فيه ، فقد وضع مدخلها بعيدا عن بناء الهرم فى الجهة الغربية، كما كان لها مدخل آخر فى الجهة الشرقية يؤدّى إلى قاعة تخترق مقــبرة إحدى الملكات وثلاث أميرات حتى يصل الإنسان إلى هــذه الحجرة ، وهذه طريقة مبتكرة فريدة فى بابها فى هذا العصر، وقد كشف عن هذه الحجرة « دى مرجان » .

(De Morgan, "Fouilles à Dahchour", Vol. II. p. 87).

مقابر الملكة والأميرات — وقد وجد بالقرب من هذا الهرم مدافن الملكة « نفرت هنت » والأميرات « منت (Ment) » و « سنتسنب (Sent-seneb) » و « مريت » و « سات حتحور » ، ويحتمل أن الأخيرة هى أخت الفــرعون . أما الثلاث الأخر فهنّ بناته .

وقد وجد اسم « سنتسنب » على تابوتها المنحوت من الحجر الجيرى الأبيض .

مجوهرات الأميرة « سات حتحور » — وقــد عثر على مجــوهرات الأميرة « سات حتحور » فى مخبأ فى رقعة حجرة الدفن ، وقد نقش على صدريتها اسم « سنوسرت الثانى » ، على حين أنه وجد لهـــا جعران عليــه اسم « سنوسرت الثالث » ؛ ومن ثم يحتمل أنها كانت بنت الأوّل وأخت الثانى . وهذه المجوهرات كنز لا يضارعه فى دقة الصنع إلا ما وجد فى « اللاهون » .

وهذه الصدرية التى وجدت معها مصوغة من الذهب ومرصعة بشغل دقيق من حجر الكرناالين، وعجينة مطلية بالأزرق الفاتح والقاتم، وتصميم رسم هذه الصدرية يشبه تصميم صدرية « نفرت » زوجة والدها . هذا وقد زينت الصدرية بطغراء الفرعون « سنوسرت الثانى » ونقش عليها « حتب نترو » أى سلام الآلهة . وتستند هذه الطغراء من كلا جانبيها على صقر وضع أسفله علامة «نب» (سيد) ، ومن خلفها قرص الشمس والصل . وقد وجد مع هذه الصدرية أساور وعقود من الذهب ، و (دلايات) فى صور أسود، ومخالب أسود من الذهب ، وسلوك من الخرز المصنوع من الذهب والأمتست (الجمشت)،ورغم أن الملكة «نفرهنت» وجدت مدفونة فى «دهشور» ، فإنها لم تكن بالملكة المتوجة؛ إذ تدل النقوش على أنه كانت توجد سيدة أخرى تدعى «مرسجر» تحمل لقب الملكة، وبخاصة فى خلال الحروب التى قام بها هذا الفرعون ضدّ«النوبة» ؛ وذلك لأنه فى معبد «سمنه» قد ترك لنا «تحتمس الثالث» نقشا يشير إلى عيد سنوى يسمى «عيد شدّوثاق المتوحشين» . وهو العيد الذى أسسه « سنوسرت الثالث » تكريما للزوجة الملكية العظيمة « مرسجر » . وقد ذكر كذلك اسم زوجة أخرى غير أنها لم تحمل لقب عظيمة ، وقد وجد اسمها ممحوّا ويحتمل أنها « نفرهنت » . يضاف إلى ذلك أن اسم الملكة « مرسجر » قد ذكر كذلك على نقش موجود الآن بالمتحف البريطانى (No. 846)

مبانى « سنوسرت الثالث » وبعوثه لقطع الأحجار — وقد أقام هذا الفرعون عدّة مبان فى جهات القطر، كما أرسل البعوث لقطع الأحجار فى « وادى الحمامات» وغيرها لعمائره .

فقد خلف لنا موظف اسمه « خنى » نقوشا فى محاجر « وادى الحمامات » فى الصحراء الشرقية مؤرّخة بالسنة الرابعة عشرة من حكم هذا الفرعون فى اليوم السادس عشر من الشهر الرابع الفصل الأوّل؛ وهذه الوثيقة هى : "أمرنى جلالته

أن أذهب إلى « وادى الحمامات » لأحضر قطعا جميلة من البازلت الأسود لعمل أثر أمر جلالته بإقامته للإله « حرشف » سيد « إهناسيه المدينة » .. ...

وقـد أرسلنى بوصفى مدير الأشغال ، لأنى كنت رجلا محبوبا ، وقائدا يوثق فيه ، إذ قد أخضعت له قبائل الصحراء الشرقية الأربعة باستمرار ، كما أحضرت له المحصولات الطيبة التى تنتجها لوبيا (الصحراء الغربية) ، وذلك بفضل شهرة جلالته" .

(Couyat and Montet, "Hammamat", 47.)

وهذا النقش يدل على أن «سنوسرت الثالث» كان قد أرسل من قبل جنوده إلى واحات صحراء لوبيا — ومن ثم نرى أن هذا الفرعون النشيط قد ساق جيوشه إلى كل حدود بلاده — إذ انقـض على بلاد السودان وتخطى حدودها الشماليـة الشرقية مخترقا الصحراء إلى حدود «سوريا» ، وسار بجنوده على ساحل البحر الأحمر حتى بلاد « الصومال » (أى بلاد "بنت") .

ولدينا أدلة على أنه قد استخرج المعادن من شبه جزيرة «سينا» ، إذ قد عثر على لوحة وتمثال صغير فى « سرابة الخادم » باسم هذا الفرعون .

(Gardiner and Peet, "Sinai", p. p. 81, 82)

وقد كان يستعمل قطع الأحجار المستخرجة من « وادى الحمامات » لبناء معبد « إهناسية المدينـة » كما ذكر من قبل . وقد عثر « بترى » على قطع من معبد هذا الفرعون فى « إهناسيه المدينة » .

(Petrie, "Ehnasya", Pls. XI, XIII, XIV; A. S. Vol., XVIII, p. 35)

وكذلك أقام معابد كثيرة فى مدن أخرى ، أو أصلح ما كان قد تهدّم من المعابد القديمة . ففى « ثوان » « تانيس » الواقعة فى شمالى الدلتا عثر على أجزاء من تماثيل

(Petrie, "Tanis" 1, II. 67)

ووجد فى « الخطاعنة » (A. Z., Vol. XXIII, p. 12) التى تقع فى هذه الجهة أيضا جزء باب من الجرانيت الأحمر (A. Z., ibid) . وعثر فى «تل المقدام» الواقعة فى مركز « ميت غمر » على قاعدتى تمثالين .

(Naville, "Ahnas", p. 29, Pls. IV, XII)

وفى « تل بسطة » عثر على قطع كبيرة تحمل اسمه من بينها قطع مؤرّخة .
(Naville, "Bubastis",Pls. XXXIII, XXXIX)

وفى « طيبة » بالوجه القبلى خلف لنا هذا الفرعون كثيرا من الآثار التى تدل على نشاطه، ففى معبد «الكرنك» عثر على تمثالين ضخمين من الجرانيت الأحمر، وكذلك عثر على قطع أخرى . (Legrain, "Statues", Nos. 42011, 42012, 42013) ويوجد فى المتحف المصرى مذبح عثر عليه فى «الأقصر» . وأقام هذا الفرعون كذلك عدّة تماثيل لنفسه فى معبد الأسرة الحادية عشرة «بالدير البحرى» . (Naville,"Temple", Vol. I, Pl. XIX; Vol. II. Pl. II.) ومن هذه ثلاثة فى «المتحف البريطانى» الآن .
(British Museum, Nos. 158, 159, 160)

وعثر على قاعدة تمثال له فى خرائب معبد «الجبلين» على مسافة بضعة أميال من « طيبة » وهى موجودة الآن « بالمتحف المصرى » .

على أنه توجد آثار أخرى كثيرة وجد اسم هذا الفرعون منقوشا عليها فى جهات متفرقة، فعثر فى « الرقة » على حلية من الذهب فى صورة صدفة . ويوجد له فى متحف « نيويورك » تمثال (Engelbach, "Riqqeh and Memphis" Pl. 1; M. M. A. June 1920) « بو الهول » منحوتا من حجر الديوريت .

وفى « متحف القاهرة » يوجد هاون عليه اسمه . (Cat. 18735) وجىء من «قفط» بلوحة منقوش عليها اسمه، (Lange and Schafer,"Grab und Denkstein", 20702) ولكن يحتمل أنها من تاريخ متأخر . يضاف إلى ذلك عدّة أحجار لمقابر أفراد نقش عليها اسم هذا الفرعون فى أوائلها . (Birch, "Alnwick Catalogue" 270, Pl. V.) وكذلك توجد عدّة اسطوانات وجعارين كتب عليها اسمه . (Petrie, "Scarabs", 12, 5, 14—16; ibid, 12, 5, 1—13)

إشراك «سنوسرت الثالث» ابنه «أمنمحات الثالث» فى الحكم — وفى آخر أيام حكمه الذى استمرّ ثمانية وثلاثين عاما أشرك « سنوسرت الثالث » ابنه « أمنمحات الثالث » فى حكم البلاد متبعا فى ذلك العادة الحازمة التى سنها له

آباؤه من قبل، ويظهر أن مدّة اشتراك ابنه فى الحكم كانت قصيرة، لأننا نشك أنّ رجلا فى قوة «سنوسرت» ومضاء عزيمته كان يميل إلى تقسيم سلطته . إذ فى عهده لم نسمع كثيرا عن حكام الإقطاعات . والظاهر أنه قضى عليهم قضاء مبرما ومحا كل سلطان لهم، حتى أصبح خلفه من بعده يتسلط على البلاد من أقصاها لأقصاها، وصار المسيطر الإلهى عليها كما كان الحال فى عهد « خوفو » و « خفرع » .

وفاة « سنوسرت الثالث » وقداسته فى نفوس شعبه — ولما مات انتهى حكم ملك قوى البأس مهيب الجانب، فإذا ما قيس عهده بما ناله من شرف مكانة وعظمة جاه فى نفوس النـاس مدّة حياته و بعد مماته بأجيال عديدة ، فإنه بلا نزاع يعدّ من أفخر العصور وأمجدها فى التاريخ المصرى، ذلك العصر الذى وضع فيه أساس بناء الإمبراطورية المصرية المستقبلة . ولا غرابة إذا فى أن نرى الأثر العميق الذى تركه نشاط «سنوسرت» الذى لا يعرف الملل، فى نفوس شعبه . وقد تمثل هذا فى القصيدة التى كتبت تخليدا لذكره ؛ وقد عثر عليها بين أوراق «كاهون» « اللاهون» ، وهى تدل على ما كان لهـذا الفرعون من المكانة المقدّسة فى نفوس شعبه فاستمع إليها :

الأنشـودة الأولى

الثناء لك يا « خع كاورع » ! يا « حور » ، يا صقرنا المقدّس الوجود .

الذى يحمى الأرض و يمدّ حدودها .

الذى يقهر البلاد الأجنبية بتاجه .

الذى يضم الأرضين (مصر) بين ذراعيه .

والذى (يمسك) الأراضى الأجنبية بقبضته .

والذى يذبح رماة السهم من غير ضربة عصا .

والذى يقوى سهمه دون أن يشدّ خيط القوس .

والخوف منه قد أخضع « الأنو » فى بلادهم .
والرعب منه قد ذبح قبائل « البدو التسع » (أعداء مصر) .
وسكينه قد أمات الألوف من رماة السهام .
وذلك قبل أن تطأ أقدامهم حدوده .
وهو الذى يفوّق السهم كالإلهة « سخمت » .
حينما يهزم الآلاف ممن لم يعرفوا بطشه .
وإن لسان جلالته هو الذى يحكم « النوبة » .
ونطقه هو الذى يجعل البدو يولون الأدبار .
والواحد الفريد، ذو القوة الفتية، الذى يذود عن حدوده .
ومن لا يجعل شعبه يدب فيه الوهن .
بل يجعل الناس ينامون فى أمان إلى طلوع الفجر .
وشباب جنوده ينامون لأن قلبه هو المدافع عنهم .
وأوامره قد أقامت حدوده .

الأنشـــودة الثانيـــة

ما أعظم اغتباط الآلهة ! قد جعلت قرابينهم ثابتة .
وما أعظم اغتباط أراضيك ! وقد ثبت حدودها .
وما أعظم اغتباط آبائك ! فقد زدت فى أنصبتهم .
وما أعظم اغتباط مصر بقوّتك ! فقد حميت النظام القديم .
وما أعظم اغتباط الشعب بحكومتك ! فقد قمعت السلب، وقوتك قد استولت ...
وما أعظم اغتباط الأرضين بشدّة بأسك ! فقد وسعت ممتلكاتها .
وما أعظم اغتباط مجنديك ! فقد جعلتهم سعداء .
وما أعظم اغتباط مسنيك ! فقد جدّدت شبابهم .

وما أعظم اغتباط الأرضين بقوّتك! فقد حميت جدرانها .

[و بعد ذلك تأتى الديباجة] : " إنه ... ... « حور » الذى يمدّ حدوده ، ليتك تعيد الأبدية " .

ومما لاشك فيه أن ذلك كان حداء .

الأنشودة الثالثة

ما أعظم سيد مدينته ! فهو يعدل ألف ألف ، وآلافا آخرين وليسوا هم جميعهم إلا قليلا (بالنسبة إليه) .

ما أعظم سيد مدينته ! فهو سدّ حاجز للنهر يمنع الفيضان .

ما أعظم سيد مدينته ! فهو حجرة رطبة توحى النوم لكل الناس حتى مطلع الفجر .

ما أعظم سيد مدينته ! فهو مأوى لا ترتعد يده .

ما أعظم سيد مدينته ! فهو محراب ينجى الخائف من عدوّه .

ما أعظم سيد مدينته ! فهو ظل ظليل منعش فى الصيف .

ما أعظم سيد مدينته ! فهو ركن دافئ وجاف فى وقت الشتاء .

ما أعظم سيد مدينته ! فهو تل يحمى من الزوبعة عند ما تكون السماء ثائرة .

ما أعظم سيد مدينته ! فهو كالإلهة « سخمت » لأعدائه الذين تطأ أقدامهم حدوده .

الأنشودة الرابعة

لقد جاء إلينا ليتولى أمر مصر العليا ، وقد وضع التاج المزدوج على رأسه .

لقد جاء إلينا ووحد الأرضين ، وضم البوصة إلى النحلة [رمز الوجهين القبلى والبحرى] .

لقد جاء إلينا وجعل الأرض السوداء تحت سلطانه ، وضم إليه الأرض الحمراء [الصحراء] .

لقد جاء إلينا وأخذ الأرضين تحت حمايته، ومنح الأرضين السلام .

لقد جاء إلينا وجعل أهل مصر يحيون، ومحا آلامهم .

لقد جاء إلينا وجعل الشعب يعيش، وجعل حناجر الرعية تتنفس .

لقد جاء إلينا ووطئ بقدمه الممالك الأجنبية، فضرب على أيد « الأنو » الذين لم يعرفوا الخوف منه .

لقد جاء إلينا وحمى حدوده، وخلص من كان قد سرق .

لقد جاء إلينا ... ... واحترم المسنّ بما جلبته إلينا قوّته .

[بيت مهشم]

لقد جاء إلينا وساعدنا على تربية أولادنا وعلى دفن المسنين منا .

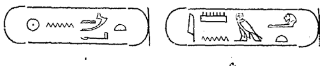
الأنشـــودة الخامســـة

[وهى خاصة بالآلهة ويمكن الإنسان أن يستخلص منها] :

أنت تحب «خع كاو رع» الذى يعيش إلى أبد الآبدين ... ... فهو يوزع نصيبك من الغــذاء ... ... راعينا الذى يمكنه أن يمنح النفس ... ... وأنت تجــزيه عليها فى حياة وسعادة مرات يخطئها العدّ .

الأنشـــودة السادســـة

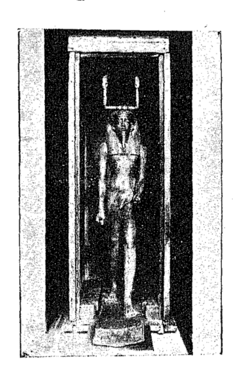
ثناء «لخع كاو رع» الذى يعيش أبد الآبدين ... ... حينما أسيح فى السفينة ... محلاة بالذهب ... ...



أمنمحات الثالث

١٨٤٩ — ١٨٠١ ق٠م٠

تولى « أمنمحات الثالث » عرش الملك بعد وفاة « سنوسرت الثالث » الفاتح العظيم ، واتخـذ لنفسه لقب « نيماعت رع » (أى صاحب عدل إله الشمس) . ويحتمل أن تكون هذه التسمية قد حرفت وأخذ منها الاسم الذى أطلقه عليه مؤرّخو « اليونان » وهو « لمـارس » أو « لبارس » الخ كما سيأتى بعد .



شـــكل ٢٤

الملك « حور » بن « أمنمحات الثالث »

ويعتبر « أمنمحات الثالث » فى نظر التاريخ من أعظم فراعنة مصر وأقدرهم ، فقد كان حكمه الطويل الذى دام نحو ثمـانية وأربعين عاما عصر هـدوء وسكينة

ومشاريع عظيمة ، وأعمال جليلة حيوية اجتماعية بقدر ما كان عصر والده « سنوسرت الثالث » عصر حروب وغزوات وتوسيع فى رقعة البلاد .

والظاهر أنه أشرك معه فى الحكم أميرا يسمى « حور »[1] ، إلا أنه مات قبله وبذلك يكون قد حكم البلاد منفردا أكثر من أى فرعون آخر قبله فى هذه الأسرة بقوّة وحزم واتساع أفق ، مما خلد أعماله العظيمة على تعاقب الأجيال .

والباحث فيما قام به من أعمال يجد أنها كانت الإصلاحات الداخلية من حيث الزراعة والتعمير الدنيوى والدينى . وسنتناول البحث أوّلا فى بعوثه التى أرسلها لجلب المعادن والأحجار وما قام به من مبان وفتوح ، ثم نتكلم عن مشروعاته الزراعية وما أفاضت على البلاد من فائدة ، وأخيرا نتناول بالبحث مبانية الدينية وهرمه الذى دفن فيه ، ثم نتكلم عن أخلاقه واتصالها بالفنّ فى عصره .

فتوحه — إن مالدينا من الوثائق يؤكد لنا أن هذا الفرعون قد قام فى وقت ما بحملة عظيمة إلى بلاد السودان ، غير أنه لم تصلنا حقائق صريحة عنها ، وقد وجدت آثار لهذا الفرعون فى « كرمة » عند الشلال الثالث ، وهى آخر الحدود التى كان يسيطر عليها حاكم السودان « زفاى حعبى » فى عهد «سنوسرت الأول» (Reisner, "Kerma", II, p. 512) ومن بين هذه النقوش لوحة مؤرّخة بالسنة الثالثة والثلاثين اليوم الأوّل من الشهر الأوّل الفصل الثالث . وقد سجل فى هذا النقش أنه قد تم بناء أقامه مدير اسمه « انتف » وقد استعمل فى بنائه ٣٥٣٠٠ لبنة .

بعوثه إلى شبه جزيرة «سينا» — وقد كان أهم نشاط لهذا الفرعون فى استخراج المعادن متجها إلى شبه جزيرة « سينا » التى كان يعتبرها جزءا من مصر ، وقد عثر فيها

---

(١) هذا هو الرأى الذى أورده الأستاذ « ارمان » غير أن هناك رأيا آخر يقول إنه أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة . راجع :

A. Z. Vol. 33 (1895) p. p. 142. 143; Weill, "La Fin du Moyen. Empire Egyptien" , p. 477).

على نقوش تحمل اسمه ، تدل على أنه كان يستغلها بدرجة عظيمة فى كثير من سنى حكمه ، فأرسل البعوث فى السنة الثانية ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والثامنة ، والحادية عشرة ، والثالثة عشرة ، والخامسة عشرة ، والثامنة عشرة ، والعشرين ، والثالثة والعشرين ، والخامسة والعشرين ، والسابعة والعشرين والتاسعة والعشرين ، والثلاثين ، والحادية والثلاثين ، والثامنة والثلاثين ، والأربعين ، والحادية والأربعين والثانية والأربعين ، والثالثة والأربعين ، والرابعة والأربعين ، والخامسة والأربعين من سنى حكمه . (Gardiner and Peet, Sinai) فمن ذلك يتضح أنه أرسل إلى هذه الجهة نحو أربعة وعشرين بعثة للتعدين وقطع الأحجار .

وأقدم هــذه النقوش هى التى دوّنهــا رئيس الخـزنة المسمى « خنمسو » (Petrie, "Sinai", 94) الذى يقـول : إنه أرسـل فى السنة الثانية من حكم «أمنمحات الثالث» إلى «مينا» ليحضر حجر الدهنج أو الفيروز والنحاس ،وكان عدد جنوده سبعمائة وأربعة وثلاثين ، وترك لنا لوحة فى «وادى مغارة» . هذا إلى أنه اشتغل كذلك فى سرابة الخادم حيث ترك لنا جنوده رسما يمثل الفرعون أمام الإلهة «حتحور» ربة بلاد الدهنج (أوالفيروز) (L. D. II, Pl. 137 a) .

وعثر على نقوش لأحد موظفى المـالية ورئيس الصيادين اسمه «حورنخت» الذى كان لابدّ مع البعثة السالفة لأن نقوشه مؤرّخة بنفس السنة ، والظاهر أن البعثة كانت قد اتخذت طريق البحر إلى هذه المناجم بدلا من طريق الصحراء الطويل المتعب . وقد جاء فى هذه النقوش : المنتخب أمام رعاياه والذى يسهر فى سبيل المنعم عليه يقول : " لقد سرت بطريق البحر حاملا التحف بأمر « حور » رب القصر (الفرعون) " . ومن المحتمل أن «حورنخت» كان مكلفا بحمل هذه القرابين إلى معبد الإلهة «حتحور» ممـا حدا به إلى كتابة هذا النقش (Breasted, A. R. Vol. I, par. 717—718)

بعثة «سبك حرحب» لافتتاح منجم فى «سرابة الخادم» ـــ وفى السنة الرابعــة والأربعين من حكم هــذا الفرعون أرسل « سبك حرحب » ليفتح منجما

جديدا فى « سرابة الخـادم » وكان يلقب رئيس المستخدمين (أى هيئة البعثة) ، (Breasted, ibid, par. 725—727) .

وقد ترك لنا نقشا جاء فيه افتتاح مكان للتعدين بنجاح واسم المنجم "يفلح جيشها الذى يقدّم ما فيـه " . فى السنة الرابعة والأربعين من حـكم ملك الوجهين القبلى والبحرى ... ... « أمنمحات الثالث » محبـوب « حتحور » سـيدة الفيروز معطى الحيـاة مثل « رع » أبدا . أنتم يامن تعيشون على الأرض ، و يامن سيأتون إلى أرض المنجم هذه ، كما أن ملككم قد ثبتكم ، وكما أن آلهتكم يحبونكم لأجل أن تصلوا إلى « وطنكم » فى أمان فعليكم أن تقولوا : "ألف رغيف ، وآنية من جعة ، وماشية وطير ، و بخور وعطور ، وكل شىء يعيش منـه الإله لروح مدير هيئة المستخدمين للخزانة المسمى «سبك حرحب» عاش ثانية سعيدا معيدا حياة هنيئة" ، ووالدته هى السيدة « حننوت » المرحومة ، وهو الذى يقول : " لقد حفرت حجرة للتعدين لسيدى ، وعاد شـبابى ، (جنودى) جميعهم دون خسارة ، ولم يمت منهم واحد" . وقد عزا رئيس البعثة نجاحه إلى سيدة الفيروز الإلهة « حتحور » التى كان يبتغى عطفها ورضاها ولذلك يقول :

"لقد أحضرت لها موائد قربان وكتان ــ وقدّمت لها قربانا إلهيا ، وقد قادتنى بعطفها إلى داخل المنجم الذى حفرته لها ؛ و إنى أقسم أنى أقول الصدق" .

نقوش طريفـة لبعض الموظفين الذين ذهبوا إلى هـذه المناجم — ومن طريف النقوش التى عثر عليهـا لبعض الموظفين الذين أتوا إلى هـذه المناجم النائية ، التحذيرات التى تركوها لمن سيأتى فى المستقبل طالبين منهم أن يترحموا على أرواحهم . فمثلا جاء فى إحدى هذه النقوش : "ليتـه يكون محبوبا و يصل (إلى بلاده) سالمـا ، من سيقول : " صلاة من أجل روح حامل الختم «سبك حتب» محبوب الإلهة «حتحور» سيدة بلاد الدهنج «أوالفيروز» ولحارس المخزن «ياتو» ورئيس قصر الفرعون « سنب تفى » وللعشرين حجارا الذين معهم " .

وفى نقوش أخرى نقرأ : "ليت الإله « بتاح » المَنفِىّ والإلهة « حتحور » سيدة بلاد « الفيروز » يحبان من سيقول : " صلاة من أجل روح حامل الختم «سنوسرت» " .

بعثة سبك حرحب والتحامه مع البدو الأسيويين — ولدينا نقش آخر تركه لنا موظف مالى اسمه « سبك حرحب » السالف الذكر يقول فيه :

" أنتم يا أشراف الملك وعظماء القصر ، قدّموا المديح للملك ، ونخموا شهرته ، وامدحوا الملك ، وحافظوا على ماهو له ، لأن الجبال تقدّم مافى جوفها له ، والتلال تقدّم ثروتها ، أنتم يا من يعيشون على الأرض ومن سيأتون الى مراكز التعدين هذه .

فكما أن الملك قد وطنكم والآلهة حفظتكم حتى تصلوا إلى وطنكم سالمين ، فقولوا « دعاء » لأجل ألف قربان لروح رئيس المالية « سبك حرحب » .

وقد ترك لنا حامل الختم الإلهى (أى الملكى) المسمى «بتاح ور»[1] فى السنة الخامسة والأربعين من حكمه ، نقشا يقول فيه : "كنت امرأ مرسلا لإحضار موارد عدّة من بلاد ... وكنت ماهرا فى عمل تقاريرى لسيدى ، وأخضعت بلاد الأسيويين لمن فى القصر (أى الفرعون) ، وجعلت « سينا » تركع تحت قدميه ، واخترقت الوديان الوعرة ، ووصلت إلى التخوم المجهولة (من العالم) ، أنا رئيس هيئة المستخدمين وحامل الخاتم " . المظفر الذى وضعته أمه « ياتا » .

ومن هذا النقش نعلم أن هذا الموظف قد التحم فى أحد بعوثه مع قبائل البدو والأسيويين ، وكذلك أخضع ثورة كانت فى شبه جزيرة « سينا » .

وهذه النقوش قد بلغ عددها ما يقرب من الستين ، منها لوحات قائمة بذاتها ، ومنها نقوش مدوّنة على الصخور . وكذلك وجدت له موائد قرابين وأجزاء من نقوش

(1) Gardiner and Peet, "Sinai", Pls. 18, 33, 36; Breasted, A. R. Vol.I, par. 728.

معابد . وقد وجدت هـذه النقوش مبعثرة فى أنحاء شبه الجزيرة، فوجدت بعضها فى «وادى مغارة» ، و بعضها الآخر فى «سرابة الخادم» ومعبدها . والعدد الأكبر منها لوحات تذكارية للحملات والرجال الذين قاموا بها .

أهم لوحة فى « سينا » من عصر «أمنمحات الثالث» — على أن أهم نقش عثر عليه من هذا العصر فى « سينا » لم يذكر عليـه اسم الفرعون الذى نقش فى عهده ولكن الآراء متفقة على أنه دوّن فى عهد « أمنمحات الثالث» . وقد حفر هذا المتن على لوحة حفظت لنا حتى الآن وقد جاء فيها ما يأتى :

المصاعب التى لاقاها «حور ورع » فى استخراج الفيروز فى فصل القيظ — أرسل جلالة الملك حامل الختم الإلهى (أى الملكى) ، ومدير هيئة جماعة المستخدمين (فى الحملة) ، ومدير الصناع (؟) المسمى « حور ورع » إلى أرض المعادن هذه ، وقد وصلت إلى هذه الأرض فى الشهر الثالث من الفصل الثانى ، و إن لم يكن الوقت مناسبا للذهاب إلى أرض هذه المناجم .

(Breasted, ibid, par. 733 f. f.)

وقد قال حامل الختم الإلهى هذا لموظفيه الذين كانوا سيجيئون لأرض المعادن هذه فى هذا الفصل (أى فصل القيظ) : "لاتجعلوا وجوهكم تبتئس بسبب ذلك ، واعلموا أن «حتحور» ستجعل ذلك خيرا ، ولقد نظرت لنفسى وردعتها ، وعند ما حضرت من مصر تخاذلت ، وكان الأمر صعبا علىّ ، لأن الصحراء شديدة القيظ ، والصخور تكوى الجلود ، وعند انفلاق الفجر يرتاع الإنسان (لشدّة الحر)". ثم بعد ذلك يصف لنـا كيف أنه أغرى رجاله على المضى معـه بقوله لهم : إنهـم ذوو حظوة لدى الملك فأرسلهم لذلك إلى « سينا » فى هـذا القيظ الشـديد فيقول : "ما أعظم حظوة الرجل الذى يكون فى أرض المناجم هـذه !" . وقد كان جواب العمال مفحما ينطوى على التهكم والسخرية إذ أجابوه قائلين :

"حقا إن حجر الدهنج (والفيروز) لفى هذه التلال الخالدة ، ولكن من الحق أن يبحث عنه فى هـذا الفصل من السنة ؛ و إنه لمن الشطط أن يبحث عنه فى هـذا

الفصل المحرق"[١]. ولكن رغم هذا التقريع الذى كاله العمال «لحور وررع» ، فانه كان واضعا نصب عينيه الأمر الملكى الذى بعث من أجله مما شجعه على المضى فى عمله ، و بعث فيـه روحا قويا يشجعه على السعى للحصـول على ما جاء من أجله فيقول : " وعندما أرسلت لأرض المناجم هذه وضعت أرواح الملك هذه المهمة فى قلبى ، و بعد ذلك وصلت إلى تلك الأرض وأخذت فى العمل بنجاح ، وقد وصل جيشى كاملا ولم يسقط واحد منهم ، ولم يتخاذل وجهى أمام العمل" . والواقع أن الحظ لا يواتى الرجل الذى يتخاذل أمام الصعاب ، ولذلك فإن بطلنا حامل الخاتم الإلهى مضى قدما فى عمله حتى عثر على ضالته المنشودة فى الوقت الذى يخصص لمثل هذه البعثة فيقول : " لقد أفلحت فى استخراج صنف جيد من الدهنج أو الفيروز ، وانتهيت فى الشهر الأول من الفصل الثالث ، وحملت معى أحجارا من الطراز الأول لتكون تحفا بكمية لم يظفر بمثلها أحد قبلى ، هـذا فضلا عن أنها أجود ممـا لو حضرت فى الفصل المعتاد (من السنة لاستخراجها) .

ومن الطبعى أن ينسب « حورورع» نجاحه إلى سيدة الفيروز «حتحور» ، فإنها الإلهة المحلية لهذه الجهة . وقد نصح غيره أن يتضرعوا إليها إذا أرادوا نجاحا ؛ " قربوا قربانا حينئذ إلى ربة السماء ، واستعطفوا «حتحور» ، فإذا فعلتم ذلك كان فيه الخير لكم ، وإذا أحسنتم معاملتها سارت الأمور سيرا حسنا معكم" . و بعد ذلك يصف لنـا نصيبه من الفخار فى نجاح البعثة ، ذاكرا ما له من الصفات الحسنة كما هى عادة كل مصرى فى هذا العصر وما قبله :

" لقد قدت جيشى بشفقة زائدة ، ولم أنهر عمـالى ، وكنت مثال الرأفة مع جنودى كلهم ، وكان اعتقادهم فىّ عظيما" . ولا شك فى أن موقف «حورورع» يحتم عليه أن يتصف بهذه الصفات ؛ لأن الرجل الذى يستطيع أن يستعمل مثل هؤلاء العمال والجنود فى مثل هذا الفصل اللافح الحرّ من السـنة لقمين أن يتصف

(١) راجع معنى هذا اللقب فى البحث الذى كتبه « بيير » فى (Melanges Maspero, I, p. 180)

بهـذه الأخلاق النبيلة . وأكبر دليل على أهمية هـذه المحاجر فى عهـد « أمنمحات الثالث» ما قام به من الإصلاحات فى معبد العمال «بسرابة الخادم» ، وقد عثر فيه على آثار تدل على أنه كان قائما فى هـذه الجهة منـذ الفرعون « سنفرو » ، وقد زاد « أمنمحات » فى بنائه ومدّه بموائد القربان وأضاف فيه رواقا ، وحذا حذوه خلفه « أمنمحات الرابع » (Historical Studies, p. 11)

نشاط « أمنمحات الثالث » فى « وادى الحمامات » — أما عن نشاط هذا الفرعون فى « وادى الحمامات » فقد أشرنا إلى نقش الموظف « سنوسرت » وحملته التى قام بها لقطع أحجار تماثيل الملك العشرة ، وكذلك أشير إلى هـذه الحملة فى نقش آخر يمتاز بمـا يقدّم لنا من المعلومات عن عدد العمال الذين كانوا يستعملون لقطع الأحجار اللازمة للتماثيل فيقول : عشرون من جنود الجبانة ، وثلاثون حجارا وثلاثون بحارا . هذا بالإضافة إلى جيش عديد مؤلف من ألفى جندى . ومن ذلك الإحصاء يمكننا أن نعرف نسبة مهرة العمال الذين كانوا يستخدمون لقطع الأحجار إلى غيرهم من المدرّبين الذين كان أهم عمل لهم جر الأثقال ونقلها بإشراف عمـال المحاجر ، والثلاثين بحارا من رجال الأسطول .

(Breasted, A. R, Vol. I, par. 313, 314)

على أن «أمنمحات» لم يقتصر فى استخراج الأحجار على «وادى الحمامات» ، بل استعمل المحاجر الهامة الأخرى فى أنحاء القطر حسب حاجته إلى نوع الحجر اللازم له .

بعوث «أمنمحات الثالث» إلى محاجر الديوريت فى صحراء النوبة الغربية :

فأرسل البعوث إلى محاجر الديو ريت الصلبة وغيرها مـن الأحجار الواقعـة فى صحراء النوبة الغربية ، وعثر هناك على لوحات أقيمت تذكارا لبعوثه ، وهى منحوتة من الحجر الرملى . منها لوحة أرّخت بالسنة الرابعة فى الشهر الأول من فصل الحصاد «أخت» من حكم الفرعون «أمنمحات الثالث» وقد جاء فى نقوش هذه اللوحة أن البعثة وصلت إلى هـذه الجهات ، غير أن معظم نقوش هذه اللوحة لم تحل بعـد .

ونجد فى نهاية اللوحة نفسها تاريخا آخر وهو الشهر الثالث من فصل الزرع « برت » السنة الرابعة ...

لوحة « سابستت » لاستخراج الأحجار الثمينة — وفى السنة السادسة من عهد هـذا الفرعون أقام « سابستت » بن « رنبت نفرت » لوحة من الحجر الرملى الأحمر فى هـذه الجهة . وكان يحمل لقب « رئيس الخزانة الأمين » . وقد ذكر فى نقوش اللوحة أن غرض هـذه البعثة هو استخراج أحجار ثمينة « ماعو » ونجد فى هذه اللوحة دعاء للإلهة « حتحور » سيدة « نخنت » .

ووجد لنفس الموظف مائدة قربان متآكلة نقوشها وقد ذكر عليها نسبه .

وكذلك عثر على لوحة أخرى فى هـذه الجهة منحوتة من الحجر الرملى، غير أنها مكتوبة بالخط الهيراطيقى وكتابتها غامضة، وهاك ما وصل إليه الأستاذ « شيرنى » من حل رموزها .

السنة س + ٢ الشهر الرابع من فصل الفيضان، اليوم العشرون فى عهد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نيماعت رع » « أمنمحات الثالث » عاش مخلدا . أتى قاطع الأحجار « نختى » بن « خنتخاتى » الذى وضعته « نت » ؟ ... وقاطع الأحجار « إنى » بن « بتاح حتب » لأجل أن يحضر ... على حسب ... ما أمر به «سابستت»، والكاتب « منتووسر » . ومما يؤسف له أن نوع المادة التى ذهبت هذه البعثة لإحضارها لم تذكر . (A. S. Vol. XXXIII p. 73.) .

وفى محاجر « طرة » المقابلة « لمنف » التى كان يستخرج منها أحسن نوع من الحجر الجيرى الأبيض الجميل ، وجد نقش باسم هـذا الفرعون يخبرنا أن الفرعون فى السنة الثالثة والأربعين فتح محاجر للحصول على الحجر الجيرى الأبيض من «عيان» لمعبد « الإله » لملايين السنين .

آثار «أمنمحات الثالث» فى أنحاء القطر — وتوجد لهـذا الفرعون آثار متفرقة عثر عليها فى طول البلاد وعرضها ونخص بالذكر منها ما يأتى :

(L. D. II, 143; Vyse, "Operations" Vol, III. p. 94)

وجدت له لوحة فى مدينـــة « الكاب » مؤرخة بالسنة الرابعة والأربعين من حكمه، وتحدثنا عن جدار بنى فى هذا المكان خارج أسواره . وقد أقامه «سنوسرت الثانى» كما أسلفنا . وفى «تل اليهودية» وجد له قاعدة تمثال وخاتم أسطوانى، ويقع « تل اليهودية » هذا على بعد عشرين كيلومترا من شمال شرقى القاهرة على الطريق المستقيم الموصل لأرض «غوشن» ،و «وادى طليات» ،والحدود المصرية السورية .

(Petrie, Hyksos and Israelite Cities I.)

وفى «منف» زاد «أمنمحات» فى معبد الإله «بتاح» وقد عثر له هناك على عتبة باب ضخمة باسمه عند (البوابة) الشمالية . (Petrie, Tarkhan, Vol. I, Pl. LXVII)

وكذلك عثر على تمثال جميل فى هذا المكان نفسه لهذا الفرعون ، وهو موجود الآن بمتحف «برلين» . (British Museum, N°. 1121.) وفى « إهناسية المدينة » عثر على قطعة حجر من عصره أيضا نقش عليها اسمه الحورى .

(Petrie, "Ehnasya," Pl. XIV)

أما فى « الكرنك » فقد عثر له على تمثال كبير وآخر صغير .

(Legrain, "Statues", Nos. 42014, 42019.)

والأول مصنوع من الجرانيت الأسود .

وفى بلدة «نخن» (الكوم الأحمر) الحالية المقابلة «للكاب» عاصمة الصقر القديمة وجد فى وسط خرائب المعبد تمثال له أيضا (Rec. Trav, X. 139)، وفى «بتروجراد» يوجد له تمثال، (Rec. Trav. XV, 136-I-V) وفى مجموعة « مرمـار » يوجد له تمثال فى صورة «بوالهول» بدون رأس (Mirmar, Catalogue XXIX)، هذا وتوجد له آثار عدة فى أنحاء متاحف العالم تشتمل على مجوهرات وجعارين وأختام أسطوانية الشــكل ، ولوحات صغيرة وتمـاثيل (Petrie, "History" I, p. p. 192-194)

تعاليم «سحتب اب رع» لأولاده ومكانتها التاريخية

ومن أهم الوثائق التى تكشف لنا عن مقدار ما وصل إليه الفراعنة فى أواخر الأسرة الثانية عشرة من الاحترام والتقديس ومقدار ما وصل إليه الأمراء الوراثيون

رغم ما يحملون من ألقاب ورتب من الخضوع للفرعون، «لوحة العرابة» المعروفة بالتعاليم، إذ تدلنا على أن روح الوحدة دب فى جسم الدولة خلال حكمه بفضله وفضل ما قام به أسلافه من القضاء على الأمراء الإقطاعيين، وبخاصة «سنوسرت الثالث»، وكذلك بفضل جيل الموظفين الجديد الذى عمل ملوك هذه الأسرة على إنشائه ليلتف حولهم، وليكون لهم نصيرا وظهيرا على تسيير أداة الحكم فى البلاد، والقضاء على حكام المقاطعات الذين كانوا أكبر عقبة فى سبيل توحيد نظام الحكومة والنهوض بها ، فلا غرابة إذن أن نرى هؤلاء الموظفين حريصين على بث روح الطاعة والمحبة لمليكهم العادل فى نفوس أولادهم . وقد بلغ بهم حب الفرعون درجة جعلت تعاليم بعضهم لأبنائهم تدور حول حب الفرعون وخدمته والإخلاص له، لا أن ترشدهم إلى الحياة الصالحة السعيدة، كما كان شأن التعاليم التى وصلت إلينا حتى الآن فى العهود القديمة، بل إن الكاتب الذى فعل ذلك غالى، فلم يشأ أن يكتب تعاليمه على ورق بردى، بل نقشها على صفحة من الحجر، وجعلها شاهدا لقبره حتى يضمن خلودا ويراها أولاده فى كل وقت يزورون فيه قبره؛ لأن القبور كما نعلم كانت محاطة بكل عناية فى كل أزمان التاريخ المصرى، كما كان الابن الأكبر هو الذى ينصب كاهن والده الجنازى ؛ ولا غرابة إذن فى أن تشيع هذه العادة فى ذلك العهد، ولكن بكل أسف لم تصلنا إلا هذه اللوحة الحجرية التى ذكرناها . وقد يكون لكاتبها صلة خاصة وثيقة بالفرعون أكثر من غيره، فغالى فى حبه لمولاه ونقش هذه التعاليم إظهارا لولائه له ، وليسير أولاده على نهجه فى حبهم وولائهم . والواقع أن كاتب هذه النصائح كان موظفا كبيرا فى المالية . وسنرى فى المتن أن الملك كما يقول صاحب اللوحة قد مدحه أمام الملايين، وأنه كان صديقا حميما لسيده الذى كان يطلعه على أسراره الخفية ، ونرى فى الوقت نفسه أنه صاغ عقود المدح للفرعون وأظهر عظمته ، وأن المؤلف ينصح أولاده أن يحاربوا إلى جانب الملك مما يتفق وروح العصر الذى كان عصر نضال وحروب بين حكام

المقاطعات والعرش لتوحيد البـلاد تحت حكم ملك واحد مسيطر سيطرة تامة على كل المقاطعات من كل الوجوه. ولا نزاع فى أن هذه الوثيقة كانت نوعا من الدعاية للملكية المطلقة فى ذلك العهد، ولكنها دعاية فريدة حاذقة فى بابها . ومن الجائز أنها كانت دعاية منتشرة فى وقتها، غير أنه لم يصلنا نحن منها إلا هذه الوثيقة ، وتنقسم قسمين : مناقب المؤلف وصفاته، ثم تعاليمه لأولاده، وهاهى ببعض الاختصار :

(A. S, XXXVIII, p. 269; XL, p. 209 ff.)

تحدّث اللوحة عن مناقب صاحبها ـــ الأمير الوراثى، حامل الخاتم الملكى، والمشرف على ما له قرن وما له حافر وما له ريش، (أى الحيوان الملكى)، والمشرف على مستنقعى الملاهى (أى حيث صيد الأسماك ومأكولات الصيد)، ويصف نفسه بأنه عند وصوله (إلى القصر) يصغى إليه كل البلاط، وإليه يتحدّث الناس عن أمورهم، ومن يلاحظ رب الأرضين صـفاته الحسنة، وهو الذى رقاه، وهو يملك الفضة والذهب ، ولديه الكثير من الأحجـار الكريمة ، وهو رجل صـدق ، مثل الإله « تحوت » (إله الحكمة) ورئيس الأشياء السرية فى المعابد، ورئيس الأشـغال فى قصر الملك ، وهو أكثر دقـة من الموازين، ومثـل ميزان، متفوّق فى النصيحة ، يتكلم الحسن ويعيد المرغوب فيه، حسن الإصغاء ممتاز فى الكلام، وهو أمير يحل معضلات المسائل، خلو من عمل الغش، مخفف المصائب، ويعمل الأشياء على مبدأ قويم ... الخ ؛ ثم يقول إنه قد ألف نصيحة شعرية لصالح أولاده فيقول :

نصيحة مؤلف التعاليم لأولاده — "إنى أتحـدّث إليكم فى أمر عظيم ، وأجعلكم تصغون إليـه، وإنى أنقـل إليكم فكرة للأبدية (أى فكرة تفكرون فيها دائمـا)، وحكمة للحياة الصحيحة حتى تمضوا مدّة الحيـاة فى نعيم . احترموا الملك « نيمـا عت رع » بأجسامكم ، وألفوا بين قلوبكم وجلالته . إنه هو « الفهـم » (سيا) الذى فى القلوب ، وعيناه تفحصان كل إنسان ، وإنه « رع » الذى يرى

بأشعته، وإنه يضيء الأرضين أكثر من قرص الشمس، ويجعل الأرضين أكثر نضارة من نيل عالٍ، وإنه ملأ الأرضين قوّة وحياة .

والأنوف تصير باردة حينما يجنح إلى الرعب، وعند ما يكون طلقا يتنسم الناس الهواء، ويعطى من يخدمونه القـوة الحيوية، ويمدّ بالطعام من يسـير على نهجه، والملك قوة حيوية، وفمه الرخاء بعينه .

وإنه هو الذى يطعم من سيكون، وإنه الإله «خنوم» (المصوّر) لكل الأجسام، والمبدع الذى يخلق كل الناس، وهو الإلهة «باستت» (وهى الإلهة الشفيقة لها رأس قطة التى تحمى الأرضين) ومن يحترمه ينج بساعده، ولكنه الإلهة «سخمت» (وهى الإلهـة المريعة وإلهة الحرب لها رأس لبؤة)، لمن يتعـدّى أمره، ومن يكره فإنه سيقع تحت نيره . حاربوا لاسمـه، ودافعوا عن حياته، حتى تنجـوا من الكريهـة (القـدر)، ومن كان صاحبا للملك فإنه سيكون محترما، ومن كان عدوّا للملك فإنه لا قبر له، وجسمه يلقى فى المـاء، فافعـلوا ذلك لتصح أجسامكم، نعم، إن ذلك لمجد لكم إلى الأبد[1]".

ولسـنا فى حاجة إلى القول بأن هذه الكلمات تنم عن الاحترام العميق الذى كانت تكنه الصدور وقتئذ لهـذا الفرعون العظيم، والظاهر أن نفوذه كان ممتدا إلى الممالك المجاورة، ولا أدل على ذلك مما وجد فى خرائب «جبيل»؛ إذ عثر على مقبرة قد دفن فيها حلى وأوان مصرية ومن بينها آنيتان للزينة من حجر الابسيديان نقش اسم هذا الفرعون على غطائهما بالذهب .

(Academie des Inscriptions; "Comptes Rendus"(Mai-Juin 1922).

ولا بدّ أنها كانت ملك أمير أسيوى لهذه المدينة ويحتمل أنهـا أرسلت له من قبل الفرعون هدية .

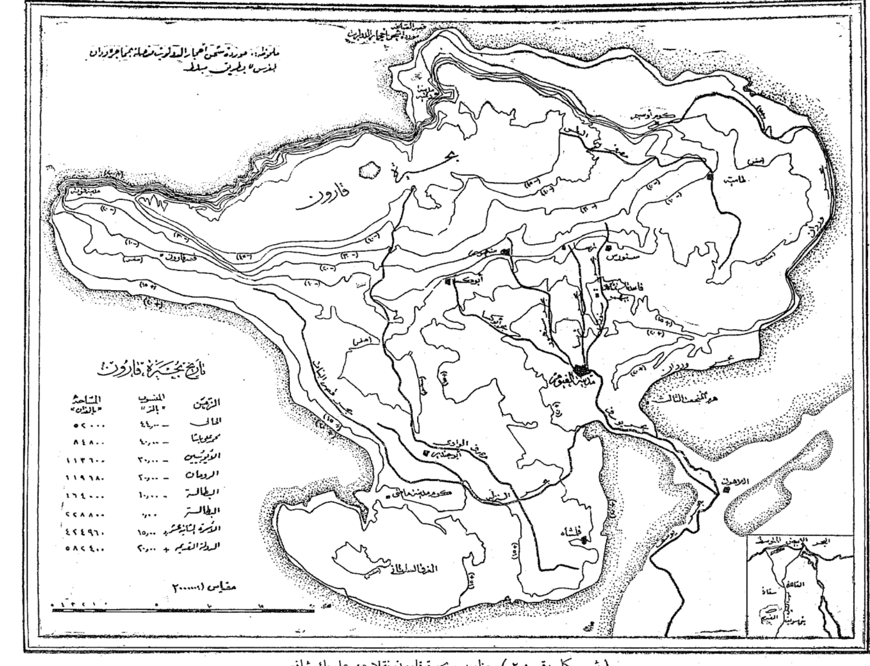
---

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم ج ١ ص ٢١٧ للمؤلف .

هذا مجمل ما وصلنا عن نشاط هذا الفرعون فى بعوثه وآثاره وعلاقاته الأجنبية. والآن ننتقل إلى أعماله الإنشائية فى داخل البلاد، وسنتناول الكلام أولا عن أهم مشروع حيوى للبلاد قام به، وأعنى بذلك بحيرة قارون أو بحيرة «موريس» القديمة، وإصلاح أرض الفيوم.

بحيرة قارون (بحيرة موريس)

لا جدال فى أن «أمنمحات الثالث» قد وجه عناية عظيمة لإقليم «الفيوم»؛ وأعماله العظيمة قام بها هناك. ويعتبر هذا المنخفض أو الواحة التى تتكون منها «الفيوم» بالنسبة لمصر نبات سوسن، تفرّع غصنه نحو الغرب جنوب المكان الذى تتفتح فيه الساق عن زهرة هى الدلتا اليانعة. ويحتمل أن هذا المنخفض قد نجم عن الانفصال فى طبقات الأرض، ونتج عنه مجرى النيل الطويل، ولا يزال جزء من هذا المنخفض تشغله بحيرة «قارون» الحالية، التى تعتبر جزءا من بحيرة عظيمة كانت تغطى منذ عصور ما قبل التاريخ معظم «الفيوم» الحالية بمياه الفيضان، وسطحها ينخفض نحو مائة وتسعة وعشرين قدما عن سطح البحر الأبيض المتوسط. وهذه المساحة من المياه كان يطلق عليها المصريون لفظة «حنومرور» أى بحيرة «مرور»، وهو الاسم الذى حرفه اليونان إلى «موريس» وبذلك أصبحت تسمى بحيرة «موريس» كما ذكر ذلك لنا «هرودوت»؛ وقد كتب الأستاذ «جاردنر» مقالا عن اسم بحيرة موريس (J. E. A., Vol. XXIV, pp. 37—46)، وقد برهن فى هذا المقال على أن لفظة «مرور» (موريس) تدل على اسم المدينة «كوم غراب» التى تقع عند منحنى بحر يوسف، أو هو الاسم الذى أطلق على مجرى المياه الذى صار يسمى القناة العظيمة الموصلة إلى المدينة المذكورة. والاسم المصرى لبحيرة «موريس» كان «تاحنو — مرور» أى بحيرة «حنومرور». وفى هذه الحالة تكون كلمة «حنو» — بحيرة، أما كلمة «مرور» (موريس) فتدل إما على البلد الآنف الذكر أو المجرى، أو القناة التى تقع عند فمها هذه البلدة.



(شــــكل رقم ٢٥) مناسيب بحيرة قارون نقلا عن على بك شافعي

العمل على تجفيف جزء من مساحة البحيرة فى عهـد أمنمحات الأوّل ـــ والظاهر أنه قد عملت محاولات منـذ الأسرة الخامسة لتجفيف جزء من مساحتها ، وفى عهد « أمنمحات الأوّل » فكر فى تجفيف جزء أكبر من هـذه البحيرة ، كما يدل على ذلك بعض آثاره هناك . ولقد تضاربت الأقوال فى وجـود هذه البحيرة فى تلك الجهة فى عهـد ما قبل التـاريخ ، وبخاصة ما ذكر فى كتاب « (Caton Thomson) » عن «الفيوم» ، وقد ردّ عليها العالم « ليل » و بعد ذلك أثبت « على بك شافعى » وجودها فى رسالة له فى هذا الصـدد بعنوان « بحـيرة قارون وعلاقتها ببحيرة موريس ونخزان وادى الريان» ، وأردفه بمقال ثان «رى الفيوم كما وصـفه النابلسى » ؛ غير أننا مع وجود هذه البحيرة لا يمكننا أن نقبل ما قاله « ديدور» نقلا عن « هيكاتا » (Hecataeus of Abdera) إن بحيرة « موريس » كانت خصصت لتنظيم فيضانات النيـل ، فى حين أن كلا من « هرودوت » و«استرابون» يقول :

إن ميـاه النيل كانت تتوفر فى البحيرة مدّة ستة شهور، وفى مدّة ستة الأشهر الأخرى من السنة تخرج منها المياه بطريق القناة نفسها ،ولكن بوساطة عيون أخرى.
(Meyer, "Geschichte des Altertums" I, par. 322)

وعلى أية حال فإن ظواهر الأمـور تدل على أن هـذه الواحة الغناء (الفيوم) هى من عمل النيل ،وسنتكلم عنها فيما يأتى ببعض التفصيل ،وبخاصة ماقام به «امنمحات» من العمل المجيد الذى سيبقى ما بقيت « الفيوم » .

ففى كل عام كانت رواسب الطمى من النيل تتخلف على هذا الحوض الطبعى المنبسط ، ومن ثم ارتفع منسوب الأرض تدريجا حتى انكمشت البحيرة فى أيامنا هذه إلى مساحة ضئيلة نسبيا عما كانت عليه فى الأزمان السالفة ، وهى التى تعرف الآن ببحيرة « قارون » . أما باقى الجـزء من هـذا المنخفض العظيم فقـد أصبح أرضا خصبة يانعـة مملوءة بالحقول الخضراء والحدائق الغناء ـــ ونعتقد أن الفيوم

فى عهد « أمنمحات » الثالث قبل إصلاحها كانت رقعة شاسعة من الماء ليس فيها إلا جزء صغير من الأرض الزراعيـة انتزع من الماء الضحضاح فى الجهة الشرقية، حيث كانت تقع بلدة « شدت » (الفيوم) التى كانت الجسور تحميها مما يكتنفها من المياه .

جهود « أمنمحات الثالث » فى عمل خزان الفيوم — والظاهر أن الملك « أمنمحات الثالث » كان يحس الألم والمضايقة من القحط الذى كان يصيب البلاد من جراء انخفاضات مياه النيل المتكررة ، والتى كان من نتائجها الجوع وانتشار الأوبئة، والظاهر أنه قد رأى فى منخفض الفيوم منقذا للبلاد من ويلات القحط ؛ إذ اتخذه خزانا طبعيا يمكن أن يمدّ البلاد الشمالية جميعها بالمياه أثناء انخفاض النيل سنويا فى فصل التحاريق، وكانت مياه الفيضان كما قلنا تنساب فى منخفض الفيوم فى فصل الخريف ، وعند ابتداء انخفاض الفيضان كانت هذه المياه تخرج ثانية مخترقة الحقول إلى النهر ثانيـة ، إلى أن يمنع جريانها الأراضى التى تعترضها ، وهى الواقعة بينها و بين النهر ، و بذلك تتبقى مساحة من المياه محجوزة فى الفيوم لا فائدة منها . والظاهر أن هذا الفرعون أو مهندسيه قد فكروا فى طريقة لتنظيم دخول هذا الماء وخروجه . وكانت النتيجة أن فكروا فى استعمال الترعة التى يبتدئ فتحها من النيل شمال « سيوط » عند « ديروط » ، وهـذه الترعة الطبعية هى المعروفة الآن « بحر يوسف » ؛ ومنها كانت تحمل مياه الفيضان مباشرة إلى خزان «الفيوم» . وهناك تحجز بوساطة حواجز لها عيون تصرف منها المياه ثانية تدريجا إلى هذه الترعة . فعند ما تكون المياه منخفضة فى النيل فى شهور التحاريق ؛ يمكن أن يبقى منسوب المياه فى النيل مرتفعا الارتفاع النافع لرى الأراضى من «سيوط» حتى البحر الأبيض المتوسط . وقد حسب أنه بهذه الطريقة تخزن كمية هائلة جدّا من مياه الفيضان تضاعف حجم المياه التى كانت تجرى فى النهر عند ما تنساب فيه تدريجا خلال فصل التحاريق من أبريل إلى يونيه :

(Brown, "The Fayoum and Lake Moeris".)

وقد أقيم سدّ عظيم أو خزان لأجل تنفيذ هـذا المشروع الهندسى العظيم عند المدخل الطبعى لهذه البحيرة أى عنـد « اللاهون » ليحصر دخول المياه وخروجها إلى القناة . هذا وقـد حصر المهندسون الذين قاموا بتنفيذ هـذا الخزان الميـاه فى الجزء المنخفض من «الفيوم» ، وذلك بإقامة سدّ آخر اتخذ صورة نصف دائرة طولها أكثر من عشرين ميلا ، و بذلك استردّ من الميـاه نحو عشرين ألف فدان فى الجهة القريبـة جدّا لوادى النيل ، وقد تحوّلت هـذه المساحة إلى حقول غنية بإنتاجها ، ولولا ذلك لـما تبقى من البحيرة إلا المستنقعات التى على حافتها ، والجزء الذى تقوم عليـه بلدة « شدت » (المستردّة) وهى « الفيوم » الحالية . وبهـذه الكيفية أصبحت بلدة « شدت » مفصولة عن البحيرة بمساحة من الأرض منتزعة من المياه تبلغ نحو خمسة أميال .

إعادة بناء المعبد الذى أقامه « أمنمحات الأوّل » فى « الفيوم » — وفى هـذه المدينة التى أصلحها « أمنمحات الثالث » أعاد بنـاء المعبد الذى أقامه جده «أمنمحات الأوّل» . (Petrie, "Hawara", p. 57; Rec. Trav. XI, p. 98)

وقد عثر على بعض آثار لهذا المعبد(ibid, Pl. XXVII, 10, 11)، وكذلك عثر له على جزء من مائدة قربان فى هذه الجهة :

(Lange and Schafer, "Grab und Denkstein", No. 20699)

وكذلك أمر هذا الفرعون بإقامة نقش فى هـذا المعبد كان الغرض منـه أن يظهر للعـالم جدارته بأن ينتخبه سـلفه « سنوسرت الثالث » ليخلفه على عرش الملك ، ولم يبق منـه إلا بعض قطع صـغيرة محفوظة الان بمتحف « برلين » ، والظاهر أن كثيرا من العبارات اللغوية التى وردت فى هـذا النص قـد كررت فى نقش تتويج الملكة « حتشبسوت » .

ويخيل إلىّ أن ترعة « بحر يوسف » التى كانت تملأ بها البحيرة ثم تفرغ كل سنة كانت تلف حول الجزء الجنوبى والغربى لمدينة «شدت» (الفيوم)، ثم تسير

جهة الشمال نحو أربعة أميال إلى أن تخترق السدّ العظيم عند نقطة بالقرب من مدينة « بياهمو » الحالية (وهو اسم قديم لم يحقق أصله حتى الآن). ولا بدّ أنه كان يوجد فى هذه الجهة خزان ذو عيون تفتح وتغلق، غير أنها اختفت كلية .

تمثالا «أمنمحات الثالث» فى بلدة بياهمو

وكان على الجزء العلوى من جانبى السدّ قاعدتان هرميتا الشكل من الحجر، يبلغ ارتفاع كل منهما نحوا من عشرين قدما ، نصب عليهما تمثالان ضخمان يمثلان الفرعون جالسا على عرشه ، وكان كل واحد منهما قد نحت فى قطعة واحدة من حجر الكوارتسيت الأبيض، ويبلغ ارتفاعه خمسا وثلاثين قدما ، وقاعدته أربع أقدام، وبذلك كان رأس كل تمثال يرتفع نحو ستين قدما عن قمة الخزان التى كانت تعلو عن سطح الأرض عدّة أقدام. وقد كانا لا يزالان موجودين عند مازار «هردوت» البلاد المصرية، وقد وصفهما بأنهما تمثالان جالسان أقيما على هرمين يشرفان فوق الماء ، ولكنهما قد اختفيا الآن ، ولم يبق منهما إلا بعض قطع محفوظة الآن بمتحف « اشموليان » « بأكسفورد » .

(Petrie, “Hawara”, Pls. XXV, XXVII)

ولا بدّ أن « هردوت » قد رأى التمثالين أيام الفيضان .

ومما لا ريب فيه أن هذا العمل الهندسى العظيم قد أفاد كل البلاد الواقعة شمالى « سيوط » ونجاها من القحط الذى ينجم عن نيل منخفض . أما الأراضى الواقعة جنوب «سيوط» فمن المحتمل أن هذا الفرعون قد أقام فى سنى حكمه الأولى سدّا عند الشلال الثانى قبل قلعتى «سمنه» و «قمة»، وبذلك يحجز مياه الفيضان فى فصل الخريف لتصرف فى فصل التحاريق .

«أمنمحات الثالث» وتدوين مناسيب النيل — وتعزى فكرة إقامة خزان أو سدّ فى هذا المكان إلى وجود نقوش فى صخور «سمنة» و«قمة» فى مناسيب مختلفة يستدل منها على ارتفاع النيل فى السنين الآتية من حكم هذا الفرعون ، وهى السنة

الرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والتاسعة، والرابعةعشر، والخامسةعشرة، والثانية والعشرون، والثالثة والعشرون، والرابعة والعشرون، والثلاثون، والثانية والثلاثون، والسابعة والثلاثون، والأربعون، والحادية والأربعون.

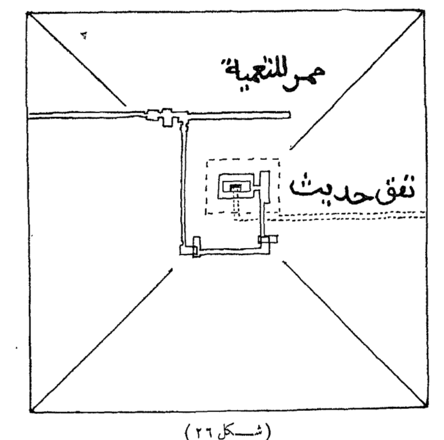
(L. D. II. Pl. 39)

وقد كان هـذا الفرعون أوّل من قام بتدوين مقاييس للنيل، ومن ثم اتخذت سنة، غير أن هذه المناسيب كانت أعلى من المناسيب الحالية للفيضان العالى بما يقدّر ما بين ست وعشرين، وثلاثين قـدما؛ على أنه لم يوجد أى أثر لمثل هـذا الخزان الذى يقال إنه أقامه. وسبب ارتفاع منسوب مياه النيل فى تلك الأزمان هو إما أن يكون مجرى النهر فى بلاد «النوبة العليا» قد انخفض بفعل التعرية والتآكل، أو أن مياه الفيضان كانت منذ أربعة آلاف سنة أكثر مما هى عليه الآن. والسبب الأوّل أقرب إلى الذهن، لأننا نشاهد فى عصرنا فعل التعرية والتآكل فى مجرى النهر وفى الصخور القائمة فى الشلالات. هذا وقد فسر الأستاذ «فلندرز بترى» وجـود مقاييس النيل عند «سمنة» و «قمة» بطريقة لا بأس بها فيقول: ”ولكن عند «سمنه» و «قمـه» قـد وجدت سلسلة نقوش غاية فى الأهمية رغم قصرها وهى تسجل ارتفاعات النيل. والأعمال المـائية العظيمة التى قام بها «أمنمحات الثالث» لتنظيم مياه النيل عند دخولها وخروجها فى منخفض «الفيوم» كانت تحتاج إلى تنبيه مبكر عن ارتفاع النيـل وانخفاضه، وقد كان يحفظ بذلك سجـل على الصخور، فى حين أنه كان من الممكن إرسال المناسيب بوساطة إشارات من تل إلى تل إلى أن تصل إلى «الفيوم» فى الوقت المناسب“.

هـذا ما كان من أمر الأعمـال الحيوية الدنيـوية التى قام بهـا لخـير مصر فى عالم الدنيـا، أما ما قام به لآخرته وآلهته، فكان على جانب عظـيم من الإتقان مما لم يضارعه فيه ملك آخر، وبخاصة هرمه ومعبده الجنازى، وهو ما سنتكلم عنه الآن.

هرم أمنمحات الثالث

لم يشذ «أمنمحات الثالث» عن أسلافه فى إعداد هرمين لنفسه، واحد منهما ليتوارى فيه جثمانه الحقيقى، والآخر لتأوى اليه الروح (كا) ويقدّم القربان إليها فيه. وقد كانت هـذه العادة متبعة عند الملوك والأفراد منـذ الدولة القديمة. وقد أقام الهرم الأوّل عند مدخل «الفيوم»، والثانى فى «دهشور»، وسنفصل الكلام عنهما فيما يأتى، لأنهما يعتبران من أهم الآثار التى خلفها هذا الفرعون، بل ومن عجائب الآثار التى تركها لنا الفراعنة فى عصور تاريخهم كلها.



(شـــكل ٢٦)
هرم أمنمحات الثالث (حجرة الدفن)

أقام «أمنمحات الثالث» الهرم الذى دفن فيه على حافة الصحراء عند مدخل الفيوم، ويعد هذا الهرم نحو أربعة أميال من شرقى مدينة «شدت» (الفيوم)، وعلى مسافة سبعة أميال من الجنوب الشرقى لعيون الحزان عنـد «بياهمو»، وعلى بعد

خمسة أميال غربى هرم «سنوسرت الثالث» فى «اللاهون»، وأطلق عليه اسم «نفر أمنمحات»، فكأنه أراد بذلك أن يشرف على الخزان العظيم الذى أنفق جزءا عظيما من حياته ومجهوده لإنجازه .

وقد أقام هذا الهرم من اللبن، ثم كساه الحجر الجيرى كما فعل أسلافه فى هذه الأسرة. ويبلغ طول كل ضلع من قاعدته ثلثمائة وخمسين قدما. أما ممراته الداخليه فقد افتن فى نحتها وبنائها لتضليل اللصوص الذين قد يأتون يوما ما لنهب الذهب والجوهرات التى دفنت مع الجثة، وقد بنيت هذه الممرات من الحجر الصلب .

التفنن فى إخفاء حجرة الدفن — وكان أول عمل خالف به من سبقه من ملوك الدولة القديمة أن جعل المدخل فى الجهة الجنوبية من الهرم بدلا من وضعه فى الجهة الشمالية كالمعتاد، حتى لا يهتدى اللصوص بسهولة إلى غرضهم فيصرفون وقتا طويلا فى البحث عنه فى هذه الجهة المعتاد وضعه فيها، ومن ثم صنع سلما طويلا ينحدر إلى حجرة تظهر للصوص أنها مؤدّية لحجرة الدفن، ولكن الواقع أن سقف هذه الحجرة كان قد بنى بانحدار جانبى وفيه فتحة لها ممران : أحدهما يمتد مستقيما، والثانى يتحوّل نحو اليمين . وهذا الممر الأخير كان يظهر للصوص أنه ممر مضلل وحسب، لأنه قد بقى مفتوحا، وينتهى بحجرة خالية. أما الممر الثانى فكان مغريا، لأنه كان قد سدّ بإحكام بأحجار مرصوصة، كأنه يؤدّى إلى الحجرة التى خبئ فيها الكنز الذى يصاحب الجثة، ولكن هذا الممر رغم ذلك قد انتهى عند لخص اللصوص له بالخيبة، إذ قد وضعت هذه السدادات لتضليل اللصوص، ولتضييع ما لديهم من قوة وجهد للوصول إلى حجرة الدفن الحقيقيه هباء . والواقع أن الممر الذى كان مفتوحا جهة اليمين كان هو الممر المؤدّى إلى حجرة الدفن، وقد قلنا إن هـذا الممر أيضا قد انتهى بحجرة خالية، ولكن كان يوجد هنا أيضـا سقف منحدر يؤدّى إلى ممر علوى يسـير نحو الشمال وينتهى ثانيـة بالصخر الأصم . ولكن عثر على شرك مخفى فى السقف يؤدّى إلى ممر ينتهى ببئر عميقة كان يأمل اللص أن ينزل فيها وهو مملوء بالأمل، ولكن هـذه

البئر أيضا تنتهى بلا شىء . و بعد ذلك لوحظ أن الجدار الذى على يمين هذه الحجرة وهو الذى يقوم بين البئرين ، كان مبنيا بقطع من الأحجار يخيل أن الدفن تحصن وراءها ، ولكن كشف أن هذه كانت خدعة ، وأن الباب الحقيقى إلى حجرة الدفن تؤدى إليه فتحة أرضية ، وهو موقع قد أحكم انتخابه بطريقة تجعل كل حيل اللصوص تنفد أو تعوقهم بقدر المستطاع ، لأن كل الشراك الأخرى التى نصبت لهم كانت فى السقف . وهذه الفتحة التى عثر عليها فى الأرض تؤدى إلى حجرة الدفن بوساطة ممر قصير ، ولكن اللصوص وجدوا أن المدخل كان مسدودا بحجر ضخم يبلغ زنته خمسة وأربعين طنا أعد لإنزاله فى مكانه بعد الدفن مباشرة . وقد نحتت حجرة الدفن فى الصخر الأصم الذى كان يرتفع هنا بمساواة الأرض التى أقيم عليها الهرم ، وقد وضع فى تجويف هـذه الحجرة المستطيلة الشكل كتلة واحدة من حجر الكوارتسيت المصقول . وهـذه الكتلة نفسها كانت قـد أفرغت بدقة فائقـة حتى أصبحت تكوّن بنفسها حجرة ذات جدران أربعة ورقعة ، فكان مثلها كمثل حوض طوله اثنتين وعشرين قدما وعرضه ثمـان أقدام ، وسمكه قدمان ، وكان يزن بعد الفراغ من نحته نحو مائة وعشرة أطنان ، وفى وسط هـذه الحجرة الجميلة المؤلفة من حجـر واحد وضع التابوت المصنوع كذلك من حجر الكوارتسيت المصقول . أما غطاء هـذه الحجرة فكان مركبا من ثلاث كتل من الحجر نفسه ، واحدة منها كانت تسـد المدخل ، وذلك بإنزالها من أعلى ، بعد أن وضع الجسم فى مخدعه فى تابوت مسطح الجوانب ومحلى بالزخارف وله غطاء مقبب ، وفوق هذه الحجرة أقيم بناء الهرم الذى كان يخـترقه عدّة ممرّات إلى حجر معقـدة ملتوية وهى التى وصفناها فيما سلف . (انظر شكل ٢٦) .

دفن الأميرة « بتاح نفرو » فى مقبرة والدها « أمنمحات الثالث » — و بعد الانتهاء من بناء هذا القبر المدهش بمدّة قصيرة فقد هذا الفرعون ابنته الأميرة « بتاح نفرو » التى كانت على ما يظهر أعز بناته .

ويظهر أنه رأى أكبر عزاء له فى أن يجعل مضجعها الأخير فى الضريح الذى بناه لنفسه . فكان هذا عملا فريدا فى العادات الجنازية المصرية . وكان غرضه أن يجتمع روحها مع روحه فى حجرة واحدة ، من أجل ذلك أمر بصنع تابوت لها يتألف من ثلاثة أحجار من «الكوارتسيت» ، وُضع فى الفراغ الذى تخلف بين قاعدة تابوته وجدران الحجـرة ودفنت فيه . ولمـا مات الفرعون دفن بجوارها بطبيعة الحال . ولكن بعد مضى زمن انقض اللصوص الذين كان يُخشى بأسهم على الهرم ، فضلوا السبيل بما أقامه لهم الفرعون من الأحابيل والحيل المضللة مدّة من الزمن ، ولكنهم فى نهـاية الأمر اهتدوا إلى حجرة الدفن ، وسرقوا كل ما كان مع الجثتين من ذهب ومجوهرات ثم أتلفوها ، وما تبق أشعلوا فيه النـار ، ولم يتركوا إلا قطعا صـغيرة عثر عليها « بترى » فى أيامنا . وهـذه القطع تشمل بعض قطع من أوانى المرمر والأطباق نقش عليها اسم الفرعون ، هذا إلى صندوقين من حجر الكوارتسيت لتوضع فيهما أوانى الأحشاء ، ومائدة قربان من المرمر نقش عليها اسم الأميرة .
(Petrie, "Kahun" p. 12; "History", Vol. I, p. 197)

مائدة قربان الأميرة «بتاح نفرو» — ويلاحظ فى نقوش هذه المـائدة ما يكشف لنا عن اعتقاد خرافى غريب منذ الدولة القديمة كما أشرنا من قبل ، وذلك أن المصرى كان يعتقد أن كل صورة منقوشة أو ملونة لهـا كيان روحى ، أى أنها تعيش بمثابة كائن حى فى عالم الأرواح حيث تسكن روح المتوفى ، وكان المثال نحاتا أو رساما أو نقاشا يسمى فى اللغة القديمة «سعنخ» (المحيى) أى الذى يجعل الشيء يحيا . ولمـا كانت معظم الإشارات المصرية القديمة تأخذ شكل حيوانات وطيور وهوام ، فإن الكهنة أخذوا يبثون فى عقول القوم أن هذه الصور التى كان بعضها مضرا يمكن أن تصبح حيوانات أو هوام حقيقية وتلحق بالمتوفى الأذى ، أو تأكل ما يقدّم له من القربان ، من أجل ذلك نجد على مائدة القربان التى عثر عليها فى حجرة دفن الأميرة أن الحيوانات والهوام التى تتركب منها الألفاظ المنقوشة عليها قد رسمت مقطوعة أو مبتورة حتى لا يلحق بالمتوفى أى أذى . وهذه العادة نجدها شائعة

منذ عهد الدولة القديمة كما ذكرنا، وبخاصة فى متون الأهرام المنقوشة على جدران حجر دفن الملوك فى عهد الأسرتين الخامسة والسادسة .

هرم «أمنمحات الثالث» فى «دهشور» — أما الهرم الثانى الذى أقامه، فقد انتخب له «أمنمحات» موقعا فى الصحراء عند «دهشور» القريبة من جنوبى «منف»، وكذلك بالقرب من هرم والده «سنوسرت الثالث» . (De Morgan, "Dahchour", Vol. II, Pls. 1, XVI, XVII) وهو بناء ضخم له روعته، أقيم من اللبن وكسى بالحجر الجيرى الذى لم يبق الآن منه شىء، وكان مدخله من الجهة الشرقيـة خلافا للمعتاد أيضا ، وقـد كان له ممرات داخليـة معقدة تؤدّى إلى حجـرة الدفن حيث يوجد تابوت فاخر . وقد وجدت قمة هذا القبر الهرمية الشكل والمصنوعة من قطعة واحدة من الجرانيت الأسود ملقاة بجواره، وقد نقش على جوانبها اسم الملك وصورة الشمس المجنحة، وهى موجودة الآن بالمتحف المصرى .

(Breasted, "The Dawn of Conscience", Fig. 6 facing p. 58).

ولم يوجد بطبيعة الحال أى أثر لجسم الفرعون، لأن هذا الهرم كان قد أقيم لروحه (كا) كما سبق ذكره .

مقبرتا الأميرتين ومحتوياتهما — وبجوار هذا الهرم عثر «دى مرجان» على مقبرتى أميرتين، وهما ابنتا هذا الفرعون، واسم الأولى «حتحورحتب»، واسم الثانيـة «نب حتب خرد»، وقد عثر فى قبريهما على كميـة من المجوهرات الفاخرة المحفوظة الآن بالمتحف المصرى ، غير أن صياغة هـذه الجواهر التى عثر عليهـا فى «دهشور» و «اللاهون» تقل فى جودتها وإتقانها عن التى عثر عليها فى العهود السالفة من هذه الأسرة، إذ يلاحظ أن الصدريات فيها مزدحمة بالرسوم، أو هى تقليد قبيح لسابقاتها، فيلاحظ أن ترصيع الأسوار قد استعمل فيه عجينة زرقاء بدلا من اللازورد، وكذلك استعمل الفخار المطلى فى ترصيع الصدريات بدلا من اللازورد وحجر «الأمزون» .

(De Morgan "Dahchour", Vol. I, p. 128; Vol. II, p. 107).

معبد الهرم « اللبرنت » — أما المعبد الجنازى الخاص بالهرم الذى دفن فيه الفرعون فهو ذلك البناء الهائل الذى بناه الفرعون على الجانب الأيسر منه، وكان يغطى مساحة من الأرض، يبلغ طولها نحو ألف قدم وعرضها نحو ثمانمائة قدم . وهو فى الواقع عبارة عن مجموعة من المحاريب والأبنية والردهات ، وصفها كتاب الإغريق الأقدمون عند زيارتهم لمصر ونعتوها بلفظة « لبرنت »، وهذا هو الاسم الذى أطلقه اليونان على مجموعة من المبانى فى « كنوسوس » فى جزيرة « كريت » .

ويرجع عهدها لزمن حكام «المنوان» ، وهذا البناء المصرى يعدّه اليونان أعظم أعجوبة فى مصر — وقبل أن نذكر ما كتبه اليونان عن هذا المبنى نريد أن نورد ما كتبه عنه الأستاذ «ينكر» فى تاريخه : (Junker, "Agypten" p. 96)، وقد وافقه فى هذا الرأى الأستاذ «هول» (Hall, "Ancient History of the East", Fig. 154) و « بترى » أيضا قال : إن البناء المسمى «باللبرنت»، هو فى الحقيقة المعبد الجنازى الذى أقامه «أمنحوتب الثالث» لهرمه الواقع عند مدخل الفيوم ، وتبلغ مساحته ٣٠٠ × ٢٥٠ مترا ويشمل خلافا لأحجار المعبد المعتادة أماكن منفصلة للمقاطعات التى كانت تتألف منها البلاد . وهذه المقاطعات كانت ترغب فى أن تمثل فى إقامة الشعائر الدينية بجوار الفرعون المتوفى، وقد وجدنا لهذا نظائر بصورة مصغرة فى ردهة معبد الفرعون « زوسر » وفى معبد « منكاورع » (معبد الوادى) . أما « بترى » فيقول (Petrie History, Vol. I, p. 198) : إن جزءا من هذا البناء على الأقل كان معبدا للفرعون . والآن نعود إلى ما قاله «هردوت» فى وصف هذا المعبد فاستمع لما يقول .

اللبرنت معبد « امنحوتب الثالث » كما وصفه هردوت —

تقع « اللبرنت » بعد بحيرة « موريس » بقليل بالقرب من المكان المسمى « كروكودبوليس » وهو الاسم اليونانى لمدينة شدت (أى الفيوم الحالية)، وقد زرت هذا المكان ووجدته يفوق كل وصف، وذلك لأنه لو جمعت كل الجدران والأعمال الأخرى العظيمة فى مكان واحد، فإنها لا تضاهى هذه « اللبرنت »

لا فى ضخامة العمل ولا فى مقدار النفقات، ومع ذلك فإن معبد « إفسوس » بناء يستحق الذكر، وكذلك معبد «ساموس» ؛ هذا الى أن الأهرام كذلك تفوق الوصف، وتضارع عددا كثيرا من أعظم مبانى الإغريق، ولكن «اللبرنت» تفوق الأهرام، فهى تشتمل على اثنى عشر بهوا كلها مسقوفة ولها (بوابات) تقابل الواحدة الأخرى تماما، ست منها تتجه شمالا، وست تتجه جنوبا، ويحيط بالبناء كله جدار واحد، ويوجد فى المبنى نوعان من الحجرات، نصفها تحت الأرض، والنصف الآخر على سطح الأرض، والأخيرة مبنية فوق الأولى. والعــدد الكلى لهذه الحجرات ثلاث آلاف وخمسمائة من كل من النوعين. ولقد مررت بنفسى فى الحجرات العلوية ورأيتها بعينى رأسى؛ وما أقوله عنها هو نتيجة ملاحظتى الشخصية. أما الحجرات السفلية فإنى أتكلم عنها حسبما سمعت، وذلك لأنى لم أفلح فى إغراء الحراس ليجعلونى أشاهدها. لأنها تحتوى على ضريح[1] الملك الذى بنى « اللبرنت » كما يقصون، وكذلك تحتــوى على أضرحة التماسيح المقدّسة، وهكذا يمكننى أن أتكلم فقط بطريق السماع عن الحجرات السفلية. أما الحجرات العلوية فقد رأيتها بعينى رأسى ووجدت أنها تفوق أى شىء آخر أنتجه الإنسان، وذلك لأن الممرات داخل البيوت، والمنحنيات المتنوعة المؤدّية للطرق الضيقة التى تخترق الردهات، بعثت فى نفسى إعجابا لاحدّ له. وبخاصة عند ما كنت أنتقل من الردهات إلى الحجرات، ومن الحجرات إلى قاعات العمد، ومن قاعات العمد إلى بيوت جديدة، ومن هذه ثانية إلى ردهات لم تر من قبل، وكان السقف مثل الجدران كلها منحوتة بأشكال، وكانت كل ردهة محاطة بعمد مبنية من الحجر الجــيرى الأبيض المرصوص بعضه فوق بعض بإحكام ودقة. وفى نهاية طرف «اللبرنت» أقيم هرم يبلغ ارتفاعه نحو ٢٤٠ قدما وقد نقش عليــه أشكال كثيرة، ويدخل فيه الإنسان بممرّ تحت الأرض. (Herodotus, Book II, par. 148-149).

---

(١) لقد كان «أمنمحات الثالث» موحدا مع الإله « سبك » الذى يمثل صورة تمساح فى العهــد الإغريقى الرومانى كما سيجىء بعد.

اللبرنت كما وصفه « استرابون » — أما «استرابون» فيقول عن هذا المبنى ما يأتى : "ولدينا هنا كانت «اللبرنت» وهو عمل يضارع الأهرام، و يتصل به قبر المـلك الذى بنى « اللبرنت » ، و بعـد استئناف السير بعـد المدخل الأوّل للقناة (بحر يوسف) على مسافة ٣٠ أو ٤٠ ستاديا يصادف الإنسان رقعـة من الأرض على هيئة مائدة فيهـا بلدة وقصر عظيم مؤلف من عدّة قصور عددها يوازى عدد المقاطعات التى كانت موجودة فى القطر المصرى سابقا ، وكذلك يوجد عدد مساو لذلك من القاعات ، محاطـة بعمد يلاصـق بعضها بعضا ، وكلها فى صف واحد وتؤلف مبنى واحدا كأنه جدار طويل فيه القاعات مقابلة للجدار ، وأمام المداخل طـرق عدّة طويلة مغطاة لهـا ممرّات متعرّجة يوصل بعضها للبعض الآخر ، حتى أنه لا يمكن لأجنبى أن يجـد طريقه إلى القاعات أو يخـرج منها بدون دليل" . والأمر المدهش هو أن سقف كل من هذه المساكن يتألف من حجر واحد ، وأن الطرق المسقوفة فى كل امتـدادها كانت مسقوفة بهـذه الكيفية أى بحجر واحد عظيم الحجم جدا يشـذ عن حدّ المألوف دون أن يتخلل ذلك خشب أو أى مادة أخرى . وعنـد ما كان يصعد الإنسان إلى السقف الذى لم يكن مرتفعا ارتفاعا عظيما ،لأنه كان يتألف من طابق واحد ، كان يرى الإنسان ميدان حجر مؤلف من هذه الكتل ، وعند ما ينزل الإنسان من السطح ثانية وينظر إلى القاعات فإنه يراها فى صف واحد مرتكزة على ٢٧ عمـودا كل منها مؤلف من حجـر واحد ، وكذلك الجدران كانت مبنية من أحجار لا يقل حجمها عن ذلك .

وفى نهاية هذا المبنى الذى يبلغ طوله أكثر من ستديوم يوجد القبر، و يتألف من هرم مربع كل ضلع من أضلاعه أربع بلترا (٤٠٠ قدم) فى الطول ، وطول الهرم مماثل لذلك ، والمتوفى المدفون يسمى « إماندس » « أمنمس » ، وقد أكد أنه بنى مثل هـذا العدد من القصور؛ لأنّ تلك كانت العادة لكل المقاطعات التى

(١) ستاديوم يساوى ٥٨٢ قدما .

كان يمثلها عظماؤها ، وكان يجتمع كهنتها ومعهم ضحاياهم ، لأجل أن يقدّموا القربان للآلهة ، وكذلك ليتشاوروا فى أهم مصالحهم ، وكانت على ذلك تحتل كل مقاطعة القاعة المخصصة بها . (Baedeker; "Egypt", (1929) p. 206)

اللبرنت كما وصفه « بليني » — وكتب «بليني» ما يأتى : "لقد بنى هذا البناء الهائل بمتانة لم يقو كثر العصور كلية على تخريبه ، وقد ساعد على تخريبه أهل «أهناسيه المدينة» الذين قاموا بتدمير بناء كانوا ينظرون إليه دائماً بعين المقت ، وإذا أردنا أن نفصل موقع هذا البناء وأجزاءه المختلفة استحال علينا ذلك لأنه مقسم إلى مناطق ومديريات تسمى كل منها مقاطعة وعددها ثلاثون ، لكل منها قصر هائل مخصص بها ، ويحتوى بالإضافة إلى ذلك على معابد لكل آلهة مصر ، وأربعين تمثالا «لتمسيس» ، ويحتوى كذلك على عدد مماثل من المحاريب . هذا فضلا عن هرم يبلغ ارتفاعه أربعين ذراعا ويشغل مساحة قدرها ستة « اورورا » ، وإذا ما أعيا الزائر الذهاب والإياب وصل إلى معابد معقدة فى الرواقات . وبعد ذلك يوجد كذلك قاعات ولائم قائمة فى قمة المصاعد المنحدرة ؛ هذا إلى (بوابات) ينزل منها الإنسان بوساطة سلم يبلغ عدد درجاته تسعين درجة ، وعمد فى الداخل مصنوعة من الصخر البروفيرى ، وصور آلهة وتماثيل ملوك ، وصور وحوش قبيحة . ويلاحظ أن بعض القصور قد أقيم بصورة خاصة ، حتى إذا حانت لحظة فتح الأبواب يتردّد صوت مخيف مثل صوت الرعد فى الداخل . هذا ولا بدّ من اختراق الجزء الأعظم من هذه المبانى فى ظلام حالك".

ولا نزاع فى أن سلسلة المبانى هذه التى تعدّ أعظم بناء أقيم فى مصر فى كل عصور تاريخها كانت تمثل المعبد العظيم الذى كان يقيمه الفرعون لعبادته بعد وفاته ، وحوله المعابد الصغيرة التى كانت تمثل كل مقاطعة وملحقاتها كما قلنا من قبل ؛ فكأنه كان يريد أن يمثل حكومته وما يتبعها فى مماته كما كانت تمثل مدّة حياته . وقد شاهدنا ذلك فى عهد «زوسر» وعهد «منكاورع» ولكن بصورة مصغرة (راجع مصر القديمة ج ١ ص ٣١٢) . أما ما يظنه بعض علماء الآثار من أنها كانت مقر حكومة البلاد

فى هذا العهد فظن لا يرتكز على مبررات سديدة ، إذ قال «ويجول» : "كانت بناء ضخما ، ولا بدّ أن يكون مركزا لحكومة البلاد" (Weigall, "History" Vol. II, p. 124) ، والواقع أن مقر الحكم فى عهد «أمنمحات الثالث» كان فى مكان يدعى «عنخ أمنمحات» بالقرب من « اللاهـون » (A. Z., Vol. 59, p. 53) . أما ما يقال من أنّ أهالى «إهناسية المدينة» قد خربوا هذا المعبد ، فقد يعزى إلى ما كان بين سكانها الذين كانوا يعبدون الإله «حرشف» ، وهو إله فى صورة كبش ، وبين عباد الإله «سبك» الذى كان يعبد فى « الفيوم » من عداء ، وقد أهـدى للأخير معبد « اللبرنت » . ولا غرابة فى ذلك فإن «سبك» كان أكبر معبودات الفيوم التى عنى بها «أمنمحات الثالث » عناية خاصة ، وهذا لا يحتم أن الجهات الأخرى كانت قد اتخذته إلها ، بل على العكس كان يعتبر فى بعض الجهات حيوانا ضارا .

بقايا «اللبرنت» — على أن ما أبقته يد التخريب على يد سكان «إهناسية المدينة» قد استعمله أهل القرون الوسطى فى بناء مساكنهم . وهكذا قد بقيت «اللبرنت» تستعمل بمثابة محجر حتى قضى على البقية الباقية فى بناء خط حديد «الفيوم» فى خلال القرن التاسع عشر ، فحينما كشف « بترى » عن موقع هذا المبنى فى عام ١٨٨٩ لم يجد إلا أكواما من شظيات الأحجار ، وبعض أجزاء من رقاع بعض الحجرات ، هذا الى أجزاء من صور بعض الآلهة ، وقطع من الأحجار المنقوشـة ، وقطع من الأعمدة ، وبعض بقايا المحاريب وتماثيل الملك .

(Petrie, "The Labyrinth and Gerzeh", Pls. XXIII-XXXII; "Hawara", Pl. XXVII; L. D. Vol. II. Pl. 140)

ولا نريد هنـا أن نفند ما جاء فى أقوال الكتّاب الأقدمين من خيالات وأقاصيص أخذوها عن أدلاء عصرهم ، لأن التفسير الذى عبر عنه أكبر علماء الآثار بأنه المعبد الجنازى للفرعون « أمنمحات الثالث » كفيل بأن يقوّض كل الخرافات والمبالغات والمتناقضات التاريخية التى وردت فى كتاباتهم ، ومع ذلك لا ننكر أنهم قد أدلوا ببعض ملاحظات هامة تطابق الواقع ، وبخاصة ماذكره «هردوت» وغيره

من أن عدد الحجر قد أقيم بقصد معين ، وذلك ليكون لكل مقاطعة من مقاطعات القطر حجرة أو قاعة خاصة بها لإقامة الشعائر الدينية ، وهذا فى الواقع التفسير الوحيد الذى وصل إلينا من الكتاب الأقدمين عن ماهية هذا البناء .

رأى فى تفسير كلمة « اللبرنت » — ويقول «ويجول» : والظاهر أن «اللبرنت» كانت تسمى فى العهد الفرعونى «أمنمحات عنخ» أى (حياة أمنمحات) ، وقد يستدل على ذلك بالنقش الذى عثر عليه فى محاجر «وادى الحمامات» المؤرخ باليوم الخامس عشر من الشهر الأول الفصل الثانى من السنة التاسعة عشرة من حكم هذا الفرعون ، ذاكرا أن الحملة قد أرسلت لإحضار آثار من الحجر الأسود الجميل من «وادى الحمامات» «لأمنمحات عنخ» ، لأجل معبد الإله «سبك» ، وهذه الآثار هى عشرة تماثيل ، طول كل واحد منها خمس أذرع ، كل واحد منها على عرش ، وكلها قد قطعت فى هذا العام (L. D. Vol. II, Pl. 138) . ويعتقد الدكتور «هول» أنّ هذا الاسم هو تحريف لاسم الفرعون «نيماعت رع» الذى حرف فى اليونانية الى «لمارس» (Lamaris.) » أو « لبارس (Labris) (Journal of Hellenic Studies" XXV; Hall, "Ancient History" p. 153 note 3) . غير أن المؤرخ « ويجل » تقدم فى خطوة أخرى فقال : "إنّ لفظة «لبرنت» تقابل لفظة «أمنمحات عنخ» مع إحلال «نيماعت» وهو الاسم الأول من أسماء التتويج لهذا الفرعون بدلا من أمنمحات". وبذلك أصبح اسم هذا المعبد « نيماعت عنخ » ، ومن ثم أخذ اسم « اللبرنت » .
(Weigall, "History", Vol. II, p. 124)

غير أن هـذا التفسير بعيد عن الفهم بعض الشىء ، وإن كان من الممكن قبوله شكلا إذا أطلقناه على مقر حكم هذا الفرعون كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وقد ظنّ البعض استنادا على أقاصيص «هردوت» أن ملوك الأسرة السادسة والعشرين قد أقاموا هنا أبنية فى هذا المكان ، إما بصفة إصلاحات للمعبد القديم ، أو إضافات له ، غير أن البحوث والكشوف التى قامت فى هذه الجهة لم تسفر عن

أى عمل يبرر هذا الزعم، بل كل ما نعرفه أن « أمنمحات » قد ظل يذكر بالفخار والاحترام فى «هوارة» إلى عصور البطالمة، فقد سميت باسمه (Petrie, "Hawara", Pl. V, 4-11) فى ذلك العهد، ولا يزال كذلك جزء من هذا الإصلاح الذى قام به كل من « بطليموس » و « كليوبترا » موجودا فى مكانه الأصلى . ولا بدّ أن تاريخه يرجع على أقل تقدير الى عام ١٩٣ ق م . هذه هى أهم أعمال هذا الفرعون العظيم من الإصلاحات الهامة لبلاده .

احتفال «أمنمحات الثالث» بعيد «سد» — وقد احتفل هذا الفرعون العظيم بعيد (سدّ) وقد أقام هذا الاحتفال فى العام الواحد والثلاثين من حكمه . وهذا ظاهر مما جاء فى لوحة محفوظة الآن بمتحف « بوستون » بالولايات المتحدة واللوحة لمحارب اسمه « سعنخ » ، (Weigall, "History" Vol 11. p. 132) وهى تنوّه بهذا العيد. ويستدل مما جاء فى ورقة «تورين» بعد إصلاحها أن هذا الفرعون العظيم حكم البلاد نحو تسع وأربعين سنة، ومات فى خلال الخمسين من توليته العرش، غير أن أحدث تاريخ له وجد على الآثار هـو السنة السادسة والأربعون، وقد جاء ذكر ذلك فى ورقة « كاهون » ؛ (Griffith, "Kahun Papyri," XIV. 9.) والظاهر أنه أشرك ابنه «أمنمحات الرابع» فى حكم البلاد فى أواخر أيامه، فقد وجد اسماهما جنبا لجنب فى نقش ، وقد ظهر اسمـه واسم « أمنمحات الرابع » مرات عدّة على جدران معبد « كوم ماضى » الذى ينسب لهما معا كما سيجىء بعد .
(Prisse, "Monuments Egyptiens" p. 9.)

مبانى «أمنمحات الثالث» فى معبد جَدّده أمنمحات الأوّل فى الفيوم — وتدل الكشوف الحديثة على أن «أمنمحات الثالث» قد أقام حجرة واسعة فى المعبد الذى يحتمل أن «أمنمحات الأوّل» قد أقامه فى مدينة «شدت» (الفيوم)، إذ عثر الأستاذ « لبيب حبشى» كبير مفتشى الوجه البحرى الآن على بقايا أعمدة فى « كيمان فارس» اتضح أنها كانت لقاعة أقامها هذا الفرعون. وقد وجد عليها نقوشا قال عنها :

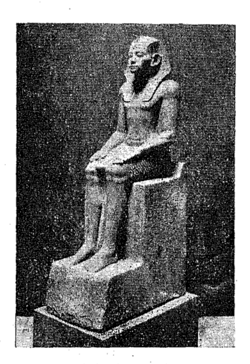
" إن أهمية هـذا المتن تنحصر فى أنه يظهر أمامنا النشاط الذى أظهره « أمنمحات الثالث» لتزيين هذه المدينة (الفيوم) التى شيدها جدّه «أمنمحات الأول» . فنعلم أن « أمنمحات الثالث » قد أمر بإقامة قاعة واسـعة أعمدتها ورقعتها من الجرانيت الوردى، وأبوابها من الذهب النضار. وهذه القاعة كانت قد أضيفت إلى معبد يحتمل جدا أن بانيه هو « أمنمحات الأول » (A. S. Vol. XXXVII, pp. 85—95) .

أخلاقه من فن عصره — وإذا كان الإنسـان يمكنه أن يقـرأ أخلاق الرجال من صورهم، فإن لدينا سلسلة صور لهذا الفرعون العظيم تحدّثنا بوضوح تام عما وراء تلك الوجوه من صفات وسجايا . والواقع أنها سلسلة قل أن يوجد مثلها فى الفن المصرى لمـا تشف عنه من صادق التعبير الذى تتمثل فيه الطبيعة وتتجلى بكل معانيها . ولا غرابة فى ذلك فإن الفن المصرى قد بلغ فى عصره لمدّة قصيرة درجة من محاكاة الطبيعة الصافية . لم يتسنّ له أن يصلها ثانية إلا فى عهد « إخناتون» ، وقد بلغ من القوّة مرتبة لم تتأت له بعد، وقد بدأ التقدّم الفنى فى هـذا العصر على يد حفارى الفرعون « نب حبت رع منتوحتب الثانى » ، واستمرّ فى طريقه نحو الكمال فى عهد مـلوك الأسرة الثانية عشرة ، التى يمكن أن يقـال عنها إنه فى عهدها وصل الفنّ المصرى إلى أوجه . فقد كان ذوق المفتنين فى الأسرة الثانية عشرة يدعو إلى الإعجاب؛ فهم سواسية مع زملائهم « اليابانيين » فى حاسة التنسيق والرقة، كما أنهم يحاكون «اليونان» فى حاسة التوازن والشبه. ولا نزاع فى أن أحسن ماوصلت إليه يد المفتن فى الأسرة الثامنة عشرة يعدّ سوقيا، إذا ما قرن بما أخرجته يد مفتن الأسرة الثانية عشرة. فمقابر «بنى حسن» تعدّ وحيا جديدا للذين قد اقتبسوا معلوماتهم من المبانى الضخمة المنكرة القائمة فى «الكرنك» أو «أبو سمبل»، إذ ليس شىء يعادل ردهة مقبرة « أمينى » المتناسبة الأجزاء الرائعـة التركيب بمـا فيها من أعمدة جميلة فى كل ما كشف عنه منحوتا فى الصخور المصرية فى الأزمنة التى توالت، هذا إلى دقة محاكاة الطبيعة فى الجم الغفير من جماعات المصارعين الذين رسموا على الجدران

حول المدخل المؤدّى إلى الحجرة الداخلية ، وهى لا يضارعها فى جمالها إلا رسوم الأوانى الإغريقية فى أزهر عهدها .

على أن مقابر هـذا العصر الأخرى لا تقل عنها فى روعتها و جمالها . وكذلك حرفه الصغيرة يظهر فيها التفوّق فى الدقة التى لا تجارى ، فالقطع الفنية الصغيرة من العاج والجعارين والصياغة لا مثيل لها ، و بخاصة الصدريات الذهبية والجوهرات الأخرى المطعمة بالأحجار الجميلة التى كشف عنها فى عهد «سنوسرت الثالث» وسلفه من ملوك هذه الأسرة ، وهى التى كشف عنها فى « دهشور » كما أسلفنا ، ولم نجد ما يضارعها فى الأزمان التالية من عهود الفراعنة .

أما صور الملوك المنقوشة على الجدران وتماثيلهم المنحوتة فى الأحجار الصلبة فإنه رغم تصوير أجسامهم بهيئة رسمية ، وتمثيلها حسب قواعد مرعية ثابتة منذ عهد بناة الأهرام ، فإن وجوههم تدل على قوة التمثيل بدرجة لم تضارع حتى فى عهد الأسرة الرابعة . ولا يمكن لامرء أن يناقش صدق تصوير هذه الوجوه بغيرها ، فالمثال الذى



شكل ٢٧ أ «أمنمحات الثالث» فى مقتبل عمره



شكل ٢٧ ب « أمنمحات الثالث» فى كهولته

صوّر الملك « منتوحتب » فى الدير البحرى قد وضع المثل الأوّل ، ثم حذا حذوه أولئك المثالون الذين أبرزوا لنا وجوه « سنوسرت الأوّل » فى « قفط » و « سنوسرت الثالث » فى سلسلة من تماثيله التى وجدت فى « الدير البحرى » ، (Naville, Deir el Bahari XI Dyn. Vol 11, Pl. XIX, Ch. 111) ، ثم فاقوا المثل الذى احتذوه . ومجموعة صور للفرعون « سنوسرت الثالث » العظيم التى عثر عليها فى الدير البحرى تمثله فى أدوار مختلفة من حياته منذ شبابه إلى شيخوخته ، ولدينا رأسان لهذا الفرعون من الجرانيت الأحمر من « العرابة » و « الكرنك » (Petrie 'Abydos' Pl. LV, pp. 6, 7,) يمثلانه فى شيخوخته بوجه يسترعى النظر فى كل هذه الصور ، لما فيه من تقاطيع تدل على الحياة ، وما ينطوى عليه من تمثيل تاريخى لا يحتاج إلى إيضاح . ولكنه مع ذلك لا يصل إلى مرتبة مثل محيا « أمنمحات الثالث » الذى كان يمتاز بتقاسيم خاصة ، إذ يمكن الإنسان كما أسلفنا أن يقرأ أخلاقه من سلسلة صوره التى وصلتنا (Weigall, "Ancient Egyptian Works of Art" pp. 95 — 103)



شكل ٢٧ حـ « رأس لأمنمحات الثالث » من حجر الثعبان (فى برلين) يمثل الشيخوخة المبكرة



شكل ٢٧ ى
« أمنمحات الثالث » فى صورة بو الهول

فنجد أوّلا تمثالا جميلا فى « متحف القاهرة » يمثله وهو شاب فى مقتبل العمر (انظر شكل ٢٧ ا) ؛ وفى مجموعة « أسكار رفائيل » « بلندن » يوجد رأس صغير من حجر الأبسيديان يمثله فى كهولته حينما بدت ملامح فمه وذقنه يظهران بعض الحزم والصلابة (انظر شكل ٢٧ ب) وكذلك حينما يلوح فى عينيه التفكير . أما الدور الثانى من حياته فيمثله رأس صغير نحت فى حجر الثعبان وهو موجود الآن فى «متحف برلين» ، فيشاهد فيه أن جفن العين قد أصبح أثقل من ذى قبل ، ويرى فى تقسيم وجهه نظرة الرجل الذى أنهكته الهموم (انظر شكل ٢٧ حـ) ، وكذلك التمثال الصغير الموجود الآن بمتحف « الهرمتاج» فى « بتروغراد» فإنه يمثله فى نفس هذا الدور من حياته ، ومن المحتمل أن تمثال «بو الهول» الفاخر الذى عثر عليه فى «تانيس» والمحفوظ الآن بمتحف «القاهرة» ينتسب إلى هذا الطور من حياته أيضا . (انظرشكل ٢٧ ى) ؛ ثم لدينا تمثال كامل فى متحف «برلين» يمثله لنا فى صورة رجل ربعة ينم عن وجه عبوس ، كما أن تمثال « الكرنك » المحفوظ الآن بمتحف « القاهرة » يظهره فى قصره المعهود



شكل ٢٧ ى

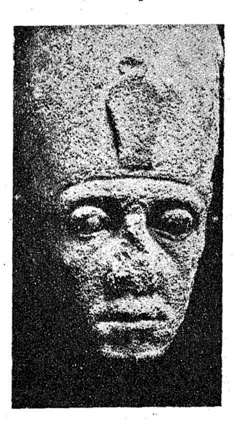
«أمنمحات الثالث» فى صورة «بو الهول»



شكل ٢٧ هـ

تمثال «أمنمحات الثالث» من حجر الابسيديان يمثله فى شيخوخته المتقدمة

فى حين أن وجهه هنا أخذت ترتسم عليـه ملامح الكآبة ، ويشاهد فيه هذه النظرة التى تنم عن الحزن السافر ؛ وفى تمثاله الجميل المنحوت فى حجر الأبسيديان فى مجموعة « ماك . ريجور » يلاحظ فيه أن الجفنين قد ثقلا وأن تجاعيد غائرة قد خطت تحت عينيه الحزينتين ، هذا إلى فم جامد ووجه قد طغى عليه الشحوب وغمرته الهموم (انظر شكل ٢٧هـ) . وأخيرا يوجد له تمثال من الجرانيت لم يبق منه إلا الرأس ، عثر عليه « بترى » فى «العرابة المدفونة» ، وهو يضع أمامنا آخر مرحلة من مراحل حياة هذا الفرعون ، حيث نشاهده رجلا مسنا ذا عينين غائرتين فى محجريهما ، وملامحهما ، ارتسم عليها حزن عميق يعبر عن دنو الأجل ونهاية المطاف فى هذا العالم الذى ملأه مجدا وفخارا (انظر شكل ٢٧ و) . ومن هذه التماثيل يظهر أمامنا حقيقتان : أولاهما هى أن هذا الفرعون على ما يظهر كان غير متمسك بالتقاليد ، فلم يمانع فى أن يصوّره مثالوه كما هو على حقيقته لا كما كان يحتمه العرف ، وهو أن يظهر الفرعون صورة



شكل ٢٧ و « تمثال أمنمحات الثالث » من العرابة فى شيخوخته الفانية

ناطقـة ترسم على فمـه ابتسامة هادئة وجسما جامدا لا حركة فيه ولا حياة . والواقع أنه فعل ما لم يفعله غيره من أجداده على قدر ما وصلت إليه معلوماتنا ، إذ قد سمح لرعاياه أن يروه على حقيقته ، شاحب المحيا مظلمه ، دون أن يرتسم على وجهه تلك الابتسامة الهادئة المتغطرسة التى كان يظنّ أنها رمز الملكية وعنوانها .

والحقيقة الثانيـة يظهر أنه استخدم مثالين أحذق من أولئك الذين عرفوا من قبل . ولا نزاع فى أن رأس مجموعة « ماك جريجور » وأحسن تماثيل « بو الهول » التى وجدت فى « تانيس » تعدّ قطعا فنية من الطراز الأول فى الجودة ، وتضارع فى عظمتها أى صورة فنية فى أى عصر، وفى أى بلد .

والباحث فى صور ملوك الأسرة الثانية عشرة وما انطوت عليه من حزن وآلام ويأس وقنوط وجرأة ورزانة ، يستدل على أنها كانت فى الواقع تمثل حالة العصر الذى وجدت فيـه ، إذ كان كله عصرا مملوءا بالريبة والشكوك إلى حدّ أن ذلك الشعور قـد انعكست ظلاله على أعظم أنواع الفن فى ذلك العصر ، وأعنى به فن النحت والتمثيل ، وبخاصة فى ملوكهم وعلى رأسهم « أمنمحات الثالث » الذى سار بالبلاد إلى القمة فى كل ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية ، والزراعية ، والدينية ، والفنية .

تأليه الفرعون « أمنمحات الثالث » — لقد كان « أمنمحات الثالث » من الملوك المصريين الذين بقى اسمهم معروفا عنـد الكتّاب الإغريق ، فقد كان يذكر فى البردى الإغريقى باسم « لا مارس » الخ (Mares, Labares, Lamares) .

وهـذه التسمية تحريف للقبـه « نيمـاعت رع » كما ذكرنا آنفا . وتدل شواهد الأحوال على أن « أمنمحات » أصبح ضمن الفراعنـة الذين كانوا موضع تقديس بعـد موتهم ، بل انتهى الأمر بوضعهم فى مصاف الآلهة ، واستمرت هذه العبادة إلى العصـور المتأخرة من تاريخ مصر كما سنرى ، وقد كان « فلكن »[1] أوّل

(1) Gott. Gel. Anz. (1895) pp. 157, 158; A.Z. Vol. XLIII (1906) p. 84.

(2) A. S. Vol. XL, p. 553.

من وجد اسم « بورامارس » تحريف « نيماعت رع » باسم « أمنحات » ، وقد خالجه الشك فى هذا ، ولكن ناصره فى رأيه كثير من العلماء ، وبقيت الحال كذلك إلى أن ظهرت نتائج الحفائر التى قام بها « فوليا نو » فى مدينة « كوم ماضى » من أعمال « الفيوم » ، فجاءت بالبرهان القاطع لرأى « فلكن » وذلك بما كشف عنه فى جزء المعبد الذى أقيم فى العهد الإغريقى الرومانى .

(Vogliano, "Primo Rapporto degli Scavi..nella Zona di Madinet Madi (Milano, 1936); Secondo Rapporto (Milano, 1937).

ولم تدل نتائج هذه الحفائر على أن « بورامارس » (Porramarés) كان موحداً مع « أمنمحات الثالث » وحسب ، بل على أن «إزيدور» كان يعلم تمام العلم بتوحيد الاسمين . وقد عثر على لوحة لا نعلم مصدرها ، وهى تدل بوضوح على بقاء عبادة هذا الفرعون فى العهود المتأخرة وهى تحمل اسمه « نيماعت رع » ويلاحظ أن « أمنمحات » كان يوحد على هذه اللوحة مع الإله « سبك » وهو إله الفيوم . وإذا فلا غرابة فى هذا التوحيد إذ قد وجد فعلا أن « أمنمحات » متحد فعلا مع «سبك» فى هذه اللوحة . وكذلك فى النقوش ، هذا فضلا عن أن الإله «سبك» كان فى عهد «أمنمحات الثالث» يحتل مكانة عظيمة ، وبخاصة فى نقوش معبد مدينة « كوم ماضى» ، إذ نجد فى الواقع اسمه أبرز من اسم الإلهة «رننوتت» التى أقيم من أجلها هذا المعبد . وها نحن أولاء فى نهاية المطاف نرى أن «أمنمحات» الرجل العظيم يفرض على الشعب احترامه وتعظيمه لا بالقوة والعنف ، بل بما خلفه من عظيم الآثار الباقية التى أفادت البلاد ، وخطت بها إلى الأمام لدرجة أنهم قد وحدوه مع أعظم الآلهة فى عصرهم ، بل تخطوا ذلك فحذفوا كلية اسم الإله الأصلى ، ونقشوا مكانه اسم الملك الذى خلق لهم الإقليم الذى فيه يعبد خلقا جديدا ، ولا غرابة فى ذلك فإن «أمنمحات الثالث» يعدّ بحق محيي إقليم الفيوم ومغدق نعمة مياه الفيضان على أرض الكنانة .

أمنمحات الرابع

١٨٠١ — ١٧٨٨ ق م

حالة البلاد عند توليته الملك — بعـد وفاة « أمنمحات الثالث » العظيم يظهر أن « أمنمحات الرابع » ابنه قد انفرد بالملك، وقد كان لقب تتويجه « نى ماع ، خرورع » .

وتدل الكشوف الحديثة على أنه كان مشتركا حقيقة مع والده فى الملك ، غير أن مدّة هذا الاشتراك لم تحدّد بعد ؛ ويقول لبعض إنه لم ينفرد بالملك وحده .

ولا نزاع فى أن «أمنمحات الثالث» قد ترك لابنه مملكة عظيمة المنزلة، ثابتة النظام ، بفضل جمع السلطة كلها فى قبضة الفرعون ، وتلاشى أمراء المقاطعات الوراثيين جملة من البلاد، واستبداله بهم موظفين تابعين للحكومة الرئيسية . غير أن هـذا النوع من الحكم المطلق له عيبه ؛ فإن السلطة المطلقة إذا جمعت فى يد فرد واحد قوى، ثم جاء خلفه ضعيف الشكيمة خائر القوة كان ذلك نذيرا بانتقاض ذلك البناء الضخم الذى شيده من سبقه من الأقوياء ، وتلك حال أثبتها التاريخ فى كل عصوره ، وبخاصة بعـد أن تصعد البلاد المحكومة حكما فرديا إلى أبعد شأو لها فى المدنية والتحضر والفتوح . ولقد أصبحت هذه حال البلاد المصرية بعد وفاة عاهلها العظيم «أمنمحات الثالث» ، إذ تدل شواهد الأمور كلها على أن «أمنمحات الرابع» لم يكن بالشخصية البارزة المناضلة مثل والده وأجداده الذين كانوا يسيرون بالبلاد دائما إلى الأمام . نقول هـذا رغم ما تركه لنـا من مخلفات وآثار فى طول البلاد وعرضها ، تدل على نشاطه وجدّه اللذين كانا يتفقان مع ما أوتى من عزيمة وهمة محدودتين .



شـــكل ٢٧

معبد مدينة « كوم ماضى » من عهد الدولة الوسطى

والظاهر أن هذا الفرعون لم يشنّ أية حرب خارج الحدود المصرية، إذ لم تصلنا حتى الآن نقوش تدل على ذلك، وليس هذا بغريب، فقد ترك له والده البلاد هادئة مطمئنة فى كل تخومها ؛ ولذلك نرى أن «أمنمحات» قد نشط بعض الشىء بالنسبة لأسلافه فى إرسال البعوث السلمية لاستحضار الأحجار والمعادن لإقامة المبانى الدينية التى وصل إلينا بعض المعلومات عنها ، وبخاصة المعبـد الذى أقامه بالاشتراك مع والده وهو الذى كشف عنه حديثا فى مدينة « كوم ماضى» فى عام ١٩٣٦ . وقبل أن نتكلم عن بعوثه وآثاره الأخرى فى البلاد، آثرنا أن نفصل القول بعض الشىء عن هذا المعبد، وتاريخ المكان الذى أقيم فيه ، وأهمية البناء نفسه من الوجهة الدينية والفنية والتاريخية ، وذلك لعـدم صدور بيـان شاف حتى الآن عن هـذا المعبد والمكان الذى أقيم فيه .

مدينة « كوم ماضى » ومعبدها — فى عام ١٩٣٦ كشفت بعثة جامعة « ميلانو » معبدا صغيرا يرجع تاريخه للأسرة الثانية عشرة أثناء أعمال الحفر التى قام بها الأستاذ «فوليانو» فى مدينة « كوم ماضى» الواقعة جنوب غربى «الفيوم» . ويرجع تاريخ إقامة هذا المعبد إلى أيام الحكم المشترك للفرعونين « أمنمحات الثالث والرابع » . وتدل الآثار الباقية على أن دهليز هذا المعبد قد اختفى ، ويتألف المعبد من صرحين على الجانبين ، تتوسطهما قاعة عمد تتصل بباب عظيم وممر ضيق إلى ثلاث مقاصير أو هيا كل صغيرة لا يزال سقفها محفوظا حتى الآن . وكانت مخصصة لعبادة ثالوث هذه الجهة ، ويتألف من الآلهة « رننوتت » وهى على صورة ثعبان تقول عنه النقوش إنه كان « حيا » ، ثم الإله « سبك » الذى كان يعبد كثيرا فى تلك الجهة فى صورة تمساح ، والإله « حور » أو « شدت حور » أى « حور الفيوم » .

ولا يدل ما بقى من النقوش والرسوم البادية فى جدران هذا المعبد على ما كان عليه المتفنن المصرى من الدقة والمهارة فى هذا العصر الذهبى . وتحتوى هذه النقوش فى جملتها على مراسيم التطهر ، ووضع الأساس ، وتقديم القربان ، غير أن عدم الدقة لا يقلل من أهمية هذا المعبد الذى يعد من المبانى الدينية النادرة فى هذا العصر .

وتقع مدينة « كوم ماضى» الآن فى قلب الصحراء على بعد عدّة كيلو مترات من الأراضى الزراعية رغم أنها كانت فى الدولة الوسطى إحدى المدن التى نشأت على شاطئ البحيرة القديمة ؛ وكانت تصلها المياه العذبة ليستقى بها أهلها ، ويروون بها حقولها من ترعة أشارت إليها نصوص الدولة الوسطى ، وكانت تبتدئ عند « اللاهون » وتسير غربا ، ثم شمالا فتروى جميع البلاد الواقعة جنوب وغرب مديرية «الفيوم» .

وظلت هذه المدينة عامرة حتى أيام العرب ، فلما زاد الأهالى فى تطهير الترع بعد أيام الفاطميين وإصلاح الجسور ، لم تعد المياه تصل إلى البلاد النائية ، بخفت حقولها وهجرها أهلها ، وتحوّلت بعد وقت قليل إلى صحراء بعد أن غطتها الرمال .

وكانت هـذه المنطقة عامرة فى أيام الدولة الوسطى والحديثة، ولكن تضاءل شأنها بعد ذلك إلى أن ازدهرت مرة أخرى فى أيام البطالمة، واستمر هذا الازدهار حتى أوائل عصر الرومان .

وصف معبد الدولة الوسطى وأهميته — والمعبد القديم مبنى فوق ربوة تشرف على البحيرة القديمة ، وجدرانه كلها مغطاة بالنقوش . وقد أصلح فى عهد الأسرة التاسعة عشرة، ولكن هذه الإصلاحات لم تمتدّ إلى إصلاح المعبد الأصلى . والظاهر أنه فى عهد البطالمة والرومان قـد زيد فى البناء القـديم بإنشاء عدّة ردهات أمامه ، كما أنشئوا طريقا طويلا وضعت على جانبيه تماثيل « بو الهول » كما بنوا أيضا فى العصر اليونانى الرومانى معبدا كبيرا خلف معبد الدولة الوسطى .

وهذه المعابد تتوسط مدينة كبيرة لم ينلها كثير من التخريب والتدمير فى العصور الحديثة، وبخاصة على يد المسمدين لبعدها عن الزراعة؛ من أجل هذا عثرت فيها البعثة فى الفترات المتقطعة التى قامت فيهـا بأعمال الحفر على آثار قيمة من أوراق البردى والاستراكا والتماثيل، ولكن لم يتناول عمل البعثة إلا جزءا يسيرا من المدينة القديمة التى تنتظر معول الحفار . ومعبد الدولة الوسطى هو بلا شك أهم آثار مدينة « كوم ماضى » إن لم يكن من أهم الآثار فى مصر كلها ، إذ أنه رغم صغره كما قلنا فى حالة جيدة ، ويضيف إلى معلوماتنا عن ديانة قدماء المصريين وهندسة بنيانهم فى الأسرة الثانية عشرة شيئا لا يستهان به .

ومن النقوش التى تلفت النظر فى هذا المعبد كذلك النقوش التى تنبىء بأن «أمنمحات الثالث» احتفل بعيده الثانى من أعياد «سد» (أى عيد الثلاثين)، ولعل هذا البناء كان قد أقيم لأجل هذه المناسبة فى حكمه المشترك فيه مع ابنه «امنمحات الرابع» .

هرم أمنمحات الرابع — وقد عزا المستر «ماكى» ، إلى هذا الفرعون بناء هرم « مزغونة » الجنوبى وقال إنه دفن فيه (Petrie, "Labyrinth" p. 49) ، وكذلك عزا الهرم الأخير الموجود فى هذه الجهة إلى أحد أخلاف «أمنمحات الثالث»

المباشرين . وهذان الهرمان يقعان على بعد عدّة كيلومترات جنوبا من جسر «دهشور»، غير أن الأستاذ «جيكيه» بعد فحص هذين المبنيين ألحقهما من حيث فن العمارة إلى مبانى عصر الأسرة الثالثة عشرة، وبخاصة بعد أن وُجد تشابها عظيما بينهما وبين هرم «خنزر»، وما وجد فيه من الآثار المشابهة لما وجد فيهما .

(Jequier, "Deux Pyramides du Moyen Empire", p. 67.)

وكذلك ظنّ «فلندرز بترى» أن الهرم المبنى من الحجر فى «دهشور» هو لهذا الملك، ارتكانا منه على نقوش مشكوك فيها وجدت فى المحاجر. وهذا الظنّ بطبيعة الحال يثير أمامنا مسألة المكان الذى دفن فيه هذا الفرعون ويجعل ذلك موضع بحث من جديد . (Petrie, "Season" p. 17) .

آثار «أمنمحات الرابع» فى أنحاء القطر — هذا وقد عثر لهذا الفرعون على آثار عدّة فى جهات متفرّقة فى أنحاء القطر وخارجه، منها هياكل أو تماثيل، ومنها نقوش على لوحات أقامها رجال البعوث الذين أرسلهم فى حملات لقطع الأحجار، أو استحضار الأحجار نصف الكريمة . وسنتناول كلا من هذه المخلفات على حدة . فمن التماثيل التى وجدت له أو كتب عليها اسمه ما يأتى :

(١) تمثال من الجرانيت الأسود للإلهة «حتحور» وقد عثر عليه فى «طيبة» .
راجع (L. D. Vol. II, Pls. 120. f. g. 140. m.; Berlin. No. 1117)

(٢) ويوجد له بمتحف «الإسكندرية» الآن تمثال مزدوج من حجر «الكوارتسيت» المستخرج من «الجبل الأحمر» . وقد وجد رأس التمثال مهشما وعثر عليه فى «أبى قير»، ويلاحظ أن اسم الفرعون الذى كان على صدر التمثال قد حوول محوه، ولكن لحسن الحظ كانت قد كرّرت كتابته بين مخالبى التمثال فعرف تماما .

(Daninos, "Rec. Trav.", Vol. XII, p. 213; A. S. Vol. V, p. 116)

(٣) وكذلك عثر على الجزء الأمامى لتمثال له فى صورة « بو الهول » من حجر الكوارتسيت لا يعلم مصدره الأصلى ، وقد كتب صدره بحروف غائرة "ملك الوجه القبلى والبحرى" رب الأرضين « ماع خرورع » ومعطى الحياة ،

(Borchardt, "Statuen und Statuetten von Konigen und Privatleuten im Museum Kairo", No. 338, Cairo Register No. 25778).

(٤) وعثر على قاعدة من الجرانيت الأحمر باسم هـذا الفرعون واسم والده «أمنمحات الثالث» ،وقد استخرجت من رصيف الأحجار الواقع جنوب (البوابة) الثالثة للفرعون «أمنحوتب الثالث» بالكرنك ، و يبلغ ارتفاعها نحو ثمانمائة وأربعة وثلاثين سنتيمترا . أما سطحها الأعلى فيبلغ طـوله ١,٥٥ مترا وعرضه ٠,٨٩٧ من المتر . وتدل النقوش الغائرة فى هذه القاعدة على أن « أمنمحات الثالث » قد شغل النصف الأيمن للناظر من هذه اللوحة ، وشغل «أمنمحات الرابع» الجزء الأيسر منها بنقوش مماثلة تقريبا ، وهى عبارة عن تقديم هذا الأثر للإله « آمون » رب عروش الأرضين . ولا نزاع فى أن هذا النقش هو برهان آخر على ما ذكرناه وذكره بعض المؤرخين من أن هذين الفرعونين كانا قد اشتركا مدّة معا فى الحكم .

(Gauthier, "Livre des Rois", Vol. I, p. 338, Note 2; Breasted, "A History of Egypt" (2nd ed) p. 208)

والظاهر من النقوش التى وجدت على سطح هذه القاعدة أن هـذا الأثر كان قد صنع ليوضع عليه « ناووس » أو سفينة مقدّسة للإله «آمون» . وهذه النقوش لم يظهر فيها أى محو من جانب « أمنمحات الرابع » بل على العكس نجـد أن الجهة اليسرى من هذه اللوحة أكبر من الجهة اليمنى بنحو أربعة سنتيمترات ، مما يدل على أنه لم يكن هناك اغتصاب من جانب «أمنمحات الرابع» . ونجد على الجزء الأمامى من النقوش أن كلا من الملكين يقدّم هذا الأثر للإله « آمون » كما ذكرنا .

ونرى على الجـزء العلوى من القاعدة نقشين مختلفين : أحدهما للفرعون «أمنمحات الثالث» ، والثانى «لأمنمحات الرابع» . فالنقش التالى للفرعون «أمنمحات

الثالث» هو : حور الحى عظيم البأس، سيد التاجين، الذى يستولى على إرث القطرين، حور الذهبي، صاحب الحياة الدائمة، ملك الجنوب والشمال « نيماعت رع »، ابن الشمس الذى أنجبه من جوفه[1] . لقد عمل هذا أثرا مهدى لوالده « آمون رع » سيد عروش الأرضين ، وسيد « الكرنك » ، لقد عمل له قاعدة من الجرانيت الأحمر يمكن الإله أن يجلس عليها لينال ملك الجنوب والشمال «نيماعت رع» « حظ آمون » من الحياة ، والثبات، والسعادة، والصحة ، ولينال كذلك حظ التمتع مع روحه على عرش « حور » الأحياء مثل « رع » مخلدا .

أما النقش الخاص بالفرعون « أمنمحات الرابع » فهو : « حور » الحى، كائن الكائنات، سيد التاجين، الذى يجعل الأرض فى عيد، حور الذهبي، رئيس الآلهة، ملك الوجه القبلى والوجه البحـرى ، « ماع خرورع » بن الشمس ، من جوفه «أمنمحات» . لقد عمل هذا أثرا لوالده « آمون رع » رب عروش الأرضين، وسيد «الكرنك» . لقد عمل قاعدة كرسى من الجرانيت الأحمر يمكن الإله أن يجلس عليها، لينال ملك الوجهين القبلى والبحرى «ماع خرورع» من آمون الحياة والثبات والصحة والسعادة، وكذلك لينال (حظ) التمتع مع روحه على عرش « حور » ملك الأحياء مثل « رع » مخلدا .

فهذا النقش فضلا عن أنه يظهر لنا «أمنمحات الثالث والرابع» مشتركين معا فى الحكم، فإنه من جهة أخرى يضع أمامنا اللقب «نبتى» (الصل والعقاب) للملك « حور » الذهبي للفرعون «أمنمحات الرابع» لأول مرة فى النقـوش التى عثر عليها حتى الآن راجع (A. S. Vol. XXIV, pp. 65-68) .

(٥) ويوجد بين آثار المتحف المصرى قاعدة «لناووس» كان يحتوى على تمثال للملك أو تمثالين كما يقول المستر «برنتون»، لأجل أن يقدم له القربان (A. S. Vol. A.)

[1] هذا تعبير مصرى أصيل ويراد به الذى أنجبه من ظهره .

(XXXIX, p. 178 فى احتفال «فتح الفم»، كما تدل على ذلك النقوش الباقية على هذه القاعدة، وقد وجد منقوشا عليها اسم الفرعون على تسع صور للملك، غير أنه وجد فى الوقت نفسه أن هناك اسما آخر كان يذكر بعد اسم الفرعون قد محى. وهذا المحو لا يمكن أن يعزى إلى «إخناتون» الذى كان يقصر همه على محو إسم الإله «آمون رع»، بل الواقع أنه كان يدل على خلاف أسرى فى أواخر الأسرة الثانية عشرة، وهذا على ما يظهر بعيد الحصول لأن «أمنمحات الرابع» والملكة «سبك نفرو» كما يقول (برنتون) كانا أخا وأختا، ومن الجائز إذا أن يكون «أمنمحات الرابع» قد محا اسم والده بعد انفراده هو بالحكم، ولكننا من جهة أخرى نجد اسميهما على كثير من الآثار دون أى محو. ولعل الكشوف التالية تظهر لنا ما يفسر ذلك.

وهـذه القطعة وجدت فى «مصر القديمة»، ولا يمكن أن نفسر وجودها فى هذه الجهة إلا أن عبادة الملوك الأقدمين كانت مرعية فى أمهات المدن الدينية مثل «عين شمس»، وأن هذا الأثر كان قد أقيم له أولا فى هذه الجهة، أو أنه نقل إلى هذه الجهة واستعمل ثانية فى بناء أثر آخر لأحد الملوك الذين أتوا بعدهما.

وقد ذكر اسم «أمنمحات الرابع» على لوحات بعض الأفـراد فى عصره، منها لوحة لشخص يدعى «خوى» ويحمل لقب الساقى، ويلاحظ أن هذا الموظف يتقرب فى أدعيته الدينيـة للإله «بتاح سكر» وإلى «أوزير» رب «عنخ تاوى» وهى جزء من منف. (Aegyptischen Grabstein und Denkstein aus Suddeutschen Sammlungen, Vol. I, p. 8, Pl. VII)

وكذلك توجد لوحة جنازية من الحجر الجيرى لشخص يدعى «إيونف» وهو موظف يلقب مدير البيت عاش فى الحكم المشترك لكل من «أمنمحات الثالث» وابنه «أمنمحات الرابع».

هذا وقد وجدت له نقوش قيمة فى «قمنة»، وهى لوحة فى الصخر كتب عليها مقاييس مناسيب النيـل فى السنة الخامسة من حكمه، وتلك سـنة وضعها والده «أمنمحات الثالث» من قبله. (L. D., Vol. II, Pl. 152. f.)

البعوث إلى سينا — تدل النقوش التى خلفها رجال البعوث الذين أوفدوا إلى « سينا » فى عهد أمنمحات الرابع على أن نشاطه كان عظيما فى استخراج المعادن من أنحاء شبه الجزيرة .

وقد عثر رجال بعوثه على نقوش عدّة بعضها على لوحات قائمة بذاتها أو على الصخور نفسها . وقد وجدت تواريخ بعوث مؤرّخة بحكم هـذا الفرعون فى السنة الرابعـة والسادسة والثامنة والتاسعة . ويلاحظ أن معظم هذه اللوحات لم تذكر لنا بالتحديد الأغراض التى كانت ترسل من أجلها البعوث، بل كان معظمها تذكاريا أو تقربا لآلهة هذه الجهة . ومن أهم من ترك لنا نقوشا فى عهد هذا الفرعون موظف كبير على ما يظهر اسمه « ساسبدو » ، وآخر اسمه « كماونخت » ، ففى السنة الرابعة أقام الأوّل لوحة فى « سرابة الخادم » جاء فيها "السنة الرابعة فى عهد حكم جلالة ملك الوجه القبلى والبحرى « ماع خرو رع » (أمنمحات الرابع) عاش إلى الأبد . قربان ملكى للآلهة « حتحور » سيدة الدهنج أو الفيروز لروح الشريف « ساسبدو » المبرأ ، وصاحب الشرف والذى يحبه سيده حقا وخليـله ، ثابت القدم ، وثيد الخطا ، ومن يمدحه سيده ، ومن يخترق البلاد الأجنبية بعد الأرضين ، حامل الخاتم لخادم مجلس القصر المسمى « كماونخت » المبرأ ، ورب الاحترام". ثم يأتى بعد ذلك نداء للأحياء بأن يقدّموا قربانا إلى « كماونخت » هذا .

ثم يلى هـذا رسم تسعة أشخـاص يظهر أنهم أهم رجال هذه البعثـة يتقدّمهم رئيسهم ، ويلى ذلك عدّة نقوش لموظف يدعى « زاف » . ففى السنة السادسة ترك لنا لوحة مستطيلة الشكل تعلوها حلية فى صورة جريد النخل ، ومزينة من أسفل بواجهة قصر ، وقد أرّخت فى السنة السادسة من حكم هذا الفرعون ، ويحمل صاحبها لقب وكيل حامل الخـتم الإلهى (الفرعـون) ، ومدير مستخدمى البيت الأبيـض (الخـزانة) . وتشمل النقوش التى حول اللوحة ألقاب « أمنمحات الرابع » الذى يقال عنه إنه محبوب أرض الإله « عنتى » ، والمرسوم فى اللوحة بصورة غريبة ، وهذا

الإله كان معروفا بأنه إله بحرى للعبور (راجع كتاب الأدب المصرى ص ١٤٩)
(Gardiner and Peet, Sinai, Pl. XLII, No. 119.)

ولدينا نقوش أخرى مؤرّخة بالسنة السادسة من حكم هذا الفرعون فى «وادى مغارة» نقشت فى الصخور على صورة لوحات أهمها اثنتان : الأولى يذكر لنا فيها صاحبها إلهى الجهة وهما : «سبدو» رب الشرق، والإلهة «حتحور» ربة الدهنج أو الفيروز، ثم يذكر صفاته ويطلب إلى كل من أتى إلى هذه الجبال أن يقدّم لحامل الختم قربانا ملكيا إلى ... ... (ibid, Pl. XI)

أما اللوحة الثانية التى نقشت فى هذا التاريخ نفسه فهى لحارس مخزن القصر «خعاى»، وقد جاء فيها : " السنة السادسة من حكم جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى «ماع خرو رع» عاش مخلدا محبوب «سبدو» [رب الشرق] ومحبوب «حتحور» ربة الدهنج أو الفيروز، ثم يذكر لنا أنه تتبع خطوات سيده، وأن جنوده كانت فى طاعته لتنفيذ أغراضه (؟) .
(ibid, Pl. XII, No. 33; Breasted, A. R. Vol. I, Par. 750)

ويوجد نقش ثالث بهذا التاريخ نفسه مهشم ذكر اسم الفرعون، واسم صاحبه «سنبو»، وأمه، والصيغة الدينية المعروفة لطلب القربان .
(Gardiner and Peet, Pl. XII, No. 33)

نقوش الموظف «زاف» الأخرى — وفى «سرابة الخادم» أقام «زاف» السالف الذكر لوحة عظيمة (Ibid, Pl. XLII) مؤرّخة بالسنة السادسة أيضا . وهذه اللوحة على ما يظهر كانت آية فى دقة الصنع ؛ غير أنها وجدت مهشمة ولم يبق منها إلا القليل . فنجد فى أعلاها السنة السادسة ولم يذكر لنا اسم الملك، غير أننا عرفناه من صاحب اللوحة . وقد ذكر عليها اسم الإلهة «حتحور» سيدة الدهنج أو الفيروز ثم الإله «بتاح» ولقب «زاف» . وفى أسفل اللوحة نجد منظرا لشخص جالس وأمامه مائدة قربان محملة بالمأكولات والشراب، ثم

نجد لقب كاهن الإلهة « حتحور » حارس حجرة البيت الأبيض (الخزانة) غير أننا لا نعرف اسمه . (Ibid, Pl. XLIII, No. 120)

ونجد لهذا الموظف بعينه لوحة أخرى، غير أنها مؤرّخة بالسنة الثامنة من حكم هذا الفرعون، ومعه آخرون، واللوحة جنازية محضة فى نقوشها، وقد جاء فيها ذكر الإلهة « حتحور »، وكذلك الإلهة «نيت» (Ibid, Pl. XLIII, No. 121) والإله « سبدو » رب الأراضى الأجنبية (الصحراء)، ولهذا الموظف كذلك لوحة أرّخت بالسنة التاسعة من حكم هذا الفرعون . (Ibid. Pl.XLV, No. 122.)

ومع اللوحة مائدة قربان جاء فيها : "السنة التاسعة ، الشهر الثالث من فصل الزرع، اليوم السادس والعشرون (أى أن الرحلة كانت فى فصل الصيف)". ويرى فى هذه اللوحة منظر يقدّم الملك فيه آنية للإله «خنتى خاتى» (فى صورة صقر)، ثم للإله «سبدو» رب [الصحراء] (؟) . وفى الجزء الأسفل من اللوحة وهو الذى لم يصبه التهشم نجد الصيغة الدينية وقد ذكر فيها الإله « جب » إله الأرض ، ثم الإله « بتاح سكر» إله الموتى فى «منف»، ثم الإله «أوزير» رب «عنخ تاوى» (جزء من منف) ، ثم الإله «خنتى خاتى» رب الإقليم (؟) وهو الإله المحلى «لأتريب» (بنها الحالية) . ثم « حتحور » سيدة «الدهنج» أو « الفيروز» لأجل أن يعطوا « زاف » صاحب اللوحة قربانا . ومما يؤسف له أن هذه اللوحة مهشمة لدرجة كبيرة ، فلم يمكن استخلاص شىء منها كثير . وتنحصر أهميتها فى أنها عملت فى السنة التاسعة من حكم هذا الفرعون، وكذلك فى ذكر الالهة الذين كان يتعبد لهم فى هذه الجهات .

ويوجد فضلا عما ذكرنا ستة نقوش فى « سرابة الخادم » عليها اسم هذا الفرعون، غير أنها مهشمة وغير مؤرّخة ، وأطولها نقش على جدار فى معبد «سرابة الخادم» كتبه « زاف » المعروف لنا، وفيه يشير إلى الأحجار الصلبة والقربان التى

كانت تقدّم للإلهة المحلية فى هذه الجهة (Ibid. Pl. XLVI, No. 123) ، ثم لوحة كبيرة لمدير المستخدمين «سنبى» ، ونجد عليها الملك يعبد كلا من الإله « بتاح » ، والالهة «حتحور» سيدة «الدهنج» أو «الفيروز» ، والظاهر مما بقى على اللوحة أن هذا الموظف كان يتحدّث عن مكانته عند الفرعون ، وما كان يقوم له به ، كما نجده فى اللوحات السالفة . وفى أسفل اللوحة يرى أخو « سنبى » يقدّم له الطعام على مائدة (ibid, Pl. XLI, No. 126) ، أما النقوش الباقية فليس فيها شىء يستحق الذكر (راجع (Ibid, Pl. XLVIII, No. 127; XLIV, Nos. 128, 129; XL; No. 130)

بعوث «أمنمحات الرابع» إلى «وادى الهودى» — أما فى الصحراء الشرقية الواقعة على بعد أربعين كيلومترا جنوب شرقى «أسوان» فقد عثر له على لوحة فى «وادى الهودى» السالف الذكر ، وذلك نتيجة لبعثة أرسلها بطبيعة الحال لإحضار «حجر الجمشت» (أمنست) ، وهو الذى يدعى بالمصرية « حسمن » وكان يترجم بكلمة نحاس إلى عهد قريب كما سلف ذكر ذلك .

وهذه اللوحة هى إحدى اللوحات الثلاث التى أهداها البمباشى « زكى عبد الحميد » ، وتوجد ضمن مجموعة اللوحات التى عثر عليها الأستاذ «أحمد فخرى» المختص ببحوث الصحراء الأثرية والأمين بالمتحف المصرى .

وقد جاء فيها : "السنة الثانية من حكم جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى «ماع خروع» عاش أبد الآبدين قريب الملك الحقيقى الذى يحبه وخليله ، والذى يفعل كل ما يمدحه كل يوم وكل نهار ، الثابت القدم ، والوئيد الخطا ، والذى يعبّد طريق من يعظمه ، رئيس الخزانة ، ووكيل مدير حامل الختم ، وهو الذى يخرج إلى الطريق الجبلى الخاص بالجمشت عند ما يأمره جلالته ، وهو الذى يخرج إلى صحراء «رشوت» (فى الصحراء شبه العربية) [ولا بد أنه يقصد هنا جزيرة «سينا»] ... ... ثابت القدم ... ... [تركت باقى اللوحة دون كتابة وذلك يدل على أن صاحبها لم يتم كتابتها لسبب ما] .

آثاره الأخرى المتفرّقة — وخلافا لما ذكرنا يوجد لهـذا الفرعون بعض تحف صغيرة منها لوحة صغيرة، من الأردواز عليها طلاء أخضر، ومنقوش عليها اسم هذا الفرعون، وهي الآن في «المتحف البريطاني» (Rec. Trav. Vol. XII, p, 213)، وكذلك يوجد صندوق صغير من الأبنوس والعاج مكتوب عليه اسم الفرعون واسم صاحبه «كمن» الذي كان يشغل وظيفة حارس إدارة المطبخ .

(Carnavon and Carter, Explorations, XLIX)

وفي «اللاهون» عثر على أوراق بردية ترجع إلى عهد هـذا الفرعون، بل تدل الأحوال على أنها كتبت في عهده، ولدينـا ورقة منها مؤرّخة بالسنة السادسة من حكمه على وجه التأكيد، وهناك أوراق أخرى يجوز أنها ترجع إلى السنة العاشرة من حكمه أو من حكم غيره من الملوك الذين خلفوه . وقد بقي لنا من هذه الأوراق التي وجد عليها اسمـه خطابات أحدها من خادم الوقف إلى سيده يطلب إليه أن يرسل له عشرة أوزات (Kahun Papyri, Vol. I, p· 67)، والثاني من خادم الوقف المسمى «خمم» إلى سيده مدير المستخدمين يسأله فيه عن صحته وأحواله، ويخبره عن موضوع صيد سمك وما يريد أن يرسله منه لسيده الخ . وقد أرّخ هذا الخطاب في السنة السادسة، الشهر الأول من فصل الشتاء (طوبة) اليوم الثـاني من حكم "ماع خرو رع" «أمنمحات الرابع» ("Kahun Papyri", Vol. I, p. 77) . هذا وقد وجدت «لأمنمحات الرابع» عدّة جعارين وأسطوانات في مجاميع مختلفة منها إسطوانة في مجموعة جعارين «نيو برى» (Newberry, "Scarabs", Pl. VI. 18) وفي مجموعة «ماك جريجور» (Mac Gregor Sale Catalogue, Lots 517, 520) ثم جعارين أخرى، (راجع

Newberry, "Scarabs", Pl. IX. 38; Petrie, "Hist. Scarabs", 273-274; Petrie, Scarabs, Pl. XIV; Dubois, "Chois de Pierres Gravées", Pl. IV, 9)

هذا معظم ما نعرفه عن هذا الفرعون وعصره على وجه التقريب، وقد ذكرت لنـا

ورقة (تورين) أنه حكم تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما . وهذا التاريخ يتفق مع ما عثرنا عليه منقوشا على الآثار كما سلف ذكره .

أما آثاره التى عثر عليها فى خارج القطر فسيأتى ذكرها فى الكلام على المدنية فى حينه .



الملكة سبك نفرو

١٧٩٢ — ١٧٨٧ ق م

تدل الأحوال على أن « أمنمحات الرابع » قد توفى دون أن يترك له خلفا من الذكور ، والظاهر أن الأميرة « سبك نفرو » أخته كانت الوارثة الوحيدة للملك فتوجها أشراف البلاد ملكة عليهم ، وقد ذكر لنا «مانيتون» أنها أخت «أمنمحات الرابع » وعلى ذلك تكون بنت « أمنمحات الثالث » .

ومعنى « سبك نفرو » حسن الإله « سبك » وهو الإله الذى يمثل فى صورة تمساح والإله الحارس « للفيوم » .

آثارها الباقية — والآثار التى خلفتها هذه الملكة قليلة جدّا . وأهما أسطوانة موجودة الآن «بالمتحف البريطانى» (Hall, "Catalogue of Scarabs" 2630; Petrie, "History" Vol. I, p. 208. Fig. 119) وهى مصنوعة من الإردواز الأبيض المطلى باللون الأزرق وحجمها أكبر من المعتاد . وتنحصر أهميتها فى أنها القطعة الوحيدة التى عثرنا عليها حتى الآن، المنقوش عليها كل ألقاب التتويج لهذه الملكة . فاسمها الحورى هو « مريت رع » أى محبوبة إله الشمس «رع» (٢)

واسم نبتى (أى الصل والعقاب) هو « أخت خرب نب تاوى » ومعناه حسن القيادة رب الأرضين (٣) واسم «حورنب» أى حور الذهبي هو « زدخع » ومعناه ثابت فى ظهوره (٤) والاسم نسوت بيتى = «ملك الوجهين القبلى والبحرى» هو « سبك شدتى نفرو عنخ تى » = المطالبة بجمال « سبك » العائشة. وقد ذكر اسمها « مانيتون » محرّفا بلفظة « سكميو فريس » (Skemeophris)، ولذلك يعتقد أنها استعملت اسمها الأصلى « سبك نفرورع » وهو تحريف الاسم اليونانى .

وقد عثر على تمثال «بو الهول» فى «الخطاعنة» بالقرب من «تانيس» (صان) فى الدلتا وقد وجد عليه خرطوش نقش بين مخلابيه، ويحتمل أن يكون خرطوشها، (Naville, "Goshen and the Shrine of Saft el Henna", 19. c.) وذلك لاختلافه بعض الشيء عن اسمها الأصلى .

وكذلك وجدت بعض عقود بناء من الجرانيت فى معبد «إهناسية المدينة» نقش عليها اسمها، وهذه النقوش قد حفظت لنا لاستعمال الأحجار التى وجدت عليها فى أبنية من العهد الرومانى ثانية. (A. S. Vol. XVII, p. 34) ولم نعثر إلا على جعران واحد عليه اسم هذه الملكة، (Petrie Collection, University College) غير أن اسمها قد وجد منقوشا على بعض قطع الأحجار التى عثر عليها فى «اللبرنت» «بهوارة»، والمفروض فى هذه الحالة أنها قد أقامت هناك هيكلا أو أصلحت محرابا أو معبدا كان مصيره كمصير المبانى التى أقيمت هناك (L. D. Vol. II, Pl. 130; Petrie, "Hawara", Pl. XXVI. 12; Petrie, "Kahun" Papyri, XI. I.) والغريب أن اسمها قد وجد فى هذا المعبد مع اسم والدها « أمنمحات الثالث » ولم يعثر على اسم « أمنمحات الرابع » غير أن هذا يمكن أن يعزى لقلة ما بقى من المعبد وأن بقاء اسم هذه الملكة كان محض صدفة . ؟!!

وتخبرنا ورقة «تورين» أن «سبك نفرو» قد حكمت البلاد مدّة ثلاث سنوات وأربعة أشهر وأربعة وعشرين يوما، ولما لم يكن لها خلف من الذكور فإن حكمها يعدّ خاتمة هذه الأسرة . (Gauthier, "Livres des Rois", Vol. I, p. 341)

وقد ظنّ البعض أن الملكة «سبك نفرو» قد اشتركت فى حكم البلاد مع أخيها «أمنمحات الرابع» وقد أضحد هذا الرأى الأستاذ « اجرتون » :

(J. N. E. S. (1942) pp. 307-314)

غير أن الأستاذ « نيو برى » يعتقد أن الملكة « سبك نفرو » قد اشتركت مع والدها « أمنمحات الثالث » فى حكم البلاد مبرهنا ذلك بما جاء فى نقش عثر عليه فى «هوارة» (Petrie, "Kahun", Pl. II. 1) . ويقول إن فى هذا النص يلاحظ أن طغراء الملكة قد سبق بالعبارة : «سات رع» أى بنت الشمس، ويحيطها من كلا الجانبين لقب « أمنمحات الثالث » . ويستمرّ الأستاذ « نيو برى » فيقول : " أما فيما يختص باسم «سبك نفرو رع» وهو الذى حرفه «مانيتون» إلى «سكميوفريس» واستعمله الأستاذان « برستد » و «مير» وغيرهما من المؤرّخين، فيجب أن يلفت نظرنا أنه ليس بين ما وجد من الآثار فى عهدها مايثبت وجود كلمة «رع» فى نهاية الاسم، وأن الاسم قد كتب «سبك نفرو» أو «سبك شدتى نفرو»، هذا و يلاحظ أن كتابة الاسم كما جاءت على تمثال « بو الهول » الذى عثر عليه «نافيل» فى « تل البركة » (Goshen Pl. IX, cf, p. 21) لا يمكن أن يتخذ دليلا على قراءة الاسم، لأن قارئه قد اعترف أن قراءته ليست محققة . هذا وقد عثر على قطع من الحجر فى «هوارة» نقش عليها طغراء الملكة هكذا : «سبك نفرو سات رع»، (L. D. II, 140) و يلاحظ أن عبارة «سات رع» (بنت الشمس) هنا قد وجدت داخل الطغراء وهذا ماحدا إلى الظن بوجود خطأ إملائى فى كتابة طغراء الملكة فى قائمتى الكرنك «وتورين» . هذا والواقع أن لقب الملكة كان «سبك كا رع » كما يبرهن على ذلك نقش عثر عليه فى « كوم العقارب » . (A. S. Vol. XVII, p. 34) حيث نجد كلمة رع قد هشم بعضها ولكن يمكن تحقيق وجودها من أسطوانة معاصرة قد رأيتها ونقلت ما عليها منذ بضع سنين مضت فى حانوت تاجر فى القاهرة . وكذلك نلاحظ أن قائمة ملوك سقارة قد وضعت لقب الملكة هذا فى مكانه الصحيح فى نهاية أسماء ملوك الأسرة الثانية عشرة

وهى القـائمة التى نقلها نحات الرعامسـة بصورة معكوسة . أما قائمة « العـرابة » فقـد حذفت اسم « سبك نفرو » جملة ، ويقول لنا الأستاذ « نيوبرى » فى نهاية مقاله هذا ما يأتى :

إن حكم « أمنمحات » كان حكما طويلا ، وأكبر تاريخ له على الآثار عثر عليه حتى الآن هو السنه السادسـة والأربعون . ومن المحتمل أنه فى مدّة هـذا الحكم المديد قد كان له شريكان فى الملك ، أحدهمـا قد توفى أو خلع من الملك قبل أن يتولى الآخر . ولذلك أعتقد على ضوء ما ذكرنا آنفا احتمال عدم انفراد « أمنمحات الرابع » بالحكم وحده قط بل كان مشتركا مع والده «أمنمحات الثالث» .

(J. E. A., Vol. XXIX, pp. 74, 75)

والواقع أن ما قاله الأستاذ « نيوبرى » قـد يكون له نصيب كبير من الصحة إذ وجدنا فى بعض الأحيان محوا فى بعض الآثار التى عليها اسم كل من هذين الفرعونين وبذلك تكون « سبك نفرو » قد اشتركت مع والدها فى الحكم بعد خلع أخيها « أمنمحات الرابع » وبقيت تحكم بعـد وفاة والدها . ومع كل هـذا فإن الموضوع لا يزال معلقا ولا يمكن الجزم فيه بصورة قاطعة .

المدنية فى عهد الدولة الوسطى

مقـــدّمة

استقبلت البلاد المصرية بتولى ملوك الأسرة الثانية عشرة عصرا ذهبيا جديدا، فقد نهضت البلاد بعـد الهوّة السحيقة التى دفعت فيها، وعادت ثانية إلى رفعتها القديمة، غير أن الدولة فى عهدها الجـديد لم تظهر بنفس المظهر الذى كانت عليه فى عهد الدولة القديمة، فإن الفرعون وإن كان يحكم البلاد من أقصاها الى أقصاها دون منازع، وأصبحت تمثل فيـه وحدة البلاد وقوتها، إلا أن علاقته بها لم تكن مع ذلك هى نفس علاقة الفرعون بالبـلاد فى عهد الدولة القديمة . فلم يعد التاج يملك أراضى يخطئها العدّ والحصر، ولم تكن حكومات المقاطعات فى قبضة موظفين تابعين لسطان الفرعون مباشرة ، ومن ثم يمكنه أن يعزلهم بجـرّة قلم متى اقتضت إرادته ذلك ، بل أصبح سلطانه فى الواقع أكثر انكماشا لتقيده بأمراء الإقطاعات الوراثيين ، وحتى عند ما تغيرت هذه العلاقات فى النصف الثانى من حكم هـذه الأسرة لم تعد مكانته إلى ما كانت عليه فى عهد الدولة القديمة ، فإن الفرعون كان قد سقط نهائيا من عليائه الإلهية المحفوفة برهبة لا يمكن الدنو منها ، وأصبحت له هيبة الحاكم فقط . ولم يقض على نفوذه وهيبته جمـلة بسبب ما حاق بالبـلاد من تدهور عميق طويل المدى، وذلك لأن الضمان الداخلى الذى كان من مميزات الدولة القديمة، لم يكن ميسورا لملوك الأسرة الثانية عشرة، فكان لا بدّ لهم من أن يحاربوا فى سبيل الوصول إلى ذلك حتى يستقيم لهم الأمر ، ويقبضوا على ناصية الحكم . من أجل ذلك كان لزاما عليهم أن يكوّنوا جيشا فى باكورة حكمهم ليشـدّ عضد الفرعون ، إذ كانت البـلاد ملتهبة بقيام الفتن والمؤامرات خلال الجزء الأوّل من عصر أسرتهم ؛ ولذلك يجب على الناقد الفطن عند ما يسمع الشـعراء يتغنون بقوّة الفرعون، أو بتمثيله فى صورة إله فى الأناشيد التى تفيض حماسة، أو فى التحذيرات

والتعاليم التى تحث على الوفاء له ، والخوف من غضبه و بطشه ، ألا يظن أن مُثُل الملكية العليا قد تحققت بعد ، بل على العكس يجب أن يرجع هـذه الظاهرة إلى الانحطاط والضعف ؛ فإن مصر التى درجت فى عصر ما قبـل التاريخ إلى مراقى المجـد على مهل حتى وصلت إلى رفعتها الشـامخة فى عهـد الدولة القديمة ، كانت تختلف عن مصر التى قد بدأت تنهض من الحضيض الذى عاشت فيه أجيالا لتكون دولة جديدة لها بهاؤها القـديم وعظمتها التالدة ، وقد كان لزاما على ملوكها أولا أن يصلوا إلى المكانة التى كان المـاضى قد أوصل بلادهم إليها ، فيرجعوها إلى قوتها الغضة ، و يبرزوها فى ثوب من الحياة قشيب ، ويتمتعوا بمـا وصلوا إليه من معرفة غابرة ؛ هذا ولا يفوتنا أن نذكر أن الثقافة التى أتت عن طريق التطوّر السياسى قد تمخضت عن أسس عريضة بين الأهلين ؛ فلم تعد العاصمة بعد مركزهم الرئيسى ، كما أصـبح بلاط أمراء الإقطاع مكانا للعناية بالعـلوم والفنون فى طول البـلاد وعرضها ، وكذلك أصبحت الطبقة المتوسطة الحرة تقوى فى البلاد ، وتأخذ مكانتها فى الصف الأوّل من الحياة الاجتماعيـة ؛ يضاف إلى ذلك أن التطوّر فى العلاقات السياسية فى عهد ملوك الأسرة الحادية عشرة الأواخر ، قد وصـل إلى درجة أدّت إلى إبراز شخصية الدولة الوسطى لأوّل مرة فى عهـد الأسرة الثانية عشرة بعد أن ضاعت باختفائها شخصية الملك وهيبته . ومؤسس هذه الأسرة هو «أمنمحات الأوّل» كما ذكرنا من قبل .

نظام الحكم والعهد الإقطاعى الأوّل — لقـد رأينا فيما سـبق مقدار ما أظهـره « أمنمحات » من النشاط العظيم للتدخل فى أحوال حكام المقاطعات ليحدّ من قوّتهم ، ولا داعى لأن نفكر لحظة فى قدرته على أن يقضى على هـذه الأرستقراطية الرفيعة الشأن ، الثابتة القدم دفعة واحدة ، و يعيد البلاد إلى ما كانت عليه من نظام موحد فى عهـد الدولة القـديمة ؛ إذ كانت طبيعة الأمور توحى بأن النظـام الطبعى اللائق للحكومة والمجتمع معـا يتطلب بل يحتم على العكس وجود

طبقة أرستقراطية وما يتبعها من الأشراف المميزين . ولأجل أن نفهم هذا الوضع يجب أن نستعرض أمام القارئ فى لمحة خاطفة حالة العصر الذهبى لحكومة الإقطاع ورسوخ قدمه فى البلاد، و يعتبر العهد الإهناسى فى الواقع العصر الذهبى للحكومات الإقطاعية التى قامت على حساب الدولة، فقد كانت كل مقاطعة مقسمة إداريا وعسكريا تقسيما محكما كأنها مملكة صغيرة؛ فكان لها قائد يسوق جيشها إلى ساحة القتال، ولها مدير مخازنها، ومدير ماليتها، وموظفوها وكتابها . وكان كل أمير مقاطعة يرث مقاطعته عن أبيه، وكان أبناء أمراء الإقطاعات يشتركون مع آبائهم فى توجيه دفة أملاك المقاطعة، وفى إدارة شئونها؛ فكان الابن يكتسب من ذلك تجارب تؤهله لحكم مقاطعة والده ، وكان أمير المقاطعة يتبع فى سياسته مع موظفيه من النصح ما كان يسير على نهجه حكام الدولة القديمة ، فاستمع إلى الكلمات التى كان يتغنى بها أمير «سيوط» فى العهد الإهناسى : ”لا يوجد أمرؤ فصلته عن عمله، ولا إنسان اغتصبت أملاكه مادام متبعا حدود وظيفته؛ ولقد نشرت السعادة على الأرض، واقتفيت إثر اللص، وكنت أمقت انتهاك حرمة الملكية “ .

(Griffith, "Suit", Tomb No. III, line 9)

وقد كانت توجد بجانب طائفة الموظفين الذين حرموا وظائفهم فى أنحاء المقاطعات بسبب الفقر الذى عم البلاد عند ما أخذت موجة التدهور الأولى تطغى على مصر فى نهاية الأسرة السادسة، أسر قوية جدا يدعون انتسابهم إلى أصل إلهى، نُسل من إله مقاطعتهم المحلى مثل الفرعون نفسه ، وأن لهم حق الوراثة فى عرش مصر منذ أقدم العهود ، لأنهم كانوا ينظرون إلى إلههم نظر الفرعون إلى إلهه . وقد توصل بهذه الوسيلة (وإن شئت فقل بهذا الادعاء) أمراء ” طيبة “ إلى أن يضربوا ضربتهم الممتازة الحاذقة، بعد أن مهدوا لها بحروب طاحنة جاءوا فيها على الأخضر واليابس . وقد مكثت سنين طويلة استطاعوا فى نهايتها أن يتولوا عرش الملك، ويوحدوا البلاد بعد طول الانقسام والشقاق، وأنشئوا صرح الأسرة الحادية عشرة . وقد كان من الطبعي أن ينسبوا انتصارهم السياسى والحربى على أمراء

« سيوط » وملوك «إهناسية المدينة» المعادين إلى إله مقاطعتهم « آمون » ، وقد كان فى نظرهم يمثل أقدم الآلهة ، ومن ثم اعتبروه رئيس الآلهة وملك الأرضين ، وإن كان هذا الزعم لا يرتكز على أساس تاريخى صريح . وفى هذا الوقت ظهرت كذلك أوصاف عن مظاهر الظلم وعدم استتباب الأمن فى صور مقالات أدبية كتبها جماعة من حملة الأقلام مطالبين بالعدالة الاجتماعية ، وتأسيس سلطة جديدة تخلص البلاد مما حاق بها من ظلم وجور ؛ غير أن النظام الإقطاعى كان متغلغلا فى نفوس الأمراء حتى أن انتزاعه من البلاد كان من أصعب الأمور وأعنفها . وقد عبر عن هـذا الروح أحسن تعبير فى قطعة من ترجمة حياة أحد أمراء مقاطعة «سيوط» تعدّ مثالية فى هذا الموضع فاستمع إليه وهو يقول : " إنى قد ثويت هنا (فى القبر) ، وقد احتل ابنى مكانتى ، ومجلس الحكم مطيعون له منذ أن كان حاكما ، ولم يكن طوله قد تجاوز بعد ذراعا (أى منذ أن ولد) " . وكان عندما يخرج مثل هذا الأمير الرفيع الشأن من بيته يحاط بأتباعه ويحمل على المحفة وتسير وراءه كلاب الصيد ، ومعه رجال الصيد الذين كانوا فى العادة يمشون فى ركابه ، وكذلك القزم الذى يقوم على خدمته الخاصة به .

ومنذ العهد الإهناسى كان يسير فى ركاب أمير المقاطعة فرقة حربية وكانت تظهر مع « أتباع الأمير » وكان جنودها مسلحين بالدروع والحراب و (البلط) ، والأقواس ، والنشاب ، والسهام ، وخلف هؤلاء كان يسير رجال آخرون يحملون النعال وأوانى الغسيل وحقائب الملابس ، كل ذلك تشبها بما كان يجرى فى عهد الدولة القديمة . وكان كذلك من الضرورى لكل أمير مقاطعة رئيس أطباء ، ومدير ملابس ، وساق ليقوم على خدمته أثناء بسط المائدة أمامه . ولقد بقيت هذه الصورة التى رسمناها هنا عن حياة الأمير الإقطاعى فى الظاهر حتى منتصف الأسرة الثانية عشرة ؛ ولا أدل على ذلك من إدارة الموظفين الذين كانوا فى كنف أمير «قوص» . (راجـع (Blackman, "Meir" I — III; Newberry, B. H., I, 45 ff.)

وكذلك كان « الكتّاب » يسودون فى بلاط أمـير المقاطعة بطبيعة الحال ، فمثـلا نرى فى بلاط أمـير مقاطعة « الأشمـونين » المسمى « تحوتى حتب » أنه كان فى خدمته مـدير حقول ، ورئيس خزانة ، ومدير (حريم) المدينـة ، ومزارعون لأراضى المقاطعة ، ومدير ثيران ، ومدير البهائم الصغيرة ، وهكذا بالتدريج نزولا حتى نصـل إلى مدير السمك . أما الإدارة المـالية فكان يديرها موظفان كبيران وهما رئيس الخزانة ، (وهو على ما يظهر لم يكن يشغل مركزا عاليا) ومـدير الخزانة .
(Newberry, "Bersheh" I, Pl. XXVII ; Amenemhat II–Senwesert III)
وكذلك كان لأرض المعبد ولأرض الأوقاف الجنازية التابعة للمقاطعة مدير خاص
(Blackman, "Meir" II p. 6 ; III, p. 5; ibid, I, p. 19; II, p. 6.)
وكان يقف بجـانب الأمـير مدير مكتب وحاجب ، وكذلك كان له مـدير قاعة الإدارة ، وهـو الذى كان مكلفـا تنظيم الأعمـال أمام المحكمة للسلطة العليـا . (Newberry, B. H. I, Pl. XIII, p. 16) فـلم يكن من الغـريب إذا أن يحاط هؤلاء الأمراء بأعظـم مراسم الاحترام ومظاهر العظمـة فى احتفالات البـلاط مما كان ينـدر وقوعه فى عهد الدولة القديمـة حتى لوزير . ولذلك نجد فى هـذا العهد أن أمير مقاطعة « أرمنت » يقول عن نفسه : "إننى عند دخولى على سيدى يكون الكبراء خلفى ، وحارس الباب يقف مطأطئ الرأس حتى أصل إلى المكان الذى فيـه جلالته " . (Griffith, P. S. B. A, 18, pp. 195 ff.) ، ومن جهـة أخرى كانت قد ألفت فى هذا العهد فكرة سياسية لمقاومة هؤلاء الأمراء ، وذلك عنـدما أخذ الوزير يجمع لشخصه كل ألقـاب الشرف التى كان يتحلى بهـا أمراء الإقطاع مما لم نجـد له نظيرا ، وبخاصة فى نهاية حكم الأسرة الحادية عشرة . ولا أدل على ذلك من الألقاب التى كان يحملها الـوزير « أمنمحات » فى أواخر الأسرة الحـادية عشرة ، وكذلك التى كان يحملهـا « منتوحتب » فى عهـد « سنوسرت الأوّل » . (Die Veziere des Pharaonen Reiches. von. Arthur Weil)
وقد كان للوزير من الهيبـة والعظمة ما جعـل القوم يدعون له كما كانوا يدعون

للفرعون بالحياة والصحة والعافية. وأول ماحدث ذلك فيعهد «سنوسرت الأول»؛ على أنه لم يدع لأمير مقاطعة بمثل هذا الدعاء إلا أمير مقاطعة « الأشمونين » .

على أن قوة أمراء الإقطاع التي وصفناها كان يوجد فوقها منذ الأسرة الثانية عشرة قوة أعظم من قوتها . وهي التي كانت تمثل في الفرعون، فلم يعد الفرعون الذي يجلس على عرشه في « أثث تاوى » (اللشت) مجرد صورة أو خيال يستغله رعاياه الأقوياء ، أو يتخذ ألعوبة في أيدي أمراء الإقطاع الذين كانوا لا يعترفون للملك بأي حق عليهم إلا اسما ، فقد أصبح الآن سيد البلاد كلها . فلا يتحرك إصبع أو يرتفع صوت إلا بأمره ، وكذلك أصبح من الأمور المستحيلة أن يتصور الإنسان ملكا « كأمنحات » أو « سنوسرت » في ركاب أحد أمراء المقاطعات كما كان يفعل « خيتي » أمير مقاطعة « سيوط » في وقت الحروب التي كانت قائمة بينه وبين أمراء « طيبة » كما سبق ذكره . ولا جدال في أن أقل ملك من ملوك الأسرة الثانية عشرة كان في مقدوره أن يستخدم أمراء « سيوط » فيما يريد مع وضعهم في أمكنتهم اللائقة بهم إذا دعا الأمر لذلك . على أنه كان في استطاعة أصغر الأمراء في عهد الفوضى في البلاد أن يقاوم الفرعون وينتصر عليه بحد السيف . فمن ذلك أن أميرين من الأمراء الذين حكموا مقاطعة الأرنب « البرشة » وعاصمتها « الأشمونين » العظيمة كانا يفتخران بانتصارهما على الفرعون فيقول أحدهما : "لقد خلصت مدينتي في أيام الشدة من طغيان البيت المالك" . وهذا أكبر دليل على منتهى الفوضى في البلاد وضعف فرعونها في تلك الفترة؛ فلما جاء ملوك الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة تمكنوا من وضع حد لهذه الفوضى بإدخال تغييرين عظيمين كان من جرائهما أن ضعفت سلطة أمراء الإقطاع ، وأصبحوا غير قادرين على إحداث ضرر ما ؛ وفي الوقت عينه لم يمس هذا التغيير ما كان لهم من سلطان مادي ، وبخاصة بالنسبة لممتلكاتهم التي ورثوها عن آبائهم . وأول تغيير هو تحريم الحروب الداخلية التي كان يثيرها هؤلاء الأمراء

الأقوياء بينهم، كما كان يحدث فى أوربا فى العصر الإقطاعى. أما التغيير الثانى فهو محو انتقال ملكية المقاطعة بالوراثة بلا قيد ولا شرط بين أولاد أمراء المقاطعات، وكان المبدأ الذى أصبح متبعا هو أن يمنح الفرعون تقليد حكم المقاطعات إلى الأمراء الوراثيين المباشرين أى إلى الابن أو ابن البنت عندما يكون نسل الذكور قد انقطع. ولكن إذا كان هذا التقليد خاصا بأسرة ثائرة على العرش، أو كانت تأتى بما يغضب الفرعون، فإنه كان يحرمهم هذا الحق، ويمنحه غيرهم من خدّامه الذين يظهرون له إخلاصهم وولاءهم. وقد كان هؤلاء الأمراء كذلك يفتخرون بما شيدوه من قبور ضخمة وبشرف محتدهم، وشرف محتد زوجاتهم اللائى كنّ لا تقل شهرتهنّ عنهم، غير أنه لم يعد احتفاظ هؤلاء الأمراء بسلطانهم راجعا إلى أصلهم وحقوقهم الوراثية، بل كان يتوقف تقليدهم السلطة على ولائهم للفرعون الذى بيده السلطة، فهو الذى كان يوليهم بعد موت آبائهم، ويعين لهم حدود مقاطعاتهم الفاصلة، وما يخصهم من النهر العظيم حسب خط تقسيم المياه. ومن ثم بدأ أمراء المقاطعات ينقشون أسماء الملوك على جدران مقابرهم؛ غير أن سلطة أمراء الإقطاع الوراثين استمرت عظيمة حتى منتصف حكم الأسرة الثانية عشرة. بقدر ما كانت عليه فى عهود أمراء الإقطاع فى عصر الأسرة السادسة؛ فقد كان «أمينى» أمير مقاطعة الغزال فى عهد «سنوسرت الأول» يفخر بأعماله العظيمة وصفاته الممتازة التى تدل على روح العدالة الإنسانية كما سبق ذكره. ومن أقواله نعلم أن كل السكان المزارعين فى المقاطعة كانوا عيالا عليه بما أظهره من حسن الإدارة فى حكم المقاطعة؛ ولم يقتصر ذلك على مواليه فى ضياعه الخاصة، بل كان يدخل ضمن هؤلاء الفلاحون الأحرار والمأجورون، وكان شباب الفلاحين ينظمون فرقا ويجندون، ويصبح من واجبهم أن يقدّموا لأمير المقاطعة خدمة إجبارية (عمل يسخرون فيه)، وكذلك كان يتألف منهم الجنود الاحتياطيون للمقاطعة، وهؤلاء كان يقودهم الأمير لمحاربة أعداء الفرعون عند قيام أية حرب ضدّه.

وعندما تكون المقاطعة ممتدّة على شاطئى النيل كان لكل شاطىء فرقة تميز باسمها ، فكانت فرقة الشرق وفرقة الغرب ، مجاراة لما كان يحدث فى الأزمان القديمة . وقد عرف بعض أمراء المقاطعات كيف يكسب قلوب أهل مقاطعته بحسن المعاملة . فمن ذلك ما نشاهده فى مناظر قبور بعضهم مما يثبت ذلك كالمنظر لذى يخلد ذكرى « تحوتى حتب » أمير مقاطعة الأرنب (الأشمونين) فقد أمر بنحت تمثال له ضخم من المرمر المستخرج من محاجر «حتنوب» ، وقد اشترك فى جره لنقله إلى مقبرة الأمير كل شباب المقاطعة يساعدهم فى ذلك الكهنة غير المحترفين بقوّة ساعدهم ، وكان مما زاد فى قوتهم حسن إرادتهم ورغبتهم فى ذلك . وقد حدث ذلك على مرأى من الشعب الذى كان يهتف لهم ، هذا وكانت الجزية المستحقة للفرعون تصل إليه عن طريق المقاطعة إذ كان هو الذى يجبيها ، وقد افتخر « أمينى » أمير مقاطعة « بنى حسن » بأنه يدفع إلى بيت مال الفرعون كل سنة جزية من المواشى يبلغ عددها ٣٠٠٠ ثور من مقاطعته دون أن يكون عليه أى دين .

ولا نزاع فى أن التغييرين اللذين أدخلهما الفرعون للحدّ من قوّة الأمراء الإقطاعيين كانا على جانب عظيم من الأهمية ، فالأول وهو إبطال الحروب الداخلية كان نعمة على الأهلين ، وذلك بتأليف جيش قائم تحت قيادته مباشرة . أما الثانى وهو الاستغناء عن الحكام الوراثيين تدريجا ، و إحلال غيرهم من الموالين للفرعون محلهم ، فكان له محاسنه كما كان له بعض المساوئ المؤقتة ، إذ كان ينقص الحاكم الجديد عند توليته فى بادئ الأمر الحب المتبادل فى دائرة إقليمه ، و بخاصة عند ما يكون الحاكم أجنبيا عن أهل المقاطعة ، وهذا لا يقدّم لنا المثل الأعلى فى نظام الحكم ؛ على أن من حسناته فى الوقت نفسه أنه كان يحفظ حاكم المقاطعة من التحيز ، و إن كانت هذه العاطفة ليس بالهين التغلب عليها ، إذ الواقع أن الحاكم المحلى ، و إن كان له خبرة بأحوال القوم وشعورهم فى إدارة المقاطعة ، إلا أنه فى الوقت نفسه يحمل فى صدره أحقادا محلية وميولا شخصية لا تجعل توزيع العدل بين أفراد

شعبه خاليا من الظلم والإجحاف والانحياز إلى فريق من الناس دون الفريق الآخر، على حين أن الموظف الذى كانت تنصبه الحكومة الرئيسية ، رغم أنه كان جاهلا بأحوال القـوم الذين سيحكمهم ، فإنه فى نفس الوقت يكون خلوا من الأغراض الشخصية التى طالما كانت أكبر باعث على سوء الحكم فى كل زمان ومكان .

سلطة أمراء المقاطعات لم تمح جملة — ورغم هذا التغير فإن أمراء البلاد لم يمحوا من البـلاد جملة، بل كل ما حدث هو أن الفرعون قد خضـد من شوكتهم ، إذ لم تكن السلطة الرئيسية فى يده قد بلغت الحدّ الذى يمكنه فيه أن يقضى على الأشراف فى البلاد جملة ؛ وكان الأشراف لم يبلغوا من الضعف بعد المرتبة التى تجعلهم فى البلاد زينة أو أشباحا ، بل الواقع أن الأمير المحلى كان لا يزال قوة عظيمة فى مقاطعتـه وإن كان يهاب مع هـذا سلطان الفرعون، وكان لا يقوم بعمل هام فى مقاطعته إلا بعـد الحصول على رضا الفرعون . فمن ذلك أن « تحوتى حتب » صاحب مقاطعـة الأرنب كان محترسا فى عمـله عند ما أخبرنا أنه قد نال موافقـة الفرعون عند شروعه فى نحت تمثاله الضخم فيقول : "إن قلوبهم فى عيد عند ما رأوا سيدهم وابن سيدهم يقوم بنحت أثره . وهذا علامة على رضا الملك". وبالاختصار يظهر أن فراعنة الأسرة «الثانية عشرة» الأول كانوا فى مركز وطيد يمكنهم من الحصول من أشراف الأقاليم على أقصى ما يمكن من الأعمال المفيدة دون أن يتعرّضوا للأخطار التى يسببها وجود مثل هؤلاء الأمراء غالبا كما حدث فى الأيام الأخيرة من عهد الدولة القديمة وأدّت إلى سقوطها ، وهذا القول ينطبق بوجه خاص على النصف الأوّل من قيام هذه الأسرة .

السلطات التى اكتسبها الفرعون

وخلاصة القول نجـد أن الأسباب التى نقلت السلطة جملة إلى يد الفرعون فى كل البلاد من أقصاها إلى أقصاها تنحصر فى أمرين عززهما ثالث وهى تأليف جيش قائم، تقييد وراثة الملك فى المقاطعات ، وقد سـبق الإشارة إليهما ، ثم وضع

نظام حكم ممتاز يلائم حالة البلاد وهو ما دعا إليه طائفة الكتاب الذين كانوا يطالبون بالإصلاح الاجتماعى . ويلحظ فى أول هذه الإصلاحات أن الفرعون لم يعد يرتكز فى تنفيذ إرادته أو المحافظة على سلطانه على جنود حكام المقاطعات ، بل اعتمد فى ذلك على جيشه الذى ألفه هو ليكون عضده فى تنفيذ سياسته داخل البلاد وخارجها (راجع مصر القديمة ج ٢ ص ٤٨٨ إلى ٤٩٩) .

قانون وراثة حكم المقاطعة — أما الإصلاح الثانى : وهو موضوع تولى الأمراء الوراثيين حكم المقاطعات فقد وضع الفرعون فى سبيلهم العقبات ليكبح من جماحهم ويكسر من شوكتهم . وحقيقة الأمر أن الأمراء العظام فى البلاد كانوا لا يتولون وراثة المقاطعات عن آبائهم بدون قيد ولا شرط ، بل كان كل أمير ، منهم يسيطر على نوعين من الضياع : واحدة منها ورثها عن والده ، وهذه كانت تتوارثها الأسرة جيلا عن جيل ، ولا يمكن فصلها منهم ؛ ومن هذه الناحية كان الأمير مستقلا عن ملك البلاد تماما . وقد كان من واجبات الفرعون أن يراعى قوانين الوراثة معه ، كما تراعى لأى فرد آخر ، فلم يكن لديه الوسيلة ليتعدى عليه من هذه الناحية ، ولكن من جهة أخرى كان أمير كل مقاطعة يستولى على نوع آخر من الأراضى التى كانت فى الواقع إقطاعات ملكية ؛ وكان لا بد عند توريثها لأى أمير آخر من الحصول على موافقة الفرعون ، وإلا فلا يمكن أن يستولى عليها بأية حال ، وفى العادة كان رضا الفرعون وموافقته أمرا طبعيا ، ولكن كان لا بد منها حتى مع أسرة « خنوم حتب » أمراء مقاطعة الغزال الذين اشتهروا بولائهم وخدماتهم للبيت المالك ، وقد ذكرنا « خنوم حتب الثانى » أن الفرعون عين خاله « نخت » بحظوة خاصة أميرا على « منعات خوفو » ... فعين ... « نخت » المنتصر المبجل ليحل بحكم وراثته فى «منعات خوفو» بمثابة حظوة عظيمة من الملك ، وذلك حسب الأمر الذى صدر من فم جلالة الملك « سنوسرت الأول » له الحياة والصحة والسعادة مثل «رع» أبديا . وقد عومل «خنوم حتب الثانى» هذه المعاملة

نفسها قبل أن يتولى حكم الإقطاع الملكى فيقول : " الملك « أمنمحات الثانى » ... أحضرنى لأنى كنت ابن حاكم لأرث حكومة أملاك أم والدى ، وذلك لأنه كان يحب العدل كثيرا ... ونصبنى حاكما فى السنة التاسعة عشرة على «منعات خوفو»".

ومن ذلك نرى أنه رغم استمرار الأسرة فى تولى حكم الإقطاع الملكى وإدارة ضياع الأسرة الخاصة ، فإن القاعدة المتبعة كانت أن يؤيد ذلك بمرسوم ملكى طوال قيام هذا النظام فى عهد الأسرة الثانية عشرة . والظاهر أن سكان المدن كانوا يتمتعون فى هذا العهد بحرية عظيمة تفوق التى كان ينعم بها أهل الريف ، فقد كانوا تحت إدارة حاكم المقاطعة ومراقبة الشرطة ، ولذلك نرى أنه عند ما أسس « أمنمحات الأول» مدينة جديدة فى مصر الوسطى وضعها تحت مراقبة أمير المدينة وحاكمها ، وهذه المدينة اسمها «سحتب إب رع» تيمنا باسم التاج الذى يحمله الفرعون «أمنمحات» ، وكانت تحت حكم الأمير « نحرى » (Newberry B. H., I pp. 62 ff.) ، وكان يحمل لقب حاكم المدينة الجديدة (؟) ، وهو لقب كان شائعا فى عهد الأسرة السادسة . على أنه لم يكن تحت حكم الفرعون مباشرة ، أو بعبارة أخرى تحت حكم وزرائه الذين كانوا يعتبرون حكام المدينة إلا مقر الملك و«منف» العاصمة الحقيقية للبلاد ، ويحتمل كذلك «طيبة» . أما مدن المقاطعات فلم يكن هناك مراقبة متصلة يقوم بها «مديرون» و « كتاب » ، ولم يجند منها أفراد لأعمال السخرة ، وكان من حق كل إنسان أن يباشر مهنته حرا ، ويظن أنه كان فى استطاعته أن يهاجر إلى مدينة أخرى ويتخذها له موطنا . وقد كان لدى موظفى الفرعون الوسائل التى تخول لهم التدخل فى شئون المقاطعة ، ورغم ما كان لحاكم المقاطعة من القوة العظيمة فإنه مما يشك فيه أنه هو الذى كان يعين قضاة المحاكم فى المدن : وقد نمت فى المدن حياة قوية كلها جد ونشاط ، ولذلك نجد أن جما غفيرا من الأفراد الذين لم يكونوا منخرطين فى سلك الوظائف الحكومية ، يشتغلون صناعا ونحاسين ونحاتين وتجارا ، وقد وصلوا إلى درجة عظيمة من الثراء يشهد بذلك ما يفهم من اللوحات

الكثيرة التى أقاموها على قبورهم ، على حين أننا نجد أقل منهـم بمراحل فى المدنية من دهماء القوم ، فمنهم الفلاحون الذين يزرعون الأرض ، و يقومون بأعمال السخرة ، وكذلك نجد الصانع الصـغير الذى يعيش تابعا لغيره ، وهؤلاء هم ثمـرة المخالطة غير الشرعية ، فليس لهم والد وهم كما يقال عبيد العصا ، يضربون أمام القوم .

تعاليم خيتى — ولدينا كتاب أدبى من هـذا العصر يحتوى على نصائح والد لابنه ، وقد نقلته مدارس الكتبة ، وهو كتاب النصائح التى وجهها «خيتى بن دواوف» لابنه « بيبى » وقـد ظلت هذه التعاليم أو النصائح تعرف بتعاليم « دواوف » إلى عهد قريب . والواقع أن صاحبها هو « خيتى بن دواوف » (راجع كتاب الأدب المصرى ص ٢٠٧ ج ١) . وهذه التعاليم تصف لنـا بصورة قاتمـة عنيفة البؤس والشقاء الدائم الذى كان يعانيه كل فـرد لا يحترف الكتابة (أى غير موظف) ، إذ كان الموظف يعتبر مسيطرا على الناس ، وكان يغبطه على عمله كل أصحاب الحرف الأخرى . و إذا كانت الأوصاف التى جاءت فى هذه التعاليم صحيحة فى تفاصيلها ، فإنها تضع أمامنا صـورة تدل على روح يغمره التعصب ، ويحيط به ضيق التفكير الشديد ، وكذلك تدل على أن كبرياء الموظفين لم ينحن أمامه قط الطبقات العاملة ، ولا الصناع الذين كانوا يظهرون فى كتاباتهم الجنازية كبرياء يعادل كبرياء الكتاب ، ولكنه على حق . وسنورد هـذه التعاليم هنا ونعلق عليها لمـا لها من أهمية خاصـة فى كشف النقاب عن الحياة الاجتماعية فى هذا العصر :

تعاليم ألقاها مسافر اسمـه « خيتى بن دواوف » لابنه « بيبى » فى سفينة حينما سافر مصعدا فى النهر إلى عاصمة الملك ليلحق ابنه بالمدرسـة بين أولاد الحكام . وهذا العنوان وحده يكشف لنا عن حقائق خطيرة من الوجهه التعليمية والتاريخية . فمنه نعلم أنه كان يوجد مدرسة جامعة يتعلم فيها أولاد علية القوم فى عاصمة الملك ، وأن العاصمة كانت وقتئذ فى الوجه القبلى ، لأنه كان على « خيتى » أن يقلع بسفينته مصعدا فى النهر . ومن الجائز أنها كانت وقتئذ « إهناسية المدينة » أو « طيبة » ،

هذا إلى أن هذه المدرسة كان يعلم فيها أولاد حكام المقاطعات ومن فى طبقتهم . وسنرى أن « خيتى » يقول لابنه وستكون رئيسا لمجلس « قنبت » وهو ذلك المجمع الذى كان يدير حكومة البلاد فى العهد الإقطاعى (راجع كتاب الأدب المصرى القديم ص ١٣٠) وكان معظمه فى ذلك الوقت من حكام المقاطعات .

ونجد أن أول ما يُلقى « خيتى » على ابنه من النصائح هو أن يرسم له صورة قبيحة للجاهل ، ثم يغريه بأن يحب العلم أكثر من حبه لأمه ، ويقول له إنه عاجز عن تصوير جماله ثم يشير إليه بأن صناعة الكتابة تفوق كل الحرف ، وأنه لو تعلمها هنأه القوم على ذلك فيقول :

" لقد رأيتَ من ضُرب ، فعليك أن توجه قلبك لقراءة الكتب ، ولقد شاهدت من أُعتق من الأشغال الشاقة تأمل ! لا شىء يفوق الكتب .

اقرأ فى نهاية « كمت » (لعله اسم كتاب قديم) تجد فيه هذه : إن الكاتب عمله فى كل مكان فى حاضرة الملك ولن يكون فقيراً [1] . والرجل الذى يعمل على حسب عقل غيره لا ينجح . ليتنى أجعلك تحب الكتب أكثر من والدتك ، وليت فى مقدورى أن أظهر جمالها أمام وجهك . وإنها أعظم من أى حرفة ... ، وإذا أخذ التلميذ فى سبيل النجاح ، وهو لم يزل طفلا ، فإن الناس تهنئه ، ويكلف تنفيذ الأوامر ، ولا يعود إلى البيت ليرتدى ثوب العمل (مثل أرباب الحرف الأخرى) " .

بعد ذلك يصف الأب لابنه الفرق بين مهنة الكاتب وما ينال صاحبها من الشرف وبين المهن الأخرى التى يكون من جرائها تعب الجسم واضمحلاله ، وتعرض محترفها للأخطار فيقول :

---

(١) قد يحتمل أن كل وظيفة يشغلها لها صلة بالبلاط ، وعلى ذلك فللكاتب نصيب قبل غيره فى الأرزاق التى توزع هناك .

"على أنى لم أر قط قاطع أحجار كلف برسالة، ولا صانعا أرسل فى مهمة" .

ثم يتناول بالشرح كل مهنة وما فيها من متاعب وحقارة بالنسبة لمهنة الكتابة ، ويقدّم لأبنه درسا فى الحياة الاجتماعية، ويستعرض أمامه نواحى مصر الصناعية ، ونصيب كل صانع من متاعبها، يذكر ذلك فى شىء من المبالغة ، ولكنه يكشف لنا فى الوقت نفسه عن نوع الحرف التى كان يتخذها أبناء العصر المظلم الذى يتحدّث عنه .

وإذا كان القارئ الأجنبى لا يحفل بهذا العرض كثيرا فإن القارئ المصرى يستهويه أن يراه، لأن فيه صفحة مضى عليها أربعة آلاف سنة، يستطيع أن يقرنها بصفحة مصر الحاضرة . فيرى أن الأخيرة تكاد تطابق الأولى مع طول العهد بينهما، وأن هذه المطابقة تشتدّ وتقوى فى الدساكر والقرى حيث يضعف تأثير المدنية الحديثة .

فيتكلم أوّلا عن صانع المعادن فيقول :

"ولكنى رأيت النحاس يقوم بعمله عند فوهة الأتون، وأصابعه كجلد التمساح (أى أنها مجعدة وخشنة كجلد التمساح)، ورائحته أكثر كراهية من البيض والسمك".

ثم ينتقل إلى الخراط والسماك فيقول :

"وكل صانع يقبض بمهارة على المخرطة[1] يناله الإعياء أكثر مما يفلح الأرض، وميدانه الخشب ، وفأسه المخرطة (حرفيا المعدن) ؛ وفى الليل حينما يطلق سراحه يعمل فوق طاقة ساعديه؛ وفى الليل يشعل النور" (أى يستمر فى عمله فلا راحة له).

ثم ينتقل إلى الكلام على البناء وما يناله من التعب الجثمانى فيقول :

---

(١) لا شك أن حكيمنا يبالغ فى هذه الصورة التى يضعها أمام ابنه ، لأنه مما لا شك فيه أن بعض أصحاب هذه الحرف كان يحب مهنته لذاتها ، وإلا لما وصلت إلينا تلك القطع الفنية النادرة فى إتقانها من أيدى هؤلاء الصناع .

„ والبناء يبحث عن عمل له (؟) فى كل أنواع الأحجار الصلبة وعند ما ينتهى منه تكون ذراعاه قـد تكسرتا، ويصبح مضنى ، وعند ما يجلس امرؤ كهذا عند الغبش ، فإن فخذيه وظهره تكون قد حطمت “ . بعد ذلك يتناول حرفة الحلاق فيظهر لابنه أنهـا مضنية ، وصاحبها لا بدّ أن يجول فى الشوارع ليبحث عن عمل يسدّ رمقه بمـا يكسبه . فنراه يقول :

„ والحلاق يحلق متأخرا إلى الغروب ... ويجول من شارع إلى شارع ليبحث عمن يحلق له و ينهك ذراعيه لأجل ملء بطنه كالنحلة التى تأكل وهى تكد“[1] .

وكذلك يظهـر له المتاعب التى يلاقيها التاجر الجـوّال ليحصل على ثمن سلعته فيقـــول :

„ والتاجر (؟) يسيح إلى الدلتـا ليحصل على ثمن سلعته، ويكد فوق طاقـة ساعديه، والبعوض يقتله (لمـا يحمله من الجراثيم) ... “ . ويتناول بعد ذلك أحقر الحرف وهى صناعة اللبن فيقول :

„ وصانع اللبن (ضرب الطوب) الصغير الذى يصنعه من غرين النيل يقضى حياته بين المـاشية (؟)، وهو على أية حال مختص بالكروم والخنازير (فى المصرية تورية بين كلمة كروم وخنازير، وربمـا كان ذلك هو السبب فى ذكرها هنا) ، وملابسه تكون خشنة ... وهو يشتغل بقدميه ويدق ... “ .

والظاهر أن حرفة البناء كانت شاقة عنـد المصريين حتى أن حكيمنا هنا قـد رصد لها فقرتين، غير ما ذكر، ولكن الفقرة الثانية فيها بعض الغموض فيقول :

„ دعنى أحدّثك فضلا عن ذلك عن البنـاء الذى يكون غالبا مريضا (؟)، وملابسه قذرة، وما يأكله هو خبز أصابعه ، ويغسل نفســه مرة واحدة ... وهو أتعس ما يمكن أن يتحدّث عنـه الإنسان بحق (؟) ، فهو كقطعة حجر (؟)

---

(١) أى أنه يأكل أثناء عمله وهذا ما نشاهده الآن فى القرى المصرية .

فى حجرة طولها عشر أذرع فى ست ... والخبز يقدمه إلى بيته ، وأطفاله يضربون ضربا ... " (وهذه القطعة غامضة فى الأصل) .

ثم يصف الحكيم لابنه حالة البستانى ، ويظهر أنه يقصد به زارع الخضر والفاكهة على السواء فيقول :

"أما البستانى فيحضر أثقالا ، وذراعه ورقبته تتألمان من تحتها ، وفى الصباح يروى الكراث ، وفى المساء الكروم (لأن ذلك أحسن وقت لريها عندما تكون محملة بالفاكهة ... فحرفته أسوأ من أية حرفة " .

ثم ينتقل إلى وصف حالة الفلاح وهو الذى ينطبق على حالة فلاح مصرنا ؛ الذى تفتك به الأمراض ، وصاحب الأملاك يستنفد كل محصوله ، فهو كالحيوان الضعيف الذى يعيش بين الأسود ، فهو لا بد مأكول فيقول الحكيم :

" أما الفلاح فحسابه مستمر (أى أن صاحب الأرض يطالبه دائما بتأدية ما عليه من الديون) إلى الأبد ، وصوته أعلى من صوت الطائر «آيو» ... (دائما يشكو) ، وهو كذلك أكثر تعبا ممن يمكن التحدث به ، وحالته كحالة الذى يعيش بين الأسود ، وهو فى غالب الأوقات مريض (؟) وعندما يعود إلى بيته فى الغروب ، فإن المشى يكون قد مزقه إربا إربا " (أى أن طول الطريق يجهده إجهادا كبيرا فوق ما لاقى من التعب خلال اليوم) .

يتناول بعد ذلك «خيتى» حكيمنا الناسج الذى يعمل وهو جالس طول اليوم ، فيشبهه بقعيدة البيت ، فهو لا يتمتع بالهواء الطلق ، وهو مراقب دائما ، فإذا تباطأ عن العمل يوما ضرب بالسوط ، وفى رواية أخرى انتزع من مكان راحته كما تنتزع زهرة السوسن من البركة ، وإذا أراد أن يخرج من مصنعه ليستنشق الهواء ، فلا يصل إلى ذلك إلا بالرشوة فيقول :

" وحال الناسج داخل مصنعه أتعس من حال المرأة ، فركبتاه تكونان فى بطنه ، وهو لا يمكنه أن يستنشق الهواء ، وإذا أمضى يوما دون عمل انتزع (من مكان

راحته) ، كما تنتزع زهرة السوسن (وفى رواية أخرى فإنه يضرب بسوط ذى ٥٠ شـعبة) أو (فإنه يضرب كسائمة الضحية ٥١ سوطا) . وهو يقدّم لحارس الباب خبزا ليسمح له فى ضوء النهار بالخروج ".

بعد ذلك يصف الحكيم المحنك لابنه « حرفة » من الحرف التى كانت شائعة فى ذلك العصر ، ولكنها قد اختفت فى عهدنا تدريجا بانتشار المدنية ، وأعنى بذلك صناعة (السهام) التى لم يفتأ يستعملها المصرى لأنها كانت من أهم أسلحة الحرب ، فيصف كيف يحتم على صاحبها أن يذهب إلى الصحارى والجبـال ، حيث الظران الذى تصنع منـه السهام ، وما فى ذلك من بعـد المسافة ، وما يعانيه هو وحماره ، وما يستلزمه من المـال لمن يرشـده إلى الطريق فى وسـط تلك الفيافى والقفـار ، وما يتطلبه كل ذلك من وقت ونصب فيقول :

" وصانع السهـام يكون تعسا عنـد ما يرحل الى الصحراء ، وإن ما يعطيـه حماره لكثير ، هذا فضلا عن أنه عمل يستغرق وقتا طويلا . ويعطى كذلك الذين فى الحقول ، والذين يرشدونه إلى الطريق كثيرا أيضا ، ويصل إلى بيتـه فى المساء بعد أن يكون السير قد أنهكه " .

ثم يتناول بعد ذلك حرفة أخرى من التى أخذت تتلاشى فى مصر ، وإن كانت لم تزل باقية فى بعض الجهات المتطرفة التى لم تصلها المدنية الحديثة ، وأعنى بها نقل البريد برجال خصوا بذلك ، فيصف لنا كيف أن عامل البريد عند ذهابه إلى بلد أجنبي يترك وصـيته خوفا من عدم عودته ، لمـا فى رحلته من المخاطر ، وحتى إذا عاد إلى مصر ثانية فإنه لا يعود مرتاح النفس ، لأن التعب يكون قد أضناه فيقول :

"وحامل البريد عند ما يسافر إلى بلد أجنبي يوصى بأملاكه لأولاده خوفا من الأسود والأسيويين ، وهو يعلم ذلك وهو فى مصر . وعند ما يعود إلى بيته يكون تعسا لأن المشى قد كسره . وسواء أكان بيته من النسيج أو اللبن (؟) فإنه لا يعود

منشرح القلب[1] (وفى رواية أخرى : وعنـد ما يصل إلى بيته مساء فإن قلبه يكون فـرحا) " .

ويعقب ذلك كلام على حرفة لم نصل إلى كنه معناها ، والغرض من ذكرها هنا هو أن يظهر له بشاعة رائحة محترفها ولذلك سنورد الكلمة هنا بأصلها المصرى .

أما الـ (سثناوى) فان رائحة إصبعـه تكون نتنـة ، والرائحة التى تتصاعد منها هى رائحة جثة ، وعيناه تكونان مثل ... (؟) ... بسبب المسوح ... وهو لا يقصى عنه (سثناوى) وهو يقضى وقته فى تقطيع الخرق (؟) وما يمقته هو الملابس .

ثم يشفع ذلك بالتحدّث عن حرفة يظهر أنها تشبه السابقة فى قذارتها ، وأعنى بها حرفة الإسكاف . فيصف الحكيم لابنه كيف أن هذا التعس يحمل أوانيـه التى فيها آلاته وجلده ، وكيف أن صحته تسوء وجسمه يهزل ، وقد يجبر على قطع الجلد بأسنانه فيقول :

" والإسكاف يحمل أوانيه إلى الأبد (وفى نسخة أخرى يحمل آلاته إلى الأبد) وصحته تكون كصحة الجيفة ؛ وما يعض عليه هو الجلد " .

ثم يأتى بعد ذلك الكلام على حرفة الغسال ، ومجازفة صاحبها بنفسه أمام خطر التمساح ، مما يدل على كثرة هـذا الحيوان فى ذلك العصر فى النيل ، وما يلاقيـه بسببها من تعب جثمانى ، وما يشعر به من تعس عند ما يضع مئزر سيـده ليؤدّى فيه عمله . فيقول :

" والغسال يغسـل على المـوردة ، وإذ ذاك يـكون جارًا قريبـا للتمسـاح (فى صورة إله) ، وعند ما يخرج الوالد (الغسال) متجها نحو المـاء المضطرب ، يكون ابنـه وابنته فى عمـل هادئ منعزل عن كل عمـل آخر ، وعنـدئذ يقول ابنه وابنته : إن هذا ليس بعمل يجـد فيه الإنسان راحة . وهو منفصل عن أى عمل آخر . وغذاؤه يكون مختلطا بمكان خساباته ، وليس فيـه عضو سليم ، وإذا

---

(١) لأن أولاده يكونون قد قسموا ملكه ظنا منهم أنه قد مات فى طريقه .

ارتدى مئزر المرأة فإنه وقتئذ يكون تعسا ، وهو يبكى حينما يمضى وقته حاملا ال « مكاتن » ... و يقال له — « الغسيل » أسرع إلىّ ... ... " .

و يعقب هذا بحرفة أخرى ليست من نوع الحرف السابقة بل هى حرفة لهو ، ولذلك يقول عنها إنها تجعل صاحبها يهمل أعماله ، وأعنى بها حرفة صيد العصافير، فيقـــول :

" وصائد العصافـير تراه فى منتهى التعس عندما يشاهـد ما فى السماء ويهمل أعماله ، (وفى رواية أخرى) ، وعندما تطير الطيور المتنقلة[1] فى السماء يقول : ليت عندى شباكا هنا ، ولكن الله لا يهيئ له نجاحا (؟) " .

بعد ذلك ينتقل إلى حرفة صيد السمك ، و يصف الحكيم لابنـه ما فيها من أخطار التمساح ، فيقول :

" إنى مخبرك كيف أن حرفة صياد السمك أكثر تعسا من أية حرفـة أخرى ، فإنه يشكو منها ، أليس عمله على النهر حيث يختلط بالتماسيح (؟) ، و إذا لم يقل له الإنسان يوجد تماسيح فإن خوفه يعميه " .

وهنا ينتقل الكاتب الحكيم إلى إطراء حرفة الكتابة ، فيقول :

" إن صاحبها هو الذى يصدر الأوامر " .

ثم يصفها بأنها أحسن من كل الحرف التى استعرضها أمامه ، فيقول :

" تأمل ! ! فإنه لا توجد حرفة من غير رئيس لها إلا صناعة الكاتب ، فهو رئيس نفسه[2] ، فإذا عرف الإنسان الكتب فإنه يقال عنه بحق : إنها مفيدة لك... وما أقـوم به فى سـياحتى إلى الحاضرة ، تأمل ! إنى أقوم به حبا فيـك ، و يوم فى المدرسة مفيد لك ، وما تعمله فيه يبقى مثل الجبال " .

---

(١) تؤلف الطيور المتنقلة عنصرا هاما فى طعام المصريين .

(٢) هذه الفكرة هى الغرض الذى يرمى إليه الكاتب من أقواله .

ويعقب هـذه الكلمات الحكيمة بعض فقرات غير مفهومة وتدل مقدّمتها هـذه :

"دعنى ألق عليك فضلا عما سبق كلمات لأعلمك" أنها تبحث فى موضوع جديد ؛ ومن المحتمل أنها إضافات قد أدخلت على المتن الأصلى فيما بعد، فمنها فقرة تعلم الإنسان حسن السلوك فى حضرة العظيم . فيقول حكيمنا :

" وإذا دخلت ورب البيت مشغول بآخر قبلك، فعليك أن تجلس ويدك فى فمك ، ولا تسأل عن أى شىء ، وفضلا عن ذلك لا تتكلمن بكلمات غامضة، ولا تنطق بلفظة وقحة ... ثم إذا حضرت من المدرسة وقد أعلن وقت الظهر لك وأنت سائر تصيح فرحا فى الطرقات ، فحينئذ ... ... وإذا أرسلك رجل عظيم برسالة فأدّها كما ألقيت عليك ولا تنقص منها ولا تزد ... " .

ويلى ذلك نصيحة غالية فى القناعة فى المأكل والمشرب من أحسن ما قيل فى هذا الباب . إذ يقول : "كن قنوعا بطعامك، إذا كان يكفيك ثلاثة رغفان، وشرب قدحين من الجعة، فإذا لم يكن بطنك قد اكتفى بعد فحاربه (؟) " .

ثم إن الحكيم يحض ابنه على أن يستمع لكلمات الرجل العظيم ويتخذ لنفسه صديقا من سنه . فيقول :

" انظر . إنه لحسن أن تفض الجمهور وتستمع منفردا إلى كلمات العظيم ... اتخذ لنفسك رجلا صديقا من جيلك " .

وفى النهاية نرى « خيتى » يقول لابنه : إنه قد وضعه على الطريق الإلهية وإن ربة « حصاد الكتاب » على كتفه منذ ولادته ، أى أنه لن يقاسى آلام الحاجة ، وأنه بفنه يصل إلى أعلى وظيفة فى البلاط ، بأن يصبح عضوا فى المجلس الأعلى للحكام « قنبت » ، بل قد يكون الرئيس فيه بما أوتيه من علم وحكمة ، ثم يخبره أن هذه الطريق ممهدة أمامه وأمام أولاد أولاده . فيقول :

" انظر . إنى قد وضعتك على طريق الإله ، وإن « رننوتت » الكاتب (أى ربة الحصاد للكاتب) قد أصبحت على كتفه منذ ولادته . وهو يصل إلى باب مجلس « القنبت » عندما يصل إلى سنّ الرجولة . تأمل ! إنه لا يوجد كاتب قد حرم القوت الذى هو متاع بيت الملك (عاش فى صحة وفلاح) . و « مسخنت » (إلهة الكتابة) هى سعادة الكاتب ، وهى التى تضعه على رأس المجلس الأعلى «قنبت» . ويجب على الإنسان أن يشكر والده ووالدته اللذين وضعاه على طريق الأحياء . والآن تأمل ! فإن هذا (أى ما نصحتك به) ما أضعه أمام وجهك ووجه أولادك ، وقد انتهى هذا بسلام " . ويستنتج مما ذكر أن الكتّاب كانوا كثيرين ، وأن الكاتب كان صاحب القدح المعلى ، والرأى المتبع .

"Chronique d'Egypte," No. 43, p. 50 ff.

نظام الحكومة فى عهد الأسرة الثانية عشرة

نظام الحكم — أما نظام الحكم الذى وضع فى عهد الدولة الوسطى فيعتبر بالنسبة لتاريخ مصر عهد رخاء ، إذ به وطدت وحدة البلاد ، وامتدت حدودها . وهو فى الواقع يعدّ عصرا ذهبيا ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى قوة شكيمة مؤسسها العظيم وأخلافه من بعده فى تنفيذ المنهاج الذى وضع لهذا النظام بكل دقة وعناية يشد أزرهما نشاط وحزم . وإذا لم يصلنا من المعلومات عن النظم الإدارية إلا الشيء القليل نسبيا ، فإن ما لدينا يمكننا من القول بأن ما بلغته مصر فى ذلك العهد من التقدّم لا يقل بكثير عما وصلت إليه حكومات عصرنا الحديث من النظام والعدالة الاجتماعية .

وإذا كانت مصر فى عهد الملوك الأول من الأسرة الثانية عشرة لا تزال تمثل فى ظاهرها أحوال الحكومة الإقطاعية ، فإن حقيقة الأمر تنبئ بأن العصر الذهبى للإقطاع قد أصبح فى خبر كان . حقا قد ظهر بلاط الأمراء بأبهة وفخامة أكثر مما كان فى عهد الانتقال الذى كان عصر فقر وبؤس ، ولكن ذلك فى الواقع برق

خاب ، لا يمكن أن يعطينا صورة حقيقية عن قوتهم وعظم جاههم، إذ كان هؤلاء الأمراء فى ذلك الوقت لا يستمدّون مواردهم من قوتهم الشخصية، بل من النشاط الجديد الذى ينبعث من حكومة قوية الأركان، ومن الرخاء الذى تفيض به البلاد. فمنذ عهد «أمنمحات الأول» لم تعد المقاطعات تعتبر أنها حكومات داخل حكومة، و يتضح ذلك من مجرّد كون ملوكها يقيمون من جديد المعابد للآلهة المحليين فى كل المقاطعات ، وهذا برهان محس على سيادتهم ، و بخاصة إذا علمنا أنهم أقاموا هذه المعابد على يد مهندسيهم وموظفيهم ، لا على يد أمراء المقاطعات وهم كهنتها العظام . حقا إن أملاك التاج الخاصة لم يعد لها وجود فى المقاطعات منذ زمن بعيد ، ولكن فى مقابل ذلك كانت تجبى الإتاوات من المواد الطبعية فى كل المقاطعات للبيت المالك ، وقد كان أمير المقاطعة مكلفا توريدها . وكانت تحضر بطاقات فى مكتب الوزير ليحصى فيها كل سكان البلاد فى سنين معينة .

(Griffith, "Kahun Papyri", 1892. Fiches de rensencements des Maison. Griffith, L. C., p. 19. Cf. Borchardt, "Votrag des Hamburger Orientalistischen Congresses", p. 29.

وقد كان لزاما على كل رب أسرة أن يقيد فى هذه البطاقة عدد أفراد أسرته ومواليه ، ثم يقسم يمينا أنه صادق ومخلص فى كل ما دوّنه فى هذه البطاقة ، وقد وصل إلينا عدد عظيم من هذه البطاقات التى عثر عليها فى مدينة « كاهون » التى أسسها « سنوسرت الثانى » بالقرب من هرمه الواقع عند مدخل « الفيوم » . على أن هذه البطاقات لم تقتصر فائدتها على المساعدة فى جمع الضرائب بل كانت تساعد الإدارة على معرفة حالة سكان كل البلاد المدنية بمجرّد نظرة خاطفة، وكذلك الواجبات الملقاة على عاتق كل فرد من أفراد الرعية . و إذا كنا نلاحظ أن أمير المقاطعة هو الذى كان يقود جنود الرديف المجندين من مقاطعته ، فإن الملك هو الذى كان يقوم بعملية الاقتراع من بين الشباب الصالحين للخدمة العسكرية، ففى مقاطعة « طينة » مثلا كان يجند واحد من كل مائة رجل ، وكانت القضايا

يفصل فيها بمحاكم مؤلفة من موظفين حكوميين ، وكذلك بوساطة محكمة الثلاثين التى كانت تحت إدارة الوزير، وكانت تتألف من ستة البيوت العظيمة (محاكم) . وكان مجلس الثلاثين يسمى كذلك مجلس الثلاثين العظام ، وكان يضم فى بادئ الأمر الحكام الذين كانوا يديرون دفة البلاد فى عهد الحكم الإقطاعى، ومنهم كان يؤلف مجلس البلاط ، وقد خلف مجلس الثلاثين هذا مجلس العشرة العظام للوجه القبلى الذين كانوا يتولون إدارة أمور البلاد فى عهد الدولة القديمة، وكان فى ازدياد أعضاء هذا المجلس الذى أنشئ لمساعدة الملك، وللحدّ من سلطان حكام المقاطعات تقوية لهم، وعون على تعزيز الأداة الحكومية، وداعية إلى القبض على ناصية الحال فى طول البلاد وعرضها ،لأن معظم الأعضاء كانوا يشتغلون فى الوقت نفسه حكاما للأقاليم، وسادت هذه الحال فى العهد الإهناسى وعهد الأسرة «الحادية عشرة» . وقد كان أعضاء هذا المجلس يمثلون سلطة الملك فى مختلف المقاطعات ، غير أنه استبدل بهم حكاما انتخبهم بنفسه لم يكن لهم حق الوراثة . فأصبحوا فى النهاية قوة عظيمة فى جانبه ، وقد لاحظنا أن لهذا المجلس سلطانا قاهرا فى أوائل عهد الدولة الوسطى ، وكان أعضاؤه يقومون بأهم الأعمال فى كل مرفق من مرافق الدولة ، وهذا المجلس بعينه كان يسمى «قنبت» (أى المجمع) وقد عرفنا تكوينه من نقش وجد فى « حتنوب » القريبة من « ملوى » جاء فيه عن أمير مقاطعة الأرنب (المقاطعة الخامسة عشرة) المسمى « نحرى الأول » ما يأتى: "وقد اجتمع للتشاور مع المجمع « قنبت »، دون أن يعرف ذلك أحد، وقد كان البلاط منشرحا للآراء التى أدلى بها ، وقد كان من الرجال المخلصين،وقد كان يأتى إليه (المجلس) الحكام (حكام المقاطعات) من الوجه القبلى". والظاهر أن اجتماع المجلس هذا كان سريا كما يدل على ذلك سياق الكلام، وكذلك كان اجتماعه لمحاربة أهل الجنوب المعادين. (راجع Meyer, "Gesch." Par. 286; Pirenne, "Histoire des Institutions et du Droit Privé de l'Ancienne Egypte," Vol. III, 73–75, 93–94).

وكذلك كانت كل الأمور الخاصة بقانون الأحوال الشخصية مثل الوصايا تحرر أمام

شهود و بحضور الموظفين (الكتاب) الذين كانوا يشرفون على هذه الإدارة لا أمام إدارات المقاطعة .

تقسيم مصر الإدارى — وقد كانت مصر فى عهد الدولة الوسطى مقسمة قسمين رئيسيين : وهما الوجه القبلى والوجه البحرى كما يدل على ذلك قائمة المقاطعات التى كشف عنها حديثا فى معبد «سنوسرت الأول» الذى وجدت أحجاره مستعملة فى مبانى (البوابة) الثالثة التى أقامها «أمنحوتب الثالث» فى معبد «الكرنك» ، وقد أعيد بناء معبد « سنوسرت » هذا ثانية فى ناحية من معبد «الكرنك» . ويلاحظ أن كلا من هذين القسمين قد رسم فوقه سماء واحدة منفصلة عن الأخرى ، ولذلك نجد فى هذه الوثيقة أن مقاطعات الوجه القبلى قد غطيت بسماء تبتدئ بالمقاطعة الأولى ، وتنتهى عند المقاطعة الثانية والعشرين ، وكذلك الحال مع مقاطعات الوجه البحرى ، نجده تحت سماء منفصلة أيضا مما يدل على أن كلا من القطرين كان عالما منفردا بنفسه قبل توحيد القطرين .

تقسيم الوجه القبلى قسمين إداريين — ومن جهة أخرى نعرف أن الوجه القبلى قد انقسم قسمين رئيسيين داخليين يبتدئ بالمقاطعة الأولى جنوبا وهى مقاطعة « آبو » أى « الفنتين » إلى أن تصل إلى المقاطعة العاشرة ، وهى التى تسمى مقاطعة « وازيت » وعاصمتها مكان بلدة « أبو تيج » الحالية ، ثم نلاحظ أن المقاطعة الثانية والعشرين التى تسمى مقاطعة « السكين » فى قوائم البطالمة قد ذكرت فى قائمة « سنوسرت » باسم المقاطعة الفاصلة « حنت » ، أى التى تفصل بين القطرين الرئيسيين . الوجه القبلى والوجه البحرى ، والواقع أن تقسيم الوجه القبلى قسمين كان معروفا فى المتون المصرية قبل عهد « سنوسرت الأول » ، وقد فهم بعض علماء الآثار هذا التقسيم ضمن المتون المصرية . فمثلا نجد فى نقش من نقوش الأسرة الحادية عشرة أن مصر العليا كانت تشمل المقاطعات من أول « الفنتين » (أسوان) إلى مقاطعة « وازيت » وعاصمتها « أبو تيج » الحالية « وكوم اشقاو » ،

وقد سميت فى المتن نفسه بأنها « باب الشمال » أى باب مصر الوسطى. وكذلك نجد أن « سيوط » كانت تسمى « تب شمع » (رأس الجنوب) أو نهايته . راجع هذا الموضوع فى كتاب أقسام مصر الجغرافية للمؤلف وكذلك راجع :
(Erman, A. Z., Vol. 29. p. 119; Griffith, "The Petrie Hieratic Papyrus," p. 21; Steindorff, "Die Aegyptische Gaue," Abh. d'Sachs, Ges. Phil. cl. 27, 1909, 896; Meyer, "Gesch", Par. 284).

والظاهر أن تقدّم الفرعون فى جمع كل السلطة فى يده كان مستمرا؛ فنرى أن كل مقابر حكام المقاطعات التى يمكن أن يحدّد تاريخها يرجع عهدها إلى النصف الأوّل من هذه الأسرة ، فالمقابر الضخمة التى نحتت فى الصخور فى عهد كل من « سنوسرت الثانى » حوالى عام ١٨٨٠ ق م ، وبخاصة مقابر أمير « منعات خوفو » المسمى « خنوم حتب الثانى » فى « بنى حسن » ، ومقبرة أمير مقاطعة الأرنب المسمى «تحوتى حتب» فى «البرشة» ، ومقبرة أمير «النوبة» المسمى «سرنبوت الثانى» فى « الفنتين » كل هذه تعدّ أفخم المقابر ، غير أنها فى الوقت نفسه كانت آخر ما أقيم لأمراء فى جبانات هذه المقاطعات ، هذا ولا نجد قط فى أى بقعة من بقاع القطر مقبرة لحاكم مقاطعة ، أو لوحة تذكارية لأمير مقاطعة إلا رجع تاريخها إلى ما قبل عهد هذين الفرعونين ، وهذه الحقيقة تحتم علينا أن نفرض حدوث انقلاب بعيد المدى فى عهد « سنوسرت الثالث » ، أو على الأقل ينبغى أن نعترف أن مثل هذه المقابر قد انقضى عهدها ، أى أن حكم المقاطعات قد قضى عليه نهائيا . وقد استمر بقاء الأملاك العقارية بطبيعة الحال ، وحفظ لبعض الأسر مركزها الأميرى ، وعندما تصادفنا أسرة قوية من هذا النوع (فى عهد الأسرة الثالثة عشرة أو حتى فى عهد أوائل الدولة الحديثة فى المقاطعة الثالثة من الوجه القبلى « الكاب ») ونشاهد فى قبورها إحياء هذا التقليد ثانية وهو ، الذى كان خاصا بأمرائها القدامى ، فإنا نرى مع ذلك رؤساء هذه الأسرة لا يحملون لقب حكام المقاطعات القديم (حرى زازات) ، بل يحملون ألقاب موظفين قد وضعت حديثا . وعلى ذلك يظهر

لنا فى عهد كل من « سنوسرت الثالث » و « أمنمحات الثالث » أن قوة الأشراف واستقلالهم قد قضى عليه قضاء مبرما ، ومن المحتمل أن الأنظمة التى تكلمنا عنها فيما سبق لم تكن قد وضعت إلا فى هذه الفترة .

الإدارة الرئيسية — وكانت إدارة البلاد تسير على نمط إدارة الدولة القديمة ، فكانت تسير بعدد عظيم من المصالح (بيوت) والمخازن ، وبيوت للمالية يقوم بإدارتها جم غفير من الموظفين على رأسهم حاملو أختام الملك ، وأمناء الخزانة ، ومديرون أيضا ، وقد حافظ النظام الجديد على معظم الألقاب القديمة ، غير أن ترتيب وظائف المصالح لا يزال معقدا ، فقد كانت تحتوى على آلاف من العمال والنحاتين وعمال المناجم ، والحمالين والمجدفين الخ . وكل هؤلاء كانوا يعملون لخدمة الفرعون . وقد استمر دفع الأجور من الموارد الطبعية ، كما كان الحال فى عهد الدولة القديمة ، وذلك بمنحهم عطايا من المائدة الملكية ، وكان يعطاها كل على حسب درجته ، هذا بالإضافة إلى هدايا كان يقدمها الفرعون من حقوله وعبيد أجنبية أو موال مصريين ، وحيوانات وأشياء ثمينة من كل نوع .

أعمال المالية العامة — أما أعمال المالية العامة فكان يشرف عليها رئيسان للخزانة ، وكان عملهما ينحصر فى مراقبة الدخل والخراج ، وجزية البلاد الخاضعة لمصر ، وكذلك محصول المحاجر والمناجم ؛ هذا إلى مبانى الأشغال العامة ، وكان الرئيس الأعلى للإدارة وممثل الفرعون فى داخل البلاد وخارجها هو الوزير الذى يضع الخارجين عن الطاعة تحت النير ، ويلاحظ الموظفين ، ويدير شئون ترقيتهم ، ويفصل فى منازعات الحدود ، "ويجعل الأخ وأخوته يعودون إلى بيوتهم متصالحين بقرار فمه". وقد كان فى الوقت نفسه هو رئيس الشرطة فى العاصمة . وقد كان منذ أقدم العهود هو الذى يشرف على محكمة ستة البيوت . وهذه المحكمة كما قلنا تتألف من الثلاثين العظام للوجه القبلى ، فاللقب القديم يظهر ثانية ولكنه يفقد معناه الأول . والواقع أنه لم يعد يعنى مدير المقاطعات ، بل يعنى ممثلى السلطة

المركزية التى كانت تقسم فيها أعظم أمور الإدارة أهمية . فمثلا كان على أحد هؤلاء الأعضاء أن يجمع بيانات عن أحوال البيوت ، وآخر كان مكلفا من قبل الفرعون أن يقوم برحلات تفتيشية أو بإقامة مبان، وفى كثير من الأحوال كانوا يرأسون مثل الوزير حملات حربية .

بطانة الفرعون — بعد أن عين الفرعون رجالا ممن يثق بهم ويعتمد على إخلاصهم حكاما للمقاطعات ، وبعد أن منحهم حقوقا إدارية مماثلة للتى يتمتع بها الأمراء الوراثيون ، (Kees, "Kulturgeschichte" p. 205) فكر فى تقوية الملكية عن طريق آخر ، فأخذ يعمل بجد فى انتخاب أناس يثق بهم ليكونوا بطانة له يعتمد عليهم فى مهام الأمور وقت الشدة ، وقد رأى ألا فائدة من انتخابهم من أشراف بيوتات الدولة القديمة الذين كانوا عمادها ، بل اتخذ أتباعه الذين وضع فيهم الثقة بمثابة حرس شخصى له ، وقدّمهم على كل الموظفين القدامى ، ومنحهم مدافن فى داخل محيط هرمه فى الجبانة الفرعونية الواقعة فى «اللشت» أو فى «دهشور» . ثم أمر مدير مبانى الجبانة الفرعونية أن يقيم لهم مدافن ، وحبس عليها كل الأوقاف اللازمة لإقامة شعائرهم الدينية ، وعين لهم الكهنة الجنازيين ، كل ذلك على حساب الفرعون الخاص ، ومن أملاكه الخاصة ؛ وكذلك كانوا يمتلكون مدة حياتهم عقارا وموالى ، وذلك لارتباطهم بالبيت المالك كما كان يحدث فى عهد الدولة القديمة . وقد قص علينا « خوسبك » فى لوحته (Stèle Manchester) أنه بوصفه تابعا للفرعون ، وبوصفه وكيل مدير أتباع الملك ، يملك ٦٠ رأسا من الموالى ، وكذلك كوفئ بمائة رأس من الأسرى منحها إياه الفرعون على ما قام به فى الحروب التى شنها الفرعون ضدّ أعدائه . (Sethe, "Lesestuke", p. 83) وقد كان «سنوهيت» الذى مر ذكره تابعا من هذا الطراز فى بداية الأسرة الثانية عشرة ، ويدل تاريخه على أنه يمثل الرجل المخلص الذى يبقى بجانب سيده وقت الشدة ، وقد وصف لنا « أمنمحات الأوّل » فى الحكم المنسوبة إليه أخلاق التابع عند

ما خانه كل من حوله عند اغتياله بقوله : "وفى يوم المصيبة ليس للمرء خادم أو تابع" وهذا وصف حق ينطبق تماما على الإنسان فى كل زمان ومكان .

والظاهر أن هؤلاء الحراس هم الجنود الذين كان يعتمد عليهم ملوك الأسرة الثانية عشرة فى حراستهم ، إذ كان الجيش قبل تأليفهم يتكوّن من فرق من المقاطعات ، ومن جنود الشرطة « مازوى » النوبيين ، وكان الفرعون يضم أحيانا إلى هؤلاء رديفا دائما له ، وكانوا يجندون إما بالاقتراع أو كانوا جنودا محترفين ، ثم كوّنت فرقة الحرس هذه ، وكان يطلق عليها (رجال حاشية الملك) ، وأخيرا نجد أن الفرعون قد أخذ يستردّ مكانته الدنيوية والروحية فى نفوس الشعب ، وصار ينظر إليه القوم بأنه ابن «رع» الذى أنجبه من ظهره ، وأنه أصبح المختار من قبله ليحكم مصر وغيرها ، وكذلك أصبح فى يده السلطة المطلقة فى البلاد ، كما كانت الحال فى عهد عظماء ملوك الدولة القديمة ، وقد بدأ فعلا روح الوحدة يدب فى جسم الدولة بصورة ظاهرة خلال حكم أواخر ملوكها ، وبخاصة فى عهد « أمنمحات الثالث » وسلفه من قبله . ويرجع الفضل فى ذلك لجيل الموظفين الجديد الذى عمل ملوك هذه الأسرة على إنشائه ليلتف حولهم ، وليكون لهم نصيرا وظهيرا على تسيير أداة الحكم فى البلاد ، والقضاء على حكام المقاطعات كما أسلفنا ، ولا غرابة إذًا فى أن نرى هؤلاء الموظفين حريصين على بث روح الطاعة والمحبة لمليكهم فى نفوس أولادهم ، وقد بلغ بهم حب الفرعون درجة جعلت تعاليم بعضهم لأبنائه تدور حول حب الفرعون وخدمته والإخلاص له ، لا أن ترشدهم إلى الحياة الصالحة السعيدة كما كانت التعاليم التى وصلت إلينا حتى الآن ، كما أسلفنا عند الكلام على « أمنمحات الثالث » .

ومع كل ذلك فإن مركز الفرعون كان مختلفا تمام الاختلاف عما كان عليه الملوك القدامى مثل « سنفرو » أو « خوفو » ، إذ قد اختفت الفكرة الساذجة التى كانت توحى بأن البلاد لم تخلق إلا لخدمة الفرعون و إقامة المبانى الضخمة له ،

ولغيره من العظماء ، بل على العكس قـد أصبح على قوّة العرش يرتكز رخاء البـلاد وسـعادة الأهلين ، وكذلك لم يكن لكثرة عدد رجال البـلاط الفرعونى أهميـة عظمى ، لأن ألقاب البلاط التى كانت تفوق كل الألقاب الأخرى فى عهد الدولة القـديمة عددا وضخامة أصبحت الآن فى المؤخرة ، وحتى بالنسبة للوزير، وحامل الختم الملكى ، ولم يعـد يتحلى بهذه الألقاب الاسميـة إلا حكام الأقاليم ، ومن ثم أصبحت الفوائد الحيوية للبـلاد هى التى تحتل المكانة الأولى . ويرجع الفضل فى ذلك إلى تركيز السلطة وإلى الاختصاص المحلى اللذين كان يشـدّ أحدهما أزر الآخر فى تسيير الأعمال، مما جعل قوة الفرعون تسير على نهج حدود معينة ، ومن هنا نشاهد هذا الازدهار الفنى وتلك النهضة الداخلية اللذين يتميز بهما هذا العصر.

ومن المحتمل أن هـذا الجهد العظيم الذى بذل لإقامة هذا النظام الدقيق الذى يميز عهد الدولة الوسطى كان بمثابة رد فعل لا بدّ منه ضدّ سوء النظام والفوضى اللذين ميزا عهد الإقطاع الأول . فنرى أن الوظائف قد وزعت توزيعا دقيقا . وكذلك ظهرت وظائف جديدة وبخاصـة بين أفراد الطبقة الوسطى التى أمكننا أن نكوّن عنها فكرة طيبة من اللوحات التذكارية العدّة التى أقامها أفرادها فى مدينة « العرابة المدفونة » المقدّسة ، مثال ذلك وظيفة «النائب للسلطة العليا» . أما رؤساء المصالح والادارات فنخص بالذكر منهم وظائف كل رؤساء المكاتب المختلفة ، وهم الذين كان عملهم لا يقتصر على كونهم رؤساء تشريفات وحسب، بل كانوا كذلك يقفون بجانب رئيس الخزانة ،ومن هؤلاء نذكر اثنين ظهرا فى بلاط الأسرة«الثالثة عشرة» وكان كل منهما يحمل لقب «مدير هيئة الموظفين» ،وإليهما يرجع الفضل فى وضع كتاب إحصاء قيم يبحث فى تدبير شئون البلاط والإدارة . (راجع :

(Ein Rechnungbuch des Koniglichen Hofes aus der 13 dynastie, A. Z. Vol. 75, p. 51 ff.; Mariette, Le Papyrus Boulaq, 1874.

وهذا الكتاب هو المعروف بورقة بولاق نمرة ١٨ ، وعلى حسب ما ذكر فى هـذه الوثيقة نجد أنه قد جاء بعـد الوزير فى ترتيب الوظائف التى كان أصحابها يشرفون

بالمشـول بين يدى المليك ، القائد ، ثم مدير الحقـول ، ثم كاتب الوثائق الملكية ، وأحيانا رئيس الموظفين ، وكل منهم كان يحمل لقب حامل الختم للوجه البحرى ، وهـذه الوظيفة كان يحملها كذلك مدير قاعة الإدارة العامة ؛ وهى المركز الرئيسى الذى كان يدير منـه الوزير شئون الدولة . ومن بين الوظائف التى كانت متصلة بإدارة البلاط اتصالا وثيقا وظيفة «فم نخن» أو «قاضى نخن» « هيرا كنبوليس » وهى « الكاب » الحاليـة . وإن صاحبها قد رقى فيما بعـد إلى وظيفة حامل الختم للوجه البحرى .

وقد كان يوجد بجانب هذه الوظائف أنواع جديدة من المشرفين مثل المشرف على مائدة الحاكم ، وهو بوجه خاص تابع لإدارة بيت المـال أو الخزانة ، وغير ذلك من المشرفين بالترتيب حـتى المشرف على حراس الكلاب ، وكذلك تذكر لنا هذه الوثيقة ألقابا قديمة خاصة بالبلاط والإدارة ، فمن ذلك نجد كثيرا ممن يحملون لقب « عظيم عشرة الوجه القبـلى » وأسن رجال القاعة ، وكذلك ألقاب محضة مثـل « قريب الفرعون » .

وقد حفظ لنا كذلك كتاب الإحصاء هـذا بعض معلومات سمحت لنـا بأن نأخذ فكرة عامة عن إدارة الموارد الطبعية الاقتصادية ، وهى تعدّ من أصعب الأمور وأعوصها فى هـذا العصر ، إذ وجدنا مقيدا فيها مجمـل الحقائق العامة عن المواد الغذائية التى كانت تقدّم لرجال البلاط وغيرهم فى مقرّ الحكم « بطيبة » ، ويشمل ذلك كل من كان يأكل من مائدة الفرعون من الموظفين ، وهؤلاء كان يزداد عددهم بطبيعة الحال ازديادا عظيما فى المواسم والأعياد . ولمـا كانت هذه الورقة من الأهمية بمكان فإنا سـنورد هنا ملخصا لها ليرى القارئ ما كانت عليـه البلاد من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية والدينية .

كتاب الإحصاء لبلاط الفرعون من عهد الأسرة الثالثة عشرة — عثر على هذه الورقة « مريت » عام ١٨٧٢ م ، وقد أطلق عليها العلماء الباحثون

ورقة بولاق رقم ١٨ ؛ وقد فحص محتوياتها الأستاذ « جرفث » ومن بعده « بورخارت » وأخيرا علق عليها الأستاذ « شارف » A. Z. Vol. 57, pp. 51 ff. وقد أرّخ « بورخارت » هذا المتن بحق عن الأصل باسم الملك « سبك حتب » ، وكذلك بوجود اسم الوزير « عنخو » وهما ينسبان للأسرة الثالثة عشرة ، هذا فضلا عن طراز كتابة الورقة ولغتها فإنها خاصة بهذا العصر .

وهذه الورقة تحتوى على متنين كتبا بخطين مختلفين . وسنقصر بحثنا على المتن الطويل ، وهذا يشمل اللوحات من (١٤ — ٤٦) منها اللوحات من ١٤ — ٣٠ على ظاهر الورقة ، ومن ٣١ — ٤٦ على باطن الورقة . هذا إلى بعض قطع ممزقة نجدها فى اللوحات الباقية حتى لوحة ٥٥ ، ويلاحظ أن بداية الورقة قد ضاع وكذلك جزء كبير من وسطها ، ويمكن القول بأن طول الورقة كان $7\frac{1}{2}$ من الأمتار ، ويتبع ما جاء فى ظاهر الورقة ثلاثة نقوش على ظهرها (لوحة ٤٢ ج ٢ سطر ١ — ٣ ولوحة رقم ٤٢ جزء ٣ من سطر ١ — ٣) ، وهى ملاحظات قصيرة قد نسيها الكاتب فكتبها بسرعة عند لف الورقة .

الكاتب ومسك دفتره — يدعى الكاتب الذى وجدت معه البردية فى القبر حسب كتابات أخرى وجدت مع الورقة « نفرحتب » ويحمل لقب « كاتب البيت العظيم للحريم » . والمدهش أنه لم يأت اسمه بين الموظفين الذين ذكروا فى هذه الورقة ، وقد كانت إدارته فى « طيبة » ، وكان مختصا بمسك الدفاتر الخاصة بإطعام البلاط والأسرة المالكة ، وكذلك موظفى البلاط . وكانت الميزانية اليومية تشمل الدخل والخرج . وقد كان كل منهما يدوّن فى سجل على انفراد ثم يصفى حسابهما وما تبقى يرحل لحساب اليوم التالى ، ومما تبقى من هذه الورقة يمكننا مراقبة حسابات المؤن المنصرفة فى البلاط من المدّة التى تقع بين ٢٦ من الشهر الثانى لفصل الفيضان حتى اليوم الرابع من الشهر الثالث من نفس هذا الفصل . وقد دوّنت هذه المدّة على وجه الورقة ، ثم من اليوم السادس عشر إلى اليوم الثامن عشر

من نفس الشهر من السنة الثالثة من حكم الملك «سبك حتب» ، وهذا الجزء الأخير مدون على ظهر الورقة ، وقد دون الكاتب فضلا عن ذلك القوائم الخاصة بتلك المصاريف العظيمة لأولئك الأشخاص العديدين ، ومنها ترى الآن الجم الغفير من الموظفين الذين كانت معهم أسرهم أحيانا يعيشون من فيض البلاط الملكى .

المصروفات التى كانت تعطى بأمر شفوى — كان الرئيس المباشر للكتبة هو مدير هيئة الموظفين لحجرة الأرزاق المسمى « رنف ام اب » ، وهذا الموظف الكبير ، كان يصدر الأمر للكاتب ، وكان هو بدوره يتلقى معلوماته من مكتب الفرعون مباشرة . ولذلك كانت القاعدة المتبعة فى بداية الأمر الذى يصدره أن يكتب " ... ... :

ولهذا أتى مدير هيئة المستخدمين لحجرة الأرزاق بالأمر الذى صدر له من مكتب الفرعون . ولما كانت هذه الأوامر تصدر الواحد تلو الآخر ، فإن الصيغة كانت تختصر . فيكتب فقط : " أمر آخر قد جاء من أجله هذا الموظف الكبير" . وفى حالة شاذة قد أعطى كذلك إدارة « خنت » أمرا ، ولما كان « رنف ام اب » هو الذى يتسلم أوامر المؤن ، فإنه لم يسمح لكاتب الإدارة « خنت » بالدخول فى مكتب الفرعون ، بل كان يتسلم هذا الأمر على يد خادم . ولذلك كان يعبر عن ذلك فى بادئ الأمر الصادر بهذه الطريقة كما يأتى : الأمر الذى خرج به خادم الحاكم (الملك) . وكانت محتوياته يعبر عنها فى كل الأوامر بصورة واحدة تقريبا : اسمحوا لفلان أن يتسلم شيئا من الطيبات ؛ وعلى ذلك كان الكاتب يؤشر على الأمر : " يعمل حسب الأمر " . وبهذه الطريقة كانت تصدر الأوامر بصورة مدهشة فى الدقة لدرجة أننا وجدنا فى حالة واحدة ، صدر الأمر بصرف أشياء طيبة ، ولم تذكر قط تأشيرة مثل هذه فى أمر آخر .

والآن يتساءل المرء هل كان للكاتب قاعدة معينة يسير على مقتضاها ؟ . والواقع أنه لابد أن نسلم بأنه كانت هناك طريقة للتوزيع حسب نظام معلوم لتنفذ

هذه الأوامر الخاصة بالمؤن . ففى ما يختص بالخبز ، والجعـة كانت نسبة التوزيع فيهما هى عشرة إلى واحد . وقد استنتجنا ذلك من الموازنة بين الأوامر والتأشـير على تنفيذها . وهى التى ستمر علينا مفصلة هنا فى توزيع الطعام ففى حالة نجـد أن الفرد حينما يأخذ عشرة أرغفة يأخذ إبريقا واحدا من الجعة ، وفى حالة أخرى نجد أن فردا أخذ من الخبز ثلاثين رغيفا ، ومن الجعة ثلاثة أباريق . وكان يطلق على مفردات الطعام باعتبارها وحدة مشتركة لفظة « فكا » أى (هبة) ؛ وهذه الكلمة تدل فى هذه البردية على الزيادة التى تعطى فوق المرتب المعتاد ؛ وبخاصة هبة العيد من الطعام وما شابه ذلك ، ومثلها كلمة « شابو » = هبـة = ؛ ونكاد لا نعلم قط الأساس الذى كان يسير عليه الموظف فى صرف أشياء خاصة . ففى بعض الأوامر القليلة نجد أن الكاتب كان يقتصد فى تعداد المؤونة المنصرفة ، ثم يؤشر بما يدل على صرفها بالعبارة المألوفة ، غير أنه يأتى بعد ذلك ببعض ألفاظ غير مفهومة . ثم جزء مهشم يجوز أنه يحتوى على لقبين .

المصروف بأوامر مكتوبة — كان الكاتب يصله مع الأوامر الشـفوية أوامر أخرى مدوّنة كان ينقلها هو ، وهى ما يطلق عليها فى عرفنا أوامر عادية — وقد كانت هذه الأوامر لا تخرج عن تلك التى تصدر من مصلحة رئيسية ، وكانت فى العادة إلى إدارات المخازن وهى : إدارة مخزن رأس الجنوب ، وإدارة ما يقدّمه القوم ، ثم إدارة الخزانة . وقد أطلق على الجهات الثلاث لفظ «ثلاث الإدارات» . وقد كان الكاتب من باب الحيطة يدوّن اسم الرسول الذى يحمل الأمر ، وعلى هذا النحو كان الأمر يسـير فى طريقه الطبيعى بكل وضـوح . فكان على الكاتب أن يعمل عمليـة توزيع المئونة . أما عملية الصرف الرئيسية فكانت تقوم بهـا الإدارة المختصة ، فمثلا كان بعث « المـازوى » يتسلم مؤنا من الإدارات الثلاث للمخازن ، وقـد كتب لرجال البعث مع الأمر مقـدار ما يصرف من المؤن من كل إدارة ، وكذلك كان الحـال بالنسبة للعطايا التى كانت تصرف من هذه الإدارات الثلاث

للبلاط ، حيث كانت إدارة رأس الجنوب تقوم بصرف النصيب الوافر من هـذه المؤن ، فتصرف من الخبز مثلا ٨٥٠ رغيفا فى مقابل ٤٦٠ ، ٣٦٠ رغيفا تصرفها الإدارتان الأخريان على التوالى ، وبهـذه الطريقة كانت كل إدارة تعرف ما يصدر لها من الأوامر وما يجب عليها أن تنفذه . أما الأعمال الكتابية المتبادلة فكان على الكاتب الخاص بمسك الدفاتر بكل إدارة أن يعده للتنفيذ و بذلك يسهل العـمل .

المصروف من غير أوامر — وفضلا عن تنفيذ الطلبات والأوامر المكتوبة ، وهى التى كانت على وجه خاص تحتـوى على صرف الخبز والجعة واللحم ، فإنه كان من واجب الكاتب صرف أشياء خاصة (مثل الكحل والنبيذ والشهد وما أشبه ذلك) . والواقع أن عمـله لم يكن هنا قاصرا على تسجيل هـذه الأشياء بل صرفها أيضا ، والتسجيل الخاص بهذه المصروفات كان فى العـادة يبتدئ هكذا : "مأخوذ من المكان المختوم". ومما يلاحظ هنا أن الكاتب ليس لديه قط أى أمر كتابى . ويجوز أن الذى صرف بهذه الكيفية كان يرتكز على قاعدة لم يعـد لها وجود بعد . وقـد وضع مرة فى هذا النوع من المصروف بخور غفل أخذ لتحضير بخور... فكان يؤخذ $\frac{٣}{٨}$ حقات ($\frac{٣}{٨}$ جالون) من البخور الغفل لأجل تحضير ثلاث قطع من البخـور على شكل الرغيف الأبيض المثلث الشكل ، طول الواحدة منها ذراع وخمسة أشبار ، وثلاث أخرى طول الواحدة منها ذراع . وقد كان حجم قطع البخور التى ذكرت فى هذه الورقة يتراوح بين ذراعين وخمسة أشبار ، وكذلك كان يوجد فى هذه الطلبات كندر مطحون ، وغيره من أصـناف البخور . والنوع الآخر من البخور الذى جاء ذكره فى هذه الورقة يتراوح بين ذراعين وخمسة أشبار . وكذلك كان يوجد فى هذه الطلبات كندر مطحون وغيره من أصناف البخور . والنوع الآخر من البخور الذى جاء ذكره فى هذه الورقة هو بخور (ساتت) وكان يكال بالمكيال «حقات» أى جالون أوال «هن» وهو مكيال $\frac{١}{١٠}$ من الجالون ، ومن الأشياء الأخرى التى كان يأخذها الكاتب

من الجــرة المختومة الكحل ، وكان يوزن « بالدبن » (= ٩١ جراما) ، والنبيذ ، وكان يكال بالإبريق «هبنت» ، ثم أصناف خاصة من النبيذ (نبيذ الواحة البحرية ونبيذ الواحة الخارجية) وفاكهة ... وشهد «أوان» . وغالبا ما يدوّن الكاتب اسم المتسلم من باب الاحتياط فيكتب :

" عهد به لموظف مخزن فلان ، أو سلم إلى عامل البيت ، أو الخادم فلان ".
على أنه فى نفس المتن نجــد موظفا آخر اسمه « بيت اللحم » يتســلم شهدا وبخورا . ومما هو جدير بالملاحظة فى كل هذه الأشياء التى أخذت من الجرة المختومة (أو المغلقة) أنها لم تسجل فى الحساب الختامى اليومى .

الدخل — وكان يوجد بجــانب مجموع أوجه الصرف الثــلاثة التى ذكرناها قوائم عدّة خاصة بالدخل . وكان يعبر عن الدخل اليومى المعتاد بلفظة مشتقة فى المصرية من فعل دخل كما فى العربية ؛ وفى أحوال أخرى خاصة كان يعبر عن الدخل بكلمة « إتاوة » أى ما يؤتى به . والفرق بينهما يصبح واضحا عند ما يتتبع الإنسان قيــد الخبز فى الحساب الختامى اليومى ، إذ نجد هنــاك خبز الدخل وخبز كل منهم على حدة . والواقع أن ذلك كان صحيحا لدرجة أن الدخل أو الخرج العادى كان دائمــا يعتبر من الدخل « عقــو » . أما الدخل الخاص ، أو الهبات الخاصة فكانت تعتبر من الإتاوة «إنو» . ولكن عنــد عدم وجود خبز من الإتاوة فى الإيراد يكون خبز الدخل كافيــا . وإذا اتفق أنه فى يوم ما لا يوجد توزيع هبات فإن العنوان « خبز الإتاوة » لا يوجد كذلك فى النقوش . ولدينــا لأجل مسك دفاتر الدخل اليومى قائمــة تعتبر كقاعدة أساسية نريد فحصها ، وقد نقلت هنا برمتها لمــا لهــا من الأهمية لفحص هــذا الموضوع ، وقد وضعت فى بداية الجزء الذى بقى لنا من هــذه البردية : ورد فعلا بمثابة دخل الســيد (الملك) له الحياة والصحة والسعادة .

ورد لإدارة مخزن رأس الجنوب	إدارة مخزن ما يقدمه القوم	إدارة المـالية	المجمـــوع
خـبز مختلف الأنواع ٨٥٠	٤٦٠	٢٠ [٣]	(= ١٦٣٠
جعـة فى إبريق دس ٧٠	٣٦	٤ [٢]	(= ١٣٠
حلوى ١	—	—	(= ١
حنـو ٥٢	—	—	(= ٥٢
خبز حرت ٢	—	—	(= ٢
خضر فى حزم ١٠٠	٥٠	[٥٠]	(= ٢٠٠

فمما سبق نجد أن هـذا الدخل كان فى الواقع يوزع إلى ثلاث إدارات للمأكولات . وسنجد الأرقام التى وضعناها بين قوسين مكررة بصـورة واحدة ، وكذلك العناوين الستة التى وضعت لأنواع المأكولات فى الميزانيات الأخرى التى وردت فى هذه الورقة .

فهذه القائمة تضع أمام الكاتب الدخل الذى يصرف منه العطايا الضرورية ، وهذا الدخل كان قد وضع لمدة ٢٧ يوما ، يصرف منه كل يوم أكثر من ٥٠ رغيفا من الخبز و ٥ أباريق من الجعة ، كما تدل على ذلك كل عمليات الطرح الختامية . وقد كان الأمر الكتابى التابع لهـذه القائمة موجها إلى مكتب الوزير (إدارته) . وقد نقـله الكاتب على عجل ، وإذا كانت هناك زيادة فإنها كانت تدوّن ويؤشر عليها بملاحظة قصيرة ، ويعبر عنها كما يأتى : وردت بمثابة زيادة للسيد (الفرعون) له الحياة والصحة والسعادة ، ثم تذكر الزيادة بعـدد الأرغفة والجعة . أما الدخل الذى كان خارجا عن ذلك (الإتاوة) ، فكان الكاتب دائما يقيده لضرورة طارئة ، مثل مصاريف الأعياد . وكان حساب كل منهما يظهر منفصلا عن الآخر من أوّل الأمر ، ولكنا لا نعلم كيف كان جبى هذا . فهل كان عن طريق الضريبة أو الجزية

أو محصول الأملاك الفرعونية ؟ كل هـذا لا نعلم عنه شيئا قط . وقد كان هـذا بالنسبة للكتاب على حدّ سواء لأنه كان يدوّن ما كانت تمليـه إدارة المخزن بوصفه دخلا. وهذا الدخل كان ينقسم ثلاثة أقسام: (١) ما يجب أن يدخل، (٢) ما دخل فعلا، (٣) ما بقى ولم يسدد بعد . أما موضوع ما دخل فعـلا فنجد البرهان عليـه فى الميزانيات التى فى القوائم .

ولدينا قوائم للدخل من إدارة « رأس الجنوب » ، ومن « إدارة » ما يقدّمه الشعب ، ففى الإدارة الأولى كان الموظف الأعلى المسئول عنهـا هو الوزير ، غير أننا نجد فى قائمة أخرى مماثلة أن المورد للأطعمة هو مدير هيئة المستخدمين لبيت الأرزاق . وقد كانت الأشياء التى تصرف فى عيد « منتو » للؤونة يعبر عنها : هبات لعيد «منتو» ، دون أن يذكر اسم الموظف الذى يصرفها ، وإننـا إذ نجد فى أوّل مكان ذكرت فيـه قائمة الأتاوة « إنو » نرى فى الواقع النموذج للتعبير عنها فى القيد فى كل القوائم الأخرى الخاصة بهذا النوع من الدخل .

فثلاثة أنواع الخبز «بعت» و «بايت» و «برسن نزم» وهى التى تسمى إجمالا فى الميزانية دائما باسم خبز مختلف الأنواع « تا ــ شبن » ، تذكر بعـد أنواع مختلفة من الفطائر ، وكذلك كان عدد الفطائر الذى كان يكتب أحيانا بالمـداد الأحمر ، وأحيانا بالمداد الأسود ، يدل على مختلف أنواع الفطائر أو نوع الغـلة التى صنع منها . ثم تتبع ذلك الجعة مع ذكر نوعها وحلاوتها ؛ ففى القائمة الأولى قسمت هذه إلى «نزمت خنتو(؟)» و « شويت » و « حنباس تاحز » ، ولكن كان يطلق عليه فى الميزانية الخاصة بدخل العيد أنواعا أخرى مختلفة من الجعة مثل جعة « قفط » وجعة «جاشو نشو دس» (مكيال) أو إناء خاص وغير ذلك. وعند هذا الحدّ تنتهى القائمة بكومة القربان المجهزة بكل شىء . وتبتـدئ محتويات هـذه الكومة بالجعة فى إبريق « قبى » ، وأنواع أخرى من الجعة ، ثم يأتى بعـد ذلك فطائر مشطرة ، وخبز « تبيت حثا » ، وخبز « برس وزع » ، وخبز أبيض ، وخضر ، و « نبات

الأرض » ، وطير « عشا » . ومما يبرهن على أن أكوام القربان هـذه لم تكن لغرض القربان فقط ، أنها كانت تضم مع مجموعة جعـة ، حساب الميزانية . وقد كانت كومة القربان تمد كذلك بأنواع فطائر أخرى ، مع إضافـة فطائر حلوة و « كعك حلو » . ونجد أن الكاتب قد جمع ثلاث قوائم قصيرة للإتاوة فى واحدة (مجموع دخل هـذه الأيام) ، وذلك اختصارا فى تسجيل الميزانية . ونجـد غير دخل إدارتى « رأس الجنـوب » و إدارة « ما يقدمه الشعب » دخلا خاصا قد أضيف إليهما ، وقد كتب عليه ما أخذ بوساطة الخادم لهذا اليوم ، ويحتوى ذلك على جعة ، وفطائر ، وخبز ، وكذلك نجد فى قائمة دخل عنوانها : (مجموع دخل هذا اليوم) ، وفى هذه القائمة نجد مذكورا الموظفين المختلفين ، هـذا إلى ذكر إحدى أخوات الملك بوصفها موردة للطيور أو العطور . فذكرت الطيـور « زن زن » والبط « ست » والأوز « سر » والحمام . ثم جاء ذكر الكندر (بخور) . كل هذه الأشياء كانت تقدم هدية لعيـد « منتو » السابق الذكر . وقد قدم كل واحد من الموظفين ما يمكنه أن يقدمه ، فالوزير الذى كان على رأس القائمة قدم قطعة من البخور طولها ذراع . أما رئيس الكتبة « رنف ام اب » فقد قدم خمس حمامات ، فى حين أن مدير الأملاك الأعظم قد ضرب الرقم القياسى ، إذ قدم أحد عشر من الطيور المختلفة ، ولا ندرى إذا كان ذلك مجرد مصادفة أم لا .

المتأخر — ولا بد أن نقول كلمة مختصرة هنا عن المتأخر الذى نجد ذكره من وقت لآخر فى أنحـاء البردية . فمثلا نجـد فى ٢٩ يوما أن ٩٠ رغيفا من المتأخر قد سددت . وكذلك لدينـا قائمة أخرى ، غير أنه ممـا يؤسف له ممزقـة ، وقد كتب فيها : "خصم من المتأخر" ، وكان لا يزال هناك متأخر ، جديد آخر ؛ وعلى أية حال فإنه لم يكن هناك مراقبة شديدة فى موضوع المتأخر ، ولذلك يفهم الإنسان ضمنا أن المتأخر كان يتراكم بعضه على بعض .

الميزانية — ونجد من أنواع السجلات التى فحصناها حتى الآن أن الكاتب كان يضع ميزانيته يوميا وسنشرحها هنا ببعض التفصيل، كما جاء فى لوحة ٢/٢٧ من رقم ٣–١٥.

		خبز متنوع		جعة	خبز	حلوى		خضر	خرشو
٣	الدخل المتنوع للسيد (الفرعون) له الحياة والصحة والسعادة السنة الثالثة الشهر الثالث من فصل الفيضان	دخل	أتاوة	إبريق دس	حرت	إناء (بجا)	إناء (حنو)	حادت مكيال	حزم
٤	قائمة بدخل السيد له الحياة والصحة والسعادة فى السنة الثالثة الشهر الثالث من فصل الفيضان	١٦٨٠	—	١٣٥	٢	١	٥٢	—	٢٠٠
٥	نقل ما تبق من السنة الثالثة الشهر الثانى من فصل الفيضان يوم آخر الشهر	٢٠٠	—	٢	—	—	—	—	—
٦	نقل ما أخذ بأمر ملكى من معبد آمون	١٠٠	—	١٠	—	—	—	—	—
٧	نقل ما نقص فى هذا اليوم من دخل الإتاوة	—	٩٣٨	٩٠	٧	—	—	٧	—
٨	المجموع — وما يخصم من هذه القائمة	١٩٨٠	٩٣٨	٢٣٧	٩	١	٥٢	٧	٢٠٠
٩	ما يعطاه بيت الفرعون من دخل مقدما	٦٢٥	—	٤٥ (+) ١٥	٢	١	٥٢	—	١٠٠
١٠	عطايا جرايات المخزن التى يعطاها الناس وبيت المرضعات	٦٣٠	—	٦١	—	—	—	—	٥٠
١١	عطايا المخزن التى يأخذها الخدم الكثيرون المخلصون	٥٢٥	—	٣٨	—	—	—	—	٥٠
١٢	هدايا تعطى للعظماء وأصحاب بيت المرضعات	—	٣١٠	٣٥	٥	—	—	٧	—
١٣	هدايا تعطى لكبير المقاطعة والتابع والمواطنين	—	٢٩٠	٢٢	—	—	—	—	—
١٤	مجموع ما صرف	١٧٨٠	٦٠٠	٢١٦	٧	١	٥٢	٧	٢٠٠
١٥	المتبقى	٢٠٠	٣٣٨	٢١	٢	طيب	طيب	طيب	طيب

ونرى من هذه القائمة أنه من السطر الثالث إلى الثامن كان يحتوى مجموعها على الإيرادات التى منها أخذ المنصرف الذى تشتمل عليه الأسطر من ٩ — ١٤ ، ويلاحظ أن الجملة التى فى السطر الثامن وهى التى ترجمناها : ما يخصم من هذا (أى الوارد) ، وهى فى الواقع تساوى فى حسابنا اليوم علامة ناقص . أما السطر الثالث فيتألف منه العنوان الكلى للقائمة . والسطر الرابع يقدّم لنا الدخل اليومى على أساس القوائم السالفة الذكر التى أضيف لها زيادات مرتبة حسب مصدرها ، وكل قائمة يقابلها العنوان الذى كتب فوقها ، ولا نجد شاذا فى هذه الأعمدة التى تحتوى على الأعداد إلا عمود الخضر ، فإنه قسم إلى «حادت» وهو (مكيال للخضر) و «خرش» (حزمة خضر) . أما السطر الخامس ، فيعنى نقل ما تبقى من ميزانية اليوم السابق ، والسطر السادس يدل على ملحق يومى من معبد آمون . ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن معبد «آمون» هذا كان فى نهاية الدولة الوسطى يعيش على الضرائب التى تجبى له فى حين أن معبد «منتو» فى مدينة «المدمود» وتمثاله كانا يعيشان على أعطية العيد وطعام العيد .

وأخيرا نجد فى السطر السابع كذلك إضافة ما نقص فى اليوم ، أى أنه أضيف ما وجد ناقصا بعد عمل حساب الدخل السابق فى هذه القائمة (راجع لوحة ٢٧ ، ١٨ ، ٢٥) . أما المنصرف فقد وضع فى ثلاثة أسطر ويحتوى على العطايا التى تورد يوميا . ففى السطرين العاشر والحادى عشر نجد أن لفظتى (بعت — شنع) قد عبر عنهما بجرايات المخزن .

أما السطر التاسع فقد جاء فيه ما يعطى للبيت المالك . والسطر العاشر ما يعطى لموظفى البلاط ، وأما السطر الحادى عشر فيحتوى على ما يعطى للخدم ، أما السطران ١٢ ، ١٣ ، فيحتويان على مصاريف خاصة .

والسطر الخامس عشر يحتوى على الباقى المنصرف وهو ما ينقل إلى ميزانية اليوم التالى ، ويلاحظ أن الصنف الذى جاء فيه المنصرف قدر الدخل كان يعبر

عنه عنـد المصرى بكلمة طيب (أى مضبوط) . وعلى أية حال يلاحظ هنا أنه فى أحوال كثيرة كان مايصرفه الكاتب من بعض المواد لايظهر فى القائمة، وبخاصة اللحوم، ولذلك يجب أن يبحث عن ذلك فى قوائم أخرى غير هذه .

الأشخاص الذين يطعمون فى مناسـبات متوعة طعاما خاصـا — بعد أن وجهنا نظرة خاطفة إلى مسك دفاتر الكاتب نريد الآن أن نوجه نظرنا فيما يأتى إلى موضوعات أخرى تتعلق بمصاريف ومؤن خاصـة ، وكذلك الأشخاص الخاصة بها، وسنتناول أهم ما جاء فى هذه البردية .

(أولا) الملكة المسماة « إى » التى كانت لا بدّ تتمتع بنصيب وافر من العناية، فقـد كانت نظيراتها من الملكات الأخر المعروفات تملك بيتا خاصا ، وكذلك كان لها أملاكها الخاصة، وكانت لهـا إتاوة خاصة تورد إليها فى صورة نوع من الخبز لم نجد نظيره فى هذه البردية مثل الخبز « شنس » والخبز « خاز »، وفى موضع آخر نجـد أن الكحل ... ... إلى « بيت الأرزاق » « قب » يورد إلى دخل الملكة ، ومن ثم نعلم أن كلمة « قب » قد حدّد معناها بأنها مكان للمؤونة أو ما يشبه ذلك .

(ثانيـا) وقـد كانت تحفظ أشياء مشابهة للأشياء السابقـة كذلك فى بيت مدير هيئة المستخدمين لبيت الأرزاق، واسمه « رنف ام اب » وهو نفس رئيس الكتبة الذى جاء ذكره كثيرا فى هذه الورقة .

(ثالثـا) وقد ذكر اسم السـيدات هنا خلافا لمـا جاء ذكره ... ... فى الطعام والقـوائم الخاصة بالعيـد فى موضعين فقط . ففى واحد منهما كان خاصا بتوزيع البخور والنبيذ لإقامة الشعائر الدينيـة . فمن بين الذين تسـلموا ذلك أخت أمير « أرمنت » . هـذا إلى ذكر امرأتين إحداهما تسمى « خوتى » والثانية « ست نت بر... » فى أحد الطلبات العادية المحفوظة فى هذه الورقة .

(رابعـا) ولدينا سجل يختلف عن النموذج المتبع تمـاما ، إذ قد ابتدئ بدون أمر سابق : إنها زيادة للموظفين ، وأخوات الفرعون ، وأصحاب بيت المرضعات

فى هذا اليوم حسب الأمر... ... ...لكل واحد منهم من تلك الزيادة التى فى مخزن بيت الصباح (؟) وفى بيت « خنت » ، غير أنه مما يؤسف له أننا لا نعلم شيئا البتة عن تلك المصاريف .

(خامسا) قد جاء ذكر أصحاب الحرف كثيرا فى السجلات ، فمثلا نجد أنهم كانوا يتسلمون عطاياهم التى كانوا يتناقشون فى أمرها مع الرئيسين : وهما عظيم عشرات الجنوب ، والمشرف على الكتبة (XXII, 13-20) ويجب أن يكون أصحاب الحرف أولئك تابعين لمصنع للأعمال اليدوية . ونجد حسب ماجاء فى طلب آخر وهو الوحيد الذى قد أشير فيه إلى وحدات الطعام بالضبط أن عمال صناعة السفن قد نالوا زيادة خاصة (XXII, 13-22) .

(سادسا) وقد ورد فى هذه الورقة ذكر هبة لمواطنين مختلفين من عامة الشعب مرة واحدة ، وكانت هذه الهبة تحتوى على طعام ، وقد عبر عنها بصريح العبارة أنها وزعت فى قاعة الاستقبال الملكية ، وقد اشترك فيها كبار المدينة ، وتابع الفرعون ، والمواطنون وكان عددهم يبلغ نحو العشرين .

(سابعا) بعث « المازوى » وهذا البعث يعتبر من الأشياء القليلة التى نعلم عنها بعض التفاصيل فى هذه الورقة . فنعرف أولا أن هذا البعث من «المازوى» الذين جاءوا من بلاد النوبة ، قد شغل موضوع إطعامهم حيزا كثيرا من الورقة . فنسمع أولا فى اليوم الثانى من الشهر الثالث من فصل الفيضان ، عن توريد من إدارة « خنت » لأجل « المازوى » الذين أتوا مطأطئين الرءوس ، وفى اليوم التالى ذكر لنا اجتماع رجال هذا البعث ، ومن ثم نفهم أنهم لم يأتوا إلى العاصمة بوصفهم رجال شرطة . يدل على ذلك أيضا وصف استقبالهم : « لقد استقبلوا شخصيا واحضروا بوساطة كاتب الوزير فلان » . وبعد ذلك تأتى القائمة التى ذكروا فيها وهى : اثنان من كبار «المازوى» وتابع ، و «مازوى» « حو » و «مازوى» صغير وثلاث سيدات من سيدات الإدارة (؟) . وقد وزع رجال بعث

« المـازوى » على إدارتين من إدارات المخازن الثلاثة لصرف المؤن منهما ، وقـد صدر أمر عادى للإدارة بإطعامهم ، غير أنه قد وقع ما يحدث فى كل زمان ومكان من الأمور المتناقضة لإنجاز شيء واحد يصـدر به أوامر مختلفة متضاربة فى أمر صرف العطايا لإطعام بعث المـازوى ، فقد أصدر رئيس الكتبة المسمى « رنف ام اب » طلبا شفويا بإطعامهم، وهو يحتوى على عدد مخالف بالمرة للعـدد الذى يحتويه الأمر الكتابى ، ولا نعلم أى الأمرين قد نفذ، لأن المتن عند هذه النقطة وجد مهشما فى الميزانية . وما ذكر من رجال « المـازوى » حتى الآن، وهم الذين اتخذت الإجراءات لإطعامهم، يتألف منهم عماد البعث، فى حين أن قائدهم الذى كان يحمل اسما أجنبيا « آو شبكوى » قد وصل بعدهم ببضعة أيام، أى فى اليوم الثامن عشر من الشهر ، وقد أرسل الوزير فى الوقت نفسه كاتبا ليستقبله، وكتب له أمرا لإدارة « رأس الجنوب » لصرف الجراية له .

(ثامنا) مقتطف من يوميات الفرعون — كثيرا ما يحـدث أن نجد فى المكان الذى تكسر عنـده البردية موضعا له أهميته ، وهـذا نفس ما حدث فى البردية التى بين أيدينـا على ما يظهر ، إذ نجد أنه قـد تبقى فى أيدينا قطعة من يوميات الفرعون ، وهى تحـدثنا عن مشروع يقصـه علينا الملك نفسـه ، فالجزء الموجود يقول :

" السنة الثالثة، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم الرابع سار ... ... من باب طريق الفرعون فى القصر ... ... وسار إلى هذا المكان ... ... وأقلع نحو الشمال أمام ... ... وقد نزل فى هذا المكان فى وقت ال ... ... ووقعت هناك مذبحة معه بوساطة (؟) الخشب (؟) ... ... ونزل الرقيق وعذب فى الجـزيرة (؟) ... . وبقى مستيقظا فى أماكن الحياة والصحة والعافية ... ... " .

ومن بقايا هـذه الأسطر التى ضاع نصفها الأخير يمكننا أن نقدر أن الفرعون قد قام بسياحة نهرية فى مكان ما، ونزل فيه وأمضى الليلة، أما الغرض الذى كانت

ترمى إليه هذه الرحلة فيمكن استنتاجه من كلمة مذبحة التى جاءت فى سياق الكلام، وكذلك كلمة «تب خت» التى تعنى نوعا من التعذيب (الخازوق)، فلا بدّ أنه كان هناك نوع من التأديب بالذبح ، أما عن التفسير الحقيق لهذه الرحلة فنحن بعيدون جدًا عنه لقلة ما بقى من المتن، ولكن المهم أنه قد بقى لدينا محتويات الأمر الذى صدر بإعداد المعدّات لهذا المشروع قبل يوم سفرها بيوم أى فى اليوم الثالث من نفس الشهر، فقد صدر الأمر بتجهيز سرير، ثم استحضار التين المجفف، والبلح، والشعير الشوفان، وكانت كلها تكال بمكيال «حقات» =(جالون) وقد كان التوريد منظما بالنسبة لإدارات التوريد، حتى إدارة «رأس الجنوب»، وهى أغنى الإدارات كانت تورد ضعف إدارتى المخزنين الآخرين . وقد ختمت قائمة المأكولات بنوعين من الخبز وهما خبز « أحا » وخبز « الحقل » . ومن هذا يرى القارئ كيف كان يستعدّ الفرعون أو الجيش للقيام بحملة أو رحلة .

(تاسعا) زيارة تمثال الإله صاحب «المدمود» — أشرنا فيما سبق إلى أن معبد الإله « منتو » فى « المدمود » وتمثاله كانا يلعبان دورا هاما فى العهد الذى كتبت فيه هذه الورقة أكثر من الدور الذى كان يلعبه الإله « آمون » نفسه فى « طيبة » ، والواقع أن لدينا تسجيلا من بين كثير من الكتابات الأخرى يوضح لنا بشىء من التفصيل ما كان يحدث فى ثلاثة أيام من عيد الإله « منتو » ، وهى من اليوم السادس والعشرين إلى اليوم الثامن والعشرين من الشهر الثانى من فصل الفيضان، وذلك عن زيارة تمثال هذا الإله للبلاط الفرعونى ، وما يتبع ذلك من الأعياد التى كانت تقام تكريما لهذه الزيارة، والتى تفتتح بقربان كان يقدّمه البلاط فى « المدمود » . وتحتوى على ثور وخمسة طيور وبخور، وفى اليوم نفسه قد أسند إلى مدير هيئة المستخدمين لحجرة الأرزاق المسمى « ككى » (وقد ذكر مرارا بالنسبة لزملائه رؤساء الكتاب فى هذه الورقة) شرف الذهاب إلى « المدمود » لإحضار تمثال الإله ، وقد أعطى له هبة من الطعام خاصة، وكان

قــد أعلن فى اليوم الثانى بأنه يوم عيد خاص . وقد حملت صورة الإله « منتو » فى « المدمود » ، وكذلك صــورة الإله « حور نز تف » (حور المنتقم لوالده) إلى القصر الفرعونى . ويلاحظ أن صورة « حور نز تف » المذكورة هنـا لم يأت لها ذكر فى هذه الورقة فى غير هذا المكان، وقد وضع كل من التمثالين فى قاعة الاستقبال بالقصر الملكى ، وقد كان يسير فى ركاب تمثال الإله « منتو » نساء (حريم) الإله ، وكذلك كان الفلاحون يقدّمون له البقر قربانا ، وقــد قدّم لكل من التمثالين هبة حرة، وأخرى بأمر ملكى . وخلافا لذلك كانت توزع الأعطيات الخاصة فى يوم العيد هذا على كل رجال البلاط . وفى اليوم التالى كان يتسلم نفس هذا الموظف المسمى « ككى » . الذى أحضر تمثال الإله طعاما خاصا قد أشير اليه كما يأتى : تأمل! إنه خاص بالعودة الى االمدمود أى خاص برحلة إعادة تمثال الإله الى مقره الأصلى فى «المدمود» . وأخيرا نسمع كذلك عن قربان أخير لعودة تمثال الإله فى هذا اليوم، وهذا القربان كان فى الواقع يتألف من بخور يطلق نصفه عند خروج التمثال من حجرة الاستقبال الملكية ، ونصفه الآخر عند وصول التمثال إلى «المدمود» مقرّ الإله الأصلى .

ونعرف عن حادث آخر هام له علاقة بعيــد الإله « منتو » تفاصيل هامة : ففى اليومين السابع عشر والثــامن عشر من الشهر الثــالث من فصل الفيضان كان يحتفل بعيد الإله ، وكانت توزع الأطعمة العظيمة إكراما لذلك . وقبل أن نفحص القوائم الطويلة الخاصة بالأشخاص وهم الذين قــد رتبوا حسب مكانتهم يجب أن نتكلم باختصار عن القوائم الباقية المحفوظة لنا فى هذه الورقة .

عاشرا : لدينا أربعة أنواع من قوائم الأشخاص يجب أن نفرّق بينها :

(ا) قائمة بأسماء الأشخاص العادية لكل يوم .

(ب) قائمة يتبعها تصميم لتوزيع الطعام على دائرة مجتمع البلاط الضيقة .

(ج) قائمتان بتوزيع العطايا فى زيارة تمثال الإله خارج « المدمود » .

(د) القوائم الخاصة بالطعام فى عيد « منتو » .

(ا)

هذه القائمة مضافا إليها السجل السابق الذكر الذى يشتمل على الدخل اليومى يؤلفان معا بقية بداية البردية . هـذا خلافا للملاحظات اليوميـة التى تحتوى على المعلومات التى تستعمل فى كل يوم، وفضلا عن ذلك فإن مثل هذه السجلات التى يجب أن تبقى كانت قبل كل شىء أساسا ترتكز عليه الميزانية المتكررة يوميا . ففى القائمة نجد أنه كان يوزع على كل شخص إبريق جعة، فقائمة الأشخاص إذا قد استخدمت أساسا لتوزيع الجعة فى أحد الأعمدة الثلاثة الخاصة بالمنصرف من الحساب الختامى، وتحتوى مع ذلك على أشخاص من البـلاط يتمتعون بطعام يومى . وقد حفظ لنا من أسماء هؤلاء الأشخاص أربع أخوات للفرعون وخمسة بيـوت لأخوات أخريات للفرعون . والمقصود من كلمة البيت هنـا أن بعض زوجات الفرعون الثانويات كان لهنّ عقار . وقد كان لبعضهنّ بجانب عقارهنّ نصيب خاص فى هبات العيد، وهـذه الهبة لم ترد فى الورقة أنها أعطيت لأحد غيرهنّ ، ولذلك يجب أن يفرض الإنسان أنهنّ كنّ قد توفين، وأن أملاكهنّ كانت لاتزال باقية فى يد أولادهنّ الذين كانوا لا يزالون يتسلمون نصيبهم من البلاط . وفى القائمة التى نبحث فيها يأتى بعد أولئك الزوجات الملكيات موظفون آخرون وهم « فم نخن » وعظيم عشرات الجنوب، وأسن رجال المحكمة، وقريب الفرعون، ثم مدير هيئة المستخدمين لحجرة الأرزاق، وهما اللذان سبق ذكرهما . وهؤلاء الموظفون يكادون يعتبرون هيئة موظفى بلاط الفرعون الضيقة، وقد كررت أسماؤهم فى مثل هذه القوائم أو فى مجموعات مماثلة، أو فى قوائم أخرى .

(ب)

والواقع أن أفراد هذه القائمة هم نفس الأشخاص الذين جاء ذكرهم فى القائمة (ا)، غير أنه هنا يبذل لهم هبة خاصة لا تستند على أمر من المكتب الفرعونى . فعلى رأس هذه القائمة فى هذه المرة نجد الملكة، ثم يأتى بعدها الأمير « رع نف »

وثلاثة أميرات، وقد حشر بين أخوات الملك وبيوته امرأتان إحداهما زوجة لقاضى «نخن» والثانية زوجة «أسن رجال المحكمة»، ولذلك يلاحظ أنهما كانا يحتلان مكانة علية، وبخاصة أنهما وضعا فى الترتيب قبل زوجيهما. وعلى ذلك لابدّ أنهما كانا يعدّان من الأسرة المالكة. أما الموظفون الذين تجرى عليهم الهبات فى هذه القائمة فإنهم تقريبا هم الموظفون الذين ينحصر عددهم فى دائرة أشخاص البلاط الضيقة جدّا، وأما الأشياء التى كانت تجرى عليهم فهى الخبز، والجعة، والفطائر، وقد كانت الملكة وحدها هى التى تأخذ من هذه الأشياء نصيبا وافرا بنسبة ثلاث أو خمس مرات أكثر من الآخرين، هذا فضلا عن أنها كانت تمتاز بهبة من الخضر. أما نسبة توزيع هذه المواد فكان المتوسط بنسبة ١٠ أرغفة إلى إبريق واحد من الجعة وفطيرة واحدة.

« ج »

تؤلف جماعة هؤلاء الأشخاص أنفسهم أى الأسرة المالكة وبعض رجال الحاشية الجزء المتوسط من هذه القوائم الطويلة، وهى التى ذكر فيها توزيع الهبات فى مناسبات زيارة تمثال إله « المدمود » إلى القصر الملكى. ومن هذه القائمة نشاهد سلسلة من الموظفين الذين يحتل معظمهم مكانة عالية، والظاهر أنهم ليسوا من الذين يعيشون يوميا على الجرايات الفرعونية، بل كانوا يدعون فقط فى مناسبات خاصة لتناول الطعام على المائدة الفرعونية، وتبتدئ القائمة التى تنتظم هؤلاء الموظفين، وهى التى صدرت بأمر ملكى عادى، كما يأتى: قائمة بأسماء الموظفين الذين أحضر طعامهم فى هذا اليوم حسب الأمر الملكى. والموظفون هم: الوزير « عنخو »، ثلاثة من حملة الخاتم الملكى للوجه البحرى، وهم: قائد الجيش، ومدير الحقول، وكاتب الملك فى حضرته، وأربعة من الرجالات الذين كانوا يجلسون على المائدة الملكية، وثلاثة ممن يحملون لقب عظيم عشرات الجنوب، ثم وكيل الخزانة، وقائد المحاربين (؟) وحاجب الملك (المبلغ)، وغير ذلك من الألقاب التى قد هشمت. وخلافا

للوظائف الرفيعة التى ذكرت أولا فى هذه القائمة، فإنا لانجد قط ترتيبا ثابتا بالنسبة للوظائف فى أى مكان آخر فى هذه الورقة، وبخاصة وظيفة «عظيم عشرات الجنوب» التى جاء ذكرها فى هذه الورقة ثمانى عشرة مرة، وكذلك وظيفة «أسن رجال المحكمة» فقد وضعوا فى أماكن مختلفة حسب توزيع الأطعمة . فمثلا هنا نجد أن أحد الثلاثة الذين يحملون لقب «عظيم عشرات الجنوب» أخذ ضعف ما يأخذه كل من زميليه، أما الأشياء التى كانت توزع فهى : الجعة، والحلوى ، واللحوم ، وخضر، وقد كان كل موظف حتى الذى يحمل لقب «مدير المحاربين» يتسلم نصيبا من هذه الأطعمة الأربعة . وما عداهم كان يعطى فقط الجعة واللحم . أما الخبز الذى لا يوجد فى القائمة هنا فإنا نجده مذكورا فى العمود الثانى . وهو كما قلنا من قبل كان يجرى على أفراد الأسرة المالكة . أما الملكة فكانت تمتاز دائما بكثرة مايجرى عليها إذ كانت هى الوحيدة التى تمتاز بهبة من الحلوى، أما الباقون فكانوا يأخذون من ١٠ — ٢٠ رغيفا، وإبريقا أو إبريقين من الجعة ، وخمس قطع من اللحم . ونجد فى العمود الثالث من هذه القائمة كشفا تكميليا عن توزيع الأطعمة . ففى أوله نجد أربعة ألقاب لنساء : مغنية، ومرضعة، ولقبين آخرين ربما كان واحد منهما لغزالة والثانية كاتبة ...؛ وفى نهاية العمود نجد مغنيين، غير أنه على ما يظهر لم يكن الطعام كافيا لإطعام كل هؤلاء ولذلك نجد توزيعا ثانيا قد حدث فى اليوم التالى . وفى هذه الدفعة يلاحظ أنه قد شمل كل النساء والأطفال ، ولذلك ذكرت صيغة مقدّمة الأمر العادى مشتملة على ما يأتى : وهو ما كان ينبغى أن يقدّم أمس . وقد عدّدت أسماء نساء مختلفات هنا وزعت عليهن الأطعمة، كما عدّدت فى القائمة الرئيسية ، وقد عُرف بعضهن بوصفهنّ أمهات وأخوات أو أطفال الموظفين، وكذلك أضيف هنا أسماء موظفين . وقد ذكر فى الجزء الثانى امرأة بوصفها « أخت الحاكم » (الملك)؛ وفى قائمة نساء أخرى قد ذكرت بلقب « الأخت الملكية » ، ولا ندرى إذا كانت هى أخت الفرعون الحقيقية بموازنتها بالحظيات أم لا . وكذلك نجد أن

عددا من أولئك النسوة كانت كل منهن تأخذ إبريق جعة فى عيد « منتو » فى قائمة منفصلة (XLIV, 1-18) .

نتقل بعد ذلك إلى القوائم الخاصة بطعام العيد وهى التى تؤلف الجزء الرئيسى من هذه البردية .

عيد الإله «منتو» — كان يبلغ عدد الأشخاص الذين كانوا يجلسون إلى مائدة البلاط فى كل مرة من عيدى الإله « منتو » نحو السبعين، وقد كانت كل من القائمتين معنونة بالعنوان التالى: "قائمة بالأشخاص الذين يأتون إلى قاعة الاستقبال الملكية فى هذا اليوم لتناول الطعام". وحجرة الاستقبال هى الحجرة التى كان يقام فيها الأعياد فى القصر . ومما يلفت النظر أن الأسرة المالكة ليس لها وجود فى هذه القائمة ، وقد كانت دائما تذكر مع موظفى البلاط فى القوائم الأخرى . ولا نجد فى كتابة هذه القائمة أى نظام فى ترتيب الموظفين، اللهم إلا أن الموكب يفتتح باسم الوزير، ويأتى بعده حامل الختم وقد زيد فيه «مدير البيت العظيم» ، «وفم نخن» (أى قاضى نخن)، وقد رقى الأخير فى عيد « منتو » إلى رتبة حامل ختم الوجه البحرى، وقد ذكر خلفه بدون ذكر لقب الشرف هذا فى القائمة الثانية ؛ وبترقيته إلى وظيفة حامل الختم للوجه البحرى ينتظر أن يكون عمله قد تغير تمشيا مع هذا التغير أيضا . وخلافا لهؤلاء الموظفين الذين كانوا يحملون هذه الألقاب الذين ذكر اسمهم فى القوائم الأخرى، فإنه قد جاء فى قائمة العيد عدد عظيم آخر من الموظفين الذين لم يكونوا من حاملى الألقاب العظيمة؛ مثال ذلك «مدير حراس الكلاب» ، «ووكيل حظائر الطيور» . هذا فضلا عن أننا نجد حارس البوابة، ثم وظائف حربية متنوعة أخرى مثل المشرف على الحرس ، والرامى، والتابع والفارس (؟) ؛ وأخيرا نجد أربعة ممن يحملون لقب رئيس المواطنين ، ثم مواطنا . وقد كانت الموسيقا كذلك تمثل هنا تمثيلا عظيما، إذ فى ختام القائمة نجد ثلاثة مغنيين، وهؤلاء ملحنون يوقعون الأنغام بإشارات الأيدى، وضاربين على العود ، (وقد سقط عددهم) .

وبين هؤلاء الملحنين، والضاربين على العود نجـد مضحكا ، مما يدل على أنه كان لا بدّ من وجود من يسلى جميع المدعوين على مائدة العيـد بأنواع التسلية . وإنه لمن الأشياء التى تلفت النظر عنـد ما نشاهد فى قائمـة الطعام أن كل عظيم يتسـلم عشرة أرغفة، والصغير لا يأخذ إلا خمسة فقط؛ هـذا فضلا عن فطيرة لكل من الصنفين . ويلاحـظ هنا أن الشراب كان لا وجود له قطعا، وكان الوزير وقائد الجيش هما اللذان يتميزان بأخذ جزء من الحلوى . وفى اليوم الثانى للإطعام من يومى هذا العيد كان يدعى جماعة معظمهم غير الذين دعوا فى اليوم الأول، وليس من بينهم من يحمل ألقابا جديدة ، ولمـا كانت المئونة قـد قلت وأصبحت لا تكفى ، فإنه لم يقـدّم لكل واحد من هؤلاء إلا رغيفان وفطيرة . ولمـا كان الاعتماد العـادى لتقديم وجبتين لعدد كبير مثل هذا العدد لا يكفى ، فإن القائمين بالأمر قد اهتموا بالموضوع لتدبير الطعام، ولذلك نجد الكاتب يقيد ذلك زيادة لأجل عيد «منتو»؛ وكذلك نجد فى هذا الجزء الخاص بالكتابات الخاصة بالعيد قائمـة مهشمة جدّا ، غير أننا نلاحظ فيما تبقى منها أن الطبقة الدنيا كان يوزع عليها جزء ضئيل من هبات العيد، ثم نجد ملاحظة خاصة بإطعام أطفال، غير أن الورقة مهشمة هنا فلا يمكن أن نحدّد شيئا بالضبط . وقد ذكر أصحاب الحرف فى قائمـة هبات العيد : العمال الذين كانوا تحت مراقبة فلان . وكذلك نجد أن «المـازوى» (حرس الفرعون)، والحراس قد نالهم نصيب من هبات هذا العيد . ومما تجدر ملاحظته هنا أن سبعة أنواع مختلفـة من الأطعمة قـد ذكرت أثنـاء التوزيعات المختلفـة للأرزاق فى المصاريف . وممـا يلفت النظر هنا قلة العدد، مثال ذلك أن أصحاب الحرف يأخذون خمسة أباريق جعة، وفطيرة، ورغيفين من الخبز الأبيض .

وكذلك لا بدّ أن العمال الذين كانوا يشتغلون فى البلاط ، وغيرهم من جماعات الناس ، لا يمكن أن يكون عددهم عظيما . وممـا يؤسف له أنه ليس لدينا صورة واضحة فى هذه الورقة تمكننا من معرفة الإطعام اليومى فى البـلاط الفرعونى ، كما

شاهدنا فى الصورة التى وجدناها فى طعام العيد، وذلك لأن الميزانية اليومية تحدّث عن مجموع حسابى، ولم تحدّث لنا قط عن كيفية توزيع هذا المجموع . فالجماعات الثلاث التى كان يجب إطعامها هم الأسرة المالكة والموظفون، والخدم، كانوا يتسلمون يوميا على وجه التقريب العطايا التالية بالتوالى ، فالأسرة المالكة كانت تأخذ ٦٢٥ رغيفا ، ٤٥ أبريقا من الجعة ، ١٠٠ حزمة من الخضر مضافا إلى ذلك الحلوى وفطائر «حرت» . أما الفئة الثانية وهم الموظفون فكان يصرف لهم ٦٣٠ رغيفا ، ٦١ إبريقا من الجعة ، ٥٠ حزمة خضر . وطائفة الخدم كان يصرف لهم ٥٢٥ رغيفا ، ٣٨ إبريقا من الجعة ، ٥٠ حزمة خضر .

والواقع أننا إذا أمعنا فى النظر إلى التفاصيل الدقيقة التى وجدناها فيما بقى لنا من «ورقة بولاق» هذه ، وبخاصة فى تفاصيل الأطعمة الطبيعية التى كانت تقدّم فى بلاط الفرعون فى وقت أفول مجد الدولة الوسطى ، فإنا نعلم منها حقائق متفرقة ممـا يجعلها وثيقة من أهم الوثائق التى وصلت إلينا عن تاريخ الإدارة المصرية وسيرها فى العهد الفرعونى .

وبغض النظر عن الخزانة التى كانت تدير كل أمور الخراج المختلفة الأنواع ، فقد كان لا يزال فى الإدارة فروع خاصة بوزارة الزراعة ، وأهمها بيت محاصيل القمح ، وبيت تعداد الثيران ، فقد جاء فى لوحة بالمتحف البريطانى (Erman, "Agypten" p. 107) ما يأتى : الأمير الوراثى والحاكم، وحامل الخاتم الملكى للوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، ومدير بيت محاصيل غلال الوجه البحرى .

وكذلك يلاحظ أن وظيفة مدير الوجه القبلى بوصفها وظيفة مستقلة ، قد ألغيت بعد العهد الإهناسى ولكنها بقيت بوصفها لقب شرف ، وكان من مستلزمات نقل العاصمة إلى الجنوب فى « طيبة » أن عين مدير للوجه البحرى ، وأقدم نقش لمن حمل هذا اللقب فى الدولة الوسطى عثر عليه فى شط الرجال وكان

يحمله « إتو » الذى عاصر « منتوحتب الثانى » (Bissing and Kees, "Munich Ak. S. B. 1913; Petrie, "Season", No. 448"

نموذج الموظف المثالى فى هـذا العهد — أما عما ينتظره الإنسان من الموظف المستقيم فقد رسمت لنا صورة مثالية فى الأدب التعليمى لهذا العصر، وأحسن مثال لذلك ما وجدناه فى شكاوى الفـلاح الفصيح ، عندما وصف لنـا فى صورة رائعة للموظف المتعسف بغير حق، وما يجب أن يكون عليه الموظف المستقيم العادل

وهكذا صوّر لنـا مدير مكتب من عصر « سنوسرت الأول » حياته المثالية التى كان يسير على نهجها فى معاملته للناس، ممـا يدل على بعث جديد فى الأخلاق يتجـه نحـو العـدالة الإنسانيـة (B. M. Stelae, II, Pl. 23, No 581; Sethe, "Lesestucke," p. 80) فاستمع لمـا يقـول : " لقـد كنت إنسانا يلزم الصمت أمام المتهوّر ، صبورا فى حضرة الجاهل ، مبتعدا عن الثائر ، وكنت حليما خلوا من الاندفاع ، وعالمـا من قبـل بمعنى ما يصـدر عنى وما أستوعبه ، وكنت إنسانا يتكلم عن الأحمق ، عالمـا بالمآزق التى يخـرج منها الإنسان إلى الفلاح ؛ وكنت عطوفا عند ما كنت أسمع اسمى بالنسبة لمن كان يفضى إلىّ بمـا يكنه صـدره ، وكنت سـيدا يرنو بعطف ، و يسكّن دمعة البا كى بكلمات طيبة . وكنت إنسانا مصادقا مع رعاياه ، واضعا مصالح الناس على قدم المساواة ، وكنت إنسانا يعتمد عليـه فى بيت سـيده ، وكنت أعرف كيف أديره كما يجب أن يكون ، وكنت مسالمـا سخيا ، وكنت رب الطعام (سخيـا) بعيدا عن الشح ، صـديق المعوز ، رحيما بالفقراء ، وكنت امرأ يأوى المسكين الجائع ، كريما مـع الفقراء ، وكنت مثقفا لمن لا علم له ، ومعلما لأى إنسان ما يفيـده ، وكنت مخلصا لبيت الملك ، عالمـا بكل ما يجرى فى كل مصلحة ، وكنت مستمعا عند ما يكون ما أستمع إليـه هو الصـدق ، وكنت بخاصة إذ ذاك أزنه فى صـدرى ؛ وكنت وديعا مع بيت سـيدى ، وإنسانا يذكره النـاس بنجاحه العظيم ، وكنت طيبا فى قاعة الحكم ، متواضعا بعيدا عن الكبرياء ، وكنت حليما بعيدا عن الاندفاع ، وكنت امرأ

لا يستولى عليه أى إنسان بكلمة ، مستقيما كالميزان ، عادلا يعتمد عليه مثل الإله «تحوت» ، وكنت مستقيما من أصل يوثق به ، يخدم بصدق من يطلب إليه خدمته ، وكنت فردا يعلم ما يعرف ، ويستشيره الناس فيما يحبون أن يستشيروه فيه ، ولذلك كان لا يستشار غيره قط ، وكنت امرأ يتكلم فى قاعة العدل بفم فصيح غير هياب ". لقد عرفنا أفرادا فصحاء اللسان على جانب من الزهو مثل هذا كما سمعنا موظفين يؤكدون لنا أنهم عند دخولهم فى قاعة المجلس ينحنى لهم العظماء عند السلام احتراما ، أو كما يقول لنا أحد قواد الفرعون «سنوسرت الأول» : "كان العظماء ينحنون ، أمّا الصغار فيأتون لى ساجدين " :

(Louvre C. I.; Sethe, "Lesestucke", p. 82, 1. 2-3)

الحروب والعلاقات الخارجية

كانت الثقافة والأنظمة الحكومية فى عهد الدولة الوسطى مصرية بحتة ، لا يعزى شىء منها إلى بلد أجنبى ، لذلك كان تقدّمها محليا ، ولكن هذه الحال قد أخذت تتبدل بعض الشىء على يد ملوكها العظام . والواقع أن مصر كانت تجد كفايتها فى تربة بلادها . وكانت لا تخرج عن نطاق حدودها ، إلا عندما كانت إحدى الممالك المجاورة تهدّد حدودها ، أو عندما كانت تغير على تخومها طلبا للغنائم ، ولم تشذ مصر عن هذه الخطة على ما يظهر إلا عند قيامها بالتوسع فى رقعتها من جهة الجنوب فى أوائل الدولة الوسطى ، حيث قد امتدّت الحدود المصرية فى عهد الدولة القديمة إلى الشلال الثانى . وقد بقى السبب الذى دعا إلى هذا الفتح غامضا حتى كشفت عنه الحفائر الأثرية التى قامت فى بلاد النوبة كما ذكرنا آنفا .

ولما تولى ملوك الأسرة الثانية عشرة عرش الملك ، رأوا من واجبهم أن يعيدوا سيطرة الفراعنة القدامى على فتوحاتهم فى بلاد النوبة ويدافعوا عن حدودها

الأخرى بعـد أن ضاعت فى عهد الفوضى الذى تلا الأسرة السادسة . ففى أوائل عهد « أمنمحات الأول » نجـد مذكورا فى النقوش أن من بين أعدائه السـود والأسيويين ، ولكن يحتمل أن هؤلاء كانوا جنودا مرتزقة ، يحاربون فى جانب أعدائه من المصريين ، وعلى أية حال فقـد افتخر قائده « نسـومنتو » بأنه قـد هزم « المنتيو » (الأسيويين) و « والحروشع » أى سكان الرمال من الأسيويين ، وخرب قراهم ، والظاهر أنه تقدّم فى زحفه حتى « فلسطين » .

ويرجح أن « أمنمحات الأوّل » كان أوّل من استعمر الواحات ، وتدل النقوش التى عثر عليها حتى الآن أن الواحات كانت معروفة للمصريين منذ الدولة القديمة ، إذ عثر على نقش من عهد الأسرة السادسة لموظف يدعى « خوفوحر » ، وقد جاء فيه أنه ذهب إلى « الفنتين » على طريق الواحة (Sethe, Urkunden I, 125) . ومن ذلك نعـلم أن طريق القافلة التى كانت تربط الواحات المختلفة فى الصحراء الغربية من جهة الشمال حتى « دارفور » كان معلوما فى ذلك الوقت . والظاهر أن الواحات كانت آهلة بالسكان ، غير أنها لم تكن على مايظهر تابعة لمصر ، ولكن عندما نظم « أمنمحات الأوّل » مصر ثانية فإنه بدأ بسياسة حماية تخومه الغربية ، ولذلك أقام قلعـة فى « وادى النطرون » لهـذا الغرض ، ومن المحتمل كذلك أنه أقام أخرى فى « الواحة الخارجة » .

(Ahmed Fakhry, A. S., Vol. XL, pp. 815-847; "The Egyptian Deserts, Siwa Oasis", p. 24.)

وقد كان يرسل الحملات لتأديب اللوبيين ؛ وقد أرسل ابنه « سنوسرت الأوّل » بحملة من هذا النوع ، وعند ماسمع بموت والده رجع فى الحال (راجع ص ١٨٨) . ولمـا تولى « سنوسرت » الملك اتبع سياسة والده ولذلك يقول أحد عماله المسمى « دديكو » (A. Z. 42, p. 124) : "لقد غادرت « طيبة » بوصفى شريفا يعمل كل مايمدح

---

(1) Breasted, A. J. S. L., (1905), XXII, pp. 154 ff.

على رأس جيش من الشباب لأعيد الحكم فى أرض أهل الواحات بوصفى موظفا ممتازا"؛ ثم يقص علينا فى نفس النقش أنه امرؤ يراقب ويحمى تخوم الفرعون .

وفى لوحة « كاى » (A. Z. LXI, p. 108) التى سبق ذكرها، وكان صاحبها يحمل لقب رئيس صيادى الصحراء ومدير الصحراء الغربية ورئيس بعث، وجاء فيها على لسانه : "لقد وصلت إلى الواحة الغربية، وفحصت كل طرقها وأحضرت الهاربين الذين وجدتهم هناك" (Fakhry, "Bahria Oasis," pp. 12-13) .

ومنذ ذلك العهد اتجهت أنظار «أمنمحات الأول» وخلفه إلى إخضاع اللوبيين « تحو »، وهذا مايفسر لنا صور اللوبيين من رجال، ونساء، وأطفال. وهم الذين رسمهم « خنوم حتب الأول » على جدران مقبرته « ببنى حسن » ليمثلوا الغنائم التى استولى عليها فى حروبه فى جانب الفرعون (Newberry, B. H. I, Pls. 45. ff.) ولما مات هذا الفرعون وجد «سنوسرت الأول» نفسه فى حروب ضدّ اللوبيين. وفى السنة التى سبقت ذلك تحدّثنا الآثار عن حملة قامت ضدّ إقليم « واوات » . وقد أصبحت منذ ذلك العهد خاضعة « مثل المازوى » للحكم المصرى، وتحميها قلاع . ومن ثم كان مفروضا على رؤساء السود أن يقوموا بغسل التبر واستخراج الذهب بمثابة جزية يدفعونها (A. Z. 20, 30, 12, 112, 13, 50; Petrie, "Season", p. 540; Maspero, "Melange d'Arch.," pp. 217 ff.) .

وعلى أية حال فإن أشدّ أعداء مصر وأصلبهم عودا هم « الكوش » سكان بلاد « النوبة الوسطى »، وقد ظهر اسمهم هنا لأول مرة فى المتون المصرية، وقد هزمهم كذلك «سنوسرت الأول». ولما تقدّم «خنوم حتب» فى السن فى تلك الفترة أخذ ابنه «أمينى» قيادة جيش مقاطعة الغزال بدلا من أبيه ليحارب بجانب الفرعون، وقد ساق الفرعون جيوشه حتى آخر الدنيا . وقد أمر بإقامة تذكار فى « وادى حلفا »، بالقرب من الشلال الثانى رمزا لانتصاره، فنجد هناك الإله « منتو » إله الحرب فى « طيبة » يقود الأسرى وهم القبائل المغلوبة . ويلاحظ أن معظم أسمائهم لا نعرفها إلا من هذه الوثيقة؛ (Breasted, A. R, I, par. 540).

وكان من نتائج هذه الحملات على بلاد «النوبة» أن وضعت فى يد المصريين مناجم الذهب التى كانوا يستغلونها وتشمل أودية سهل صحـراء وادى « علاقى » ، وفى عهد « سنوسرت الثانى » رجع « أميني » وهو « أمنمحات الثـانى » الى مصر بصحبة حراس أقوياء، ومعه ماحصل عليه من الذهب المستخرج من هذه الجهة، وقد أقيمت قلعة لحماية الطريق الى هذه المناجم فى المكان المسمى الآن « كوبان » حيث تنفصل الطريق من وادى النيل . أما إخضاع هـذا الإقليم فقد تمّ على يد الفرعون «سنوسرت الثالث» ، وقد قام بعدّة حملات فى العام الثامن والثانى عشر والسادس عشر والتاسع عشر من حكمه ، ضـدّ الكوش الخاسئين . ومنـذ حملته الأولى الى هذه الجهات قام بحفر قناة صالحة للملاحة فى صخور الشلال الأول لنقل جنوده فيها . على أن هذه الحروب لم تعدم مجالا للقيام بأعمال بطولة عظيمة، اللهم إلا أن الفرعون وضباطه قد وجدوا فيها مادة للفخار . فقـد حرقوا القرى ، ونهبوا الحقول، وأتلفوا الآبار، وساقوا السكان الى ذل الاستعباد .

ومع ذلك فإنه كان من الصعوبة بمكان ضمان الأمن واستتباب السكينة فى هذا الشريط الضيق المنترع بين قبـائله الذين كان فى مقدورهم أن ينسابوا فى وديان الصحراء ، وقد مدّ « سنوسرت الثالث » الحـدود المصرية حتى منحدرات مياه «سمنه» و «قمه» فيما وراء الشلال الثانى وحماها بإقامة ثمانى قلاع على مرتفعات، (1) وفى الجزيرة التى وسط النهر هناك؛ وكانت آخر هذه القلاع من جهة الجنوب قلعة « أورنارتى » (Ouronarti) واسمها يعبر عنها ، أى التى تقصى السودانيين « إينتيو » (Iountiou)، هـذا الى أن بلاد « النوبة السفلية » كان يحميها أربع قلاع أخرى . وقد أقيم هناك لوحتان فى السنة الثامنة والسنة السادسة عشر فى عهد « سنوسرت الثالث » ذكر فيهما ما يحـرم على السود المستقلين أن يتخطوا الحـدود الى الشمال

---

(1) Steindorff, "Ber. Sachs Ges. Phil. cl. (1900), p. 230; Meyer, Gesch. 1, p. 287.

فى النهر ، اللهم إلا إذا كان يقصد التجارة مع إقليم الحدود المسمى « إقن » على شرط أن يستعملوا فى هـذه التجارة سفنا مصرية ، والواقع أنه منـذ هذه اللحظة بدأت فعلا بلاد «النوبة السفلية» تكون جزءا حقيقيا من الامبراطورية المصرية ، ومن ثم أخذ المصرين يستعمرونها ، وكذلك أصـبح « سنوسرت الثالث » يعـدّ فى أعين أخلافه الفاتح الحقيقى لبلاد النوبة ، وقد رفعه «تحتمس الثالث» الى مرتبة إله هذه البلاد وشيد له معبدا فى « سمنة » ، وقد استمرت علاقات مصر بأملاكها فى بلاد النوبة فى عهد هـذا الفرعون كما كانت فى عهد خلفه « أمنمحات الثالث » على أحسن ّما يكون ، وقد عثر فى «الرمسيوم» ضمن البردى الذى عثر عليه « كوبيل » سـنة ١٨٩٦ على برديتين إحداهما تحتوى على معلومات جغرافية ولغوية تلقى بعض الضوء على القلاع التى أقامها «سنوسرت الثالث» لتحصين بلاده ، أما الثانية فتحتوى على صور رسائل يرجع تاريخها الى عهد الفرعون «أمنمحات الثالث» ، وسنتكلم عن كل منهما . وهـذه الرسائل على جانب عظيم من الأهمية من الوجهة الاقتصادية والعلاقات التى كانت قائمة بين مصر وبلاد النوبة ، وهى صورة عدد من ّالرسائل أرسلت من قلعة « سمنه » التى كانت تسمى «خع كاورع» « سنوسرت الثالث » ، ومن مكان آخر .

وهذه الرسائل قد كتبت على ظاهر الورقة أما خلفها فكتب عليه متن سحرى . ولسوء الحظ لم نجد رسالة من هـذه الرسائل كاملة ، ويظهر أن صاحبها كان من كبار رجال الدولة .

والرسائل تحدّثنـا عن ذهاب بعض « النوبيين » الى « سمنـه » لتصريف متاجرهم ، وكذلك عن قوم من « المـازوى » . وقد ذكر فى هـذه الرسائل أكثر من مرة الخطوات التى اتخذت لاقتفاء أثر حركات أهل الجنـوب فى الصحراء ؛ والشىء الذى يسترعى النظر فى أمر هـذه الرسائل وما جاء فيها أن الحكومة كانت تهتم فى هـذا العصر باتخاذ التدابير لإرسال تقارير رسمية عن مثـل هذه المعاملات

البسيطة فى ذاتهـا لترسلها الى الجهات العليـا ، والى الحصون الأخرى غير قلعـة « سمنه » . وتحفظ منها صورة فى سجلاتها .

التحصينات التى أقامها «سنوسرت الثالث» فى بلاد النوبة

كان من بين الأوراق التى كشف عنها « كوبيل » فى معبـد « الرمسيوم » والتى يرجع عهدها لعصر الدولة الوسطى بردية مهشمة ، وقد ظهر بعد فحصها أنها تحتوى على قائمـة مفردات مرتبة فى مجاميع فنيـة . والظاهر أنها كانت تستعمل فى وقتها بمثابة كتاب هجـاء ، أو قاموس ، أو دائرة معارف إذا قسناها بنظائرها فى عصرنا . وممـا يؤسف له جدّ الأسف أن لم يبق لنا من محتويات هذه البردية أكثر من ٣٢٣ كلمة مختلفة ، يضاف إلى ذلك حاشية غريبـة تشمل أسماء نحـو عشرين نوعا من الحيـوانات المختلفة كتبت أسمـاؤها باختصار . ومن بين هـذه الأسماء التى ورد ذكرها فى هـذه البردية أسماء زيوت وطيور ، ونباتات وحيوانات من ذوات الثدى ، وأسماء فطائر ، وأنواع حبوب ، وبعض أسماء أجزاء من جسم الإنسان ، وفى وسط هـذه المجاميع وجد كذلك قائمـة بأسمـاء حصون فى بـلاد « النوبة » ، غير أن هذه القائمة لم تقتصر على ذكر هـذه الحصون النوبيـة ، بل استمرت تذكر لنا سلسلة من أسماء مدن الوجه القبلى . وتنحصر أهمية هـذا القسم الجغرافى من هذه البردية فى ذكر هذه القلاع والمدن مرتبة حسب الموقع الجغرافى ترتيبا متتابعا من الجنوب إلى الشمال . والمهم فى هذا أنه لم تصلنا وثيقة أخرى من عصر مبكر كهذه وموضوعه على هذا النحو من الترتيب . وتدل شواهد الأمور أن هذه الورقة يرجع تاريخها إلى أواخر الدولة الوسطى .

ويبلغ عدد هذه الحصون سبعة عشر حصنا وسنذكرها هنا حسب ما جاءت فى البردية من الجنوب إلى الشمال ثم نتكلم عن أهميتها بالنسبة للفرعون «سنوسرت الثالث» الذى يعتبر أكبر ملك فاتح فى عهد الدولة الوسطى :

(١) ... ...

(٢) قلعــة « خع مع خرو » ومعناها « سنوسرت الثالث » مظفر وموقعها قلعة « سمنة الغرب » الحالية .

(٣) قلعة « انتو بدوت » (صدّ الأقواس) وهى قلعة « قمة » الحالية وتسمى كذلك « سمنة الشرق » .

(٤) قلعة «خسف أونو» (صدّ الؤنو) وهى «أورونارتى» الحالية و يطلق عليها كذلك اسم « جزيرة الملك » . وقد عثر فى هذا المكان على اللوحة التذكارية التى أقامها « سنوسرت الثالث » فى السنة السادسة عشرة من حكمه، وقــد جاء فى بدايتها ما يأتى : "لوحة أقيمت فى السنة السادسة عشرة الشهر الثالث من فصل الشتاء فى الوقت الذى أقيمت فيه القلعة المسماة«صدّ الؤنو»" (L. D. 11, 631 h)

(٥) قلعــة « وعف خاسوت » (كبح المـالك) ، ومن الجائز توحيـدها ببــلدة « شالفاك » الواقعــة على الشاطئ الغربى للنيل على مسافة قريبة من ســكة حديد محطة « سرس » . وقد قام الأستاذ « ستيند ورف » بحفائر فى داخل هذه القلعة، فوجد فيها مبانى عظيمة ذات جدران سميكة،ومن الجائز أنها كانت مخازن للأسلحة أو الحبوب الخ .

(٦) قلعتا « در — وتيو » (إخضاع سكان الواحة)، و « إقن » وهاتان القلعتان تقعان بين القلعة الخامسة و « بوهن » = (وادى حلفا) ، ومن الطبعى والمحتمل أن توحدا بقلعتى « مرجيس » و « دينارتى » على التوالى ، غير أننــا لا يمكننا الآن أن نفرق بينهما على وجه التأكيد، ولكنا من جهــة أخرى نعرف بعض التفاصيــل عن « إقن » من لوحة الحــدود الصغــيرة التى عثر عليها فى سمنــة (L. D. 11, 136 i) وهى التى أقامها « سنوسرت الثالث » كما سلف ذكره .

وذكر لنا الـكابتن « ليونز » أن القلعة الأولى اسمها « مرجيس » ولكن المستر «سومرز كلارك» ذكرها فى مقاله باسم «متوكا» . (J.E.A., Vol. 111, p. 165) وقد أقيمت هاتان القلعتان لصدّ أهالى السودان المغيرين .

(٧) قلعة « بوهن » وهى (وادى حلفة) الحالية .

(٨) قلعة « إنق تاوى » = « ضام الأرضين » .

(٩) قلعة « خسف مزاو » = « صد المازوى » . وهاتان القلعتان الأخيرتان لا بد أنهما تقعان قبل « وادى حلفة » و « عنيبة »، ويظن الأستاذ « جاردنر » أن موقع الأولى هو المكان المعروف الآن « بسرة الغرب » على مسافة ١٥ ميلا من شمال حلفة، أما الثانية فلا يمكن تحديد موقعها على وجه التحقيق .

(١٠) قلعة « معام » وهى « عنيبة » الحالية، وتقع على الشاطئ الغربى، ولا تزال بقاياها إلى الآن .

(١١) قلعة « باقى » وهى « قبان » أو « كوبان » الحالية وتقع على الشاطئ الشرقى للنيل ، وعلى مسافة بضعة أميال شمالى « كوبان » توجد قلعة « كشتامنة » = « إككور » أو « كورى » ، ويرجع تاريخ أقدم جزء فيها إلى الدولة القديمة، غير أن هذين المكانين لم يذكرا فى البردية ولكن المستر « فرث » (Firth) يظن أنهما يكونان مع « كوبان » وحدة .

(١٢) قلعة « سمنت » (Snmt) وهى « بجة » الحالية .

(١٣) قلعة « آبو » (الفنتين أو أسوان الحالية) ؛ وقد جاء ذكرها فى مقبرة « رخ مارع » وزير « تحتمس الثالث » .

(١٤ ، ١٥) وجد اسما هاتين القلعتين مهشما فى البردية .

(١٦) « خنى » (بلدة السلسلة) .

هذه هى أسماء القلاع كما وجدت على هذه البردية، وإذا ألقينا نظرة عامة على هذه القائمة نجد أن ثمانية من هذه الحصون السبعة عشر قد أقيمت فى إقليم الشلال الثانى ، أى من « سمنة » إلى « وادى حلفة » ، وكذلك نلاحظ أن ثلاثة منها على أقل تقدير كان لها علاقة بالفرعون «سنوسرت الثالث»، بل ومن المحتمل أن

سبعة الحصون التي فى جنوب «وادى حلفا» تنتسب إلى هذا الفاتح العظيم أيضا. وإذا كان هذا الفرض صحيحا فإنه يفسر لنا سبب عبادة هذا الفرعون فى كل أنحاء بلاد النوبة السفلية. على أننا من جهة أخرى نعلم أن هناك قلاعا ضخمة كانت قد أقيمت فى جنوبى هـذه القلاع فى تاريخ مبكر عن الذى نحن بصدده، وقد أماط لنا اللثام عن هـذه الحقيقة الدكتور «ريزنر» بالحفائر التي قام بها فى بلدة «كرمة». غير أن ذلك لا يقلل من أهمية الخطوة التي خطاها «سنوسرت الثالث»، والتي كان غرضه المعين منها أن يضم مصر وبلاد النوبة السفلية تحت لواء واحد، وذلك بإقامة حاجز منيع عند «بطن الحجر» (الشلال الأول)، ولكن لسوء الحظ سنجد فيما بعـد أن سياسته كان مصيرها الخيبة لما حل بالبلاد من تقلبات أسرية هدمت كل ما قام به من فتوح فى هذه الجهات (J. E. A. Vol. III, p. 184).

وهذه الوثائق المدهشة تضع أمامنا بوضوح جلى أن بعض القلاع النوبية كان لها وظيفتان؛ إذ كانت من جهـة قد أقيمت لتكون بمثابة سدّ منيع أمام أى اعتـداء حربى منتظر، وكذلك كانت حاجزا ضـدّ الضغط المستمر الذى كان يهـدّد مصر وأملاكها من جهـة الشمال، وهو ما كان يقوم به أهل السودان من الغارات، ومن جهة أخرى كانت تستعمل بمثابة محاط تجارية. وقد كانت «سمنة» فى عهد الدولة الوسطى آخر الحدود كما نعلم ذلك من لوحتى بطل مصر «سنوسرت الثالث» كما سلف ذكره.

وتحدّثنا هـذه الرسائل عن أهـل الجنوب الذين نزحوا إلى الحـدود المصرية ليبيعوا سلعهم، إذ كانوا يصرفون متاجرهم ثم يقفلون راجعين إلى أوطانهم، وكذلك نجد أن بعض أهل «المـازوى»، وهم الذين كانوا يعلنون أنهم أتوا لخدمة الحكومة المصرية، قد سرحوا إلى الصحراء، ومن ثم يظهر أن هؤلاء القوم لم يكن مصرحا لهم أن يتخطوا الحدود. وهذا يتفق مع الأمر الملكى الذى نقش على لوحة «سمنة» الصغرى، حيث يذكر فيها أن النوبى الذى أتى ليتجر مـع «إقن» الواقعة شمالى

الحدود، أو الذى جاء لأمر رسمى يمكنه أن يمر شمالى «حح» وهى التى تعرف الآن عادة بأنها واقعة فى إقليم سمنة، وكذلك لا يسمح لقوارب النوبيين أو قطعانهم بأية حالة من الأحوال أن تتخطى الحدود. فالنوبيون الذين كان يسمح بمرور بضائعهم كانوا تجارا قاصدين «إقن»، حيث كانت تصرف بعض أنواع من منتجات بلادهم، وكانوا يقطعون باقى رحلتهم بالقوارب فقط، وكانت هذه القوارب دائما مصرية.

ومما يلفت النظر كذلك فى هذه الرسائل، فضلا عن الصيغ العادية التى نجدها فى أسلوب الكثير منها فى عهد الدولة الوسطى، أنها كانت تحتوى على شىء جديد، وهو التأكيد غير العادى بسلامة الضياع الملكية، والظاهر أن أملاك الفرعون هنا كانت تحتوى على أراضى التاج، ثم تشمل دخل التاج الذى كان يجبى من الضرائب، ومن مصادر أخرى، كالاحتكار وغير ذلك، ومن هذا يتضح أن التجارة حسب ما جاء فى هذه الرسائل كانت عند الحدود يقوم بها موظفون حكوميون لحساب الضياع الملكية «برنسو»، وكذلك كان هؤلاء الموظفون هم المسئولون عن البضائع التى كانت ترسل من مصر للمبادلة، وكذلك كان موكولا لهم أمر إرسال البضائع التى حصلوا عليها من النوبيين بوصفها ملكا للتاج. (J. E. A., Vol. XXXI, p. 5).

نشاط مصر خارج حدودها من جهة أسيا

وقد استمر ملوك الأسرة الثانية عشرة يستغلون محاجر «وادى الحمامات»، وكانت الحملات قد بدأت ترسل إلى «بنت» منذ عهد الأسرة الحادية عشرة كما سبق ذكر ذلك، وقد كانت تبتدئ رحلتها من ميناء «ساوو» (وادى جاسوس).

أما المحاصيل التى كانت تأتى من «بنت» فقد ذكرت بالاسم مرات عدّة فى النقوش. وليس من المحتمل أنه كانت توجد علاقات تجارية حرة بين تجار مصر، وتجار بلاد العطور، وذلك لأن السفن كانت ملك الفرعون، أما رؤساء الحملات البحرية فكانوا يلقبون بحاملى أختام الفرعون (وكلاء) يرافقهم جنود الفرعون،

وقد وصلت إلينا قصة خرافية من هـذا العصر ، وهى تصوّر لنا إلى أى حدّ كانت
هذه الحملات تؤثر فى مخيلة الشعب .

على أن الممـالك الأخرى المجاورة لمصر عنـد ما رأوا غزو مصر لبـلاد النوبة
تراجعوا عن تنفيذ مشروعاتهم ضـدّ مصر تمـاما ، وذلك لأنه منذ عهد الانحطاط
الذى جاء بين عهدى الدولتين القديمة والوسطى أخذ الأقوام الذين على حدود مصر
يستغلون ضعف البـلاد و يغيرون عليها ، ولكن عند ما رأوا أن مصر قد أصبحت
ثانية فى يد فراعنـة أقوياء كان همهم تنظيم ملكهم وعلاقتهم بالأصقاع المتاخمة ،
فأخذوا ينكمشون فى بلادهم ، وقـد قامت على وجه التحقيق حروب بين مصر
و « لو بيـا » رغم أن المعـلوت تعوزنا فى هذا الصـدد ، ولكن من المؤكد أن
(A. Z. Vol. 35, pp. 112 ff.; Lange und Schafer, "Grab und Denks-
« أمنمحات الأوّل » قـد أدّبهم . هـذا ونعلم أن tein," No. 20539 b, 16. ff.)
« الواحة الخارجة » كانت تابعـة لأمير « طيبة » ، وذلك لأن طريق القوافل كان
يبتدئ من « العرابة المدفونة » إليها . أما فى شبه جزيرة « سينا » فقد أخذ المصريون
يستغلون المناجم ، وفى عهد « أمنمحات الثانى » فتح منجم جديد وأعيد استعمال آخر
فى « سرابة الخادم » شمالى « وادى مغارة » (Weill, Rec. pp. 159 ff.; Petrie,
"Sinai".) أما عن المناوشات التى قامت بين المصريين والبدو فقد انتهت ، وكذلك
عادت العلاقات بين مصر وجارتها فى الشمال الشرقى فى « سوريا » و « فلسطين »
على أحسن ما يكون من ودّ وصفاء بسرعة مدهشـة ، وقد كان هؤلاء الأعداء من
طراز خاص إذ كان فى مقدورهم أن يهدّدوا الأمن على الحدود ، ولكنهم فى الوقت
نفسه لم يكونوا قادرين على المقاومة ، وقد وصفوا وصفا دقيقا لا مثيل له فى الدقة
فى تحذيرات « مرى كارع » فاستمع لمـا يقول : "والعامو (الأسيويون) التعساء
بلادهم التى يعيشون فيها لا تسكن ، إذ لا ماء فيها ولا شجر يكثر ، وطرقها وعرة ،
لمـا تخللها من الجبال ، فهـم لا يسكنون فى مكان معين ، بل دائمـا يرخى الواحد
منهم لساقيه العنان ، وهم دائمـا فى حرب منـذ زمن « حور » ، فهـم لا يهزمون

ولا يُهزمون ، وهم لا يعلنون يوم هجومهم ، فمثلهم فى هذا كمثل من يقوم بمؤامرة . ولذلك كان أكبر ضمان ضـد جار كهذا، أن يقيم الإنسان المعاقل والحاميات على الحدود، وقد فطن لذلك المصريون منـذ عهد ما قبـل التاريخ، فأقاموا الجدران والحصون ، ولذلك لمـا جاءت الأسرة الثانيـة عشرة وجدنا مراقبـة شديدة عند الحـدود الشرقية المصرية حيث يحمى الطـريق المسمى « طريق حور» بقلعة « سارو » ، حيث الطريق الذى يؤدّى إلى الصحراء بوساطة « وادى طلميات » قد سدّ « بجدار الأمير» ، ولكن سلطان الفرعون كان يمتد الى أبعد من ذلك بكثير فى داخل بلاد «سوريا» ، وقد كانت توجد بعوث تروح وتجىء بين البلاط المصرى وهذه البلاد، وقد كانت المحاصيل الأسيوية ترد إلى مصر، وكان «أمنمحات الأوّل» يملك على النيل مثل سلفه « سنفرو » أسطولا من السفن المصنوعة من خشب الأرز المصدر بلاشك من «جبيل» (ببلوص)، وقد كان البدو «سوتيو » ، وهم الرماة على ما يظهر يأتون غالبا إلى مصر يحمـلون متاجرهم ، وحتى عنـد ما يكونون فى ضـيق فى وطنهم، فإنهم يسعون فى الإقامة فى مراعى وادى النيل، وبهذه الطريقة كان قد وفد فى السنة السادسة من حكم «سنوسرت الثانى» رئيس الأجانب «إبشا» ومعه عشيرته التى كانت تتألف من ٣٧ عامو (كنعانين) الصحراء «شسو» من رجال ونساء وأطفال، (L. D. II, Pl. 133; Newberry, "B. H." 1, 28, 30, 31, 38) وظهرت فيهم الملامح السامية بوضوح ، وقد مثل أمام « خنوم حتب الثـانى » صاحب « منعات خوفو » سيد إقليم الصحراء حاملا له هدية من الكحل ، وممـا لا شك فيه أنه كان يرجو من وراء ذلك أن يحصل على تصريح بالإقامة فى إقليمه . على أننا نعرف كيف كانت تسير الأمور من قصة « سنوهيت » التى سبق الكلام عنهـا .

و بلاد « رتنو العليا » التى وصفها لنا « سنوهيت » فى صورة حية هى إقليم « فلسطين » الجبلى الذى كان على اتصال بمصر كثيرا . ولدينا لوحة مهشمة جدا

عثر عليها فى مناجم « سينا » ويرجع تاريخها إلى السنوات الأخيرة من عهد الأسرة الثانية عشرة وهى تعدّد لنا أسماء الذين أرسلوا فى بعوث إلى ملك بلاد « رتنو » .

(Weill, "Rec. Insch, Sinai", p. 186)

وقد كانت « آسيا » كذلك ميدانا للحروب ، غير أنه مما لاشك فيه أن سيطرة كل من « أمنمحات الأوّل » و « سنوسرت الأوّل » لم تمتدّ قط كما نعلم من قصة « سنوهيت » أكثر من إخضاع شبه جزيرة « سينا » ، وكذلك عندما يحدّثنا « منتو حتب » وزير « سنوسرت الأوّل » أنه أخضع الأسيويين ، وجعل سكان الرمال يلزمون السكينة والسود يجنحون إلى السلم ، فإن ذلك لا يكفى لأن يجعلنا نفكر فى أنه كانت تقوم هناك حرب حقيقية :

(Lange & Schafer Grāb No. 20539)

وكذلك تحدّثنا الآثار كثيرا عن إماء أتين من آسيا ، ولكن هؤلاء أيضا يمكن أن يكنّ قد اشترين أو اغتصبن من العدو فى الهجمات التى كانت تقوم بين الفريقين.

(Muller, "Asien und Europa," p. 391; Griffith, "Kahun Papyri, 35.)

ومن جهة أخرى نعلم يقينا من نقش للضابط « سبك خو » ، فى عهد « سنوسرت الثالث » أنه قام بحملة إلى فلسطين :

(Garstang, "El-Arabah," p. 4; Breasted, A. R. I, Par. 676)

وقد سار بجيشه نحو الشمال ليخضع الأسيويين « مونتو ساتت » وعسكر فى إقليم يسمى « سكمم » ، أو « زكمم » ؟ وهذا الاسم لا بدّ أنه اسم جمع كنعانى ومعناه سكان « زخم » وتقع وسط « فلسطين » .

وعندئذ هزم «زكمم» كما هزمت فى الوقت نفسه الخاسئ «رتنو» . على أن «سبك خو» لم يخبرنا بشيء أكثر من هذا اللهم إلا شيئا عن شجاعته وذلك أنه فى طريق رجعته هاجمه «العامو» على غرة . أما عن حوادث الحرب نفسها فلا نعلم عنها شيئا قط . على أنه قد يكون من الصعب جدّا أن يعتقد الانسان أن هذه الحملة كانت الوحيدة التى قام بها المصريون ضدّ إقليم سوريا ، وهم فى هذه النقطة لم يفعلو

شيئا أكثر من أنهم اقتفوا أثر الدولة القديمة ، ولذلك فإن ظهورهم بمظهر أسياد على كل الأجانب لم يكن ليتكن على غير أساس . إذ نرى « سنوسرت الثالث » ممثلا على صــدرية من الذهب مرصــعة بالأحجار الثمينة ، وجدت فى مقبرة ابنته بدهشور ، فيظهر عليها حسب الطراز القديم فى صورة أسد برأس صغير تحميه إلهة العقاب ، وهو يطرح أرضا أسيويين وزنوجا ، وكذلك نشاهد على حلى من نفس النوع ، الفرعون « أمنمحات الثالث » قابضــا على ناصية بدوى من الأســيويين ورافعا سيفه المقوّس ليقطع رأسه . (أنظر شكل ٣٢)

(De Morgan, "Dahchour," Vol. I, Pls. 15, 19, 20, pp, 63 ff.)

ولمــا كان كل ما ذكرنا يوحى بوجود سيادة مصرية فى بلاد آسيا كالتى كانت لها فى بلاد النوبة آثرنا أن نفرد بابا خاصا عن المعلومات التى وصلت إلينا حتى الآن فى هذا الصدد فنقول :

الامبراطورية المصرية فى آسيا فى عهــد الدولة الوسطى

لا يزال حتى الآن موقف مصر بالنسبة إلى البلاد المتاخمة لها من جهة الشمال يحوطه بعض الغموض والإبهــام ، ولكن الكشوف الحديثــة فى مصر وفى تلك الأصقاع الشمالية المجاورة تزيح الستار عن ذلك شيئا فشيئا ، ومن ثم يمدّنا ما توافر لدينا من المصادر ببعض الشيء لبحث هذا الموضوع على ضوئها واستخلاص نتيجة منها بقدر ما تسمح المعلومات التى فى متناولنا .

والواقع أن العلاقات بين الأمم تنحصر فى القوى الكامنة فى كل منها ، وما تقوم به الواحدة من معاملات مع جارتها ، وردّ الفعل الذى ينتج عن تلك المعاملات ، فقد يكون السيطرة وقد يكون المساواة ، وهــذا يتوقف على قوّة البلاد الحيوية . ففى عصر ما قبل الأسرات المتأخر تدل البحوث على أن آسيا كان لها تأثير عظيم على سكان وادى النيل ، ولكن سرعان ما نرى أن مصر قــد استثمرت بدورها شــبه جزيرة « سينا » ومن المحتمل « فلسطين » من الوجهة الاقتصادية ، وذلك فى عهد

الدولة القديمة ، ولكن نجد ثانية فى العهد الإقطاعى الأوّل أن الأسيويين قد غزوا الوجه البحرى ، و بعــد ذلك عادت مصر وزحفت ثانية الى الأقاليم الأســيوية فى عهد الدولة الوسطى ونشرت بعض سلطانها . أما العصر الذى تلا سقوط الدولة الوسطى فيشاهد أن الهكسوس قد اجتاحوا البلاد المصرية واستوطنوها لمدّة طويلة. ثم لم نلبث أن رأينا نجم الغزاة قــد أفل . وقامت الدولة الحديثة ، وأسست امبراطورية شاسعة فى آسيا ، ثم مال الميزان كرة أخرى وأخذت كفة مصر تهوى ، عند ما أراد أعداؤها فى القرن الثالث عشر والثانى عشر قبل الميلاد أن يغزوها.

ومما سبق نعلم أن الأدوار التاريخيــة التى مرت على البــلاد كانت واضحــة لا يعتورها أى غموض غير أننا فى عهد الدولة القديمة والعهــد الإقطاعى وعهــد الدولة الوسطى لا نعلم إلا القليل عن مقدار نفوذ مصر، وامتداد حدودها فى البلاد المتاخمة لها و بخاصة من جهة الشمال .

والســؤال الذى نريد أن نضعه الآن هــو : ما نوع الســيطرة الامبراطورية المصرية فى عهد الدولة الوسطى ؟

وفى الحــق أن الدولة الوسطى لم يجلس ملوكها على عرش الملك آمنين ، إذ نعلم أن ملوك الأسرة الحادية عشرة ، وملوك الأسرة الثانية عشرة ، قد بذلوا زمنا طويلا وجهدا عظيما فى توطيد سلطانهم داخل البلاد ، و بعد أن تم لهم ذلك أصبحوا فى مأمن للسير الى أقطار خارج حدودهم . فنعلم أن « سنوسرت الثالث » قــد مدّ سلطان بلاده حتى الشلال الثــانى — ووصلت المحاط التجارية فى عهــده حتى « كرمة » بجوار الشــلال الثالث — فهل كان ســلطان مصر مشابهــا لذلك فى « سوريا » و « فلسطين » ؟

ولأجل أن نجيب على السؤال الأخير إجابة شافية يجب أن نفحص كل ما وصل إلينا من الآثار المصرية التى عثر عليهــا فى الأقطار الأســيوية ، وكذلك الآثار التى

عثر عليها فى مصر نفسها خاصة بهذه الأقطار ، أو تشير إليها من بعيد أو قريب ، ثم نستخلص منها نتيجة علمية .

(١) كان أهم أثر يلفت النظر عثر عليه أخيرا هو الجزء الأسفل من تمثال جالس لشخص يدعى « تحوتى حتب » وقد عثرت عليه بعثة « المعهد الشرقى الأميركى » فى بلدة « مجدو » بفلسطين وهى (تل المتسلم الحالية) وكذلك عثر مع هذه القطعة على ثلاث قطع أخرى عارية من النقوش، وقد حدّد رئيس الحفائر عمر هذه القطعة حسب الطبقة التى وجدت فيها من المعبد، وأكد أنها ترجع إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد . أما مادة هذا التمثال فهى الجرانيت الأسود الصلب ، أو حجر البازلت . ويستدل من القطعة الباقية من التمثال على أنه كان جالسا على كرسى وراحته اليسرى على ركبته ، ويده اليمنى قابضة على منديل وموضوعة على فخذه، ويرتدى قميصا مجدولا ذا طيات فى جزئه الأمامى، وتدل عضلات الساق الأيسر التى لا تزال محفوظة على أن صانع التمثال كان ماهرا .

وقد نقش على الجانب الأيسر من قاعدة التمثال هذه أربعة سطور بالهيروغليفية، وأربعة أخرى على الجانب الأيسر، ويحتمل أن العمود الذى يحمى ظهر التمثال كان يمتدّ حتى الرأس، وقد نقش عليه سطر واحد . وصاحب التمثال هو فرد يدعى « تحوتى حتب » . أما النقوش التى على القاعدة فهى كما يأتى :

(١) على الجانب الأيسر : قربان يقدّمه الملك إلى « خنوم » رب الأرض الأجنبية وللإله ليقدّم قربانا من خبز وجعة [وما شيه] وطيور الخ ... إلى روح المحترم الشريف (حاكم) ومراقب التاجين أو (العرشين)، والمشرف على الكهنة، ورئيس الخمسة، والصديق الملكى ، والمطلع على أسرار [بيت الملك ؟] والحاكم العظيم [المقاطعة الأرنب] ... والمحبوب الملكى ... على رأس ال ... «تحوتى حتب» الذى وضعته « ست خبركا» .

(1) A. J. S. L., Vol, VIII, (July 1941), pp. 225 ff.

(٢) على الجانب الأيمن : نقش ما يأتى :

قربان يقدمه الملك إلى « تحوتى حتب » رب الكلمات المقدسة ... المحترم فى حضرة الإله العظيم ، الحاكم (الشريف) ومراقب التاجين (أو العرشين) والمشرف على الكهنة والقاضى وحاكم « بوتو » وفم نخن (هيرا كنبوليس) وهى (الكاب الحالية) وكاهن ... عشرون ... فى القصر وكاهن « تحوت الأعظم » والكاهن سم (وهو لقب كهنوتى عظيم جدا) الذى قرأ له المتن ... ابن كاى « تحوتى حتب » أى « تحوتى حتب » بن « كاى » .

(٣) على العمود خلف القاعدة : ... فى بيت « تحوت » عظيم الكشف وحاكم [الجبلين] . ويحتمل أن اللقبين الأخيرين هما لقبان دينيان لبعض كهنة فى معبد « خنوم » إله الشلال . وهذه النقوش التى أوردناها هنا رغم ما أصابها من التهشيم فإنها تدل بالموازنة على أنها للموظف المصرى والكاهن « تحوتى حتب » ابن « كاى » واسم أمه « ست خبركا » . ويستخلص من الأسماء والألقاب التى وردت فى النقش أن « تحوتى حتب » هذا هو بلا نزاع نفس « تحوتى حتب » حاكم مقاطعة الأرنب . وهى المقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات الوجه القبلى . وعاصمتها « هرمو بوليس » (الأشمونين) الواقعة على الجهة المقابلة للنيل قبالة «البرشه» الحالية (Sethe, "Historische Biographische Urkunden des Mittleren Reiches," Vol. I, par. 688 ff.)

ونجد فى نقوش قبر هذا الأمير أنه كان يدعى «الطفل الملكى» فى عهد «أمنمحات الثانى» ، وفى عهد « سنوسرت الثالث » كان لا يزال موظفا نشيطا يقوم بمهام مقاطعته ، وقد قلده والده « كاى » حُكم مقاطعة الأرنب . وأمه تسمى « ست خبركا » . ولا نزاع فى أن هذه القطعة الصغيرة من تمثال هذا الأمير كانت من تمثال خاص ببلدة « مجدو » فى وقت ما خلال حياة « تحوتى حتب » كاهن الإله « تحُوت » الأعظم فى « الأشمونين » ، وحاكم مقاطعة الغزال فى مصر الوسطى .

والآن يتساءل المـرء ما الذى دعا إلى وجود مثل هـذا التمثال فى بلدة « مجدو » ؟ وأقرب الظنّ أن صاحبه كان مقيما فى هذه البلدة يؤدّى عملا ما . ولكن ما هـذا العمل هـل كان عضوا فى مستعمرة تجارية هناك ؟ والجـواب على ذلك لا بدّ أن يكون بالنفى، لأن ألقابه وما يوحى به مجـال حياته فى عهد ثلاثة ملوك بالتتابع من ملوك الأسرة الثانية عشرة لا يدل على أنه كان تاجرا، ولا أنه كان قد نفى من الأرض مثل « سنوهيت »، ولكن من المحتمل أنه كان يقوم بأعمال سفير مصرى فى هذه الجهة، رغم أننا لا نعرف شيئا كثيرا عن المبعوثين المصريين فى ذاك الوقت لنتأكد من أن رجلا فى منزلة « تحوتى حتب » ومسئولياته يمكن أن يرسل سفيرا إلى بلدة مثل « مجـدو » . وعلى ذلك لا بدّ أن نلخص فيما يلى ما جاء على بعض الآثار التى وصلتنا من عهد الدولة الوسطى من أرض آسيا أولها علاقة بها ، لنصل إلى نتيجة تزيح الستار عن وجود هذا التمثال فى مثل هذا المكان، إذ الواقع أنه قـد عثر على بعض القطع الأثرية فى «آسيا»، وتحمل أسماء مصرية، غير أن هذه يمكن أن تنسب إلى أعمال تجارية قام بها صاحبها، ولكن تمثال «تحوتى حتب» الذى نحن بصدده وتمثالا آخر لشخص يدعى « سنوسرت عنخ » كشف عنه فى « رأس شمر »، كان كل من صاحبيهما له مركز مسئول فى خارج البلاد المصرية . وإذا كانت هـذه النظرية صحيحة فلا بدّ من تغيير الفكرة السائدة عن علاقات مصر بآسيا — وهى التى كانت تعد علاقات تجارية وثقافية وحسب، ولم تكن علاقات حربية، أو إدارية .

وتدل شواهد الأحوال على أن ملوك الدولة الوسطى قد مدّوا نفوذهم فى «آسيا» كما كانت الحال فى بلاد النوبة، وبخاصة من الوجهة الإدارية مما جعلها تقبض بالقوّة على شرايين التجارة الرئيسية مع بلادها عبر الحدود المصرية فى الشمال والجنوب .

وسنورد هنا قائمة بالآثار الهامة التى وجدت خاصة بمسألة العلاقات بين مصر وسـوريا وفلسطين ، وهى فى مجموعها على ما يظهر توحى بوجود أمبراطورية من نوع خاص فى هذه الأقاليم الأسيوية المتاخمة .

والواقع أن تاريخ حياة «تحوتى حتب» كما نقرؤه فى مقبرته ، أو على قاعدة التمثال التى عثر عليها فى «مجدو» لم يقدّم لنا مادة هامة تساعد بصفة قاطعة على تأييد هذه الفكرة . هذا إلى أن قبره لم يمدّنا بأى دليل على أنه كان يسكن خارج مصر ، ولكن لدينا لقب واحد من بين ألقابه يوحى بشىء من هذا وهو لقب «باب كل بلد أجنبى» . (Newberry, "Bersheh", I, p. 16) والواقع أن هذا اللقب لم يعثر عليه بين الألقاب المصرية فى عهد الدولة الوسطى ، ولذلك نتساءل هل هذا اللقب يعنى أنه كان مشرفا على الحدود أو العوائد أو المسئولية القنصلية؟ يضاف إلى ذلك أنه قد لفت نظر الأستاذ « بلاكمان » فى اللوحة رقم ١٨ من كتاب « البرشة » للأستاذ « نيوبرى » (J. E. A., Vol. II, pp. 13 ff.) نص فى هـذا المنظر يفسر منظـر حيوانات . فقد خوطبت هذه الحيوانات أو ماشية « رتنو » (سوريا وفلسطين) بالكلمات التالية : "لقـد كنت ذات مرة تسـيرين على الرمال (ولكنك الآن) تسـيرين على الكلأ" ؛ ومعنى هـذه العبارة أن هذه المـاشية قد نقلت من آسيا إلى مصر ، ويعقب الأستاذ « بلاكمان » على هـذه العبارة بأنها إشارة غير مباشرة إلى حملة حربية إلى بلاد « سوريا » و « فلسطين » ؛ وعلى ذلك فإن هذا النص يجعـل الانسان ينظر إلى تمثال « تحوتى حتب » بنظره تقربه ممـا تشير إليه الجملة الخاصة بهذه الحيوانات الأسـيوية ، وقد يعضد هذه الفكرة أو هـذا الرأى أيضا ما جاء فى منظر من مناظر أحد مقـابر « مير » التى تنسب إلى الدولة الوسطى ، وهو يمثل مواشى نقش فوقها العنوان التالى . « ماشية الأسيويين « عامو » قـد أحضرت من (أو أحضرت بمثـابة) ... ... » . ولكن من الجائز أن هذه الحيوانات (Meir, II, p. 18 n) فى كل حالة من الحـالات السالفة قد تكون أحضرت إلى مصر عن طريق التجارة لا عن طريق الفتح . وتوجد لوحة محفوظة الآن فى متحف «منشستر» ذكر فيها فتح «سنوسرت الثالث» لقطر أسيوى يدعى «سكم» ، وقد تكلمنا عنها فيما سبق ، غير أن هـذا الفتح أو الغارة يمكن أن تكون

غزوة تأديبية ضدّ العصاة الذين كانوا على الحدود المصرية يهدّدونها . والواقع اننا لم نجد إشارة مباشرة أو نصا صريحا عن حملة حربية مصرية فى عهد الدولة الوسطى إلى بلاد «آسيا» الى الآن، ولكن لا بدّ أن نلاحظ هنا قطع الأحجار التى عثر عليها فى «الكرنك» وتعزى الى الدولة الوسطى . فقد وجد منقوشا عليها أسماء حاملى الجزية من «فلسطين» (K. M. Engberg, "The Hyksos Reconsidered", p. 33 No. 38)

هذا ولا يدل وجود «العامو» (الأسيويون) فى مصر، تجارا أو عبيدا، على أن بلادهم كانت تحت النير المصرى بل قد تكون بين البلدين علاقات سلمية كالتجارة، وأكبر دليل لدينا على ذلك المنظر المشهور فى «بنى حسن» ، الذى يمثل دخول ٣٧ أسيويا الى مصر جالبين معهم الكحل ("Beni Hassan", Vol. I. Pls. XXX-XXXI)

ولدينا إشارات عابرة عن إحضار أسيويين إلى مصر بمثابة عبيد اشتروا بالمال كما جاء فى ورقة «كاهون» (Kahun Papyri, 12, 10-11; 13, 15-17; 30, 35.)

وكذلك لدينا فى نفس هـذه الورقة إشارات لراقصات أسيويات كنّ يرقصن فى الأعياد المصرية (Ibid, 24, 4—6, 13—14) .

ولا يدل ما احتوى عليه كنز «طود» من التحف الأسـيوية المحضة فى عهد «أمنمحات الثانى» على أن هذه البلاد كانت تحت حكم مصر، بل كانت تعتبر إما مواد تجارية محضة أو هدايا ملكية دون أن تعتبر جزية فرضت على هـذه الأصقاع ("Fouilles de l'Institut Française," Vol. XVII, Pls. XV—XVII, pp. 113 ff.)

على أنه لدينا أدلة متنوّعة كثيرة على نوع العلاقات بين مصر وسوريا . وهذه تقع فى حيز عهد طويل، من ذلك غارة الأسـيويين على الدلتـا المصرية فى العهد الإقطاعى الأوّل، وكذلك موضوع بناء «سور الأمير» على الحدود الشرقية، وهو ما سبق الإشارة اليه . ويحتمل أن تكون سلسلة قلاع أقامها «أمنمحات الأوّل»

ليصدّ بها الستيو (الأسيويين) ويحطم سكان الرمال ؛ وكذلك لدينا متون اللعنة فإنها مهما كان تاريخها الحقيق يدل على تهديد التاج المصرى ونشاط علاقات المدن الأسيوية ؛ هـذا بالإضافة الى معلومات مفصلة بعض الشيء عن موظفى هذه البلاد الأسيوية . (Sethe, "Die Achtung Feindlicher Fursten Volker und Dinge. etc)

وقد عثر على وثائق أخرى من نوع متون اللعنة هذه . وقد فحصت كتابة هذه الوثائق على ضوء جديد ، ووجد أنها لا تتعـدّى عهد « سنوسرت الثالث » "(Albright, Bulletin of the American School of Oriental Research," No. 18. (1941) pp. 16 ff.)

ولا يدل استثمار المناجم فى عهد الدولة الوسطى فى « سينا » وبخاصة فى عهد الأسرة الثانية عشرة على أن العلاقات بينها وبين مصر كانت علاقات تدل على السيطرة المصرية المطلقة . فمثلا فى عهد « أمنحات الثالث » أعظم ملوك هـذه الأسرة أرسلت حملة مؤلفة من ٧٣٤ جنديا إلى مناجم «سينا» (Breasted, A. R. 1, par. 713) . وهـذه القوّة لم تكن قد أرسلت لتحمى المناجم من البدو ، بل كان الجند يعملون هناك لاستخراج المعادن ، وذلك ينطبق على ما فعله « منتوحتب » الرابع فى عهد الأسرة الحادية عشرة من قبل ، وما فعله «رعمسيس الرابع» فيما بعد عندما أرسل ٥٠٠٠ جنـدى الى «وادى الحمامات» لقطع الأحجار ، (Breasted, A. R., IV, par. 466)

وبعبارة أخرى فإن هذه القوّة لا يمكن أن تحمى الحدود المصرية فى «آسيا» فى عهد « أمنحات الثالث » . وعلى أية حال فإنه لا يمكن للباحث أن يفهم هـذا العصر

---

(١) ومن الجائز أن الحملة التى قام بها « أمنحات » وزير « منتوحتب الرابع » وكانت مؤلفة من عشرة آلاف جندى لمحاربة أهل «سينا» وحماية الذين كانوا يقطعون الأحجار للبانى الفرعونية ، وليس هذا بغريب ، فان سلطان الدولة الوسطى لم يكن ثابت الأركان فى هذا العهد ، وبخاصة فى عهد « منتوحتب الرابع » الذى تولى الملك اغتصابا وكان عصره عهد اضطرابات .

بوجه عام دون أن يدرس الخطوات التى أدّت إلى إقامة «الهكسوس» فى مصر . وتدل البحوث الحديثة على أنهم كانوا قد بدءوا ينزحون الى البلاد المصرية قبل عهد الأسرة الثانية عشرة، ثم بلغوا منتهى مجدهم بعد أن مزقوا شمل قوة الدولة الوسطى
(Engberg and Albright's Studies, "Journal of the Palestine Oriental Society," Vol. VIII, p. 223; Vol. XV, p. 94)

ننتقل بعد ذلك الى الكلام عن الجعارين والأختام التى وجدت فى «فلسطين» و«سوريا» وبخاصة مجموعة «رو» (Rowe, "Catalogue of Egyptian Scarabs in the Palestine Archaeological Museum.")

ويمكن تقسيم هذه الوثائق قسمين، واحد منهما خاص بالجعارين التى تشمل الألقاب والأسماء المصرية الخاصة بالمصريين النزلاء فى «آسيا»، والآخر خاص بالجعارين التى تحتوى على ألقاب وأسماء أمراء أسيويين . فمثلا نجد على جعران: كاتب الوزير «سنبف» وقد عثر عليه فى «جريكو» (Rowe, S. 5)، وآخر نقش عليه «حارس ١١٠ أسيوى» المسمى «وسرخبش»، ولا يعرف مصدره فى «فلسطين» Rowe, No. 15 (?) أما فى «سوريا» فنجد أنه قد نقش على جعران: "ربة البيت «ست وسر»" ("Syria," VIII, pp. 85. ff.) ثم الأمير الوراثى الحاكم «إمبى» (ibid) . وكل هؤلاء الأشخاص كان لهم وظائف مؤقته فى «آسيا»(1) . على أنه من جهة أخرى لدينا جعارين خاصة بأشراف «ببلوص» (جبيل)، وهؤلاء الأشراف يحملون أسماء أسيوية مثل «عتنتن» «وعيبشمو» «وأبشمويب»
("Syria,"X, pp. 12 ff. ; "Kemi," Vol. I, pp. 90. ff.; J.E.A., Vol. XIV, p. 109, Vol. XIX, p. 54)

وهؤلاء الأسيويون قد حكموا «جبيل» بوصفهم أمراء مواطنين، غير أن بعضهم كان يحمل اللقب المصرى «حاتى عا» الذى يترجم على حسب التقليد بكلمة «شريف» أو «حاكم مقاطعة»، وهذا له أهميته، إذ فى مصر كان هذا اللقب يمنحه الفرعون

(1) J. E. A., Vol. XIV, p. 109.

لمن يريد من الأفـراد المقربين له . ولذلك نشاهد أن « زفاى حمى » ، بوصـفه شريفا (حاكم مقاطعة) لم يكن فى مقدوره أن ينقل ملكية ضيعته بوصفه حاملا لهذا اللقب . (Breasted, A. R., Vol. I, par. 358) ، وحتى إذا كان هذا النظام لا يطبق على خارج مصر، فإن حمل أمراء «ببلوص» لهذا اللقب يضع أمامنا الدليل على أن الحكام الأسيويين فى « ببلوص » كانوا معضدين فى حكمهم بملك مصر ، وفى هذا ما يدل على مقدار الرقابة والسيطرة المصرية .

وفضـلا عن ذلك يوجد فى نهاية قائمـة الجعارين التى دونها الأستاذ « رو » ملخص نسبي للآثار المصرية التى عثر عليهـا فى فلسطين لمختلف الدول التى قامت فى مصر ، ففى الدولة الوسطى نجد النسبة ٣ إلى ٧ فى عهـد الهكسوس ، إلى ١٠ فى الدولة الحديثة ، ٣ فى العصر الذى تلا الدولة الحديثة . وهذه النسبة لا تشعر حقا بوجود دولة مصرية فى آسيا فى عهد الدولة الوسطى . ولكن على الرغـم من ذلك فانها نسبة تشعر ببداية تلفت النظر إلى مدّ النفوذ المصرى فى « آسيا » .

والآن ننتقل إلى فحص القطع الأثرية المصرية التى تحتوى على تراجم نقشت على الحجر وعثر عليها فى التربة الأسـيوية ، فمن ذلك نقوش الساقى « حقا اب » والمواطن « ددى آمون » وكلاهما وجد فى « جيزر » (راجع :
R. A. S. Mac Alister, "The Excavation of Gezer", Vol. II, pp. 311 ff.
وكذلك كشف عن تمثال «لأمنمحات الرابع» فى صورة «بو الهول» فى «بيروت» (راجع
(Breasted, "Museum Quarterly", Vol. II, pp. 78 ff. Syria, Vol. IX, p. 300.) هذا إلى تمثال للأميرة « أتا » (Ita) بنت « أمنمحات الثانى » فى جهة المشرفة (قطنا)، (راجع "Syria", Vol-IX, p. 300.)، ووجد كذلك فى «رأس شمر» تمثال للفرعون « أمنمحات الثـالث » فى صورة «بول الهول» ، (راجـع (Syria, Vol. XVI, Pl. XV, p. 120) ثم قاعدة تمثال لزوج الفرعون «سنوسرت الثالث » المسماة «خنمت نفرحزت» (راجع Syria, Vol. XIII, Pl. XVI, p. 20). وكشف أيضا عن تمثـال صغير للوزير « سنوسرت عنخ » . (Ibid, Vol. XV,

Pl. XIV, pp. 116, 131 ff.) والتمثال الأخير يعتبر أهم وثيقة للموضوع الذى نبحثه الآن ، إذ عندما أراد الأستاذ «برستد» أن يعلق على العبارة التى وردت فى نقوشه وهى : (الذى أعطى ذهب الشرف) قال : " إن هذا الذهب كان قد منح لهذا الوزير مكافأة لعمل عظيم قام به فى الخارج. فلا بدّ أن هذا الوزير المصرى كان يقيم فى بلد أجنبى هام ويشغل مركزا ساميا فيها ، ويحتمل أنه كان سفيرا فوق العادة أو حاكما . وقد يكون المركز الذى كان يشغله يشبه فى أهميته ما نشاهده يجرى فى الدول العظيمة . فمن الجائز أن « سنوسرت عنخ » كان مبعوثا مصريا عاليا ، أرسل من قبل الحكومة المصرية ليراقب بعين يقظة إقليما سوريا ، وربما كان مستقلا اسما ، ولكنه فى حقيقة الأمر كان تحت الحماية المصرية " .

ولسنا فى حاجة إلى أن نقف هنا لنعدّد الآثار التى عثر عليها فى قبور أمراء « ببلوص » (جبيل الحالية) وتحمل اسم « أمنمحات الثالث » أو ابنه « أمنمحات الرابع » إذ فيما ذكرنا ما يكفى (راجع Montet "Byblos et l'Egypte", p. 155) والواقع أن هذه الأشياء كانت هدايا ملكية لأمراء موالين ، أو كانت دليلا على الحب والمصافاة ، وهذا ما ينطبق على تماثيل « بوالهول » التى سبق ذكرها .

أما التمثالان الصغيران اللذان كشف عنهما فى بلاد « الأناضول » فلهما شأن آخر . فواحد منهما للرضعة « ست نفر » وقد عثر عليه فى « أطنة » (M. M. A. Vol. XVI, pp. 208 ff.) أما التمثال الآخر فلشخص يدعى « كرى » والنقوش التى عليه تدل على أنه عار عن كل لقب ، وقد كشف عنه فى شرقى «أنقرة» (A. J. S. L. XLIII, p. p. 294 ff) والواقع أن الإنسان لا يذهب تفكيره إلى حدّ أن مصر قد امتدّت فتوحاتها حتى وصلت إلى هذا البعد الشاسع ، وكوّنت امبراطورية وصلت إلى بلاد الأناضول فى هذه الفترة من تاريخها ، ولكن المعقول أنه من الجائز أن السيدة « ست نفر »

كانت مربية مصرية تعمل فى بلاط أحد أمراء بلاد «الأناضول» . أما « كرى »
فيحتمل جدّا أنه كان تاجرا مصريا . ولكن المهم أن وجود هذين التمثالين فى قطر
ناء كهـذا عن وادى النيل يمكن أن يتخـذ مقياسا على مـدى انتشار نفوذ الثقافة
المصرية فى عهد الدولة الوسطى . هذا إذا طرحنا جانبا كل اعتبار آخر لوجودهما
هناك . يضاف إلى ذلك أنه قد وجدت قطعة من قضيب سحرى فى خرائب بلدة
« مجدو » . وقد بقى من نقوشها السحرية ما يدل على أن ربة البيت « بعاتومو »
كانت تلتمس الحماية السحرية فى وقت الغروب لمدّة الليل وأثناء النهار (راجع :
(The Illustrated London News, November, 1939, p. 25)
وهـذه القطعة قد وجدت فى طبقة من طبقات الحفر يقـرب تاريخها من الدولة
الحديثـة . ولكن سياق الكلام يرجع بها إلى عهد أقدم ، وبخاصـة أن القضب
السحرية كانت شائعة جدّا فى عهد الدولة الوسطى . وأخيرا نوجه النظر إلى قصة
« سنوهيت » وهو هارب سياسى قـد فرّ من منطقة المراقبة المصرية عنـد موت
« أمنمحات الأوّل » . ولا نزاع فى أن جغرافية البلاد التى مرّ بها والتى آوى إليها
فى « آسيا » ليست واضحة تماما . غير أنه ذهب فى جولاته حتى « ببلوص » على
ساحل « فينقيا » ؛ والظاهر أنه بعـد ذلك اخترق تلك الجهة إلى الجهة الشرقيـة
حيث استقبله أحد أمراء « رتنو العليا » فى إقليم فيـه الفاكهة والكروم والحبوب
والمـاشية . ورغـم أنه كان يعيش على مقربة من طريق يرى منـه الذاهب إلى
مصر والراجع منها ، فإنه لم يكن فى متناول الشرطة المصريين ، أو تحت سلطانهم
القضائى . ولا يبعـد أنه كان يسكن فى إقليم « بقعا » الذى يحتـوى على طريق
عظيم يمتدّ شمالا وجنوبا بين «لبنان» والإقليم المقابل لها .

و إذا كان هذا الزعم مقبولا أمكن القول بأن المراقبة الفعليه المصرية فى هذه
الجهات كانت فى «فلسطين» و «فينقية» أكثر منها فى داخل بلاد «سوريا» ؛ أو قد
يجوز أن مصر كان لها مكانة ضئيلة فى أوائل الأسرة الثانية عشرة فى آسيا ، وذلك

قبل أن يتمكن الفراعنة الذين حكموا فى نهاية هذه الأسرة من أن يجعلوا لمصر نفوذا عظيما فى القارة الأسيوية . ويظهر أن الرأى الأخير هو المرجح . وعلى الرغم من كل ما أوردناه هنا من الأدلة والبراهين ، فإنا لم نصل إلى نتيجة فاصلة ، ولكن انتداب الوزير « سنوسرت عنخ » ليقيم فى «أوجاريت» (Ugarit) (رأس شمر الحالية) ، وكذلك إقامة الكاهن الأعظم لمدينة الأشمونين فى مدينة « مجدو » له أهميته ، إذ الواقع أن هذه الإقامة كانت تعتبر أكثر من سلطان تجارى أو ثقافى ، فإرسال شخصيات مثل أولئك لهم مقامهم فى بلادهم إلى «آسيا» ، يدل على أنهم كانوا يبعثون إلى مراكز ذات قيمة عظيمة فى خارج بلادهم ، وهذا ما يحتم وجود نفوذ إدارى ، وحربى يوحى بنفوذ امبراطورى . وعلى ضوء البراهين التى لدينا حتى الآن يمكن قبول النظرية التالية وهى أن مصر فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد كانت تؤيد حكم الأمراء المحليين وفى الوقت نفسه كانت تجعلهم تحت مراقبتها بإرسال مندوب سام مقيم ، ويحتمل أن حامية كانت تشد أزره . ولذلك لا نكون بعيدين عن الصواب إذا قلنا إن مصر فى القرن التاسع عشر بعد الميلاد كانت مثلها كمثل الإمبراطورية المصرية فى آسيا فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد .

علاقة مصر بجزر البحر الأبيض المتوسط

أما علاقات الوجه البحرى بالبلاد الواقعة وراء البحار فلم ينقطع أسبابها أيضا ، فمنذ الأسرة السادسة نجد فى مصر أختاما كل منها على صورة زر ، وغالبا ما يكون له مقبض مستدير الشكل . وقد رسم عليها أشكال بعضها يحتوى على خطوط منوعة و بعضها يحتوى على صور حيوانات مختلطة الشكل خيالية ، وهى تشبه تلك الحيوانات الهائلة المرسومة على لوحات طحن الكحل التى وجدت فى العهود العتيقة جدا . وهذه الصور كانت تعتبر علامة خاصة يعرف بها صاحبها . والواقع أن هذه الأختام قد عثر على أمثالها فى « كريت » ، ومنذ بداية الأسرة الثانية عشرة بدئت

تصنع الأختام فى صورة « جعل » أو (جعران) ، وهذا الجعران أصبح فى نهاية الأمر يحل محل الأسطوانات والأزرار القديمة جملة :

(Evans J. H. S. Vol. XIX, pp. 335 ff.; Garstang, "Bet Khallaf", p. 33, Pl. XXXIX; Newberry, "Scărabs", pp. 56 ff.; Meyer, Gesch. Par. 200.

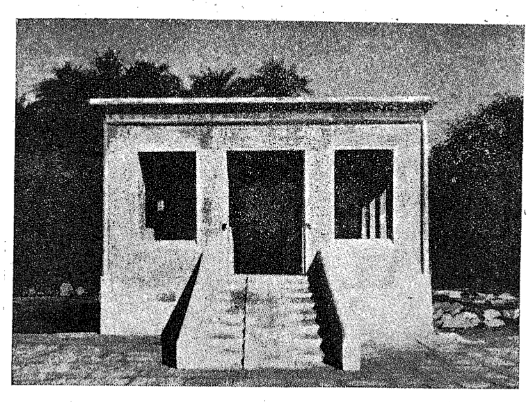
أما الإشارات المنقوشة على هذه الأختام (وهى فى غالب الأحيان اسم صاحبها) فإنها تحاط بخطوط حلزونية ملتف بعضها ببعض بصورة متكررة ، وليس هناك من شك فى أن ظهور الشكل الحلزونى فى مصر له بعض العلاقات بانتشاره العظيم فى وقت واحد فى « كريت » ،و«جزر بحر إيجه» . ولا نزاع كذلك فى أن فراعنة الأسرة الثانية عشرة كان لهم أسطول يمخر عباب البحر الأبيض المتوسط كما كان لأسلافهم فراعنة الدولة القديمة ، ومن الجائز جدًا أنهم كانوا أحيانا يتدخلون فى أمور جزر هذا البحر . حقا إن النقوش لا تحدّث قط عن هذه الجزر ، غير أن حامل الختم «حنو» فى عهد الفرعون «منتوحتب الثالث» كان يفخر بأنه قضى على قوم «الهنبو» (شعوب البحر أو الشمال) (Lange und Schafer, "Grab und Denkstein", 20425) ويقص علينا موظف آخر يحتمل أنه من عهد « سنوسرت الأول » بلغة هذا العصر المتكلفة أن "قلمه يأخذ ويشمل الهنبو" ؛ ويعنى بذلك أنه ضمن الإدارة التى تشرف على العلاقات التى مع شعوب البحر ، وعلى حسب الوجهة المصرية كانت هذه الإدارة هى التى تصدر لهم الأوامر . وقد وصل إلينا آثار من آثار شعوب البحر هذه على غرار التى وصلتنا من العهد الطينى ، وتشتمل على قطع من الخزف الأجنبى ، ونجده ثانية فى مصر فى أماكن خاصة . فقد أقام « سنوسرت الثانى» عند مدخل «الفيوم» بالقرب من هرمه عند« كاهون» بالقرب من «اللاهون» مقر حكمه ، وقد هجرت منذ بداية الأسرة الثالثة عشرة . وعلى ذلك لم تعمر أكثر من قرن (من حوالى ١٩٠٦ — ١٧٨٠ ق م) ، وقد عثر فيها ، غير عدد عظيم من قطع الخزف المصرى ، على قطع أخرى من طراز يدعى « كامارس» ، وهو طراز كان

شائعا وقتئذ فى « كريت » وفى جزر « سيكليد » . وقـد أمدّتنا مصر بتاريخـه . ومن ثم نعرف أن أهالى « كريت » كان لهم فى هذه الجهة مؤسسات يرجع أسبابها لأمر من الأمور التاليـة ، فإمّا أن يكونوا قد أقاموا فى هذه الجهة بوصفهم أسرى (ويحتمل أنهم فى هـذه الحالة كانوا قرصان بحر) ، وإما أنهـم كانوا تجارا ومن أصحاب المخاطرات الذين يقومون بجولات إلى البـلاد النائية ، وقد أتوا إلى مصر باحثين وراء الثروة كما فعـل أهالى « سردنيا » الذين أتوا بعـدهم بزمن طويل . وقد حفظ لنا فى قبر « بالعرابة المدفونة » آنية فاخرة من طراز « كامارس » ، وعثر بجانبها على أسطوانات باسم « سنوسرت الثانى » و « أمنمحات الثالث » . وكذلك عثر فى « كاهون » وفى خرائب مدينة « الخطاعنة » بالقرب من « فاقوس » على قطع من الفخار الأسود مرسوم عليه خطوط غائرة باللون الأبيض ويظهر أنه أتى به من « قبرص » (Chataana; Hall, "The Oldest Civilization of Greece", p. 68.) وعلى العكس وجد فى « كنوسوس » عاصمة « كريت » فى أقـدم الطبقات الأثرية للقصر تمثال صغير مصرى (Evans, "Annual of the British School of Athens" Vol. VI, p. 27. Griffith, "Archaeological Report", (1889-1900) p. 65.) وهذا التمثال الجنازى يرجع تاريخه إلى حوالى الأسرة الثالثة عشرة . على أنه لو جادت تربة الدلتا بعـدد عظيم من الوثائق لأصبح فى مقدورنا أن نفهم الكثير عن هـذه العلاقات . على أن مجرد عثورنا فى بئر جنازى قديم فى بلدة « تركوينى » (الأترسكيه) (بإيطاليا) على دميـة صغيرة ، وهى تمثال الإلهة « باست » المصرية ، وعلى جعران للملك « منتوحتب الثالث » لدليـل على بعد الأماكن التى نقلت إليها المحصولات المصرية (راجع Targruni Ghirardini not degli Scavi 1882, 183, Pl. 13 bis 10 Helbig Homer Epos, 2, 24.) . هذا وقد عثرنا على بعض الأوانى التى تعزى إلى « كريت » فى حفائر الجيزة ، غير أنها لم توجد فى مقابر بل وجدت فى الرمال والأتربة المتراكمة حول المقابر المدفونة تحت هذه الرمال .

المبانى

تدل شواهد الأحوال على أن خلف «أمنمحات الأول» ورثوا عنه النشاط، ومضاء العزيمة فى تسيير أحوال البلاد. على أن أخلاق كل من هؤلاء الفراعنة ليست من الأخلاق التى يمكن لمسها لا فى ألقابهم الرسمية ولا من نقوش رعاياهم ولا من بعض تماثيلهم التى كانوا يقيمونها فى معابد الآلهة، إذ الواقع أنهم كانوا يريدون أن يظهروا لنا دائما آلهة أحياء يتوقف عليهم فلاح بلادهم ورخاؤها، فكان لا يمكن الاقتراب منهم دون أن ترتعد من هيبتهم الفرائص حتى ولو كانت مقاصدهم حسنة، وأنهم يريدون إغداق الهبات ومنح الرتب. والظاهر أن المواهب الحربية لهذه الأسرة قد تقمصت بوجه خاص فى «سنوسرت الثالث»، وهو البطل الذى نسبت إليه الخرافات كل أعمال الفروسية والفتوح التى قام بها فراعنة آخرون، ولكن فى مقابل ذلك نجد فى عهد خلفه «أمنمحات الثالث» أن هذه الملكية القوية الجانب الحسنة النظام قد فاضت بضوئها المتلألئ الوهاج على البلاد بما قامت به من الأعمال الخالدة. ويمتاز كل ملوك هذه الأسرة بغيرتهم وتحمسهم لإقامة المبانى، وبخاصة المعابد التى شيدوها للآلهة. ولذلك نجد أسماءهم فى كل مكان فى بقايا آثارهم التى وجدت تحت أساس مبانى الدولة الحديثة، وهى مبان قد أقيمت بصورة متواضعة، إذا قيست بمبانى أخلافهم فى الدولة الحديثة، فنجد أن «أمنمحات الأول» قد أقام خلافا للمبانى التى أضافها لمعبد الإله «بتاح» فى «منف» معبدا للإله «آمون» فى «الكرنك» «بطيبة» ومعبدا للإلهة «حتحور» فى «دندرة»، وكذلك يظهر أنه أقام معبدا للإله «سبك» فى مدينة «الفيوم» كما أسلفنا ذكره. وشيد «سنوسرت الأول» معبدا فى «هليوبوليس» للإله «آتوم» كما أسلفنا. ولا تزال المسلة التى أقامها فيه تذكارا لعيد «سد» باقية فى مكانها الأصلى، وكذلك أقام معبدا «بالكرنك». وستتكلم عنه فيما يأتى:

معبد سنوسرت الأول بالكرنك



معبد «سنوسرت الأول» بالكرنك (شكل رقم ٣٠)

لقد ظل طراز المعابد المصرية فى عهد الدولة الوسطى مجهولا إلى أن قام المهندس «شفربيه» بالعمل فى إصلاح أساس (البوّابة) الثالثة التى أقامها الفرعون «أمنحوتب الثالث» فى معبد «الكرنك» ، فقد لاحظ أثناء العمل أن معظم الحجارة التى بنيت منها هذه (البوّابة) كانت حجارة منقوشة ، وأنها كانت تنتزع من مبان أخرى ترجع إلى عهد أقدم من عهد هذه (البوّابة) الآنفة الذكر . وقد بدأ العمل فى استخراج هذه الأحجار وترتيبها منذ سنة ١٩٢٤ ، واستمر العمل الى سنة ١٩٣٦ فاستخرج منها زهاء ٩٥١ كتلة من الأحجار المختلفة ، وقد اتضح فى نهاية الأمر أنها مأخوذة من أحد عشر مبنى أثريا قديما . ولحسن الحظ وجد المسيو «لاكو» من بينها حجارة تؤلف معبدين كاملين تقريبا : أحدهما يرجع تاريخه للأسرة الثانية عشرة ، والثانى يرجع الى عهد الأسرة الثامنة عشر . والذى يعنينا من هذين

المعبدين الآن هو معبد الأسرة الثانية عشرة ، وهو الذى اعاد « شفرييه » بناءه ، ومادته من الحجر الجيرى الأبيض الذى كان يستخرج من محاجر « طرة » ، وهو نوع الحجر الذى كان شائع الاستعمال فى عهد الدولة الوسطى . و يفسر لنا استعمال هذا النوع من الحجر وقتئذ السر فى إختفاء آثار هذا العهد ، وذلك لأن القوم كانوا يحصلون عليه بمثابة جير يحرق ليستعمل فى مبانيهم . وقد ظل هذا النوع من التخريب المشين منتشرا إلى أن أسست مصلحة المحافظة على الآثار . وقد ظل طراز هذا المعبد مجهولا لعلماء الآثار حتى أعيد اقامة هذا المبنى « بالكرنك » سنة ١٩٣٦ ، وهو يتألف من قاعدة مرتفعة مربعة الشكل تقريبا يصل إليه الزائر بدرج ذى ميل خفيف من جهتين متقابلتين ولكل منهما « درابزين » بسيط له قمة مستديرة ومنخفضة جدّا . ويقع بين مجموعتى الدرج مطلع خفيف الانحدار. والظاهر أنه كان يستعمل ليجرّ عليه جرارة تحمل محراب الإله أو تمثاله (الإله آمون). والمعبد المقام على هذه القاعدة المرتفعة يحتوى على ستة عشر عمودا موزعة على أربعة صفوف كل منها يحتوى على أربعة عمد ، أقيم فوقها عقود وسقف مستو . و يلاحظ أن العمد المقامة فى واجهة المدخل وعند مخرجه ، وهى التى تقابل السلالم ، رباعية الشكل ليرتكز عليها عقود الواجهة المقامة طولا ، والعقود الموضوعة عرضا .

أما الأعمدة الثمانية الباقية فتكاد تكون مربعة (٦٤ × ٦٢) سنتيمتر . و يشاهد أن الأعمدة الخارجية متصلة بقواعدها بوساطة « درابزين » غير مفرّغ ومستدير إلا التى فى وجه درج السلم فليست كذلك ، وذلك لارتفاع دعامتها . وعقود المعبد موزعة فى أربعة صفوف موازية لمحور المعبد ومكملة لواجهتى المدخل والمخرج بصفين عموديين للعقود الأولى ، و يرتكز على هذه العقود أو السقف . وقد قصد أن تكون هذه الأحجار بارزة بعض الشىء لتكون بمثابة طنف للمعبد (كرنيش) أما زخرف الجدران فقد صنع بكل دقة وعناية ، فنشاهد أوّلا على القاعدة

المرتفعة منظرا يحتوى على أرقام خاصة بحاجيات المعبد على ما يظهر، غير أنها لم تحل بعد حلا مؤكدا . ويشاهد ثانية على قاعدة العمد الخارجية وعلى الجزء المستوى من خارج « الدرابزين » منظرا نقش عليه أسماء مقاطعات الوجه القبلى ، والوجه البحرى ، كما سبق الإشارة لذلك . وهذا المنظر فضلا عن أهميته التاريخية والجغرافية قد سهل علينا معرفة الجهات الأصلية لاتجاه المعبد ، ونعرف أن مقاطعات الوجه البحرى كانت فى الجهة الشمالية ، ومقاطعات الوجه القبلى على الواجهة الجنوبية ، فى حين أن واجهتى المدخل والمخرج كانتا فى الشرق والغرب على التوالى ، وكان مرسوما على كل واجهة عدد من صور إله النيل تحمل القرابين .

وثالثا نجد على كل العمد فى الجزء الأعلى الواقع فوق المساحة التى تشغلها هذه القائمة الجغرافية أو على سطح عارٍ من النقوش، أولا سطرين أفقيين من الكتابة تحدثنا بأن هذا المعبد كان قد أقيم احتفالا بالعيد الثلاثينى الأول (حب سد) للفرعون «سنوسرت الأول» وأسفل ذلك صف آخر يحتوى على منظر قربان يقدمها الفرعون للإله « آمون رع » . ويلاحظ أن هذا الإله قد مثل فى معظم مناظر المعبد فى صورة الإله « مين » ، وكذلك يشاهد على أوجه العمد العريضة ، وهى العمد المستطيلة الشكل، أن عدد الأشخاص الذين رسموا عليها لا يزيد عن ثلاثة، ونجد على بعضها الإله «منتو» إله طيبة القديم يقدم الفرعون للإله « آمون» ، وهذا المنظر له أهمية عظيمة الشأن من الوجهة الدينية ، إذ يؤكد لنا التاريخ الذى تخلى فيه الإله « منتو » إله « طيبة » المعبود الرسمى للبلاد فى عهد الأسرة الحادية عشرة عن مكانته هذه للإله « آمون » بوصفه أولا معبود مدينة «طيبة» ثم الإله المقدس الرسمى لمصر كلها . هذا ويشاهد فوق الصفوف المنقوشة التى تحتوى هذه المناظر متن دينى كتب فى أسطر عمودية توجت بصورة النسر أو الصقر حسب شكل الأعمدة ، إذ كان بعضها مربعا فكان يرسم عليه النسر والصقر معا ، وبعضها مستطيلا فكان يرسم عليه الصقر وحده ، وأخيرا نجد على العقود منقوشا صيغة

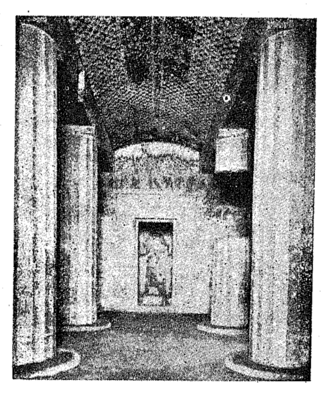
إهــداء المعبد جاء فيها أن هــذا الأثر قد أقامه « سنوسرت الأوّل » ليكون فخارا لوالده « آمون رع » من الحجر الجيرى الأبيض المستخرج من محاجر طره .

ويلاحظ أن الزخارف والإشارات الهيرغليفية والمناظر قـد حفرت بإتقان بالغ ، وقد نقشت كلها بالحفر البارز ، ولا يستثنى من ذلك إلا إطارات الأبواب التى نقش عليها ألقاب الملك وأسماء المقاطعات ، وأسماء إله النيل ، ومنظر الأرقام ، فإنها قد نقشت نقشا غائرا ، والأخيرة خاصة بالمقاطعات . وكانت الإشارات التى تزين بها إطارات الأبواب قد لوّنت باللون الأزرق ، أما الطنف (الكرنيش) التى كانت تمثل فى هيئة خوص جريد النخل فقد كان عسفها ملوّنا بالأزرق فالأبيض فالأحمر على التوالى ، وخلافا لهذه الألوان ، فإنا لم نجـد أثرا لأى لون آخر فى أى جزء من أجزاء المعبد الباقيـة . وممـا يلفت النظر وجود خروق صغيرة فى مبانى المعبد ممـا يوحى إلينا بأن جدرانه كانت مغطاة بورقة من الذهب قد ثبتت بدسر من الخشب فى هذه الخروق : (A. S. Vol. XXXVIII, p. p. 567 f. f.)

أما «سنوسرت الثالث» فإنه شـيد معبدا للإله « حرشف » فى « إهناسية المدينة » ، وممـا هو جديرٌ بالملاحظة فى هذا الصدد أننا نجد أسمـاء هؤلاء الملوك وتماثيلهم فى كل المدن التى أمكن أن نجد فيها آثارا لم تغمرها مبانى الدولة الحديثة ، أو لم يمحها الزمن مثـل « تانيس » ، وفى بقعة بالقرب من « نبيشه » (آمت) ، وفى تل المقدام (مدينة الأسد) ، وفى وسط الدلتا . وهذا يبرهن لنـا عن مقدار الدور الهـام الذى لعبته الدلتا فى ذلك الوقت وفى الامبراطورية المصرية . والواقع أن هذا الشطر من البلاد المصرية لا نكاد نعرف عن آثاره وقتئذ شيئا يذكر . (راجع Mariette, "Karnak" II; "Petrie" Abydos, I, II, MacIver and Mace, "El Amrah".

اتخاذ مقر الملك بجوار الجبانة — ويلاحظ أن ملوك الأسرة الثانية عشرة قد اتخذوا مقرّ ملكهم ثانية فى الشمال وجعلوا جباناتهم على حافة الصحراء الغربية كما كانت الحال فى عهد الدولة القديمة . واتخذوا الشكل الهرمى المحض مقابرلهم تدفن

فيها أجسامهم، وكذلك اتخذ رجال البلاط لمقابرهم شكل المصطبة، غير أن معظم هذه المقابر قد شيدت من اللبن وكسيت غطاء من الحجر. فنجد أن « أمنمحات الأول » أقام هرمه فى « اللشت »، واقتفى أثره فى ذلك ابنه « سنوسرت الأول »، ثم جاء «أمنمحات الثانى» فنقل مقر الملك إلى نقطة أعلى فى الشمال عند « دهشور » بالقرب من هرم « سنفرو » ومقره. أما « سنوسرت الثانى » فإنه على العكس أقام مدينته وهرمه بالقرب من « اللاهون »، ولكن ابنه « سنوسرت الثالث » عاد الى



شكل رقم ٣١ (مقبرة أمينى)

«دهشور»، وهناك بنى هرما له يسمى «حتب سنوسرت»، ومقرا أطلق عليه اسم «عنخ سنوسرت» ولكن ابنه «أمنمحات الثالث» عاد إلى «هوارة» و بنى هرما له هناك ومقرا يدعى « عنخ أمنمحات »، كما أمر ببناء هرم ثان له فى « دهشور »[1]

(١) وقد عثر أخيرا على قطعة من الحجر فى « حوض البلسم » بالمطرية كتب عليها اسم هرم الملك يدعى « أمنمحات » لم يكتب معه لقبه المميز له، و يظن مور يس أفندى روفائيل كاتب المقال عن هذه القطعة أنه اسم هرم « أمنمحات الثالث » (A. S., Vol. XXXVII, p. 79)

كما فعل سلفه « سنفرو » ، وأقام معبدا لهرمه فى « هوارة » ، وهو البنـاء الذائع الصيت عند « الإغريق » إذ كانوا يعتبرونه أكبر عجائب مصر . وهو الذى كان يطلق عليه اسم « اللبرنت » وقد فصلنا القول فيه فيما سبق .

وفى النصف الأوّل من الأسرة الثانية عشرة ظهرت مقابر فخمة أقامها حكام المقاطعات فى عواصم مقاطعاتهم مثل مقابر « بنى حسن » و « البرشة » و « مير » و « قاو » ، وكل هذه المقابر نحتت فى واجهة الصخور الواقعة فى واجهة الجبال فى الجهة الغربية إلا مقابر «بنى حسن» فإنها تقع فى الجهة الشرقية ، وكلها نحتت على طراز واحد . وغالبا نجـد أنه كان يصعد إليها بطريق مدرج من الوادى ، ثم ينتهى برصيف يؤدّى إلى مزار المقبرة المنحوتة فى الصخر . وهـذا المزار نفسه يؤدّى فى الغالب إلى قاعات أمامية خلفها ردهة نحت فيها كوّة فى الجـدار الخلفى كان يوجد فيهـا تمثال المتوفى . ولا نزاع فى أنه توجد نقطة اتصال ظاهرة بين هذا الطراز من المقابر المنحوته فى الصخر وبين مقابر الدولة القـديمة . ولكن مع ذلك نرى أنه توجد خطوة ظاهرة إلى الأمام تدل على تقـدّم فى الطراز الأصـلى القديم ، وبخاصة من حيث التأثير الذى أحدثه انتخاب المكان . وأهم هذه المقابر تلك التى أقامهـا أمراء المقاطعات فى « بنى حسن » ، ففيها نشاهد قاعات ذات أعمدة ، وردهات ذات أسقف مقببة ترتكز على عمد ذات أضلاع تكون غالبـا رباعية أو ثمانية الأضلاع . وقد تكون ذات سـتة عشر ضلعا ، وأضلاعها على هيئة قنوات جميلة المنظر . (انظر شكل ٣١) .

وقد انتشر هذا النوع من التقبيب الذى نشاهده فى هـذه المقابر حتى أنه أصبح شائع الاستعمال من أطراف الدلتـا حتى أعماق بـلاد النوبة ، إذ قـد عثر فى هـذه الجهات على قبور مصنوعة من اللبن ذات قبـاب . وفى المقابر العظيمة نشاهد خارجة عظيمة المساحة يزينها عقـد محكم الشكل مثـل الذى كان يستعمل فى عصور ما قبل التاريخ غير أنه فى عصرنا قد بلغ حدّ الكمال .

فن نحت التماثيل (تماثيل الملوك) — يمتاز فن نحت التماثيل فى هذا العصر بما يظهره المثال من دقة التعبير فى الجرات عن العواطف والمشاعر والوجدانات، غير أن هذا الفن لا يتبع قاعدة معينة ثابتة، ولذلك لا نجد له وحدة ولا حدودا معينة يسير بمقتضاها . وكذلك يظهر أمامنا بوضوح فى هذا العصر أولا التناقض فى فن نحت تماثيل الأفراد، وتماثيل الفراعنة . وحتى فى نحت تماثيل الملوك أنفسهم فيما بينهم، فنجد اختلافا كبيرا فى الفكرة والإخراج . فنلاحظ منها مثلا مجموعة مرتبطة فى كيفية نحتها ارتباطا واضحا بتقاليد النحت فى الدولة القديمة، وبخاصة فى بداية هذه الأسرة، ونجد أن تماثيل الفراعنة كانت تحاكى طراز تماثيل الأسرة السادسة المهذبة؛ وهى التى تنم عن رقة وليونة تعبران عن ذلك المجد الذى أصبح فى عالم الفناء . فمثلا يلفت النظر تمثال «سنوسرت الأول» المنحوت[1] فى الحجر الجيرى الأبيض بما يعبر عنه تقاسيمه من طراوة وإبهام وقلة الشخصية . غير أن محياه فى الوقت نفسه يعبر عن طراز الحاكم الوقور اللين العريكة بما ترتسم على وجهه من ابتسامة يرى من خلفها «الإله الطيب»؛ وكذلك تمثال الملك «حور» (انظر ص ٣٠٢) الممشوق القوام اللطيف القد، فإنه مع ما فيه من جمال لا يجذب إليه النظر لما ينقص تقاسيم محياه من قوة التعبير التى تدل على الشخصية؛ وكذلك يعوزه ذلك الروح الذى تنبعث من وحى الفن الرفيع، ولذلك يلاحظ الإنسان أن هذه التماثيل تنسب إلى تقليد فنى خاص لم يعد ينطق بما تعبر عنه هذه الحياة الدنيا . ولذلك يظن البعض أن هذه التماثيل قد نحتت لتوضع مع المتوفى فى عالم الآخرة . ولا غرابة إذا وجدناها موضوعة فى المعبد الجنازى . وهذا ما جعل صناعة نحتها تقليدية . والواقع أنها نحتت لتكون بمثابة عدّة للمتوفى فى عالم الآخرة،

---

(١) أما تمثاله الضخم الذى عثر عليه فى « تانيس » فتدل ملامحه على العنف والصلابة فى الأخلاق ولذلك يعتقد أنه قد كانت توجد مدرسة خاصة للنحت فى «تانيس» بعيدة فى فنها عن المدرسة القديمة .
(A. S., Vol. XXXVII, p. 81, Pl. I.)

ومن ثم يمكننا أن نحكم أن طراز نحتها قد انحدر إلينا من عهد الدولة القديمة عن طريق التقليد المحض ، ولذلك كان من الصعب أولا أن نفسر وجودها جنبا لجنب مع تماثيل عصر الدولة الوسطى التى أخرجت للناس فى صور جديدة ممثلة لروح العصر والحياة اللتين وجدت فيهما ؛ إذ من جهة أخرى نجد أنه تنبعث من تمثال الملك « منتوحتب الثانى » روح آخر يمثل شخصية الرجل الذى أعاد لمصر وحدتها ، فنرى فى تمثاله الجالس ملامح تدل على صلابة فى الخلق ، وسيطرة قاهرة ، وعزم نافذ ؛ مما جعله يعتبر من أحسن القطع الفنية التى أنتجتها يد النحات فى الفن المصرى المبكر لهذه الدولة . وتمثيل الفرعون فى الحجر بما يفوق الوصف البشرى فى عهد الدولة الوسطى كان نسيج وحده فى فن نحت التماثيل ، وذلك لأن الطراز الخاص فى نحت تماثيل الملوك فى هذا العصر كان شيئا آخر بالمرة ، فلأول مرة تبرز لنا شخصية الفرعون بعد تحفظه المتناهى الذى ظل متبعا عدّة قرون ، فنشاهد فى صوره الجديدة أنه عار عن كل تصنع ، وأنه أصبح من أهل هذه الأرض ، وصار لزاما عليه أن يحارب ، وكذلك أصبح فى مقدوره أن يحس ويشعر فى داخلية نفسه ، كما أنه صار يتألم ، وكل هذه الوجدانات كان قد أهملها تماما المثال المصرى عند تصويره تقاسيم محيا الفرعون حتى هذا العصر الذى نحن بصدده . حقا إن تماثيل ملوك الدولة القديمة تنم ملامحها عن شخصيات قوية ، غير أنها فى الوقت نفسه لا تدعنا ننظر إليها بعمق ، حتى أننا لا نشاهد منها إلا ما توحى به من هيبة فى الوقت الذى نتطلع فيه فى شغف إلى معرفة تجاربهم ، وما تنطوى عليه حياتهم من مشاعر . أما الآن فإن المثال قد جعل الحاكم يقف أمامنا كأنه واحد منا لدرجة أن أحد أدباء هذا العصر وهو « خيتى » بن « دواوق » قد جعل « امنمحات الأول » لا يخجل من أن يلقن تحذيراته وتجاربه لابنه « سنوسرت الأوّل » عن تلك المؤامرة الفظيعة التى أدّت إلى اغتيال حياته . فهذا الفرعون عند ما قص علينا بخيعته لم يكن فى نظره هذا القول مخزيا ولا مزريا ، عند ما نزل من

عليائه الإلهية التى كان لا يمكن الدنو منها ، وأخذ بقسطه الوافر مع بنى البشر من الهموم، والمصائب التى يعانونها (راجع ص ١٩٠ الخ) .

وفى الحق إنه لمن الصعب أن يوازن الإنسان موازنة صادقة بين تماثيل ملوك الدولة الوسطى وتماثيل ملوك الدولة القديمة، ثم يستخلص من هذه الموازنة نتيجة ذات قيمة ، وذلك لأن قطع النحت الفنية فى عهد الدولة القديمة قد أخرجتها يد الفنان على أساس فكرة خاصة معينة تختلف عن الفكرة التى كانت شائعة فى عهد الدولة الوسطى فإن الفن فى عهد الدولة الوسطى كان له مثل أعلى آخر فى تصوير الملوك، وإذا كان ملوك هذه الأسرة لم يصلوا إلى القوّة العلوية التى وصل إليها ملوك الأسرتين الثالثة والرابعة — إذ كانت سلطتهم قد انكمشت — فإنه مع ذلك تنم تماثيل الدولة الوسطى عن تقاسيم أقوى تمتاز بأنها تعبر عن قوة بشرية وتنبعث منها إرادة قدّت من حديد .

على أنه مما يسترعى النظر فى هذا العصر شيوع استعمال التماثيل التى تفوق الحجم البشرى الطبعى . وهذا الطراز من التماثيل لم يكن معروفا من بداية الدولة القديمة ، إذا لم نعثر منها فى هذا العهد حتى الآن إلا على تمثال للفرعون « وسركاف » . ولا نزاع فى أن الفراعنة قد استعملوا هذا الطراز من التماثيل ليساعد على قوّة التأثير. وكثيرا ما تكون التماثيل التى من هذا النوع ضمن القطع الفنية . ولا يمكننا أن نجزم بأن تماثيل الملوك فى الدولة القديمة كانت وقفا على المعابد الجنازية حيث كانت محجوبة عن أعين الناس، وأنها نحتت لتجعل روح الملك المتوفى تبقى حية، ولكنا نعرف على وجه التحقيق أن التماثيل الضخمة كانت قبل كل شىء تقام كذلك فى عهد الدولة الوسطى فى المعابد وغيرها . ولابدّ أن زائر هذه المعابد كان يرى قوّة الفرعون وعظمته متقمصة فى تماثيله هناك، إذ كان هو الذى وضع فى يديه مصير البلاد، وهذا ينطبق على « سنوسرت الثالث» وتمثاله الذى نصبه عن الحدود الجنوبية لدولته عند « سمنه » ليكون رمزا لقوّته ومهدّدا للعدوّ حتى لا يجسر على تخطى الحدود أو انتهاك حرمتها . أما تمثيل الفرعون فى صورة أسد فقد اتخذت شكلا

جديدا ، ويشاهد ذلك فى تمـاثيل « بو الهول » الذائعـة الصيت التى عثر عليها فى « تانيس » ، وتمثل كل منهـا وجه الفرعون « أمنمحات الثالث » ، والواقع أن هـذه التماثيل قـد نحتت لتصوّر أمامنا بكل شـدّة بأس الحيـوان الملكى المفترس وبطشه . فهذا الوجه المفترس الذى تحيط به معرفة هائلة وملامح غاية فى الشجاعة وعضلات مفتوله لا يمثل لنا الفرعون بجسم أسد ، بل يمثل الأسد بوجه إنسان ، فالفرعون إذا عدوّ مخيف رهيب ، يقبض على عدوه ويمزقـه إربا إربا . (انظر شكل ٢٧٢ د) .

تماثيل الأفراد — أما تماثيل الأفـراد فإن السائد فى جودة فنها لا يتعـدّى الحد المتوسط فى الإتقان . ويلاحظ فى صناعة هذا النوع من التماثيل أنها متصلة بصناعة تماثيل الدولة القديمة ، ومنتسبة إليها أيضا ، وهى تلك التماثيل التى كانت قد نحتت بخاصة لتوضع مع المتوفى فى مقبرته ، ومع ذلك فقـد عثرنا على بعض التماثيل فى عهـد الأسرة الحـادية عشرة تكاد تشبه فى خشونتها فن تمثال « منتوحتب » ، بل وغلظته أيضا ؛ غير أن هـذا النوع من النحت قد انمحى فيما بعد تماما . وكذلك نجد بجانب كثير من التماثيل التى نحتت فى الحجر نحتا مختصرا لا تظهر فيه التفاصيل ، تماثيل أخرى قد أخرجت إخراجا فنيا مختارا ، وتعدّ فريدة فى نوعها تماما ، غير أنها لا تقاس فى تعبيرها عن تقاسيم الوجه بتماثيل الملوك ، لأنها بدل من أن تنحت بالحجم الطبعى ، وتجعل مرتبطة بالحياة الحقيقية ، قـد اجتهد المثال فى أن يجعلها تتخطى الحقيقة ، وتسير بعيـدا عن تقلبات حياتهـا الدنيوية ، ونرى ذلك التناقض قـد انتهج حتى فى تمثيل صور الملكات ، فالنحات قد نحت للملكة جسما ممشوق القوام فتى الطلعة وفى الوقت نفسه قد حلى رأسها بشعر الإلهة « حتحور » الغزير ، على أن ملامح وجهها تنم عن شخصيتها المحضة ، وإن كان لا يظهر فيها التقاسيم الدقيقة الجميلة كإظهار عظام الوجه مما يبرز تفاصيله ، ومع ذلك فإن ما مثل أمامنا ملكات ولسن نساء عابرات . وعلى النقيض من ذلك ، قد ظهر بعض تماثيل ساحرة لكبار الموظفين فى هذا العصر ،

إذ ينـدر فى الفن المصرى أن يرى الإنسان موظفا مصريا عظيما يشـعر بشخصيته ورفعة مركزه واحترام مكانته منحوتا فى الحجر مثل تمثال « خرتى حتب »[1] الجالس ، وهو المحفوظ الآن فى متحف « برلين » ، أو مثل تمثال « سبك أمساف »[2] الواقف ، وهو من طرائف متحف « فينا » ؛ على أن بحثنا وراء النماذج الروحية فى التماثيل لا ينعكس فى تقاسيم هـذه التماثيل ، بما توحى به من وجاهة واحترام ، كما نشاهـد فى تماثيل عظماء الدولة القديمة ، بل بمـا يرتسم على محياها من الوداعة ونبذ الكبرياء ظهريا . وليس من الصعب أن نحلل نفسيا الفـرق بين فكرة نحت تماثيـل الملوك ، ونحت تماثيل عظماء الدولة الوسطى . ويتلخص ذلك فى أن الفرعون كان يعلم أنه لا يزال يحتفظ بالكثير من هيبته وجلالته الموروثة ، على الرغم من أنه أخذ يظهر بمظهر البشر ، فى حين أن الموظف الكبير كان لا يزال فى حاجة إلى الظهور بمظهر محاط بالاحترام والوقار ، ولذلك كان لا بدّ من إبراز صورته بما يشعر بمركزه الاجتماعى بين مرءوسيه ، وفى أعين عامة الشعب .

ومـا تجدر ملاحظته فى هـذا الصدد أنه يوجد بين تماثيـل الدولة الوسطى أحيـانا طراز ابتـدع فى هـذا العهد لأول مرة ، وذلك مثـل التماثيل الجالسـة مرتدية ثوبا فضفاضا يلف كل الجسم ، وبجانب هـذه تشاهد كذلك تماثيـل واقفة مرتدية قميصا بارزا ، وأخرى جالسة على الأرض أو راكعة وأطرافها مغطاة بثوب طويل .

تماثيل العمال — أما التماثيل المصنوعة من الخشب ، وهى التى كانت توضع فى المقابر لتقوم مقام الخباز والطحان والعجان والجندى والراعى ، فقـد عثر منها على جيش بأكمله ، ولكن لا بدّ من تمييزها عن التمـاثيل الفنية ، لأن الأولى كانت على وجه عام تصنع بكميات وفيرة وتورد حسب ما يطلب منها .

(1) Steindorff, "Kunst der Agypter", p, 295.

(2) Ibid.

النقوش الغائرة والبارزة — ومنذ إعادة توحيد البلاد نشاهد أن فن النقش سواء أكان غائرا أم بارزا قد وصل إلى القمة ثانية من حيث الإتقان . ويلاحظ هنا كذلك أن التقاليد القديمة قد لعبت دورها فى إحيائها ، فكان لا ينقصها إلا وجود فرصة مواتية لتسترد بهاءها وجمالها ، وقد سنحت الفرصة فعلا فى نقوش الفرعون « منتوحتب الثانى » التى عثر عليها فى « الجبلين » ، فنرى أن الصانع المفتن الذى نقش رسوم الفرعون قد أحكم نقشها بما لا مزيد عليه فى أسلوب قوى كان جديرا بتخليد انتصارات هذا الفرعون على أعدائه من جهة ، وانتصاره فى عالم فن النقش فى عصره من جهة أخرى . والواقع أنه انحدر إلينا من عهد « سنوسرت الأول » عمود حفظت عليه نقوش بارزة رسمت أولا حروفه بدقة ، ثم نقشت بمهارة وحسن تنسيق يثيران الدهشة والإعجاب ، هذا فضلا عن المعبد الذى أقامه نفس الفرعون للإله « آمون » فى صورة « مين » ، وقد كشفت كل أحجاره حديثا فى معبد الكرنك أيضا ويكاد يكون منقطع القرين من حيث الإتقان والإبداع بالنسبة لعصره . وقد عثر على أحجار هذا المعبد ضمن الأحجار التى شيد بها « أمنحوتب الثالث » (بوابته) الثالثة كما ذكرنا آنفا .

وكذلك عثر على نقش لهذا الفرعون أيضا يمثل جزءا من عيد « سد » وهو منظر يمثل احتفال « جرى » الفرعون ، ويلاحظ أنه نقش نقشا بارزا تمثلت فيه القوة والليونة فى وقت واحد . وهذه النقوش تنبعث منها حيوية أكثر من التى نشاهدها على العمود السالف الذكر ، وبخاصة من حيث تأثيرها فى النفس ، إذ تجذب النظر لها اجتذابا ، وعلى وجه عام فإن كل النقوش التى وصلتنا من هذا النوع فى الدولة الوسطى سواء أكانت غائرة أم بارزة كانت قوية لحد يفوق المعتاد ، فهى إذا كانت على النقيض التام لنقوش الدولة القديمة التى كان يظهر فيها الرخاوة والضعف ، ومن جهة أخرى يلاحظ أن الأشكال الجامدة الجافة التى كانت شائعة الاستعمال فى العهد الإقطاعى ، أخذت تسترد صورها المتناسبة الطبيعية يجرى فيها الدم وانبعثت منها الحياة .

ونجد فى مقابر أمراء الإقطاع مادة غزيرة منقوشة على الجدران . والواقع ان هذه النقوش لهـا علاقة وثيقة تربطها بنقوش مصاطب الدولة القديمة . وما جدّ فيها هو على ما يظهر استمرار فى نمو هذه النقوش وارتقائها ، وقد كان ملحوظا منذ الأسرة الخامسة حتى بداية الأسرة السادسة . على أن هذا النمو لا ينطبق فقط على المختار من المناظر ؛ بل كان يشاهد كذلك فى الطراز الذى كان متبعا وقتئذ ، ولذلك نشعر أحيانا بتقدّم ملموس معبر عن حرية لم تكن مقيدة بقواعد المـاضى . مثال ذلك ما ابتدعه المثال فى مقبرة من مقابر « مير »(1) ، فنرى أنه بدلا من فصل أجزاء المنظر الواحد فى صيد الصحراء بخطوط أفقية ممـا كان يشوّه وحدتها ، استعاض بدلا من هـذه الخطوط التى كانت تقطع حبـل الاتصال فى المنظر بخـط ملتوٍ من أعلى يدل على استمرار المنظر ، وكذلك نجـد نفس المتفنن قـد ابتدع بدلا من الصور الهزلية الجميلة التى كانت تبالغ فى تصوير الحقيقة صورة بدوى هزله الجوع حتى أصـبح هيكلا عظميا يسوق قطيع(2) المـاشية إلى قبر سـيده ، ثم رسم نقيضا لهـذه الصورة النحيلة صورة رجل مسنّ بدين بارز الكرش له رأس أصلع ولحيـة كثة مشعثة .

الرسم بالألوان — أما فن الرسم بالألوان فقـد ظهر فى عهـد الدولة الوسطى بقوّة تفوق التى كان عليهـا فى عصر الدولة القديمة ، وقـد كان يستعمل على وجه خاص فى المقـابر المنحوتة فى الصخر ، غير أنه لا توجد أسـباب داخليـة يمكن أن يعزى إليهـا كثرة انتشاره فى هـذه الفترة ، والواقع أنه كان يستعمل من قديم الزمان عند ما كان استعمال النقوش غير ممكن أو بادى الصعوبة ، كما هو الحال فى المبـانى المقامة من اللبن مثـل البيوت والمقابر . هـذا الى أنه كان سهل المنـال فى الاستعمال عنـد ما تكون عمليـة نحت الأحجار ونقشهـا

(1) Blackman "Meir", Vol. 1, Pls. II, III.

(2) Ibid, II, Pl. III

تعترضها المصاعب ، أو غير ممكنة ، وهذا هو نفس ما نشاهده فى مقبرة « كاى أم عنخ[1] » بالجيزة و يرجع عهدها للأسرة السادسة ، فنرى جميع المناظر اللهم إلا حجرة المزار العلوية التى نقشت بصور منحوتة قد رسمت على طبقة من الملاط ، وهـذا هو نفس ما اتبـع فى تزيين جدران الحجر المنحوتة تحت الأرض فى مقـابر الدولة القديمة ، و بخاصة فى « سقارة » و « مير » و « الجيزة » أيضا ؛ غير أن مقابر الدولة الوسطى كانت فى غالب الأحيان منحوتة فى الصخور ، وكانت أحجـارها تتطلب كذلك من المثال جهـدا كبيرا لإخراج نقوش جميـلة ، ولذلك كانت طريقة وضع طبقة من الملاط ثم رسم المناظر عليها فى الحقيقة أبسـط وأقل تكاليف من النقوش المنحوتة . نعم كانت هـذه الرسوم أقل تمـاسكا ، فضلا عن أنه كان من نتائج استعمالها نبذ التظليل الجميل الذى كانت تمتاز به النقوش المصرية الغائرة والبارزة على السواء ، وهى التى تحتل مركزا وسطا بين فن نحت التماثيل والرسم بالألوان .

وكان من نتائج كثرة استعمال الرسم بالألوان أن أدّى ذلك بطبيعة الحـال الى نهضته وازدهاره بدرجة عظيمة ، وذلك أن التفاصيل فى التلوين لم يكن يسبق لها مثيل ، وحسبنا مانشاهده فى رسم الحيوانات ، بل قد ظهر فيه كذلك تقدّم بخطوات واسعة المدى فى التخلص من القيود القديمة ، ولذلك نرى فى رسم حركات الحيوان حرية ملموسة ، هذا الى أن رسم الأشياء المنظورة كانت تمثل كما هى .

الصناعات اليدوية — أما الصناعات اليدوية فقـد مرت بعصر ازدهار جديد ، غير أنه لم تبق لنا يد التخريب من تراث هذه الصناعات العظيمة الإنتاج إلا الشىء القليل ، وهو مع ذلك يدل على ما كانت عليه من الفخامة والرونق والبهاء ، ولا أدل على ذلك مما تبقى لدينا من صناعة الخزف الملون الفاخر ، مثال ذلك الدمى التى تمثل أفراس البحر ، ويحتوى المتحف المصرى على نماذج منها . وكذلك توجد منهـا قطع فى متاحف « لندن » و « فينا » ، وهى بسيطة فى صناعتها ، ولكنها

(1) Junker Giza, IV, Die Mastaba des Kai-em-anch.

فى الوقت نفسه فريدة فى حسن تصويرها ، يضاف الى ذلك قطع مختارة من الخزف الملون وأوانٍ مختارة تدل على سلامة ذوق صانعها .

الصياغة فى هذا العصر — أما ما وصل إليه الصائغ من الدقة الفنية وعلو الكعب فى فنه فتدل عليه المجوهرات التى عثر عليها فى «دهشور» وقد فصلنا القول عنها فيما سبق .

والواقع أن كنز دهشور[1] قد أهدى إلى العالم مجوهرات لأميرات من الدولة الوسطى فريدة فى حسن ذوقها ، من بينها تاجان لا نظير لهما فى حلاوة السبك ورقة الذوق .

وقد أصبح طرازهما كلاسيكيا ، هذا إلى صدريات من ذهب مرصع بأحجار ثمينة ، وأساور ، وتعاويذ ، وعقودٍ صيغت من أثمن المواد ، غير أن صياغة الصدريات قد أخذت تنحط بعض الشىء فى أواخر الأسرة الثانية عشرة كما يشاهد ذلك فى الصدرية المنسوبة للملك «أمنمحات الثالث» .

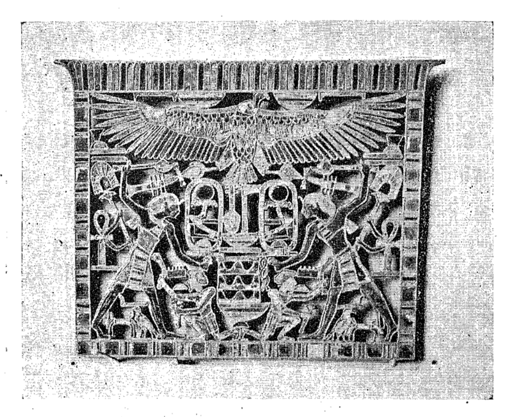
وقد ساد فى صياغة العقود استعمال أحجار «الجمشت» (الأمتست) والكرنالين — وكانت تصاغ فى هيئة حبات مستديرة مع حبات الذهب .

أوّل ظهور الجعارين — وقد ظهر كذلك لأوّل مرة فى التاريخ المصرى الجعارين كما ذكرنا آنفا ، وقد استعملت فى صور تعاويذ ثم أصبحت يتخذ منها أختام . وكانت فى بادئ الأمر تستعمل غالبا للزينة .

وقد صنعت من الأحجار نصف الكريمة عارية عن أى نقش ، ثم صنعت بعد ذلك من الخزف المطلى وحليت بأشكال حلزونية على باطنها الذى كان يصنع مسطحا لهذا الغرض . ويمكن الحكم على مقدار ذوق القوم السليم فى اختيار المادة التى

(١) ويجد القارئ قائمة بمجموعة القطع التى كانت ضمن مجموعة «ماك جريجور» من هذه الكنوز ، وقد اشتراها من اللصوص «أرل كرنارفون» وباعها ورثته بدورهم الى متحف «مترو بوليتان» بأمريكا (راجع A. S., Vol. XXXIII, p. 135.)

كانت تصنع منها هـذه الجعارين وفى الشكل واللون وعظم انتشارها بما نشاهده فى القطع المنتخبة التى عثر عليها حتى فى الجبانات الصغيرة جدًا .



شـكل رقم ٣٢ (صدرية أمنمحات الثالث)

الأوانى الحجرية — أما الأوانى الحجرية فكان استعمالها فى الدولة الوسطى يحتل مكانة عالية تلفت النظر — والواقع أن استعمالها وقتئذ كان إحياء للقديم .

حقا لم يلعب اسـتعمالها الدور الذى كانت تلعبه فى الأزمان الأولى ، غير أن انتشار صنعها من الأحجار الصلبة كان لا يزال كما كان عليه من قبل ، ولذلك تنم لنا الأدوات والزجاجات والأطباق التى عثر عليها مصنوعة من الأحجار عن الذوق المصرى الحقيقى . وكان أشراف القوم وعليتهم يستعملون هذه الأدوات فى صـورة مكبرة ومصنوعة فى صور خالية عن كل الرسوم الرخيصة المبتذلة .

صناعة الخزف — أما الخزف فقـد اندمجت صناعته فى شخصية فن الدولة الوسطى ، ولهذا هجر استعمال الطراز الذى كان شائعا فى الدولة القديمة . وقد كان

الاتجاه فى هذا العصر يميل نحو الأشكال البسيطة الرشيقة، هذا إلى أن حب تميقها وتزيينها قدا نتشر ثانية بصورة واضحة. (راجع .Junker, "Agypter," pp. 97 ff).

الأدب فى عهـــد الدولة الوســطى

لا نزاع فى أن ما بقى لنا من تراث أدب الدولة الوسطى يعدّ بمثابة مرآة ينعكس عليها انعكاسا صادقا روح العصر الذى تمثله . وفى الحق أن المظهر الروحى لهذا العصر يبرز فى الطليعة بوضوح بيّن ، وإن كان غالبا لا يجد من التعابير الخلابة المتكلفة فى نظرنا ما يعبر به، كما نجد فى أدب العصر الذى سبقه، وهو عصر الكارثة التى حلت بالبلاد فى باكورة العصر الإقطاعى ، كما أوضحنا ذلك فى الجزء الثانى من هـذا الكتاب (راجع ص ٤٢٦)؛ ومع ذلك فإن الحركة العنيفة التى قاستها مصر واكتوت بويلاتها كانت لا تزال تهز البـلاد فى أوائل العهد الذى نحن بصدده ، ولا أدل على ذلك من تعاليم «أمنمحات» التى تعتبر أهم قطعة أدبية فى هذا العصر فهى وصية جاءت على لسان «أمنمحات» لابنـه ووريثه «سنوسرت الأول» ، استعرض فيها الكاتب «خيتى» كل مأساة حياة «أمنمحات» . فهذا الملك العظيم المخلّص لبلاده، وصاحب الانتصارات فى عدّة مواقع، يقف وحيدا وقت الشدّة، ولا أحد يعترف له بجميل ممن كانوا حوله ، إذ قامت ضـدّه مؤامرة فى عقر داره صمد أمامها ولاقى فيهـا حتفه . ولكنه نصح لابنـه من وراء صحـائف قبره أن يحتمل أعباء الملك مثله بقلب شجاع . (راجع ص ١٩٠ الخ) .

وفى هذا الوقت نفسه كتبت «نبوءات نفرروهو» وهى تمجد «أمنمحات» فى صورة تنبؤات قيلت فى الأزمان الغابرة (أنظر ص ١٧١ الخ) . وكذلك ألفت مخاطرات «سنوهيت» فى باكورة عهد الأسرة الثانية عشرة وهى عبارة عن حوادث تاريخية حيكت فى ثوب أدبى قصصى ، ويجد القارئ فى هذه القصة مع حوادثها الظاهرة أنها قد اندمج فى نسجها الفنى تنسيق روحى (راجع ص ١٨٧، ٢٠٤، ٢٣٣ الخ) .

وأخيرا نجد فى هذه المجموعة الأدبية «قصة الغريق» وهى لا تقل فى الحوادث الخرافية التى تروى عن البحار السندباد المصرى، بل إن مغزاها فى تجارب الحياة هو أن يحافظ المرء على شجاعته وثقته بنفسه والهدوء ورباطة الجأش (راجع ص ٢٥٠ الخ) . يضاف إلى كل ما تقدّم تعاليم « خيتى بن دوا وف » لابنه « بيبى » وقد فصلنا فيها القول فيما سبق .

هذا من جهة الأدب القصصى والتعليمى ، أما فى فنون الشعر فقد وصلتنا من هذا العهد بعض قصائد مديح وأخرى دينية محضة . وكذلك لدينا بعض الأغانى الدنيوية الطريفة . وأخيرا وصلت إلينا مسرحية لتتويج الفرعون من عهد «سنوسرت الأول» (راجع كتاب الأدب المصرى جزء ٢ ص ١٩ الخ) .

العدالة الاجتماعية وتعميم المسئولية الخلقية
فى عهد الدولة الوسطى

لم ينشأ هذا النظام الحكومى الدقيق ، ولم تظهر تلك الصفات والأخلاق الكريمة التى كان يتخذها حكام الدولة الوسطى نبراسا يسيرون على ضوئه من تلقاء نفسها، بل ترجع إلى عوامل إصلاح اجتماعية كانت قد بدأت ترسم خطتها منذ أن قلبت الأوضاع الاجتماعية على أثر سقوط الدولة القديمة ، وانهيار الملكية الضعيفة البغيضة ، وقيام حكم أمراء الإقطاع واستئثارهم بالسلطة . وقد قام بحملة الإصلاح هذه كتاب اجتماعيون قد فصلنا الكلام فيما قام به كل منهم، فبعضهم كان متشائما ، وآخر كان متفائلا بعض الشىء . وقد رأينا بعض أولئك المتفائلين فى المستقبل، و إن الملك العادل الذى يتوقع مجيئه قد يكون عاجزا عن أداء رسالته دون أن يساعده طائفة من الموظفين العدول . ولا بدّ أن القارئ قد أدرك فى قصة الفلاح الفصيح أن الغرض منها هو المساعدة على إنشاء طائفة من الموظفين المتصفين بالكفاية والأمانة حتى يقوم على أكتافهم بناء طبقات العهد الجديد

الذى تسود فيه العدالة الاجتماعية . والآن لا يسعنا إلا أن نتساءل عما إذا كانت تلك المقالات الاجتماعية التى وضعها أعلام الفكر فى هذا العصر قد أصبحت هى الحقيقة المعبرة عن القوى الاجتماعية التى كانت تجيش فى صـدور الشعب فى ذلك العهد ؟ والواقع أن هـذه المقالات الاجتماعية كان لها أثر عظيم فى نفوس الشعب المصرى فى ذلك العهد، وفى العهود التى تلت لدرجة أنها كانت تتخذ بمثابة نموذج أدبى يحتذى حذوه فى عهد الدولة الحديثة ، إذ قد عثر على بعض شظيات فى عهد الدولة الحديثة كتب عليها أجزاء من «قصة الفلاح الفصيح» . غير أنه لدينا أسئلة أخرى ، وهى هـل الوثائق التى عثرنا عليها حتى الآن ، وهى الخاصـة بكشف النقاب عن حالة قدماء المصريين الاجتماعية والحكومية فى العهد الإقطاعى ، تدل على أن تلك الحملة الكتابية المقدّسة التى قامت فى سبيل إرجاع العدالة الاجتماعية قد أدّت إلى النتيجة التى كان ينشـدها الكتاب ؟ أو هل الآمال فى ظهور المخلص وقيام المثل العليا للحياة الاجتماعية التى تكلم عنها المتنبئون الاجتماعيون أمثال «ابور» و « خع خبر رع سنب » فى ذلك العصر صراحة قـد بقيت مجرّد أحلام ؟ وهـل استمرّت تلك الصور الكئيبة المحزنة التى قرأناها فى مقالات رجال الفكر المتشائمين أمثال «الرجل الذى سئم الحياة» و «خع خبر رع سنب» ونصائح «خيتى بن دواوف» التى قيلت على لسان «أمنمحات الأول» ، تدل على الحقيقة الواقعة؟ وهل تلك النهضة التى قامت فى العهـد الإقطاعى مترسمـة ما يمكن أن يكون الخلق الحقيقى للمجتمع البشرى ورغبته فى التخلص من تلك الأوهام المزعجة التى نتجت عن ذلك قد بقيت موجودة دون أن تصل لأية نتيجة إنسانية ذات ثمـار؟ ولقد شاهدنا فى شكوى « خع خبر رع سنب » (راجع الأدب المصرى القديم ص ٢٩٠) أن آمال الذين ينتظرون ظهور البطل الذى سيخلص البـلاد من ويلاتها كانت مؤسسة على ظهور ملك عادل، فى حين أنه كان من جهـة أخرى يوجد مصلحون اجتماعيون لهم آراء عملية أكثر من غيرهم . وهـؤلاء كانوا يحثون فى قلب نظـام المجتمع ، متوسلين فى الوصـول إلى ذلك بإيجاد جيل جديد من الموظفين العدول . ورغم ما كان

عليـه « أمنمحات » من تشاؤم ، فقد ظهرت لنا أدلة قاطعـة تبرهن على أنه هو نفسه قد قام بمجهودات ومشروعات دبرت بعناية لتضمن له عهد حكم عادل ، وقد تكلمنا عنها فيما سبق . وقد كان الوزير الأعظم فى تلك الفترة هو لسان حال الفرعون ، و يعتبر أهم عضو فى الحكومة بعـده ، كما ذكرنا آنفا . وقـد حفظت لنا نسخ من الخطاب الذى كان يوجهه الملك شـفويا فى ذلك العهد « لوزيره الأعظم » ، غير أن النسخ التى فى أيدينا يرجع تاريخها إلى الدولة الحديثـة فقط ، أى بعد العهـد الإقطاعى ببضعة قرون . وقد كان الملك يُلقى ذلك الخطاب كلما سنحت له الفرصة ، عند إسناد مسئولية الحكم للوزير الجديد . وهذا الخطاب العظيم يقدّم لنـا الدليل على أن أحلام المتنبئين أمثال «ابـور» و « نفرروهو » اللذين كان يتنبآن بظهور مخلص للبلاد من شقائها قد حققت أمانيهم فيما له علاقة بالأخلاق الملكية ، إذ أن روح العدالة الاجتماعية الذى كانوا يشعرون به قد وصل إلى الفرعون نفسه ، ثم انتشر حتى فى نفس كيان الحكومة كما يدل على ذلك نص[1] هذا الخطاب فاستمع إلى ما جاء فيه :

وكان أعضاء المجلس يجتمعون فى قاعة استشارة الفرعون (له الحيـاة والفلاح والعافية)؛ وكان الملك يأمر بإحضار الوزير الذى نصّب حديثا و يقول له جلالته : "تبصر فى وظيفة الوزير ، وكن يقظا للقيام بكل مهامها . انظر ! إنها الركن الركين لكل البلاد . واعلم أن الوزارة ليست حلوة المذاق بل إنها مرة ... ... فالوزير هو النحاس الذى يسور حول ذهب بيت سيده ، واعلم أن الوزارة لا تعنى إظهار احترام الناس للأمراء والمستشارين ، وليس الغرض منها أن ينتخب الوزير لنفسه عبيدا من الشعب . واعلم أنه عنـد ما يأتى إليـك سائل متظلم من الوجه القبلى ، أو من الوجه البحرى ، أو من أى بقعة من الدولة ، فعليك أن تطمئنه إلى أن المعاملة التى عومل بها كانت وفق القانون ، وأن كل شىء قـد تم حسب العرف . فتعطى كل

(1) Breasted, "Dawn of Conscience", p.208-212, 216-217, 342-343.

ذى حق حقه . واعلم أن الأمير يحتل مكانة بارزة، وأن الماء والهواء يخبران بكل ما يفعله . واعلم أن كل ما يأتيه لا يبقى مجهولا أبدا ... ... "

وبعد ذلك يضع الفرعون لوزيره التفاصيل التى يجب أن يسير على نهجها فى القضايا التى تقدم إليه ، ثم يستشهد له فى ذلك بقضية حكم فيها ظلما أو خطأ وزير يسمى « خيتى » ، وهو وزير قديم ذائع الصيت من عهد الدولة القديمة إذ يقول : " انظر إن ما ألقيته عليك مدوّن فى تعيين الوزير فى « منف » عند ما كان ينطق به الملك ليحث الوزير على الاعتدال .. ... احذر ما قيل عن الوزير «خيتى» فإنه حكى عنه أنه جار فى حكمه على بعض عشيرته الأقربين ممالئا أجنبيا خوفا من أن يتهم بمحاباة أقاربه خيانة منه، وأنه عند ما استأنف أحدهم هذا الحكم الذى أصدره ضدّهم أصر على حكمه المجحف . واعلم أن ذلك يعدّ تخطيا للعدالة ، فلا تنس أن تحكم بالعدل ، لأن التحيز يعدّ طغيانا على الإله . وهذا هو التعليم (الذى أعلمك إياه)، فاعمل وفقا له .

وعامل ما تعرفه معاملة من لا تعرفه، والمقترب من الملك كالمبعد عنه، واعلم أن الأمير الذى يعمل بذلك سيستمرّ هنا فى هذا المكان (أى كرسى الوزارة ... ... ولا تغضبن على رجل أخطأ ، بل اغضب على من يجب الغضب عليه . اجعل نفسك مهيب الجانب، ودع الناس يهابونك، والأمير لا يكون أميرا إلا إذا هابه الناس ... ...، واعلم أن الخوف من الأمير يأتى من إقامته للعدل .

واعلم أن الرجل إذا جعل الناس يخافونه أكثر مما يجب دل ذلك على ناحية نقص فيه فى نظر القوم . ولذلك لن يقال عنه إنه رجل بمعنى الكلمة . واعلم أن رهبة الأمير تبعث الخوف فى نفس الكاذب ، عند ما يعامله الأمير حسب خوفه منه . واعلم أنك ستصل إلى ذلك إذا جعلت العدل رائدك فى عملك . تأمل ! دع الرجل الذى يؤدّى وظيفته يعمل حسبما يؤمر به، واعلم أن نجاح الرجل هو أن يعمل حسبما يقال له ، ولا تتوان قط فى إقامة العدل والقانون الذى تعرفه .

واعلم أنه جدير بالملك أن لا يميل إلى المستكبر أكثر من المستضعف . انظر فى القانون الملق على عاتقك (تنفيذه)" . ويلحظ فى هـذه الوثيقة الحكومية أن أهم تشديد فيها منصبّ على العدالة الاجتماعية ، فلم يكن الغرض من الوزارة إظهار ما للأمراء والمستشارين من فضـل على غيرهم أو استعبادهم أى فرد من أفراد الشعب ، بل إن كل عدالة تجرى بتطبيق القانون فى كل قضية ، ويجب على الوزير ألا ينسى أن وظيفته بارزة جدّا ، ولذلك كانت كل تصرفاته معروفة شائعـة بين الناس حتى أن المياه والرياح كانت تذيع أخباره بين الأنام . على أن العدالة لا تعنى أن يقـع أى ظلم على من كانوا من أصحاب المكانة الساميـة كما حدث فى القضـية المشهورة التى حكم فيها « خيتى » ضدّ أقاربه ، مع أن الحق كان فى جانبهم ، وهذا لا يتفق مع العدالة المنشودة . هـذا وتعنى العدالة من جهة أخرى الحيـاد المطلق والمساواة بين النـاس دون تمييز فرد على فرد ، فيكون سواء لديك من تعرفه ، ومن لا تعرفه ، ومن قرب من الملك ومن لا علاقة له بأحد من بيت الملك .

وإدارة الأمور على هذا النحو تضمن للوزير الاستمرار الطويل فى وظيفته . ومن الواجب المحتم على الوزير أن يظهر منتهى الحزم عند الغضب ، إذ من واجبه أن يكبح غرب جمـاح غضبه ليكسب بذلك احترام الشعب له ، ورهبتهم منـه ، ويجب أن يكون عماد هـذه الرهبة الوحيد إقامة العدل من غير تمييز ، لأن الرهبة الحقيقية من الأمير هى إقامة العـدل ، ومن ثم لا يكون فى حاجة إلى بعث خوفه فى نفوس الناس بالشدّة والغطرسة ، إذ أن ذلك يولد تأثيرا كاذبا عنه بينهم ، فإقامة العدل كافية وحدها لأن تكون لهم رادعا . والناس يتطلعون إلى العدالة فى ديوان الوزير ، لأن العـدالة كانت قانونه المعتاد منـذ أن قام بالحكم إله الشمس فوق الأرض . ولقد كان قدماء المصريين فى العهد الإقطاعى ينظرون إلى ذلك بثاقب النظر إلى الوراء خلال ألف السنة التى مكثها اتحاد مصر الثانى إلى عهـد الاتحاد الأوّل الذى كان قائمـا فى « عين شمس » . ومنذ ذلك العهـد كان الوزير هو

الشخص الذى يذكر فى أمثالهم بأنه سيقيم العدل بين الناس كلهم ، فنجاح الرجل كان يتوقف على مقدرته فى تنفيذ تلك التعليمات واتباعها « وعلى ذلك لا تتوان فى تصريف الأمور بالعدل » ولا تنس أن الملك يحب الضعيف ومن لا ناصر له أكثر من المستكبر .

أما فيما يختص بالأراضى التى يحتمل أنها تكون ثروة الملك وكذلك فيما يختص بالموظفين المكلفين برعايتها فإن الملك قد ختم ذلك القانون الذى يسمى بحق دستور إعلان الحقوق للفقراء بالكلمات التالية : "راع القانون الذى ألقى على عاتقك" .

ويجوز أن رؤية الملك المثالى الذى ذكره « أبور » أمام البلاط ، أو الرؤية المظلمة لصورة الفساد التى صوّرها « الرجل التعس » ، أو رؤية ذلك المنظر الرائع الذى دل على الاضطهاد الرسمى ، وهو الذى كشفته قصة الفلاح الفصيح ، هى التى أحاطت العرش الملكى بنور فياض من العدالة الاجتماعية ، حتى أن تنصيب رئيس الوزراء رئيسا لقضاة البلاد جميعا ، قد جعل الملك يلقى خطبة العرش هذه فتكون بمثابة تصريح رسمى من رئيس البلاد الأعلى إلى موظف منفذ للعدل ، ويشمل كل المبادئ الأساسية التى تقوم عليها العدالة الاجتماعية .

ويمكننا إذاً أن نقول بحق بناء على ما ذكرنا أن تلك الوثيقة الرسمية المملوءة بروح العدالة الاجتماعية إلى حدّ بعيد كانت النتيجة المباشرة لتلك المقالات الاجتماعية التى دوّناها فى هذا الكتاب وفى الجزء الثانى من هذه المجموعة .

وتوجد أدلة كثيرة على صحة هذا الاستنتاج ، إذ أن نفس الاحترام الذى أظهره الفرعون فى هذه التعليمات بتفضيله الضعيف على المستكبر أو العنيف القلب يوجد مثله فى تحذيرات « أبور » ، وعلى وجه عام فإن قانون تنصيب الوزير يتفق تمام الاتفاق مع تعاليم تلك المقالات المصرية الاجتماعية السالفة الذكر .

وسواء أكان المقصود من سياسة الملك الاجتماعية المذكورة فى مقاله ذلك هو إجابته الخاصة عن تلك المقالات أم أوحى به إليه ، فليس لذلك أهمية ذات شأن ،

إذ كان من الظاهر جدًا أن موضوع « الوعى» فى ذلك العصر الإقطاعى قد صار يعد شيئا أكثر من مجرد تأثير خاص بسلوك الفرد، فقد صار الضمير فى الواقع قوة اجتماعية ذات تأثير عظيم على الحياة الاجتماعية لأول مرة فى التاريخ البشرى .

ومن الواضح أن الفرعون قد صار منقادا لنفوذ رجال الفكر الأدبى فى ذلك ، وبهذا صارت سياسة العدالة الاجتماعية تكوّن جزءا من هيكل النظام الحكومى . وقد انتهى عهد تلك الأيام الخالية التى كان يعتبر فيها سلوك الإنسان الخلق مرضيا برضاء الأب ، والأخوة ، والأخوات فقط . وجاء العهد الذى يصح أن نسميه عصر الوعى الاجتماعى، وهو الذى بحلوله بزغ عصر الأخلاق والمسئولية الخلقية العامة . وقد رأى أنصار ظهور البطل المخلص الاجتماعى أن حلمهم قد تحقق بظهور الملك العادل عند ما اعتلى « أمنمحات الأول » عرش الملك ، ولكننا من جهة أخرى نتساءل عما صار إليه المصلحون الذين كانوا أقل سموّا فى مطامحهم ، وأعنى بهم الذين كان أساس آمالهم إنشاء جيل جديد من الموظفين العدول كما جاء فى قصة الفلاح الفصيح .

وحقيقة الأمر أنه لا يمكننا أن نفصل المنهاجين أحدهما عن الآخر، لأن حكم الملك العادل لا يكون له تأثير بمفرده قط ، إذا لم يعتمد على طائفة من الموظفين العدول ليقوموا بتنفيذ السياسة الملكية العادلة . وقد كان الملك «أمنمحات» يؤمن بتلك الحقيقة ويرقبها، ولكن لما كان هذا الفرعون غير واثق بالناس، فإن آماله فيهم كانت ضعيفة ؛ مما جعله يرى أن استقامته بمفرده لا تأتى بالنفع المنشود . على أن مؤلف قصة الفلاح الفصيح الذى نجهل اسمه للآن كان يتطلع إلى ظهور نتائج ما كتبه، وأن لدينا بعض الأدلة التى تثبت أنه لم يخفق فيما كانت تصبو إليه نفسه، بل تحققت أمانيه . وقد أبقت لدينا يد الدهر عددا قليلا من الوثائق التى كشفت لنا عن كيفية سير نظام الحكومة المصرية فى ذلك العهد . هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن النقوش الجنازية التى دوّنت على مقابر حكام المقاطعات

والموظفين فى ذلك العهد الإقطاعى قد كشفت لنا عن العقائد الاجتماعية لذلك العصر، ولا أدل على ذلك من النقوش التى وجدت على جدران مقبرة « أمينى » ، فهى فى الواقع تعدّ أثرا جليل القدر فى التاريخ الاجتماعى لذلك العهد ، إذ يسهل لنا على الأقل أن ندرك بعض التأثير على جيل الموظفين الجديد . وكذلك النقش الذى تركه لنا مدير مكتب الوزير فى عهد «سنوسرت الأوّل» ، فقد ذكرناه فيما سلف . ويخيل لنا عند ما نقرأ هذين النصين أننا نسمع فى هذين السجلين صدى الأوامر التى صدرت للوزير عند تنصيبه . وبخاصة فى العبارة التى يقول فيها « أمينى » " إنى لم أرفع الرجل العظيم فوق الرجل الحقير فى شىء أعطيته إياه " . وإنه لمن السهل علينا أن نعتقد أن أميرا كذلك الأمير كان حاضرا بالبلاط الملكى وسمع الفرعون وهو يلقى تلك الأوامر على رئيس وزرائه عند تنصيبه . وإذا كانت إدارة «أمينى» لمقاطعته قد وصلت إلى أى حدّ مما يدّعيه فيما كتبه ، فانه يجب علينا أن نستخلص هنا من ذلك أن تلك الأوامر الاجتماعية التى فاه بها الحكماء الاجتماعيون أمام البلاط الملكى كانت معروفة بدرجة عظيمة ومنتشرة فى طول البلاد وعرضها . وإذا وصل بنا الاستنتاج إلى المثل الأعلى للرقى الخلقى الذى ذكرناه هنا ، فإنه لا يغرب عن الذهن أنه أراد أن يحدث مثل هذا التأثير كما نقرؤه فى تاريخ حياته . وهذه الحالة تنطبق كذلك على سجلات حكام المقاطعات الأخرى فى نفس ذلك العصر . وهذه السجلات نقشت على صخور محاجر المرمر فى «حتنوب» ، وتحتوى على عدّة تأكيدات من صنف الوثيقتين السابقتين إذ تقص علينا أن الأمير كان رجلا خلص الأرملة وواسى المتألم ، ودفن المسنّ ، وأطعم الطفل ، وحمل عبء مدينته كلها فى زمن الجدب . وهو الذى أطعمها فى وقت القحط ؛ وهو الذى زوّدها بسخاء حتى أن عظماءها صاروا مثل أصاغرها .

وكذلك افتخر فى عهد «سنوسرت الأوّل» شريفان فى ترجمة حياتهما بأنهما كانا قاضيين يقومان بتأدية وظيفتيهما بالعدالة وبدون محاباة ، وأنهما كانا لا يفكران

فى مكافأة (رشوة) يأخذانها ، وقد قصا علينا افتخارهما كذلك بنفس لغة النصائح الموجهة إلى « مريكارع» . فهما بذلك يظهران أن المثل العليا الاجتماعية التى فاه بها ذلك الملك الحكيم فى العهد الإهناسى كانت لا تزال ذات نفوذ بعد قرون مضت على التفوه بها فى ذلك العصر الإقطاعى . فمن البدهى إذا أن المثل العليا للعدالة الاجتماعية التى كانت تحتل مكانة بارزة جدًا فى أدب ذلك العصر لم يقتصر تأثيرها على الملك وحده، بل كان كذلك لها أثرها العميق بين طبقة الحكام فى كل مكان .

وحينئذ يمكننا أن ندرك منها حدوث انقلاب عظيم . فالتشاؤم الذى كان ينظر بمنظاره رجال العصر الإقطاعى الأول للحياة الآخرة ، ويتأملون به مصير الجبانات المخربة التى يرجع تاريخها إلى عصر الأهرام، أو اليأس الذى كان يغمر بعضهم فى الحياة الدنيا ، كل ذلك قد قوبل بتيار مضادّ بكتابات تنشد الحق والعدالة الاجتماعية . وهذه الكتابات قد أخرجت للناس فى صورة نصائح وقصص ملؤها الأمل على لسان أولئك المفكرين الاجتماعيين ، وهم رجال رأوا الأمل فى القيام بالمجهودات الإيجابية التى توصل إلى الغرض المنشود .

وعلى ذلك يجب علينا أن نعتبر تحذيرات « ابور » وتنبؤات « نفرروهو » وقصة الفلاح الفصيح من الأمثلة التى تستدعى الاهتمام بالقيام بمثل تلك المجهودات كما يجب أن نتعرف فى كتاباتهم أنها تعبر عن الأسلحة التى استعملها أقدم طائفة قامت بحروب مقدّسة فى سبيل توطيد الأخلاق والمجتمع البشرى .

والواقع أن منتهى ما كان يرغب فى الوصول إليه رجل مثل « ابور » هو خطاب العرش الذى كان ألقاه الملك عند تنصيب رئيس الوزارة .

والحقيقة أن الملك الذى كان فى إمكانه أن يلقى خطابا مثل هذا ليقرب فى سموّه من ذلك الملك الأمثل الذى كان يحلم « ابور » بظهوره ، ومثل الملك الذى اعتقد « نفرروهو » أنه قد عثر عليه . على أن لدينا ما يحملنا من جهة أخرى على الاعتقاد بأن «أمينى» أمير مقاطعة الغزال لا يبعد أن يمثل بحق جيل الموظفين

الجدد العدول ، وهم الذين كان يؤمل مؤلف قصة « الفلاح الفصيح » أن يراهم قائمين بأعباء الحكومة فى مصر .

ويلاحظ أن استحسان الأسرة لسلوك الفرد لم يعد كافيا فى ذاته ، فقد نما عصر تفكير فى المثل العليا للسلوك الشخصى تشمل طبقات بأسرها من المجتمع ، وهو السلوك الذى يكون عرضة لحكم المجتمع عليه . وهذا الحلم الاجتماعى قد وضع الآن فى فم إله الشمس ، فقد قال ذلك الفلاح الفصيح لمدير البيت العظيم : "أقم العدل لرب العدل" ، وكذلك كان يشير فى كلامه إلى هذه الكلمة الطيبة التى خرجت من فم « رع » نفسه "تكلم الصدق وافعل الصدق" وفيها يذكر أن « الصدق » معناه كذلك الحق والعدالة « ماعت » . وقد رأينا فى أوامر الملك للوزير أن ذلك المنهاج الخاص بالشفقة الاجتماعية والعدالة ، وهو الذى يفضل فيه الملك الرجل الضعيف ، ومن لا ناصر له على الرجل القوى المستكبر قد يرمى بوضوح إلى غرض دينى ينسب إلى الإله فيقول الملك فى ذلك : " إنها لعنة من الله أن يظهر الإنسان تمييزا أو محاباة" ، ولذلك ترى أن إدراك العدالة الاجتماعية عندما وجدت منفذا عمليا لظهورها أوّلا فى الملكية المثلى ، ثم بعد ذلك فى أخلاق الفرد المكلف بإقامتها انعكست صورتها على أخلاق إله الشمس ونشاطه ، وهو الملك الأمثل ، وبذلك صار وجوب المحافظة على العدالة الاجتماعية التى أخذ الناس يشعرون بها فى قرارة أنفسهم أمرا إلهيا ، واعتقدوا فى الحال أن مقت أنفسهم للظلم هو مقت الإله للظلم ، وبذلك صارت مثلهم العليا فى الأخلاق هى كذلك مثل الإله . فاكتسب بهذا المظهر الجديد قوّة مسيطرة جديدة . وحينئذ كان من السهل علينا أن نعتقد زيادة على ما ذكرنا أن العدالة هى القانون التقليدى لوظيفة الوزير منذ الزمن الذى كان يحكم فيه إله الشمس مصر . وكذلك كان حكم الفرعون الذى صار وراثيا مدّة ألفى سنة منذ تأسيس اتحاد مصر الأوّل ، وكان المفروض فيه أنه استمرار لسريان دم « رع » وسلالته ، فكان كذلك مستمرّا فى إقامة نظام العدل القديم

الذى أقامه إله الشمس على الأرض . وقد ألقى الملك أمره بكل وضوح على الوزير ، غير أنه لم يتردّد فى الوقت نفسه فى الالتجاء إلى المحكمة العليا ، فكان على الوزير أن يقيم العدل ، لأن الإله الأعظم الذى يشرف على الحكومة يمقت الظلم ، وليس ذلك اتباعا لأمر الملك وحسب .

ويرجع تأثير مثل تلك المثل العالية للعدالة الاجتماعية التى وجدت سبيلها إلى الحكومة بدرجة عظيمة إلى الحالة التى انتشرت بين كل طبقات الشعب — والواقع أن مثل هذه العقائد، لو كانت أعلنت بين أفراد الشعب المصرى فى شكل مبادئ معنوية ، لما لفتت إليها الأفكار ، ولما أحدثت إلا أثرا ضئيلا ، بل قد لا يكون لها أثر بالمرّة . يضاف إلى ذلك أن المصرى كان يفكر دائما فى الصور المحسة، فهو مثلا لا يفكر فى معنى الحب، بل فى المحب ، ولا يفكر فى الفقر، بل فى الرجل الفقير، وهلم جرّا . ولذلك لم يبصر الفساد الاجتماعى ، بل شاهد المجتمع الفاسد ولهذا كان الوزير « بتاح حتب » رجلا قائما بأعباء الوظيفة بإيمان سليم فى قيمة السلوك الحق والإدارة الحقة ليخلق بذلك السعادة ، وسلم إرث تلك التجربة إلى ابنه (راجع الجزء الثانى ص ٤١٧ الخ) ؛ ولذلك فإن « الرجل التعس » كان قد حلّ به الظلم الاجتماعى ، فعبر عنه فى صورة الروح البائس الذى يعبر عن يأسه وأسبابه (أنظر الجزء الثانى ص ٣٢٩ الخ) ، ولذلك كان « أبور » أيضا رجلا تسكن فى نفسه الرؤية التى أدركت كلا من الفساد الفتاك بالمجتمع ، والحلم الذهبى بظهور الملك الأمثل الذى يصلح كل شىء ، وكذلك كان الفلاح الفصيح أيضا رجلا يتألم من اضطهاد الموظفين له ، ويصرخ بأعلى صوته مستغيثا من ذلك الظلم ، ولذلك كانت الأوامر التى جاءت على لسان الملك « أمنمحات الأوّل » أيضا تظهر فى أنه يتألم من الخيانة المخزية التى حدثت له وجعلته يحذر ابنه أن يضع كل ثقة بالناس، وذلك بإلقاء تجاربه تلك بين يدى ابنه «سنوسرت الأوّل » .

ولذلك كان من اللازم أن تكون هذه العقائد أو التعاليم التى تعزى إلى أولئك المفكرين الاجتماعيين فى شكل تمثيلى ، أو كان يعبر عنها فى صورة محاورات نشأت عن تجارب وحوادث مثلت كأنها حقائق واقعية .

ولا نزاع فى أن تلك الأبحاث الأخلاقية والفلسفية التى تلق فى صورة محاورات بعـد التمهيد لها بمقدّمة تجعل كل البحث فى هيئـة قصة ، كان لها أثرها فى ظهور الشكل الحوارى فى « آسيا وأوربا » .

وقد لاحظنا من قبل أن المثـل العليا الاجتماعية قد نالت فى العهد الإقطاعى سلطة مقدّسة ، كما أنها عزيت إلى أصل إلهى .

و إنه لمن المهم أن نفحص هنا الدليل على قيام الحقيقة ، ونثبت بصفة قاطعة شخصية هـذا الإله الذى كان يلتجئ إلى سلطانه رجال المثل العليا الاجتماعيون ، وهـذا المثل الأعلى فى الاجتماع ، وهو أقدم شيء من نوعه ، كان بلا جدال مرتبطا بحكم إله الشمس على الأرض ، وهو الذى نعرف أنه كان فى بادئ الأمر إلها للشئون البشرية أيضا فى عالم الأحياء ، فى حين أن « أوزير » كان إلها للموتى . ولا نزاع فى أن « رع » إله الشمس كان هو الملك الأمثل ، وهو الذى كان يجدّد بهاء حكمه الخلق فى الفرعون الذى كان خليفته على الأرض ، ولذا كان يسمى دائمـا ابن الشمس .

ولقد التجأ الملك فى أوامره إلى رئيس وزرائه بأن يجعل ما يضعه من قواعد الحكم منطبقا على حكم إله الشمس : وجريا على تقاليده المتبعة وهو الإله « رع » الذى كان صاحب السيادة على أفكار أولئك الفلاسـفة الاجتماعيين فى العهـد الإقطاعى ، لأننا نجد مثلا فى أغنية الأعمى الضارب على العود (انظر جزء ٢ ص ٤٢٤) أنه حتى مومية المتوفى قد وضعت أمام إله الشمس ، وكذلك كان يتطلع اليه « الرجل التعس » ليبرئه فى الآخرة . وقد كان « خع خبر رع سنب » كاهنا لإله الشمس بمدينة « هليوبوليس » وكانت رؤية « إبور » للملك الأمثل الذى سيأتى فى المستقبل

ليخلص البلاد قد برزت إليه من ذكريات النعيم المقيم لحكم « رع » عند ما كان يقطن على الأرض بين الناس، فى حين أن ملخص كل شكاوى الفلاح الفصيح كانت تنحصر فى هذه الكلمة الطيبة التى خرجت من فم « رع » نفسه وهى: "تكلم الصدق، وافعل الصدق (الحق) لأنه عظيم وإنه قوى ودائم".

فالواجبات الخلقية التى تظهر فى اللاهوت الشمسى ليست إذا إلا صورة لأقدم نظام اجتماعى جديد وجد لم يعرف له نظير فى تاريخ العالم.

وقد كان من أهم نتائج الملكية المثلى لحكم إله الشمس، الأمل فى تكرار هذا الحكم الذى كان مفعما بالخير، وقد كان هذا الأمل هو الذى جلب معه انتظار مملكة تخلص مصر من ويلاتها ستأتى فيما بعد.

ومن الواضح هنا أن علاقة « أوزير » بالمثل العالية للحق والعدالة فى ذلك الوقت كان أمرا ثانويا، لأن « أوزير » كان قد حوكم ثم اتضحت براءته فى قاعة « هليوبوليس » العظمى، أى أنه حوكم أمام محكمة الشمس التى كان معترفا بها أنها المحكمة التى لابدّ أن يفوز الإنسان أمامها ببراءته. وقد حدث ذلك فى الوقت الذى كانت فيه أسطورة « أوزير » لا تزال فى دور التكوين والتأليف.

أما رفع « أوزير » إلى منصب قاض فيما بعد، فليس إلا صبغا لوظائفه بالصبغة الشمسية على أساس المحاكمة الشمسية التى كانت سائدة فى متون الأهرام، إذ نجد فى تلك المتون أن « أوزير » قد صعد بالفعل فوق عرش «رع» السماوى، ثم نراه الآن يستوى على كرسى القضاء الخاص بالإله « رع »، وبهذه الكيفية صار إله الشمس المتصرف الخلق العظيم الذى يحاكم أمامه جميع البشر بمقتضى العدالة، حتى أنه لم يستثن من هؤلاء البشر أحدا حتى « أوزير » هذا. ولا ضرورة للقول هنا بوجود بعض المبادئ الخلقية فى العقيدة الأوزيرية المبكرة، وهى التى نجد بعض الأدلة على صحتها فى المذاهب المحلية، لعدة آلهة مصرية من عصر الأهرام. ولكن يجب علينا هنا ألا ننسى أن متون الأهرام قد حفظت لنا

بعض المتون التى اعتبر فيهـا « أوزير » بعيـدا جدّا عن أن يكون ملكا أمثـل ، أو صديقا للإنسان ، لأنها تميط اللثـام عن عداوته للوتى وخصومته لجميع النـاس (راجع (Sethe, "Pyramiden Textès" 1. 145 b, 146 a)) . ولم يظهر « أوزير » حاميا للعدالة بشكل صريح إلا فى العهـد الإقطاعى . وسنرى الآن أن « أوزير » و « رع » قد وضعا جنبا لجنب فى التفكير الخلقى لذلك العصر . والواقع أنه كان لابدّ فى ذلك الوقت لكل عظيم وكل قوى أن ينتظر المحـاكمة أمام محكمة العـدل، على أن يكون كل من الفقير، ومن لا ناصر له على قدم المساواة معهما فى المعـاملة وفى الأحكام . وتلك المعـاملة لم تذكر فقط فى الاعتقادات الدينية أو المبـادئ الاجتماعية ، بل ذكرت كذلك رسميا فى السياسـية الملكية . ولا يكاد يكون هناك أى شك فى أن مثل تلك العقائد الخاصة بالعدالة الاجتماعية كما وجدناها فى هـذا العصر قد ساعدت مساعدة عظيمة على نمو الاقتناع بأن الإنسان الذى يصير مقبـولا أمام محكمة عدالة الإله العظيم هو الرجل الذى لا يكون صاحب سـلطان وثروة، وإنما يكون رجل الحق والعدالة . والكهنة الذين كانوا مشتغلين باللاهوت فى ذلك العصر قـد تأثروا تأثرا عظيما بذلك الميـل الذى يرمى إلى نشر الديمقراطية (أى تعميم المساواة بين الناس) ، ويكشف لنـا عن مقدار ذلك التأثير خطاب أساسى هام لإله الشمس عثر عليـه فى متون التوابيت الخشبية التى يرجع تاريخها إلى ذلك العصر الإقطاعى فاستمع لمـا يقول :

" لقد خلقت الرياح الأربعة ليتنفس منهـا الإنسان مثل أخيه الإنسان مدّة حياته ، ولقـد خلقت المياه العظيمة ليستعملها الفقير مثـل السيد ، ولقـد خلقت كل رجل مثل أخيه، وحرمت عليهما إتيان السوء، ولكن قلوبهم هى التى نكثت بمـا قلته . ولقد جعلت قلوبهم لا تغفل عن الغرب (الموت) ليقربوا قربانا للآلهة المحلية " . وإنه لأمر هام جدّا أن نجد فى هذا المتن المساواة التامة بين بنى الإنسان فى قوله : " لقد خلقت كل إنسان مثل أخيه " . وكذلك أظهر لنا حقيقته الخلقية

فى قوله : " ولقد حرمت عليهم السوء ولكن قلوبهم هى التى نكثت بما قالته " مع أن ظهور مثل هذه النظرة إلى الانسانية ، وهى نظرة قضت على كل الفوارق الاجتماعية فى نظر الخالق العظيم عنـد خلقه للناس ، وجعلهم متساوين أمام المسئولية الخلقية يعـدّ أمرا غريبا و يزيد فى غرابته ظهوره قبل المسيح عليه السلام بألفى سـنة[1] ، فإننـا نلاحظ أن ظهـور ذلك الرأى كان معاصرا على وجه التقريب لعهـد الملك « حمورابى » الذى سنّ قانونا للعقوبات ليعامل به أهل عصره وقـد جاء فيـه : إن كل الجرائم والأحكام القضائيـة ترتب حسب المركز الاجتماعى للمجرمين ، أو مكانة المتخاصمين الاجتماعية " . وهذه الحقيقة تفسر لنا على الفور السبب الذى من أجله اعتبر ما أضافته المدنية « البابلية » الى إرثنا الخلق فى غربى آسيا فى حكم العـــدم .

ومن ثم نجـد أن الحقوق الخاصـة التى كان يدّعيها العظماء والأقوياء لأنفسهم من الإجلال والسعادة فى عالم الآخرة . أخذت تختفى وتزول فى هذا الوقت .

ومن هنـا أيضا بدأت المساواة تنتقل إلى التمتع بنعيم الآخرة لجميـع البشر على السواء، ومعنى هـذا أن عالم الحياة الآخرة قـد صار كذلك ديمقراطيا لكل البشر، وذلك تبعا للآراء الخاصة بالعدالة الاجتماعية التى ظهرت فى العهد الإقطاعى .

الحياة الدينية فى عهد الدولة الوسطى

لقد كان من نتائج تدهور السلطة فى البـلاد بعد سقوط الدولة القـديمة أن أصبحت الحالة الاجتماعيـة فى تأخر ملموس فى كل نواحيها . فقـد كان المعمار وزخرفة المقابر يظهر فيها الانحطاط من جيل إلى جيـل ، وقد كان القوم يحاولون أن يقلدوا المناظر القديمة ، غير أن قلة المـال والاستعداد العقلى قد قاما حائلا دون بلوغ ذلك . ولذلك نشاهد ممـا بقى لنا أن عتاد المقابر أخذ يتضاءل أكثر فأكثر

---

(١) ولقد ورد فى القرآن « يأيها الناس إنا خلقنا كم من ذكر وأنثى وجعلنا كم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

حتى أصبح شيئا حقيرا تافها ، لأن أهل هذا العصر لم يكن لديهم الموارد التى كانت فى يد رجال الدولة القـديمة ، وكذلك نشاهد فى هـذا العصر أن رجال الفن قد اختفوا ، ولم يبق إلا أصحاب الحرف والصناعات ، ومع ذلك فإن عصر الانحطاط هذا كان له أهمية عظمى فى تاريخ مصر ، لأنه كان من نتائج محو سلطة الأشراف أن قام فى البلاد طائفة الطبقة الوسطى لتناهضها ، فاكتسبت من الحقوق ما كان له شأن عظيم فى توطيد العدالة الاجتماعية . و إذا كنا نلاحظ أن مقابر هذه الطبقة كانت أبسط بكثير من مقابر هؤلاء الأشراف ، فإننا من جهـة أخرى نلاحظ أن المبادئ الأصلية فى عبادة الأموات ومعتقداتهم ، وهى التى كانت وقفا على علية القوم ، قد أصبحت ملكا مشاعا لكل الشعب المصرى . ويرجع السبب فى ذلك أيضا الى ما قام به رجال الفكر فى هـذا العصر من حملة شنعاء على النظم القـديمة العتيقة ، والمطالبة بحقوق الإنسان فى هـذه الحياة وفى الحياة الآخرة ، ناشدين الوصول الى مساواة الناس جميعا فى الدنيا والآخرة . وقد تكلمنا فى الفصل السابق عن العدالة الاجتماعية فى هـذه الدنيا ، وسنتناول الآن الكلام عن العدالة فى حقوق الإنسان فى الآخرة ، ومعتقدات القوم عامة فى هذه الفترة .

لقد كان من نتائج التخريب والتدمير والفوضى التى حدثت فى البلاد فى العهد الإقطاعى الأوّل أن تحوّلت النفوس الى سوء الظنّ والتشكك فى فائدة الاستعداد للحياة الآخرة الذى كان مظهره بناء قبر ضخم مجهز بالأثاث الجنازى ، وبخاصـة أن كتّاب هذا العصر أخذوا ينادون بعدم فائدة العتاد المـادى للتوفى ، غير أن المعتنقين لهذا المذهب كانوا فئـة ضئيلة جدّا ، وذلك بالرغم من مبالغـة الكتّاب فى هـذا الاتجاه ، كما أشرنا الى ذلك فيما سبق . والواقع أن مثل تلك الاتجاهات كانت من جهة من مستلزمات عقيـدة التشاؤم واليأس المطلقين ، كما كانت من جهـة أخرى من مستلزمات الاعتقاد بضرورة التحلى بالقيم الخلقية للحياة الآخرة بدلا من الالتجاء الى الوسائل المـادية التى كانت تنحصر فى بناء المقابر الضخمة وتزويدها بالأوقاف

والكهنة . وهذا الاعتقاد الخلق أخذ ينمو و يزداد نفوذه ، غير أن هذه الآراء التى كانت تعتبر ثورية و رجعية على العادات القديمة لم يخدر فى تيارها الجم الغفير من الشعب المصرى القديم ، ولذلك لما صارت سعادة الآخرة حقا مشاعا لجميع المتوفين ، كما سنرى ، فإن عامة الشعب الذين كانوا متمسكين بامتيازاتهم هذه الجديدة التى تجعل لهم حق التمتع بذلك المصير السماوى الفخم ، والذى كان منذ زمن بعيد حقا موقوفا على الفرعون فقط ، قد اتخذوا تلك الشعائر الجنازية ، واستمروا قائمين بالمحافظة على مزاولتها . وقد استمرت العناية بإقامة تلك الشعائر تزداد وتنتشر دون أى التفات الى ذلك الصمت البيّن ، والخراب البادى اللذين كانا يخيمان فوق هضبة الأهرام ، وفوق جبانات الأجداد القدامى ، ولذلك نجد أنه بالرغم من أن والد « مريكا رع » كان يشعر وهو يلق تعاليمه لابنه شعورا عظيما بتلك الأهمية الخطيرة التى تنتج من التحلى بالأخلاق القيمة ، فإنه مع ذلك لم ير بدّا من الإفصاح لابنه بضرورة العناية بإقامة القبور إذ يقول له : " زين مثواك (أى قبرك) الذى فى الغرب ، و جمل مقعدك فى الجبانة " ، ثم اضطر أن يضيف الى ذلك قوله : "كانسان أقام العدالة ، لأن ذلك هو ما يرتكن عليه القلب " .

و يتضح من ذلك القول أن هذا الملك لم يكن يعتبر القبر الوطيد البنيان وحده كافيا لضمان السعادة فى الحياة الآخرة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نجد أن « ابور » قال فى تحذيراته للملك فضلا عن ذلك : " فإنه من الخير أن تقيم أيدى الناس الأهرام وتحفر البحيرات وتغرس خمائل الجميز للإله " . والواقع أن فقدان القبر كان يعدّ فى نظر الموظف الثرى أقطع دليل ممكن على عدم ولائه للفرعون . ولذلك قال حكيم لأولاده : " لا قبر لإنسان خارج على جلالة الفرعون ، بل إن جثته سيلق بها فى الماء "[1] . ومن أجل ذلك كان كثير من الأشراف فى ذلك العصر يقومون ببناء المقابر وتجهيزها بمعدّات جريا على ما كانت عليه الحال قديما .

---

(١) راجع تعاليم « سحتب ا ب رع » ص ٣١٣

وحقيقة الأمر أنه لم يعد فى قبضة يد الفرعون ذلك السلطان المطلق على رجال الحكومة حتى يمكنه أن يتخذ منها مجرّد العامل السامى المنظم لإقامة المقبرة الملكية الهائلة ، ومع ذلك فإن الموظفين القائمين بإقامة مثل تلك المقابر لم يتردّدوا طرفة عين فى موازنة تلك المقابر بجبانة الجيزة ، وقد كان ذلك من باب المبالغة . فقد أظهر مثلا «مرى» أحد مهندسى الملك « سنوسرت الأوّل » ارتياحه العظيم عند ما كلف من قبل الملك بإقامة مثوى له أبدى تفوّق شهرته « روستاو » (أى جبانة الجيزة) ، وهى المنطقة الممتازة الخاصة بالآلهة . فكانت عُمد ذلك المثوى تخترق السماء ، والبحيرة التى حفرت هناك قد وصلت إلى النهر ، وأبوابه العظيمة المناطحة للسماء فى طولها قد أقيمت من أحجار «طرة» البيضاء .

وقد فرح الإله « أوزير » رئيس أهل الغرب بكل آثار سيدى (الملك) ، ولقد سررت أنا نفسى وكان قلبى مبتهجا بما قد قمت بإنجازه ، و « المثوى الأبدى » هذا هو قبر الملك ، و يشتمل كذلك على المزار أو المعبد الجنازى الذى كان قد أقيم قبالته كما يدل على ذلك الوصف المذكور . ومع أن مقابر الإقطاعات لم تعد تبنى حول هرم الملك ، كما كان يفعل الأشراف و رجال البلاط فى عهد بناة الأهرام ، إذ صارت الآن قبور الأشراف مبنية فى الإقطاعات فى طول البلاد وعرضها ، فإنهم مع ذلك قد استمرّوا يتمتعون الى حدّ ما بالهبات الجنازية التى تصرف من الخزانة الملكية . وكانت الصيغة الدينية الجنازية المألوفة فى ذلك الوقت هى "قربان يهديه الملك" . وهى نفس الصيغة التى كانت شائعة الاستعمال فى المقابر التى حول الأهرام . وقد صارت تنقش بكثرة فى ذلك الوقت على جدران مقابر الأمراء والأشراف ، وعلى أية حال فإن هذه الصيغة لم تصبح بعد مقصورة على مقابر علية القوم . إذ باتساع انتشار المذهب الدينى الذى كان خاصا بالأشراف بين عامة الشعب صار من العادات المعروفة المتفق عليها عند القوم أن يتضرع كل إنسان إلى الملك حتى يعطيه نصيبا من تلك الهبات الجنازية الملكية ، ولذلك نجد كل

طبقات المجتمع حتى أحقر العمال من المدفونين فى « العرابة المدفونة » وغيرها كانوا يتضرعون لنيل « قربان يهبه إليهم الملك » ، بالرغم من أنه كان يستحيل أن يتمتع عامة الشعب بامتياز كهذا .

على أننا لم نحصل على فكرة ما عن تلك العادات البهيجة الخاصة بتموين المتوفى فى الحياة الآخرة إلا فى العهد الإقطاعى ، وهى تلك العادات التى صارت الآن متأصلة فى حياة الشعب المصرى القديم .

وقد حفظت لنا المقابر التى لا تزال باقيـة إلى الآن فى مقابر مقاطعات الوجه القبلى بعض بقايا تلك الشعائر اليوميـة العادية ، وكذلك ما كان خاصا منها بالاحتفالات والأعياد التى كان الشعب يظنّ أنه بها يدخل السرور على الذين رحلوا عن دار الدنيا إلى دار الاخرة ، حتى تصير حياتهم أكثر مرحا وأعظم حبورا . وهـذه الاحتياطات نفسها كانت متبعة فى عصر الأهرام عند الأشراف أيضا ، إذ نجـد أن الشريف « زفاى حعبى » الأسيوطى المنبت ، وأمير مقاطعة « سيوط » الذى كان يعيش فى عهـد « سنوسرت الاوّل » قد أقام لنفسـه تمثالا فى كل من المعبدين الرئيسيين فى المدينة ، أى أنه أقام تمثالا فى معبد الإله « و بوات » ، وهو الإله المحلى القديم لذلك المكان ، وكان يمثل فى صورة ذئب ، ومن ذلك الاسم باليونانية اشتقت المدينـة اسمها « ليكو بوليس » (بلد الذئب) . أما التمثـال الآخر فقـد أقامه فى معبـد « أنو بيس » وهـو إله معروف فى صورة كلب أو صورة ابن آوى ، وقد كان ذلك الإله يوما ما أحد الآلهـة المناهضين للإله « أوزير » ، وقد ترك الأوقاف الخاصة لإقامة الشعائر والاحتفالات للآلهـة ، ولتقديم الطعام اليومى لروحه (كا) فى مقبرته . وقد نقش على جدران مقبرته شروطا عشرة لإقامة هذه الاحتفالات وتقديم الطعام ، وهى توضح لنـا الحياة الدينية فى هـذا العهد . وقبل أن نتكلم عن هذه الاحتفالات سنضع أمام القارئ ترجمة حرفية لهذه الشروط العشرة وهى :

شـــروط الوقف العشـــرة [1]

المنقوشة على جدران معبد الأمير « زفاى حعبى »

الشرط الأول — (٢٧٣ — ٢٩٦) الشرط الذى تعـاقد عليه الأمـير الإقطاعى، ورئيس الكهنة المسمى « زفاى حعبى » صادق القول مع كهنة الساعة [2] لمعبد الإله « و بوات » سيد « سيوط » :

(١) أن يقـدّم رغيف من الخبز الأبيض من كل كاهن مطهر لتمثاله الذى فى معبد « أنو بيس» سيد « رقورت » فى أوّل يوم من أيام النسىء، وذلك عنـد ما يسير الإله « و بوات » سيد « سيوط » إلى معبده .

(٢) ما يقدّم لهم فى مقابل ذلك نصيبه فى الثور الذى يقرّب إلى « و بوات » سـيد « سيوط » فى معبده عنـد ما يذهب إلى هناك ، وهـو نصيبه من اللحم المقرّب، وهو ما يستحقه أمير المقاطعة .

(٣) وقد تكلم لهم قائلا : " انظروا لقد أعطيتكم هذا القربان من اللحم الذى أستحقه من المعبد، وذلك فى مقابل أن تقدّموا إلىّ هذا الخبز الأبيض " . وعلى ذلك قـدّموا له نصيبا من الثور لتمثاله المعهود به إلى كاهن لروحه « كا » ، ومن أجل ذلك أعطاهم قربان اللحم هذا .

(٤) وقد سروا بذلك .

الشرط الثـانى — (٢٧٧ — ٢٨٢) الشرط الذى تعـاقد عليـه الأمير الإقطاعى رئيس الكهنة « زفاى حعبى » صادق القول مع كهنة الساعة لمعبد الإله « و بوات » سيد « سيوط » .

---

(١) Griffith, "The Inscriptions of Suit and Deir el Rifeh", Pl. VI, 1, 273 ff.

(٢) كهنة الساعة هم الكهنة غير الرسميين الذين كانوا يتناوبون العمل كل شهر .

(١) أن يقدّم رغيف من الخبز الأبيض من كل منهم لتمثاله الذى فى حراسة كاهن روحه ، فى اليوم الأوّل من الشهر الأوّل من الفصل الأوّل وهو يوم السنة الجديدة ، وذلك عندما يعطى البيت سيده ، بعد إنارة المصباح (الشعلة) فى المعبد ، وأن يخرجوا خلف كاهن روحه عند الاحتفال بتنعيمه (أى جعله روحا منعما) إلى أن يصلوا إلى الركن الشمالى من المعبد ، كما يفعلون عنـد ما ينعمون موتاهم أنفسهم المحترمين فى اليوم الذى يضاء فيه المصباح (الشعلة ؟) .

(٢) وما يقدّمه لهم فى مقابل ذلك هو مكيال « حقات » (جالون) من شعير الشمال من كل حقل من حقول الوقف ، من باكورة محصول ضيعة حاكم المقاطعة طبقا لمـا يقـدّمه كل رجل سيوطى معتاد من باكورة حصاده ، وذلك لأنه أوّل إنسان يجعل كل فلاح من فلاحيه يقـدّمها (الباكورة) لهـذا المعبد من باكورة حقـله .

(٣) وقال : " انظروا ! إنكم تعلمون أن التخلى عن أى رجل عظيم ، أو رجل يقدّم شيئا للمعبد من باكورة حصاده ، ليس بالحسن له ، وليس هناك أمير مقاطعة ينقص فى زمانه من شرط أمير آخر عمل مع الكهنة المطهرين فى زمانهم ، يضاف إلى ذلك أن هذا الشعير يجب أن يكون ملكا لكهنة الساعة للمعبد كل على حدته ، أى لكل كاهن مطهر سيقدّم لى هـذا الرغيف من الخـبز الأبيض ، ويجب أن لا يقسموه (أى الشعير) بين أولئك التابعين لشهر بعينـه ، وذلك لأنه يجب عليهم أن يعطوا هذا الخبز الأبيض كلا على انفراد " .

(٤) وقد سروا بذلك .

الشرط الثالث — الشرط الذى تعاقد عليه أمير المقاطعـة ورئيس الكهنة « زفاى حعبى » صادق القـول مع هيئة موظفى معبد الإله « وبوات » ، لأجل أن يقـدّم له خبز وجعة ، فى اليوم الثامن عشر من الفصـل الأوّل وهو يوم عيد « واج » :

(١) قائمة « بما يقدّمونه له » :

قائمة بأسماء هيئة الموظفين	آنية قبي من الجعـة	رغفان خبز قن	رغفان خبز أبيض
الكاهن الأعظم	٤	٤٠٠	١٠
الحاجب	٢	٢٠٠	٥
كاتم السـر	٢	٢٠٠	٥
حافظ الملابس	٢	٢٠٠	٥
رئيس الحجرة الواسعة	٢	٢٠٠	٥
المشرف على المعبد	٢	٢٠٠	٥
كاتب المعبد	٢	٢٠٠	٥
كاتب مائدة القربان	٢	٢٠٠	٥
المرتـل	٢	٢٠٠	٥

(٢) أما ما قـدّمه مقابل ذلك فهو ٢٢ يوما من أيام المعبد من متاعه الذى من بيت والده (إرثه من والده) ، وليس من ضيعة حاكم المقاطعة ، منها أربعة أيام لرئيس الكهنة ويومان لكل واحد من الآخرين .

(٣) وقال لهم : " انظروا ! إن يوم المعبد هو $\frac{1}{360}$ من السنة ويجب أن تقسموا كل العطايا اليومية التى تدخل هذا المعبد ، وهى التى تحتوى على خبز وجعة ولحم ، وذلك لأن يوم المعبد ، يحسب $\frac{1}{360}$ من الخبز والجعة ، وكل شيء يدخل المعبـد لكل يوم من أيام المعبد هـذه التى قدّمتها لكم . واعلموا أنها متاعى الخـاص من ضياع والدى ، وليست من ضياع حاكم المقاطعة ، لأنى مثلكم ابن كاهن مطهر ، ولاحظوا أن هـذه الأيام (دخل المعبد) ، يجب أن تنتقل إلى هيئة الموظـفين

المستقبلين الذين يعملون فى المعبد ، لأنهم هم الذين يقربون لى هـذا الخبز والجعة التى يجب أن أعطاها ".

(٤) وقد سروا بذلك .

الشرط الرابع — (٢٩٠ — ٢٩٥) الشرط الذى تعاهد عليه حاكم المقاطعة ورئيس الكهنة « زفاى حعبى » صادق القول مع كهنة الساعة لمعبد « وبوات » سيد « سيوط » :

(١) على أن يقـدّم له رغيف خبز أبيض من كل واحد منهـم لتمثاله الذى فى المعبد ، وذلك فى اليوم الثامن عشر من الشهر الأوّل من الفصل الأوّل ، وهو يوم عيد «واج» ، وأن يخرجوا خلف كاهن روحه عند تنعيمه (أى جعله روحا منعما) عندما ينـار المصباح (الشعلة) له ، وذلك على غرار ما يفعلون عند تنعيم أمواتهم المحترمين فى يوم إنارة المصباح (الشعلة) فى المعبد .

يضاف إلى ذلك أن هذا الخبز الأبيض يجب أن يكون فى ذمة كاهن روحه ، أما ما يقدّمه فى مقابل ذلك فكان حقيبة من الفحم لكل ثور ، وسلة من الفحم لكل معزى ، وهى التى كانوا قد اعتادوا أن يقدّموها لمخزن حاكم المقاطعة عندما كان يقرّب ثورا أو معزى للعبد ، وذلك فى مقابل ما يجب عليهم دفعه لمخزن حاكم المقاطعة . وهو يقدّمها لهم دون أن يجبرهم على أخذها منهم عنوة .

(٢) وكذلك كان يقدّم لهم ٢٢ إناء من الجعة و ٢٢٠٠ رغيف خبز ، وهذه كانت هيئة موظفى المعبد يقدمونها له فى اليوم الثامن عشر من الشهر الأوّل من الفصل الأوّل ، وذلك فى مقابل ما يقدّمونه ، وهو رغيف خبز أبيض لكل فرد ممـا هو مستحق لهم فى المعبد ، وكذلك فى «مقابل» تنعيمه (أى جعله روحا منعما وهو احتفال خاص يقام على روح المتوفى) .

(٣) ثم تكلم إليهم قائلا : " إذا أخذ منكم هذا الفحم عنوة على يد أى حاكم مقاطعة فى المستقبل ، فاعلموا أن هذا الخبز وهـذه الجعة يجب ألا ينتقص منها ،

وهى التى توزّدها لى هيئة موظفى المعبـد ، وهى التى قد أسلمتها لكم ؛ تأملوا إنى قد تعاقدت معهم عليها ״ .

(٤) وقد سروا بذلك .

الشرط الخامس — (٢٩٦ — ٣٠١) الشرط الذى تعـاقد عليـه حاكم المقاطعـة ورئيس الكهنة « زفاى حعبى » صادق القـول مع حافظ ملابس معبد الإله « و بوات » :

(١) لأجل ثلاث فتائل ينار بها المصباح (الشعلة) للإله .

(٢) أما ما قدّمه « زفاى حعـبى » له (حافظ الملابس) فى مقـابل ذلك فكان ثلاثة أيام من أيام المعبد . وثلاثة الأيام من أيام المعبد هذه ستكون مستحقة لكل حافظ ملابس فى المستقبل ، لأن هذه الفتائل الثلاث تكون مستحقة له « زفاى حعبى » .

(٣) ثم تكلم قائلا : ״إن واحدة من هذه «الفتائل» تقدّم إلى كاهن روحى بعد أن يكون قد عمـل بها ما يجب أن يعمله فى المعبد . ويجب أن يعطى أخرى فى يوم أوّل السنة الجديدة فى الفجر المبكر ، وذلك عندما يقدّم البيت إلى سـيده بعد أن يكون كهنة الساعة للعبد قد قدّموا إلى هـذا الخبز الأبيض ، وهـو الذى يجب أن يقـدّمه كل واحد منهـم منفردا فى يوم أوّل السنة الجـديدة ، وسيقدّم بوساطة كاهن روحى عند تنعيمى (أى تعطى له وتستعمل به) ״ .

وسيعطى آخر .

فى اليوم الثامن عشر من الشهر الأوّل الفصل الأوّل وهو يوم عيـد « واج » فى الوقت نفسه مثل الخبز الأبيض الذى يقدّمه كل واحد من الكهنة المطهرين ، وهذه الفتيلة ستخرج بوساطة كاهن روحى عند تنعيمى (الذى يحضره كهنة الساعة التابعون للعبد) ، ثم قال « زفاى حعبى » له : ״انظر ! إن يوم المعبد هو $\frac{١}{٣٦٠}$ من

السنة ، و يجب أن تقسم العطايا اليومية التى تدخل المعبد (وتحتوى على) خبز وجعة وكل شىء يدخل المعبد لكل يوم من أيام المعبد هـذه التى قدمتها لك . انظر ! إنها متاعى الخاص من ضيعة والدى ومن ضيعة حاكم المقاطعة .

والآن يجب أن تئول أيام المعبد الثلاثة هـذه لكل حافظ الملابس فى المستقبل (؟) ؛ لأن هذه الفتائل واجبة له (« زفاى حعبى »)، وهى التى قد حملتها لى بسبب أيام المعبد الثلاثة هذه التى حملتها لك وقدمتها لك " .

(٤) وقد كان مسرورا بذلك .

الشرط السادس — (٣٠٢ — ٣٠٤) الشرط الذى تعاقد عليه حاكم المقاطعة ورئيس الكهنة «زفاى حعبى» صادق القول مع رئيس كهنة « وبوات » (أى مع نفسه) :

(١) لأجل شواء ، وهو الذى يوضع على مائدة القربان و يوضع على حجر القربان لكل ثور يذبح فى المعبد و إناء جعة « ستا » من كل ١/٤ إناء دس .

فى كل يوم « ظهور » (فى المعبد) .

وهى حق لكل رئيس كهنة فى زمنه .

(٢) أما ما أعطاه « زفاى حعبى » له (أى رئيس الكهنة اسما) فى مقابل ذلك فهو يومان من أيام المعبد من ضيعة والده ، ومن ضيعة حاكم المقاطعة .

(٣) وعندئذ تكلم « زفاى حعبى » قائلا : هذا الشواء و إناء الجعة «ستا» سيقدم فى كل يوم (ظهور التمثال فى المعبد) .

وهى مستحقة لتمثالى الذى فى رعاية كاهن روحى .

(٤) و إنه («زفاى حعبى») بوصفه يحمل لقب رئيس الكهنة ، كان مسرورا بذلك فى حضرة هيئة موظفى المعبد هؤلاء .

الشرط السابع — (٣٠٥ — ٣٠٦) الشرط الذى تعاقد عليه حاكم المقاطعة ورئيس الكهنة « زفاى حعى » الصادق القول مع الكاهن المطهر الأعظم للاله « أنو بيس » :

(١) من أجل ثلاث فتائل يستحقها لإنارة المصباح (الشعلة) فى معبد «أنو بيس» ، واحدة فى اليوم الخامس من أيام النسىء فى مساء يوم السنة الجديدة ، وأخرى فى يوم السنة الجديدة .

والثالثة فى اليوم السابع عشر من الشهر الأوّل من الفصل الأوّل فى مساء عيد « واج » .

(٢) أما ما قدّمه فى مقابل ذلك فكان ٢٢ «أرورا » (مقياس) من الأرض المنزرعة فى «سمارسى» من أرض والده ، وذلك فى مقابل ثلاث الفتائل التى سيعطيها كاهن روحى لأجل أن يضىء لى المصباح (الشعلة) بها .

(٤) وقد كان مسرورا بذلك .

الشرط الثامن — (٣٠٧ — ٣١١) الشرط الذى تعاقد عليه حاكم المقاطعة ورئيس الكهنة «زفاى حعى» الصادق القول مع كهنة الساعة لمعبد «أنو بيس» :

(١) من أجل أن يقدّم له رغيف خبز أبيض من كل واحد منهم لتمثاله فى اليوم السابع عشر من الشهر الأوّل من الفصل الأوّل فى مساء عيد « واج » ، ومن أجل أن يذهبوا بعد كاهن الروح عند ما ينار المصباح (الشعلة) له عند تنعيمه إلى أن يصلوا إلى السلم السفلى (مزار الوادى) لقبره كما ينعمون موتاهم المحترمين فى يوم إضاءة المصباح (الشعلة) ، ومن أجل التقدمة الشهرية التى يقدّمها الكاهن المطهر، المؤلفة من طبق من الخبز وإناء من الجعة لتمثاله الذى فى السلم السفلى (مزار الوادى ؟) لقبره عندما يخرج لتأدية الاحتفالات فى المعبد كل يوم .

(٢) أما ما قدّمه لهم فى مقابل ذلك فكان شعير الشمال من باكورة محصول كل حقل من ضيعة حاكم المقاطعة ، كما يفعل كل رجل أسيوطى عادى يقدم من

با كورة محصول حصاده ، وعلى أية حال فإنه كان أوّل من جعل كل واحد يقدّمها من با كورة حقله لمعبد « أنو بيس » .

(٣) ثم قال حاكم المقاطعة «زفاى حعبى» : ”انظروا فإنكم تعلمون أن أى رجل عظيم ، أو أى رجل عادى يقدّم با كورة حصاده للعبـد ، و يمتنع عن أدائها ليس بالشيء الحسن له ، على أنه لم يجد حاكم مقاطعة فى عصره انتقص من الشرط الذى تعاقد عليـه حاكم مقاطعة آخر مع الكهنة المطهرين فى أزمانهم ؛ وشـعير الشمال هذا سيكون ملك كهنة الساعة التابعين للعبد ، كل على حدته ، من الذين يقدّمون لى هـذا الخبز الأبيض ، و إنه لن يقسم مع الكهنة فى شهورهم لأنه لزام عليهم أن يقدّموا هذا الخبز الأبيض كل على انفراد“ .

(٤) وقد كانوا مسرورين بذلك .

الشرط التاسع — (٢١٢—٢١٨) الشرط الذى تعاقد عليه حاكم المقاطعة ورئيس الكهنة « زفاى حعبى » الصادق القول مع مدير أعمـال الجبانة وحراس الصحراء :

(١) من أجل أن يجعلهم يذهبون لمعبد « أنو بيس » فى اليـوم الخامس من أيام النسيء مساء السنة الجديدة .

وفى يوم السنة الجديدة .

بشأن تسليم فتيلتين قدّمهما الكاهن الأعظم للاله « أنو بيس » المطهرإلى حاكم المقاطعة « زفاى حعبى » ، و بشأن ذهابهم لتنعيمه إلى أن يصلوا إلى قبره ، و بشأن تقديمهم الفتيلة (أى الخاصة بمساء السنة الجديدة) لكاهن روحه بعد أن نعموه كما ينعمون موتاهم المحترمين .

(٢) أما ما قـدّمه لهم فى مقابل ذلك فكان ٢٢٠٠ (مقياسا) من الأراضى الزراعيـة فى « واعبت » ، وهى من أملاكه الشخصية من ضيعة والده وليست من ضيعة حاكم المقاطعة .

قائمـــة

	أرض	
مدير عمال الجبانة	٤٠٠	
قائد الصحراء	٢٠٠	= ٤ و ٢٨ أرورا (مقياس)
ثمانية حراس للصحراء ؟... ...	١٦٠٠	

وقد كان قدّم لهم الجزء الأسفل من الجزء الخلفى من كل ثور ذبح فى الصحراء « الجبانة » فى كل مزاراتها .

(٣) أما ما قدّموه له فهو :

رئيس عمال الجبانة : إناءين دس من الجعة، ١٠٠ رغيف من خبز قفن، ١٠ أرغفة من الخبز الأبيض .

قائد الصحراء : إناء جعـة ، ٥٠ رغيفا قفن، ٥ خمسة أرغفة من الخبز الأبيض .

الثمانية (حراس الصحراء) : ثمانيـة آنية دس من الجعـة ، ٤٠٠ رغيف من خبز قفن ، ٤٠ رغيفا من الخبز الأبيض من أجل تمثاله الموكّل به كاهن روحه ، وذلك فى اليـوم الأوّل من الشهر الأوّل من الفصل الأوّل يوم أوّل السنة الجديدة عند ما ينعمـونه .

(٤) ثم قال لهم : " انظروا ! إن هذه الأرض التى سلمتها لكم ستكون ملكا لكل مـدير عمال جبانة مستقبلا ، ولكل قائد صحـراء ، ولكل حارس جبانة ؟ مستقبلا وذلك لأنهم هم الأفراد الذين سيقدّمون لى الخبز والجعة" .

(٥) وستكونون خلف تمثالى الذى فى حديقتى وترافقونه [عندما يسير الى معبد وبوات أو «أنو بيس» ؟] فى كل عيد أوّل فصل يقام فى هذا المعبد .

(٦) وكانوا مسرورين بذلك .

الشرط العاشر — (٣١٩ — ٣٢٤) :

(١) من أجل أن يقدّم له إناء هبث من الجعة وفطيرة واحدة كبيرة (؟) ، ٥٠٠ رغيف خبز قفن ، ١٠٠ رغيف من الخبز الأبيض لتمثاله المنوط به كاهن روحه ، فى اليوم السابع عشر من الشهر الأوّل من الفصل الأوّل مساء عيد « واج » .

(٢) أما ما قدّمه « زفاى حعبى » فى مقابل ذلك فهو ٢,٢ أرورا من الأراضى الزراعية فى «وعبت» من أملاكه الخاصة من ضيعة والده، وليست من ضيعة حاكم المقاطعة، والربع الأمامى من كل ثور يذبح فى الصحراء « الجبانة » فى كل مزارات قبورها .

(٣) ثم قال لمدير الصحراء : "انظر ! إن هذه الأرض ستنتقل لكل مدير صحراء مستقبلا، وذلك لأنه هو الذى سيقدّم لى هذا الخبز والجعة" .

(٤) وقد كان مسرورا بذلك .

المرحوم حاكم المقاطعة ورئيس الكهنة « زفاى حعبى » صاحب الاحترام .

تصوير الاحتفالات الدينية التى كانت تقام للامير «زفاى حعبى»

وسنضع أمام القارئ صورة من هذه الاحتفالات تخيلناها مأخوذة من نص العقود العشرة التى على جدران المقبرة ، وقد أردنا بذلك أن نكسو عظام الحقائق التاريخية الجافة التى ذكرناها فى هذه الشروط لحما ودما ، ثم نبعث فيها روحا يحرّكها فتصبح حية يراها القارئ ويتمثلها .

وقبل أن نورد هذه الصورة نقول: إن «زفاى حعبى» أقام لنفسه قبل وفاته تمثالا فى كل من المعبدين الرئيسيين فى المدينة أى أنه أقام تمثالا فى معبد الإله

« و بوات » ، وهو إله محلى قديم فى صورة ذئب ، ومن ذلك الاسم اشتقت المدينة اسمهـا اليونانى « ليكو بوليس » (أى بلد الذئب) . أما التمثال الآخر فقـد كان فى معبد « أنو بيس » وهو إله معروف فى صورة كلب أو صورة ابن آوى ، وقد كان ذلك الإله يوما ما من الآلهة المناهضين للإله «أوزير» . وكان معبد «و بوات» يقع فى وسط المدينة فى حين أن معبد الإله « أنو بيس » كان يقـع بعيدا عنه على ظاهر حدود الجبانة فى سفح الجبل الذى نحتت فى واجهته مقبرة « زفاى حعبى» على مسافة من ارتفاعه ، وقد نصب فى ذلك القبر الفخم كذلك تمثال لنفسه يقوم برعايته كاهنـه الجنازى ، ولم يكن له إلا كاهن واحد يعـنى بقبره و يقـوم بالاحتفالات التى كان يرغب فيها فى الحياة الدنيا قبل وفاته .

وأهم هذه الاحتفالات تلك التى كانت تقـام فى مناسبات الاحتفال بالسـنة الجديدة ، وكانت تقام قبل حلولها ، وعند بدايتها ، فكانت تقام قبل نهاية السنة القديمة بخمسة أيام فى أول يوم من أيام النسيء الخمسة التى تنتهى بها السنة ، فكان يرى فى ذلك اليوم كهنـة الإله « وبوات » سائرين فى موكب مخترقين شـوارع « سيوط » وأسواقها ، وكانوا فى نهاية المطاف يخرجون من المدينة حاملين إلههم « وبوات » إلى معبد الإله « أنو بيس » الذى كان يقع فى سفح جبانة الجبل . وكان يذبح فى ذلك المعبد ثور للإله الزائر ، أى الإله « وبوات » . وكان كل كاهن إذ ذاك يحمل بيـده رغيفا كبيرا أبيض مخروطى الشكل ، وعنـد دخولهم ساحة معبد «أنو بيس» كانوا يضعون أرغفتهم عند قاعدة تمثال «زفاى حعبى» .

ثم بعد مضى خمسة أيام من ذلك التاريخ كان ينزل «مدير الجبانة» وبصحبته تسـعة أفراد من موظفيه من فوق الجبـل فى وقت المساء مارين بأبواب القبـور المفتحة ، والتى كانت حراستهـا موكولة لهـؤلاء الموظفين ، ثم يدخلون فى ظلال المدينة التى كانت فى سـفح ذلك الجبل . وكانت هـذه المدينة فى تلك الآونة من ذلك اليوم يخيم عليها الظلام ، إذ كانت تقـع فى ظلال هـذا الجبل المطل عليها .

وكان هذا المنظر يحدث فى مساء اليوم الأول من السنة الجديدة ، وكانت الأنوار المبعثرة هنا وهناك ، وهى التى أشعلت ابتهاجا بالعيد قد بدأت تنبعث عند الشفق من داخل البيوت ، ومن الشرفات . وأثناء انطلاق تلك الفئة فى سيرها فى الشوارع الضيقة الواقعة فى أطراف المدينـة كان يعترضهم بغتة فى طريقهم الجدار العالى لسور معبد الإله « أنوبيس » . وعند ما كانوا يدخلون من أبوابه العظيمة العالية يسألون عن الكاهن الأعظم الذى كان يقـدّم لهم على الفور حزمة من المشـاعل فيأخذونها . ويعودون أدراجهم صاعدين فى الجبل بتؤدة ، فيشرفون على المدينة رويدا رويدا كلما تسلقوا الجبل مصعدين ثانيـة ، وحينما كانوا يشرفون بأنظارهم من فوق الجبـل على أسقف المدينـة الملتفة فى الظـلام الدامس كانوا يكشفون فى وسطها مجموعتين مشتعلتين من الأنوار المتلألئـة ، تقع إحداهمـا بالضبط تحت أنظارهم فى حضيض الجبل ، والأخرى تقع على مسافة بعيدة فى قلب المدينة ، فكانتا تشبهان جزيرتين متلألئتين بالنور فى بحر من الظلمة يمتد إلى مسافة من تحت أرجلهم . وهاتان المجموعتان من النور هما ساحتا المعبدين اللذين كانت الأنوار تنتشر فى أرجائهما ، وبالرغم من أن سيدهم القـديم « زفاى حعبى » كان مدفونا فى بلاد النوبة النائية ، فإنه كان حاضرا معهم بتمثاله المقام فى وسط تلك الأفراح والأعياد التى كانت حفلتها تملأ ذينك المعبدين . فقد كان تمثاله المنصوب فى المعبد يتكلم بعينيه اللتين يشرف بهما على الجموع التى كانت تزخر بهم هاتان الساحتان المختالتان بجمال أعمدتهما الزاهية ، وكان التمثال يتمتع مثل أصدقائه الأحياء الموجودين أسفل منه بروح ذلك الفيض العميم الذى كان مبسوطا أمامه ، حينما كان يشاهد رغفان القربان موضوعة عند قدميه ، وهى التى ذكرنا فيما سلف أن الكهنة كانوا يضعونها هنـاك . وكانت أذناه (أى التمثال) تملآن بضجيج آلاف الأصوات التى كانت تتعالى مع أصوات الأفراح المنبعثة من جماهير المدينـة المجتمعين بمعبدى الإلهين يترقبون انقضاء ذلك العام الراحل ، ويستقبلون أوّل العام الجديد ، وكأن أصواتهم

اصطفاق بحر يزخر بأمواجه ينبعث من بعيـد فوق الأسقف المظلمة إلى أن يصل جرسه المتضائل إلى آذان طائفة حرّاس الجبانة المرتفعة القائمة بين ظلمات الجبال ، وهم يشرفون على المدينة فى صمت رهيب ، وكانت تطل من فوق رءوسهم بالضبط واجهة تلك المقبرة التى كانت قد أعدّت لتضم جثمان سيدهم الراحل «زفاى حعبى» . وقد كان المتقدّمون فى السنّ من بين أولئك الحرّاس يذكرونه جيدا أو يذكرون الكرم الذى طالما لاقوه على يده . أما المحدثون الذين كان فى نظرهم اسم «زفاى حعبى» مجرّد اسم لا يحمل معنى ، فكانوا لا يجيبون إلا متباطئين ، وعلى كره منهم ، عند ما كان شيوخهم يحثونهم على إضاءة أنوار القبر ، وعند ما كان يتعجلهم صوت كاهن « زفاى حعبى » من أعلى الجبل قائلا : "لا تتأخروا أكثر من ذلك فى إضاءة النور". وعندئذ يخرج الشرر من قدح الزناد ، وعلى أثر ذلك تضاء أول شعلة ومنها تضاء المشاعل الأخرى بسرعة . وكان الموكب الذى يشمل أولئك الحرّاس حول مرتفع من الجبل فسيح الأرجاء ، ثم يعود الموكب ثانية إلى باب القبر العالى حيث يكون فى انتظارهم كاهن « زفاى حعبى » فيدخلون توّا إلى مزار القبر العظيم .

وكان يشاهد انعكاس أنوار تلك المشاعل المتلألئة فى غير نظام فوق جدار ذلك المزار الذى ترى فوق جدرانه صورا ضخمة مرسومة للسيد الراحل ترتفع عالية حتى تختفى رأسه وسط الظلمة التى لم تصل إليها أنوار تلك المشاعل المتضائلة ، ويبدو على صورته كأنهـا تحثهم على تأدية واجباتهم نحوه بالدقة والعنـاية ، كما هو مدوّن بالعقود العشرة المنقوشة فوق جدار المزار نفسـه وهى التى سـبق ذكرها . وكان «زفاى حعبى » يبدو فى الصورة مرتديا لباسا بهيجا ومتوكئا فى رفق على عصاه التى بيده . وطالمـا كان المسنون من تلك الطائفة يرونه قائما فى هذا الوضع وهو يفصل فى القضايا التى كانت تعرض عليه ، بينما كان يساق المجرمون إلى داخل باب ديوانه بين صفين من ضباطه المتزلفين . ويشاهد فى حالة أخرى كأنه يراقب سـير تقدّم العمل فى إحدى ترع الرى الهـامة حتى يفتتح بهـا زراعة جديدة ، فكان هـؤلاء

الحرّاس يسجدون خضوعا أمام صورته هـذه المهيبة ؛ يسوقهم إلى ذلك الدافع الطبعى الذى ليس لهم فيـه اختيار كما كان يسجد أمامه أيضا الكتّاب ، وأصحـاب الحرف ، والفلاحون الذين نشاهد صورهم تملأ الجدران التى أمامه ، وقد لونت بألوان جميـلة محفورة فوق الجدران . وهـذا المنظر يمثل الصناعات والملاهى التى كانت تضمها تلك الضياع العظيمة التى كان يملكها « زفاى حعبى » وقتئذ ، وهى تؤلف دنيا مصغرة يرى فيها ذلك الشريف الراحل عند ما كان يدخل مزار قبره ، فكان يشعر أنه لا يزال يغدو ويروح بين مناظر حياة الرفاهية والملاذ فى الحيـاة الدنيـا ، وكان يمثل هو فيها الشخصـية البارزة العظيمة ، إذ كان يخيل إليـه أن جدران مقـبرته قد رحبت واتسعت حتى صارت تشمل حقول زراعة عمـاله ، وأسـواقهم ، ومصانع السفن ، وأحواضها ، ومستنقعات الصيد ، والطيـور ، والأسماك ، وردهات لإقامة الحفلات . وقد عمر النحات والرسام الجدران بتلك المناظر حتى صارت فى الواقع كأن الحياة تدب فيها ، وكانت المشاعل الموقدة تنبث حول القربان الخاص بمائدة القرب العظيمة المصنوعة من الحجـر فى المزار ، وكان يقوم خلف ذلك تمثال « زفاى حعبى » فى كوّة منحوتة فى أصل الجدار .

وبعد ذلك تنسحب جمـاعة الحرّاس الصغيرة على مهل ، ملقين عدّة نظرات خاطفة على البـاب الوهمى المقـام فى جدران المزار الخلفى ، وكانوا يعرفون أن « زفاى حعبى » يمكنه أن يخرج منه من عالم الظلام المستتر خلف هذا الباب الوهمى ليدخل إلى عالم الأحياء ويحتفل مع الأحياء من أصدقائه بعيد رأس السنة المذكور .

وأما اليوم التالى وهو اليوم الأوّل من السنة الجديدة فيعدّ أعظم أيام الأعياد فى التقويم السنوى ، وكانت تتبـادل فيه الهدايا بفرح كما تتوافد أهل الضياع أيضا يحملون الهدايا إلى سيد ضيعتهم ، وإذا اتفق أن سلالة « زفاى حعبى » قد انهمكت فى ملاذها وجرت فيها إلى آخر شوطها ، فإن شروطه التى دوّنت بانتبـاه ويقظة فى سجلات المدينة تضمن له الاهتمام بأمره ، وعدم إهمـال قربانه . وفى الوقت

الذى كان فيـه الفلاحون ومستأجرو الإقطاعات يشاهدون مزدحمين عند الباب العظيم لبيت ذلك الشريف حاملين هـدايا هم لسيدهم الحى غير مفكرين فى سيدهم الراحل كان حراس الجبانة العشرة بقيادة رئيسهم يجتازون أطراف المدينة سائرين نحو أحد المخـازن بالضيعة التى من حقهم أن يتزودوا منها ، ثم لا يلبثون أن يعـودوا أدراجهم حاملين ٥٥٠ فطيرة مسـتديرة و٥٥ رغيفا من الخبز الأبيض ، و١١ إناء مملوءا بالجعة ، ثم يعودون من حيث أتوا يقتحمون طريقهم على مهل وسط مرح الزحام ، حتى يصلوا إلى مدخل الجبانة عنـد سفح الجبل ، فيجدون هناك زحاما عظيما أيضا ، وكل واحد من أولئك المزدحمين محمل بمثـل ما حملوا به . وإذا كان الطيبون من أهل « سيوط » يحملون عطاياهم من الأطعمة والشراب فى وسط جلبة عظيمة من الأفراح القائمة وسط تلك المناظر الخلابة التى لا عداد لهـا من صور تلك الحياة الشرقية ، فإن مثل ذلك يشاهد إلى اليوم فى الجبانات الإسلامية فى مصر فى أيام عيـد الفطر وباقى المواسم والأعياد الإسـلامية ، ويقصدون إلى الجبـل ويدخلون بمـا يحملون إلى أبواب المزارات العـديدة التى كانت منتشرة فى وجـه الجبـل على مثال خليـة النحل فى كثرتها ، حتى تتمكن موتاهم من مشاطرتهم تلك الأعياد المرحة .

والواقع أن ذلك العيد يعدّ أقدم «عيد[1] لكل الأرواح» ، وكان حراس الجبانة يسرعون إلى قبر « زفاى حعبى » بما لديهم من المؤن التى يسـلمونها على الفور إلى كاهنه الجنازى ، ثم يعودون أدراجهم حتى يحافظوا على النظام بين جمهور الشعب المرح الذى كان أفراده يتسلقون الجبل من كل مكان . وكلما بليت جدّة النهـار قامت المعدّات اللازمـة للاحتفالات المسائية على ساق وقدم من إشـعال الأنوار وتنعيم المرحومين (أى جعل المتوفى روحا منعما) الذين ماتوا .

---

(١) عيد يوم كل الأرواح هو عيد مسيحى يعقد فى اليوم الثانى من شهر نوفبر وفيـه يعقد احتفال مهيب بالكنيسة الكاثوليكية الرومانية ليضرعوا إلى الله لأرواح الأموات المخلصين .

وكان حراس الجبانة مع كثرة نصيبهم من تأدية واجباتهم الشاقة طول اليوم بالجبانة المزدحمة ينحدرون للمرة الثانية من فوق الجبل إلى معبد الإله « وبوات » بالمدينة حيث يكون جميع كهنة المعبد عن بكرة أبيهم فى انتظارهم ، وكان الكاهن الأعظم رئيسهم يقوم بتقديم عشرة المشاعل اللازمة لإنارة مقبرة « زفاى حعبى » فكانت تضاء فى الحال المشاعل التى كانت تحملها الكهنة ، ثم يتحرك بعد ذلك الموكب المؤلف من الحراس والكهنة معا فيسير على مهل مجتازا ساحة المعبد ، ثم يخترق السور المقدّس سائرا نحو الركن الشمالى للمعبد كما يصف لنا ذلك العقد الذى أجراه « زفاى حعبى » مع الكهنة وهم يرتلون تنعيم[1] «زفاى حعبى» (أى جعله روحا منعما) ، وكان كل كاهن يحمل معه رغيفا كبيرا مخروطى الشكل من الخبز الأبيض كالذى سبق أن وضعوا مثله أمام تمثال «زفاى حعبى» فى معبد «أنو بيس» منذ خمسة أيام مضت ، وكان الكهنة عند ما يصلون إلى الركن الشمالى من المعبد يعودون ثانية إلى القيام بواجباتهم فى وسط المحراب المزدحم بدهماء الشعب ، وكانوا بطبيعة الحال يسلمون رغفانهم إلى حراس الجبانة ، لأن هذه الرغفان كانت كما نص العقد خاصة بتمثال «زفاى حعبى» الذى فى قبره ، أما موكب الحراس الصغير المؤلف من عشرة أشخاص فكان يطوف فى شوارع المدينة المتألقة بالأنوار والحراس يقتحمون طريقهم بمشقة عظيمة وسط زحام الشعب ، وفى النهاية يخترقون الباب العظيم لمعبد « أنو بيس » حيث تكون الأنوار قد بلغت غايتها من البهجة والرواء ولم ينس فى ذلك تمثال «زفاى حعبى» ، وحينما كان الموكب يظهر خارج المدينة ثانية كانوا كذلك لا يزالون يشقون طريقهم بصعوبة بسبب دهماء الناس الذين كانوا يسيرون فى نفس طريقهم وكانت واجهة الجبل المظلمة التى تشرف عليهم يتخللها هنا وهناك أقباس من النور تسير وئيدة مصعدة فوق الجبل ، وكانت تلك الأنوار صادرة من مشاعل أهل

(١) إن طبيعة هذا الاحتفال الذى كان يحتفل به الأحياء فى عيد رأس السنة وغيره لأجل الأموات ليس واضحا فى تفاصيله غير أنه لا بدّ كان يعبر عما يدل عليه اسمه .

المدينة الذين صعدوا مبكرين ، ووصلوا إلى الجبانة لوضع تلك الأنوار هناك أمام تماثيل أمواتهم ومقابرهم، وأما الحراس فإنهم صعدوا إلى مقبرة « زفاى حعبى » كما فعلوا الليلة المنصرمة، وسلموا المشاعل، والخبز الأبيض لكاهن «زفاى حعبى» الذى كان فى انتظارهم . وهكذا يشترك ذلك الشريف المتوفى وأولاده ورعاياه الأحياء فى الاحتفال بأعياد رأس السنة، وخلافا لتلك الأعياد وغيرها من الأعياد العظيمة التى كان يتمتع بها المتوفى بتلك الكيفية فإنه لم ينس فى أى عيد من الأعياد الرسمية الصغيرة التى كان يحتفل بها فى أوّل كل يوم من الشهر وفى منتصف الشهر، أو فى أى يوم من الأيام المحتفل بها . وأما حاجاته اليومية فكان يقوم بها طائفة خارجة عن هيئة الكهنة تخدمه بالتناوب بمعبد «أنوبيس» ،لأن ذلك المعبد كان على مقربة من الجبانة ، فكان أولئك الخدم يذهبون فى كل يوم بعد الفراغ من تأدية أعمالهم فى المعبد حاملين نصيبا من الخبز، وإناء مملوءا بالجعة و يضعونها أمام تمثال « زفاى حعبى » الذى يكون منصوبا فوق السلم السفلى لقبره . وعلى ذلك كان لا يمضى يوم واحد من أيام السنة لا يتسلم فيه «زفاى حعبى» ما يلزمه من الطعام والشراب. هذه صفحة من الحياة المصرية من الناحية الدينية والاجتماعية تركها لنا «زفاى حعبى» فى قبره فى مصر . وإن مثل تلك المعتقدات والعادات لتدل على شدّة استمرار تعلق قدماء المصريين بتلك الأعمال المادية الخاصة بالحياة فى عالم الآخرة التى هى الضمان الوثيق لاستمرار بقاء جثمان المتوفى بعد الموت، بالرغم مما ظهر من الأفكار التى ألقت ضوءا جديدا على ضرورة التحلى بالأخلاق العظيمة استعدادا لاستقبال الحياة الآخرة فيما بعد الموت .

على أن استمرار إمداد ذلكم الشريف المتوفى بمثل هذا العتاد المادى الذى قدّمنا وصفه إلى الأبد ، كان من غير شك متخيلا ، ولذلك قال « خنوم حتب »، أحد الأمراء الإقطاعيين فى مقاطعة الغزال فيما يختص بأوقافه الجنازية : أما فيما يختص بالكاهن أو بأى شخص آخر يعبث بها فإنه لن يستمر بعد، وكذلك ابنه لن

يستمر بعده فى هذا المكان (أى لن يبقى مشرفا على حراسة مقبرته) فيظهر من خوف ذلك الشريف المذكور من عدم دوام تقديم القرابين له بعد الموت، ومثل هذه المخاوف كانت منتشرة يكثر ذكرها فى الوثائق التى من هذا النوع، هذا وقد شاهدنا أن «زفاى حعبى» أمير «سيوط» كان يبدى مخاوفه من إحجام الخلف عن تقديم القربان اللازم للحياة الآخرة، وليس هذا بغريب. فنحن أبناء هذا العصر الحديث لا يكاد يدفعنا البر نحو الاهتمام بأى قبر من قبور أجدادنا الذين رحلوا عنا إلى الحياة الآخرة منذ زمن بعيد نسبيا، بل فى بعض الأحيان لا نكاد نعرف أين دفنوا بالضبط، فضلا عن مواقع مقابرهم.

وقد كان كهنة «أنوبيس» و «وبوات» وحراس الجبانة فى «سيوط» يؤدّون واجباتهم مادام كاهن «زفاى حعبى» الجنازى يتسلم مرتباته، ومادام مخلصا فى القيام بالتزاماته، بأن يذكرهم بالقيام بما عليهم من الواجبات وأن يلاحظ تنفيذها.

ونحن نعلم تمام العلم أن مثل هذه الأوقاف كانت تستمر نافذة المفعول إلى ما بعد تغير الأسرة نفسها. وكانت تمكث على أقل تقدير حوالى ثلاثين أو أربعين سنة فى منتصف القرن الثامن والثلاثين قبل الميلاد.

احترام مقابر الأجداد فى هذا العصر

وفى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد نجد أنه كان هناك احترام كبير فى مصر العليا لأجداد الدولة القديمة إذ ذاك، فقد قام حكام مقاطعة «البرشة». أى المقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات الوجه القبلى فى القرن التاسع عشر والعشرين ق م بإصلاح مقابر أجدادهم التى يرجع عهدها إلى عصر الأهرام وكذلك المعبد أو المزار الذى كشف عنه فى «أسوان» وهو الذى أصلحه «سرنبوت» ويرجع عهده إلى الدولة القديمة وهو «لحقا اب».

وكذلك نجد أنه فى عهد ملوك الدولة الوسطى كان الملوك قد حافظوا على إقامة الشعائر فى معابد بعض ملوك الدولة القديمة، فقد عثرنا فعلا على تمثال جالس من الحجر الرملى الصلب بالقرب من «بو الهول» وقد نقش على حجره الدعاء التالى :

قربان يقربه الملك و «بتاح سكر» و «أوزير» سيد «شتيت» و «أونو بيس» الذى يقطن فى جبله والذى فى لفائفه رب الأرض المقدّسة (ليعطوا) ألفا من الخبز والجعة والخمر والبقر والأوز والملابس إلى روح الكاهن « سخمت حتب » الذى وضعته «سان أمينى» .

فى معبد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «نفر أركارع» الصادق القول . وهذا دليل قاطع على أن معبد هذا الإله كان موجودا فى هذا العصر فى جهة « بوصير » .

وهذه المقابر والمزارات كان قد مضى عليها حينئذ أكثر من ٦٠٠ سنة، وكانت متداعية مشرفة على العفاء والخراب . وقد اعتاد الحاكم البار لكل مقاطعة أن يسجل مايقوم به من الإصلاحات بالكلمات التالية : "إنه (يعنى حاكم المقاطعة)، قد عملها بصفتها أثرا للأجداد الذين فى الجبانة، وهم أرباب هذا المرتفع، فأصلح ما قد وجده مخربا، وجدّد ما قد وجده مهدّما، ولم يقم الأجداد الذين كانوا من قبله بذلك". ثم نجد أن أشراف هذه المقاطعة قد استعملوا تلك الصيغة فى مقابر أجدادهم خمس مرات كما نجد أن «أنتف» أمير «أرمنت» قد اتبع نفس هذه الطريقة حيث يقول : "لقد وجدت مزار الأمير «نخت بوكر»، آل إلى الدمار، فجدرانه قديمة وتماثيله محطمة، ولم يعتن به أى إنسان؛ فبنيته من جديد، وزدت فى بنائه، وجدّدت تماثيله، وأقمت أبوابه بالحجر حتى يصبح مكانه ممتازا عن أماكن الأمراء العظام الآخرين" .

وكان القيام بمثل هذا البر للأجداد الراحلين نادرا جدا ، ومع ذلك فإن القيام بمثل هذه الأعمال التى ذكرناها لم تكن لها فائدة، إلا أن تؤخر مئونة وقوع اليوم المشئوم الذى تزول فيه تلك الآثار الجميلة. والمدهش فى ذلك أنهم كانوا مع وجود مقابر أجدادهم مخربة أمامهم وأحيانا يخربونها بأيديهم، لا يزالون يقيمون لأنفسهم الأضرحة التى كان لابدّ أن تلق محتوياتها نفس المصير من النهب والسلب والنسيان المطلق، ولا أدل على ذلك مما نشاهده فى قبر « خنوم حتب » الذى يعدّ أكبر

القبور التي تركها لنا أمراء مقاطعة الغزال « بني حسن » ، إذ نجد بين الرسوم الملونة الجميلة التي على جدرانها كتابات قد حشرت حشرا بين الكتابات القديمة الأصلية يرجع تاريخها إلى ١٢٠ جيلا من الناس، وقد خطها كاتبوها على عجل باللغة المصرية القديمة، وكذلك باللغة القبطية والعربية والفرنسية، والإيطالية والانجليزية .

وأقدم هذه الكتابات كانت لكاتب مصري قديم دخل هذا المزار المذكور منذ ٣٠٠٠ سنة مضت، وقد كتبها باليراع بمداد أحمر فوق الجدار وهذا نصها :

"لقد حضر الكاتب « أمين سي » ليرى معبد « خوفو » وقد وجده كالسماء يسطع فيها النجوم". وهذه العبارة كانت قد كتبت هنا بعد أن مضى على بناء المقبرة نحو ٧٠٠ سنة من زيارته . فنرى من ذلك أنه على الرغم من أن صاحبه الأمير « خنوم حتب » كان من أعظم أمراء عصره فإن ذلك الزائر على ما يظهر قد نسي كل شيء من أمره، ولذلك فإنه لما وجد اسم « خوفو » ، قد كتب عرضا فوق الجدار في سياق نقش جغرافي، ظن خطأ أن ذلك المزار هو مزار الملك « خوفو » باني الهرم الأكبر في جبانة « الجيزة » ، وهذا الحادث يدل دلالة واضحة على أن كل معرفة بهذا الأمير العظيم قد اختفت، و بالطبع كانت أوقافه الجنازية التي كانت تمده في عالم الآخرة قد أصبحت في زوايا النسيان التام ، وذلك بالرغم من تلك الاحتياطات التي قام بتسجيلها فوق جدران قبره . ولذلك فإن اللعنات التي كانت تكتب على جدران المقابر لتضر بمن يعبث بها كانت تافهة ولا فائدة منها، وقليلة الجدوى. وقد حاول المصري القديم أن يجد علاجا يضمن به المتوفى سعادة خالدة، فقام بنقش صلوات وأدعية فوق واجهة قبره كان يعتقد أنها ذات تأثير في إمدادها للمتوفى في الآخرة بكل ما يحتاج إليه فيها، فيضمن لنفسه بذلك الحصول على السعادة في الآخرة، فكان لذلك يستحلف كل من يمر على قبره أن يقدم الاحترام له بأن يتلو على قبره تلك الأدعية المنقوشة "أنتم يا من تمرون بهذا القبر بقدر ما تحبون الحياة وتكرهون الموت وترغبون في أن يحبكم آلهة مدنكم، و يكافئوكم و بقدر ما ترغبون

فى أن يرث أولادكم مكانتكم : قولوا قربانا ملكيا من الأطعمة والملابس والزينة الخ إلى فلان". وتلك الأدعية توضح لنا الاعتقاد فى مقدار ما كان لتلك الكلمات من التأثير الفعال ، حينما كانت تقرأ من أجل المتوفى ، وقد انتشرت أمثال تلك الصيغ الدينية انتشارا عظيما منذ عصر الأهرام، فكان ذلك تدرجا يسير مع تعميم هذه العادات الجنازية التى كانت وقتئذ خاصة بالطبقة العليا من الشعب فصارت إذ ذاك حقا للطبقة المتوسطة و بطائفة الموظفين على السواء، وكان مثل تلك الصيغ الدينية فى عهد الأهرام ينحصر استعماله فى عهود الأهرام المتأخرة فقط، وكانت هذه الصيغ خاصة بمصير الفرعون فى عالم الآخرة، ولكن صارت الطبقة الوسطى مع طائفة الموظفين يستعملونها بكثرة .

ظهور متون التوابيت — ونجد كذلك فى الوقت نفسه أنه ظهر فى عالم الوجود طائفة أخرى من « الأدب الجنازى » وهو ما يسميه علماء الآثار « متون التوابيت » وهى صيغ مشابهة لسابقتها وتتحد معها كل الاتحاد فى القيام بوظيفتها ، غير أنها كانت أكثر ملاءمة لحاجات الإنسان العادى من أى شخص آخر من الطبقات العالية ، ولذلك كان كل دهماء الشعب يستعملونها فى ذلك الوقت أى فى العهد الإقطاعى . وقد كان ما يسمى « كتاب الموتى » الذى جاء فيما بعد مؤلفا من منتخبات أخذت من « متون التوابيت » وهذه كانت فى الواقع تتألف من مقتبسات كثيرة أخذت من « متون الأهرام » ، وكانت تكتب فى هذا العصر على أوجه التوابيت الداخلية المصنوعة من خشب الأرز . ولا يزال عدد تلك المتون الجنازية آخذا فى الازدياد، إذ تكشف الآن توابيت جديدة من ذلك العصر تضاف متونها إلى المجموعة التى وجدت من قبل ، وكان كهنة كل بلدة يمدون كل صانع محلى لهذه التوابيت بنسخ من تلك المتون أو التعاويذ ، وكان الكتاب المختصون بملاحظة صانع التابوت قبل تركيب قطعه يملئون أوجهه بالكتابة بالقلم والمداد ، وذلك بتدوين نسخ من هذه المتون ، وكانت كلها تدوّن بدون اعتناء وعدم دقة ، إذ كان مجهود الكتاب إذ ذاك منصرفا إلى ملء تلك الألواح

المؤلفة لأوجه التابوت بالكتابة بأسرع ما يمكن ، حتى أنهم كانوا فى بعض الأحيان يكررون كتابة الفصل الواحد مرتين أو ثلاث مرات فوق نفس التابوت الواحد ، وقد وجدنا الفصل الواحد قد كتب ما لا يقل عن خمس مرات فوق تابوت بعينه[(١)] (انظر شكل ٣٣ ص ٥٠٢) وقد لا يكون ذلك إهمالا من الكاتب أو مجرد ملء الفراغ الذى أمامه بالكتابة بل يكون ذلك التكرار مقصودا ، وذلك لأجل أن يضمن بقاء صيغة من هذه الصيغ إذا ضاعت أو هشمت الأخرى .

أما فيما يختص بالجزء الذى اتحدث فيه « متون التوابيت » هذه مع « متون الأهرام » ، فإنا قد ألفنا وظيفتها ومحتوياتها ، وذلك لأن عالم الآخرة الذى كان يتطلع إليه أهل هذا العهد الإقطاعى كان لا يزال إلى درجة عظيمة عالما سماويا وشمسيا كما كان فى عصر الأهرام ، أى أن عبادة الإله «رع» كانت العبادة السائدة فى ذلك الوقت . ولهذا فإن « متون التوابيت » تكشف لنا عن السيادة المدهشة التى كانت لتلك الآخرة السماوية ، إذ نجد نفس توحيد المتوفى مع إله الشمس كالذى وجدناه فى متون الأهرام .

فمثلا يوجد فصل عنوانه «صيرورة المتوفى رع آتوم» (Lacau, ibid, p. 100) ثم عدة فصول أخرى عنوانها « صيرورة المتوفى صقرا » (Lacau, ibid, p. 37.) وهو الطائر المقدس الممثل لإله الشمس .

---

(١) إن متون التوابيت هذه يتألف منها أعظم وأكبر مجموعة من المصادر الدينية المصرية التى بدىء فى نشرها الآن وقد ظهر جزءان فعلا . ويوجد من هذه التوابيت مائة بالمتحف المصرى . وهذا خلافا لما يوجد فى المتاحف الأوربية والأمريكية ، ومجموعها كلها ١٣٨ تابوتا . وفى عام ١٩٢١ أخذ معهد جامعة « شيكاجو » الشرقى على عاتقه إنقاذ هذه المجموعة الضخمة من الأدب الدينى المصرى من الضياع فهو الآن يقوم بنشرها تباعا . وقد قام الدكتور « دى بك » بنقل هذه المتون فاستغرق عشر سنين وقد تم نقلها الآن وهذه النسخ تحتوى على ٣٠٠٠٠ سطر و ٦٨٢٥ صفحة من المخطوطات .
De Buck, "The Egyptian Coffin Texts," Vols. I and II.

وعلى أية حال فإن اللاهوت الأوزيرى الذى كان قد أخذ فى الانتشار بصفة واضحة منذ الأسرة الخامسة قد تدخل فى « متون التوابيت » بل فى الواقع استولى عليها كما تدخل كذلك فى « متون الأهرام » بالضبط . وأحسن مثال لذلك هـو المتن الذى صار فيما بعد جزءاً من « كتاب الموتى » باسم الفصل السابع عشر[1] ، وقد أصبح فى العهد الإقطاعى الذى نحن بصدده من الفصول المحبوبة إذ نجده يتقدّم على كل المتون الأخرى المكتوبة على عدّة من التوابيت ، وهو فى جملته يعـبر عن توحيد المتـوفى مع إله الشمس ولو كان يظهر معه بعض الآلهة الآخرين أيضا . إذ يقول الرجل المتوفى :

" إنى « آتوم » وأنا الذى كنت وحيدا .

" وإنى « رع » عند أول ظهوره .

" وإنى الإله العظيم خالق نفسه .

" والذى سوى أسماءه ورب الآلهة .

" والذى لا يدانيه أى إله بين الآلهة .

" وأمس ملكى وإنى أعرف الغد " .

وقد عثر على شرح لهذا المتن القديم يرجع تاريخه إلى العهد الاقطاعى ، وهذا الشرح كتب بصفة تعليق على السطر الذى جاءت به عبارة «أمس ملكى» «وإنى أعرف الغد» ففسر هذا السطر بقول الشارح : "ذلك هو «أوزير»" ، مع أنه من الواضح تماما أن هذا النص كان خاصا بإله الشمس فقط كما يفهم من سياق الكلام.

ولقد كان من جراء صبغ تلك المتون بالصبغة الأوزيرية ، أن أدخل العالم السفلى الذى كان خاصـا بأوزير فى المتون الشمسية والسماوية . وبهـذه الكيفية لم يكن لدينا فى متون التوابيت مجمـوعة المعتقدات الشمسية والأوزيرية وحسب ، وهى التى امتزج بعضها بالبعض الآخر بحالة أتم وأكثر ممـا كانت عليه من قبل —

(1) Grapow, "Religiose Urkunden," Spruch 17.

بل كانت النتيجة أن « رع » إله الشمس قد حشر الآن فى عالم الآخرة السفلى الخاص « بأوزير » . وعلى ذلك يمكن عرض الحوادث فى ذلك الصدد بصورة تشعر بشىء من المبالغة إذا قلنا إن « أوزير » فى « متون الأهرام » قد رفع إلى السماء فى حين أننا نجد أنه فى « متون التوابيت » و « كتاب الموتى » قد أنزل « رع » من مقره السماوى إلى الأرض . ولكن الارتباك « اللاهوتى» الذى نتج عن ذلك كان أدهى وأمر مما جاء فى متون الأهرام؛ فقد تم الامتزاج بين المصير السماوى المتألق الفاخر، وبين عالم آخر مظلم واقع فى ظلمات العالم السفلى، وبجانب ذلك مثوى سماوى .

وإنه لمن الأمور الصعبة أن يكوّن الإنسان أية فكرة متصلة الحلقات عن الحياة فى عالم الآخرة التى كان يأمل أهل ذلك العصر الوصول إليها ، إذ نجد الصورة الشمسية الأوزيرية المركبة وهى التى ذكرت فى متون الأهرام ، وفيها قد أرخى أولئك الكهنة الذين ترجع إليهم كل الارتباكات التى نجدها فى «متون التوابيت » لخيالهم العنان يجول كيف يشاء .

فالمتوفى المصرى القديم الذى كان يشاطره « أوزير» مصيره — وكان كذلك يسمى « أوزير » ابنه « حور » (ابن أوزير) — يسمع نفسه كلمات الخضوع والوعد بالسعادة ، الموجهة إليه من ابنه المقدس « حور » . على أن مثل تلك الصور كانت تنتقل فجاءة فتغير امتيازات شمسية كما يأتى هكذا :

"إنك تطوف حول الأقطار مع « رع » فهو يجعلك ترى الأماكن الممتعة ، وتجد الأودية مفعمة بالمياه لغسلك ، وإنعاشك ، فإذا أنت تقطف أزهار البطاح ونوار « هنى » وزهور السوسن ، والزنبق ، وتأتى إليك طيور البرك آلافا جاثمة فى طريقك ، وعندما ترمى مقمعك لصيدها يسقط منها ألف برنين صوته وتشمل الأوز ، والعصفور الأخضر والسمان ، وطيور «كونست » . وقد أمرت بأن يؤتى إليك بالغزلان الصغيرة والعجول البيض ، وأمرت بأن يحضر إليك

الحداء والكباش المسمنة بالحبوب وقد ربطت لك سلم السماء ، والإلهة « نوت » تفتح لك ذراعيها ، وإذا أنت تسبح بسفينتك فى بحيرة الزئبق". ففى هذا المتن نشاهد المتوفى يصطاد فى الأودية والبطاح وهى التسلية المحببة إلى الفرعون وأشرافه ، ولكنا نلاحظ أن المؤلف ينتقل بغاءة إلى بحيرة علوية فى عالم السماء .

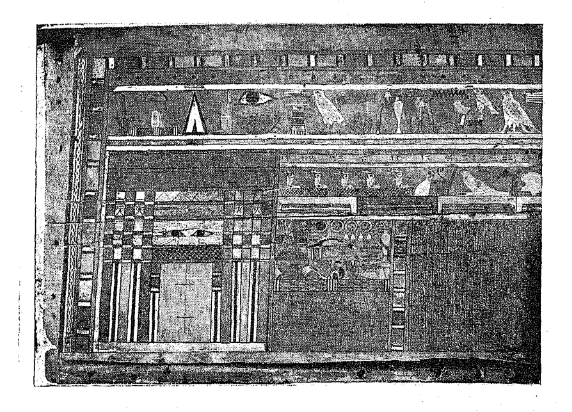
ومع أن ذلك المصير الذى نجـده خاصا بالملوك فى كل الصيغ التى جاءت بها متون الأهرام قد صار الآن على هذا النحو من نصيب كل إنسان من الشعب ، فإن الحياة التى كانت أبسط من تلك التى وصفناها ، وهى التى كان الفرد المتواضع يعيش فيهـا و يصبو إلى دوام استمرارها معـه فى عالم الآخرة فيما بعـد الموت كان يلحظ وجودها كذلك أيضا فى متون التوابيت . فكان المتوفى حيثما يكون وضعه فى التابوت يمكنه أن يقرأ تعويذة خاصة ، ببناء بيت لرجل[1] فى العالم السفلى ، وحفر بركة لحديقة ، وغرس أشجار فاكهة ، وعندما كان المتوفى يصير صاحب بيت تحيط به الحديقة والبركة حولها الأشجـار الوارفة ، فإنه كان يحب أن يضمن استيطانه فيه ، ومن ثم كان لابدّ له من فصل يتضمن وجود الرجل فى بيته[2] . غير أن سكناه هـذا البيت منفردا مـن غير مرافقة أسرته وأصحابه كانت فكرة لا يمكن احتمال وجودها ؛ ومن ثم كان يوجد كذلك فصـل آخر لذلك عنوانه « خـتم[3] مرسوم خاص بالأسرة وإعطاء الرجل أهل بيته فى العالم السفلى » . ونجد فى المتن الخاص بهذا الفصل أن تفاصيل المرسوم قد عينت خمس مرات مختلفة فى أشكال مختلفة ، فنجد "أن الإله «جب» إله الأرض قد قرر بأن أهل بيتى يعطون إلى" وهم أولادى و إخـوتى ووالدى ووالدتى وعبيدى وكل عقارى" ، وخشية أن ينتزعها منـه أى شيطان رجيم نجد الفقرة الثانية من هـذا الفصل تؤكد "أن « جب » قد قال إنه سيطلق لى فى الحال سراح أهل بيتى أى أطفالى و إخوتى وأخواتى ووالدى ووالدتى

(1) Lacau, "T. R." LVII, p. 114.
(2) Ibid, XXXIV; p. 84.
(3) Ibid, LXXII, p. 116.

وكل عبيدى وعقارى ناجين من كل إله ومن كل إلهة ومن كل متوفى « غيره » أو أى إنسان ميت غيره" . ولضمان تنفيذ ما جاء بهذا المرسوم كان يوجد فصل آخر أيضا عنوانه « ضم أهل بيت الرجل فى العالم السفلى »[1] . وبهذا الفصل كان يتم اجتماع شمل أهل البيت من الأب والأم والأطفال والأصدقاء والأقارب والأزواج والحظيات والعبيد والخدم وكل ما يملكه الرجل ليكون معه فى العالم السفلى ، مع أن فكرة إعادة بيت الرجل وأهل بيته إليه فى عالم الآخرة كانت تتضمن الاعتقاد القديم بضرورة تقديم الطعام باستمرار إلى المتوفى ، ومن ثم كان يوجد فصل آخر لذلك عنوانه « فصل فى أكل الخبز فى العالم السفلى »[2] ، أو أكل الخبز على مائدة « رع » و بذل الرخاء فى « هليوبوليس » . و يظهر لنا فى الفصل الذى يلى هذا الفصل مباشرة فى متون التوابيت كيف "أن القاعد يقعد ليأكل الخبز عندما يقعد « رع » ليأكل الخبز أيضا . أعطنى خبزا عند ما أكون جائعا ، وأعطنى جعة عندما أكون عطشان". وقد ظهر لنا فى متون التوابيت هذه اتجاه ظاهر جدا سنراه بعد ، وقد انتشر انتشارا تاما بحسب الغرض الذى قصد منه . وهذا الاتجاه ينحصر كذلك فى أن عالم الآخرة هو مكان الأخطار والمشاق التى لا عدد لها ، وأن معظم تلك الأخطار مادية ، و إن كانت فى بعض الأحيان خاصة بتأهيل المتوفى و إعداده إعدادا عقليا . وكان السلاح الذى يستعمل للنجاة من تلك الأخطار والمشاق يعدّ أضمن الوسائل التى يمكن الحصول عليها لحماية المتوفى ؛ وذلك بتمكن المتوفى من بعض القوى السحرية التى كانت فى العادة رقية خاصة تتلى عند اللحظة الحرجة — وقد تحوّل هذا الاتجاه الفكرى بعد ذلك فصار «متون التوابيت» ثم صار فى النهاية « كتاب الموتى » الذى جعل من هذه المتون مجموعة من التعاويذ تزداد على مرّ الأيام . وكانت تعتبر فى نظر القوم لا محالة ذات أثر فعال فى حماية المتوفى ، أو

(1) Lacau, "T. R." II, p. 9.

(2) Ibid, III, p. 15.



شكل رقم ٣٣ « تابوت من الخشب من عهد الدولة الوسطى »

تضمن له فى الحياة الأخروية الحصول على أى نعيم كان يحبه فى الحياة الدنيا .
(Lacau, "T. R." LXXVIII, p. 126).

وعلى ذلك كانت توجد تعويذة يصبح بها المتوفى ساحرا وهى موجهة إلى الأفراد المنعمين الذين فى حضرة « آتوم » إله الشمس . وهذه التعويذة فى ذاتها رقية تختم بالكلمات التالية : "إنى ساحر" . وخوفا من فقدان المتوفى قوّته السحرية كان هناك احتفال يحتوى على وضع رقية سحرية مع المتوفى حتى لا تنزع منه قواه السحرية حينما يكون فى العالم السفلى ، مع أن أبسط هذه الأخطار التى من أجلها ألفت هذه الرقى كان منشؤه من غير شك التخيلات الصبيانية الساذجة التى كان دهماء الشعب يتخيلونها . وكانت تكون فى غالب الأحيان سخيفة إلى أقصى حدّ ، إذ نجد تعويذة عن منع أخذ رأس الرجل منه ، مع أنه يوجد فى متون الأهرام الرقية القديمة التى تمنع إجبار المتوفى على أكل براز نفسه ،

(Lacau, "T. R." XXIII, p. 66) ، أو شرب بوله . وكان لا بدّ لجسم الإنسان من التحلل ، ومن ثم كان يوجد لمنع هـذا التحلل رقيتان حـتى لا يتحلل جسـمه فى العالم السـفلى (Lacau, "T. R.", XXV, p. 73) . وقد كان من جراء ثقـة الإنسـان العمياء بمثل هـذه التعاويذ أن صار فى يد الكهنة فرصة لا حدّ لهـا بما تدرّه عليهم من الكسب الوفير . وقد كان فى مخيـلاتهم باضطراد إنتاج التعاويذ الجديدة باستمرار ، وقد كانت تباع هذه التعاويذ مثل صكوك الغفران فى القرون الوسطى فى أوربا بطبيعة الحال إلى المشترين السذج الذين كان عددهم يزداد على الدوام . وقد ساعدت هـذه الوسيلة كثيرا على ازدياد مخاوف الشعب من أخطار ومشاق الحياة الآخرة ، كما ساعدت على نشر الاعتقاد فى كفاية مثل هـذه الطرق لدرئها . ويجب علينـا أن نتعرّف عمـل أولئك الكهنة ، وكان يمثـل فى صـورة كاتب سرى اسمه « جيجا » (Lacau, "T. R.," IX, p. 26) ، وهو يعـدّ عدوّا للموتى . من أجل ذلك ألفت رقية خاصة لمساعدة المتوفى على تكسير القلم ، وتهشيم أدوات الكتابة ، وتمزيق الملفات الخاصة « بجيجا » الشرير .

وكذلك نجـد أن الخطر المهـدّد الذى كان يتقى شره فى متون الأهرام هـو مهاجمة الثعابين السامة للمتـوفين ، وكان أهل العهـد الإقطاعى كذلك يحبون أن يدرءوا هذا الخطر نفسه عنهم ، ولذلك كان يوضع مع المتوفى لفافة فيها رقى لأجل دفع الثعبان ودفع التماسيح عنه . (Lacau, "T.R." LXXIII, p. 119) وفضلا عن ذلك كانت الطريق الخاصة بالمتـوفى معرقلة بالنيران . وكان لا بد له من الهلاك المحتم ، إذا لم تكن لديه رقية ليخرج بها من النار أو يتمكن بها من الخروج من النار خلف الإله العظيم [1] .

---

(١) لقد أصبح من الثابت تقريبا أن سيدنا « إبرهيم » كان يعيش فى هذا العصر أى عصر الدولة الوسطى الذى ظهرت فيه متون التوابيت وربما كان من معجزات هذا العصر الدخول فى النار والخروج منها بالسحر (قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم) . قرآن كريم (Lacau "T. R." XLVIII, p. 95)

وعنـد ما كان المتوفى يضطر بالفعـل إلى الدخول فى النار كان فى قدرته أن يدخلها فى أمان منها بوساطة «تعويذة لدخول النار والخروج من النار خلف السماء» والواقع أن الكهنة قد رسموا للمتوفى مصورا للسياحة التى ينتظر أن يقوم بها ليكون مرشدا له عند باب النار العظيم فى المدخل ليريه الطريقين اللتين يمكنه أن يستأنف منهما سيره ، وقد كانت إحدى تينك الطريقين برية والأخرى مائية ، وكان بينهما بحيرة من نار وكان هذا المصور ملونا بالألوان المختلفة على مسطح قعر التابوت من الداخل حيث يكون جثمان المتوفى فوقها ، إذ أن ذلك المكان هو الملائم لرسم مصور العالم السفلى فيه ، وكان مع هذا المصور دليل سحرى أيضا يسمى «كتاب الطريقين»[1] وكان كذلك مكتوبا فوق رقعة التابوت . على أنه كان يحتمل أن يحدث بالرغم من كل هذه الإرشادات أن المتوفى لسوء حظه قـد يجول فى مكان إعدام الآلهة ، ولكنه كان ينجو من ذلك بتعويذة تسمى «عدم الدخول فى مكان إعدام الآلهة» .

وخوفا من أن يحكم على المتوفى بالمشى منكسا على رأسـه فإنه كان يجهـز بتعويذة تمنعه المشى على رأسه منكسا (Lacau, "Textes Religieux Egyptiens, XLIV, p. 91) ، وكان أولئك الموتى التعساء الذين حكم عليهم بالمشى المنكس أشدّ أعداء الإنسان فى عالم الآخرة ؛ ولذلك كانت الحيطة منهم أمرا ضروريا جدا ، إذ يقال للمتوفى : "إن الحيـاة تأتى إليك ولكن الموت لا يسعى إليك ... ... وهى (الجوزاء والشعرى ونجم الصباح) تنجيك من حنق الموتى الذين يمشون ورءوسهم إلى أسفل وأنت لست منهم ... ... استيقظ للحياة فإنك لن تموت ، قم للحياة فإنك لن تموت" .

وبهذه الحالة كان الاعتقاد فى قوة تأثير السحر آخذا فى الانتشار ، وكان بمثابة سلاح لا يخطئ فى يد المتوفى ، وسنرى فى النهاية أن السحر يسود كل المعتقدات

(١) كتاب الطريقين متون سحرية لم تظهر أولا إلا فى عهد الدولة الوسطى على توابيت من مقاطعة الأشمونين وسنتكلم عنها فى فصل خاص لأهميتها (راجع (Lacau, "Sacrophages Anterieurs au Nouvelle Empire", Vol. I, pp. 189-198, 207-221; Vol. II, pp. 26 ff. Pls. LV, LVII)

الجنازية الأخرى ، كما سيكشف لنا ذلك « كتاب الطريقين» الذى دوّن فى هذا العصر ثم « كتاب الموتى » الذى جاء بعد مضى عدّة قرون على ذلك العهد الذى نحن بصدده ؛ إذ ليس من شك فى أن المذهب الأوزيرى كان له أثر عظيم فى انتشار استعمال هذه الطرق السحرية الجنازية . ولا شك فى أن أسطورة « أوزير» التى كانت منتشرة فى هذا الزمن انتشارا عاما قد جعلت كل طبقات الشعب يعرفون نفس هذه الطرق التى اتخذتها « ازيس » لإحياء زوجها « أوزير» من الموت ، وهى تلك الطرق التى كان يعتقد كل مصرى قديم أنها ذات تأثير عظيم فى عالم الآخرة ، كما كانت ناجعة التأثير بالنسبة إلى « أوزير» من قبل . وبقدر ما كان مذهب « أوزير» قويا فى عصر الأهرام فإن انتشاره العام الآن فى العهد الإقطاعى كذلك قد فاق كل انتشار معروف سبق من قبل . إذ نجد فيه ظفر ديانة الشعب التى كانت مناهضة وقتئذ لعبادة « رع » الحكومية ، وهى التى كانت تشبه أية كنيسة معترف بها الآن . وقد كانت سيادة « رع » تعتبر ظفرا سياسيا . أما ظفر ديانة « أوزير» التى كان يشدّ أزرها بلا ريب طائفة من مهرة الكهنة وربما كانوا يقومون لها بدعاية مستمرة وقتئذ ، فإنه لم يكن فى طاقة أى طائفة ، ولا طاقة الحكومة ، ولا الأشراف مناهضتها ، وذلك لأن النعم التى كان يقوم بإغداقها المصير الأوزيرى فى الحياة الآخرة على كل الناس يجعلها ذات جاذبية قوية شاملة لا تناهضها أية جاذبية أخرى منافسة لها . وإذا كانت تلك النعم المذكورة فى زمن ما قاصرة على الفرعون وحده كما كان المصير الشمسى فى متون الأهرام قاصرا عليه ، فإننا قد شاهدنا أنه حتى الآخرة الشمسية الملكية قد صارت الآن من حق الجميع يستوى فيها الفرعون مع بقية أفراد الشعب .

الحج إلى بيت أوزير — ومن بين القبور المحترمة التى يرجع تاريخها إلى عهد الأسرات الأولى فى «العرابة المدفونة» قبر كان يعتبره القوم فى ذلك الوقت قبر «أوزير» وقد صار بسرعة المقام المقدّس فى القطر المصرى فكانت تحج إليه كل طبقات

الشعب ، وكانت أعظم البركات التى ينالها الإنسان هى أن يدفن بجوار ذلك القبر المقدس ، ولذلك كان كثير من الموظفين عنـد قيامهم بمأمورية رسمية ، أو رسالة فى هـذه الجهة ينتهز الفرصة لإقامة قبر له هناك . وإذا تعـذر عليه بناء قبر حقيقى كان يقيم الإنسان لنفسه مقبرة وهميـة على الأقل ويكتب عليها اسمـه وأسماء باقى أفراد أسرته وأقاربه ، وإذا تعـذر ذلك أيضا أقام لنفسه لوحة تذكارية ينقش عليها أدعيـة للإله « أوزير » العظيم خاصة بالزائر وأسرته ، وقد فعل مثل ذلك كثير من الحجاج والزوار من الموظفين لهـذه البقعة المقدّسة ، ولذلك يقول موظف من عهـد الفرعون « سنوسرت الأول » : " لقد أقمت هذا القبر عند طريق سلم الإله العظيم لأكون من أتبـاعه ، والجنـود الذين يأتون فى ركاب جلالته يقدمون إلى روحى (كا) من خبزه ومئونته ، كما يفعل ذلك كل رسول ملكى يأتى للتفتيش على حدود جلالته " .

وكان داخل سـور معبد الإله « أوزير » وما يجاوره مزدحما بتلك اللوحات التذكارية وهى كما نجـدها اليوم تؤلف جزءا هاما من المصادر التى يصح الاعتماد عليها فى تدوين تاريخ ذلك العصر من الوجهات السياسية والاجتماعية والدينية .

زيارة جثمان المتوفى «العرابة المدفونة» — وقد كان فى قدرة كل واحد من حكام المقاطعات القـوية أن يحمل جثمانه إلى العرابة المدفونة بعـد وفاته لتقام له شعائر خاصة هناك ثم يجلب معه بعض التذكارات المقدّسة لتوضع معـه فى قـبره المقام له فى مقاطعته ، كما يحمل المسلمون معهم الآن المـاء من « بئر زمزم » إلى أوطانهم وكما كانت تحمل السيدات الرومانيات المياه المقدّسة من معبد « إزيس » «بالفيلة» إلى حيث يتبركون بها فى الجهات البعيدة عنها . وقد رسم «خنوم حتب» (1) فوق جدران مزار قبره «ببنى حسن» هذه السياحة فى النيل ، وفى ذلك المنظر نرى جسمه المحنط محمولا فى قارب جنـازى صاعدا فى سيره نحو الجنوب ، وخلفه الكهنة والمرتلون

(1) Newberry, B. H., Vol. I, Pl. XXIX.

وتسمى هذه النقوش "السياحة صعودا فى النهر لمعرفة أشياء العرابة". ويوجد مع هذا المنظر منظر آخر يظهر فيه سياحة المتوفى منحدرا مع التيار فى النهر. وقد فسر بالكلمات الآتية: العودة محملين بأشياء «العرابة». ولا ندرى كنه هذه الأشياء المقدّسة بالضبط، ولا سبيل لدينا للآن لمعرفتها، غير أنه من الواضح أن الغرض من تلك الزيارة الخاصة بالإله العظيم فى العرابة المدفونة هو أن يقدّم المتوفى نفسه شخصيا للإله العظيم، وبتلك الكيفية يضمن لنفسه عطف الإله فى الحياة الأخرى [1].

وهكذا كان الزوّار الذين يأتون إلى «العرابة المدفونة» قبل الوفاة وبعده يحملون معهم القرابين التذكارية، وهى التى يعثر عليها خلال أعمال الحفر الآن مدفونة على بعد عميق تحت كومة عظيمة من الفخار المهشم ومعها كثير غيرها من الهدايا الأخرى التى تركها هناك الحجاج الذين وفدوا على هذا المكان المقدّس مدّة آلاف السنين. ولا بدّ أنه كان يجتمع هناك الجم الغفير من أولئك الحجاج الزائرين لذلك المقام المقدّس بالقطر المصرى فى كل العصور، وبخاصة فى ذلك الموسم الذى كانت تمثل فيه حوادث أسطورة الإله فى شكل مسرحى يمكننا أن نسميها بحق مسرحية الآلام أو المأساة.

مسرحية آلام أوزير — وبالرغم من أن تلك المسرحية قد فقدت تماما فإن لدينا لوحة «اخرنوفرت» التذكارية المحفوظة الآن بمتحف «برلين» تمدّنا

(١) والواقع أن هذين المنظرين قد رسما ليوضحا لنا السياحة للعرابة المدفونة. وواضح من النقوش «السياحة صعودا فى النهر والعودة» ومن المناظر المرسومة نفسها أن السياحة إلى «العرابة» والعودة منها هى التى مثلت. فالسفينة الصاعدة إلى أعالى النيل، أى ضدّ التيار نشاهد شراعها منتشرا بهيئة توحى بذلك، على حين أن السفينة الأخرى التى للعودة نشاهد أن ساريتها قد أزيلت من مكانها كما جرت العادة عند السير مع التيار فى أيامنا هذه. وفضلا عن ذلك فإن كلتا السفينتين تشاهد فعلا فى الرسم الذى على جدران القبر المذكور، واحدة منها ذاهبة إلى «العرابة» والأخرى عائدة منها. على أن هذا الرسم للعودة والذهاب لا يقتصر على هذا المنظر فقط بل نجد ما يماثله فى سفن الملكة «حتشبسوت» المرسومة على جدران معبد الدير البحرى ذاهبة إلى بلاد «بنت» وآتية منها.

بالملخص الذى يمكننا به أن نستخلص ، ولو على أقل تقـدير عناوين أهم فصول المسرحيـة المذكورة ، ولا نزاع فى أن هـذه المسرحية قد مثلت أهم الحوادث الواردة فى أسطورة « أوزير » وقد كان « اخرنوفرت » ضابطا من ضـباط الملك « سنوسرت الثالث » ، وكان قد أرسله ليقوم ببعض الإصلاحات فى معبد « أوزير » « بالعرابة المدفونة » . وقد ذكر فى لوحته الأمر الملكى ثم ذكر لنا بعد ذلك كيفية تنفيذه .

وهاك ما جاء فى هـذه اللوحة العظيمة بعـد ذكر مقدّمة لا داعى لنقلها هنا : (Breasted, A. R., Vol. 1, Par. 661) "أمر ملكى للأمير الوراثى ، والحاكم ، وحامل الخاتم الملكى ، والسمير الوحيـد ، وسيد بيتى الذهب وسيد بيتى الفضة ، ووزير المـالية ، « إخرنوفرت » المعظم . أمر جلالتى أن تذهب الى « العـرابة المدفونة » لتقيم آثارا لوالدى « أوزير أول أهـل الغرب » ، وذلك لتزيين مكانه السرى بالذهب ، الذى أمر جلالتى أن أحضره من « النوبة » العليا فائزا منتصرا . انظر ! إنك ستعمل ذلك قربانا لإرضاء والدى « أوزير » . ومنـذ أن أرسلتك جلالتى فإن قلبى متؤكد بأنك ستقوم بعمل كل شىء حسب رغبة جلالتى ، ولقد كنت ممن درّبتهـم جلالتى ، وتعليمك منحصر فى القصر ، وعينتك جلالتى عنـد ما كنت لا تزال حدث السنّ فى السادسة والعشرين من عمرك ، وقد عمل جلالتى هـذا لأنى رأيت أنك رجل ممتاز فى أخلاقه ، سلط اللسان منـذ نشأتك ، وملم بالكلام . وقد أرسلتك جلالتى لتقوم بهذا ، لأن جلالتى قد عرف أنه ليس هناك فرد آخر يعملها ويحرز صفاتك الحسنة . فأسرع فى الذهاب ، وافعل حسب كل ما أمر به جلالتى" .

ثم يتلو ذلك ما قاله وزير المـالية إطاعة للأمر .

"لقـد نفذت التعليمات حسب كل ما أمر جلالتـه ، فزينت كل ما أمر به سيدى ، من أجل والده « أوزير أول أهـل الغرب » ورب « العرابة » العظيم ،

المهيمن ، الواحد القاطن فى « طينة » ولقد أنبت عنه بوصفى « ابنا يحبه » (أى بدل الملك) لأجل « أوزير » أوّل أهل الغرب ، وزينت (القبر) العظيم إلى أبد الآبدين ، وصنعت له محفة (سميتها) « حاملة جمال أوّل أهل الغرب » من الذهب والفضة واللازورد ، والخشب والعطر وخشب الخرنوب ، وخشب المرو ، وكذلك صنعت آلهة تاسوعه المقدّس ، وعملت لها مقاصير جديدة ، وجعلت كل كاهن غير محترف يقوم بواجباته ، وجعلتهم يعرفون شعائر كل يوم ، وأعياد أوائل الفصول ، وأشرفت على صنع القارب المقدّس ، وصنعت مقصورته ، ورصعت جسم رب « العرابة » باللازورد والفيروز ، والذهب وكل الأحجار الثمينة وذلك بين الحلى التى كانت من قبل على أعضاء الإله (تمثاله) ، وألبست الإله ثوبه بحكم وظيفتى رئيسا للأشياء السرية وقياما بواجبى بصفتى كاهنا ، وكنت طاهر اليد نظيفها عند تزيين الإله ، وكاهنا نظيف الأصابع .

ولا نزاع فى أن كل ما ذكر مفيد جدّا لأنه يكشف لنا عن بعض الشعائر الخاصة بعبادة الإله « أوزير » وبعد ذلك يقص علينا طورا فريدا من أطوار حياة الإله « أوزير » خاصا بإحياء ذكرى موته وبعثه فى « العرابة » فيقول :

احتفلت بطلعة الإله « وبوات » ، عند ما طلع ليحارب والده ، وأقصيت العدو من القارب المقدّس وهزمت أعداء « أوزير » واحتفلت بالطلعة العظيمة مقتفيا الإله عند ذهابه ، وجعلت القارب المقدّس للإله « تحوت » يجرى على (البحيرة المقدّسة) ، وجهزت القارب مضيئا حقا لرب « العرابة » بمقصورته . وألبسته حلته عند ما خرج ذاهبا إلى القرية (الجبانة الملكية) ، وقدت طريق الإله إلى قبره أمام « بقر » ونازلت « نفر » أى (أوزير) فى يوم الشجار العظيم ، وذبحت كل الأعداء على شاطئ ماء « نديت » وحملته إلى القارب المسمى العظيم عند ما كان يحمل جماله ، وأدخلت السرور على قلب المرتفعات الشرقية . وأوجدت الانشراح فى المرتفعات الغربية ، ولما رأوا جمال القارب المقدّس عند ما رسا فى « العرابة المدفونة » . أحضروا

« أوزير أوّل أهل الغرب » ، ورب «العرابة المدفونة» إلى قصره، ومشوا خلف الإله حتى بيته ليحتفلوا بشعائره عند ما يعود إلى مسكنه، وحلت عقدة (المقصورة) فى وسط أتباعه و بين حاشيته .

وقد تبين لنا من هذه العناوين المدوّنة بتلك اللوحة التذكارية عن المسرحية المذكورة أنه كان لا بد من أن يستمر تمثيلها عدّة أيام، وأنه كان من الجائز أن يستمر تمثيل كل فصل من فصولها الهامة على أقل تقدير يوما كاملا ، وأن الجمهور كان يشترك فى كثير مما كان يحدث فيها . وإننا ندرك من ذلك المختصر المدوّن على لوحة « إخرنوفرت » أن تلك الرواية كانت ذات فصول ثمانية .

فالفصل الأوّل يكشف لنا عن ذلك الإله الجنازى القديم « وبوات » خارجا فى موكب ليشتت أعداء «أوزير» ويفتح له الطريق (ومن ثم اشتق هذا الاسم).

وفى الفصل الثانى يظهر « أوزير » نفسه فى قاربه المقدّس الذى ينزل فيه بعض الحجاج ومنهم « إخرنوفرت » كما يقص ذلك علينا فى نقوش لوحته التذكارية بزهو وافتخار، وكان « إخرنوفرت » هذا يساعد « أوزير » فى صدّ الأعداء الذين يعرقلون سير القارب، ولا شك فى أنه كانت تحدث بين الجمهور إذ ذاك معركة عامة كالتى شاهدها «هردوت» فى بابريمس، بعد ذلك الحادث بألف وخمسمائة سنة — فكان بعضهم يقوم بحماية الإله فى القارب ، بينما يمثل الآخرون دور أعدائه المزدحمين فى خارج القارب برءوسهم المهشمة فى زهو من أجل ذلك الاحتفال .

ويلحظ هنا أن « إخرنوفرت » هذا قد مر على موضوع قتل الإله مر الكرام دون أن يذكر شيئا من ذلك ، كأن ذلك فى نظره موضوع مقدس لا يصح وصفه .

وقد ذكرنا — فقط — أنه قام بتنظيم « الموكب العظيم » للإله ، وهو احتفال مظفر نوعا ما عند ما لاقى الإله حتفه، وهذا كان موضوع الفصل الثالث .

وفى الفصل الرابع : يخرج « تحوت » رب الحكمة . ولاشك أنه مجد الجثة ، و إن كان ذلك لم يرد ذكره . ويتألف الفصل الخامس : من الاحتفالات المقدّسة التى يجهز الإله بوساطتها للتحنيط ، فى حين أن الفصل السادس : يشاهد الجمهور يسير فى زحام عظيم إلى المقام المقدس بالصحراء التى خلف « العرابة المدفونة » حيث يضعون جثمان ذلك الإله الراحل فى قبره .

وأما فى الفصل السابع فلا بد أنه كان مشهدا رائعا فعلى شاطئ (أو ماء) « نديت » القريبة من « العرابة المدفونة » تهزم أعداء « أوزير » بما فيهم الإله « ست » وأتباعه بطبيعة الحال — فى موقعة عظيمة على يد « حور » بن « أوزير » ؛ ولم يذكر لنا « إخرنوفرت » شيئا عن بعث الإله وقيامه ثانية من بين الأموات .

ولكن فى الفصل الثامن نشاهد « أوزير » وقد عاد إلى الحياة يدخل إلى معبد « العرابة المدفونة » فى موكب مظفر .

فكان من الواضح إذا من كل ما ذكر أن «المسرحية» المذكورة قد مثلت أهم الحوادث الواردة فى أسطورة « أوزير »[1] .

وقد كان لمثل ذلك العيد الشعبى الكبير مكانة عظيمة فى نفوس القوم إذ نشاهد مرارا وتكرارا قيام الحجاج بالصلاة للإله العظيم لينالوا بعد الموت حظوة الاشتراك فى هذا الاحتفال العظيم ، وهذا يماثل بالضبط مارتبه « زفاى حعبى » لنفسه فيما بعد الموت ليشاطر بنصيبه فى الاحتفالات بالأعياد فى « سيوط » .

وهكذا كان لصياغة حوادث أسطورة « أوزير » فى شكل مسرحى أثر قوى فى نفوس عامة الشعب .

على أن مسرحية مأساة « أوزير » هذه فى أى شكل من أشكالها قد استولت على خيال المجتمعات المصرية ، فهى بالضبط كما قد وجدها « هردوت » فيما بعد

(1) Breasted, "Dawn", pp. 245, 246; M. Kamal, A. S. XXXVIII, p. 272.

فى « باريميس » ، وكانت إذ ذاك تنتشر من بلدة إلى أخرى لتحوز المكانة الأولى فى تقويم الأعياد السنوية ، وبهذه الكيفية نال «أوزير» مكانة سامية فى حياة عامة الشعب وآمالهم لم ينلها إله آخر ، وقد كان مصير « أوزير » الملكى الذى صور بهذه الصورة المسرحية الناطقة سببا فى انتشار الاعتقاد بين الشعب ، بأن هذا المصير الذى كان فى وقت ما (عصر الاهرام) وقفا على الفرعون فقط قد صار من نصيب كل الناس ؛ ولم يكن يلزم لأى شخص كان يريد مثل هذا المصير إلا أن يحصل كما ذكرنا من قبل على نفس العوامل السحرية التى استعملتها « إزيس » لإرجاع الحياة ثانية إلى زوجها الميت وهو « أوزير » المقتول ظلما بيد أخيه « ست » ، وهذه العوامل تجلب لكل إنسان هذا المصير المبارك الذى ناله هذا الإله العظيم الراحل .

وقد كان محتما حدوث مثل ذلك التدرج فى تلك العقيدة الجنازية « الشعبية » كما شاهدناه من قبل حتى صارت ثقة الناس بها تزداد باضطراد دالة على كفاية السحر وقوة تأثيره ونفعه فى الحياة الآخرة .

أثر السحر فى نفوس الشعب فى هذا العهد بخاصة — وإنه لمن الصعب أن يفهم العقل الحديث الذى لم يندمج فى أفكار هؤلاء القوم الدينية وتاريخهم ، كيف أن مرافق الحياة جميعها قد تسرب إليها الاعتقاد فى السحر بحالة صيرته صاحب السيطرة على السعادة الشعبية ، وكان ذلك ظاهرا على الدوام حتى فى أبسط الأحوال المنزلية العادية ، إذ صار من الأشياء التى يزاولها الإنسان بطبيعة حياته كالنوم أو تجهيز الطعام ، فقد صار السحر يتألف من نفس الجو الذى كان يعيش فيه أهل الشرق قديما .

وقد كانت الحياة المنزلية فى الشرق قديما غير ممكنة إلا بالالتجاء إلى نفوذ تلك العوامل السحرية الناجعة التى كانت تستعمل على الدوام ، والتى لولا نفوذها لأبادت القوى المهلكة الخفية كل البشر كما كانوا يعتقدون ، وبخاصة عند العامة .

ولما كان من الضرورى استعمال هـذه الطرق ضـد الأمراض بخاصة فإن الوسائل العادية المتعلقة بالحياة المنزلية والاقتصادية كانت توضع دائما تحت حماية السحر فكانت الأم[1] لا يمكنها أن تهـدئ من روع طفلها المتألم المريض وتجعـله يضطجع طلبا للراحة إلا بعـد الاستنجاد بالقوى الخفية لتقوم بتخليص هذا الطفل من المـرض ، ومن الحسد ، ومن سلطان أشباح الشر السوداء التى كانت تنزوى فى أحد أركان البيت المظلمة[2] ، أو التى كانت تتسلل من الأبواب المفتحة عنـدما يسدل الظلام خيامه فوق البيت حتى تدخل جسم هذا الطفل الصغير فتنتشر فيه . وكان من أشباح الشر الشيطان الذى يمكنه أن يتشكل فى صورة محبوبة ثم يتقرب من المريض الصغير مظهرا له أنه فى قدرته أن يشفيه من أوجاعه أو تخفيف آلامه . ويمكننا أن نستمع — حتى فى أيامنا هذه — إلى صوت الأم وهى منحنية على طفلها ترنو إليه بنظراتها السريعة من هذا الباب المفتوح فى تلك الظلمة المسكونة بقوى الشر هذه وتقول : "أسرع إلى الخارج أنت يامن يأتى فى الظلمة ، ويامن يدخل إلينا خاسة ، وأنفه إلى خلفه ، ووجهه ملتفت إلى الوراء ويا من تفقد من قد جئت من أجله

هل تأتى لتقتل هذا الطفل ؟ إنى لن أسمح لك بقتـله .

هل تأتى لتخفف آلامـه ؟ إنى لن أسمح لك بتخفيف آلامه .

هل تأتى لتضـره ؟ إنى لن أسمح لك أن تضـره .

هل تأتى لتأخـذه ؟ إنى لن أسمح لك بأن تأخذه منى .

لقد أعددت ما يحميه منكْ من نبات « افت » إنه يسبب الآلام ، ومن البصل الذى يلحق بك الضرر ، ومن الشهد الحلو المذاق (للأحياء) من الرجال ومر المذاق

---

(1) Erman, "Zauberspruche fur Mutter und Kind, aus dem Papyrus 3027 des Berliner Museums."

(٢) هذه العادات لا تزال مستعملة حتى الآن فى ريف مصر وصعيده بين الطبقات الدنيا وحتى بين علية القوم الذين تستحوذ على أفكارهم الخرافات الموروثة . -

لمن هنالك (يعنى المـوت) ، ومن الأجزاء المؤذية من سمـك (ابدو) ومن فك « مررت » ، ومن العمود الفقرى للسمك ... » .

ولم تكن الأم الوجلة على ابنها تستعمل هـذه التعويذة المذكورة بمثابة رقية وحسب، وإنما كانت تتبعها بمزيج شهى تعطيه الطفل المريض فيبتلعه . وهومزيج مصنوع من الأعشاب والشهد والسمك وكان خاصا بطرد الشياطين المرجومة التى كانت تعذب المرضى من الأطفال ذكورا وإناثا مهدّدة بانتزاع حياتهم، كما نجد فى وصف الشهد بأنه حلو المذاق (للناس الأحياء) ، ومر المزاق لمن هم هنالك (الموتى) .

فكان الواضح إذن أن من الشياطين من يخاف الإنسان بأســه ، لأن بعضهم يكونون هم نفس الأموات الذين تجرّدوا من أجسامهم ، ولذلك كانت حياة أهل الدنيا فى تصادم مع الأموات طوال مدّة حياتهم فى هذه النقطة . فكان من اللازم حينئذ العمل على كبح جماح أولئك الأموات الأشرار، ووقفهم عنـد حدودهم . ومن هنا كانت التعاويذ والحيل السحرية التى دلت على تأثير فعلهم ضدّهم فى الحياة الدنيا لهـا قيمتها فى الحياة الآخرة أيضا، فإن هـذه الرقية السالفة التى منعت أخذ الطفل بعيدا عن أمه يمكن استعمالها كذلك ضـدّ من يسعى لسلب قلب أى رجل فى العالم السفلى . فلأجل أن يتمكن الرجل المتوفى من الدفاع عن نفسه يقول "هل حضرت لتأخذ قلبى هذا الحى : إن قلبى هذا الحى لن تعطاه" .

وعلى ذلك فإن الشيطان الذى يريد أخذ قلبه ليضرّ به كان يتسال بعيدا عنـه لا محالة، وبتلك الطريقة كان السحر الذى يستعمل فى الحياة الدنيا يستعمل بحالة مضطردة فى الحياة الآخرة، وكان الأموات يعرفونه إذ كانت تعاويذه توضع تحت تصرفهم .

تعميم المحاكمة العـامة أمام الإله ــ ونعرف أن الاعتقاد الدينى لم يكن يحتم فى عهـد الأهرام وجود محاكمة عامة تجرى على كل الناس فى الحياة الآخرة ، لأن الأمر وقتئـذ كان يتطلب حضـور المذنب للمحاسبة فى عالم الآخرة عن ذنب

خاص اقترفه فكان إله الشمس يعقد هناك محكمة للفصل فى أمثال تلك القضايا ، ولكن فى العهد الإقطاعى كان إله الشمس يعلن أن كل إنسان مسئول عن خطيئته كما يستدل على ذلك من «متون التوابيت» : " لقد جعلت كل رجل مثل أخيه ، وقد حرمت عليهم إتيان الشر ولكن قلوبهم هى التى تعصى ما قلت " . وقد ذكرنا فى النصائح الموجهة إلى « مر يكارع » ما يأتى : "إن ذنوب الرجل كانت تكوّم بجانبه كالجبال فى حضرة القضاة المهابين فى عالم الآخرة " . ولذلك فإن حياة الإنسان مهما كانت نقية فإنه كان من مستلزمات معتقدات هذا العصر الإقطاعى أن ينتظر الإنسان ريثما يجتاز المحاكمة الخلقية للحصول على السعادة المنشودة فى الحياة الآخرة . وقد صار ذلك الشعور بالمسئولية الخلقية فيما بعد الموت من العوامل القوية فى حياة الشعب المصرى القديم ، غير أنه كان هناك عاملان قويان يعملان على هدم تلك المسئولية وهما :

(أولا) استمرار اعتقاد عامة الشعب فى كفاية العوامل المادية مثل إقامة القبور مع إعداد معدّاتها لضمان سعادة المتوفى فى الحياة الآخرة . (وثانيا) الاعتماد الزائد على نفع قوة السحر فى عالم الآخرة وهو الاعتقاد الذى نال تشجيع الكهنة الذين تطرفوا فى ابتداع تعاويذه ، واشتطوا فيها الى حدّ أنهم حاولوا إنتاج تعاويذ سحرية تنفع المتوفى فى ضمان قبوله خلقيا عند محاكمته فى عالم الآخرة .

ورغم انتشار العقائد الشمسية والأوزيرية فى عهد الدولة الوسطى فإن ملوكها كانوا متمسكين بعبادة آلهتهم المحلية . ففى الأسرة الحادية عشرة كانت عبادة «منتو» هى السائدة حتى جاءت الأسرة الثانية عشرة فأصبح ملوكها يعتنقون عبادة إلههم المحلى «آمون» . ولما كانت عبادة هذا الإله فى «طيبة» وكيفية ظهوره فى أواخر عهد الأسرة الحادية عشرة ، ثم انتشار عبادته فى عهد الأسرة الثانية عشرة وما بعدها آثرنا أن نتبع خطوات ظهوره فى عهد الدولة الوسطى .

ظهور الإله آمون وعبادته فى الدولة الوسطى — تدل الآثار المكشوفة حتى الآن على أن عبادة الإله «آمون» رغم أنه الإله المحلى لمدينة «طيبة» منذ الأزل

كما تقــول النقوش الدينية لم يذكر اسمه إلا فى عهد الأسرة الحادية عشرة، وحتى هــذا التاريخ لم يذكر إلا أربع أو خمس مرات : (أوّلا) يحتمل أن الأمير « واح عنخ انتف عا » يشير فى لوحته الرئيسية التى وجدت فى قبره الى تجهيز معبد « آمون » وإعداد سفنه المقدسة .

(Lange und Schafer, "Grab und Denkstein", 20512, II and 6); (Sethe, "Amun und die Acht Urgotter", Par. 9, 54)

(ثانيا) أمنمحات (آمون فى مقدمة الآلهــة) ، وهو الذى أصبح فيما بعــد أحد رجال بلاط « حــور نخت نب تب نفر — انتف » لا بدّ أنه كان قــد ولد فى عهــد « واح عنخ » هــذا نفسه ، ولوحتــه فى متحف « متروبوليتان » (14, 2, 6) . (ثالثــا) يحتمل وجود إشارة أخرى الى معبــد آمون على لوحة مهمشة فى الجبانة التى دفن فيها « واح عنخ » ;(Pterie, "Qurneh", p. 17, Pl. X Sethe, "Amun", Par. II) . (رابعــا) جاء ذكر اسم السيدة «أمونت» وقد سميت باسم الإلهة التى كانت تعتبر زوج الإله « آمون » ، وهــذه السيدة لا بدّ قد وُلدت وسميت بهذا الاسم فى باكورة حكم الفرعون « نب حبت — رع » ؛ فقد وجد على أكفانها السنة الخامسة والثلاثون من حكم هذا الملك ، وكذلك فى السنة الثامنة والثلاثين ، ويحتمل الثانية والأربعين من حكمه أيضا . وقد قال الدكتور « درى » الذى فحص جسمها فحصا علميا إنهــا كانت امرأة فى مقتبل العمــر .

(A. J. S. L., Vol. 58, p. 158, note 60)

وقد ولد « أمنمحات » الأوّل الذى أصبح فرعونا فيما بعــد فى نفس حكم هذا الفرعون ، ولكن فى نهايتــه . وقد عاش بعد الأسرة الحــادية عشرة ليحكم البلاد لمدة ٣٠ عاما . وخلافا للقليل الذى ذكرناه عن « آمون » فإنا لانعرف شيئا عنــه قط قبل الأسرة الثانية عشرة .

أما الأســتاذ « زيته » فيريد أن يقــول إن الإله آمون رغم ذكره فى متون الاهرام فإن عبادته قــد أدخلت فى « طيبة » على يد أميرها «حور واح عنخ —

انتف عا » ، وذلك نتيجة لانتصاره على أهـل « أهناسية المدينة » . وقـد فرض الأستاذ « زيته » عند ما لم يجد شواهد معاصرة تدعم قوله أن الفتوح الطيبية قد امتدت شمالا حتى «الأشمونين» التى كان يعبد فيها الإله «آمون» وهو أحد ثمانية آلهـة كانت تعبـد هناك وتعتـبر الآلهة المحلية لهـذا الإقليم (مقاطعة الأرنب) (J. E. A., Vol, XVII, p· 151) ومهما يكن من زعم الأستاذ « زيته » فى دخول الإله «آمون» فى «طيبة» سواء أكان ذلك من جراء الانتصار فى الحرب على الدلتا أم لا ، فإنا قد وجدنا عبادة «آمون» كانت موجودة فى أوائل الأسرة الحادية عشرة ، غير أنه من المحقق أنها لم تكن عبادته هى الديانة الرسمية لملوك هذه الأسرة . وقد كان أول من جعلها ديانة الحكومة هو « أمنمحات » الأوّل فاتحة ملوك الأسرة الثانية عشرة ، ويحتمل أن السبب فى ذلك يرجع إلى أسـباب أسرية ، ومن ثم أخذت شهرته تنمو وتنتشر بخطا واسعة ، ولم يمض طويل زمن حتى وحد مع إله الشمس « رع » إله الدولة القديمة وأصبح يسمى « آمون رع » وقد ذكر « زيته » أمثلة لاسم الإله «آمون رع» ترجع إلى عهد «سنوسرت الأول» (Sethe, "Achung", p. 236) ولقد كان من الطبعى أن يعمل الحاكم الجديد كل ما فى وسـعه لتقوية مركزه بازدياد نفوذ الإله معبوده هذا الذى يحميه .

وتدل الشواهد على أنه كان فى الشعائر الدينية الأولى الخاصة بعبادة «آمون» ما يشـير إلى سياحة بالسفينة المقدّسة ، ويحتمل أن أقدم سياحة سنوية له كانت إلى « ابت الجنوبية» (الأقصر) ، وقد نشر « فوكار » قطعة من نقش وجد فى «الدير البحرى» ، ويعتقد أنه يظهر عليها مقدّمة سفينة « آمون» فى عهد الملك «نب حبت رع» (Foucart "B. I. F. A. O.", Vol. XXIV, Pl. IX; Naville, "XI Dyn. Temple", Vol. I, Pl. XIII).

وربما كان ذلك مما سهل جدّا لسميه العظيم « أمنمحات » أن يؤسس عيدا جديداً أطلق عليه السياحة إلى "وادى نب حبت رع"، وهو ذلك الفرعون الطيبى

الذى وحد الأرضين . والواقع أن «وادى نب حبت رع» كان الاسم الشائع «للدير البحرى» فى عهد الأسرة الثانية عشرة فقد كتب هكذا على لوحة «سنوسرت الثالث» التى وجدت فى المعبد (Naville, ibid, p. 59, Pl. XXIV) .

وقد أصبح «عيد الوادى» الذى ذكر هنا لأول مرة فيما بعد من أيام العطلة الدينية الهامة جدًا فى «طيبة» كما نعلم من عهد الأسرة الثامنة عشرة حتى العهد الإغريقى الرومانى[1] وفى هذا اليوم كان يؤتى بتمثال هذا الإله من معبد الكرنك فى سفينته المقدسة ويعبر به فى سفينة عظيمة إلى الشاطئ الآخر من النيل ، ومن ثم يحمل على أكتاف الكهنة من الجهة الغربية للنيل ويسير فى موكب حافل حتى الملك «نب حبت رع» ، وهناك يمضى الليل .

لقد بقى اسم «عيد الوادى» يطلق على هذا العيد حتى بعد أن جاءت الأسر الأخرى وبنت معابد جديدة فى «طيبة» الغربية وكان القوم يحجون إليها ، رغم أنها كانت مقامة فى السهل لا فى الوادى .

على أنه لم يخطر ببال الملك «نب حبت رع» أن القوم سيحجون إليه هذا الحج العظيم ، وكذلك لم يفكر المهندسون الذين وضعوا تصميم معبده بهذه الكيفية أن هذا الحج سيحدث ، لأن بناء المعبد لا يصلح لأى احتفالات يحمل فيها قارب الإله ، ويسير بين طرقاته الضيقة الملتوية كما أشرنا إلى ذلك من قبل . وفى الحق

(١) وقد كان هذا القارب أو السفينة كما نعلم فيما بعد يرسو أولا عند معبد وادى «الدير البحرى» ثم فى مقصورة فى منتصف الطريق للعبد وأخيرا فى معبد حتشبسوت . وفى كل حالة من هذه الحالات كان يوجد فى القارب تماثيل أوزيرية الشكل للملكة فى أركان المقصورة .

"Annales du Musée Guimet" Vol. XXX (1902); Winlock M.M.A. (March 1932) Part II, pp. 14 ff.; Breasted, A. R. Vol. II, Par. 885, Vol. III, pp, 212, 215, 218, 515, 517, 522; Vol. IV, Par. 17; Foucart, B. I. F. A. O., Vol. XXIV: Kees, "Orientlische Literaturzeitung", Vol. XXX, p. 242; ,Sethe, "Achtung", Par. 8, Note 1; Steindorff and Wolf, "Thebaniche Graberwelt", p. 27.

أن سياحة القارب المقدّس لم يسمع بها قط فى كل ما وصل إلينا من النقوش حتى الآن فى عهد الأسرة الحادية عشرة .

أما فى الأسرة الثانية عشرة فنعلم أنها كانت تقام سنويا و يتطلع إليها الأهلون فى تلهف وشغف . وقد حدّد لنا أحد الكهنة المسمى « نفرابد » تاريخ سياحة «آمون» إلى الوادى : ”الكاهن المطهر «نفرابد» يقدم المديح إلى الإله «آمون» و يقبل الأرض أمام رب الآلهة فى عيده فى اليوم الأوّل من فصل «شمو» (الصيف) عند ما يعبر فى يوم السياحة إلى وادى الملك « نب حبت رع » « كتبه » كاهن « آمون » المطهر « نفرابد »“ . فلا بد أن هذا العيد كان يقام فى أيام « أمنمحات الأوّل » فى اليوم الأوّل من أغسطس (Winlock, "Proceedings of the American Archaeological Society", Vol. LXXXIII, (1946), p. 447)

وهذا الفصل من السنة لم يكن له أهمية من الوجهة الزراعية إذ فيه فصل الركود الزراعى، لأن الأراضى تكون مغمورة بمياه الفيضان حينئذ، وسنرى الدور الفريد الذى لعبه هذا الإله الذى كان مغمور الذكر فى عهد الأسرة الحادية عشرة عند ما امتدت الفتوح المصرية فى كل بقاع العالم فى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

كتاب الطريقين إلى عالم آخرة « أوزير »

مقدّمة — كان من نتائج الثورة الاجتماعية التى قام بها عامة الشعب من جراء الظلم الذى حاق بهم من طبقات الأشراف فى البلاد أن انقلبت الأوضاع الاجتماعية المألوفة رأسا على عقب، فأصبح السيد مسودا، وصار الفقير غنيا، فسادت الفوضى مدّة من الزمان مما دعا إلى قيام جماعة من حملة الأقلام المصلحين يطالبون بالعدالة الاجتماعية و ينددون بالملك الذى كان منزويا فى عقر داره يلهو و يلعب، ولا علم له بشىء مما آلت إليه البلاد من سوء الحال وفساد النظام . وقد ظل هؤلاء الكتّاب يعالجون الموقف بحكمتهم و يصوّرونه بصور شتى محسة إلى أن قُيض لهم النجاح

فى مهمتهم الشاقة، وظهر المصلح العظيم المنتظر فى شخص الفرعون «أمنمحات الأول» كما أسلفنا، فأعاد للبلاد بعض مجدها القديم و بث فيها روح العدالة، وأخذ يفسح المجال للحرية الشخصية من الناحية الاجتماعية والقضائية . غير أن هـذه الحركة الفكرية العظيمة التى أوجدها أولئك الكتاب لم تقف عند هذا الحدّ من الإصلاح الاجتماعى» بل اتسعت دائرتها وتشعبت نواحيها فكان مما تناولته الناحية الدينية، ولا سيما ما يختص منها بحقوق الإنسان فى عالم الآخرة والجنـة السماوية التى كانت حتى هذا العهد وقفا على الفراعنة وأسرهم . من أجل ذلك أخذ القوم يفكرون فى أمر آخرتهم وما فيها من نعيم و بدءوا يطالبون بمساواتهم أمام الإله دون فرق بين فقـير وغنى . وعلى أثر ذلك نجـد بعض الأفكار الدينية الشعبية الجديدة أخذت تظهـر فى المتون الدينية الخاصة بهذا العهد، أى العهد الإقطاعى الأول، بعد أن تحرّر القوم من سطوة العقائد الدينية الملكية التى كانت قد طغت على ديانتهم جملة وجعلتها كأن لم تكن . وأول ما ظهرت هذه العقائد الشعبية فى « متون التوابيت » التى كانت تتعارض فى كثير من الأمور مع متون العقيـدة الشمسية الأصلية وهى التى كانت العماد الأوّل الذى تقوم عليه ديانة الملوك، والتى نراها منتشرة فى «متون الأهرام» ، كما فصلنا القول فى ذلك . على أن مثل هـذه المتون الدينية الجديدة لم تكن شائعة فى بادئ الأمر بل كانت محلية، و إن أصبحت فيما بعد ذائعة منتشرة وكوّنت وحدة عظيمة فى عهد الدولة الحديثة، إذ ظهرت فى صورة كتب يتداولها أفراد الشعب على السـواء، ونخص بالذكر منها كتاب « أمى دوات » أى (ما يوجد فى العـالم السـفلى) ثم « كتاب البوّابات» ، وهى الأبواب التى كان لزاما على المتوفى أن يمـرّ بها فى طريقه إلى عالم الآخرة الذى هو جنة المأوى، وأخيرا «كتاب الموتى» الذى كان يحتوى على عدّة فصول توضع بجوار المتوفى فى تابوته ليكون دليـلا له وحافظا من كل الأخطار التى تعترضه فى سبيله إلى جنة الخلد .

وأوّل كتاب ظهر من هذا النوع فى مقابر الشعب يرجع تاريخه إلى عهد الدولة الوسطى على التوابيت المصنوعة من الخشب، وهو الكتاب الذى اصطلح على تسميته

حديثا كتاب «الطريقين»[١] . ومن غريب الصدف أن كل التوابيت التى دوّن عليها فصول هذا الكتاب قد وجدت فى بقعة واحدة بعينها، وأعنى بذلك جبانة «البرشة» الواقعة فى المقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات الوجه القبلى، وهى التى كان يطلق عليها قديما مقاطعة «الأرنب» وعاصمتها «الأشمونين» . الحالية وتعدّ هذه المقاطعة كذلك المركز الرئيسى لعبادة الإله «تحوت» إله العلم والكتابة والحساب والمواقيت، الذى كان يمثله المصريون فى صورة قرد طورا وفى صورة القمر تارة أخرى. وجبانة البرشة تقع قبالة بلدة «الأشمونين» على النيل. ولا نعجب إذا، إذا وجدنا ميلا ظاهرا فى متون هذا الكتاب لعبادة الإله «تحوت» . والواقع أن هذا الإله كان يقوم بأهم دور فى هـذه المتون، ولا غرابة فى ذلك إذ أنه يعتبر من أعظم الآلهة المصرية، فضلا عن أنه يعدّ فى بعض المذاهب الممثل للإله «رع» أعظم الآلهة المصرية فى كل العصور التاريخية للبلاد .

وحقيقة الأمر أن قيمة «كتاب الطريقين» قد أصبحت عظيمة بالنسبة لنا، لأنه يعدّ بوجه خاص الحلقة التى تربط بين «متون الأهرام»، وهى الخاصة بالملوك وبين الكتب التى ظهرت فى عهد الدولة الحديثة مثل «المرشد» الذى يسمى «ما يوجد فى عالم الآخرة السفلى» ومثل «كتاب البوابات» وهذان الكتابان كان يستعملهما

---

(١) وهو يصف لنا العقبات والمصاعب التى كان لابدّ أن يجدها المتوفى أثناء انتقاله من هـذا العالم الدنيوى الى العالم السفلى الذى يقطن فيه الإله «أوزير» إله الموتى، كما تصورتها أخيلة الشعب، وقد كان لزاما على المتوفى أن يتخذ لسيره إلى هذا العالم السفلى إحدى طريقين، إما طريق الماء أو طريق اليابسة، وكان يفصل هذين الطريقين بحيرة من نار يسقط فيها المتوفى إذا حاد عن الطريق الذى اختاره لنفسه من الطريقين المذكورين، هذا ولم يكن مصرحا للتوفى أثناء سيره على الطريق الذى يسير عليه أن يلتفت يمينا أو شمالا، لأنه لو فعل ذلك كان مصيره الهلاك. وقد كان كل من هذين الطريقين يحتوى على عدّة منحنيات ومبان يسكنها حراس من الجنّ ومخلوقات بشعة مريعـة تحرس أبواب تلك المبانى والمنحنيات، ولا تسمح للتوفى بالمرور إلا إذا كان مسلحا بتعويذة سحرية تفسح له الطريق عند تلاوتها أمام أولئك الحراس الذين يعترضون طريقه إلى أن يصل إلى «روستاو» وهو المكان الذى يأوى إليه «أوزير»، وهنا يثوى الجسم ثم يستمر روح المتوفى بعـد ذلك فى سياحته فى العالم السفلى مع إله الشمس فى سفينته إلى أن تعود ثانية إلى الشرق وتظهر معه، وهكذا يقوم روح المتوفى بهذه الرحلة مع إله الشمس فى سفينته يوميا مجدّدا نفسه مثل الإله «رع» نفسه .

الملوك والشعب على السواء كما سبق . على أن الباحث المحقق يجد أن الفكرتين اللتين احتواهما « كتاب الطريقين » لا يخرجان عن تلخيص لكل من المذهب الشمسى (ديانة الملوك) والمذهب الأوزيرى (ديانة الشعب) . وهاتان الفكرتان قد وضحتا توضيحا شافيا فى كتابى « ما يوجد فى العالم السفلى » و « كتاب البوابات » : فالأول يفسر لنا العقيدة الشمسية ، والثانى يوضح لنا المذهب الأوزيرى ، ولكن لا يفوتنا أن ننبه هنا على أن هذين الكتابين لم يشتق أصلهما من «كتاب الطريقين» بل أخذ عن « كتاب الموتى » الذى ترجع أصوله إلى « متون التوابيت » « ومتون الأهرام » معا . وكتاب « الطريقين » كان يعدّ فى « متون التوابيت » فصلا ضمن فصولها . والواقع أن «كتاب الطريقين» له اتصال «بكتاب البوابات» ، لأنه يعدّ مرشدا يستعينه المتوفى بما يحتويه من إرشادات فى صور تعاويذ سحرية على شق طريقه وعرة المحفوفة بالمخاطر فى عالم الآخرة ليصل سالما إلى جنة الخلد (روستاو) التى كان يلقى فيها النعيم المقيم مثل الإله « أوزير » . ويدل المنطق وما لدينا من معلومات حتى الآن على أن المتون المصرية منذ أقدم العهود أخذ بعضها من بعض ، أى أن كلا منها قد استقى من سابقه ولذلك لا نكون قد حدنا عن جادة الصواب إذا تصوّرناها على الصورة التالية :

العهد العتيق : مصدره : الرواية .

الدولة القديمة : مصدرها : «متون الأهرام» التى يوجد فيها كثير مما يرجع إلى العهد العتيق .

الدولة الوسطى : مصدرها : « كتاب الطريقين » و « متون التوابيت » وقد أخذا كثيرا عن « متون الأهرام » .

الدولة الحديثة : مصدرها : « كتاب الموتى » وهو مأخوذ من كتب العصر السالف وعنه أخذ كتاب « ما يوجد فى العالم السفلى » و « كتاب البوّابات » .

العصر المتأخر : مصدره : النصوص السالفة جميعا .

ويمكننا القول إن «متون الأهرام» التي كانت لا تخرج في معظم الأحيان عن مجموعة من الفصول الدينية والتعاويذ السحرية غير المتصلة الحلقات قد جمعت من المعتقدات العتيقة ما يوافق هوى الملك الحاكم وذوقه، وقد كانت المصدر الأصلي الذي أخذ عنه المؤلفون في الأدب الجنازي فيما بعد، وبخاصة «متون التوابيت» و «كتاب الموتى». ومثل هذه المؤلفات كان يستعين بها المتوفى لضمان حياة في عالم الآخرة ملؤها السعادة والنعيم.

أما الصنف الثاني من المؤلفات التي ظهرت في نفس الوقت الذي ظهر فيه «كتاب الموتى» فكان الغرض منه أن يقص عليه قصة متصلة الحلقات كما يقصها علينا «كتاب الطريقين» وأعني بذلك كتاب «ما يوجد في العالم السفلي» و«كتاب البوابات»، ولكن الغريب في هذين المؤلفين أننا لم نجد نسختين من أي كتاب منهما متحدتين في ألفاظهما تماما. وقد يعزى ذلك إلى اختلاف العقيدة، وإلى الآلهة المحليين الذين كانوا يلعبون دورا عظيما في معتقدات القوم. من أجل ذلك كله لم تصلنا رواية متفق عليها يسير الكل على نهجها في طول البلاد وعرضها، ولكن نرى بوجه عام أن مجموع الشعب متمسكون بلب ما في هذه النسخ المختلفة، فكانوا يرسمون في النسخ التي توضع معهم في قبورهم الشخصيات الهامة بين الآلهة والمناظر التي تدور حولها المتون، وإن كان الحوار فيها يختلف بعض الشيء، وهذا الاختلاف كما قلت راجع إلى المعتقدات المحلية.

وإذا كان القارئ أو الباحث المدقق سيجد بعض الإبهام في «كتاب الطريقين»، فإن جريرة ذلك لا تقع على جامع هذا الكتاب، بل يجب أن نعزو ذلك إلى جهلنا التام بديانة الشعب في هذا العهد بعينه بل والعهد الذي سبقه. فقد ظهر هذا المؤلف في عصر كانت البلاد غارقة فيه في بحر من ظلمات الفوضى والارتباك الاجتماعي والسياسي، فكان فيه التدهور الخلقي والديني بطبيعة الحال على أشد ما يكون من العنف، وإذا وجدنا أن التشويش والتشويه والغموض تسود فصول

هـذا المؤلف فإن ذلك راجع إلى أننا بعيدون كل البعد عن فهم الأفق العقلى والدينى لمؤلفيه . فمن الجائز أن ما يظهر أمامنا مشوشا غامضا كان فى نظر أهل هذا العهد منطقيا مفهوما ؛ وهذه الحقيقة يدركها تماما أولئك الذين يدرسون التاريخ القديم وتطوراته ، ولا يبعد من جهة أخرى أن هذه الكتب كانت مبهمة كذلك على غير المتعلمين فى هـذا العصر ، وهم الذين يقبلون فى كل زمان ومكان ما يلقيه عليهم رجال الدين دون معارضة أو سعى لتفهمه وبخاصة اذا كان يتفق وعقليتهم الساذجة .

مصـادر كتاب الطريقين

وصل إلينا حتى الآن من الكشوف الأثرية عشر نسخ من كتاب الطريقين ، تسع منها محفوظة على رقع توابيت موجودة «بالمتحف المصرى» .

(Lacau, "Sarcophages Anterieur au Nouvel Empire", Vol. I, pp. 189-198, 209-222; Vol. II, pp. 29 ff. Pls. LVI, LVII, (Vol. I.)

ونسخة أخرى على رقعة تابوت «بمتحف برلين» (Berlin Museum, No. 14385)

وقد نشرت متون هذه التوابيت بطريقة مختصرة ، وبخاصة متون توابيت «متحف القاهرة» ، هذا فضلا عن أنه لم يحاول أحد من العلماء ترجمتها أو درسها درسا شافيا . ومما يؤسف له أنه حتى التوابيت التى أبقتها يد التخريب لم نجد بينها إلا أربعة دون عليها هذا الكتاب بحالة لا بأس بها : ثلاثة منها بمتحف القاهرة ، وتحمل الأرقام التالية ٢٨٠٨٣ ، ٢٨٠٨٥ ، ٢٨٠٨٩ فى السجل الرسمى ، وهى التى سنعتمد عليها . أما النسخة الرابعة ففى متحف «برلين» وقد دون التابوت الذى كتبت عليه تحت رقم ١٤٣٨٥ فى سجل المتحف .

ومما يجب التنويه عنه هنا أن نسخة «برلين» قد امتازت بطابع خاص ، إذ تحتوى على بعض متون لا نظير لها فى نسخ «متحف القاهرة» كما سنرى بعد ، على أنها وإن كانت من جهة أخرى ينقصها ثلثا المتون التى كتبت على نسخ «متحف القاهرة» ؛ هـذا بالإضافة إلى أن جزءا كبيرا من المصـور الجغرافى الذى وجدناه على توابيت

« متحف القاهرة » وبخاصة الصور الإيضاحية قد خلا منها مصوّر متحف « برلين » .

ما نعرفه عن ديانة الشعب فى عهد الدولة القديمة — وقبل أن نتناول محتويات هذا الكتاب بالبحث والدرس يجب أن نفهم أولاً أنه لا يمتاز بوجود معتقدات جديدة مبتكرة ، بل إنه هو فى الواقع يضع أمامنا صورة تعبر عن ديانة الشعب ومعتقداته وهى تلك الصورة التى حتمت الأحوال أن تبقى مغمورة منزوية بمعزل عن المتداول من المعتقدات الملكية الشمسية التى كان لها السيطرة التامة دون سواها ، ولذلك لم تترك مجالا ما لظهور معتقدات الشعب ومذاهبهم الدينية . وعلى الرغم من أننا نجد الآثار التى كشف عنها حتى الآن قد صمتت صموتا تاما عن ذكر أى شىء يتعلق بديانة عامة الشعب ومذاهبهم ، فإننا كنا نسمع من حين لآخر أصداء تلك المعتقدات على نقوش الأبواب الوهمية واللوحات الجنازية فى عهد الدولة القديمة . وقد ألف الأستاذ « جارنو » حديثا كتابا يلقى بعض الضوء على معتقدات الطبقة الوسطى وعظماء القوم من الوجهة الخلقية ، وسلوك الفرد فى الحياة الدنيا ، وتأثيره عليه فى حياته الآخرة ، وما يتطلبه من قربان من زائرى قبره ؛ فقد جمع المؤلف فى كتابه النداءات التى كان يناشد بها المتوفى الأحياء الذين يمرون بقبره طالبا إليهم تلاوتها ؛ ومع ذلك فقد بدت مبهمة لا تبحث فى صميم موضوع ديانة الشعب
(Garnot, "L'Appel aux Vivants")

والواقع الذى لا مراء فيه أن كل فرد كان له دين يسير على منهاجه ، وأنه من أجل ذلك كان يقيم لنفسه مقبرة يعدّها بكل ما فى استطاعته من عتاد مادى . وكذلك نعرف أن القوم كانوا مدّة حياتهم يتعبدون إلى آلهة مختلفة ويتضرعون إليها كلما أصابهم خطب أو حلت بهم مصيبة ، كما كانوا يستعطفونهم ليمدّوهم بالقربان الملكى بعد مماتهم . على أنه فى الوقت الذى نعرف فيه كل ذلك لم تصلنا من جهة أخرى أية معلومات عن جنة الشعب التى كانوا يتطلعون إليها ويبتغون النعيم فيها . وجل ما نعرفه أنهم كانوا ينتظرون يوم حساب أمام الإله العظيم إذا دعا الأمر إلى ذلك .

جنة الفرعون السماوية المحرّمة على الشعب — أما فيما يتعلق بادّعاء الملوك وأسرهم ورجال حاشياتهم بأن الجنة السماوية كانت وقفا عليهم ، وأنها كانت محرمة على عامة الشعب فلدينا من المتون من عهد الأهرام ما يبرهن على ذلك بكل جلاء . وقبل أن نبحث هذه المتون يجب أن نوضح هنا أن هذه الجنة السماوية كانت أوّلا وقبل كل شيء للفرعون ، أما أسرته وكبار موظفيه وحاشيته فكانوا يتمتعون بها تبعا له بوصفهم أسرته وخدامه ، كما كانوا فى الحياة الدنيا ، ولولا ذلك ما نالوا هذا الامتياز الأخروى الذى حرمه عامة الشعب الذين كانوا يعدّون كالأنعام بل هم أضل سبيلا . ولا أدل على ذلك مما جاء فى متون الأهرام (Pyr. 669) عند ما خوطب الملك الراحل بالجملة التالية : "إن ماءك مأواه السماء ، أما الآلاف فمأواهم الأرض" . ويقصد بكلمة « ماء » ما يخرج من بين الصلب والترائب أى النطفة التى يخرج منها نسله وهم ذرّيته . وهؤلاء كان مصيرهم جنة السماء ، أما الآلاف وهم أفراد الرعية الذين يحكمهم الفرعون فكان مصيرهم الأرض ، وسنتكلم عن جنتهم الأرضية فيما بعد . وكذلك نقرأ نفس الفكرة السابقة فى متن آخر من متون الأهرام (Py. 408) فاستمع إليها : "إن «وناس» (الملك) إله أسن من أى مسن ، تخدمه آلاف ، ويقدّم له القربان مئات" . والمقصود هنا بالآلاف والمئات هم عامة الشعب . ونقرأ كذلك فى المتون نفسها (Py. 488) ما يأتى : "إن ماء الملك «تيتى» فى السماء وشعب «تيتى» على الأرض فما أوجع تحسر القلب (؟)" . وفى موضع آخر من نفس المتون (Pyr. 655 b) نقرأ خاصا بالملك : "إنك تدخل أبواب السماء التى حرمت على المواطنين" ، ونحن نعلم أن المقصود من المواطنين هنا الطبقة الوسطى من الشعب ، وقد حرم عليهم دخول أبواب السماء التى فيها الجنة . وهذه الفكرة بعينها نجدها موضحة بصورة أظهر فى مكان آخر من نفس المتون (Pyr. 876) فاستمع إليها : "لقد فتح لك مصراعا باب السماء وانفرجت لك أبواب السماء ، وهى التى تصدّ الناس بعيدا عنها" . وفى مناسبة أخرى نقرأ : "إنك تفتح للملك « مرنرع » المزلاج إلى بابى السماء المحرمة على الناس" .

جنة الشعب مركزها الأرض — ذكرنا فيما سلف نقلا عن «متون الأهرام» أن الملك وذريته كانوا يعرجون إلى السماء فينعمون هناك بجنة الخلد ، أما الألوف وهم عامة الشعب فكان مأواهم الأرض . والواقع أنه لدينا بعض الإشارات فى المتون الجنازية توحى إلينا بأن جنة عامة الشعب كانت على الأرض ، فقد كان يظن حتى نهاية الأسرة الخامسة تقريبا أن مركز هذه الجنة هى حقل القربان الذى يظن أن موقعه كان فى بلدة « هليوبوليس » (عين شمس) وهذه البقعة المباركة كانت تعتبر المركز الرئيسى لعبادة الإله « رع » الذى كان يزعم القوم أنه أوّل من حكم الدنيا ناشرا العدل والمساواة بين الجميع ، ولكنه تخلى عن حكم العالم الدنيوى ورفع نفسه إلى عالم السموات ، وكان من جراء ذلك أن رفع معه حقل قربانه إلى العالم العلوى ، وأصبح مأواه الأبدى السماء مثل والده «رع» ، وهناك ينعم بعيشة راضية فى حقول قربان والده . أما عامة الشعب فقد ترك لهم حقول القربان التى على الأرض فى « هليو بوليس » ليتمتعوا بها وقد جرت العادة أن تقام مقابر القوم فى تلك الجهة كلما وجد إلى ذلك سبيل . ويمكن التدليل على وجود حقول قربان فى السماء وأخرى على الأرض بما وصل إلينا من النقوش الجنازية التى تركها الملوك والقوم فى مقابرهم ، فقد جاء فى «متون الأهرام» مايثبت صراحة وجود حقول قربان للملوك فى عالم السماء أما عن وجود هذه الحقول على الأرض ليتمتع بها أفراد الطبقة الوسطى وعظماء القوم فلدينا صيغة جنازية نقرؤها كثيرا ولكنا نمرّ بها مر الكرام دون التدقيق فيما تحتويه من معنى عميق ، وهذه الصيغة هى جزء من دعاء للمتوفى شائع الاستعمال يطلب فيه أن يقرب له قربان ملكى ، وأن يعيش عمرا طويلا ، وكذلك يدعى له بأن « يتمكن من السير على الطرق الطيبة التى سلكها المقربون من قبل » . وليس ثمة شك فى أن هذه الصيغة تشير إلى حادث معين خاص بشعيرة بعينها كان يحتفل بها القوم ، وكانت تؤدّى عند دفن المتوفى . وتفصيل ذلك أن المتوفى كان لزاما عليه أن يزور قبل الدفن المعابد القديمة التى

كانت مقامة من قديم الزمان فى «بوتو» («ابطو» الحالية القريبة من «دسوق»)، و«سايس» (صا الحجر) «هليو بوليس» وغيرها . وهذه المعابد كانت أهم المراكز الرئيسية فى طول البلاد وعرضها من أقدم العهود . وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الشعيرة كان يقوم الشعب بأدائها قبل ظهور ديانة «أوزير» وقبل أن تحتل «العرابة المدفونة» المكانة الأولى فى عبادة هــذا الإله ، وقبل أن تطغى عبادته على الشعائر التى كانت تقام فى المدن الدينية العظيمة السالفة الذكر .

وحقيقة الأمر أن الزيارة التى كان يقوم بأدائها جثمان المتوفى قبــل الدفن إلى هذه المدن المقدّسة كانت تعمل فى قناة من القنوات المتفرّعة من النيل تكون مؤدية إلى الجبانة المقصودة فى ذلك العهد . وكان القارب الذى يحمــل المتوفى يقف حتما عند كل المحاط المعهودة وهى «سايس» و «بوتو» وغيرهما ، ثم ينتهى به المطاف إلى حقل القربان أى فى «هليو بوليس» (Metterlung Kairo, IX, p. 39) ويمكن استنباط رغبة المتوفى «فى السير على الطريق» الطيبة من شعيرة دينية نقشت على إحدى جدران المقابر (L. D., II, p. 101 a) وهى : «... لأجل أن يتمكن المتوفى من الوصول إلى الحقل الجميل الذى على الطريق الطيبة» . ولا نزاع فى أن هذا الحقل الجميل لا يمكن أن يكون شيئا آخر خلاف حقل القربان ، وهو الهدف النهائى للسياحة فى القارب ، هــذا فضلا عن أنه قد جاءت إشارات إلى هــذه السياحة فى العبارات التالية : «التجديف إلى حقول القربان الجميلة جدا» (Junker, Giza, II, Fig. 22) . وقد جاء فى نقش على جدران مصطبة «أخت حتب» الموجودة الآن بمتحف «اللوفر» العبارة التالية : السياحة إلى حقول القربان الخاصة بالإله العظيم ، (Boreaux, "La Nautique Egyptienne", Pl. I) غير أن إياب القارب ثانيــة بجثمان المتوفى إلى الجبانة كان لا يعنى بداهة أن الطريق الجميلة قد انتهت ، و بذلك انتهى ما كان يعمــل للمتوفى ، بل على العكس كان من حقه أن ينــال إلى الأبد حقه فى التمتع بمــا تنتجه حقول القربان الخاصة بالإله العظيم فى «هليو بوليس» . وقد كان ذلك صحيحا فيما يختص بالملك وسراة القوم على السواء . ففى ما يخص الملك لدينا متون صريحة فى نقوش

«متون الأهرام تثبت ذلك فاستمع مثلا ما يقال عن الملك «ببى» : "إنه صعد إلى السماء بين النجوم الثابتة ، وإنه تآخى مع نجم الشعرى اليمانية ونجم الصباح يرشده ، وكلتاهما تأخذان بذراعه إلى حقل القربان" (راجع (Sethe Pyr. 1123)؛ وكذلك يقال للملك : إنك تخترق السماء وتتخذ مسكنك فى حقل القربان بين الآلهة (الملوك الذين توفوا) الذين ذهبوا إلى أرواحهم " .

أما تمتع رجال الدولة بحقل القربان على الأرض فنستخلص هذه الفكرة من المسلة التى نراها فى كثير من الأحيان منصوبة أمام قبور العظماء فى عهد الدولة القديمة . وهذه المسلة تنتسب إلى «هليو بوليس» التى تعتبر المأوى الأصلى لإله الشمس «رع» عند ما كان يحكم فى عالم الدنيا . ففى «متون التوابيت» نقرأ مثلا ما يأتى: "إنى أحتفل بعيد الربع الأول من الشهر فى «عين شمس» (Lacau, "Rec. Trav.", XXXI, p. 32)" وكذلك نقرأ فى نفس المتون (Ibid, XXIV, 181) : ليت الطعام يقدّم لك مثل «رع» على يد هؤلاء الذين فى أماكنهم فى «عين شمس» . ومما سبق نعلم أن حقول القربان كان مركزها بادئ الأمر فى «عين شمس» ، وكان كبار رجال الدولة يتمتعون بها على السواء ولكن عند ما رفع « رع » نفسه إلى السماء رفعت حقول قربانه كذلك إلى السماء بداهة ، فى حين أن حقول قربان الشعب بقيت على الأرض فى «هليو بوليس» مكانها الأصلى ؛ وهذا هو السبب الذى من أجله يقوم الفرد العادى برحلة إلى هذا المكان المقدّس ، وكذلك كان هذا هو السبب الذى من أجله كانت تقام المسلة التى تعدّ رمزا لإله الشمس أمام مقبرة المتوفى لتكون عنوانا مصغرا لبلدة «هليو بوليس» . ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الجزء الذى يرمز به إلى الهرم فى المسلة هو الجزء الهرمى منها كما شرحنا ذلك فى الجزء الأوّل من هذا الكتاب . ومن جهة أخرى تنبئنا «متون الأهرام» أن حقول القربان التى فى السماء قد أصبحت وقفا على الملك المتوفى لأنه كان يعتبر ابن « رع » ، ولكننا وجدنا أن هذا الامتياز الخاص بالملك أخذ يشاركه فيه فى نهاية الدولة القديمة الأسرة المالكة ورجال البلاط بوصفهم أهله وحاشيته ، ثم لم

بمض طويل وقت حتى نهض عامة الشعب عن بكرة أبيهم وقاموا بثورة اجتماعية دينية ، وطالبوا بالتمتع بالآخرة السماوية ، فأصبحت حقا مشاعا لكل الشعب على السواء كما أسلفنا ، وبعبارة أخرى أخذت المبادئ الديمقراطية الدينية تنتشر بين الأهلين وبخاصة حرية التمتع بالجنة السماوية . غير أن هـذا الانقلاب الديني على ما يظهر لم يأت بفجأة بل أتى تدريجيا ، إذ نلاحظ فى بعض نقوش كبار الموظفين فى عهد الأسرة السادسة أن المتوفى الشريف كان يسمح له أن يقوم بالسياحة السماوية التى كان يقوم بها الفرعون فى سفينة الشمس مع الإله «رع» ، ومن ثم يفهم أنهم لم يحرموا حق التمتع بالجنة السماوية . والواقع أن هذا التمتع الذى أصابوه كان تمتعا محدودا ، وذلك لأنهم كانوا يذهبون فعلا إلى جنة السماء ولكن بوصفهم أتباعا للفرعون يقومون له بمثل الخدمات التى كانوا يؤدونها له فى عالم الدنيا . راجع .Teti-ankh) Tomb No. 15 Davies, "Shaikh Said", 33); (Petrie, "Deshasheh", p. 46, Pl. XXVIII etc.) ، فهؤلاء كانوا بهذا الوضع لا يزالون فى منزلة الخدم للفرعون ، ولهذا صحبهم الفرعون معه ، أما باقى طبقات الشعب فلا نعلم شيئا عنهم قط ، والظاهر أنهم كانوا محرومين التمتع بالجنة العلوية فى خلال الدولة القديمة .

وصف جنة الفرعون — وقد ساعد الحظ بوجود بعض تلميحات فى «متون الأهرام» تساعد على معرفة صورة عن متاع جنة الملوك السماوية تلك الجنة التى كانوا يغارون عليها ، وحرموها على أفراد شعبهم فى عهد الدولة القديمة ، وهى التى حارب الشعب للحصول عليها الى أن ظفر بها من بين براثن أولئك الملوك فاستمع لما يقال للملك : (Sethe, Pyr. 815) "هل تريد أن تحيا؟ يا «حور» يا من يسيطر على حربة الصدق؟ (وهى الحربة التى لا تدع أى شخص يمر بباب الجنة غير الصادقين المبرئين أمام الله) . اذا كان الأمر كذلك فينبغى عليك ألا تغلق مصراعى باب السماء ، ويجب عليك ألا تحمى عقبه (أى عقب الباب) ، وخذ روح «ببى» الى هذه السماء بين المنعمين حول الإله ، والذين يحميهم الإله ، وهم الذين يتكئون على صو لجاناتهم ،

وهم الذين يحرسون صعيد مصر ، والذين قد ارتدوا أحسن الملابس الكتانية الأرجوانية ، والذين يأكلون التين ويشربون الخمر ويتضمخون بأحسن العطور ، وعند ذلك سيتكلم الروح عن « ببي » أمام الإله العظيم ، ويسمح « لببي » أن يصعد إلى الإله العظيم " .

وفى هذه الأسطر القليلة قد صوّر لنا باب الجنة الذى يقف أمامه الإله « حور » مسلحا بحربة سحرية فى يده استعدادا لمنع أى فرد الدخول فيها غير المبرئين . والظاهر أن هذه أقدم إشارة عن وجود حارس[1] لباب الجنة الذى نجده مذكورا فى كتب الديانات السماوية (راجع Genesis 24) . غير أن « حور » قد حذر بطريقة خفية ألا يمنع روح « ببي » ولوج باب الجنة . ولا شك فى أن هذا الخطاب الموجه إلى « حور » هو طراز من الخطابات العادية التى نجدها كثيرا فى الصيغ السحرية التى كانت عديدة شائعة فى « متون الأهرام » ، فهى تختلف بطبيعة الحال عن الصلوات الدينية التى يتضرع بها الفرد لربه . والواقع أن الجنة التى وصفتها لنا « متون الأهرام » هى صورة من حياة الفرعون الدنيوية نقلت إلى عالم السماء لتمثل لنا حياة « رع » فى السماء ، وهى الحياة التى كان يعيشها على الأرض قبل أن يرفع نفسه إلى السماء ، فنجد فيها الإله الأعظم محاطا برجال بلاطه الذين يحملون ألقابا مثل الألقاب التى كانوا يحملونها فى الحياة الدنيا ، ويعيشون فى نعيم فيلبسون الأرجوانى (ولباسهم فيها حرير) وطعامهم فيها التين وشرابهم الخمر وشذاهم العطور . ولا نزاع فى أن هذه الصورة لها نظائرها فى الكتب المنزلة (القرآن) .

أما روح الملك الذى كان قد سبقه فكان يمهد له السبيل للمثول أمام والده الإله العظيم « رع » ، فإذا ما فرغ من الشعائر الجنازية الخاصة بدفن الملك أمكنه أن يصعد مباشرة إلى السماء ويعيش فى جنة عالية . هذا ونجد فى « متون الأهرام » فصلا يبين حياته فى عالم النعيم السماوى فاستمع إلى ما جاء فيه :

(١) جاء فى القرآن الكريم : وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا (سورة الجن) .

"إن « بيبى » هو أحد أولاد «جب» (إله الأرض) الأربعة الذين يجولون جنوبا وشمالا ويقفـون متكئين على صوبحاناتهم ، وعطورهم ممتـازة ، ولباسهم الأرجوانى ، وطعامهم التين ، وشرابهم الخمر ، و « بيبى » هذا يعطر مما يعطرون به ، و « بيبى » هذا يرتدى مما يرتدونه و « بيبى » هذا يأكل مما يأكلونه ويشرب مما يشربونه ؛ و « بيبى » هذا على وئام معكم فهو يعيش مما تعيشون منه ، فعليكم أن تقدموا له وجبته مما يعطيه إياكم والدكم «جب» (إله الأرض) ، وبذلك لن يجوع واحد منكم ولن يبلى ، وعليكم أن تقبضوا بشدة على يد « بيبى » هذا للحياة أمام الشذى العطر . إن عظام « بيبى » هذا تجمع ، وأعضاؤه قد ركبت ليجلس على عرشه (أى بعد أن فككها الموت)" .

ومما سبق يمكننا أن نستخلص أن الجنة السماوية كما صورها ملوك مصر فى عهد الدولة القديمة كانت جنـة لذة ومتاع . وفى الواقع إن هى إلا صورة لحياة الفراعنة على الأرض ، ولكن دعنا الآن نفهم ماذا حدث لهذه الجنة التى وعد بها الملوك فى عالم السماء فى « كتاب الطريقين » الذى ظهر فى العهد الإقطاعى الأول عند ما بدأنا نعرف شيئا عن عقيدة الشعب فى أمر آخرته والجنة التى كانت تصبو إليها نفسه .

الفرق بين روح الملك وروح الفرد العادى — ولأجل أن نقف على فكرة صحيحة عما كان ينتظره الفرد من عامة الشعب من الحياة الآخرة يجب علينا أن نوجه عناية خاصة إلى المتون المتعلقة بآخرة الإله «أوزير» ومثواه المسمى «روستاو» ، فمن الحقائق الغريبة فى بابها والتى يجب معرفتها عن معتقدات الشعب فى عهد الدولة القديمة أنه لم يرد فى المتون الجنازية عامة إشارة الى روح الفرد العادى « با » وقرينته « كا » مدة حياته ، كما أنه لا توجد صورة لأيهما فى النقوش والرسـوم حتى بعد الموت ، وهذا خلافا لمـا نعرفه عن الملوك إذ نجد أن روح الفرعون « با » أو قرينته « كا » مرسومة على الآثار فى حياته وبعد مماته . وقد كان الاعتقاد عندهم أن روح الفرد تعيش بجانبه مدة حياته ، غير أنهـا لا ترى ، وقد كان الملك مثـله فى ذلك مثـل الإله له عدة (قرينات) « كاو » وعدة أرواح « باو » فقد كان له ٧ أو ١٤ قرينة . (Kees, Totenglauben, p. 10)

وكذلك نعلم من «متون الأهرام» أن روح الفرعون كان يسبقه إلى عالم السماء، ولكن فى عالم الدولة الوسطى أو بعبارة أدق منذ العهد الإقطاعى الأوّل نجد أنه عندما وحد الفرد العادى مع الإله «أوزير» أصبح على قدم المساواة مع الملك فى كل متاع الآخرة ومن ثم نجد المتون تتكلم عن روحه مدّة حياته . Erman, "The Literature of Ancient Egyptians," p. 86)

ومن وقتئذ أصبحت الامتيازات التى كانت وقفا على الملك وحده ، ملكا مشاعا لعامة الشعب، هذا فضلا عن أنهم أخذوا يتمتعون بنسيم الحرّية والعدالة الاجتماعية والدينية فأخذوا يعبرون عن آرائهم ومعتقداتهم الدينية التى ظلت زمنا طويلا تضيق عليها كل المنافذ فكانت تغلى فى صدورهم كالحمم الذى يتقد فى جوف بركان تحت ستار المذهب الملكى الذى كان قد طغى على كل ما سواه، ولكن عندما حدث الصدع العظيم بتداعى القوة الملكية عند نهاية الدولة القديمة، وجدنا المذهب الأوزيرى الذى كان بلا شك مذهب عامة الشعب ، أخذ ينمو وينتشر ويزداد قوة على قوة ونفوذا على نفوذ، مما وسع هذا الصدع وسمح لأفكار الشعب الدينية ومعتقداتهم أن تندفع إلى الخارج وتأخذ فى الظهور فى صورة حمم ملتهب . على أن الشعب لم يكتف فى أى مكان فى البلاد بحرّية التعبير عن معتقداته وصلواته الخاصة به، بل طالب بحق التمتع بالجنة السماوية التى وعد بها الملوك ، فأجيب مطلبه بعد حرب شعواء، قلبت خلالها كل الأنظمة الاجتماعية رأسا على عقب ، ومن ثم نجد أن كثيرا من «متون الأهرام» الخاصة بالملوك قد اندمجت فى المتون الدينية الخاصة بعامة الشعب فى هذا العصر . ولما استحوذ أفراد الشعب على حق التمتع بالآخرة السماوية وهى التى كانوا يتطلعون إليها أصبح منذ ذلك الحين باب السماء مفتوحا أمامهم على مصراعيه ولم يتزلوا منذ ذلك الوقت عن هذا الحق المكتسب بالنضال، وبقى فى أيديهم طوال العهود التالية من العصور التاريخية المصرية . ولكن يلاحظ أن خيال أفراد الشعب الذى كان محشوّا بالخرافات قد

شوه هذه الجنة التى اكتسبوها بنضالهم العنيف لدرجة أنه يصعب علينا أحيانا أن نتعرف عليها بوصفها الجنة السماوية التى كان يتمتع بها الملوك أمثال « وناس » و « بيبى » و « تاى » وغيرهم، ويسيرون فيها مع أولاد «حور» مرتدين الأرجوانى، ينبعث من أجسامهم شذى العطور وأكلهم فيها التين وشرابهم خمر الجنة (وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات : (سورة محمد الآية ٤٧) .

شرح كتاب الطريقين إلى عالم الآخرة

والآن نبدأ بشرح كتاب الطريقين كما جاء على مصور التابوت رقم ٢٨٠٨٣ وهو المحفوظ الآن بالمتحف المصرى، وذلك لأنه يحتوى على إيضاحات كثيرة مصورة أكثر من أية نسخة وجدت حتى الآن، رغم ما أصاب هذه النسخة من العطب فى بعض أجزائها وسنستعين فى تكملة الأجزاء المهشمة بالنسخة التى على التابوت رقم ٢٨٠٨٥ وهذا التابوت لامرأة تدعى «سات‌حزحتب» . ومما يستحق الملاحظة هنا أن الصيغ التى استعملت فى تابوت « سات‌حزحتب » وهى امرأة من الطبقة الوسطى هى نفس الصيغ التى استعملها « سبى » قائد الجيش صاحب التابوت الأول، وهذا يبرهن لنا على أن هذه الصيغ الطنانة الرنانة الألفاظ وما جاء فيها من تهديد ووعد ووعيد — وهى الألفاظ التى كان مفروضا أن يتلوها المتوفى — كانت تعاويذ سحرية محضة؛ هذا إلى جانب أنها تدل على المساواة الدينية المطلقة بين أفراد الشعب على مختلف طبقاتهم دون فرق بين قائد جيش وامرأة متوسطة الحال .

وقد وضع التصميم الرئيسى لهذا الكتاب بالرسم الملون على رقعة التابوت سواء فى ذلك التابوت الخارجى أو الداخلى، وذلك زيادة فى المحافظة على بقاء هذا المصور مع المتوفى فى قبره، فاذا أصاب أحد التوابيت عطب بقى الآخر . (انظر شكل ٣٤)

وقبـل البدء فى وصف هـذا المصوّر يجدر بنا معرفة أن تابوت « برلين » يختلف مصوّره عن مصوّرات توابيت القاهرة؛ هذا فضلا عن أنه خال من كل صور إيضاحية .

وصف مصوّر تابوت « سبى » رقم ٢٨٠٨٣
مع موازنته بتابوت « برلين »

أوّل ما يلاحظ فى مصوّر هذا التابوت أن كل التصميم قـد أحيط بإطار ذى لون أزرق، وربما كان هـذا اللون رمزا للمحيط الأزلى الذى كان يعتقد المصرى أنه يحيط بالعالم السفلى؛ راجع (Shackenberg, "Zweiwegbuch p. 6) كما يلاحظ وجود شريط أزرق يخترق كل الرسم أفقيا مقسما إياه قسمين متساويين، ويشاهد فى بداية المصـوّر من الجهة اليمنى فى القسم العلوى بنـاء مستطيل الشكل ملونة جدرانه بالأحمر ليمثل النار ، وفى الركن الشمالى العلوى لهذا المستطيل يوجد باب أحمر اللون كذلك يدور على عقب ملون باللون الأسود، وهذا الباب يؤدى الى بناء مستطيل آخر ينقسم أفقيا من فوق منتصفه بقليل . ويوجد فى الجزء العلوى باب لونه أحمر يؤدى مباشرة الى بداية طريق «روستاو» . (و «روستاو» هو عالم الآخرة السفلى الخاص بالإله «أوزير») ، فالطريق العلوى هو عبارة عن مجرى ماء ملتو ، أما الطريق السفلى فملون بالأسود وهو طريق البر .

والجزء السفلى من المستطيل العمودى الشكل السالف الذكر هو حجرة يؤدى بابها الى الطريقين، وقد قسم ثانية قسمين أحدهما أكبر من الآخر بقليل . فالجزء الأسفل لونه أحمر مما يشعر بأنه قد ملئ بالنار، أما فى الجزء العلوى فيشاهد حارس فى صورة شيطان جاثم يحمى هذا المكان، وتركيبه غريب، إذ له رأس كبش أسود وجسم تمساح أحمر اللون . وهذا المخلوق المخيف يقبض بيده على سكين كبير مهددا بها . ويوجد تحت هذا الشيطان صورة نصف دائرة عظيمة ذات لون أسود، ويرتكز جزؤها المسطح على الجدار الأيسر لجـدار الحجرة الثانية . وليس فى المتن تفسـير

لهذه الظاهرة، ولكن نجد فى كتاب «ما يوجد فى العالم السفلى»، الذى وضع بعد كتابنا بزمن، أن نصف الدائرة هذه قد وضع فى مكان ظاهر فى «روستاو» بعنوان : « الليل » أو « الظلمة » .

(Budge, "The Egyptian Heaven and Hell" Vol. I, p. 103)

هذا ويختلف مصور تابوت « برلين » بعض الشىء عن مصورات القاهرة وقد ضربنا عنها صفحا تفاديا من الإطالة .

المتون الخاصة بهذا الجزء — هذا هو الوصف الاجمالى لبداية هذا المصور لعالم الآخرة حسب العقيدة الشعبية الجديدة. وسنتناول الآن شرح متون هذا الجزء وصوره مفصلين القول عن الخطوات التى كان يجب على المتوفى اتباعها فى سياحته بإحدى هاتين الطريقين وما يجب عليه أن يفعله ليتغلب على العقبات والصعاب التى كانت تعترضه فى تلك السياحة الخطرة .

كان أول عمل يقوم به المتوفى أن يتلو المتن الذى قد كتب فى المستطيل الملون باللون الأحمر وحوله وهو الذى يمثل (بوابة) هذا القسم وقد وصفناه فيما سلف.

وهذه المتون تعتبر بمثابة مقدمة، ومنها تألف فيما بعد فى عهد الدولة الحديثة الفصول ١٣٣، ١٣٦ و ١٣٦ ب من «كتاب الموتى». وهذه الفصول تشير إلى بزوغ الشمس بعد غيابها فى عالم الآخرة السفلى أثناء الليل، ولا أدل على ذلك من أن عنوانها فى كتاب الموتى : "فصل فى الإسراع بطلوع « رع » (الشمس) فى أفقه ومعه تاسوعه الذين فى ركابه، وشروق الإله من الأماكن الخفية (أى بعد أن اخترق طريقه فى العالم السفلى)" . وسنرى فيما بعد أن هذا الرسم وهذه المتون ستساعد على تفسير رحلة المتوفى فى السماء نهارا ثم مروره فى «روستاو» وهى المكان الذى يعبر عن الفكرة الشعبية الجديدة، ثم رحلته فى العالم السفلى، وهو الذى قد مثل فى المصور الذى نحن بصدده فى الصف الثانى منه . وحقيقة الأمر أنه لدينا فى هذه المتون ومصورها ثلاثة آراء أو مذاهب دينية، وهى السياحة الشمسية شرقى

السماء أى سياحة الإله « رع» من الشرق إلى الغرب ، والرحلة إلى «روسٌاو» ، وهى المقر الأخير للإله أو « زير » ، ثم السياحة فى العالم السفلى المسمى عنـد المصريين « دوات » . ومعنى ذلك سياحة المتوفى مع الإله «رع» فى العالم السفلى من مغيب الشمس إلى مطلعها فى المشرق . والواقع أن رءوس الموضوعات الثلاثة التى ذكرناها هنا ليست موجودة فى « كتاب الطريقين» بل استخلصناها من دراسته . والمتن الذى قبل المستطيل النارى السابق الذكر هو أنشودة تعدّ بمثابة مقدّمة يتلوها المتوفى تهيئة للسير فى إحدى الطريقين . فاستمع لمـا جاء فيه (رقم ١) : "لقد أخذت النجوم المتلألئة التى فى الأفق الشرقى تأفل عند سماع صوت «نوت» (إلهة السماء) عندما كانت تفسح طريق «رع » ، أمام الواحد القديم حتى يسير فى دورته (اليومية). فلترق إلى العلا يا « رع » الذى فى محرابه (الذى فى سفينة النهار) واستنشق النسيم ، وشم ريح الصبا ، وابتلع ... شبكتك فى اليوم الذى تقدّم فيه الخضوع لآلهة العدالة ، (ماعت)، وتقسم فيه أتباعك عندما تتقدّم السفينة نحو « نوت » (إلهة السماء)، والآلهة القدامى يتقدّمون عند سماع صوتك" . وعند هـذه النقطة من المتن تنتهى أنشودة إله الشمس ، ومن ثم يخاطب المتـوفى . فيقال له : "احسب عظامك ، ورتب أعضاءك ، وول وجهك شطر الغرب الجميل الذى تذهب إليـه مجدّدا كل يوم ، لأنك هذه الصورة الذهبية عندما توحد مع قرص السماء مع النجوم اللألاءة التى تعمل دورتك معها ، وعندما تجدّد يوميا مثل «رع» يعم الحبور فى الأفق والترحاب من أمراسك (أى حبل سفينة الشمس الذى أصبح يمثل فى صورة شخص) " .

وفى نهاية هـذا المتن فى تابوت القاهرة يوجد متن بمثابة شرح[1] وهو :

فصل السياحة فى سفينة «رع» العظيمة — "تأملوا أنتم أيها النجوم التى تطلع فى «خرعحا» (مصر العتيقة)، إن الإله صاحب الأجزاء الألف ؟ (يعنى السفينة) قد ولد ، وأمراسه قد شدّت وسكانه قـد هيئ (؟)؛ و إنى أقطع خشب الآلهة

(1) Lacau, ibid, p. 189.

التى أبحر بها السفينة من أوّلها لآخرها، وهى التى أصعد بها إلى السماء، وبها أحمل إلى «نوت» . وإنى أحمل عليها مع «رع»، وإنى أحمل عليها مع القرد (القمر)، وإنى أسير قدما بانشراح على ماء «وعرت» الخاص بالآلهة «نوت» عند باب الإله «سيح» (هو المريخ ويسمى كذلك ابن آتوم إله الشمس عند الغروب)" : وبعد ذلك ينتهى متن تابوت المتحف المصرى بشرح يكاد يكون نسخة طبق الأصل من الفصل الأوّل : فصل السياحة فى السفينة العظيمة لشمس الإله «رع» يوميا(؟)[1] (٢)[2].

يأيها اللهيب الوهاج الذى خلف «رع»، والذى يعقد تاجه . إن سفينة «رع» تهاب العاصفة ! وإنك لامع، وانك رفيع، وإنك تأتى اليوم مع «تحوت» (أو مع سفينة الليـل) فى دورته الفاخرة (أى دورة القمر أثنـاء الليل) . وبذلك أرى مجىء «ماعت» (إلهة العدالة رفيقة «تحوت» فى سفينة الشمس)، والآلهة الذين فى صورة أسـود (تماثيل بو الهول وهى تمثل إله الشمس عنـد الغروب)، وهم القائمون على حراسة المحاريب العدّة المصنوعة من اليراع حتى أراهم هناك وتفرح، ويكون عظماؤهم فى حـبور وصغارهم فى سعادة . وإنى قـد مهدت طريقى إلى مقدّمة سفينة [رع] وهى التى ترفعنى إلى عليين مثل قرص الشمس، فأضىء مثل بهاء «رع» الذى أمدّه بثرائه، وقـد ضمنى ربا «للعدالة» . وعندئذ قال تاشوع الآلهة : "إن الذى هناك هو «رع»، وأنت ياروح «أوزير» النائمة اجعلى والده الذى فيها (أى سفينة الشمس) يحكم فى صالحه، وإنى أجعل الميزان له مستقيما، وإنى أتيت بالآلهة «تفنوت» ليعيش .

تعالى اسرعى لأن الأب ينطق بقرار «ماعت» (العدالة). إنه الإله «آتوم» أسرع". هكذا صاح الذى فى أصيله فى حينه. " تأمل ! لقد أتيت لأحضر له فكىّ «روستاو»، والنور الذى هو عين الشمس . (هذه إشارة صريحة إلى الطريقين

(1) Lacau, ibid, p. 189. (2)

(٢) يلاحظ هنا أن الأرقام العربية الموجودة بين قوسين تشـير إلى الأرقام الموجودة على المصوّر رقم ٣٤ وهى التى تدل على مكان المتون فيه .

اللذين يسلكهما المتوفى، أى طريق المـاء وطريق الأرض، وقد مثل كل منهما بفك الإله «جب» إله الأرض، (وفى نسخة أخرى قد مثلتا بطريق «روستاو») . ولأجل أن أضم إليـه جموعه (يقصد هنا أعضاءه المختلفة التى تفككت وانتثرت بعد الموت) ، وأبعد عنه الثعبان «أبو فيس» المؤذى ،ولأجل أن أشفى له جراحه (بالتفل عليها) . وقد مهدت طريقى ومررت عليها بينكم، وإنى أنا الذى يسكن بين الآلهة . تعال ودعنى أمر قـدما فى سفينة رب « سيا » (إله الفهم) . أنت ياصورة « حورور » (وياصورة تحوت) الذى يشعل النار ويطفئها . ولقد مهدت طريقى يأيها الوالد المقـدّس، ويأيها القرد المقدّس (أى تحوت) . لقـد دخلت الأفق ، فانتقـل بجانب الأمراء المقـدّسين . سأكون شهيدا على من فى السفينة المقدّسة ، وسأمر قدما على حاشية اللهيب اللامع التى خلف رب صاحب الذؤابة (أو أصحاب الذؤابات)" . ثم يختم متن تابوت متحف القاهرة بالعنوان التالى : اقتحام البـاب الذى يسمى («حور» سيدها) : إنك تدير السفينة التى هى عينك (أى عين إله الشمس) يأيها الأب (أى رع) . ثم يتلو ذلك : "تعويذة المرور على ردهات النار الخاصة بباب سفينة « رع » كل يوم" .

وممـا هو جدير بالملاحظة فى هـذه المتون السالفة أن العقيـدة الشمسية هى الفكرة الهامة فيها مما يدل على أن هذه العقيدة كانت هى السائدة فى هذا الوقت رغم ظهور العقيدة الأوزيرية وشيوعها . فنجد الجزء الأوّل يحتوى على أنشـودة مدح لإله الشمس الذى كان يتطلع إليه المتوفى بوصفه ابنه ليعدّ له مكانا فى سفينته التى كان يسيح فيها كل يوم من الشرق إلى الغرب، أى أن المتوفى كان يرغب فى أن يوحد بإله الشمس « رع » . أما الجزء الثانى فقـد كتب على ما يظهر فى صورة تعويذة سحرية الغرض منها إعداد سفينة للتوفى يمكنه العبـور بها إلى عالم الآخرة . ويدل المتن على أن المتوفى قد وصل فعلا الى باب « روستاو » بعد اقتحام الحواجز النارية التى كانت مقامة فى سبيله ،وبخاصة ردهة النار التى تظهر على المصوّر فى شكل

مستطيل ويسمى بابها : «حور سيدها» وهو الباب النارى المرسوم على الجهة اليسرى من هذه الردهة (رقم ٧) .

على أنه يوجد فى متن التابوت رقم ٢٨٠٨٥ المحفوظ « بمتحف القاهرة » إيضاحات كتبت بالمداد الأحمر فى نهاية هذا الفصل، وهى تمدّنا بفكرة سديدة عن المقصود من هذا الكتاب، وهى : "إن من لا يعرف بداية هذا الكتاب ونهايته، يغمر الخوف اسمه الذى فى جوفه . وإن فلانا يعرفه ولا يجهله . وإنه الروح المسلح الذى على رأس الأبواب . وكل إنسان يعرف هذا الفصل يكون مثل « رع » فى شرقى السماء، ومثل أوزير فى أعماق العالم السفلى ، وسينزل إلى رجال البلاط الأربعة أصحاب النار، ولن يحرق بها أبدا وأنه وصلها بسلام آمنا " .

ولا نزاع فى أن هذا الإيضاح يدل بجلاء على أنه تعويذة سحرية، كما أنه يضع أمام القارئ الفكرتين الهامتين الخاصتين بعالم الآخرة . وهما العقيدة الشمسية والعقيدة الأوزيرية . ويلاحظ هنا ما جاء فى المتن أن المتوفى سيكون مثل « رع » فى شرقى السماء ومثل « أوزير» فى أعماق العالم السفلى . والعقيدة الأخيرة مضادة للأولى تماما، وذلك لأن إله الشمس فى شرق السماء يدل على الحياة، أما الإله « أوزير » الذى يعيش فى العالم السفلى المظلم فيدل على الموت، ومع ذلك فإن العقيدتين قد امتزجتا وصارتا تكونان فكرة واحدة لأن «أوزير» توحد مع الإله «رع» كما سبقت الإشارة الى ذلك .

أما ما جاء عن ردهة النار التى ذكرت فيما سبق فقد وضحت على المرشد الجغرافى . وهى فى الواقع مسكونة بطائفة من الجنّ لم يرسم صورهم، وكل ما نعرفه عنهم هو أنهم ذكروا فى أحد النقوش أربع مرات على الجدران النارية باسم : « ندماء اللهيب » ولابد أنهم الكائنات الذين أشير إليهم فى المتن باسم «ندماء النار الأربعة » . ومن ثم نعرف أنهم مخلوقات ضارة لا يمكن المتوفى أن يقترب منهم إلا إذا كان مسلحا بتعويذة سحرية . (أنظر رقم ٦).(2)

(2) Lacau, ibid, p. 207

ولذلك يستمر المتن الافتتاحى مؤكدا لك ذلك فيقول : "دعنى[1] أمر، إنى أنا الواحد القوى سيد (الآلهة) الأقوياء، وأحد أشراف «رع»، ورب العدالة «ماعت» وخالق « وازيت » (إلهة الوجه البحرى) . تأمل ! إنى أحد أتباع « رع » . تأمل ! إنى امرؤ يتنزه فى حقـول قربان « رع » . تأمل ! إنى أنا الإله العظيم، ومعترف بى أمام التاسوع الإلهى ليقدم لى القربان" .

ولا نزاع فى أن هذا متن سحرى به يتمكن المتوفى من التغلب على كل الصعاب التى تعترضـه فى عالم الآخرة بقوة الكلمة التى فيه ، ومن أجل ذلك نجد أن المتوفى قد انتحل فيه لنفسه ألقاب الإله الأعظم ومناقبـه . ويلاحظ أن المتوفى قد اتخذ لنفسه هذه الصفات فى بداية العهد الذى سمح فيه لعامة الشعب أن يعتنقوا المذهب الشمسى أى مذهب الإله « رع » ويتمتعوا بمميزاته . ثم يستمر بعـد ذلك المتن فاستمع لمـا جاء فيه على لسان المتوفى :

" لقد اجتزت طريقى « روستاو » برا وبحرا، وهما طريقا « أوزير» اللتان توصـلان إلى السماء . وكل امرئ يمكنه السـير عليهما يكون صاحب سلطان على أتباع «تحوت» أى (القمر)، ويكون فى وسعه أن يخترق كل سماء يريد أن يعرج فيها . أما من لا يعرف كيف يسير على هاتين الطريقين فإنه سيقضى عليه ويصبح قربانا للموتى، أو يصير طعاما للعدمين ، ولن يقام له العدل أبدا .. وإنى من أتباع سماء « أوزير» والوارث بعد الرئيس (أى « أوزير») وإنى «سبى» (اسم المتوفى صاحب التابوت) محبى«أوزير» ، وإنى أنا الذى أضرب لك الحراس «حات حزو» الذين هم ملك إله الشمس (وقد مثل هنا فى صورة أسد)" . وفى نهاية المتن نجد الشرح التالى : « تعويذة المرور عليها أى (الطريق) » .

ومما هو جدير بالملاحظة أن المتوفى يخبر حراس الباب المؤدى إلى « روستاو» فى هـذه التعويذة أنه ليس بزائر جديد ، بل إنه على علم بالسـياحة بطريق المـاء

(1) Lacau, Ibid, p. 189 (4)

واليابسة فى عالم الآخرة ، وأنه هو الذى بعث الحياة من جديد فى نفس «أوزير» صاحب هذه الآخرة ، بل إنه أكثر من ذلك ادعى أنه حامى الإله «رع» و بعبارة أخرى يدعى أنه هو المسيطر على الإلهين الرئيسيين اللذين يشرفان على السياحة السماوية والسياحة السفلية . وهذه التعبيرات الخارقة لحدّ المألوف من القوّة والتهديد لا نجدها قط إلا فى التعاويذ السحرية . وهذا المتن هو نهاية ما جاء على تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٣

قرأنا فى التعويذة السالفة أن طريق «روستاو» بالماء و باليابسة هما «لأوزير» وأنهما يوصلان إلى السماء . وقد كان لزاما على المتوفى بعد أن ينتخب إحدى هاتين الطريقين أن يقتفيها دون أن يحيد عنها قيد شعرة إلى أن يصل إلى هدفه المنشود وهو «روستاو» ، وإلا كان مصيره جهنم و بئس القرار . و بعد ذلك كان على المتوفى أن يقوم برحلة أخرى ليصل إلى سماء العالم السفلى حيث يستمر فى رحلته فى عالم الآخرة الأدنى إلى أن يصل ثانية إلى شرقى السماء ليحيا مع الإله «رع» ثانية وهكذا كل يوم . والواقع أن طريق الماء السالفة الذكر ليست طريق السماء بل من المحتمل جدا أنها كانت بالنيل لأن المتوفى كان دائما عند قدماء المصريين يحمل إلى مقرّه الأخير على ظهر النيل ، أو على الأرض حسب الأحوال ، أى أنه كان صاحب الخيار فى ذلك ، ونعنى بالنيل هنا نيل عالم الآخرة .

تاريخ روستاو ومعناها — أما عن «روستاو» فلابدّ أن نذكر أن هذا الاسم كان فى بادئ الأمر يطلق على جبانة «منف» منذ الدولة القديمة . وقد جاء ذكرها فى «متون الأهرام» . والواقع أن هذا الاسم كان يطلق بنوع خاص على جبانة الجيزة الغربية من منطقة الأهرام ، ومن المحتمل أن هذا الاسم قد اشتق من معناه اللغوى وهو : "باب الممرات" أى باب المقابر فى الجبانة ، ومن ثم استعمل هذا الاسم فى عالم الخرافات الخاصة بالمذهب الأوزيرى ؛ ولذلك نجد هذا الاسم يذكر منذ ظهور «كتاب الطريقين» فى مملكة «أوزير» التى تقع فى العالم السفلى فى عهد الدولة الوسطى ، و بخاصة فى المتن الذى أصبح يطلق عليه فيما بعد الفصل السابع

عشر من كتاب الموتى . وهناك الفقرة التي جاء فيها ذكر «روسياو» في هذا الفصل، وهي تظهر بوضوح كيف أن ديانة « أوزير» أخذت تطغى على المذهب الشمسي (مذهب رع) ، أي أن ديانة الشعب أصبح لها مكانة عظيمة فاستمع لما يقوله المتوفى أيا كانت منزلته الاجتماعية، وقد وضع ذلك في صورة سؤال وجواب : إني أسير على الطريق المعروفة أمام جزيرة « العدل » . ما معنى هذه العبارة ؟

الجواب : أنها الطريق التي يمشي عليها والدى «آتوم» عند ما يسافر إلى حقول البراع (وآتوم هنا يمثل إله الشمس المغربة) . وفي رواية أخرى ترجع إلى عهد الدولة الحديثة نجد الجواب أو التفسير كالآتي : إنه « روستاو» الذي بابه الجنوبي « نارف »[1] (جبانة أهناسية المدينة) . وبابه الشمالي مكان « أوزير» ، ولكن جزيرة المبرئين هي «العرابة المدفونة» .

ومن ذلك يمكن الإنسان أن يرى تغير العقيدة بإحلال المذهب الأوزيري مكان المذهب الشمسي ، وبعبارة أخرى إحلال «أوزير» مكان « آتوم » إله الشمس عند الغروب ، وكلا الآلهين يدل على عالم الآخرة . وكذلك يلاحظ هنا أن موقع حقل البراع في الرواية القديمة في السماء وهو ما يقابل « روستاو » الذي موضعه الآخرة السفلى . والواقع أن « روستاو » كانت عالما سفليا آخر يحاكم فيه المتوفى ، كما يدل على ذلك متن من «كتاب الموتى» (Grapow, "Religiose Urkunden", p. 107) أمام المجلس العظيم في « روستاو » في الليلة التي برئ فيها « حور » أمام أعدائه .

وقد كتب في داخل الباب النارى مباشرة ما يأتي : "انظر إلى" إني شخص قد بعثت مثل « أوزير » وعظامه لم يلق بها بعيدا" .

أما على تابوت « برلين » فنجد أن المتن الافتتاحي يختلف اختلافا بينا عن متن توابيت القاهرة ، وينتهي بعبارة تشعر بضرورة هذا الكتاب لأي شخص يريد أن يقوم بسياحة موفقة في عالم الآخرة، كما ذكرنا من قبل في متن القاهرة . ومما

(١) كان يعتبر الإله « أوزير » إله « إهناسية » المدينة في العهد الإقطاعي (راجع كتاب الأدب المصري . القديم ج ١ ص ١٤٠

يؤسف له أن المتن مهشم تهشيما مريعاً[1] ، ويبتدئ هكذا : "الابتهال لوجهك يأيها الوالد ... ... " وينتهي هكذا : "وكل إنسان يعرف هذه التعويذة يمكنه أن يمرّ هناك ويجلس بجوار الإله فى كل مكان يوجد فيه . والإنسان يخافه لأنه روح مسلح تماما . وكل فرد يعرفها (أى التعويذة) لا يهلك أبدا . وقد صمتت (الأرواح الخبيثة) أمامه مثل صموتها أمام أى إله من الآلهة" .

ونجـد سطرين عموديين أمام البناء الأحمـر المستطيل الشكل (انظر رقم ٧) جاء فيهما : "إن باب السماء قد فتحه «أوزير» أمامى...... انظر إنه «رع» الذى معى معلنا الطريق الخاصة بحيرتى «شو» (إله الحق) ؛ وإنى فلان الذى أحيا «أوزير»" .

ثم يشاهد بعـد الحجرة التى تكلمنا عنها فى الصف الأعلى من المصور مبنى قسم قسمين أفقيين يفصلهما شريط أحمر ويلاحظ أن القسم الأعلى أضيق من الأسفل وفيهما شـق الطريقان ، فأعلاهما يمثـل نهرا متعرّجا أزرق اللون ، أما الطريق السفلية فمتعرّجة كذلك ذات لون أسود .

وعند ما كان يصل المتوفى إلى هذه النقطة فى رحلته كان لزاما عليه أن يسلك الطريق التى اعتزم انتهاجها ، لأنه كان حتما عليه أن يستمرّ فى السير فيها مهما كان الأمر ؛ إذ كان محظورا عليه أن يحيد عنها ، أو يلتفت يمينا ، أو يسارا أو يرجع خطوة واحدة إلى الوراء ، إذ كان فى ذلك هلاكه ، لأنه كان يوجد بين هاتين الطريقين بحيرة مستقيمة طويلة من النـار كان مصيره السقوط فيها إذا حاد عن الطريق ، وقـد مثلت على المصور بالخط الأحمـر الذى يفصل بين شق الصف الأعلى الذى نحن بصدده الآن .

وسنفرض الآن أن المتوفى قد اختار لنفسه السير فى طريق المـاء ليصل إلى عالم الآخرة الذى فيه « أوزير » ، فكان أول واجب عليه أن يبتدئ رحلته عند النهاية العليا للصف الأعلى من المصوّر حيث يبتدئ النهر ذو اللون الأزرق ، ومن ثم ينحدر

(1) Schackenberg, ibid, Ch. I, L. 1-11.

هذا النهر بشدّة وينطلق محاذيا بحيرة النار مسافة قصيرة ، وبعد ذلك يتعرج كثيرا . ويشاهد فى أول هذه الطريق شيطان جاثم بمثابة حارس، وقد مثل فى صورة تمساح أحمر الجسم يقبض بيده على سكين ضخم مهدّدا به كل من يحاول الاقتراب منه، (انظر رقم ٩) وقد كمن أمام بناء مستطيل الشكل أصفر اللون، والظاهر أن هذا المبنى مسكون بطائفة من الأرواح؛ وبعـد أن يجتاز المتوفى هـذا المبنى يجد النهر يسير مصعدا فى منحنى شديد، وقد أقيم على الجانب الأسفل منه بناء آخر مستطيل الشكل كالسابق، ويظهر أنه مسكون بأرواح أيضا (انظر رقم ١٤)، ثم يصادف المتوفى تمساحا أصفر اللون مسلحا بسكين عظيم، غير أن رأسه هنا يشبه رأس الحمار، وله قرنا غزال، وقد كمن جاثما على بناء مستطيل آخر مقبب أصفر اللون . وهذا البناء مسكون كذلك بأرواح (انظر رقم ١٨)، وبعد أن يجتازه الراحل بأمان يعترضه حارسان آخران خبيثان فى طريقه ، أحدهما فى صورة شيطان رجيم له رأس حمار وجسد ثعبان يخرج من رقبته ثعبان آخر رافعا وجهه أمام هذا الشيطان؛ ولا بد أن المقصود من خروج الثعبان الثـانى من رقبة هذا الشيطان، هو جعله مؤذيا؛ لأن جسم الشيطان وحده فى صورة جسم ثعبان لا يجعله مؤذيا، وذلك لأن رأس الحمار لا يمكنه أن ينفث سم الثعبان القاتل . هذا بالإضافة إلى أنه لم يكن له مخالب ليقبض بها على سكين . وهو يحرس أحد البنائين المستطيلين اللذين يظهران مختفيين جزئيا فى منحنيات النهر . وكان لزاما على الراحل أن يمر بهما (انظر رقم ١٩ و ٢٠) .

أما البناء الثانى فيظهر أن حارسـه إوزة تقبض بيدها على سكين . ويحتمل جدا أنها تمثل الإله «ست» إله الشر فى إحدى مظاهره المؤذية . ويساعد هذين الحارسين ثعبان متدلٍ من نهاية منحنى النهر الواقع بين البناءين المستطيلين السالفى الذكر. وهذا الثعبان يرمز للتضليل عن الطريق المستقيم، أو بعبارة أخرى يمثل طريقا مضللة من يتبعها يحرق فى لهيب بحيرة النار . ولدينا متن على تابوت « برلين » يشير إلى هذا . وهذه الطريق المتفرّعة الخطرة قد ظهرت على تابوت «متحف القاهرة»

رقم ٢٨٠٨٥، (Lacau, ibid, Pl., LVI) وهى متفرّعة من النهـر الأساسى الذى يسبح فيه المتوفى ، غير أنها لم تذكر فى المتن ، ولكن من جهة أخرى نجد أنه قد عبر عنه فى تابوت رقم ٢٨٠٨٩ (Lacau, ibid, Pl. LVII) دون أن يرسم ، بالألفـاظ التالية : "الطريق الخاصة التى يجب ألا يسير فيها الإنسان" .

و يلحظ أن الطريق بعد اجتياز هـذه العقبة قد أصبح خاليـا من الشياطين . وأهم ما يصادفه الراحل بناء مستطيل لونه أصـفر و يرى مقاما على انحناء سـفلى فى النهر ، ثم يرتفع فى علوه حتى الإطار الأزرق الخارجى (أنظر رقم ٢٢) . وتخبرنا النقوش المفسرة له أنه حقل «القربان المشهور» الذى سبق الكلام عنه . بعد ذلك يشاهد أن النهـر يصعد من هـذا المنحنى حتى الإطار الأزرق الذى يحيـط بكل عالم الآخرة ، ثم ينثنى كَرة أخرى و ينتهى عند شاطئ بحيرة النار أمام جدار سميك ، و بذلك ينتهى الجزء الأوّل من طريق المـاء .

وجدير بالملاحظة هنا أن الرسام قد قلب وضع المتون المفسرة للرسم ، فجعل متن طريق المـاء مكان متن الطريق البرية ، وكذلك يلاحظ أنه ليس هناك فرق عظيم بين متن تابوت « برلين » ومتون « توابيت القـاهرة » فى هذا الجزء من المصوّر ولذلك سنكتفى بترجمة متن تابوت كامل من توابيت القاهرة مع إضافة الزيادات الهامة التى تكون فى متن « برلين » .

ترجمة المتون الخاصة بالجزء السابق :

(أوّلا) نجد مكتوبا على بحيرة النار ما يأتى : (٣٧) "بحيرة النار العظيمة المحاطة باللهب ، وكل إنسان لا يعرف أن يدخل فى النار فإنه سيعذب فيها . وأن الراحل وريث الإله « أوزير» الذى سيمر هناك بباب بحيرة العدل" .

وعند بداية الطريق المـائية كتبت تعويذة كان لزاما على الراحل أن يتـلوها (١٠) قبل أن يبتدئ رحلته المحفوفة بالمخاطر ، غير أنها كما سبق الإشارة إلى ذلك خاصة بمتن الطريق البرية وهى تعويذة أوزيرية الصيغة فاستمع إليها :

"إنى أنا الذى ولد فى « روستاو » ووارث «أوزير» (أى ابنه حور) ، وأن اسمى أصبح منعما بوساطة الذين أصبحوا منعمين (وهم الملوك الذين توفوا) هناك فى «بوتو» وفى معبد « أوزير» ، وهم الذين تتقبلهم آلهة الأرض (الثعابين) فى «روستاو» ، عند ما يقودون « أوزير» فى المكانين المقدّسين له ، وإنى أحد قوّادهم إلى مكانى « أوزير» المقدّسين (ما يقابل على الأرض الوجه القبلى والوجه البحرى) .

ولا بد أن هذه التعويذة كانت تتلى للتمساح ذى الرأس الآدمى (انظر رقم٨) ، وسمى "الحارس صاحب الصوت المحزن" .

ونجد داخل المستطيل الأصفر اللون أسماء طائفة من الجنّ وقد عبر عنهم بما يأتى : (١١) «هؤلاء الذين فيه» (أى فى هذا المكان) ، وهاك بعضهم : (١) «الصولجان المهدّم» (٢) «الصولجان المحرق» (٣) «الصولجان العظيم» . وبعد ذلك نقرأ تعويذة خاصة بالمحافظة على الراحل من الأخطار التى تعترض سبيله وهى : (١٣) "إنى واحد من قوّادهم وإنى « أوزير» المنعم سيد المنعمين ، وواحد منعم يؤدّى الشعيرة ، وأنه « أوزير» الذى يحيا ، وأنه « أوزير» الذى يحتفل بعيد اليوم الخامس عشر ، وأنه بشير عيد نصف الشهر . يا «أوزير» الراحل الذى يعمل دورته اليومية مثل الشمس ، ويا عين «حور» التى أعطيت « حور» ، وهى التى كانت قد أعطيت «تحوت» ليلا ؛ (هذه إشارة الى الاعتقاد القائل بأن عين «حور» اليسرى هى القمر) . عند ما كان يسبح فى السماء منتصرا فى سلام ، وانه يسبح فى سفينة « رع» . تأمل إنى فلان عظيم الاسم ، وإنك تجعل اسمى عظيما على الطريق الحق ، وإن ما أرتعد منه هو قاعة محاكمة الشر ، وإن صفاتى هى صفات «حور» بكر أولاد «رع» الذى أوجد قلبه . إن « أوزير» الراحل ليس مصفدا فى الأغلال ، وأنه لم يطرد عند الأبواب" . وفى رواية أخرى : "أن ما يخافه «أوزير» الراحل هو أن تحفر الأرض بالدم ، وإن صفات «أوزير» هى صفات «حور» بكر أولاد «رع» الذى أحيا قلبه" .

وعبارة «حفر الأرض» بالدم تشير هنا إلى شعيرة كانت مرعية خلال عيد يحتفل به فى «بوصير»، وهذا العيد كان يطلق عليه اسم «عيد حفر الأرض بالدم» . وتفسير ذلك أن الأرض كانت تحفر باحتفال بعد أن تروى بدم الأعداء المذبوحين، لأجل أن تصير خصبة، وخوف «أوزير» هنا هو خوفه من أن يراق دمه على الأرض التى ستحفر فى هذا العيد (Relig. Urk. p. 127) .

وهذا العيد فى الأساطير المصرية كان يتمثل فى عصبة الإله «ست» إله الشر وشركائه فى قتل «أوزير»، وهم الذين تحولوا إلى ماعز أو كباش فى بلدة «بوصير»، ثم ذبحوا أمام مجلس القضاة، وبعد ذلك أخذت دماؤهم وأعطيت للسكان فى «بوصير» ليسمدوا بها أراضيهم" .

وفى هذه التعويذة نشاهد أن الإله «تحوت» ومذهبه الذى كان مقر عبادته بلدة «هرموبوليس» (الأشمونين الحالية) قد برزا تماما، كما يلاحظ أن الإله «تحوت» هو الذى أعاد للإله «حور» عينه (والعين هنا هو القمر) بسلام فى حين أن «تحوت» نفسه كان يمثل القمر سابحا فى كبد السماء منتصرا على الظلام الذى كان يمثل «ست» إله الشر والظلمة .

ونرى أنه عندما صار المتوفى منتصرا أى مبرءا من كل ذنو به أمام محكمة العدل، وأصبح يتحلى بكل صفات «حور الأكبر»، أمر حارس الباب أن يخلى سبيله ليدخل من الباب الذى يؤدّى إلى «روستاو» . والظاهر أن هذه التعويذة كانت تتلى عند الاقتراب من البناء المستطيل الأصفر الثانى . (١٤) وهو الذى كتب فيه أسماء ستة عفاريت أخرى وهم (١) «النحر» (٢) «الصوت العظيم» (٣) «مبين» (٤) الثائر (٥) الهائج (٦) ... ...

أما الشيطان الذى مثل بتمساح له رأس حمار فاسمه "المراقب اللاعن" (١٥) وكذلك كتب فى داخل المستطيل المقبب السقف (رقم ١٨) أسماء ستة

كائنات وهى إما جن خلقت من مارج من نار فى صورة كائنات، وقد وصلتنا أسماؤهم أما صورهم فقد تركت لخيال القارئ وهاك الأسماء : (١٨)

Lacau, ibid, p. 197 (18); Berlin Coffin, Ch. XII b, 1-4.

(١) النار المحرقة (٢) اليقظ القلب (٣) المتنبه الوجه (٤) حاد الوجه (٥) الذرب (٦) العالى الصوت .

أما اسم الشيطان الذى له رأس حمار وجسم ثعبان فهو المراقب : «المقنع الوجه» (١٥) والثعبان النارى يدعى : «البحيرة التى تقطر» (نارا) (٢٠)؛ وقد وصف بأنه يعيش مع الذين يعيشون فى بيت الشاطئ (أى شاطئ بحيرة النار) .

بعد ذلك يجد الراحل الطريق خالية مسافة قصيرة من الشياطين، غير أننا نجد الإرشادات التالية قد دوّنت فيها (١٦) : " هذه هى الطريق ، وهذه هى التعويذة للمرور عليها (أى على الطريق)" . ثم يتلو الراحل التعويذة التالية التى على ما يظهر تحدّثنا عن أشياء خاصة بالسعادة المقبلة (١٧) :

" إن «أوزير» الراحل هو الإله «روتى» المسلح (أى الإله «رع» فى صورة أسد)، وإن «أوزير» الراحل يعتبر ضمن أتباع أوّل أهل الغرب (أى أتباع أوزير) يوميا ، وأراضيه فى «حقل القربان» بين الذين يعرفون الشعائر المقدّسة، وبين عمال «أوزير» الراحل، وهو الكاتب الذى بجانب «تحوت» . وإنى أنا الراحل الذى يطهر «أوزير» هذا، ويطلق البخور يوميا بين الذين يحضرون القربان . وقد أمر «أنوبيس» (إله الجبانة) أولئك الذين يحملون القربان «لأوزير» الراحل بألا يأخذها منه أولئك الذين فى الأسر، وإن «أوزير» الراحل مثله كمثل الأفق الأعلى ، يبشر بمقدم المتوفى عند الباب (باب الجنة)" .

والظاهر أن الباب المذكور هنا ، وهو باب المبنى الأصفر المستطيل ، فيه الخيرات والنعيم ، ويدل على ذلك متن قد سبقه وهو بمثابة مشجع للراحل وعد فيه

بالمتاع الذى ينتظره فاستمع إلى ماجاء فيه (٢١) : "إن كل روح من أرواح الشاطئين (أى شاطئا البحيرة النارية) قد وضع فيه (فى هذا المبنى) بين أتباع « أوزير » ، أما التابعون الذين يقطنونه فإنهم أولئك المنعمون الذين يجلسون فيه فى حماية الشاطئين هناك على مقربة من ربهم ، وهم سكان حقول القربان الذين يطعم معهم « أوزير » وكذلك كل سكان حقل القربان ممن يؤتى لهم بخير منه مع « أوزير » يوميا " .

ومن مدلول هـذا المتن نعلم أننا أمام حقل القربان السماوى الذى جاء ذكره فى «متون الأهرام» بوصفها متونا شمسية ، ولكنه هنا قد صبغ بالمذهب الأوزيرى لشيوعه فى هذا العصر . وهو الذى كان مقره على الأرض فى «عين شمس» كما سبق تفصيل ذلك .

وكان الراحل يعتقد أنه ليس فى مقدوره التمتع بطيبات «حقل القربان» إلا إذا كان مجهزا بالتعويذة التالية التى كتبت فى المكان الذى يتلو هذا البناء الأصفر .

(Lacau, ibid, p. 191 (25-26); Berlin Coffin, Ch. XII b, 39-50.

وهى : (٢٥ و ٢٦) "تعويذة لوجود الإنسان فى «حقل القربان» بين الآلهة أتباع «أوزير» ، كل يوم طعامهم ... بين الأحياء ، وأنهم ليسوا أمواتا أبدا ، ونصيب الراحل من الحقول موجود هناك ، وهو يرى «أوزير» كل يوم ، وكذلك «تحوت» ، وأنه لن يصده الأشرار أرباب الأبواب ، (أى حراسها) ، لأنه ليس من بين أولئك الذين ذهبوا ليوقع عليهم العقاب " .

وقد ذكرت هذه التعويذة على مصوّر تابوت « برلين » مع بعض اختلافات وهاك ما جاء فيها : "تعويذة لوجود الإنسان فى «حقل القربان» بين الذين يعيشهم أوزير، و بين أتباع «تحوت» ومعهم خبزهم بين الأحياء الذين لا يموتون ، بل منحوا ريح الحيـاة فى أنوفهم ... وهم الذين لا يموتون أبدا ، وكل إنسـان يملك نصيبه من الخصب فى حقل القربان ، وسيرى « أوزير » كل يوم مع «تحوت» ولن يطرده الأشرار حراس الأبواب الذين يصدون البطش" .

و بهـذا تنتهى المتون التى دوّنت على الجزء الأوّل من طريق المـاء على تابوت القاهرة الذى نحن بصدده .

وصف طريق البر الى عالم الآخرة — والآن نعود بالقارئ لبحث الطريق اليابسة التى كان يسير عليها الراحل الى عالم الآخرة إذا وقع عليه اختيارها .

ولأجل أن نفهم سيره فى هـذه السبيل يجب علينا أن نعود بالقارئ إلى الحجرة الخلفية التى تتفرّع من الطريق الثـانية من ركنها الأسفل الواقع خلف جدار من نار . عند هذه النقطة يتفرّع طريق اليابسة ذو اللون الأسود و يسير بانحدار ملتو يأخذ فى الاتساع حتى يصبح منحنيا واسعا ، وعند هذه النقطة يعترض الراحل أوّل شيطان حارس للطريق فى صورة « بو الهول » له رأس إنسان ذو لحية طويلة ، و يحلى رأسه قرص شمس وضع على قرنى كبش وجسمه وقائمتاه الخلفيتان لأسد . أما قائمتاه الأماميتان فتشبهان الدودة التى كان المصرى يفزع منها فى كل زمان ومكان خوف أن تأكل جسمه بعد الموت ، والظاهر أن هذا الحيوان الغريب فى مجموع أعضائه كان من مارج من نار .

بعد ذلك يعترض الراحل فى سيره انحناء ثان يقوم بحراسته حارس فى هيئة كلب أصفر اللون ، و يلاحظ أنه واقف على قائمتيه الخلفيتين ، وقابض بمقدمتيه على سكين ، ونجد فى نفس هذا الانحناء شيطانا آخر فى صورة « بو الهول » له رأس انسان محلى بريشة و يقبض بمخالبه على سحلية و يلتفت خلفه ، والظاهر أنه حارس غير مؤذ ، إذ يحدّثنا المتن أنه يعلن قدوم الراحل . و يعقب هذا الانحناء سبيل مرتبك متشعب يخرج منه ثلاث طرق كلها مسدودة ، والجزء الأوّل من هـذا المكان المتشعب النواحى على هيئة مربع منحرف الأضلاع ، و يرى فيه شيطان حارس جسمه جسم دودة ورأسه رأس ثور ، وفى الجزء الثانى من هذا المكان ، وهو بناء متوازى الأضلاع ، يرى حارس فى صورة حيوان صغير ذى رأس أسود يشبه رأس الحمار وجسمه جسم نمس . ومن المعلوم أن النمس كان حيوانا مقدّسا يرمز به للإله «آتوم» أى الشمس عند الغروب .

وبعد أن يخرج الراحل من هذا المكان المعقد المسالك بسلام يعترضه فى بداية المنحنى الذى كان ينزل فيه، حارس فى صورة قط ليس له قوائم خلفية واقف فى الفضاء على مقدمتيه على ظهر سكين عظيم . ولا يكاد الراحل يفلت من خطر هذا الشيطان الحارس حتى يعترضه فى طريقه ثعبان أزرق اللون له رأسان، فى كل طرف من نهايتى جسمه رأس، ويشاهد بجواره ثعبان آخر يتجه اتجاها مضادا للحراس السابقين، وشكله عادى . وفى الانحناء العميق الذى يقع فوق هذين الثعبانين نشاهد كائنا خرافيا له رأس كبش أسود اللون وجسم دودة حمراء ، وكذلك يشاهد قبالة الثعبان الأزرق السالف الذكر فرس بحر ضخم أحمر اللون يقف على مؤخرتيه ويقبض بمقدّمتيه على سكين ضخم . ويلاحظ أن الطريق من فوقه منحنية ومنحدرة انحدارا شديدا ، متجهة إلى أعلى وينتهى هذا الانحدار عند بحيرة النار قبالة نهاية الطريق المائى التى فى الصف الأعلى ، ويقف فى نهاية هذه الطريق البرية حارس آخر فى صورة قرد يُلَوِّح بيده سكين . ولا يفوتنا أن ننوّه هنا بأن القرد هو الحيوان المقدّس الذى كان يتقمصه الإله «تحوت» ، كما كان يظهر القرد كذلك فى صورة روح مخيف مسلح بشباك صيد السمك ، كما جاء ذكر ذلك فى كتاب الموتى :

"Book of the Dead", Ch. CLVIII b.

ولا بدّ أن نلاحظ هنا أن المصوّر الذى رسم على قعر تابوت «برلين» يختلف عن مصوّر تابوت القاهرة فى بعض النقط ، هذا فضلا عن أنه خال من الرسوم الدالة على صور أولئك الحرّاس الذين وجدناهم على تابوت القاهرة وقد سبق وصفهم .

المتون المفسرة للمناظر السالفة :

وبعد وصف الطريق وما فيها من عقبات نتكلم عن المتون التى تفسر لنا ماهية الصور التى عليها وهى التى وصفناها فيما سلف .

ففى البداية نجد متنا قصيرا بمثابة مقدّمة وهو (٢٨) : " هذه التعويذة خاصة بالمرور عليها (أى على الطريق) وإنهم (أى الحرّاس) أصحاب هذه البحيرة " .

وهذا المتن فى الواقع هو مقدّمة لتعويذة يجب على الراحل تلاوتها . وكما أسلفنا فان هذه المتون التى نجدها مع "الطريق البرى" هى فى الواقع خاصة بالطريق المائية إذ نجد متنا مقابلا لها على مصوّر متحف «برلين» غير أنه مهشم .

Lacau, ibid, p. 192 (30) ; Berlin Coffin, Ch. XII, c. 3-8)

والتعويذة (٣٠) هى : "دعنى أمر بسلام، إنى أسلك طريق، دعنى أقلع بالسفينة، إن صفاتى هى صفاتها (أى السفينة) وما ينبغى أن يعمل ضدّى سيعمل ضدّها إذا اتفق أنكم قمتم بعمل شىء ضدّى ، وإن واجبى أن أكون ضدّ التمساح (الخطر) " .

وبعد هذه التعويذة يذكر لنا اسم الحارس الأول الذى مثل فى صورة «بو الهول» وهو (٢٩) : «اللاعن الذى يصد التمساح» ،هذا هو حارس المنحنى وهذا هو اسمه ". وبعد أن ينجو الراحل من خطر هذا الشيطان ، كان عليه أن يتلو التعويذة الآتية لأجل أن يعتصم من الأخطار التى كانت تقترب منه بسرعة وهى : (٣٢) «إنى إنسان يصيد التماسيح عندما تقترب منه،ويملك بيضة «رع» (قرص الشمس) فيخفيها اليوم ويظهرها فى الصباح المبكر، وإن حارسها هو مخفيها، وإنى أنا المهاجم له ، وإن أبغض شىء عندى أن أنثنى عندما أتعرف عليه، وإنه لن يسكن فى الأفق ، لأنى سأقصيه مع الإله بوصفه ثائرا " (ضدّى) .

ويظهر أن هذه التعويذة كانت موجهة لشيطان حارس فى صورة حيوان يشبه الكلب اسمه : « مدس حر» (صاحب الوجه القاطع) حارس الباب هذا هو اسمه» . أما « بو الهول » الذى يقوم بحراسة المنحنى الذى يأتى بعد الأول فقد كتب معه الشرح التالى (٣٣) : « اسمه « معكتى نتر » (أى الحامى المقدّس) وهذا هو حارس المنحنى ، وأنه حارس من ينزل فيه (أى المنحنى) " . على أنه توجد تعويذة لاتقاء خطر هذا الحارس وهى : (٣٤) " لقد أتى الراحل مثل « حور » نخار الأفق السماوى عند أبواب الأفق ، وإن الآلهة تفرح عند اقترابه ،

وحينئذ يكون شذى عبير الآلهة متجها نحوه، ولن ينتابه شر حراس الأبواب ، ولن يعادوه، وإنه الخفى الوجه فى معبد الإله " .

نذكر بعد ذلك التفسير الذى صحب الشيطان الممثل برأس ثور (٤١) وجسم دودة وهو" (٤١) : « إن وجهك وجه فرس بحر يضرب الغاضب (أو القرن الذى يطعن الغاضب) " ؛ وعلى ذلك يلاحظ أن الرسام لابد قد أخطأ فى رسمه . وقد كان لزاما على الراحل أن يتلو التعويذة التالية ليمر بسلام فى الجزء الثانى من هذا المكان وهى : (٤٢) "هذه هى التعويذة الخاصة باختراقها (أى الطريق) بالذين على بحيرتهم " .

ويأتى بعد ذلك اسم الشيطان الحارس الممثل برأس حمار وجسم نمس وهو : « وجه حمار » هذا هو اسمه» . أما التعويذة التى كان يتلوها الراحل لينجو من شر هذا الشيطان الحارس فهى (٣٥) : "إنى فلان صاحب الاسم العظيم ، وإنى أنا العظيم الذى يمهد طريق «ماعت» (العدالة)، وإن ما أشمئز منه هو مكان المحاكمة الظالمة ، وإن صفاتى هى صفات حور الأكبر الذى نفذ ما يرغب فيه، وعلى ذلك لن يقبض على ،ولن أصدّ عن الأبواب ، وإنى الراحل بوصفى «روتى» (إله الشمس) المسلح ، وإنى « حقات » (إلهة تحمى «أوزير») سيدة المحيط الأزلى ، وإنى أعيش على الآثم ، وإنى أرث أفق «رع» ، وإنى الراحل بوصفى «آتوم» (الشمس المغربة) رب السكين . وإنى أقول بأنى أرث الأفق ، وإنى أمهد طريقا للإله «رع» عند ما يضع الورائه ، وإنى أعرف اسمه " .

بعد ذلك يأتى متن فى صورة خطبة يشرح فيها الراحل كيف تفتتح أبواب السماء والأرض أمام قوّة الشمس القاهرة . وهو (٤٤) :

«فصل فى تنعيم الروح الذى ولد من « أوزير» . يقول الراحل : لقد فتحت أبواب السماء، لقد فتحت أبواب الأرض ، لقد فتحت أبواب الغرب (الآخرة)، لقد فتحت أبواب الشرق ، لقد فتحت أبواب محاريب الجنوب والشمال ، ولقد

فتحت الأبواب والبوابات على مصارعها عند ما يشرق « رع » من الأفق، ولقد فتحت له أبواب سفينة الشمس الليلية، ولقد فتحت له أبواب سفينة الشمس النهارية عند ما يصل « شو » (إله الفضاء) وعند ما يخلق « تفنوت » (آلهة الندى) ، وهما اللذان كانا يتبعانه من بين الذين فى ركابه " .

وهنا نجد الثعبان أو الحية ذات الرأسين يعترض الطريق وقد كتب اسمه (٤٥): « سركت » التى على امتداده (أى على امتداد الطريق) .

أما المنحنى العميق الذى يأتى بعد ذلك فكان يحتاج اجتيازه إلى تعويذة خاصة يتلوها الراحل حتى يمر بالحارس دون أن يلحقه أذى . وعنوانها هو (٣٦) : " إنه فصل للمرور عليها (أى الطريق) :

(Lacau, ibid, 36; Berlin Coffin, Ch. XII d, 7)

أما التعويذة نفسها فهى (٣٧) : إنى فلان الذى يبلغ رسالات الآلة « رع » ، ولقد حضرت، وإنى أبلغ الرسالة لسيدها " . والظاهر أن التعويذة كانت موجهة للشيطان الذى رأسه رأس كبش وجسمه جسم دودة، وقد كتب عنه (٣٨) : "أنه حارس المنحنى واسمه صاحب الوجه الذى ينبئ عنه والذى يعيش على القذى " . وكذلك نعلم عنه ما يأتى (٤٦) : إنه هو الذى فى المنحنى " .

أما الثعبان العادى فقد ذكر عنه (٤٧ ، ٤٨) أنه حارس المنحنى (أو حارس منحنى البحيرة الذى يصد حامل المقمعة ، والذى يخاطب والدته فى صورة « شيفت » (إله فى صورة كبش يعبد فى اهناسية المدنية ") .

أما التعويذة التى كان يجب على المتوفى أن يتلوها ليفر من سكين الحارس الذى فى صورة فرس البحر فإنها وجدت على كل من تابوت القاهرة وتابوت « برلين » وهى (٤٩) : إنى فلان صاحب الأوجه العدة الذى يجعل صوت السماء يرعد، والذى يصعد إلى « رع » (أو الذى يبلغ الصدق « لرع ») ، والذى يقمع قوة « أبوفيس » (الثعبان عدو رع)، ويخترق القبة الزرقاء، ويقف عاصفة (أو ثورة)

نواتى الإله «رع» ، وذلك لأنى أعطيت سيفى الذى أخفيته ، وأعلنت حضور رب القربان فى صوره إلى المكان الذى هى فيه (أى سفينة الشمس) .

وأخيرا قيل عن القرد الحارس الذى يقف فى نهاية الطريق البرية ما يأتى (٣٩ — ٤٠) : عظيم الوجه الذى يصدّ التماسيح حارس محرابه " وكذلك قيل عن القرد والتمساح معا « إنهما حارسا منعطف البحيرة » .

وبذلك ينتهى الجزء الأول من الطريق البرية . والواقع أن وصفه هى وصف الطريق المائية .

الجزء الثالث من مصوّر تابوت القاهرة رقم (٢٨٠٨٣)

لقد لاحظنا فى الجزء السابق أن كلا من طريق البر وطريق الماء ينتهى عند شاطئ بحيرة النار أمام جدار سميك قد مثل عليه ثلاثة أبواب سود موضوعة بعضها فوق بعض يؤدّى كل منها إلى الإقليم الذى يقع خلفه . فالباب العلوى منها على ما يظهر كان خطره لا يقل عن الخطر الذى كان يتهدّد الراحل حتى الآن عند الأبواب التى مر منها . والمساحات التى تقع خلفها هذه الأبواب قد قسمت أفقيا فى الرسم ثلاثة أقسام يفصل كل منها عن الآخر حاجز من نار وكل جزء يحتوى على ساكنيه من الشياطين العجيبة الخلق ، الشاذة التركيب ، ولكن يظهر أنه لم يخلق واحد منهم من مارج من نار . ففى القسم الأعلى نجد حارس الباب الرئيسى له جسم دودة ورأس تشبه رأس القط أو رأس ابن آوى ، وكذلك مقدّمتاه . ويشاهد ملوحا بسكين فى كل من مخلابيه ويشاهد خلفه مباشرة كبش أسود طبعى الشكل . هذا وقد رسم خلف الحارس الأوّل عشرة كباش جاثمة ، وكل منها على حامل ، ويلحظ أنه فى يد كل من ثمانية منها سكين ، وكذلك يرى أن خمسة منها قد رشق فى مؤخر كل منها سكين . وهذا القسم يعلوه حاجز من نار .

أما الجزء الثانى الذى هو أسفل السابق فنجد أن الحارس الأوّل الذى عند الباب مباشرة قد مثل على هيئة رجل قد مثل نصفه الأسفل خط سميك متموّج

أسود اللون ويحمل فى يده عصا . أما الحارس الذى يليه فهو فى صورة آدمى مثل جالسا فى الفضاء ، وهـذا الوضع نشاهده كثيرا فى الرسوم الخاصـة بعالم الأرواح المصرية ، ويوجد بكثرة فى كتاب «ما يوجد فى العالم السفلى» وفى «كتاب البوابات» . وهذا المخلوق يحمل فى يده سيفا عظيما ويشاهد خلفه مباشرة عشرة رءوس كل منها يمثل رأس أرنب ومرتكزة على حامل أسود متموج قد رشق فيه سكينان واحد منهما أسود والآخر أبيض اللون .

أما القسم الثالث فنجد الحارس الأول الذى يقف عند الباب مباشرة قد مثل فى صورة آدمى محنط له رأس كلب أو ابن آوى . ويلاحظ أنه قد وضع يده على الباب إما ليفتحه للراحل الذى كان يعرف التعويذة السحرية الحقيقية ، أو ليمنع فتحه لكل من يجهل هذه التعويذة ، وخلف هذا الحارس يشاهد قط محنط يحمل فى يده قضيبا ، وخلف هذا الحارس يأتى سبعة جعارين سود يرتكز أسفل كل منها على عماد ملتوى الشكل ، وينتهى كل من هذه الأقسام الثلاثة بباب أسود كالذى نجده عند بداية كل منها . ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن هذا الرسم يختلف عن الرسم الذى على توابيت القاهرة الأخرى .

وأهم ما يلفت النظر فى هذا الجزء من « كتاب الطريقين » هو أشكال الشياطين الحراس ، فبعضها قد صبغ بصبغة المذهب الشمسى الصريح ، إذ نجد أن الكباش تمثل الكثير من الآلهة المصرية مثل الإله « آمون رع » والإله « خنـوم » والإله « حرشاف » وكذلك الإله « رع » نفسه بوصفه إله الشمس ليلا .

أما مجموعة الكائنات الثانية التى مثلت فى الجزء الثانى برءوس اثنى عشر أرنبا فإنها تعيد إلى ذاكرتنا فى الحال مجموعتى ساعات الليل والنهار ، وقد رمز لعددهما هنا بالسكين الأسـود والسكين الأبيض المرشوقة فى العمود الأسـود المتموج الذى يرتكز عليه كل رأس من هذه الرءوس .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الأرنب كان الحيوان المقدّس الذى كانت تتقمصه الإلهة « ونت » التى كان يرمز بهـا للقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات الوجه القبلى ، وعاصمتها « الأشمونين » الحاليـة . وهى المقاطعة التى كان يعبـد فيها الإله « تحوت » إله القمر ، هذا فضلا عن أن كلمة ساعة كانت تكتب بصورة الأرنب فى اللغة المصرية القديمة .

أما مجموعة الكائنات الثالثة فى القسم الثالث وهى الجعارين فهى معروفة لنا بأنها صور لإله الشمس « خبر » وقت الصباح .

المتون الخاصة بهذا الجزء التى على التابوت ٢٨٠٨٣

نقرأ أمام الجدار الذى فيه الأبواب السوداء التعويذة التالية (٢٤) : « تلك هى الثعابين حراس الأبواب المشرفون على الطريق » ؛ وتشـير بطبيعة الحال هذه التعويذة إلى أن بعض الثعابين كانت حراسا لأبواب هـذا القسم الجـديد من عالم الآخرة، غير أنه قد أهمل رسمها على المصوّرات التى وصلتنا حتى الآن، ولكن من جهة أخرى نجد فيما بعد فى « كتاب البوّابات » أن كل بوّابة من البوّابات الإحدى عشرة الخاصة بعالم الآخرة كان يحرسها ثعبان ، فى حين أن صلالا كانت تمطر من الجـزء الأعلى من البوّابات وابلا من اللهيب (Budge, "E. H. H.", Vol. II, pp. 87, 101, 121 etc.) ويشاهد على أوّل باب من مصوّرنا المتن التالى (٥١) « النار التى يبعدها هذا الشيطان » (Lacau, ibid, p. 195.). وهذا المتن قد وجد مكررا على البابين الآخرين .

والظاهر أن الحارس الأوّل لم يسم ، أما الحارس الآخر وهو فى صورة كبش أسود فنعت (٥٤) «رب الغضب» . فى حين أن الكباش الجاثمة لم يذكر إلا اسم واحد منها وهو (٥٥) «عظيم الريح» . وقد أطلق على جميعها اسم (٥٦) «الحرّاس» عامة . ولذلك نجـد أنهم نعتوا فى المتن بالذين فى حراسته (أى الباب) . ولا بدّ أنهم هم الحرّاس الذين جاء ذكرهم فى التعويذة التى كان يتلوها الراحل لأجل اقتحام

هـذه العقبة والتعويذة هى (٥٧) « إنى فلان عظيم الصوت فى السماء وأنتم يأيها العظماء . ابتعدوا يأيها الحراس (أى الأموات) ، إنى أنا الذى أمهد الطريق لأسيادكم » . وعنوان هـذه التعويذة هو : « فصل المرور عليها » (يقصد المرور بثلاثة الأبواب التى كان لا بدّ أن يمـر منها الراحل . أما اسم الحارس الأوّل الذى يحرس القسم الثانى فهـو (٦١) : بيت نافث اللهيب » . واسم الشيطان الجالس فى الفضاء فى صورة إنسان هو (٦٢) : «صاحب الأوجه النارية» . أما الكائنات التى مثل كل منها برأس أرنب فقـد أطلق عليها اسم (٦٠) : « الحراس له » (أى الباب) ، وكذلك كانوا ينعتون (٦٣) : « أرباب الصولجانات » ، هذا فضلا عن أننا نجد العنوان التالى . « فصل المرور عليها (أى الطريق) » . ثم يتلو ذلك نص التعويذة (٦٤) : « إن وجهى مثـل وجه » حور « ومثـل وجه التاج العظيم ، والصولجانات ملكى . وإنى أنا الراحل » .

والظاهر أن هذه التعويذة كانت تمكن المتوفى من المرور ، إذ نجده يوحد نفسه بتلك الكائنات التى كان لزاما عليه أن يمّر بها ، وفى هذه الحالة كان يدعى لنفسه السيادة عليهم . وكان الحارس الأوّل للقسم الأوّل يسمى (٦٨) : «صاد الأعداء» . والحارس الذى يمثل فى صـورة قط محنط يسمى (٦٩) : « ضارب الوجه » . أما تسـعة الجعارين التى نشاهدها فى المصوّر بعد هـذا القط فكان يطلق عليها لقب (٧٠) : « الذين وكل إليها أمرها» (أى أمر الطريق) . وكان لزاما على الراحل أن يتلو (٦٦) : «فصلا للمرور عليها» ، وهذا الفصل هو (٧١) : «إنى أنا الراحل الذى يجلس أمام عين « حور » لأقيم العدل بوصفى « تحوت » (مثـل رع) . وإن صفاتى صفات « تحوت » (الذى كان يجلس عند المحاسبة ويشرف عليها) . وبعد ذلك يواصل الراحل سيره فيصادف بعد تخطى هذه الأبواب برجا عاليا أزرق اللون وقبته حمراء كتب عليها كلمة (٧٢) « نار » . والواقع أن الراحل قد دخل الآن جزءا هاما من عالم الآخرة ، وقـد أفلح الرسـام فى تصويره تصويرا منطقيا .

فقد قسم هذه المساحة المستطيلة الشكل ثلاثة أقسام أفقية ، يحتوى القسم الأسفل منها على ما يظهر على متن مؤلف من سبعة أسطر أفقية قد محى معظمها . أما القسمان الآخران فتدل ظواهر الأمور على أنهما كانا مهبطا لشياطين غريبة الشكل ، وسنرى أنها قد وزعت على مقدار طول الطريق ، ويلاحظ هنا أنه قد صار يطلق على الطريق العلوية الطريق البرية ، وهى التى كانت حتى الآن تظهر فى الرسم بأنها الطريق المائية رغم أن المتن الذى كان يفسر مناظرها يدل صراحة على أنها الطريق البرية .

ويلاحظ أنه كان مصوّرا على القسم الأوّل فى الأصل خمسة كائنات لم يبق منها إلا ثلاثة صوّرت فى شكل آدمى ملوّنة باللون الأحمر ، مما يدل على أنها قد خلقت من نار . غير أن كل واحد من هذه المخلوقات العجيبة له رأس جعل ، وقد مثل كل واحد منها جالسا فى الهواء ، ويحمل فى يده اليسرى صل ، وفى اليمنى سحلية .

أما القسم الثانى فقد كان مسكونا بخمسة كائنات غريبة الشكل كذلك محى واحد منها .

ويلاحظ أن الكائن الأوّل قد مثل فى صورة إنسان له رأس كبش أحمر اللون يجلس فى الفضاء أيضا ويقبض بيده اليسرى على صل عظيم فى حين أن صلا آخر يرى خارجا من فمه ، ويواجه صفا من الكائنات العجيبة الشكل محى واحد منها ، واثنان منها قد أصابهما عطب فى النصف الأسفل منهما .

وأوّل هذه الكائنات الثلاثة الباقية ذو لون أزرق ورأسه رأس حيوان يصعب تحقيق نوعه ، ويلاحظ أن سكينا قد رشق فى كتفه وآخر قد مرقت فى دبره ، وفى يده سحلية حمراء اللون . أما الكائن الثانى فهو قط أصفر اللون . والكائن الثالث يمثل ابن آوى برأس أحمر وجسم إنسان أزرق .

وهنا ينتهى هذا القسم من « كتاب الطريقين » ببرج أزرق اللون تعلوه قبة من نار ، غير أنه ينقصه هنا شكل التيه الذى شاهدناه مرسوما فى نهاية القسم السابق . ومما أوضحناه نعرف أن الطريقين لا تزالان مستمرّتين ولكنهما ليستا فى العراء كما

كانت الحال من قبــل إذ نشاهد من الآن فصاعدا أنهما تمرّان فى ربوع وطرق ومبان مسقوفة .

متون الجزء الثالث (Cairo Coffin (28083))

نجد أوّلا مكتوبا على القبة الحمراء القائمة عند بداية هذا القسم كلمة « نار » ، كما كتب فى داخل البرج نفسه تعـويذة هامة وهى (٧٣) : " تعـويذة طريق « روستاو » وهما الطريقان اللتان توصلان إليه ، ومن سار على واحدة منهما فإنه محرم عليه السير على الأخرى إذ يصدّ . ومن يعرف هاتين الطريقين فإنه سيجدهما دائما ، وذلك لأن لها جدرانا عالية تحميهما مدى حادة خاصة « بروستاو » . وهاتان الطريقان إحداهما على المـاء والأخرى باليابسة " .

ومن هــذه التعويذة نعرف بوضوح أن المتوفى قــد حذر صراحة التردّد بالعدول عن إحدى الطريقين بعد اختيارها ، لأنه لو حاول ذلك كان فيه هلاكه ، ومن ثم نعلم أن الطريقين لا تزالان مستمرّتين . أما الإشارة الى الجدران الشاهقة المحمية بالمدى فالمقصود منها ذلك البناء المقبب الذى وصفناه فيما سبق . والظاهر أن هذا الإقليم هو فى الواقع « روستاو » .

وبعد أن يجتاز المتوفى البرج فى ســلام كان لزاما عليه أن يتــلو تعويذة أخرى هى فى الواقــع تكملة للسابقة وهى (٧٤) : يأيهـا المتعبون (الأموات) ، والذين قد أكبوا بوجوههم على أحجارهم ، ومن قد أخفيت محياهم ، والذين يعيشون على صدقهم ، ومن أسنانهم هى سنّ « أوزير (أى عمرهم مثل عمر أوزير) . إنى أنا عظيم القربان فى وقته المحدّد ، والذى يسلك طريقه فى النار ، والذى أحيا «أوزير» ، وإنى أنا الذى مهــد الطريق ، فدعونى أمر حرا ، وأرى « رع » ، وأكون بين أولئك الذين يقدّمون القربان . (وإنى أنا الواحد الخفى فى المحيط العظيم ، وإنى محاكم الرجلين « حور » و « ست » ، وإنى قد أتيت ومحوت كل ضار بأوزير) " .

ومما ينبغى النص عليه هنا أنه بالرغم من أن هذا المتن أوزيرى الصبغة، وأنه خاص «بروستاو» ، أن المتوفى كان يعقد أمله الأخير على رؤية « رع » ، على أن رؤيته كانت لا تتسنى له إلا نهارا فى السماء أو ليلا فى العالم السفلى . وكذلك يشير هذا المتن إلى « تحوت » إله القمر الذى لمح به عند ذكر الرجلين « حور » و «ست» . هذا ونجد فى الجزء الأعلى من هذا القسم متنا مفسرا له هو : "الطريق إلى «روستاو» على اليابسة . الطريق إلى روستاو على الماء" .

وعلى أثر دخول الراحل فى هذا القسم كان لزاما عليه أن يتلو التعويذة التالية (٧٦) " إنى أنا الراحل الخفى ، والفيضان الذى يفصل بين الرجلين ، (« حور » و « ست ») ولقد أتيت لأبعد الحزن وأخفف آلام « أوزير» ولقد أتيت لأصد الشر .

أما أول شيطان حارس فى الصف الأعلى فينعت (٧٨) : « النيل المنتشر» واسم الحارس الثانى هو (٧٨) : « المعطى له » واسم الحارث الثالث (٧٩) : « نحب كاو » ، وهو ثعبان عظيم له رأسان وذيله ينتهى برأس ثالث كما جاء ذكر ذلك فى كتاب " ما يوجد فى عالم الآخرة " . وهو معروف بأنه مقدم القربان ، وقد ذكر عنه ما يأتى : " إن صاحب هذه الصورة موجود فى مكانه « نت مو » على الطريق المقدس المؤدية لطريق «روستاو» ، وإنه يسافر إلى كل مكان يوميا ، ويعيش من فيض ما يخرج من فمه " .

ونجد هنا أنه رغم تغيير صورة هذا الحارس فإن « نحب كاو » كان يعمل بوصفه حارس طريق « روستاو » وهى الوظيفة التى كان يقوم بها على تابوت رقم ٢٨٠٨٣ " . أما الحارس الرابع فاسمه (٨٠) « الآكل آبائه » .

أما فى القسم الثانى فأول حارس فيه يسمى (٨٢) : «الطارد ست» . أما الحارس الثانى فيحمل اسما غريبا وهو (٨٣) : والد ثور عين شمس السيئ الحظ ، واسم الحارس الثانى قد محى بعض الشىء، وما تبقى من الأسماء الأخرى قد محى كلية .

والمتن الذى يشغل الصف الأسفل من هذا الجزء من المصوّر قد هشم تهشيما كبيرا وقد وجدنا فيما بعد أنه الفصل ١٤٦ من كتاب الموتى وهو (٨٨) : لقد ثُبت بقوة الأملاك فى العوابة ، وقد مهد الطريق « لروستاو » لأجل أن يختلط بأولئك الذين يرون الآلهة فى القصر العظيم ، وهم يقدّمون له الثناء؛ ولقد حضرت اليوم أمام باب « إمنتت » (أى باب الآخرة فى الغرب) . وفى رواية أخرى « باب الأرباب » (أى أرباب الآخرة) .

الجزء الأخير من الصف العلوى

هذا الجزء من الصف العلوى لا يزال يمثل جزءا من البناء، وهو الشرفة التى كان يطل منها الفرعون عادة ليوزع المكافآت على عظماء رجال دولته فى مناسبات خاصة فى عالم الدنيا؛ غير أن الجزء الأسفل من مناظره قد هشم فى المصوّر الذى بين أيدينا والجزء الأعلى يحتوى على صورة قرد ضخم أحمر الوجه وخلفه يشاهد صورة آدمى يظهر كأنه جالس على الأرض .

بعد ذلك ننتقل إلى جزء آخر مؤلف من قسمين وضع أحدهما فوق الآخر، أعلاهما يمثل مبنى طويلا مقسما عدّة أقسام ، فنجد فى بدايته جدارا من الخشب الأحمر يفصله أفقيا عن الجزء الأسفل حاجز من نار، وخلف الحاجز الأحمر فاصل أصفر ففاصل أسود، ثم آخر أصفر، ويلى ذلك باب نارى يدور على عقب أسود، ثم يصادف الراحل مساحة ملونة باللون الأصفر ومقسمة عموديا تسعة أقسام وفى نهاية ذلك يصادفنا حارس فى صورة إنسان عادى ، غير أن رأسه قد محى ، وهو يضع إحدى يديه على آخر جزء من القسم الأصفر الذى وصفناه الآن ، ويده الأخرى على مصراع الباب التالى الذى يشاهد خلفه وهو من نار أيضا . ويعقب ذلك فجوة فى التصميم قد زال كل ما عليها من صور ورسوم ، وبعد هذه الفجوة يشاهد بناء منحدر قد جثم فوقه صقر أزرق اللون يظهر أنه الإله « سكر» رب «روستاو» (أى صقر «روستاو» وهو إله الموتى فى « جبانة منف » أى صورة من

صور « أوزير ») . ويُظن أن هـذا البناء الذى على هيئة قصر يمثل نهاية المطاف ويعدّ « روستاو » ، وأن القرد الذى يمثل مكانة بارزة فى هذه المتون يمثل الإله « تحوت » ، كما أن الصقر يمثل « سكر » ، وهو مظهر من مظاهر « أوزير » .

أما الجزء الأسفل من هذا القسم فقد هشم معظمه اللهم إلا الجزء النهائى فقد حفظ لنا منظرا يشاهد فيه الراحل متجها نحو باب ، وهذه أول مرة يشاهد فيها المتوفى مرسوما فى « كتاب الطريقين » .

المتن الخاص بهذا القسم كما وجد على تابوت القاهرة

ومما يؤسف له جدّ الأسف أن المتن الخاص بهـذا الجزء وجد مهشما تمـاما فى النسخة التى ندرسها (أنظر شكل ٣٤) ، غير أنه أمكننا أن نستبدل به متنا مقـابلا له على تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٥ . وهـذا المتن يتفق بعضه مع متن تابوت « برلين » . ففى القسم الذى فيه الشرفة والقرد والإنسان نجد المتن التالى[1] :
(٦٧) إنه جدار من الخشب و إنى أفتح الطريق إلى « روسـتاو » وإنى أخفف الآلام « أوزير » ، وإنى أنا الراحل الذى ينتج ما يوجد ، والذى يتعرف على عرشه ، والذى يمهد طريقه فى الوادى العظيم ؛ و إنى مهدت الطريق ، وحافظت على النور البهى (نور الشمس) ، لأجل أن أمرّ به . هذا هو ما تقوله بسبب ظلمة الليل ، و إن كل روح منعم سيعرفها (التعويذة) فإنها تعيش بين الأحياء ، وستحفظ النار جسم « أوزير » ؛ وكل إنسان يعرفها (أى التعويذة) لن يسقط أبدا فى « روستاو » ؛ ومكانه الخفى هو « روستاو » منـذ أن عرف أنه قد أنزل فيها على جبله الرملى ، وستكون له الكلمة التى أعطيت فى « روستاو » (وفى رواية أخرى : أنه هو الذى جعل نفسه ينزل فيها على جبله الرملى ، وأنه صاحب « العرابة المدفونة » التى فيها بقايا « أوزير » سيد « روستاو ») .

---

(١) الأرقام التالية تشير إلى تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٥

« وجبل الرمل » المذكور هنا هو أحد مميزات « روستاو » ، كما جاء ذكر ذلك فى متون الأهرام وفى كتاب « ما يوجد فى عالم الآخرة » . إذ المفهوم أن الرمال تحفظ الأجسام من البلى ولذا كانت الأجسام تدفن فى الرمل .

و يتلو هـذا المتن آخر وجد كذلك على تابوت « براين » وهو (٦٨) : « كل إنسان سيعرفها (التعويذة) لن يسقط أبدا ، وذلك لأنه يعرف تعويذة المرور على الجنّ الذين رءوسهم منكبة على أحجارهم ، وهم أربعة الحراس للأبواب الأربعة ، والراحل هذا هو صاحب الاسم العظيم يخلق النور ، و يأتى لك «يأوزير» ، وإنه يمجدك و يساعد الذين جمعوا له مادة جسمه ، (أو الذين طهروا مادة جسمه) » .

ومما يلاحظ فى هذا المتن أن الراحل يدعى أنه يخلق النور فى الظلام ، وهذه فكرة موجودة منذ متون الأهرام .

ثم يتلو علينا الراحل بعـد ذلك تعويذة طويلة يحتمل أنه كان يلقيها عند الاقتراب من باب النار المزدوج وهى (٧٢ — ٧٣) إنها طريق « تحوت » هذا صاحب بيت الصدق : مرحبا بك يا « تحوت » يا من مع أتباع « رع » . إن هذا الراحل قد أحضر العين السليمة ثانية ، وإنها للامعة ، وإن الراحل هذا قد أقصى عنها المرض ، و بذلك هى لامعة . تأمل ! إن الراحل يأتى إليك مع اتباعك الليليين بين أولئك الذين يقدّمون القربان ، وإن الراحل قـد نزل سفينتك يا « رع » ، وإن ماء الراحل فى النـار التى تضىء الظلمة بين أولئك الذين يأتون بالقربان التى تجلب « لمـاعت » (العـدالة) عندما تخترق بحـيرتها . وإن الراحل يسمع كلام الثعبان « هيو » المشرف على الحى العظيم الشمالى (من السماء) ، وإن الراحل هذا يسرع الخطى ليحمى «رع» من غضب الثعبان « أبو فيس » (عدو «رع» أثناء رحلته الليلية) .

ففى هذه التعويذة نجد أن المتن قد صبغ بصبغة العقيدة الشمسية أى مذهب ديانة الإله «رع» ، وكذلك وجه الكلام فيها للإله « تحوت » ، وقد ادعى فيها

الراحل أنه قد أعاد عين الإله (أى القمر) إلى حالتها الأولى من الصحة بعد أن كان «ست» قد اقتلعها من «حور» ، وكذلك يلاحظ أن الراحل كان يتبع «تحوت» الذى كان يمثل هنا «القمر» فى عالم الظلام . أما الجزء الثانى فشمسى الصبغة ويشير إلى أن المتوفى يسبح مع الشمس فى سفينتها . ويظهر أن له ضلعا فى المحافظة على الإله «رع» من هجمات الثعبان «أبو فيس» الذى كان يعتبر أكبر عدو خطر لإله الشمس خلال رحلته فى عالم الآخرة السماوية (أى فى المخاطرات التى كان لابد أن يقابلها هذا الإله كما جاء فى الأساطير أثناء سياحته السفلية) . وفى هذه الحالة كان الراحل يوحد نفسه بالإله « حور الأكبر » الذى يقوم غالبا بهذا الدور فى سفينة الشمس كما كان يقوم به «ست» أحيانا . ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن هذه المجموعة من المتون موجودة فى تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٩ ولكن فى غير المكان الذى وجدت فيه على المصوّر فى متون تابوت ٢٨٠٨٣ ، هذا فضلا عن أن الأولى أطول، ولكن تدل على نفس المعنى الذى فى الثانية وهى : أنها طريق « تحوت » إلى بيت الصدق، وإنى من أتباع «تحوت» ليلا فى وقت تخبئتهم . دعنى أحضر « تحوت » . وإنى أنا الذى فتحت العالم السفلى (دوات) إلى « رع » ، وإنى أنا الذى أرفع رأسك وأجدف فى سفينتك ، وإنى أمهد طريقك فى السماء، وإنى أنزل فى مكان سفينتك التى أحملك فيها ليلا ، وإنى قابع فى جهة مياه « وعرت » (مكان فى السماء)، وإنى أنا الذى مهدت الطريق ... والإله « حتبى » قد أعدّ الطريق ، وإنى قد أقصيت مرض العين من وجه رب الخلق ، وإنى شفيت بالبصق جراح « رع » وبذلك سيعيش عيشة راضية ؛ وإنى أعرف الثعبان «أبو فيس» وأتباعه . مرحبا بك يا « تحوت » الذى بين أتباع « رع » . إنى أنا الذى أحضرت العين السليمة فهى براقة، وإنى أنا الذى أقصيت الظلمة عن العين المتعبة ، وبذلك أصبحت براقة ثانية ؛ تأمل ! لقد أتيت إليك بين أتباعك هؤلاء مع أولئك الذين أحضروا القربان . ولقد نزلت فى سفينة «رع» ، ولقد أطفأت النار

بالمـاء وكشفت الظلمة عن أولئـك الذين حضروا بالقربان التى جلبت لمـاعت (العدالة) المسافرة بالمـاء ، ولقد سمع « رع » صوت الثعبان « هيو » فى الإقليم الشمالى العظيم من السماء ... و إنى أنا مخلص «رع» من غضب الثعبان «أبو فيس» ، وأنه لن يضع فى أغلاله ، و إنى أنا الكائن « شـد حرو » الذى يشفى الجروح ، ويخدم باب المعبد ويلبس الإله ما حيك له . دعنى أحضر إليك يا « تحوت » ، و إنى لن أطرد من جوارك خلال الليـل ، فإنى أنا الذى أحضرت العين السليمة (أى القمر) ، والذى خلصها ممن ألحق بها الأذى . وهذا هو خلاص بيت القمر (أى تحوت) .

ومن المحتمل أن بيت « تحوت » المشار إليه هنـا هو القصر الذى أقيم على هيئة قـبة فى مصور تابوت رقم ٢٨٠٨٣ ، ويلاحظ أنه قد صور فى أعلى صف فى هـذا المصور فى داخل مبنى يحتوى على سلسلة من الحجرات الضيقة والأبواب النارية ، وكذلك نرى أن بداية هذا القسم هو حاجز من النار . ولدينا متن فى تابوت « برلين » يفسر لنا معناه ، وهو : " إنه جدار من الخشب الأحمر أفتح به الطريق إلى « روستاو » " .

والظاهر أن مجموعة التعاويذ الأخيرة التى على تابوت القـاهرة رقم ٢٨٠٨٥ وهى التى تكلمنا عنهـا قريبا يجب أن تتخـذ مكانتها فى الصف الأعلى كما يجب أن تكون هى نهايته ؛ ولكن إذا أنعمنا النظر نجد أن الأمر على خلاف ذلك ، إذ الواقع أن المتـون التى درسناها حتى الآن خلافا للقدمة كان معظمها متونا خاصة بعـالم « روستاو » فى حين أننـا نلاحظ فى المتون النهائيـة التى فى الصف الأعلى فى كل مصورات التوابيت التى فحصناها أن ذكر « روستاو » قد اختفى ، وأن المتون التى لدينا فيها هى فى الواقع مقدمة لموضوع آخر وأعنى بذلك رواية أشمونية ، أو بعبارة أخرى مذهب العقيدة القمرية التى تمثل فى معبود «الأشمونين» وهى خاصة بسياحة الشمس فى سفينة الليـل الذى يلعب فيـه الإله « تحوت» إله القمر دورا هاما .

وحقيقة الأمر على ما يظهر أن المتون الخاصة « بروستاو » قد انتهت بالتعويذتين رقم ٦٩ ، ٧٠ من التابوت رقم ٢٨٠٨٥ وهما اللتان تحملان العنوان التالى : فصل الاستقرار فى « روستاو » . وهذا يدل على أن الراحل قد وصل فعلا إلى « روستاو » حيث يسكن الإله « أوزير » ، وهنا يخلق الإله نورا ليضىء الظلمة . وعلى ذلك يجب أن نعتبر هذا الجزء من المصوّر المحاط ببرج عال يمثل « روستاو » ، إذ الواقع أننا لا نجد بعد ذلك ذكر الاسم « روستاو » فى كتاب الطريقين . والظاهر من المتون أن الصف الأعلى من المصوّر يمثل الطريقين اللذين يؤدّيان إلى « روستاو » وهو كما ذكرنا عالم « أوزير » السفلى وهو مكان مظلم يشبه القبر ويحتمل أنه الهدف النهائى الذى يستقر فيه جسم المتوفى ، ومن ثم نعلم أن السياحة إلى « روستاو » هى للجسم فقط . وبعد ذلك تستمر الروح فى سياحتها فى عالم الآخرة مع إله الشمس حتى تظهر ثانية مع إله الشمس «رع» فى الشرق يوميا . ولا أدل على صحة ذلك من التفسير الشافى الذى نجده فى مقبرة « سيتى الأوّل » الرمزية المقامة فى «العرابة المدفونة» (Frankfort, "The Cenotaph of Seti I at Abydos", Vol. I, pp. 37, 38) .

وقبل أن ننتقل إلى الصف الأسفل من المصوّر نذكر هنا متنا جاء على مصوّر تابوت برلين ولم نجد له مثيلا فى متون توابيت القاهرة فى المكان المقابل للشرفة هو : أما فيما يخص أى رجل هناك فإنه سيرى « أوزير » كل يوم وسيكون الهواء فى أنفه ، ولن يموت أبدا ما دام يعرف تعويذة المرور عليها (أى الطريق) .

وكذلك نجد عند النقطة المقابلة لمنظر القصر على « تابوت القاهرة » أن بعض عبارات الفصل الخامس عشر من متون تابوت « برلين » موحدة مع متن تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٥ (٦٩ — ٧٠) وسنذكر هنا بقية متن تابوت « برلين » لأهميته وها هو ذا : دعنى أمر فى سلام ... أوزير مار بكل الأبواب . إنى أقف منتصبا ، وقد جعلت اسمى فى « روستاو » منذ عرفت أنى قد ثويت فيها .

مرحبا بك « يأوزير » — مرحبا بك « يأوزير » ، إنى أرفع بقوتك و بسلطانك حسب المحاكمة ، و إنك قوى فى «روستار» ، و إنك مهيمن فى «العرابة المدفونة» عند ما تجول فيها ، ووجهك لسماء « رع » . وكل النـاس قد رأوك ، إنك الواحد الذى يناديك «رع» عند ماينزل إلى السماء (السفلى) ويسبح فيها إلى الأفق (الشرقى ثانية) . و إنى أقول مثل « أوزير » : إنى الراحل — هـذا الإنسان الروحانى ، الشريف القوى ، و إنى أتكلم بما يحدث مثل ما يقوله هو ، ولن أبعد من أمامك «يا أوزير» يا من قد قدّم له القربان أمس ، و إنى قد أتيت بنفسى اليوم ، وقد مهدت طريقى ، و إنى أفرح وأسير فى صورة «أنو بيس» (إله الموتى) ؛ و إنى أنا الراحل «شاد النواصى» الذى يخرج من الأفق . و إنى أنا الراحل ، و إنى أنا «نونت» هذه التى تأتى من صو لجانها ، و إنى ذلك الراحل صاحب التاج العظيم ؛ و إنى أنا الراحل الثالث للإله « حقا » ، لأنتقم للآلهة « ماعت » (العـدالة) ، و إنى أنا الراحل الذى أنتقم لعينه ، و إنى أنا الذى ثويت أمس و بعثت اليوم ، و إنى قد مهدت طريقى . أما حارس الباب الذى أحار به فى الطريق بقوة عنـد ما أخرج مثل « رع » ضد أعدائى فقد ظفرت به ، وقد جعلنى لا أدعه ينجو من أمامى عند ما سمعت أمام مجالس القضاة الذى وضعنى على الطريق الرئيسية . وصو لجان الإله كان بين مخالبى التى هى مخالب أسد ، وهى ملك كفى الذى يشبه كف التمساح . و إنى قد هيأت طريقى التى أحضرت عليهـا أعدائى ، و إنى أنا الراحل ، و إنى « أوزير » صاحب المكان الخفى ، والذى على رأس أهل الغرب (الأموات) ، عند ما وضعت على رأس الأربعة (؟) . و إنى أنا الراحل ، و إنى سيد الدم فى أيام الظهور ، و إنى سـيد الأقوياء (حراس الأبواب) ؛ و إنى لم أسرق ، و إنى قد مهدت طريقى التى أمام المعبد ، وأملك أكفانى من الكتان العجيب (؟) ، وهى التى قد أحضرت لى مع التـاج الأحمر العظيم ، وهو الذى أُعطيته حتى أتمكن من الظهور به فى هذا اليوم على أعدائى . ولقد أحضر لى لأكون قويا به ” .

إيضاح — "هذا الكتاب كان تحت جنب « تحوت » . لقد انتهى" .

و بعد هـذا الفصل نجد فى نفس تابوت « برلين » أن الفصل السادس عشر يتلوه مباشرة وليس يفصله عن السابق إلا شريط رفيع جدا . وقد ذكرنا فيما سبق جزء ١ منه وهاك ما تبقى : "إنى ... إلى السماء والأرض، وإنى هذا الراحل القوى فى قلبه، و إنى أملك إله القطيع، و إنى أملك الآلهة الخمسة أرباب القطيع، و إنى أنا ذلك المخصب أحمل بذرتى جاعلا هذا وذاك خصبا" .

شرح — إن كل إنسان يعرف هذه التعو يذة سيكون خصبا على هذه الأرض ليلا ونهارا، وسيكون قلب زوجه ملكا له ما دام يريد أن ينكحها؛ وهذه التعو يذة يجب أن تتلى على سوار من الجمشت يضعه المتوفى على ذراعه اليمنى . ثم يستمر المتن فيقول: "إن تاج «رع» فاخر على رأس «ماعت» (العدالة) كل يوم، و إنه يلبس التاج العظيم الكبير فى حين أنى سليم عند ما أكون محميا ضدّ كل شر يخرج من فم كل إلهة، و إنى أنعم تلك الزوجة المتوفاة . ولن يكون فى أوّل هذه السنة فى هذا اليوم الجميل الخاص بمعبد « تنتت »[1] (أوزير) هناك شر فى هـذا اليوم الجميل فى معبد « تنتت » لأجل عيد « نحب كاو » (إله القربان) (وهو عيـد يقام فى أوّل يوم من رأس السنة) ، فى اليوم الجميل الخاص بمعبد « تنتت » ، وهو الذى يكون فيه الأربعـة الذين يحضرون القربان ، ويأتون بالقربان ، من « عين شمس » على مائدة قربان كل يوم حبا فى « رع » يوميا، و إنى أنا الخارج من الأفق، وقربانى فى الأمام، وقربانى فى الأمام، وقربانى يأتى فى المقدّمة، وقربانى يأتى فى المقدّمة. وقـد وضعت فى الأمام ، وإنى أنا المقـدّم ، و إنى أنا الذى خرج من الكرنالين (الأحمر) أى نذير الشر، والإله الأعظم يقاد أمامى... ... وإنى ثور القربان المشرف على الأشياء (الطعام) فى ... صاحب الوجبات على الأرض مع «حور» والوجبات على الأرض مـع الإله « مين » . وإنى أجعل القربان تقـدّم لى ، و إنى أذهب

(١) معبد فى « منف » للاله « بتاح » أو « أوزير » .

وحدى ، وعنـد ما أجلس لآكل الخبز فإن « رع » يجلس لأكل الخبز، ويجب إعطائى الماء على يد «إزيس» عند مايقف الفيضان على شاطئ «أجب» (الفيضان الأبدى) . وإنى أقترب منك يا ساقى «رع» وإنى أنا بجوارك، وإنك تبهج وجه « رع » ، وإن وجه « إزيس » يشع لك، وإنك تعطينى خبزا عند ما آتى جائعا ، وإنك تهبنى جعة عند ما أكون عطشان . وإنى الإله «مختى إرتى» ... ... وإنى آكل الشعير الذى فى الحقل، وإنى أحافظ على القربان الذى على شاطئ الإله ...".

القسم الأسفل من مصوّر كتاب الطريقين

يظهر أن هذا القسم من المصور قد سجل عليه كما سبق سياحة سفينة الشمس الليلية فى العالم السفلى حاملة روح المتوفى . ولما كان متن تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٣ مهشما فقد استعضنا عنه متن التابوت رقم ٢٧٠٨٥ وهو يتفق تمام الاتفاق مع سابقه من حيث الرسم (١) .

(١) لقد ضربنا صفحا هنا عن شرح القسم المقابل لهذا فى مصوّر تابوت «برلين» ، وذلك لأنه ليس لدينا إلا نسخة واحدة منـه ، مما جعل فهمه غاية فى الصعوبة ، وبخاصـة أنه يحتوى على فجوات وتهشيم فى المتن . والواقع أنه يوجد تشابه كبير بينـه وبين مصوّرات القاهرة من حيث الرسم ، أما من حيث المتن فانه يشتمل على عشر فصـول يتكلم فيها الراحل عن العقبات التى كان يقابلها والحرّاس الذين كانوا يعترضونه فى طريقه ، وكيف كان يتغلب عليها بالتعاويذ السحرية ، وبخاصة أنه كان يخبر هؤلاء الحرّاس المخيفين انه قد زار الأماكن المقدّسة التى كان لزاما عليه أن يزورها جثمانه قبل أن يذهب إلى عالم الآخرة . فيخبرنا أنه قد زار «عين شمس» و «بوتو» و «خرمحا» (مصر العتيقة) و «العرابه» وبلد المجل «أبيس» وغيرها من الأماكن المقدّسة .

ونلحظ فى الفصل الثانى أن الراحل يهدّد الحرّاس بأنه رب الظلام ، وأنه صاحب سلطان ، وأنه أتى اليوم من «عين شمس» مقرّ حقول القربان وموطن عبادة «رع» . وأنه هو نفسه «ثور عين شمس» أى الإله «رع» ؛ ثم يعدّد بعـد ذلك الأماكن المقدّسة التى زارها فى الفصول التالية ، وكذلك يخبر الحرّاس فى الفصل الثالث أنه أتى بموائد قربان مفعمة بالخيرات ، وأنه الإله «حو» إله الأمر والنهى الذى يصحب الإله « رع » فى سفينته ، وأنه يمكنه أن يمرّ فى طريقة بمجرّد ذكر اسمه . وإنه يمرّ فى طريقه لأجل أن يصبح من المنعمين ، ولا أحد يمكنه أن يعترضه فى تلك الظلمة ، لأنه رب الظلام وروحه . وكذلك نشاهد أنه يتقمص كل صور =

والرسم الأوّل الذى فى بداية هـذا القسم يدل على أنه يمثـل غروب الشمس إذ نجد فى الجزء الأعلى منه جعرانا فى سفينة (شكل ٣٤)، ويلوح أنه يتسلم بيديه قرص الشمس الملوّن باللون الأصفر من سماء زرقاء نصبت فوقه . أما السفينة التى يقف فيها هـذا الجعران فتمثل الثعبان « محن » . ولا غرابة فى ذلك إذ نجـد فى القسم العاشر من « كتاب البوابات » أن الثعبان « محن » يظهر فى صورة سفينة ينتهى كل من طرفيها بثلاثة رءوس ثعابين منتصبة، وفى الوسط يقف إله له رأسان واحد منهما يمثل رأس الإله « حور » والثانى يمثل رأس الإله « ست » وقد فسر هذا المنظر كالآتى : " هذا هو الثعبان « محن » ذو الصلبين، وهو الذى يمشى فرحا فى العالم السفلى ، وقد شـدّت الأقواس ليحمل عليها صاحب الوجهين « حور » و « ست » فى خفائه الخاص بهما " .

أما ما جاء فى وصف « محن » فى متن الطريقين فى مصـوّرنا تفسيرا للسفينة فهـــو :

"إن «محن» هو الذى فى داخلها (السفينة)، وإن «أوزير» هوالذى أحضره إلى «حور» الكبير، وإن «رع» هو الذى صنعها (السفينة) لأجل أن يقضى على أى فرد ضدّه فى الأفق عند ما تكون حاشية الأفق مقسمة (قسمين من الملاحين)، وذلك عند ما يحضرون عظيمهم (رع) ، لأن ما ينطق به موجود فى الآلهة الذين تتألف

= الإله «رع» . وفى الفصل الخامس يخبر الراحل الحرّاس أنه موقد النار، وأنه الواحد العظيم الذى سجل اسمه فى كتب الأبدية ، وأنه السكين العظيمة المصنوعة من النار التى توضع فى أم رأسه . وفى الفصل السادس يخبرنا أنه هو بارئ الإله «رع» نفسه ، وكذلك الإله «شو» رب الفضاء وأنه الآلهة «ماعت» ربة العدالة التى تحلى التاج ، ولذلك فان كل من يقترب منه بسوء من هؤلاء الحرّاس فانه يقصيه فى الحال . وفى الفصل السادس نجـد أسماء آلهة وشياطين يحتمل أنهم يعترضون طريق المتوفى . أما الفصـل الثامن فيذكر لنا بعض أسماء الحرّاس . ويشتمل الفصـل التاسع على تعويذة فيها يطلب إلى الآلهة الأربعة أن يجعـلوه يمرّ على طريقه دون أن يصدّ عنه ، ثم نجده يخبر الحرّاس بأنه واحد لا يراه من حوله . وفى الفصل العاشر نجد تعليمات عن المكان الذى سيأوى إليه لينام فيه بعد أن ينتهى من قطع طريقه إلى عالم الآخرة .

منهم الحاشية، وهم من المواطنين، والذين سمحت لهم أن يذهبوا إلى سماء «رع» (وهـذه السماء كانت من قبل وقفا على الملوك) و يضيئون فيها ليلا . وكل إنسان بين أتبـاعه سيعيش إلى الأبد فى ركاب « تحوت » الذى منح قوة الاضاءة ليلا ؛ وجعل قلب « أوزير» فرحا لأنه أحد الذين يرافقونه ، وقد وضع بين أتباعه مثل رجال الحاشية".

ومن أمتـع ما جاء فى هـذا المتن أنه ينتظم عدّة آراء ترجع إلى متـون قديمة وأخرى ظهرت فى العصر الذى نحن بصدده . فمثلا نجد أن الثعبان « محن » لم يأت ذكره فى متون الأهرام ، وقد صوّر هنا فى صورة صـل له رأسان فى نهايتى جسمه الذى شُكل بصورة سفينة، وسنرى فيما بعـد أنه سيحل محل رأس إله وذراعيه ؛ وكذلك نجد فى "كتاب ما يوجد فى العـالم السفلى" أنه سيظهر بوصفه حامى الإله «رع» ، لأنه يُشكل جسمه بطريقة تجعله يحل محل الناووس الذى يقف فيه الإله فى سفينة الشمس ،وقد كان لا يوجد إلا فى سفينة الليل فقط ، إذ أن ظهوره فى الصف الأسفل من المصوّر يبرهن على أن البحث هنا ينحصر فى السياحة الليلية لإله الشمس « رع » . ومـا يلفت النظر فى هذا المتن كذلك ما جاء فيه من أن القوم (الناس) سيسمح لهم بالذهاب إلى سماء رع و يضيئون هناك ليلا . وهـذا القول بلا نزاع إشارة إلى الاعتقاد القـديم الخاص بالعقيدة النجمية، وهى التى كانت حتى ذلك العهد وقفا على المتوفين من الملوك ، أى أن الملك كان يصبح نجما بعد أن يرتفع إلى السماء، ولكن أصبح الآن هذا الحق مشاعا لعامة الشعب كما أصبح المصير الشمسى حقا لهم . ولا أدل على أن هذا الحق المكتسب كانت لا تزال ذكراه قوية فى أذهان الكتّاب الدينيين ممـا جاء فى هـذا المتن مشيرا إلى أن المتوفى كان ذاهبا إلى سمـاء « رع » مع أنه فى السطر التـالى لهذه الفكرة نجـد أن الإله الرئيسى المشار إليه هو « تحوت » الذى يضىء كذلك ليلا ويشرح قلب « أوزير (المتوفى) » . وقد احتفظ عامة الشعب بمـا ناله من حق التمتع بالآخرة النجمية ، ولذلك لم يعد الملك وحده

يتمتع بهذا الحق ويفتخر بأنه سيصير نجما لا يأفل، بل نجد أنه حتى الموظف المشرف على البيت كان ينعم بمثل هذا الحق .

ونجد أسفل هذا المتن الافتتاحى فى مصوّرنا (شكل ٣٤) رسما آخر يظهر أنه يمثل سفينة الشمس وهى تسبح فى سماء صافية الأديم فى وسطها إله أحمر الجسم جالس فى الفضاء مُثّل رأسه بجعران كما مُثل ذراعاه بثعبانين، هذا فضلا عن وجود صلبين متدليين من ذراعيه . وقد انتشرت فوق هذه السفينة سماء صافية فى وسطها قرص الشمس . ويلاحظ فى هــذا الرسم أن قدم هذا الإله ترتكز على ثعبان ينتهى طرفاه برأسى صلبين منتصبين أما المتن الخاص بهذه المجموعة فهو (٣) :

إن « أوزير » الراحل يتبع « رع » الذى يضىء السماء ، وإنى قابع فى محرابى مثل « حور » صاحب المهد المرفوع ، وإن مكانه القريب من محرابه قد أخفى ، وإن الإله يفتحه لمن يريد « يا أوزير » الذى تحييه الإلهة « ماعت » (إلهة العدل) وترشده . وإن ما يهلع منــه « أوزير » الراحل هو السحاب الذى يأتى بالمطر إلى جانبــه (وذلك لأن المتــوفى كان دائمــا يخاف المــاء الذى كان يطغى على الموميــة ويتلفها ، ولهذا كان المصرى يدفن موتاه فى الأماكن الصحراوية هذا فضلا عن أن « أوزير » قــد مات غرقا كما جاء فى إحدى الروايات عن سبب وفاته) . وإنى « أوزير » الراحل ولن يبعد عن « رع » ، ولن يصــدّ ، وذلك لأنه نشط بيديه المتمرنتين، وإن « أوزير » الراحل لن يسير إلى وادى الظلام (١)، وأن « أوزير » لن يدخل بحيرة المجرمين (أى بحيرة النار) ، وإن « أوزير » لا يقفز ليكون فى قبضة القــدر ، وإن « أوزير » الراحل لن يقع بين أولئــك الذين يحبسون الأرواح ، أو يخــرج أمام أولئــك الذين يجــرونه خلف مقصــلة الذبح التى هى ملك الإله « ســبدو » . السلام عليكم يامن رءوسهم منكبة فى أجحارهم ، إن السيف الإلهى مخبــأ فى يدى الإله « جب » (إله الأرض) وقت الصــباح ، وذلك لأنه يسر

(١) كان المفروض أن الشمس تعمل رحلتها فى العالم السفلى المظلم لتضىء لسكانه وهم الأموات .

عند ما يحضر لنفسه كلا من المسن والشاب فى حينه (الإله جب هنا يمثل القبر الذى يدفن فيه أى ميت) . والآن تأمل ! إن « تحوت » على علم بخفايا أسراره، وإنه يقوم بالتطهير وبحساب لا نهاية له ، مخترقا السماء (لأنه القمر) ومبددا العواصف التى حوله ، وبذلك أصبح فى مقدور « أوزير » الراحل أن يصل إلى كل أماكنه (فى عالم الآخرة) . وإنى سويت عصاى وتسلمت قربان « رع » صاحب السير السريع ، والجميل الطلعة ، والمسيطر بما فعل ، وإنه قد وضع حدا لآلامه ومتاعبه ، وكذلك فإن « أوزير » الراحل قد وضع حدا لآلامه ؛ وفى الحق انه يدخل البشر على وجه « تحوت » (أو « رع ») وذلك بعبادة « رع »[1] و « أوزير » .

إن « أوزير » الراحل قد دخل أفق « رع » وساح مظفرا ومضيئا وجه «تحوت» (ولدينا فى هذه العبارة برهان على أن القمر كان فى اعتقاد المصريين يأخذ نوره من الشمس)، لأجل أن يصغى إلى « رع » ويقضى على العقبات التى تعترضه فى طريقه .

لا تدع « أوزير » الراحل يغرق فى سياحته على يد من وجهه فى حجره، (اسم إله) وذلك لأن اسم « رع » فى جوف « أوزير » الراحل . (أى أن المتوفى يدعى هنا إنه يعرف الاسم السرى للإله « رع » وهو الاسم الذى كان يعرفه الإله وحده ولكن « إزيس » انتزعته منه بحيلة راجع "كتاب الأدب المصرى القديم" ص ١١٣) . وشرفه فى فمه ، وهو الذى يتكلم لمن يصغى إلى كلماته . الفخار لك يا « رع » يا رب الأفق : سلام عليك يا من تطهر المنعمين، ويا من تقرر ضد القدر . ان قيادة السفينة خالية من كل سوء . تأمل ! ها هو ذا « أوزير » الراحل (أى أنه قد وصل إلى نهاية المطاف) .

---

(١) ومن ثم نعرف السبب الذى من أجله قد اجتمعت المتون الشمسية والأوزيرية والأشمونية فى هذا الكتاب، إذ نجد هنا أن عبادة « رع » و « أوزير » قد سرت « تحوت » الذى كان بطبيعة الحال متصلا بهذين الإلهين فى كثير من الأحوال وبخاصة فى رحلة المتوفى ليلا فى سفينته .

وبعد هذا المتن الطويل يسير الراحل نحو بناء مقسم أربعة أقسام لكل واحد منها باب خاص مستطيل الشكل . وهذه الأبواب رسمت فى مصوّر برلين، لكل منها مصراعان لونهما أحمر، وكتب عليها كلمة « نار » . ويمتاز المصوّر الذى نبحثه الآن بأن لكل باب حارسا خاصا من الجن قد هشموا كلهم أو محوا . ونجد منقوشا عند قمة الباب الأوّل ما يأتى (٤) : "إن الذى يبسط جزءه الأمامى هو حارس الباب الخافى" . والواقع أن الحارس الذى قد أشير اليه فى هذا المتن يمدّ رأسه إلى الأمام فى المصوّر . وفى أسفل هذا الباب دوّن المتن التالى (٨) : "إن الراحل هذا قد أتى اليوم بسكين عظيم ، وقد سلّح نفسه بسيف طرفه قاطع فى الحال دون أن يصد ، وإنه يصد الشرور الأربعة (يقصد بها هنا الحرّاس الأربعة) دون أن يصدوه عند ما يعترضونه . وإن من يبسط وجهه قد حمل هناك ، ولن يحدث ظلمة بين القوم المنعمين أتباع « رع » ، وإنه يخلى سبيل الإله ، وإذا أتيت فى صورة « حف آن » رب الموت ، فإن « رع » يذبحك فى الحال كما قرب « أبو فيس » (عدوّ رع) فى داخل مكان المذبحة" . وهذه التعويذة كانت موجهة طبعا إلى حارس الباب الأوّل . أما الباب الثانى فقد نقش عليه ما يأتى (٥) : "إن «آتى» هو حارس الباب الثانى" . أما التعويذة التى كانت تتلى أمام هذا الباب فهى (٩) : (Lacau, ibid, p. 214, No. 28083 (9))

"إن رأس فلان هذا قد أصبحت محمية بهم وإن «هيو» (اسم ثعبان) ... الذى يقف ليصدك عند ما تقف السفينة على الماء الراكد ، وإنك أنت الذى ميزته (؟) وقد أمر الإله « رع » بأنك لن تسير ضد أتباعه . ولديك البطش أمامك ... تقهقر إلى مكانك ولا تأت ! وإنه هو الذى يراك كالتمساح باسم «الآتية عظيمة» (اسم للإلهة حتحور (؟) .

أما اسم حارس الباب الثالث فإنه يحمل الاسم القبيح (٥) : « الآكل براز دبره » . ولا بدّ للراحل من أن يتلو التعويذة التالية ليتخلص من شره (١٠) :

تقهقر أيها القبيح الذى يسكن المستنقع . إن ظهرك من الخشب الخشن لأنك تبتلع بمثابة طعام نبات « ممت » . إن الراحل يعرفك و يعرف اسمك ... تقهقر واسجد ، ودع ذراعيك يسقطان ، و بذلك يظهر نور الشمس ليلا عند ما يكون روحه فى السماء ، وتبعد الظلمة عن الوجه (الوجه هنا هو السماء) ". وهذه التعويذة موجهة للتمساح غير أننا لا نعرف إذا كان حارس الباب قد مثل فى صورة هذا الحيوان أم لا .

أما اسم حارس الباب الرابع فقد هشم المتن الخاص به وما تبقى منه هو (٧) : « ... هو حارس البـاب الرابع » . و يدل ما بقى من رسمه على أنه كان فى صـورة حيوان . والتعويذة التى كان يتلوها الراحل عند الاقتراب منه هى (١١) : "يا «شو» و يا « روتى » ، إن « شو » فى السماء و « روتى » فى الأرض (روتى يقصد بهـا الإلهة « تفنوت ») . إن الراحل هذا يخاطبك لتفصل السماء عن الأرض . اسجد تقهقر ... ... إنها تبعث الخوف ، وان الممقوت الوجه يرتعـد خلف الإله المقدّس الذى يعلن إعداد السفينة التى تقـوم بالسياحة العظمى (أى سـفينة الشمس التى تسبح كل يوم من الغرب إلى الشرق) ، و إن شرفه قد فصل فيه . وقد أمر «تحوت» أن يصلح من شأن السفينة المكسورة فى الصبـاح المبكر ، فإذا أتيت فإنك ستصعد على يد الراحل هذا . و إن الراحل هذا يأتى فرحا معلنا صور « رع » الأربع عند ما ولد « حور » بكر أولاد « رع » ، و يقوم بدورته السماوية . وكذلك يرى الراحل بين أولئك المجدفين (الذين يجدفون فى سفينة الشمس) .

فيشاهد فى هذا المتن رغم ما فيه من الإبهام أن المتوفى يدّعى لنفسه مكانة بين المجدفين فى سفينة الشمس ، أى أنه يوحد نفسه بالنجوم الثابتة ، وهى التى نعلم أنها تُسير سفينة الليل .

بعـد ذلك نجـد الراحل يقترب من جدار سميك فيـه ثلاثة أبواب من نار ولكن قبـل أن يفتح أبوابه لا بدّ للراحل من تلاوة التعاويذ التاليـة (١٣) :

(Lacau, ibid, p. 215, (12), No. 28083 (13)

إن الراحل وهو « روتى » (إله الشمس) يأتى ، والراحل هـذا يحيى « ماعت » (العدالة) ؛ والراحل هذا يمهد الطريق ، ويتسلم التاج العظيم المزدوج الذى على رأس «رع» ، و(أمراس) الراحل التى أحضرتها له ، وقد مهدت الطريق التى يمر عليها الراحل . وإن العدالة هى دليلى خلال الليل على يد روح الظلام " .

ويتبع هذه التعويذة أخرى (14) (Lacan, ibid, p. 215,(13)—No. 28083) وهى (١٤) "إن الراحل يأتى إليك يا عظيم الكبراء بين أرواح الليل ، وبين أربعة الآلهة السماوية ، لقد خلصت الراحل هذا ، أما إلهتا الصدق (ازيس ونفتيس) ..." .

ففى هذه التعويذة نلحظ أن العدد أربعة قد احتل مكانة بارزة ، وهو فى هذه المرة يعبر عن أربعة الأرواح التى فى السموات الأربع السالفة الذكر ، وهذه الأرواح التى هى أشير اليها فى كتاب " ما يوجد فى العالم السفلى وهى « أوزير » ، و « رع » ، « وآتوم » ، و « خبررع » " . ورغم أن المتن هنا مهشم فإنه يحتمل أن فيه إشارة إلى محاسبة يخلص المتوفى منها العدالة المزدوجة ، وهما «ازيس» و « نفتيس» .

وفى داخل البـاب نجد متنا مهشما جاء فيـه (١٥) : " إنه يعيش على حراس الأبواب الأربعة الذين لا يريدون أن يخبروا كيفية المرور منها " .

" فصل للمرور منها (الطريق) على يد من هو فى الأمام ولديه وقاية منه (الحارس) . وإن الراحل هذا هو فرد يعرف السياحة التى يقوم بها نفسه (وذلك لأنه موحد بإله الشمس الذى يعمل السـياحة الشمسية من الغرب الى الشرق يوميا) " . والسطر الممحو فى بداية هـذا المتن كان بطبيعة الحال يحتوى على اسم الحـارس ، وقد ذكر فى الفصل ٤٤ من كتاب الموتى وهو :

" الحارس المنكس الرأس (أى الذى يقف على رأسه) والمتعدد الصفات . وهو حارس أول باب للاله « أوزير » "[1]. وقد مثل هذا الحارس فى ورقة « نو » بصورة إنسان أما ورقة «آنى»[1] فـله رأس أرنب وفى كلتا الورقتين يشغل وظيفة

(1) Budge Book of the Dead (Text) Vol. II, p. 218.

حارس الباب الأول . ويستدل من كتابة اسم هذا الحارس برسم رجل عاليه سافله ، أن هـذا الباب الذى يحرسه هو باب العالم السفلى الذى ينزل منه المتوفى إلى الآخرة (أى أنه ينزل فى العالم السفلى برأسه). والظاهر أن أول تعبير عن هذه الفكرة مصدره «كتاب الطريقين» . والمتن السابق تعويذة من التعاويذ التى كان يهدد بها الأرواح، إذا تنحت عن مساعدة الراحل أو أحجمت عن إطاعته فى تنفيذ ما يريد . والواقع أن مثل هـذه المتون التى تنطوى ألفاظها على التهديد والوعيد ليست إلا متونا سحرية وهذا مانراه فى كل متون هذا الكتاب . ويشاهد بعد ذلك فى المصور مساحة كبيرة مستطيلة تسبق بابا ناريا يمتـد فى طول هـذا القسم . ويشاهد أمام هـذا الباب السالف الذكر ثلاثة حراس كل منهم فى صورة طائر يقبض على شبه عصا معقوفة ملونة باللون الأحمر، والحارس الأول له رأس قط لونه أسود وجسمه أصفر . أما الحارس الثانى فقد محى رأسه فى حين أن الثالث قد محيت صورته تماما، ولم يبق ما يدل عليه إلا جزء من العصا المعقوفة التى كانت بيده ، ويخاطب الراحل أولئك الحراس بالتعاويذ التالية Lacau, ibid, p. 210 (15-16), No, 28083 (17-18)

" إن من يعيش على ... ... هو حارس الباب الأوسط ، وإنه يعيش على من لا يعرف كيف يمشى إلى هـذه السماء الخاصة «بحور» أكبر الثلاثة الذين صعدوا إلى سيده حيث مثل من أصبح ديدانا ، وأنها تأكله لأنه لا يعرف التعويذة الخاصة بالمرور منها (الأبواب) ، وأن من كان فى المقدمة لديه الوقاية من شر ذلك ، وأن الراحل يوحد نفسه بالثعبان «محن» فى مكان السياحة (أى فى السفينة) .

ونعلم من مضمون هذه التعويذة أن حراس الأبواب سيعيشون على الأرواح الجاهلة التى لا تعرف كيف تسير على الطريق . والحقيقة أن مثل هذه التعويذة ، إن هى إلا إغراء بارع على حض الناس على شراء نسخة من « كتاب الطريقين » لتوضع معهم فى القبر، هذا إلى أن ذكر «حور الأكبر» بوصفه أحد الثلاثة الذين صـعدوا إلى سيدهم مما يلفت النظر، ومن المحتمل أن هـذا الثالوث مكوّن من « حور » و « أوزير » و « تحوت » أما سيدهم فهو الإله « رع » .

ويستمر المتن فيقول : ”إن الذى يضع الرغفان بصوت عال“ هو اسم حارس الباب الثالث. وهو الثالث الذى قد صعد إلى سيده، والذى يعيش على لهيب كلمته. فصل المرور فيها بالذى كان قبله وإن وقاية الراحل هذا فى يده ... “.

وتستمر التعويذة على ما يظهر فى داخل الباب إذ جاء فيها : ” افتح لمن يقصى ظلمة « رع » (الكسوف والعاصفة) ، والذى يتسلح بسحر طيب شاف كل يوم ، والذى يقصى بناره الظلمة و (؟). أن الراحل هذا قد حضر إلى « رع » فى سفينته، وأن الراحل هذا هو أحد الالهة الذين فى جانب السماء، وإنه يعان مافى يومه فرحا، وأنه لن يصدك عن السبيل “.

ومما يلاحظ هنا أن هذه التعويذة عند ما أصبحت جزءا من « كتاب الموتى » أخذت عنوانا جديدا يدل على أنها ترجع إلى أصل قمرى وهاك العنوان : ” فصل آخر يتلى عند مايجدد القمر نفسه عند أول يوم فى الشهر“؛ فى حين أن الشرح الذى جاء فى نهاية الفصل يقول : ” إذا علم هـذا الفصل فإن من يعرفـه سيكون روحا ممتازا فى عالم الآخرة؛ ولن يموت ميتة ثانية فى العالم السفلى، وسيأكل طعامه بجانب «أوزير» ، وإذا عرفت هذه التعويذة لفرد على الأرض، فانه سيكون مثل «تحوت» (أى عاقلا قويا) وسيعاد مع الأحياء ولن يقع (Budge, Text Vol. II, 179) فريسة لغضب الآلهة « باستت » الملكية (أكبر بنات الآله أتوم) ، وإن الأميرة القوية (باستت) تجعله يخطو فى سلام “.

أما المتن الأصلى فانه لا يزال مستمر إذ يقول —(18) (Lacau, ibid, p. 216 No. 28083 (19)

ارفع عاليا وصعد فلانا هذا، ارفع عاليا فلانا هذا لان « أبو فيس » يفزع منه منذ أن شفى الجروح الأربعة، وأن الراحل قد رئى يشفى الآلام ويخففها ، وأن الراحل هذا لم يصد أمام «رع» ، وأن «حور» الأكبر هو الذى فى هذه السماء التى تعد سيدة كل السموات، وكل إنسان يعرف هذه التعويذة، وهو عظيم فى صورته

سيكون عظيما هناك . مرحبا بك يا «رع» ، فان الراحل هذا عند ما يرى حسنك فلن تصل الروح الخبيثة إلى حارسك". وفى مصور التابوت رقم ٢٨٠٨٣ يستمر المتن قائلا : " هـذا هو مورد السماء التـابع لمسكن الإله ، وأنه قد أسس فى السماء وبدايته فى النار ونهايته فى الظلمة " .

وان من قرأ « متون الأهرام » وما جاء فيها عن جنـة النعيم لا يسعه إلا أن يتصوّر أن هـذه الصيحة قـد أتت من حافة المياه السماوية حيث يجـد الإنسان المنعمين فى جنة الخلد يشربون من رحيقها، إلى هذا المكان الذى هو الجحيم والظلمة التى فسرت كذلك بأنها توجد فى السماء أيضا . ! !

ففى هـذا المكان الذى نحن بصدده فى المصور نرى سـفينة عجيبة الصـورة لا يمكن تعرف كنهها إلا بعد إعمال الفكر، وبخاصة عند ما يشاهد المجاديف الأربعة الصغيرة الموضوعة على إحدى جانبيها . وكذلك يلاحظ أن مؤخرتها ومقدّمتها تنتهى بصقر جاثم على سكين . ويشاهد فى وسطها مومية جالسـة على عرش ، وهـذه المومية لهـا رأس حيوان يعتقد البعض أنه رأس فأر أو ضفدعة، غير أن الأذنين القصيرتين المنفصلتين ليستا من خصائص هذين الحيوانين، بل تشبهان أذنى القط . ويشاهد خلف العرش الذى فى السفينة صل منتفخ الصدر . وهذه السفينة تسير على سماء صافية زرقاء ، ويدل المتن المفسر لهذا المنظر أن السفينة تسبح فى مكان روح منعم حقيقة، ولن ترسو قط على المرفأ (أى لن تموت قط) . ومن ذلك نستخلص أن المتوفى يعمل سياحة أبدية مع الشمس من الشرق إلى الغرب وبالعكس كل يوم فى سفينة « رع » التى تقوم كل يوم بسياحة بالليل وأخرى بالنهار .

أما الإله الذى فى السفينة فيقال عنه (٢٢ — ٢٥) . «ليس هناك إله يعرف أوله (أصله)» ، وله أربعة رءوس كل منها لكائن......وفى الجهة أخرى من هذا النقش كتب «مكان الأرواح المنعمة» . وأخيرا كتب « أنه هو الإله نفسه» . ومن كل هذا يمكن أن نستخلص أن الإله الذى فى السفينة هو الإله «رع» بعينه رغم تمثيله بصورة

غير مألوفة. ويشاهد تحت هذه السفينة مكان محاط بجدران سوداء يظهر أنها عماد ترتكز عليها السفينة وقد ذكر لنا المتن (٢٦) : "أنه مكان الروح الذى يعرف الموت فى نار الليل، و روح الظلام الذى يعرف كيف يصعد إلى سماء «رع» ، وسماء «حور» الكبير الذى بين أتباع « رع » ، وأن « حور » الكبير فى سكينة فى أفق « رع » ، وأن «حور» الكبير هو عدالة الإله «رع»". والظاهر أن هذا المكان هو مأوى لهذه الأرواح التى رغم امتيازها كانت حتى الآن لا تعرف كيف يمكنها الاستمرار فى طريقها إلى السماء التى يسكنها «رع» ، و «حور» الكبير صاحب عدالة «رع» ، وذلك لخلوها من التعاويذ السحرية ، فكان لابد لكل من يريد الذهاب الى الجنة من اصطحاب نسخة من هذا الكتاب ، وهذا ما يقابل بالضبط «صكوك الغفران» فى عهد القرون الوسطى فى أوربا التى كان ينشرها القساوسة بمثابة جواز لدخول الجنة ، هذا ونجد قبل الصورة التالية متنا ، ورغم ما ينطوى عليه من غموض فإنه يحتوى على مادة شيقة وهو (٢٧)؛ ((Lacau, ibid, p. 217 (27) : «إن كل فرد يعرف التعويذة الشافية سينعم هناك مثل « أوزير » ، وإنه سيتغلب على كل القضاة ، وإنه سيحيا مادام « تحوت » حيا ، وذلك لأن «تحوت» سيكون فى محكمة « أوزير» . وإذا تلاها أى رجل عظيم على بحيرته التى يسير عليها الى الغرب الجميل ، أو إذا تلاها أى إنسان فى مكان التحنيط عند بداية اليوم الثامن ، وكان قد مضى عليه أربعة أيام وهو ميت ، فإنها ستكون مفيدة له أكثر من أى شىء . ومن يرد معرفة القيامة فلا بد من أن يقولها كل يوم بعد أن يدلك أعضاءه بعطور بنت من الأبكار لم تختن ، وبريق رجل مسنّ لم يختن» . ولاشك أن المقصود هنا من البنت البكر والرجل المسن هو الجمع بين فتوّة الشباب وطول العمر .

وبعد ذلك ننتقل إلى صورة من أعظم الصور المنطقية فى كل صور هذا التابوت ، إذ نجد مجرى ماء متعرج يلف حول سفينة كبيرة تنتهى كل من مقدّمتها ومؤخرتها برأس إنسان ذى لحية . ويظهر أن هذه السفينة قد صنعت من نار لأن لونها أحمر

وقد شغل كل سطحها محراب ذو لون أصفر حمل سقفه على عمودين على هيئة ساق بشنين ، وفى داخل المحراب يقف إله فى صورة إنسان ذى لون أصفر . ومن المتن نفهم أنه الإله « أوزير » . أما المتن الخاص بهـذه السفينة فهو ما يأتى (٣٣) : "ثابتة الحياة، هذا هو اسم هذه السفينة". والظاهر أن كلا من الرأسين اللذين يمثلان مقدّمة السفينة ومؤخرتها يمثـل إلها . فالرأس الذى فى المقدّمـة يسمى (٣٢) : «نحح» والذى فى المؤخرة يسمى (٣٤) «سبا». أما الإله الذى فى وسط المحراب فقد قيل عنه إنه (٢٨) : « أوزير » صاحب المعبد الأرضى للأرواح الأربعـة " . ورغم أن الإله «ست» لم يرسم فى السفينة فإنه كان موجودا فيها كما يدل على ذلك المتن الذى يقول (٢٩) : «ست» صاحب الأرض ذات الأرواح الأربعة" .

ولدينا متن طويل فوق هـذا المنظر جاء فيه : Lacau, ibid, p. 217, (30)
" إن المخاطب هـو « أوزير » ، وإن المـاء حوله ، وهو يعيش من كلمتـه (السحرية) . حقا إن « أوزير » هو الذى يجعل الحقول الأربعة المروية مفيدة، والإله «ست» يرفع ذراعيه تعبدا له ، ولكل عضو من أعضائه فى كل مكان يصل إليه ، (أى أن الإله « حور » عند ما تغلب على الاله « ست » قاتل والده وجعله يتعبد إليه) وإن أعضاءه هذه أصبحت مفعمة بقوّته . مرحبا بك يا « أوزير» الذى يملك معبده الخفى ، ويا من أتعب « ست » الشرير قلبه (أى قتله) . إن قلبك ثابت ، وهو مظفر فى الحرب عنـد مايقطّع « ست » المشاغب إربا إربا ، وإن الراحل هذا يقول إن ماتتوق إليه نفسى هو دم قوى القلب (أى الإله «ست») ، وإن الراحل هذا يقدّرك يا « أوزير» ، ويجمع لك العظام الأربع السليمة الخاصة بالراحل هذا . وإن أعضاء الراحل قوية" .

والاشارة إلى أعضاء « أوزير » المنعمة هنـا ترمز لأعضاء « أوزير » الـتى مزقها « ست » وطوّح بها فى مختلف جهات القطر ، وهى التى جمعتها « إيزيس » من كل هذه الجهات بعـد أن أقامت لكل معبدا فى الجهات التى وجدت فيها .

ورغم أن رسم المتوفى غير ظاهر فى السفينة إلا أنه يمكننا أن نتصوّر أنه كان مسافراً مع « أوزير » فيها إذ يقول المتن : (٣١) : (Ibid, (31) "إن فلانا هذا يقف مع « أوزير » عند ما يقف ، و إن روحك[١] يأتى إليك فافتح حلقك مع « أو زير » صاحب الأشكال الأربعة ، وعندئذ يأتى إليك الريح البارد ، وعند ما توضع فى الأرض أى وقت الدفن) ؛ وإنها (الرياح) ستسرع عند ما تهب العاصفة عليها (أى السفينة) " .

وكذلك نجد فوق السفينة مباشرة مكتوبا (٣٥) : "أنه لا يجهل « ست » . قف « يأوزير» وانصب « نفسك » . ونقرأ كذلك أمام السفينة العبارة التالية (٣٦) : " إن روح الليل هى أذناك وإن العين السليمة قد أعطيتها " .

أما عن المتوفى فيقول المتن (٣٦ — ٣٨) : " إن الراحل هذا يصعد إليك بعين «حور» (وعين حور هى القربان) لأجل «أوزير» ، وإن عينك قد طهرت . قم واحى ! و إن فلانا هذا قد ارتاح ، و إن « تحوت » سيد الأشياء (القربان) هو الذى يطهر محراب الراحل هذا ، وهو سيد طعام « أوزير» ، وسيد قربان الراحل هذا ابن « أوزير» ساكن الأرض العالية (أى الجبانة) التى يملكها الإله « أكبر» والإله « محنت » (؟) " .

بعد ذلك ينتقل الراحل إلى منظر يمثل الواقعة التى حدثت بين إله الشمس «رع» فى سفينة و بين الثعبان «أبوفيس» عدوه . وقد محى الجزء العلوى من هذا المنظر ولكن لحسن الحظ ما بقى يمكننا من فهم الغرض الأساسى منه . والمتن فى هذا المنظر يبتدئ بخطاب إلى الأبواب على لسان المتوفى : ومما يؤسف له أن هذه المتون قد محيت من مصوّرنا غير أننا أخذناها من مصوّر التابوت رقم ٢٨٠٨٥ (40) ,p. 218) وهى : مرحبا بك أيتها الأبواب صاحبة الأسماء الأربعة السرية ! أنت يا صاحبة الأماكن الرفيعة . ليتك تطلقين سراح الراحل

(١) يلحظ فى هذه المتون الدينية والسحرية تغيير الضمير بصفة عامة .

هذا من كل سحر مؤذ للأحياء الذين أمامك إلى أن يصل فلان هذا أمام رب الكل، و إلى أن يقوم السلام بين المتحار بين («حور» و «ست») ، وذلك إكراما للراحل هذا . و إن الراحل المواطن يبكى من أجله بسبب الجروح التى أصابت والده (أى «أوزير») عند ما قطعت أوصاله على يد «ست» (وهذا مثل من الأمثلة النادرة التى تشير إلى فرد من الطبقة المتوسطة يذكر فيه أن رجلا من هذه الطبقة يحنو على «أوزير» ، والمثل بعينه يدل على أن «أوزير» كان فى الأصل إله الشعب) .

ويذكر لنا بعد ذلك المتن أسماء المشتركين فى هذه المعركة المدهشة وهم (٤١ — ٤٦) أولا الثعبان «أبوفيس» . وقد ظهر الجزء الأسفل من صورته على المصور الذى فى أيدينا كما يلاحظ وجود إلهين يهاجمانه . ثم الآلهة «تسف» و «أمستى» ، و «حابى» ، و «دواموتف» . والاخير يهاجم «أبوفيس» بحربة طويلة، أما الإله «كبح سنوف» الذى يهاجم «أبوفيس» بالقوس والنشاب فإنه لم يرسم هنا ، والظاهر أنه كان ينعت (٤٧ — ٤٨) "الذى يرى والده ، والذى عمل اسمه بنفسه" ؛ اللهم إلا إذا كان هذان الاسمان لآلهين لم يرسماهنا (ibid, 47, 48). (وهذه الآلهة هى أولاد حور) . ومما يجدر ذكره هنا أنه جاء فى «كتاب الموتى» أن أولاد «حور» كانوا يقومون بمثل هذا الدور فى «كتاب البوابات»" .

ونجد هنا كذلك متنا وضع على لسان إله السحر «حقا» (ibid, p. 219 (50) إذ يقول (٥٠) : "إنك الأمير (أوزير) الذى ترى ما يسقط أمامك، وأنت الذى يقتنص له رءوس البدو، والذى يحز له الأشرار الأربعة" .

ولا نزاع فى أن هذا المتن يشير إلى الشياطين الذين يهاجمون «أبو فيس» عدو إله الشمس «رع» . ويلى ذلك المنظر صورة كبيرة لسفينة الشمس ذات لون أصفر وهى تشبه السفينة التقليدية التى تعمل الشمس فيها سياحتها اليومية فنجد فى وسطها المحراب الذى يجلس فيه وبابه مفتوح على مصراعيه، غير أننا لا نجد الإله جالسا فى محرابه؛ ولكن نجد متنا صغيرا على جانب المحراب يخبرنا أن الإله «رع»

موجود فى السفينة . وكذلك كتب اسم الإلهين (٥٧ — ٥٨) « سيا » و « حو » أى «الفهم» و «الأمر»، وهما الإلهان اللذان لا يفارقان «رع» فى سياحته اليومية فى سفينته و يقفان دائمـا بجانب الدفة . وممـا يلفت النظر هنا أن سفينة الشمس هـذه قد وضعت هنا على جرارة لهـا رأس صقر ممـا يذكرنا بالجرارات الخاصـة بالقوارب الجنازية، و بخاصة نشاهد أن الجرارة لهـا رأس صقر وذلك مما يذكرنا كذلك بالإله «سوكر» إله الموتى فى جبانة «منف» وهو يمثل فى صورة إنسان برأس صقر فى سفينة على شكل جرارة و ينعت بأنه إله منف العظيمة وسيد « روستاو » . و يشد هذه الجرارة ثلاثة رجال وقد كتب بجوارهم المتن التالى (ibid, 49) (٤٩) : ” أربع مجاميع من سكان السماء وأربع مجاميع من بحـارة « رع » الذين لا حصر لهم “ . وتفسير هذا المتن معروف لنا منذ عهد الأهرام إذ نعلم أن بحارة « رع » كانوا يتألفون من نجوم ثابتة ومن كواكب سيارة . و يمكن أن نستنبط هنا نفس هذه الحقيقة فالبحارة الذين لا يحصى عددهم هم بلا شك النجوم . والواقع أن نفس الفكرة قد تمسك بها رجال الدين فيما بعد، كما نجد ذلك فى ” كتاب ما يوجد فى العالم السفلى “، وفى «كتاب البوابات»، حيث نجد أن سفينة الشمس فى سياحتها فى العالم السفلى الذى لا هواء فيه تقوم برحلتها فيه حيث يجرها أولئك البحارة الذين يتألفون من النجـوم ، ولكن يلاحظ أن الجرارة لم توجد فى الكتابين الأخيرين إذ كانت السفينة تجر على المـاء بالأمراس لانعدام الهواء اللهم إلا فى الجزء الذى كان يسمى « روستاو » ، وحيث كانت تغير صورتها وتجر على رمال الصحراء . وعدد البحارة هنا كان يتألف من أربع مجاميع بدلا من المجموعتين العاديتين — واحدة لسفينة النهار والأخرى لسفينة الليل، ومن المحتمل أنهم قسموا أربع مجاميع ليتفق هذا مع أربع السماوات السالفة الذكر، أى أنه كان لكل سماء مجموعة تعمل فيه . وفى مصور التابوت رقم ٢٨٠٨٥ نجد أن الآلهه التالية أسماؤهم قد ذكروا مع هذا المنظر (ibid, 51-55) كما يأتى (٥١ — ٥٥) : ”الحاشية الذين فى المقدّمة (أى مقدّمة السفينة) ،

و « أزيس » ، والإله « ست » والإله « حور » ثم الحاشـية المؤلفة من الأربعة الذين فى المؤخرة (أى مؤخرة السفينه) " .

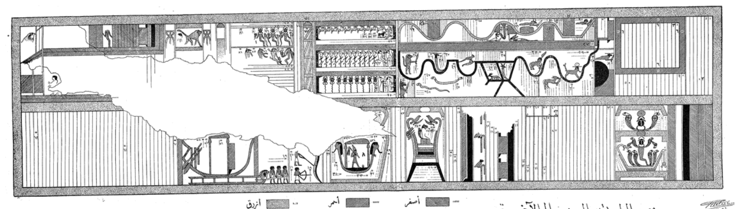
وأخيرا ينتهى هذا الصف من المصوّر بمتن طويل يدل على آخر المطاف فاستمع لمـا جاء فيه : (ibid, p. 220 (58) " الشاطئ الشمالى للنهر المتعرّج الذى لا نهاية لعرضه ، وهو يحيط به جميعه نار ارتفاعها ذراع . مرحبا بك يا من قد كفيت شرلهيبها ، و يا من أقصيت نارها عنك . و إن الراحل هذا قد ضرب على يد كل شر بسر ذكائه الذى عمله . و إنه قد أصبح حيا بأعضائه و يتحرك بها و إن الراحل لا والد له" .

ثم يتلو ذلك عنوان بالمداد الأحمر جاء فيه متن مهشم . و يأتى بعده متن كتب بالمداد الأسود هو (٥٩) : " إن رب الجميع تكلم للصامت (أى « أوزير ») عن الآلام فى السياحة : يارجال الحاشية الأصحاء بما أنتم فيه من سكينة ، إنى أكرر لكم أعمالى الجميلة جدا . لقد عملت ما سر قلبى فى داخل « محن » (السفينة) ، لأنى أخرست الشر وعملت الطيبات أربع مرات فى داخل باب الأفق ، وقـد خلقت النّفس الذى يستنشقه كل إنســان فى حياته . و إنى أنا الذى خلقت الفيضـان العظيم ، وجعلت الفقير قويا مثل العظيم . وهذا هو عملى هناك . وقد جعلت كل إنسان مثل أخيه ، ولم آمر بعمل شر لهم ، و بذلك أجعل قلوبهم راضية بما فعلت . هذا هو عملى هناك . ولقد جعلت أفئدتهم صالحة حتى يذكروا الغرب (الأخرة) ، ولأجل أن يقدّموا للالهة الأربعة الخفية . هذا هو عملى هناك . ولقد خلقت الآلهة الأربعة من عرقى ، والناس من دموع عينى .

و إن الراحل هذا هو الضوء الذى ينير كل يوم (أى الشمس) فى مكان النوم عندما يذهب رب الجميع للنوم ، وعينى الخاصة بالليل (القمر) لمتعب القلب (أى أوزير) ، و إن الراحل هذا ضمن بحارة سفينة «ماعت» (العدالة) ، و إن الراحل هذا هو رب الفيضان والسياحة السماوية التى لا يترك فيها عضو من أعضاء الراحل هذا . و إن الإله «حور» والإله « حقا » قد قضيا على هذا الشر جميعا ، الذى رآه

الراحل هذا و إن الراحل هذا قد جلس فى مكانه ، وأنه يفصل بين التعس والقوى بالعدل ،... وإن الراحل يمضى ملايين السنين التى يملكها" صاحب القلب المتعب" (كتاب عن الموت) (أوزير) وهو ابن « جب » (إله الأرض) ...

ولا مراء فى أن القارئ لا يتردّد لحظة فى القول بأن هذا المقال الأخير هو أعظم قطعة خلقية قدمها لنا مؤلف كتاب الطريقين فى ختام مطافه . إذ نجد أن رب العالم أى الخالق يحدّثنا عن جزء من قصة خلق العالم ، فقد برأ الآلهة الأربعة من عرقه ، وذرأ الناس من دموعه ، وبذلك أوجد نفس الحياة للخلق ، وذرأ الفيضان ، وجعل الضعيف والقوى أمامه سواءً فعدل بينهما ، وجعل كل الناس إخوانا ، وعرف أن قلوب الناس قد جبلت على الشر غير أنه تنحى عن المسئولية فى ذلك ؛ لأنه لم يخلقه كذلك ، بل على النقيض جعل قلوب الناس سليمة حتى يذكروا يوما لا ريب فيه ويتدبروا واجبهم نحو الإله خالقهم يوم يقدّم كل إنسان ما عملت يداه ويكون الجزاء من جنس العمل .



أزرق أحمر أصفر

مصور الطريقين إلى عالم الآخرة

شكل ٣٤

فهـــرس الموضـــوعات

الحروب الداخلية ونهاية الأسرة

الأسرة الثانية عشرة

المدنية فى عهد الدولة الوسطى

الأشكال الإيضاحية

ملاحظـــة : نلفت نظر القارئ هنا إلى أن أرقام الأشكال من ص ٣٠٢ إلى ٥٨٩ حدث فيها أخطاء تداركناها فى الأشكال الإيضاحية ، فلذا يعتمد فقط على رقم الصحيفة التى جاء فيها الشكل .

فهـــرس الأعلام والآلهة والأماكن وغيرها

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

تنبيـــه : وقعت بعض أخطاء فى أسماء الأعلام فى متن الكتاب تداركناها فى فهرس الأعلام والأماكن .

قائمة المصادر المختصرة

List of Abbreviations

A. J. S. L. = The American Journal of Semetic Languages and Literature.

Anthes, "Hatnub" = Anthes, "Die Felseninschriften von Hatnub". Leipzig, 1928.

A. S. = "Annales du Service des Antiquities de l'Egypte", Cairo.

A. Z. = "Zeitschrift fur Agyptische Sprache", Leipzig.

B. I. F. A. O. = Bulletin de l'Institut Français d'Archeologie Orientale, Cairo.

Birch, "Alnwick" = Birch, "Catalogue of the Collection of Egyptian Antiquities at Alnwick Castle".

Blissing and Kees, Munich Ak. S. B. = "Sitzungsberichte der Bayer. Academie der Wissenschaften Munchen".

Blackman, "Meir" = Blackman, "The Rock Tombs of Meir", London, 1914-15.

Borchardt, "Statuen" = Borchardt, "Statuen und Statuetten von Konigen und Privatleuten", (Vol. 33, Catalogue General, Cairo Museum) Berlin, 1911.

Breasted, A. R. = *Breasted, "Ancient Records of Egypt", Chicago, 1906.

Breasted, "Dawn" = Breasted, "The Dawn of Conscience", New York, 1934.

Budge, "Sculpture" = Budge, "A Guide to the Egyptian Galleries, (Sculpture)", London, 1909.

Carnavon and Carter, "Explorations" = Carnavon and Carter, "Five Years Explorations at Thebes", Oxford, 1912.

Couyat et Montet, "Hammamat" = Couyat et Montet, "Inscriptions Hieroglyphique et Hieratique du Ouadi Hammamat", (Vol. 34, Mém. de l'Inst.) Cairo, 1912.

De Morgan, "Cat. Mon." = De Morgan, "Catalogue des Monuments et Inscriptions de l'Egypte Antique", Cairo, 1893.

De Morgan, "Dahchour" = De Morgan, "Fouilles à Dahchour", Vienna, 1895.

Drioton and Vendier, "L'Egypte" = Drioton and Vandier, "Les Peuples de l'Orient Medeterraneen. L'Egypte", Paris, 1938.

Gardiner and Peet, "Sinai" = Gardiner and Peet, "Inscriptions of Sinai", London, 1917.

Griffith, "Suit" = Griffith, "Inscriptions of Suit and Der Rifeh", London, 1889.

Griffith "Kahun Papyri" = Griffith, "Hieratic Papyri from Kahun and Gurob", London, 1897-98.

Hall, "Ancient History" = Hall, "The Ancient History of the Near East", London, 1920,

Hall, "Catalogue of Scarabs" = Hall, "A Catalogue of Egyptian Scarabs in the British Museum", London, 1913.

J. E. A. = "The Journal of Egyptian Archaeology", Lòndon.

J. N. E. S. = The Journal of Near Eeastern Studies.

Junker, "Agypter" = Junker, "Die Volker des Antikens Orient. Die Agypter", Freiburg im Breisgau, 1933.

Kees, "Kulturgeschichte" = Kees, "Kulturgeschichte des Alten Orients", Munchen, 1933.

Lacau, T. R. = Lacau, "Textes Religieux Egyptiens", Paris, 1910.

Lange and Schafer, "Grab und Denkstein" = Lange und Schafer, "Grab und Denkstein des Mittleren Reiches", Vol. 5, 7, 36, (Cat. Gen. Cairo Mus.), 1902, 1908.

Legrain, "Statues" = Legrain, "Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers", (Vol. 30, 49, 71, Cat. Gen. Cairo, Mus.) Cairo, 1906-1914.

L. D. = Lepsius, "Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien", Berlin, 1849-56.

MacIver and Mace, "El Amrah" = MacIver and Mace, "El Amrah and Abydos", 1899-1901, London, 1902.

Maspero, "Melange d'Arch." = Maspero, "Melange d'Archaeologie".

M. M. A. = The Metropolitan Museum of Arts Bulletin, New York.

Meyer, "Gesch" = Meyer, "Geschichte des Altertums Nachtrag", Stuttgart and Berlin, 1910.

Naville, "Ahnas" = Naville, "Ahnas el Medineh", London, 1894.

Naville, "Goshen" = Naville, "Goshen and the Shrine of Saft el Henna", London. 1887.

Naville, "Temple" = Naville, "The Eleventh Dynasty Temple at Deir el Bahari", London, 1909-1910, 1913.

Newberry, B. H. = Newberry, "Beni Hasan", London, 1893-1900.

Petrie, "History" = Petrie, "A History of Egypt", London.

Petrie, "Hist. Scarabs" = Petrie, "Historical Scarabs", London, 1889.

Petrie, "Labyrinth" = Petrie, "Labyrinth and Gerzeh", London, 1911.

Petrie, "Scarabs" = Petrie, "Scarabs and Cylinders", London, 1917.

Petrie, "Season" = Petrie, "A Season in Egypt", London.

Petrie, "Tarkhan" = Petrie, "Tarkhan and Memphis", London, 1913.

P. S. B. A. = The Proceedings of the Society of Biblical Archaeology", London.

Quibell, "Sakkara" = Quibell, "Excavations at Sakkara" (1905-1906" ,Cairo, 1907.

Scharff, "Merikare" = Scharff, "Die Historische Abschnitt der Lehre fur Konig Merikare", in Sitzungsberichte des Bayerischen Akademie der Wissenschaften", Munchen, 1936.

Scott-Moncrieff, "B. M. Stelae" = Scott-Moncrieff, "Hieroglyphic Texts in the British Museum", London, 1911-1925.

Sethe, "Achtung" = Sethe, "Achtung Feindlecher Fursten Volker und Dinge", Berlin, 1926.

Sethe, "Amun" = Sethe, "Amun und die Acht Urgotter", von Hermopolis, Berlin, 1929.

Sethe, "Lesestucke" = Sethe, "Aegyptische Lesestucke", Leipzig, 1928.

Sethe, "Pyramidentextes", "Pyr." = Sethe, "Die Altægyptischen Pyramidentextes", Leipzig, 1908–1922.

Sethe, "Urkunden IV" = Sethe, "Urkunden der 18 Dynastie", Leipzig, 1908.

Vyse, "Operations" = Vyse, "Operations Carried on at the Pyramids", London, 1840–42.

Weigall, "Guide" = Weigall, "A Guide to the Antiquities of Upper Egypt", London, 1913.

Weigall, "History" = Weigall, "A History of the Pharaohs", London, 1931.

Weigall, **"Lower Nubia"** = Weigall, "Report on the Antiquities of Lower Nubia", Oxford, 1907.

Weill, "Rec." = Weill, "Recueil des Inscriptions Egyptiennes du Sinai", Paris, 1904.

Wiedemann, "Geschichte"=Wiedemann, "Agyptische Geschichte", Gotha, 1884.

Winlock, "Deir el Bahari" = Winlock, Excavations at Deir el Bahari, 1911–1931", 1942.

كتب للمؤلف

بالعربيـــة :

(١) مصر القديمة : الجزء الأول فى عصر ما قبل التاريخ الى نهاية العهد الإهناسى .

(٢) مصر القديمة : الجزء الثانى فى مدنية مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الإهناسى .

(٣) مصر القديمة : الجزء الثالث فى العصر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الأسيوية ولوبيا .

(٤) جغرافية مصر القديمة : (محلاة بإحدى وأربعين خريطة) .

(٥) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الأول فى القصص والحكم والتأملات والرسائل .

(٦) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الثانى فى الدراما والشعر وفنونه .

(٧) تاريخ مصر من الفتح العثمانى الى قبيل الوقت الحاضر : بالاشتراك مع عمر الاسكندرى .

(٨) تاريخ أوربا الحديثة وحضارتها : (جزءان) بالاشتراك مع عمر الاسكندرى .

(٩) صفوة تاريخ مصر والدول العربية : (جزءان) بالاشتراك مع عمر الاسكندرى والشيخ أحمد الاسكندرى .

(١٠) تاريخ دولة المماليك فى مصر : (تعريب) بالاشتراك مع محمود عابدين .

(١١) ديانة قدماء المصريين: (تعريب) .

(١٢) صفحة من تاريخ محمد على : (تعريب) بالاشتراك مع طه السباعى .

بالفرنســية :

(1) "Hymnes Religieux du Moyen Empire"; 199 pages (1928) Cairo.

(2) "Le Poeme dit de Pentaour et le Rapport Officiel sur la bataille de Qadesh". 162 plates. Université Egyptienne, Faculté des Lettres. (1929), Cairo.

بالإنجليزية :

(3) "Excavations at Giza"; Vol. I (1929-1930); 119 pages, 81 plates, 187 illustrations in the text, plan (Oxford 1932).

(4) "Excavations at Giza", Vol. II (1930-1939); 225 pages, 83 plates, 251 illustrations, in the text, 2 plans (Cairo, 1936).

(5) "Excavations at Giza", Vol. III (1931-1932); 292 pages, 71 Plates, 227 illustrations in the text, 2 plans (Cairo, 1941).

(6) "Excavations at Giza", Vol. IV, (1932–1833; 218 pages, 62 plates, 159 illustrations in the text, 3 plans (Fourth Pyramid) Cairo, 1943.

(7) "Excavations at Giza", Vol. V (1933–1934); 325 pages, 79 plates, (3 coloured), 169 illustrations in the text, 2 plans (Cairo, 1944).

(8) "Excavations at Giza", Vol. VI, part I, II, III, (1934–1935); (in the Press), Cairo. 1945.

(9) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part II, The Offering-list in the Old Kingdom (in the Press).

(10) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part III, A Description of the Mastabas and their Contents, (in the Press).

كَمُلَ طبع الجزء الثالث من كتاب " مصر القديمة (العصر الذهبي) "
بمطبعة دار الكتب المصرية في يوم الثلاثاء ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٦٦
(٢٩ أبريل سنة ١٩٤٧) م

محمد نديم
مدير المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٨/١٩٤٦/١٥٠٠)


Bibliotheca Alexandrina
0410680